مجلـــة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير :أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.م.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. أحمد مالك الفتيان	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. حميد أحمد التميمي	كلية الآداب / جامعة البصرة
أ.د. طالب منعم الشمري	كلية التربية / جامعة واسط
أ.د. هديب حياوي	كلية الآداب /جامعة بابل
أ.د. عادل تقي البلداوي	كلية التربية / جامعة المستنصرية
أ.د.علي ياسين الجبوري	كلية الآثار / جامعة الموصل
ا.د. خليل علي مراد	كلية الآداب / جامعة صلاح الدين

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

ملحق العدد (53) نيسان لسنة 2016

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (765) لسنة 2002

التصحيح اللغوي م.م. عبد الخالق حسن

الاشراف المالـــي : انتصار حميد مجيد

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047

البريد الالكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

شروط النشر في المجلة

1. أن يكـون متسـماً بالجـدة والموضـوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .
2. إعتماد الاسلوب العلمي في كتابة الموضوع سـواء بمـا يتعلـق بالهـوامش أو الأمانـة العلمية.
3. سـلامة البحـث مـن الاخطـاء اللغويـة والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .
4. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .
5. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .
6. أن لا يكون البحث مستلاً من رسالة أو اطروحة جامعيـة لغير طلبـة الدراسـات العليا .
7. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.
8. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .
9. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .
10. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الاقراص المدمجة .

محتويات ملحق العدد (53)

ت	البحث	الباحث	الصفحة
1	الحياة العلمية في كجرات من الفتح حتى نهاية القرن 11ه	أ.د. سهيلة مزبان حسن	46-6
2	نشاط المجلس الأمريكي لمفوضي الإرساليات الخارجية تجاه المسألة الأرمنية 1893-1896م".	د. يوسف حسن يوسف عمر	86-47
3	سيرة وحياة الخطيب البغدادي	أ.د.كاظم ستر العلاق جعفر جمعة فاخر الشوكي	105-87
4	الشهر التاسع في مدينة اوما (iti $(^{d}li_{9}-si_{4}$)	أ.م.د. مهند عاشور شناوه القطبي صفا عبد الكريم النعيمي	118-106
5	الأوضاع الإدارية في مدينة القدس في العصر المملوكي	أ.د.عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي مريم علاوي فهد	139-119
6	إثر الأوضاع الدولية في التوجه البريطاني نحو ايطاليا 1891-1895	أ. م. د: حسن زغير حزيم م. م: صادق صكبان دوشان	161-140
7	تطور السياسة العثمانية تجاه الكويت حتى عام 1896	د.صبري فالح الحمدي ذكرى عبد الدين عزيز	196-162
8	سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه ايران 1945-1979	أ.د.سمر جمعة بهلوان اياد حمادي ثلاج	217-197
9	أهمية اللقى الاثرية المكتوبة في الدراسات الآثارية	أ.د. نواله أحمد محمود المتولي محمد عيسى جعفر	243 -218
10	وزارة الزراعة في العراق1952 - 1958(دراسة تأريخية تحليلية)	أ.د. علي محمد كريم المشهداني حسين علي فليح	281-244
11	سوابق ولواحق الضمائر الشخصية للفعل الكامل لنصوص اقتصاديه من سلالة أور الثالثة	أ.م.د. سجى مؤيد عبد اللطيف علي عزاوي أحمد	302 -282
12	مدينة تل العمارنة وأهميتها التاريخية	مهند جريان رشيد	318- 303
13	تخطيط وعمارة قيسرية قيردار في مدينة كركوك(1303هـ/1883م)	أ.د.نسيبة محمد الهاشمي مؤيد غازي ناجي الربيعي	347 -319
14	السيرة الشخصية لعائلة آل – بختيشوع	أ.د.عبد الكريم عز الدين الأعرجي زينب عبد الرزاق	380 -348
15	عبد الرشيد إبراهيم 1850-1944 (التربوي، السياسي، المجدد، الرحالة، الإعلامي)	م.د. انتصار زيدان الجنابي	416-381
16	السمات الفنية في النحت الفخاري للخزف العراقي المعاصر (ماهر السامرائي وطارق إبراهيم)	عبير مجيد عبد النبي صالح	458 -417

	- دراسة مقارنة -		
17	مهنة الحراسة في ضوء المصادر المسمارية	أ.م. د كاظم عبد الله عطية	478-459
18	موقف العراق من الخلاف الاردني - الفلسطيني 1964- 1972	أ.د خليل ابراهيم المشهداني م.م زهراء عبد العزيز سعيد	506-479
19	اثر الاوضاع الدولية في التوجه البريطاني نحو ايطاليا 1891-1895	أ.م.د. حسن زغير حزيم صادق صكبان دوشان	528-507
20	(النشاط الاقتصادي في مصر القديمة حتى الأسرة العشرين)	أ.م.د فاضل كاظم حنون سارة جبار أرشيد	554-529
21	أنواع العقوبات الواردة في القوانين الرومانية والعراقية القديمة	أ.د. حسين احمد سلمان حسن كاظم دخيل	576-555
22	الطب في حضارة بلاد الرافدين	أ.م.د. محمد علي عبد الأمير حسن	606-577
23	الأنماط الاستيطانية في فلسطين وأثرها في الشعر العبري الحديث.	م.أزهر كريم حميد م. محمد علي حميد	643-607
24	التلمود ومراحل تكوينه ـ دراسة تاريخية ـ	د. حازم عدنان احمد	671-644

الحياة العلمية في كجرات
من الفتح حتى نهاية القرن ١١هـ

أ . د . سهيلة مزبان حسن
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد
قسم التاريخ

الحياة العلمية في كجرات من الفتح حتى نهاية القرن ١١هـ

أ . د . سهيلة مزبان حسن

ملخص البحث

الحياة العلمية في كجرات

تعد كجرات من المدن المهمة في الهند فانها تقع في شمال ولاية بمباي وجنوبها يطل على بحر العرب ،واشهر مدنها احمد اباد التي تعد العاصمة وكانت لها صلات تجارية وثقافية مع البلاد العربية الاسلامية وتتكلم الكجراتية . نبه البحث على اهم من كجرات وهي (نهلوارة وكنباية وتانة وسندان وسومنات او صومنات واحمد اباد وجالورو تاكور وبروج وختن....وغيرها)وتطرق البحث الى الجانب السياسي واثره على كجرات واهمية عملية الفتح لهذه البلاد لاهتمام الملوك والسلاطين بالعلم والعلماء وتشجيعهم لهم ساعد ذلك على ازدهار العلوم والاداب في كجرات.

كما اشار البحث للحياة العلمية في كجرات ذاكرا اهم العلوم التي انتشرت في كجرات والتي منها القراءات ،واشهر القراء منهم الشيخ علم الدين بن عين الدين ومنها التفسير واشهر المفسرين الشيخ علي بن احمد الشافعي المهمائي ثم الحديث واشهر المحدثين منهم جمال الدين محمد.

اما الفقه في كجرات فقد انتشر المذهب الشافعي والفت الكتب في ذلك منها الفقه البحت وخزانة الروايات ،اما اشهر الفقهاء ، الفقيه سراج الدين الكجراتي، وعلم الدين بن سراج الدين الكجراتي..وغيرهم.

ونبه البحث على الاهتمام باللغة العربية وادابها اذ شهد نشاطا هائلا في مجال علم النحو فضلا عن المعاجم العربية.

اما علم التاريخ فان معظم المؤلفات كتبت باللغة الفارسية في حين كانت المؤلفات باللغة العربية.

كما ذكر البجث الرحلات التي حظيت بها الهند عامة وكجرات خاصة اذ اهتم الرحالة العرب والاعاجم بهذه البلاد ووصفوها وصفا دقيقا ودونوا كل ما شاهدوه في البر والبحر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين الرسول العظيم (صلى الله عليه واله وصحبه اجمعين) وبعد :

تعد (كجرات) من المدن المهمة في الهند فأنها تقع في شمال ولاية بمباي وجنوبها يطل على البحر العرب واشهر مدنها احمد اباد التي تعد العاصمة وكانت لها صلات تجارية وثقافية مع البلاد العربية الاسلامية وتتكلم الكجراتية .

نبه البحث على اهم مدن كجرات وهي : (نهلواره وكنباية وتانه وسندان وسومنات او صومنات واحمد اباد وجالور وناكور وبروج وفتن وبرودلة وجابانير وغيرها .

وتطرق البحث الى الجانب السياسي وأثره على كجرات وأهمية عملية الفتح لهذه البلاد لاهتمام الملوك والسلاطين بالعلم والعلماء وتشجيعهم لهم ساعد ذلك كله على ازدهار العلوم والآداب في كجرات وكان من اشهر الملوك ، احمد شاه المظفر الكجراتي ، ويمين الدولة محمود بن سبكتكين ومحمود شاه المعروف باسم محمود بيكرو ومظفر الحليم الملك المؤيد المنصور مظفر شاه (ظفرخان) ، وهمايون شاه بن ظهير الدين محمد ابن بابر ، وجلال الدين اكبر بن همايون .

ثم تطرق البحث للحياة العلمية في كجرات ذاكراً اهم العلوم التي انتشرت في كجرات والتي منها القراءات .. واشهر القراء منهم الشيخ علم الدين بن عين الدين والشيخ المجود احمد بن جعفر . ومنها التفسير .. اشهر المفسرين الشيخ على بن احمد الشافعي المهماني والشيخ علي الخطيب الاحمد ابادي ثم الحديث واشهر المحدثين منهم جمال الدين محمد بن طاهر الفتني وشمس الدين محمد بن جلال الدين والشيخ محمد بن الحسين العلوي ، والشيخ محمد بن عمر الاصفي الكجراتي ... الخ .

اما الفقه في كجرات فقد اشتهر المذهب الشافعي والفت الكتب في ذلك منها الفقه البحت وخزانة الروايات اما اشهر الفقهاء .. سراج الدين الكجراتي ، علم الدين بن سراج الدين الكجراتي والشيخ محمود بن عبد الله البخاري والشيخ غوث الدين الكجراتي والشيخ عبد اللطيف بن محمود القرشي ، القاضي عماد الدين الكجراتي ... الخ .

ونبه البحث على الاهتمام باللغة العربية وآدابها اذ شهد نشاطاً هائلاً في مجال علم النحو وبلغ التأليف فيه الذروة في حوالي نهاية القرن السابع الهجري ، فضلاً عن المعاجم العربية ومن اشهر العلماء الشيخ محمد بن ابي بكر الدماميني ، والسيد قطب الدين ابو الخير عيسى بن محمد والشيخ عبد النبي ابن عبد الرسول ووجيه الدين العلوي الكجراتي .

اما علم التاريخ فان معظم المؤلفات كتبت باللغة الفارسية في حين كانت المؤلفات باللغة العربية قليلة ، اما اشهر العلماء في هذا العلم .. قطب الدين محمد بن علاء الدين احمد النهروالي وعبد الله محمد بن عمر النهروالي ومحي الدين عبد القادر العيدروسي ، والسيد نظام الدين محمد معصوم ومرزا اسكندر محمد الكجراتي .

كما ذكر البحث الرحلات التي حظيت بها الهند عامة وكجرات خاصة اذ اهتم الرحالة العرب والاعاجم بهذه البلاد ووصفوها وصفاً دقيقاً ودونوا كل ما شاهدوه في البر والبحر وكان من اشهر الرحالة المسعودي والاصطخري والمقدسي وياقوت الحموي وابن بطوطة وبرزك بن شهريار والرامهرمزي .

والله ولي التوفيق .

كجرات

وهي مدين هندية وتسمى ايضاً جزرات يقول عنها ابو الفداء : (جزرات بالجيم والزاء المعجمة والراء المهملة ثم الف وتاء مثناة من فوق)[١] .

موقعها :

تقع كجرات في الجزء الشمالي من الهند . وكانت جزءاً من ولاية بمباي حتى تم تقسيم هذه المملكة على مملكتين فيما بعد .

تقع كجرات الان في شمال ولاية بمباي من ولايات الهند وجنوبها يطل على بحر العرب واشهر مدنها احمد اباد التي تعد العاصمة وكانت لها صلات تجارية وثقافية مع البلاد العربية الاسلامية وتتكلم الكجراتية[٢] .

اهم مدنها :

١- **نهلواره** : من المدن المهمة في كجرات تقع في الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة ، ويبلغ طولها ٩٨ درجة وعشرين دقيقة وعرضها ٢٢ درجة و٣ دقيقة وهي اكبر من مدينة كمباية وتقع غرب اقليم المانيبار الذي يقع الى الشرق من كجرات ، تعد من اعظم بلاد الهند اذ اتشتهر بالعمارة وكثرة البساتين والمياه وتمتاز بموقعها الجغرافي المهم اذ تقع على بحر الهند على مسيرة ٣ ايام[٣] .

٢- **كنباية** : تقع على ساحل بحر الهند موقعها في الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة اذ الطول ٩٩ درجة و٢٠ دقيقة والعرض ٢٢ درجة و٢٠ دقيقة ، تقع غرب المانيبار وهي مدينة حسنة وابنيتها بالاجر وبها الرخام الابيض وفيها بساتين قليلة[٤] ، يقول عنها ابن بطوطة (كنباية هي على خور من البحر وهو شبيه الوادي تدخله المراكب وبـ المد والجزر وعاينت المراكب به)[٥] .

٣- **تانة** : وتقع الى الجزء الشرقي من كجرات غرب المانيبار وهي من المدن الساحلية تقع على ساحل البحر في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة حيث الطول ١١٤ والعرض ١٩ درجة و٢٠ دقيقة وهي مشهورة اذ لم يبق تاجر الا عرب باسمها وبذلك فهي مشهورة على السن التجار ، يسكنها المسلمون والكفار الذين يعبدون الانداد ويسب الى تانة (تانشي) ومنه الثياب لتانشية وارضها وجبالها تنبش القنا والطباشير ويحمل منه الى الافاق[٦]

٤- **صومنات** : تقع في الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة ، حيث الطول ٩٨ درجة وعشر دقائق والعرض ٢٢ درجة وخمسة وعشرون دقيقة وهي على الساحل مشهورة على السن التجار وتعرف صومنات ايضاً ببلاد اللارس ، تدخل اليها المراكب من عدن ولها خور تنزل مادته من الجبل الذي يقع في شمالها الى شرقها وكان فيها صنم

تعظمه الهنود يضاف اليها فيقال صنم صومنات فكسره محمود سبكتكين سنة ٤١٦هـ عند فتحه للمدينة[٧] .

٥- **سندان** : وموقعها في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة حيث الطول ١٠٤ وعشرون دقيقة والعرض ١٩ درجة وعشرون دقيقة وهي اخر اقليم الكجرات وتعد مجمع الطرق[٨] .

قال عنها القلقشندي (وهي بلاد القسط والقنا والخيزران وهي من اجل الفرض التي على البحر)[٩] وكانت سندان بلداً معروفاً للجغرافيين العرب[١٠] وتشتهر بالأرز الكثير فضلاً عن اشتهارها بعمل البسط[١١] .

٦- **احمد اباد** : انشأها احمد شاه الاول (٧٩٩ -٩٨٠هـ) والتي اصبحت عاصمة لكجرات ومركزاً علمياً مشهور وبسبب بذل وسخاء الملوك جذبت الكثير من الاساتذة في الادب والقانون وقبل قيام مملكة كجرات كان المسافرون الى بلاد الحجاز يفضلون الطريق البري على شاطئ البحر لكن بعد ان قوت شوكة حكام كجرات انشؤوا طريقاً بحرياً وصارت السياحة سهلة فجاء عدد من الحكام العرب الى احمد اباد والدكن ولهذا نمت هذه المدينة حتى اصبحت مركزاً علمياً[١٢] .

وهنالك مدن اخرى لم اعثر على مواقعها منها :

جالور وناكور ومنوري وديو ، كمهاي وسورت[١٣] وبروج[١٤] وفتن وبردولة جابانير.

الجانب السياسي :

تقع كجرات في الجزء الشمالي من الهند وهي جزءً من ولاية بمباي حتى تقسيم هذه الولاية على ولايتين في وقت لاحق ، لقد تم فتح كجرات من محمود بن سبكتكين الغزنوي ، ويسمى ايضاً بيمين الدولة (ت٤٢١هـ)[١٥] سنة ٤١٠هـ بعد ان تم له فتح كيشاور وكبهاطية وملتان سنة ٣٩٥هـ [١٦] .

ففي سنة ٤١٦ هـ توجه محمود الغزنوي الى كجرات وكان يقصد سومنات نفسها ومعبدها الشهير في الهند على شاطئ بحر العرب وكان موقعه في اقصى جنوب كجرات فغار محمود من غزنة لشعبان سنة ٤١٦ هـ ومعه ثلاثون الف فارس فاجتاز

الصحراء حتى وصل الى كجرات ومنها الى سومنات مستولياً على البلاد والقلاع التي في طريقه كما قام بهدم المعبد وتحطيم الصنم[١٧] ضمت بعدها الى حكومته ولكنها سرعان ما عادت الى ما كانت عليه بعد عودته الى غزنة ثم فتحها شهاب الدين محمد الغوري سنة ٦٧٤هـ ثم عادت الى الدول الهندوكية حتى اصبحت في سنة ٦٩٧هـ ولاية من ولايات المسلمين تتبع دلهي العاصمة وحين قامت فيها ثورة ارسل لها سلطان دلهي ناصر الدين محمد الطغلقي احد قواده ظفر خان سنة ٧٩٣هـ لاخماد تلك الثورة فنجح في ذلك وبقي في كجرات نائباً عن السلطان في حكمها وفي سنة ٨٠١هـ هجم تيمورلنك على دلهي انهزم سلطانها ناصر الدين ولجأ الى كجرات فلما سمع بنبأ عودة تيمورلنك توجه الى دلهي ليستعيد عرشه من خليفة تيمورلنك لكنه مات .

اعترى دلهي الضعف الشديد لذا انتهز ظفر خان الفرصة فاعلن استقلاله وسمى باسم مظفر الاول وكان ذلك في سنة ٨٠١هـ يقول عنها الحسيني انه (السلطان الصالح المجاهد في سبيل الله كان من امراء فيروز شاه الدهلوي ولاه السلطان محمد فيروز على كجرات فساس امور الملك بالعقل والدهاء)[١٨] والتدبير والسياسة وغلب على ارض كجرات كلها (ت٨١٣هـ) جاء بعده حفيده احمد شاه بوصية منه وأنشا مدينة جديدة سماها احمد اباد اصبحت عاصمة كجرات نسبة الى اسم شيخه احمد الكهتوي احد المشهورين في الهند في التصوف (ت٨٤٩هـ)[١٩] .

ولد احمد بن المظفر الكجراتي سنة ٧٩٣هـ في ايام جده وقام بالملك بعده سنة ٨١٤هـ بوصية افتتح امره بالعدل والاحسان وفتح القلاع والحصون وغلب الكفار وغزاهم غير مرة ومصر مدينة كبيرة بكجرات وسماها احمد اباد . ثم جعلها دار ملكه وبذل جهده في تعمير البلاد وتكثير الزراعة وتأسيس دعائم السلطنة (ت ٨٤٥هـ)[٢٠].

فتلى الملك ابنه محمد شاه الى سنة ٨٥٥هـ ثم قطب الدين بن محمد الى سنة ٨٦٢هـ ثم داود بن احمد شاه الذي لم يلبث ان عُزل تولى بعده محمود شاه الذي استمر في الحكم خمسة وخمسين عاماً (٨٦٣ –٩١٨هـ) اهتم محمود شاه بتأسيس المساجد والمدارس فارتقت كجرات في عهده في النواحي العلمية والزراعية والصناعية

وبسبب اهتمامه هذا اشتهر بالحديث جلال الدين بن محمد المالكي المصري (ت٩٢٩هـ) ولقبه بملك المحدثين ومجد الدين الايجي لقبه السلطان برشيد الملك وعهد اليه بتربية ابنه المظفر واستمر وزيراً في عهد السلطان المظفر وقدمه على جميع الامراء لمدة اربعة عشر سنة ثم في عهد ابنه بهادر شاه فمنعه النيابا المطلقة فقام بها خمس عشر سنة صنف له بعض العلماء الكثير من الكتب[٢١] بعد وفاة محمود شاه خلفه ابنه مظفر الذي اشتهر باسم السلطان مظفر الحليم الكجراتي (ت٩٣٢هـ) .

اهتمام الملك والسلاطين بالعلم والعلماء

نتيجة لاهتمام الملوك والسلاطين بالعلم والعلماء وتشجيعهم واكرامهم ادى الى تجمع العلماء والادباء في بلاط هؤلاء السلاطين والملوك وضم ذلك البلاط الكثير من علماء الهند والعرب والعجم .

ومن اشهر الملوك في هذا المجال :

١- يمين الدولة محمود بن سيكتكين ولد سنة ٣٥٧هـ

توجه نحو الهندسة سنة ٣٩٢هـ وقام بغزو الهند والسيطرة على المناطق الواحدة تلو الاخرى حتى وصل الى سومنات في سنة ٤١٦هـ وغزاها وحطم صنمها الكبير[٢٢].

كان محمود حنيفياً ثم انتقل الى مذهب الشافعي له مصنفات منها التفريد في الفروع عنده علم ومعرفة وصنف له العلماء كثيراً من الكتب في فنون العلم[٢٣] .

٢- احمد شاه الملك المؤيد احمد بن المظفر الكجراتي ولد سنة ٧٩٠هـ

في ايام جده وقام بالملك من بعده سنة ٨١٤هـ بوصية منه وحيز مدينة كجرات وسماها احمد اباد ثم جعلها دار ملكه وبذل جهده في تعمير البلاد وتأسيس دعائم السلطنة فاجتمع عنده اهل العلم من كل ناحية وصنفوا له التصانيف لما عرفوا منه التدين وتشجيع العلم واكرام العلماء وحثهم على التصنيف ومن بين هؤلاء الامام بدر الدين محمد بن ابي بكر الدماميني الذي صنف له شرح التسهيل لابن مالك ومصابيح الجامع وهو شرح البخاري وعين الحياة وهو مختصر حياة الحيوان الكبرى للدميري

وتحفة الغريب شرح مغني اللبيب وغير ذلك ، وكانت وفاة احمد شاه في سنة ٨٤٥هـ[٢٤] .

٣- محمود شاه (المعروف باسم محمود بيكرو)

ومعناه صاحب القلعتين واشتهر بهذا الاسم لفتحه قلعتين من امنع القلاع وهما (جيرنار وشاميانير) كان محمود شاه يكرم العلماء ويقربهم فاجتمع في بلاطه الكثير من العلماء ليس من الهند فحسب بل من العرب والاعاجم ، فاشتهر في عهده الاهتمام بدراسة الحديث اذ وفد عليه جلال الدين ابن محمد المالكي المصري الذي يعرف كسلفه بابن سويد ، وتقرب الى السلطان محمود شاه فلقبه لعلمه واتقانه للحديث النبوي الشريف (بملك المحدثين) وهو اول من لقب بهذا اللقب[٢٥] .

كان السلطان محمود كثيراً ما يجالس العلماء فقد زار مدينة نهروالة في اخر ايامه وعقد مجلساً لمذاكرة التفسير والحديث ، توفي سنة ٩١٧هـ مقتولاً وعن سبب وفاته يقول ابن العماد (ان بعض خدمه سولت له نفسه قتله فدبر الحيلة واوطا بعض الوزراء والحرس فقيل السم في شرابه)[٢٦] .

٤- مظفر الحليم الملك المؤيد المنصور

مظفر شاه بن وجيه الملك كان اسمه ظفر خان وكان من امراء فيروز شاه السلطان الدهلوي ولاه السلطان محمد شاه الفيروزي على كجرات سنة ٧٩٣هـ فلما انتهت السلطنة بدلهي استقل بكجرات سنة ٨١٠هـ ولقب نفسه بمظفر شاه[٢٧] يقول عنه ابن العماد (كان عادلاً فاضلاً محباً لاهل العلم ، حسن الخط وكتب بيده جملة مصاحف ارسل منها مصحفاً الى المدينة الشريفة)[٢٨] وكان يقتفي اثار السنة السنية في كل قول وفعل ويعمل بنصوص الاحاديث النبوية ويكرم العلماء ويبالغ في تعظيمهم[٢٩] .

٥- همايون شاه بن ظهير الدين محمد بابر (ت٩٦٣هـ)

كان همايون يعرف اللغة التركية والفارسية شاعراً عالماً بالهندسة والنجوم وتبحر في علم الاصطرلاب بارعاً في العلوم الرياضية شغوفاً بالكتب ومطالعتها محباً لصحبة العلماء[٣٠] .

٦- جلال الدين اكبر بن همايون (ت١٠١٤هـ)

اهتم هذا السلطان باللغة الاوردية المكونة من الهندية والفارسية والتركية والعربية فكانت اللغة التركية لغة الاسرة المالكة والفارسية لغة الدولة والعربية لغة الدين الاسلامي .

كان حريصاً على تقريب اهل العلم والصلاح فكثيراً ما كان يستمع للشيخ عبد النبي احمد الكنكوهي لاستماع الحديث ويستمع للشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروي الذي اشتهر بالعروض والشعر والقافية واللغة والتاريخ[٣١] . نشطت في عهده حركة التأليف والترجمة منها :

١- ترجمة حياة الحيوان للدميري بالفارسية ، ترجمها ابو الفضل بن المبارك سنة ٩٨٣هـ .

٢- ترجمة الانجيل بالفارسية ترجمه اية الفضل بن المبارك سنة ٩٨٦هـ .

٣- اكبر نامة اي تاريخ اكبر ذكر فيه تاريخ الهند في ايام المغول حتى اكبر[٣٢] يقول النمر عن اكبر (كان في اول أمره ميالاً الى العلماء والصلحاء ، وكان يتبع الشريعة ويحترم الصوفية ، ويحضر بنفسه في مجالسهم ، وكان للعلماء الكلمة النافذة في سياسة البلاد وشؤون العباد وكانوا يعاملون من خالفهم في دينهم معاملة العدل والمساواة .

ولكن لم يرق هذا الحال لاكبر الذي اراد ان يحكم ملكه بشدة ولذلك تركه الكثير من العلماء الا من كان يوافقه على سياسته ويحذو حذوه في ادارة شؤون المملكة التي كان اكثر اهلها من غير المسلمين ، اذ اختار اكبر كثيراً من عادات الهندوس وشاركهم في اعيادهم وترك زي الاباء وتزيا بزيهم وتزوج بنات الامراء والقواد من الهندوس)[٣٣] .

ويفسر هذا التصرف من قبل اكبر البعد عن التقيد بالامور الدينية والرغبة الملحة ان يحكم الهند حكماً قومياً فان شعبه يضم عناصر متعددة من عرب وفرس فضلاً عن الهنود (الهندوس) لاسيما وان الهندوس جعلوه يطمئن على ملكه اذ ساعدوه في الكثير من المهمات الصعبة التي واجهته فضلاً عن اكبر لم يكن متحصناً دينياً فبعد

الانتصارات التي حصل عليها في الهند اذ اصبحت اكثر من (١٩) ولاية تتبعه له فزين له من قبل حاشيته ووزراءه ومن لف حوله من المشايخ انه مجتهد بل ان مرتبته يعده اماماً وخليفة فوق مرتبة المجتهدين اذ جعله هذا الامر ميالاً الى الاستماع للأديان الاخرى وموافقتهم على مبادئهم وتعاليمهم مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية وجمع هؤلاء تحت لواءه وكان الهدف من ذلك ان يكون الدين الجديد يجمع شعبه المتعدد الاديان كما جمعه حكمه وسلطانه . كان عادلاً فاضلاً محباً لأهل العلم حسن الخط وكتب بيده جملة مصاحف ارسل منها مصحفاً الى المدينة الشريفة[٣٤] وكان غاية في التقوى .

والعزيمة والعفو عن الناس والتسامح ، ولذلك لقبوه بالسلطان الحليم وكان حسن المحاضرة مشاركاً في اكثر العلوم والفنون[٣٥] . وبعد وفاة مظفر شاه زاد الخلاف بين الاخوة على الملك فكان نتيجة هذا الخلاف ان قتل اسكندر ثم بويع محمود وكان طفلاً وبعد عودة الاخ الاكبر (بهادر) من السفر نادى بنفسه ملكاً سنة ٩٣٢هـ وبعد ان تمكن من قتل اخيه محمود سراً وقمعه لثورة لطيف خان ثم قتله استقر الملك .

وفي سنة ٩٣٢هـ قامت دولة المغول في دلهي ولم تتعرض للدولة الاسلامية بكجرات للاستيلاء عليها من المغول فقط من البرتغاليين الذين هجموا على سفينة بهادر شاه بالخديعة حتى قتل على ايديهم سنة ٩٤٣هـ وبسبب قتاله تمزقت مملكته[٣٦] بسبب الفتن والاضطرابات حتى ساعدت هذه الاوضاع الامبراطور المغولي جلال الدين سنة ٩٧٨هـ في عهد مظفر شاه الثالث . وبذلك انطوت صفحة مملكة عظيمة[٣٧] .

الحياة العلمية في كجرات واهم العلوم

ترك الفتح العربي الاسلامي على الهند اثاراً لم تزل باقية في افكار وثقافة اهل الهند عامة واهل كجرات خاصة فقد اصبحت جزءاً من البلاد العربية الاسلامية اذ نجد انتشار العلوم على اختلاف انواعها وفروعها ، كما تم تشييد الكثير من المساجد والمدارس فيما بعد في انحاء الهند وكجرات وادخلوا لأول مرة الفن المعماري العربي

الاسلامي الذي اشتهر فيها واختلط بالفن الهندي بمرور الزمن واصبح له طابع خاص يمتاز به عن الفنون الاسلامية الاخرى وان اعظم ما اسدى العرب المسلمون الى الثقافة الكجراتية من خدمات هي ان بعض علمائهم قام بترجمة القرآن الكريم الى اللغة الهندية ويرجع الفضل في ذلك التراث العربي الاسلامي في الهند الى وفود الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) اليها في اول الفتح واقامتهم فيها وعن طريق المصاهره اذ تم نشر الدين الاسلامي الى هذه البلاد عن طريقهم وشمل ذلك فيما بعد مدينة كجرات[٣٨] .

ومن اهم العلوم التي انتشرت في كجرات :

١- القراءات

لم يكن لعلم القراءات في كجرات ذلك الصدى الواسع والانتشار كما انتشرت بقية العلوم فلم يكن الاهتمام منصباً لهذا العلم وحده بل نرى العالم في كجرات يبرز في علم القراءات والتجويد والعربية والفقه وغلب على العلماء السفر والترحال من الحرمين الشريفين الى كجرات وبالعكس لغرض الاستفادة والافادة وكان من اشهر العلماء :

١-الشيخ الفاضل علم الدين عين الدين بن نجم الدين الصديقي الشاطبي الكجراتي احد العلماء المبرزين في القراءات والتجويد والفقه والعربية ، تتلمذ على يد الشيخ صدر الدين محمد الحسيني البخاري ولازمه طويلاً انتقل كثيراً بين مناطق الهند للاستفادة وحط رحاله في كجرات واشتهر بتدريسه لهذه العلوم ، ومن بين الذين افادوا منه ولده مودود والشيخ قاضي خان النهروالي وخلف كثير من العلماء والمشايخ كانت وفاته سنة (٨٦٠هـ) عن عمر ثمان وثمانون سنة[٣٩] .

٢- الشيخ المجود احمد بن جعفر بن محمود الحسيني السندي ثم الكجراتي احد العلماء المبرزين في القراءة والتجويد وسائر العلوم ، نشأ في كجرات وأخذ العلم عن أبيه وعن غيره من العلماء ودرس وافاد مدة من الزمن ارتحل الى الحرمين الشريفين لغرض الحج والزيارة ثم رجع الى بلده كجرات لغرض التدريس والإفادة كانت وفاته (٩٤٤هـ)[٤٠] .

٢- التفسير

للقرآن الكريم مكانة جليلة لدى الكثير من علماء المسلمين اذ يعد اعظم عمل يقوم به العالم هو تفسير القرآن الكريم فقد اعتمد مفسرو القرن السادس الهجري على التفاسير السابقة ومن بين هذه التفاسير تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين الذي عرف بالإيجاز والشمول وكتب عليه الكثير من الشروح والحواشي من الكثير من المؤلفين .

وهناك تفاسير عامة منها :

التفسير المحمدي للشيخ محمد بن احمد المهائمي بن بصير الدين الكجراتي (ت٩٨٢هـ) كان عالماً صوفياً كتب حاشية على البيضاوي ويعد هذا التفسير بمثابة التوضيح للعلاقات والروابط بين الآيات القرآنية[٤١] .

من أشهر المفسرين :

١- الشيخ علي بن احمد الشافعي المهائمي ولد سنة (٧٧٦هـ)

كان جيد التفسير مجيداً لربط الآيات بعضها ببعض له المصنفات الكثيرة له رسالة عجيبة في تخريج وجوه اعراب قوله تعالى : ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤٢]

ومن مصنفاته : تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن ومن خصائصه أنه تصدى فيه لربط الآيات بعضها ببعض وقد أجاد في ذلك وطبع في مجلدين في مصر .

والزوارف في شرح العوارف ومشرع الخصوص في شرح النصوص ، استجلاء البصر في الرد على استقصاء النظر والنور الاظهر في كشف سر القضاء والقدر ، وشرحه (لضوء الازهر في شرح النور الاظهر) . (اجل التأييد في شرح أدلة التوحيد) وشرح النصوص شرحاً لا نظير له وصنف في اسرار الفقه ومحاسن الشريعة كتاباً سماه (انعام الملك العلام بإحكام حكم الأحكام) وترجم رسالة (جام جهان) وشرحها بشرح سماه (آراء الرقائق في شرح مرآة الحقائق)[٤٣]. كانت وفاته في سنة (٨٣٥هـ) .

٢-الشيخ علي الخطيب الاحمد ابادي الكجراتي ولد ونشأ بكجرات ولازم الشيخ برهان الدين عبد الله بن محمود الحسيني البخاري واخذ عنه ثم أخذ عن الشيخ ابي الفتح العلاء الكواليري فذاع صيته في كجرات فتقرب اليه المشايخ منه فكان من بينهم الشيخ شرف الدين بن عبد القدوس البرهانبوري . كانت وفاته (٨٩٢هـ) .

٣- الحديث

تعد بلاد الهند من البلدان البعيدة عن البلد الذي ولد فيه سيدنا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وعن المدينة المنورة التي هي اصل الحديث ورواته لذا لم يعرف الحديث النبوي الشريف في بلاد الهند عامة وكجرات خاصة الا بعد ظهور الاسلام فيها ، وبعد جمع الحديث في كتب وألفت في بلاد العرب والعجم ومنها كتب الصحاح ، ولم تحتل الهند مكان الصدارة في علم الحديث وذلك لأن معظم علمائها وجهوا جل اهتمامهم الى الشعر والفقه والمنطق والفلسفة والتصوف فيذكر الحسيني (ولما انقرضت دولة العرب من بلاد السند وتغلبت الغزنوية والغورية وتتابع الناس من خراسان ووراء النهر صار الحديث فيها غريب ... وغلب على الناس الشعر والنجوم والفنون الرياضية وفي علوم الدينية الفقه والاصول)[٤٤] .

من اشهر العلماء

١- شمس الدين محمدبن جلال الدين محمد بن فتح الدين حسن المصري المالكي ولد سنة (٨٥٦هـ) ونشأ في كنف أبيه فحفظ القرآن وابن الحاجب الفرعي الاصلي والفيه النحو وغير ذلك وعرض على خلق واشتغل قليلاً على والده ، ذهب الى الصعيد ثم مكة وقرأ هناك على الحافظ السخاوي والموطا الشافعي وسنن الترمذي وابن ماجة وسمع عليه شرحه للألفية وغير ذلك من تصانيفه .

كان صاحب ذكاء وفضيلة سافر الى اليمن ودخل زيلع ودرس الحديث وتوجه الى كنباية واقبل عليه اصحابها وعظم في بلاد الهند وتقرب من سلطانها محمود شاه ولقبه بملك المحدثين وانقاد له الاكابر في مراده[٤٥] .

٢- جمال الدين محمد طاهر الفتني ولد سنة (٩١٣هـ) حفظ القرآن وجد في طلب العلم نحو خمسة عشر سنة وبرع في فنون عديدة حتى لم يعلم ان احداً من علماء كجرات بلغ مبلغه في الحديث ، تتلمذ على علماء بلده وصار رأساً في العلوم الحديثة والأدبية حتى لقب (بملك المحدثين) ، رحل الى الحرمين الشريفين وادرك علماءها ومشايخها لاسيما على المتقي وأخذ العلم ايضاً عن أبي الحسن البكري وابن حجر الهيثمي والشيخ جار الله بن فهد والشيخ عبد الله العيدروسي ، وبعد ان اكمل دراسته العليا على يد علماء الحجاز رجع الى بلده لنشر الطرائق الدينية الصحيحة ومحاربة البدع في كجرات ونجح في نشر رسالته[٤٦] ألف كتاب معاجم الحديث وهو كتاب (مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الاخبار)[٤٧] .اهداه فيما بعد الى شيخه علي المتقي وهو كتاب ضخم يتألف من ١٦٦٨ صفحة من الحجم الكبير يضم كل المشتقات لكل كلمة مستعملة في متن الحديث ويشرح ما ابهم من الحديث ، كان هذا الكتاب من الكتب القيمة التي فاقت ما كتبه ابن الاثير صاحب كتاب النهاية في غريب الحديث كما ألف الفتنى كتاب تذكرة الموضوعات ذكر فيه الاحاديث الموضوعة حسب العنوانات الفقهية مثل كتاب الصلاة واسماء الاشياء وفضيلة الجمعة ، باب الحلال والحرام ، باب السلام والمصافحة وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة[٤٨] .

كما ألف كتاب قانون الموضوعات ذكر فيه الرواة الذين اشتهروا في وضع الحديث وحسب الاحرف الهجائية نشر هذا الكتاب بالإشارة الى من سبقه في نقد الرواة لاسيما السيوطي في كتابه اللآلئ المصنوعة[٤٩] ، اما المؤلف الاخر فهو كتاب المغني في اسماء الرجال[٥٠] .

ومن مؤلفاته الاخرى لطائف الاخبار وكفاية المفرطين في شرح الشافية[٥١] .

٣- الشيخ محمد بن الحسين العلوي الحسيني ثم الكجراتي .

احد المشايخ المشهورين كان اصله في ارض السند ولد ونشأ بها وقرأ العلم على والده وعلى الشيخ صدر الدين بن احمد الحسيني البخاري وكان ممن تفرد في الحديث

كما نبغ في علوم اخرى مثل الفقه والتصوف فكان موسوعياً توفي في فتن في كجرات سنة (٨٤٧هـ)[٥٢] .

٤- الشيخ محمد بن عمر الاصفي الكجراتي

احد العلماء المبرزين في الحديث والعلوم الادبية له كتاب في تاريخ كجرات باللغة العربية طبع منه في لندن كما له كتاب في التاريخ باللغة العربية ايضاً صرح به في تاريخ كجرات قال (اني صنفته لصاحب تربيتي وواهب نعمتي شمس الدولة لابو المعالي محمد خان) .

كان مولده ومنشأه بمكة المشرفة وتلقى العلم هناك واشتغل بمكة على علماء عصره وكان من شيوخه علم الدين عبد العزيز الزمزمي والشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي ثم رجع مع والده الى كجرات وتقرب الى الامير الكبير في كجرات وصنف لالخان كتاب اسماه (فواتح الاقبال وفوائح الانتقال)[٥٣] .

٤- الشيخ عبد الكريم بن محب الدين بن علاء الدين النهروالي

مولده باحمد اباد سافر الى مكة مع ابيه ونشأ بها اخذ العلم عن الشيخ احمد بن حجر الهيثمي روى عنه صحيح البخاري من مصنفاته شرح ممزوج على صحيح البخاري لم يكمله سماه النهر الجاري على البخاري وكتاب سماه (اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد الحرام) وهو مختصر تاريخ عمه زاد فيه اشياء حسنة ، وممن اخذ عنه السيد بن عبد الرحيم البصري ، كانت وفاته سنة ١٠١٤هـ)[٥٤] .

٦- الشيخ مرزا قليج محمد الاندجاني احد الرجال المعروفين بالفضل والكمال ، اشتهر بعلمه وتقواه ونبغ بالكثير من علوم منها الحديث والتفسير والفقه لذا ولاه السلطان اكبر شاه صيانة القلعة بسورت وامره على كجرات سنة (٩٨٥هـ) واقطعه ناحية عينه فيما بعد وزيراً لوزارة الخراج ثم جعله اكبر شاه اتابكا لولده دانيال وبعد وفاة اكبر شاه وقام بالامر ولد جهانكير ولاه على كجرات ثم ولاه على بنجاب سنة (١٠١٦هـ) وعلى كابول سنة (١٠١٨هـ) وكان علماً كبيراً علامة في المعقول والمنقول صالحاً تقياً لم يزل

منشغلاً بالدرس والافادة ويدرس الحديث فضلاً عن تدريسه الفقه والتفسير ، توفي سنة (١٠٢٣هـ)[٥٥] .

انقسم علماء الحديث في كجرات الى قسمين :

١- العلماء الوافدون الى كجرات واتخذوها موطناً لهم ومنهم :

أ – الشيخ عبد المعطي بن الحسن بن عبد الله المكي (ت٩٨٩هـ) في احمد اباد.

ب- الشيخ شهاب احمد بن بدر الدين البصري (ت٩٩٢هـ) في احمد اباد .

ج – الشيخ محمد بن احمد بن علي الفاكهي الحنبلي (ت٩٩٢هـ) باحمد اباد .

٢- الطلاب الذين درسوا خارج كجرات عبد الله بن مسعود بن سعد الله السندي ورحمة الله بن عبد الله السندي اللذان بقيا حقبة طويلة في الحرمين الشريفين ثم عادا الى كجرات ومن الذين الفوا في الحديث الشيخ الامير سيد عبد الاول (ت٩٦٨هـ) الذي شرح صحيح البخاري وسماه فيض الباري والشيخ عبد الملك العباس الذي اشتهر في حفظه للبخاري[٥٦] .

ونتيجة هذه المؤلفات القيمة في الحديث النبوي الشريف بدا العلماء العرب يتوافدون الى كجرات للتعلم والتدريس من مصر وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وألفوا الكتب ومنها كتاب النهل[٥٧] .

علم أصول الحديث

ألف في هذا المجال كتاب (الفيض النبوي في أصول الحديث وفهارس البخاري) لعمر بن محمد عارف النهروالي البتني ، ولم اجد معلومات عن هذا المؤلف سوى انه عاش في بتنه من اعمال كجرات .

يتألف هذا الكتاب من مقدمة وشرح المؤلف فيها اصطلاحات علم الحديث واربعة فصول وشروط سماع الحديث ورواياته ثم اتبع ذلك بنقد على البخاري وكتابه وجمع الاحاديث الموجودة في كل فصول صحيح البخاري كما رتب رواة الحديث على الاحرف الهجائية وقدم شرحاً مسهباً للبابين الاول والثاني في صحيح البخاري[٥٨] .

كما ألف كتاب في الحديث الموضوع للشيخ حسن الصنعاتي اذ يبدأ هذا الكتاب بمقدمة نبه فيها القراء بعدم الحكم على الاحاديث بانها موضوعة مالم تعرض على علماء الجرح والتعديل[٥٩] .

٤- الفقه

قسم علم الفقه في الهند على اربعة مدارس وقد اتخذ اكثر المسلمين في الهند جانب مدرسة الامام ابي حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) ، ثم انتشر المذهب الشافعي فيما بعد بتأثير ال العطاس هؤلاء الذين انتسبت اليهم الاسرة الاتاسية منهم جماعة من اشراف اليمن والحجاز واندونسيا ينتهون الى الحسين[٦٠] بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقد انتشر المذهب الشافعي بتأثير من السادة بني علوي .

اتصف الفقه في الهند بالتقليد لمعظم الكتب والمدونات في الفقه الحنفي والمذاهب الاخرى فلم تكن للمؤلفين اسهامات او زيادات وانما وضعوا الشروح والحواشي على الكتب ومن بين اشهر الكتب الفقهية التي ظهرت في كجرات :

١- الفقه البحت ويشمل الفتاوى الحمادية ألفه ابو الفتح ركن بن حسام الدين المفتي الفاكوري اسماه فتاوى ابراهيم شاه للسلطان ابراهيم (ت٩٦٥هـ) عندما كان في نهروالة بكجرات بمساعدة ابنه[٦١] ، يعد هذا الكتاب من افخر الكتب يقول عنه حاجي خليفة (هو كتاب كبير من افخر الكتب لفتاوى قاضيخان جمعه من مائة وستين كتاباً)[٦٢] ، اعتمد المؤلف على قائمة طويلة جداً للكتب التي اعتمد عليها لاخراج هذا الكتاب ويعد من الكتب الجيدة ومن المراجع المقبولة في الفتاوى العالمكرية – الفتاوى الهندية – وترتيبه هو الترتيب نفسه لكتب الفتاوى الاخرى .

٢- خزانة الروايات وتسمى ايضاً خزانة الفتاوى[٦٣] ألفه القاضي جكن الحنفي (ت٩٢٠هـ) الساكن بقصبة من كجرات يقول عنه حاجي خليفة : (وهو مجلد اوله الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان ..الخ ذكر فيه انه افتى عمره في جمع المسائل وغريب الروايات وابتدأ بكتاب العلم لأنه اشرف العبادات)[٦٤].

الفقه الاخرى التي ظهرت في القرون السادس والسابع والثامن الهجرية .

ولجكن مؤلف اخر اسماه كتاب العلم وضع جكن لهذا الكتاب مقدمة كما ذكر فيه المشكلات الدينية التي سجل نتائجها في هذا الكتاب[٦٥] .

يعالج هذا الكتاب فضل العلم والعلماء كما ذكر في الكتاب الامام ابي حنيفة النعمان ويشرح الخصائص الفنية للفتاوى واعطى شروطاً للفتاوى وان تكون هذه الفتاوى معتمدة على براهين قاطعة في القرآن الكريم او الحديث النبوي الشريف وان لم تكن نصاً في القرآن او السنة فبالامكان الاعتماد على رأي ابي حنيفة ثم ابي يوسف او المفتي حر في الطريق التي ينحاز اليها اذا كان ابو حنيفة في جانب تلميذيه ابي يوسف ومحمد الشيباني في جانب اخر ، اما اذا كان كل واحد مخالفاً لأستاذه فان الحكم ابو حنيفة له الافضلية ، ماعدا حالة ما اذا كان كبار العلماء يقصدون المصلحة العامة فأنه على المفتي ان يتبع رأي لأحد التلميذين ، واذا اتفق للمفتي حديث ثقة واقتنع به فأن رأي أبي حنيفة مؤخر عنه كما في قول أبي حنيفة المشهور[٦٦] .

من أشهر العلماء

١- سراج الدين الكجراتي

هو سراج الدين بن العلامة كمال الدين الدهلوي ثم الكجراتي احد المشايخ المشهورين تفقه على والده وأخذ عنه ثم قام مقامه في الدرس والإفادة اخذ عنه ولده علم الدين كانت وفاته سنة (٨١٧هـ) ببلده نهروالة من أرض كجرات ودفن فيها[٦٧] .

٢- الشيخ عثمان الدين الكجراتي

كان فقيهاً واحد المشايخ في ارض كجرات اخذ الطريقة عن الشيخ برهان الدين عبد الله الحسيني البخاري ولازمه مدة طويلة فبلغ مرتبة الكمال ولقبه الشيخ بالشمع البرهاني واستخلفه على الناس وكانت وفاته سنة (٨٦٠هـ)[٦٨] .

٣- الشيخ محمود بن عبد الله البخاري

كان من المشايخ المشهورين بارض كجرات اخذ عن أبيه ولازمه مدة حياته وتولى المشيخة بعده اخذ عنه خلق كثير وكانت وفاته في (٨٨٠هـ)[٦٩] .

٤- الشيخ غوث الدين الكجراتي

الشيخ العالم الفقيه غوث الدين القادري البغدادي ثم الكجراتي احد المشايخ الكرام قدم الى الهند وسكن باحمد اباد في ايام السلطان محمود الكبير واسس مدرسة عظيمة فدرس بها زماناً ثم رحل الى الحرمين الشريفين فحج وزار ورجع الى الهند وكان عالماً كبيراً محدثاً فقيهاً زاهداً يدرس ، ويفيد اخذ عنه الشيخ يعقوب بن خوندمير الكجراتي وخلق كثير كانت وفاته سنة (٨٩٥هـ)[٧٠] .

٥- الشيخ عبد اللطيف بن محمود القرشي الكجراتي

كان من امراء السلطان محمود بن محمد الكجراتي وفقه الله سبحانه وتعالى بالإنابة، فصحب الشيخ محمد بن عبد الله الحسني البخاري ولازمه وأخذ عنه كانت وفاته سنة (٨٨٩هـ)[٧١] .

٦- القاضي عماد الدين الكجراتي

كان قاضياً بمدينة برود من كجرات استطاع بحكمته ورجاحة عقله ان يجمع الناس حوله كانت وفاته سنة (٨٨٩هـ)[٧٢]

٧- الشيخ تاج الدين الكجراتي

تاج الدين اسماعيل بن محمود بن ابراهيم الفتني الكجراتي احد العلماء المبرزين في الفقه والحديث وكان من نسل القاضي ابي صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلاني ، اخذ الطريقة عن والده وسافر الى كجرات فسكن بمدينة فتن من كجرات وكان شيخاً صالحاً معمراً محدثاً ، يحفظ الصحاح الستة كانت وفاته سنة (١٠٠٧هـ)[٧٣] .

ومما تقدم يتبين لنا ان الشيخ تاج الدين كان موسوعياً اذ قد نبغ في علوم شتى واجاد فيها .

٨- الشيخ عبد الوهاب عبد الغني بن عبد الله الفتني

كان فقيهاً حنفياً صوفياً له التأليف تشريف الانوار لهداية المريدين والفضلاء والاخيار وتنبيه الطالبين لمريدي الخير والراغبين وفتوح الاسرار في فضائل التهليل والاذكار

ومفتاح الخيرات في حقيقة الفقر والفقراء والسادات ومواهب الخيرات في كثرة الاستغفار والاذكار والصلاة على النبي صاحب المعجزات ونخبة الرياضة في الزهد والعبادة ونخبة الطاعة في الزهد والقناعة ونزهة التوحيد في تقديس الاله والتمجيد وهداية المبتدي لراجي الخير والمقتدى ، كانت وفاته سنة (١١١٧هـ) .

٩- الشيخ تاج الدين بن يوسف النهروالي

احد العلماء المبرزين في الفقه والعربية اخذ عن ابيه الشيخ يوسف بن احمد وعن الشيخ عبد الله بن محمود الحسيني الكجراتي وكان يدرس ويفيد اخذ عنه خلق كثير[٧٤].

٥- علم التصوف

يرتبط التصوف في الهند عامة وفي كجرات خاصة بالحياة الباطنية للمسلم ويشمل الفلسفة العاطفية في الاسلام .

نحا مؤلفو الهند التصوف منحى متصوفو الدولة العربية الاسلامية والاتجاه نفسه الذي سار عليه العلماء ذائعي الصيت ومنهم الشيخ ابو نصر (٣٧٠هـ) وكتابه اللمعة والقشيري (ت٤٦٥هـ) وكتابه الرسالة القشيرية والسهرودي (ت٦٣٢هـ) وكتابه عوارف المعارف وابن العربي (ت٦٣٨هـ) وكتب فصوص الحكم .

من اشهر العلماء :

١- الشيخ بابا رجب النهروالي

احد المشايخ الكرام اخذ الطريقة عن السيد احمد الكبير الرفاعي وقدم بلاد كجرات في سنة (٦١٦هـ) وارخ لقدومه بعض الناس فهدى الله سبحانه وتعالى به خلقاً كثيراً في مدينة نهروالة من ارض كجرات كانت وفاته سنة (٦٧٠هـ)[٧٥]

٢- علم الدين بن سراج الدين الكجراتي

ولد ونشأ بكجرات وأخذ عن أبيه وتولى المشيخة بعد ابيه نزل في زاوية الشيخ بدر الدين محمد بن احمد المالكي شارح المغني اللبيب كانت وفاته (٨٠٩هـ) .

٣- الشيخ مودود بن محمد الكجراتي

كان من كبار المشايخ الجشتية من ذرية الشيخ الكبير مزيد الدين مسعود الاجودهني اخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن احمد ابن الشيخ قطب الدين مودود الجشتي عن ابيه وهذه الطريقة الوحيدة في بلاد الهند تصل الى مشايخ جشت بغير وساطة ، كانت وفاته سنة (٨٤٢هـ)[٧٦] .

٤- الشيخ يحيى بن علي بن عثمان

الشيخ يحيى بن علي بن عثمان بن محمد بن الحسن الحسيني الترمذي القنوجي الكجراتي ، كان من نسل زيد بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ولد ونشأ بقنوج وادرك جلال الدين حسين بن احمد الحسيني البخاري في صغر سنه وادرك الشيخ جلال الدين بن احمد الحسني البخاري واخذ الطريقة عن الشيخ جمشيد الراجكيري ثم سافر للحج وصل الى برودة من بلاد كجرات سكن بها وحصل له القبول العظيم من مصنفاته مجالس برهاني ، مشاغل برهاني ، مشاغل جلالي ومشاغل متلالي وكانت وفاته سنة (٨٥٠هـ) بمدينة برودة ودفن فيها[٧٧] .

٥- الشيخ حسين بن محمد الكجراتي

احد المشايخ المشهورين بارض كجرات وكان يعرف بالشيخ ادهن اخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بن محمود الحسيني البخاري ثم لازم الشيخ نصير بن جمال النوسروي وكان من العلماء المبرزين في المعقول والمنقول وكانت وفاته سنة (٨٧٠هـ)[٧٨] .

٦- الشيخ محمد بن عبد الله بن محمود الحسني البخاري

المشهور بشاه عالم ولد سنة (٨١٧هـ) بكجرات ونشأ بها وقرأ العلم على الشيخ سراج الدين علي الكجراتي وعن غيره من العلماء وأخذ الطريقة عن والده وعن الشيخ احمد بن عبد الله المغربي نزيل كجرات وتولى المشيخة مدة من الدهر وكانت وفاته سنة (٨٨٠هـ)[٧٩] .

٧- الشيخ جلال الدين الصوفي الجشتي الكجراتي

احد المشايخ المشهورين ولد ونشا بارض كجرات وأخذ الطريقة عن الشيخ بيارة ولازمه مدة ، كان شيخاً جليلاً عظيم الهيبة كبير المنزلة اخذ عنه الشيخ محمد بن متمن الملاوي ، كانت وفاته سنة (٨٨١هـ)[٨٠] .

٨- الشيخ احمد بن البرهان الكجراتي

كان من نسل الملوك الغورية ، ولد ونشأ بكجرات وقرأ العلم على الشيخ صدر جان الكجراتي وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن عبد الله الحسيني البخاري ولازمه حتى بلغ رتبة الكمال ، كانت وفاته سنة (٨٨٢هـ) ودفن بتاجبور من بلدة احمد اباد[٨١]

٩- الشيخ محمد بن عبد الله الحسيني البخاري

المشهور بالزهد والفقه ولد سنة (٨٤٨هـ) اخذ عنه خلق كثير وبلغ رتبة الكمال ، وكانت وفاته سنة (٨٩٢هـ)[٨٢] .

١٠- الشيخ جلال الدين بن الحسن بن عبد الغفور الحسني البخاري الكجراتي

كان من كبار المشايخ ولد باحمد اباد وقرأ العلم على الشيخ العلامة وجيه الدين العلوي الكجراتي ثم تولى المشيخة وحصل له القبول في بلاده ، كانت وفاته سنة (١٠٠٣هـ)[٨٣] .

١١- الشيخ فتح الله بن ابي الفتح البروجي الكجراتي

احد المشايخ العشقية الشطارية ولد ونشا ببروج من بلاد كجرات وقرأ العلم على استاذة عصره ودرس وافاد زماناً اخذ الطريقة الشطارية عن اساتذة شكر محمد العارف الكجراتي ، كانت وفاته سنة (١٠٠٤هـ)[٨٤] .

١٢- الشيخ عبد الرحيم القادر الكجراتي

احد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح ولد ونشأ بكجرات واخذ الطريقة عن الشيخ ابراهيم السندي وانتقل الى كرفج قرية باحمد اباد ، كانت وفاته سنة (١٠٠٥هـ)[٨٥] .

١٣- الشيخ صبغة الله الحسيني الكاظمي البروجي

المهاجر الى المدينة المنورة وشيخ مشايخ الطريقة العشقية الشطارية اصله من اصفهان انتقل جده منها الى الهند وسكن بمدينة بروج من كجرات وولد بها الشيخ

صبغة الله البروجي ، وقرأ على العلامة وجيه الدين ابن نصر الله العلوي الكجراتي واخذ عنه وتادب عليه واكمل عنده الطريقة واجاز للارشاد ، فأقبل عليه الناس وبعد صيته وعظم امره عند الامراء لما شاهدوه من غزير علمه وزهده وعدم قبوله العطاء الا نادراً ، ثم رحل الى الحجاز وحج وعاد الى بروج ، ثم ذهب الى مالوه سنة (٩٩٩هـ) واقام بها برهة ثم ذهب الى المدينة المنورة واقام بجبل احد منها يعلم الطلبة والمريدين وانتفع به خلق كثير ، وانتفع منه السيد امجد مرزا (ت١٠٣٧) والسيد اسعد البلخي نزيل المدينة المنورة والشيخ احمد بن علي بن عبد القدوس وآخرون له حاشية على تفسير البيضاوي وهي مشهورة في بلاد الروم وله كتاب الوحدة ورسالة آراءه الدقائق في شرح مرآة الحقائق ورسالتان في الصنعة الجابرية ورسالة في الجعفر وما لا يسع المريد تركه كل يوم من سنن القوم ، كانت وفاته سنة ١٠١٥هـ)[٨٦] .

١٤- الشيخ عبد الله العلوي الكجراتي

ولد ونشا بأحمد اباد من بلاد كجرات واشتغل بالعلم وتخرج على والده وتفنن عليه بالفضائل ، ثم أخذ الطريقة عنه ، كان شيخاً مجاهداً صاحب زهد وعبادة اخذ مقام أبيه بعده ، وكانت وفاته سنة (١٠١٧هـ)[٨٧] .

١٥- الشيخ عبد اللطيف بن ملك شاه النهروالي الكجراتي

ولد ونشأ بنهروالة لازم الشيخ صدر الدين محمد الذاكر الجانبانيري واشتغل بأذكار الطريقة الشطارية ، وكانت وفاته سنة (١٠١٧هـ) في بروده[٨٨] .

١٦- الشيخ شريق محمد الصديقي الشطاري الكجراتي

ولد ونشأ بنوساري وسافر الى اللامندو فلازم الشيخ محمود بن جلال الدين الكجراتي وقرأ عليه العلم ثم أخذ الطريقة عنه واشتغل بأعمال مدة من الزمن حتى برع وفاق اقرانه في العلم والطريقة ، وكانت وفاته سنة (١٠١٨هـ)[٨٩] .

١٧- الشيخ محمد بن فضل الله البرهانبوري

كان من ذرية ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) ولد ونشأ بكجرات ، توفي والده في صغر سنه فلبس الخرقة من الشيخ صفي الكجراتي ثم سافر الى الحرمين الشريفين واقام بها اثنتي عشر سنة ثم عاد الى احمد اباد وتزوج بها واخذ العلم عن الشيخ وجيه

الدين بن نصر الله العلوي ولازمه اثنتي عشر سنة ثم اخذ الطريقة عن الشيخ محمد ماه البريوري ثم عن الشيخ ابي محمد بن خضير التميمي[٩٠] .

كان اماماً عالماً زاهداً عابداً ورعاً اشتهر في الهند وبلغ ذلك مبلغاً لم يبلغه احد وذلك انه كان يحاسب نفسه كل يوم في اخر نهاره ، وكان من طريقته ان يكتب جميع ما وقع منه او تصرف فيه وكان من اسياد الصوفية وحجتهم وكان من الاكابر القائلين بالوحدة الوجودية ، وألف فيها رسالة سماها (التحفة المرسلة الى النبي (صلى الله عليه واله وسلم)) وكان فراغه منها في سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وشرحها شرحاً لطيفاً ، اتى فيه بالعجب العجاب واعتذر فيه عما يقع من محققي الصوفية من الشطح الموهم خلاف الصواب ، واسم الشرح (الحقيقة الموافقة للشريعة) ومن تولى شرحها ايضاً راس المحققين ابراهيم حسن الكوراني ، كان الغرض من الكتابة لهذه الرسالة (التحفة المرسلة الى النبي (صلى الله عليه واله وسلم)) معالجة مشكلة نظرية وحدة الوجود ، ذكر المؤلف في هذه الرسالة ان الله سبحانه وتعالى وحدة الوجود وهذا الوجود مع انه واحد فقط يتجلى في اشكال مختلفة وهو اصل وحقيقة كل الاشياء وهذا الوجود لا هو متخلل في الكائنات ولا هو متحد بها والا تعدد الوجود وان الكون بكل محتوياته عرضي اما الجوهر فهو الوجود وحده ونظرية ان الله جوهر متعارضة مع نظرية الاشاعرة التي تقول ان الله لا هو جوهر وهو عرض[٩١] ونظراً لأهمية الرسالة فقد كتب عليها الكثير من الشروح اهمها عقائد الموحدين لمؤلفه عبد الكريم اللاهوري وانفاس الحواس لمحب الله من الله اباد والتسوية بين الافادة والقبول للمؤلف السابق[٩٢] .

ومن مصنفاته ايضاً الهدية المرسلة الى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والوسيلة الى شفاعة النبي (صلى الله عليه واله وسلم))لخص فيه الشفاء للحياض والشمائل للترمذي مشتمل على خمسة ابواب وخاتمة وشرح اللوائح للجامي ورسالة في كراهة امامة الامراء في الصلاة ورسالة في المعراج ، كانت وفاته سنة (١٠٢٩هـ)[٩٣] .

١٨- الشيخ محمد بن الحسن بن موسى الكجراتي ثم المندوي

ولد سنة (٩٦٢هـ) قرأ القرآن على الشيخ كمال الدين القرشي وجوده وقرأ الرسائل وقرأ النحو والعربية على الشيخ برهان الكالبوي وقرأ الكشف والمنار والتلويح في اصول الفقه على السيد شاه محمد ، قرأ اكثر الكتب الدراسية في مدرسة الشيخ وجيه الدين بن نصر الله العلوي الكجراتي ، كان المندوي صوفياً مستقيم الحالة ، اخذ الطريقة الشطارية عن الشيخ صدر الدين محمد البرودي وصاحبه الشيخ محمود بن الجلال الكجراتي ، له كتاب في اخبار مشايخ الهند وعلمائها سماه بكلزار ابرار وانتهى منه سنة (١٠٢٢هـ)[٩٤] .

٦- علم اللغة العربية وآدابها

شهدت الهند عامة وكجرات خاصة نشاطاً هائلاً في مجال علم النحو وبلغ التأليف فيه الذروة في نهاية القرن السابع الهجري ، فضلاً عن المجمعات العربية التي ألفت في مصطلحات العلوم والفنون والتي لا نظير لها في البلاد العربية .

ومن اشهر العلماء :

١- الشيخ محمد بن ابي بكر الدماميني القرشي الاسكندري ثم الهندي الكجراتي المعروف بابن الدماميني[٩٥] المالكي النحوي الاديب ولد بالاسكندرية سنة (٧٦٣هـ) وسمع بها من البهاء بن الدماميني وعبد الوهاب القروي ومن سراج بن الملقن في القاهرة ومن القاضي ابي الفضل الشوبري بمكة واشتغل ببلده فضلاء وقته وتفقه ففاق في النحو والنظم والنثر والخط ومعرفة الشروط ثم قدم الى القاهرة وسمع بها وناب في الحكم ودرس وتقدم ومهر واشتهر ذكره في الجامع الازهر لقراء النحو ثم رجع الى الاسكندرية ليكتسب ثم ذهب الى القاهرة وعين للقضاء فلم يبق له ثم توجه الى الحجاز في سنة (٨١٩هـ) فحج ودخل بلاد اليمن سنة (٨٢٠هـ) ولم يلق القبول فيها[٩٦] قدم بعدها الى الهند ودخل كجرات في ايام السلطان احمد بن محمد بن المظفر الكجراتي[٩٧] في سنة (٨٢٠هـ) فذاع صيته وعظم الناس فيها .

وله من التصانيف شرح التسهيل لابن مالك الطائي وهو شرح ممزوج متداول اوله اللهم اياك نحمد على نعم تجوجهت ... الخ ، ذكر انه قدم الى كنباية من حاضرة الهند وجد فيها هذا الكتاب مجهولاً لا يعرف عنه شيئاً فأخذه وشرحه على بعض الطلبة يطلب منهم وشرح في خطبته ابا الفضل احمد شاه الكجراتي وسماه (تاريخ الفرائد)[٩٨] وله شرحان اخران احدهما يسمى شرح المصرية الفه بمصر وهو يقال اقوال كالشرح المذكور ايضاً وثانيهما شرح ممزوج وصل حرف الطاء وشرح الشيخ شهاب الدين احمد بن يوسف الشهير بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) وشرح الشيخ بدر الدين ابي علي الحسن بن قاسم بن علي المرادي المالكي المصري (ت٧٤٩هـ)[٩٩] .

اما مؤلفه الاخر فهو (تحفة الغريب في شرح مغني اللبيب) لابن هشام النحوي صنفه في نهروالة من ارض كجرات وهذا المصنف كتب برعاية ملوك وسلاطين الهند وتشجيعهم[١٠٠] .

وله شرح على صحيح البخاري وسماه مصابيح الجامع ألفه للسلطان احمد شاه وعلق على ابواب منه يحتوي على غريب واعراب وتنبيه وله ايضاً عين الحياة ، مختصر الحيوان الكبرى للدميري[١٠١] ، كما شرح الوافي في النحو لمحمد بن عثمان بن عمر البلخي وسماه المنهل الصافي[١٠٢] .

يقول عنه السخاوي : (كان حاد الذهن ... واشتغل بالعلم في الفقه واصوله والعربية والحساب عالماً بالعلوم الديوانية جيداً ذكياً)[١٠٣] .

٢- السيد قطب الدين ابو الخير عيسى بن محمد بن عبيد الله بن محمد الشريف الحسني الايجي الشافعي الصوفي المعروف بالصفي نسبة الى جده لامه السيد صفي الدين ووالد الشيخ معين الدين الايجي الشافعي ، ولد سنة (٩٠٠هـ) واشتغل في النحو والصرف وتتلمذ وتفقه على يد ابيه وأخذ عنه الرسالة الصغرى والكبرى للسيد الشريف في المنطق ثم لازم الشيخ ابا الكزروني صاحب الحاشية على تفسير البيضاوي والشرح على ارشاد القاضي شهاب الدين الهندي الكجراتي فقرأ عليه المختصر والمطول وغيرهما وأجاز له ثم فارقه وسمع بالهند ايضاً على ابي الفضل الاسترابادي[١٠٤] .

٣- الشيخ عبد النبي بن عبد الرسول (ت٩٩٠هـ)

كان قاضياً وتولى منصب (صدر الصدور) وهو من المناصب العالية للعلماء ، اشتهر بكتابته للمعجمات العربية في زمن الملك المغولي الثالث جلال الدين اكبر الذي قربه اليه واكرمه فكانت مؤلفاته عبارة عن هوامش وحواش على كتب النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفلسفة منها :

١- شرح كافية ابن الحاجب .

٢- شرح التهذيب في المنطق لليودي .

٣- حاشية مرزا زاهد لملا جلال .

٤- حاشية على خلاصة الحساب .

٥- حاشية على العقائد للتفتازاني .

٦- حاشية على حاشية الخيالي على شرح العقائد[١٠٥] .

كما كان للمؤلف معجمه الشهير الذائع الصيت (جامع العلوم الملقب بدستور العلماء) الذي يعد من اهم الكتب في مصطلحات العلوم والفنون وصفه المؤلف بقوله : (انه جامع للعلوم العقلية ، حاو للفروع والاصول النقية ، فيه غريبة وجرائد عجيبة في تحقيقات اصطلاحية العلوم المتناولة وتدقيقات لغات الكتب المتداولة وتوضيحات مقدمات منتشرة مشكلة على المتعلمين بعبارات واضحة تيسر بها الى المرام ، وتعبيرات لائحة يتعسر على كل طالب أدراك ما رام ...)[١٠٦] .

٤- وجيه الدين العلوي الكجراتي

ولد سنة (٩١١هـ) في جابانير من بلاد كجرات ونشأ بها وارتحل في طلب العلم وأخذ من ملا عماد بن محمود الطارمي ، يقول عنه ابن العماد : (مولده في طارم قرية في خراسان ونشأ واشتغل بتحصيل فنون العلوم حتى برع ثم جاء الى كجرات واقام بها الى ان مات وكان بارعاً في كثير من العلوم ولاسيما العقليات ، ويحكى عنه حكايات مشهورة وممن اخذ عنه من الاعلام مولانا وجيه الدين العلوي)[١٠٧] .

كان وجيه الدين موسوعاً لذا نرى له الكثير من المصنفات وفي مختلف العلوم منها : حاشية تفسير البيضاوي وشرح النخبة في اصول الحديث وحاشية العضدي وحاشية التلويح وحاشية البزدوي وحاشية هداية وحاشية شرح الوقاية وحاشية المطول وحاشية المختصر وحاشية شرح التجريد وحاشية الاصفهاني وحاشية شرح حكمة العين وحاشية شرح المقاصد وحاشية شرح الالجغميني وحاشية شرح الحاجي وشرح للشهاب في النحو[١٠٨] واجل مصنفاته سواطع الالهام في تفسير القرآن الكريم غير المنقوط صنفه في ستين واتمه في سنة (١٠٠٢هـ) يدل على نبوغه في علم اللغة[١٠٩] ، كانت وفاته سنة (١٠٥٠هـ)[١١٠].

٧- التاريخ

ان معظم المؤلفات التاريخية التي كتبت في الهند كتبها الهنود بالفارسية اما ما كتب من هذه المؤلفات بالعربية فهو قليل والتي كتبت بالعربية ابان حروب الفتوح في بلاد فارس وتركستان وافغانستان ولم تنل العربية انتشارا واسعاً في الهند فنرى اللغة الفارسية قد فاقت اللغة العربية في مجال الشعر والادب والتاريخ.

وان ما كتب عن التاريخ لم يكن خاصاً بالهند فقد وانما كان يشار المشتغلون بهذا العلم من كجرات لكنهم كتبوا لمناطق عربية وكانت كتاباتهم يشار اليها لاهميتها ، فمنهم من كتب عن مكة واصفاً اياها بكل دقة ومنهم من كتب عن اليمن واجاد في عرضه للحوادث فيها في حين كتب بعض العلماء وتخصص في تاريخ كجرات والبعض الاخر كتب عن تاريخ الحوادث زمنياً وهذا الكتاب يعالج التاريخ بحساب الجمل مع ذكر منازل الرجال وآدابهم مع كتابة الحوادث السياسية والاجتماعية .

ومن اشهر العلماء :

١- قطب الدين محمد بن علاء الدين احمد النهروالي

ولد في مكة سنة (٩١٧هـ) وبعد ان ترك والده وطنه الاصلي وذهب الى الحجاز وتوطن مكة وبعد ان اكمل تعليمه في مكة رحل الى مصر واكمل دراسته على يد علماء مصر ، رجع بعدها الى مكة وبسبب علمه ونبوغه عمل استاذاً للشريعة في مكة

ثم عين فيما بعد مفتياً لمكة حتى وفاته ، ألف كتاب (الاعلام بأعلام بلد الله الحرام) يقول عنه حاجي خليفة : (من تواريخ مكة المكرمة للشيخ الامام قطب الدين محمد ... المتوفى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة مرتباً على مقدمة وعشرة ابواب واهداه الى السلطان مراد خان وترجمته بالتركية للمولى عبد الباقي الشاعر المتوفي سنة ثمان والف ذكر فيه ان الوزير محمد باشا العتيق بعثه على ذلك)[١١١]

ومن مصنفاته ايضاً (البرق اليماني في الفتح العثماني) يعد هذا المؤلف وصفاً تاريخياً للحوادث التي جرت في اليمن خلال عصر المؤلف يحتوي على ثلاثة ابواب وخاتمة[١١٢] .

٢- عبد الله محمد بن عمر النهروالي

ولد في مكة سنة (٩٤٦هـ) في مكة وذهب الى الهند وعمره (١٦) سنة وفي سنة (٩٦٢هـ) ، عين في وظيفة حمل اموال الوقف في كجرات الى مكة والمدينة ، اختص عبد الله في تاريخ كجرات فألف كتاباً اسماه (ظفر الواله بمطهر وآله) قسم هذا الكتاب على قسمين يسمى كلاهما دفتراً يتناول القسم الاول تاريخ ملوك المظفرين في كجرات الذين حكموا في سنة (٧٩٩هـ) ولغاية (٩٨٠هـ) .

اما القسم الثاني فيحتوي على التاريخ العام لكل الاسر التي حكمت جنوب الهند من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر حقق من الاستاذ دنسون روس Denison Ross [١١٣] .

٣- محي الدين عبد القادر العيدروسي الاحمد ابادي

كان محي الدين عضواً نبيلاً من اسرة عيدروس في اليمن ذهب والده الى الهند سنة (٩٥٨هـ) وسكن احمد اباد فولد محي الدين ، تلقى تعليمه على يد علماء بارزين في كل من اليمن والهند ، كان العيدروسي صوفياً مشهوراً وعالماً بارزاً وكاتباً غزير الانتاج .

من مصنفاته النور السافر عن اخبار القرن العاشر وقد طبع في بغداد عام (١٩٣٤م) وصححه محمد رشيد الصفار وكانت عدد صفحاته (٥٠٨) صفحة احتوى

هذا الكتاب الحوادث التي جرت في القرن العاشر الهجري ويعالج التاريخ بحساب الجمل مع ذكر الحوادث السياسية والاجتماعية[١١٤] .

٤- السيد نظام الدين محمد معصوم صفاتي الترمذي

المعروف بـ (نامي) ولد سنة (٩٤٤هـ) كانت عائلته تسكن مدينة قندهار بجنوب شرق افغانستان قبل ذلك ومنها هاجرت الى الهند وفي الهند بدأ بدراسة التاريخ وباقي العلوم في مدينة كجرات ومن ثم اشتغل في المراكز الحكومية الحساسة وعلى الرغم من ذلك كان دائم الكتابة كثير المؤلفات في التاريخ ومن اهم ما تركه كتاب (طب نامي) ومجموعة من المؤلفات في التاريخ ، توفي سنة (١٠١٩هـ)[١١٥] .

٥- مرزا اسكندر بن محمد الكجراتي

احد الرجال المعروفين بمعرفة التاريخ له من المصنفات (مرآة سكندري) كتاب اخبار ملوك كجرات صنفه في سنة (١٠٢٠هـ)[١١٦] .

٨- علم الطب

لم تحظ الهند قديماً بإسهام العربية في الرياضيات والفلك والطب اذ لم يكتب الهنود عامة في الرياضيات شيئاً مبتكراً كما فعلوا بالعلوم الاخرى لكن بدا التأليف بالعربية في عصور متأخرة وهذا الحال ينطبق على علم الفلك والطب فكان اسهام الهند في الانتاج الطبي باللغة العربية للمتون (الشروح وشروحها) و (المتون أي المؤلفات الاصلية) ولم اعثر على علماء نبغوا في هذه العلوم الا واحد منهم وهو :

الحكيم حميد الدين الكجراتي

كان من الفضلاء المتطببين في كجرات قربه الى نفسه مرتضى خان البخاري وثم شفع له الى جهانكير[*] فاستقدمه الى دار الملك وقربه اليه ، ثم بعد مدة رخصه الى كجرات ومنحه قرية لمعاشه في كجرات[١١٧] .

يتبين لنا من العلوم التي انتشرت في كجرات ما يلي :

اهتمام كجرات اهتماماً شديداً في الفروع دون الاصول وقد وضح ذلك جلياً بتأليفهم الشروح والحواشي والتعليقات ، وكان جل اهتمامهم بالفلسفة والتصوف وقل اهتمامهم

بعلوم الحديث والفقه وهذا بدوره أثر تأثيراً سلبياً على علماء كجرات فقد فقدوا الاصالة والانتاج والغزارة في مؤلفاتهم والانشغال بحفظ المتون والشروح والوقوف على الهوامش والتعليقات وعلى الرغم من ذلك فقد شيدت الكثير من المساجد وعدت مراكز للحياة العلمية يتلقى الطلبة من شيوخهم مختلف العلوم لاسيما في عهد السلطان احمد شاه وكانت بمثابة دار استراحة لكل مسافر[١١٨] ، كما أسست مدرسة في عثمانبور احد ضواحي احمد اباد بناها السيد عثمان الياس البرهاني (ت٨٦٣هـ) وسميت باسمه وهناك مدرسة ملحقة بضريح الشيخ حسام الدين ابرز علمائها تاج الدين وابنه محمد وكانت هناك مدرسة في رسول اباد احد ضواحي احمد اباد نهل من علمها الطلبة مختلف العلوم وكانت مواد التعليم في المدارس تهتم بالعلوم النقلية بالدرجة الاولى ثم يليها العقلية وكان جدول مواد الدراسة في كجرات يبدأ بدرس النحو والبلاغة ثم يوجه الاهتمام البالغ في مدارس كجرات وذلك بسبب تأثيرهم بالتصوف[١١٩] .

الرحلات

حظيت الهند بمكانة كبيرة في كتب الرحلات والتاريخ فاهتم العرب والاعاجم اثناء رحلاتهم الى الهند عامة وكجرات خاصة بهذه البلاد ووصفوها وصفاً دقيقاً ودونوا ما شاهدوه في البر والبحر من عادات وتقاليد والمسافات بين المناطق والعجائب والغرائب وكان من اشهر الرحالة :

١- المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)

اشتهر المسعودي بمؤلفاته ولاسيما مروج الذهب ومعادن الجوهر والتي تحدث فيها عن الهند وكجرات ذاكراً مدن الاقاليم وانهاره والملاحة فيه والحيوانات ولاسيما الفيلة فضلاً عن ذكره الديانة فيها[١٢٠] .

٢- الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٧٥هـ)

يعد الاصطخري من الرحالة الذين جابوا بلاد الهند ومناطقها الشهيرة ووصفها وصفاً دقيقاً اذ لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها فذكر مناطق كجرات مثل كنباية وسندان وفتن وسورت[١٢١] وسجل مشاهداته في كتابه الاقاليم ومسالك الممالك .

٣- المقدسي : ابو عبد الله شمس الدين (ت٣٨٧هـ)

وهو اعظم واشهر الرحالة العرب اذ قام بتقسيم العالم على اقاليم وصف لنا بلاد الهند واقاليمها وطولها وعرضها وطرقها وانهارها وتجارتها ومميزات اهلها وخصائصهم[١٢٢] .

٤-ياقوت الحموي : ابو عبد الله شهاب الدين الحموي (ت٦٢٦هـ)

اشتغل بالتجارة فاشتهر فيها ، رحل من بغداد الى الاندلس ثم اتجه الى الهند ووضع خريطة شاملة للهند وذكر عدد السكان فيها كما ذكر مناطق كجرات التي فيها سومنات وهو اعظم بيوت العبادات بالهند جميعاً[١٢٣] وذكر مدينة كنباية والمراحل التي بين المدن وكنباية[١٢٤] .

٥- ابن بطوطة اللواتي الطنجي : شمس الدين ابي عبد الله محمد

وهو من الرحالة المشهورين جداً فلم يترك الكثير من المدن الاسلامية او غير الاسلامية معروفة الا وزارها وكتب عن اسفاره فذكر كجرات وسماها جزرات وذكر مناطقها والمراحل التي بينها منها كنباية ونهروالة وذكر مدينة كنباية بقوله: (هي على خور من البحر وهو شبه الوادي تدخله المراكب وبه المد والجزر وعاينت المراكب به)[١٢٥] .

٦- برزك بن شهريار الرامهرمزي

بدأ رحلته من العراق ماراً بالهند ثم الصين ووصف تلك البلاد وصفاً شاملاً تضمن طرقها والغرائب فيها برها وبحرها والمراكب التي ترسوا فيها والمد والجزر فضلاً عن ذكر لمناطق كجرات منها كنباية ونهروالة وان مدين تانة وسندان من المدن التي تقع على البحر وفيها مراكب في نهاية الكير ومن المراكب المعروفة في البحر مشهورة لهم قدر ومنزلة في البحر[١٢٦] .

Abstract

Gujarat is an important Indian city located northern Bombay and the Arab sea. Ahmed Abad is its capital and the most famous city, it has cultural and economical ties with the Arabic and Islamic countries and Guajarati is the official language. The research focuses on the most important cities in Gujarat such as ( ). It also focuses on the impact of the political aspect on Gujarat and the reason of the conquest due to the solicitude and encouragement of its Sultans and Kings to science and scholars, which made science and Art, flourish there.

The research also pointed out the scientific movement in Gujarat such as the readings of Qur'an (Qira'at). Sheikh Mohammed Alamuladien Bin Aien Aldien was one of the most famous readers. Also the science of Tafsir (interpreting) the Qur'an and Sheikh Ali Bin Ahmed Al-Shafi'i was Almahmani and the AlHadith studies (what Prophet Muhammad said verbatim on any matter), the most famous Hadith scholars was Jamal Aldeen Mohammed.

Islamic Jurisprudence [Fiqh] in Gujarat spread by the Shafai'i School and several books were written in Fiqh, research and literature, which created some of the most famous scholars (Faqeeh) such as Suraj Aldeen Algujarati and Alamaldeen Suraj Algujarati and others.

The research also mentioned the importance of the Arabic language and the tremendous attention scholars put into the Arabic grammar and dictionaries.

Most historical books were written in Farsi, whereas the others were in Arabic.

The research also pointed out the trips Arabs made to India in general and Gujarat specifically, where Arabs paid much attention to this country and described it in details and wrote everything they saw on land and sea.

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات وبفضله وتوفيقه تكتمل الطاعات فقد ابرز البحث بعض الجوانب المهمة لمدينة كجرات :

١- ان موقع كجرات في الجزء الشمالي من الهند وعاصمتها احمد اباد واهم مدنها نهروالة وكنباية وتانة وسومنات وبندان .

٢- بفضل الله سبحانه وتعالى انتشر فيها الدين الاسلامي بعد تحطيم اصنامها في منطقة سومنات سنة ٤١٦هـ .

٣- كان لأهتمام السلاطين والملوك بالعلم اثره البالغ في انتشار وتطور العلوم فيها.

٤- وجدنا العالم في كجرات يبرز في عدة علوم وغلب على العلماء السفر والترحال في طلب العلم ونشره .

٥- اعتمد مفسروا كجرات على التفاسير السابقة مثل تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين وكتبوا عليها الحواشي .

٦- لم تحتل كجرات مكان الصدارة في علم الحديث وذلك لان معظم علمائها وجهوا جل اهتمامهم الى الشعر والفقه والمنطق والفلسفة والتصوف .

٧- انقسم علماء الحديث في كجرات على قسمين

أ – العلماء الوافدون الى كجرات واتخذوها موطناً لهم .

ب – الطلاب الذين درسوا خارج كجرات ومكثوا في الحرمين الشريفين ثم عادوا الى كجرات .

٨- انتشار المذهب الشافعي في كجرات بتأثير الـ العطاس الذي ينتهي نسبهم الى الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهما السلام) .

٩- ارتبط التصوف في كجرات بالحياة الباطنية للمسلم ويشمل الفلسفة العاطفية في الاسلام ونحا التصوف فيها منحى متصوفوا الدولة العربية الاسلامية

والاتجاه نفسه الذي سار عليه العلماء ومنهم الشيخ ابو نصر القشيري والسهرودي وابن العربي .

١٠- شهدت كجرات نشاطاً ملحوظاً في مجال علم النحو وبلغ التأليف ذروته في نهاية القرن السابع الهجري فضلاً عن المعجمات العربية التي الفت في مصطلحات العلوم والفنون .

١١- ان معظم المؤلفات التاريخية كتبت باللغة الفارسية وما كتب باللغة العربية قليل وان علماءه كتبوا لمناطق عربية وكانت كتاباتهم يشار اليها لاهتمامهم في حين كتب بعض العلماء عن تاريخ كجرات والبعض الاخر كتب عن تاريخ الحوادث زمنياً .

١٢- كانت زيارة الرحالة الى كجرات اهمية بالغة اذ رفدت هذه الرحالات المصادر التاريخية بمعلومات لا يمكن الاستغناء عنها .

الهوامش :

(١) ابو الفداء ، اسماعيل بن علي بن محمد صاحب حماة (ت٧٧٤هـ) ، تقويم البلدان ، ط١٨٦٢ ، ص٣٥٣ .

(٢) النمر ، عبد المنعم ، تاريخ الاسلام في الهند ، ط القاهرة ، (لا. ت) ص١٥٢ .

(٣) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٥٧ ؛ ينظر : القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ) صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، ط القاهرة ، ١٩٦٣م ، ٧١/٥ ؛ ينظر ابن بطوطة : شمس الدين ابي عبد الله محمد (ت٧٧٩هـ) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار ، تحقيق د . علي المنتصر الكتاني ، ط دمشق ، ١٩٧٥م ، ٣٣٥/٢ ؛ ينظر : ابن حوقل ، ابو القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ) صورة الارض ، ط بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص٢٨٠ .

(٤) العيدروسي ، محي الدين الشيخ عبد القادر ، النور السافر عن اخبار القرن العاشر ، لا . ت ، ٣٦٠/١ ؛ الرامهرمزي ، برزك ابن شهريار ، كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره ، ط ليدن ، ١٨٨٨م ، ص١٢٣ .

(٥) اليعقوبي ، احمد بن يعقوب (ت٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، ط بيروت ، ١٩٦٠ ، ٩٤/١ ؛ ينظر : الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (٥٦٠هـ) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ط بيروت ، ١٩٨٩ ، ١٨١/١ ؛ ياقوت الحموي ، ابو عبد الله شهاب الدين (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان ، ط طهران ، ١٩٦٥ م ، ٣٠٠/٤ .

(٦) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص١٥٩ ؛ ينظر القلقشندي ، صبح الاعشى ، ص٧٣/٥ .

(٧) المصدران السابقان ، ينظر : ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ)الكامل في التاريخ ، ط بيروت ، ١٩٦٦ م ، ٣٤٢/٩ .

(٨) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٣٥٩ .

(٩) صبح الاعشى ، ٧٢/٥ .

(١٠) المقدسي ، ابو عبد الله شمس الدين (ت٣٧٨هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، بريل ، ١٩٠٩ ، ص٤٨٦ .

(١١) المصدر السابق نفسه ، ص٤٨١ .

(١٢) العيدروسي ، النور السافر ، ٣٣١/١ ؛ ينظر : احمد ، زبيد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ترجمة : د . عبد المقصود محمد ، ط بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٢٧٨ .

(١٣) العيدروسي ، النور السافر ، ٣٦٠/١ .

(١٤) ينظر : القنوجي ، صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ) ابجد العلوم ، الوشي المرقم في بيان احوال العلوم ، وضع فهارسه عبد الجبار زكار ، ط دمشق ، ١٩٧٨ ، ٢٢٥/٣ ؛ ينظر : البغدادي ، اسماعيل باشا ، هدية العارفين ، ط بغداد ، ١٩٤١ م ، ٤٦٢/٥ .

(١٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٤٤٣/٩ ؛ ينظر اليافعي ، ابو احمد عبد الله بن سعد (ت٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط بيروت ، ١٩٧٠ ، ٢٢/٣ .

(١٦) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٤٣/٣ .

(١٧) ينظر : اليافعي ، مرآة الجنان ، ٢٤/٣ .

(١٨) عبد الحي بن فخر الدين (ت١٣٤١هـ) ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ط٢ ، ١٩٦٢ ، ١٦٩/٣ .

(١٩) النمر ، عبد المنعم ، تاريخ الاسلام في الهند ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص١٥٣ وما بعدها.

(٢٠) ينظر : الحسني ، عبد الحي بن قمر الدين (ت١٣٤١هـ) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ط٢ ، ١٩٦٢، ١٥/٣ –١٦ .

([٢١]) النمر ، تاريخ الاسلام ، ص١٥٥ .

([٢٢]) ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٤٢/٩ .

([٢٣]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٧١/١ –٧٣ .

([٢٤]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٥/٣ – ١٦ ؛ ينظر ، النمر ، تاريخ الاسلام في الهند ، ص١٥٣ ؛ السامر ، فيصل ، الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى ، ط١ ، ١٩٧٧ ، ص٨٣ –٨٤ .

([٢٥]) ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ط بيروت ، لا . ت . ، ٩٧/٤ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٩٦/١ .

([٢٦]) شذرات الذهب ، ٣٩١/٤ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٦٢٢/١ .

([٢٧]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٧٨/٣ – ١٧٩ .

([٢٨]) شذرات الذهب ، ١١٥/٤ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٩٩/١ .

([٢٩]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١١٥/٤ –٣٥٧ .

([٣٠]) العيدروسي ، النور السافر ، ٢١٨/١ ؛ ينظر : النمر ، تاريخ الاسلامي في الهند ، ص١٩٧ –١٩٨ .

([٣١]) ينظر : الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٣٥/١ –١٣٨ .

([٣٢]) للمزيد ينظر : النمر ، تاريخ الاسلام في الهند ، ص٢٢٣ –٢٢٣٤ .

([٣٣]) تاريخ الاسلام في الهند ، ص٢١٤ –٢١٥ .

([٣٤]) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢٤٥/٤ .

([٣٥]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٣٥٥/٤ –٣٥٦ .

([٣٦]) ينظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢٥٢/٤ ؛ ينظر : العيدروسي ، النور السافر ، ١٩٠/١.

([٣٧]) ينظر : النمر ، تاريخ الاسلام في الهند ، ص١٦١ .

([٣٨]) البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) فتوح البلدان ، علق عليه : رضوان محمد رضوان ، ط١ ، مصر ، ١٩٣٢م ، ص٢٤٥ وما بعدها ؛ حوراني ، جورج فضلو ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة د . يعقوب بكر ، القاهرة ، لا . ت ، ص١٩٤ – ١٩٥ .

([٣٩]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١١٤/٣ .

([٤٠]) المصدر السابق نفسه ، ٢٠/٤ – ٢١ .

([٤١]) احمد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ص٦٤ .

([٤٢]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١١٠/٣ – ١١١ .

([٤٣]) المصدر السابق نفسه ،١١٠/٣ – ١١١ .

([٤٤]) الثقافة الاسلامية في الهند ، ص١٣٥ –١٣٦ .

([٤٥]) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٤١٠/٤ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٩٦/١ .

([٤٦]) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٩٥/٤ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٣٢٣/١ ؛ القنوجي ، ابجد العلوم ، ٢٢٢/٣ ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ط دمشق ، ١٩٥٧م ، ٥٩/٧ .

([٤٧]) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٤١٠/٤ ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ط بغداد ، لا . ت ، ١٥٩٩/٢ .

([٤٨]) القنوجي ، ابجد العلوم ، ٢٢٢/٣ .

([٤٩]) الندوي ، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، ص١٩٤ .

([٥٠]) القنوجي ، ابجد العلوم ، ٢٢٢/٣ ؛ ينظر : علي الهندي ، محمد طاهر (ت٩٨٦هـ) المغني في ضبط اسماء الرجال ، ط بيروت ، ١٩٧٩م . ص ٣٢.

([٥١]) كحالة ، معجم المؤلفين ، ١٠٠/١٠ .

([٥٢]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٤٢/٣ .

([٥٣]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٣٦٠/٥ –٣٦٣ .

([٥٤]) المصدر السابق نفسه ، ٢٥١/٥ –٢٥٢ .

([٥٥]) المصدر السابق نفسه ٣٢٢/٥ – ٣٢٣ .

([٥٦]) ينظر : الندوي ، تاريخ الصلات ، ص٢١١ ؛ الحسني ، الثقافة الاسلامية ، ص٤٢ .

([٥٧]) الحسني ، الثقافة الاسلامية ، ص٤٢ .

([٥٨]) زبيد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ص٩٨ – ٩٩ .

([٥٩]) الندوي ، تاريخ الصلات ، ص٢١١ ؛ الحسني ، الثقافة الاسلامية في الهند ، ص١٢ .

([٦٠]) ينظر : القنوجي ، ابجد العلوم ، ٦٢/٣ .

([٦١]) زبيد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ص١٠٦ .

([٦٢]) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٥٧٥/٢ .

([٦٣]) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ١١٥/٤ .

([٦٤]) كشف الظنون ، ٧٠٢/١ .

([٦٥]) الذهبي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد (ت٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ ، ط مكة ، ١٣٧٤هـ ، ١٣٢/٣ ؛ الدهلوي ، عبد الحق ، اخبار الاخبار ، لا . ت ، ص٢٧٣ .

([٦٦]) زبيد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ص١٠٨ .

([٦٧]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٨١/٣ .

([٦٨])الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٠٤/٣ – ١٠٥ .

([٦٩]) المصدر السابق نفسه ، ١٨٦/٣ .

([٧٠]) المصدر السابق نفسه ، ١١٧/٣.

([٧١]) المصدر السابق نفسه ، ٩٩/٣ .

([٧٢]) المصدر السابق نفسه ، ١١٥/٣ – ١١٦ .

([٧٣]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٩٩/٥ –١٠٠ .

([٧٤]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٤٧/٣ – ٤٨ .

([٧٥]) زبيد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ص١١٥ .

([٧٦]) المصدر السابق نفسه ، ١٧٩/٣ –١٨٠ .

([٧٧]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٨٩/٣ –١٩٠ .

([٧٨]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٦٠/٣ .

([٧٩]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٤٦/٣ .

([٨٠]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٥١/٣ –٥٢ .

([٨١]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٥/٣ .

([٨٢]) المصدر السابق نفسه ، ٣١٣/٥ .

([٨٣]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١١٤/٥ .

([٨٤]) المصدر السابق نفسه ، ٣١٣/٥ .

([٨٥]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٢٢٣/٥ – ٢٢٤ .

([٨٦]) القنوجي ، ابجد العلوم ، ٢٢٥/٣ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٢١٢/١ ؛ الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٧٩/٥ –١٨٠ .

([٨٧]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٢٦٤/٥ –٢٦٥ .

([٨٨]) المصدر السابق نفسه ، ٢٥٣/٥ –٢٥٤ .

([٨٩]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٦٩ .

([٩٠]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٣٦٢/٥ – ٣٦٤ .
([٩١]) زبيد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ص١٢٢ – ١٢٣ .
([٩٢]) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، لا . ت ، ٤١٨/٢ .
([٩٣]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٣٦٤/٥ .
([٩٤]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٣٦٤/٥ .
([٩٥]) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٤٠٦/١ .
([٩٦]) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ) ، الضوء اللامع ، ط بيروت ، لا . ت ، ٦٣/٩ .
([٩٧]) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ١١٥/٤ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٩٩/١ .
([٩٨]) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٤٠٦/١ ؛ الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٣٢/٣ –١٣٨ .
([٩٩])حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٤٠٦/١ .
([١٠٠]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٣٨/٣ .
([١٠١]) المصدر السابق نفسه ، ١٣٨/٣ .
([١٠٢]) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٩٩٨/٢ .
([١٠٣]) الضوء اللامع ، ٩ /٦٣ –٦٤ ؛ ينظر الحسني ، نزهة الخواطر ، ٣٢٧/٥ .
([١٠٤]) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢٩٧/٤ .
([١٠٥]) الندوي ، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، ص٢٢٣ .
([١٠٦]) الندوي ، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، ص٢٢٤ .
([١٠٧]) شذرات الذهب ، ٢٤٥/٤ .
([١٠٨]) القنوجي ، ابجد العلوم ، ٢٢٣/٣ –٢٢٥ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ٢٢٤/٣ .
([١٠٩]) المصدران السابقان انفسهما .
([١١٠]) العيدروسي ، النور السافر ، ٢٢٤/٣ .
([١١١]) كشف الظنون ، ١٢٦/١ .
([١١٢]) زبيد ، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ، ص١٨٤ –١٨٥ ,
([١١٣]) المصدر السابق نفسه .
([١١٤]) العيدروسي ، النور السافر ، ص١ – ٤ من المقدمة .
([١١٥]) المصدر السابق نفسه ، ٢١٢/٢ .

([١١٦]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ٧٢/٥ .

([*]) اسمه : محمد سليم ولما تولى العرش (١٠١٤ -١٠٣٧) سمي نور الدين محمد جهانكبر ، كان يحترم العلماء ويكرمهم ، ينظر : الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٢٢/٥ .

([١١٧]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٤١/٥ .

([١١٨]) الحسني ، نزهة الخواطر ، ١٥/٣ -١٦ .

([١١٩]) السامر ، الاصول التاريخية ، ص٨٤ – ٨٥ .

([١٢٠]) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الاوربية ، ٣٧١/١ .

([١٢١]) الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٧٥هـ) ، كتاب الاقاليم ، لا . ت ، ص٧٦.

([١٢٢]) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص٤٨٦ .

([١٢٣]) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، / ٣٤٥ .

([١٢٤]) المصدر السابق نفسه ، ٣٠٠/٤ .

([١٢٥]) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ٦٦٩/٢ .

([١٢٦]) برزك ، عجائب الهند ، ص١٢٣ -١٥٢ -١٦٥ .

نشاط المجلس الأمريكي لمفوضي الإرساليات الخارجية تجاه المسألة الأرمنية ١٨٩٣-١٨٩٦م".

د.يوسف حسين يوسف عمر

أستاذ مشارك في التاريخ الحديث والمعاصر

"جامعة الأقصى"، غـــزة.

فلسطين

نشاط المجلس الأمريكي لمفوضي الإرساليات الخارجيـــة تجاه المسألـــة الأرمنية ١٨٩٣-١٨٩٦م

د.يوسف حسين يوسف عمر

الملخص:

ركّز المجلس الأمريكي لمفوضي الإرساليات الخارجية نشاطه التبشيري في الدولة العثمانية على الأرمن منذ بدء نشاطه التبشيري فيها عام ١٨٢٠م، حيث قام بتقديم الخدمات التعليمية والصحية التي تخدم أهدافه التبشيرية، والتي أدت إلى تحول جزء من الأرمن من المذهب الأرثوذكسي إلى لمذهب البروتستانتي، وعندما أعلن الأرمن ثورتهم على الدولة العثمانية عام ١٨٩٤م؛ قام المجلس الأمريكي بتوفير الحماية للأرمن، وتقديم الخدمات الإغاثية من خلال جمع التبرعات وتقديم الطعام وتوفير الملاجئ وفرص العمل، كما قاموا بممارسة التحريض ضد الدولة العثمانية من خلال إرسال الأخبار والتقارير الخاصة بالأرمن إلى الصحف والمجلات الأمريكية، بالإضافة إلى ممارسة الضغوط على الحكومة الأمريكية للتدخل سياسياً وعسكرياً لصالح الأرمن؛ إلا أن الولايات المتحدة كانت حتى ذلك الوقت متمسكة بمبدأ مونرو الخاص بعدم التدخل في الشئون الخارجية للدول الأخرى.

الكلمات المفتاحية: المجلس الأمريكي، الأرمن، الدولة العثمانية، الولايات المتحدة الأمريكية، المسألة الشرقية.

Abstract:

American Board of Commissioners for Foreign Missions (ABCFM) focused on his missionary activity in the Ottoman Empire on the Armenians since it start of his missionary work in 1820, when it presented the educational and health services that serve its missionary objectives, which led to the conversion of part of the Armenians from the Orthodox to Protestant doctrine. When the Armenians declared their revolt on the Ottoman Empire in 1894; the American Board provided the protection to the Armenians, and rendered relief services

through fundraising, catering, the provision shelters and employment opportunities. Besides to this, they incited against the Ottoman Empire by sending news and special reports about the Armenians to newspapers and American magazines, in addition to exerting pressure on the US government to intervene politically and militarily in favor of the Armenians. However, the United States was, up to that time, sticking to the Monroe doctrine of non-interference in foreign affairs of other countries.

Keywords: American Board, Armenian, The Ottoman Empire, USA, The Easren Question

المقدمة:

كان من أهم ما مَيّزَ الدولة العثمانية لقرون وجعلها تحتل موقعاً رئيسياً بين الدول المعاصرة لها؛ أنها بنت مجتمع "غير عنصري"، حيث استطاعت استيعاب جميع مواطنيها بقطع النظر عن أي فروق دينية أو مذهبية أو عرقية أو قومية، الأمر الذي ساهم في أن يعيش جميع مواطنيها في كنف الدولة محافظين على معتقداتهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم دون أي ضغوط تُمارس عليهم.(١)

حقق المسيحيون داخل الدولة العثمانية –وخصوصاً الأرمن منهم– تقدماً وتطوراً في كثير من الأمور، وخصوصاً في المسائل المالية(٢)، وعبر قرون عديدة، جمعت الأرمن والأتراك علاقات تاريخية طيبة، حتى وصل الأمر بالأتراك إلى تسمية الأرمن "بالملة الصادقة" Millet–i Sadıka وذلك بسبب الخدمات الكثيرة التي قدموها إلى الدولة العثمانية(٣)

وكان الأرمن قد تأثروا بالحركات القومية في أوروبا، وحركات التمرد المطالبة بالاستقلال، التي قامت في المقاطعات الأوروبية من الدولة العثمانية، مثل: اليونان وصربيا وبلغاريا وغيرها، إلى جانب وجود اعتقاد جازم لدى الأرمن بأن الدول الأوروبية ستقف إلى جانبهم وستقوم بتعضيد مطالبهم، لذلك بدأ الأرمن بالتحضير لأعمال المقاومة الرافضة للوجود العثماني والمطالبة بالاستقلال منذ حرب القرم ١٨٥٣ – ١٨٥٦م، إلا أن الكثير من المعوقات حالت دون ذلك. فالولايات الستة، التي يتمركز

فيها الأرمن[٤]، وهي: أرضوروم Erzroum ووان Van وبتليس Bitlis وهاربوت Kharpout وديار بكر Diarbekir وسيواس Sivas؛[٥] لم تكن ذات أغلبية سكانية أرمنية، حيث كان هناك أعداد كبيرة من المسلمين الأكراد فيها، كما أن كنيستهم كانت متفرّقة ومنقسمة "بمرارة" بين الغريغوريين والبروتستانت والروم الكاثوليك.[٦]

ومهما يكن من أمر، فقد شَكّل الأرمن من جانبهم بعض المجموعات والجمعيات الثورية السرية المسلحة، وكانت أُولى هذه المجموعات جمعية الأرمناكان Armenakans، التي تأسست في وان، تلتها جمعية الهنشاك Hunchak، التي تأسست في جنيف عام ١٨٨٧م، ثم جمعية الداشناك Dashnak، التي تأسست في بتليس عام ١٨٩٠م. وكانت الجمعيتان الأخيرتان من الجماعات الاشتراكية الثورية، إلا أن الداشناك غالباً ما كانت تستخدم التهديد المسلح ضد الطبقة الأرمنية الغنية والمحافظة، التي رفضت دعم القضية الأرمنية، حتى أن منها من اعتبر أن هذه الجمعيات والمنظمات ارتكبت من الفظائع بحق الأرمن أكثر من العثمانيين أنفسهم.[٧]

وفي أوائل عام ١٨٩٠م، قامت هذه الجمعيات بتنفيذ عدد قليل من الأعمال التحريضية ضد السلطات العثمانية، مثل وضع لافتات تدعو الأرمن إلى التمرد[٨]، وعندما استكمل الأرمن تنظيم صفوفهم داخل الدولة العثمانية، نظم الثوريون الأرمن من جمعية الهنشاك أول عمل كبير ومنظم من خلال القيام بثورة واسعة عام ١٨٩٤م، حيث قاموا بتنظيم الفلاحين الأرمن في ساسون Sassoun من أجل تحدي السلطات المحلية العثمانية والمجموعات الكردية[٩]، ثم انتقلت الأحداث إلى العديد من المدن والولايات، التي يتواجد فيها الأرمن داخل الدولة العثمانية، وكانت جمعية الهنشاك والثوار الأرمن يدركان أن الأتراك سيقابلون هذه الثورة بتدابير حاسمة، لكنهم كانوا مستعدون للتضحية لقاء لفت أنظار الدول الأوروبية إلى رغباتهم.[١٠]

وعلى الرغم من أن الحياة كانت لا تزال مقبولة بالنسبة للأرمن داخل الدولة العثمانية؛ إلا أن الأرمن كانوا يعتقدون أنه ليس لديهم مكانة هامة في العالم السياسي؛ طالما

يحملون الجنسية العثمانية، وأنه من الضروري إحياء "الأمة الأرمنية" التي يجب أن تُولد من جديد من أجل تحقيق التفوق السياسي الذي يَطْمَحُون إليه.(١١)

لذلك بدأت الأحداث تتفاقم تدريجياً من خلال إعلان العصيان ضد الدولة العثمانية، والتي بدورها وبمساعدة المجموعات الكردية المسلحة عملت من أجل قمع الأرمن. ومن وجهة نظر البعض؛ فإن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) شجّع المسلحين الأكراد على مهاجمة القرويين الأرمن.(١٢)

بداية النشاط التبشيري تجاه الأرمن.

يرجع النشاط التبشيري الأمريكي البروتستانتي في الدولة العثمانية إلى تأسيس "المجلس الأمريكي لمفوضي الإرساليات الخارجية" American Board Of Commissioners For Foreign Missions (ABCFM) الذي تأسس في بوسطن Boston بولاية ماساتشوستس Massachusetts في يونيه عام ١٨١٠م، كمنظمة تبشيرية تسعى لنشر المبادئ المسيحية البروتستانتية وتعاليم الانجيل(١٣)، كما كانت تهدف إلى أن يترك الكتاب المقدس الرفوف المُغْبَرَة، ووضع الدين موضع التنفيذ في الحياة اليومية لأتباعه مرة أخرى(١٤).

قرر المجلس الأمريكي في ٣ نوفمبر ١٨١٩م أن يبدأ برنامج عمله في الدولة العثمانية(١٥)، وفي عام ١٩٢٠م بدأ المبشرون الأمريكيون بالتدفق إليها(١٦)، وكان المجلس الأمريكي نشطاً أكثر من أي منظمة تبشيرية أخرى في أمريكا، كما كان الأكثر نشاطاً من بين كل المؤسسات والجمعيات التبشيرية العاملة في الدولة العثمانية، حيث ركز نشاطه فيها لصالح الأرمن؛ وخصوصاً في الجزء الشرقي منها "الأناضول".(١٧)

وحتى بداية التسعينيات من القرن التاسع عشر كان المجلس الأمريكي في الدولة العثمانية قد قام بتوظيف أكثر من ١٥٠ مبشراً، والذين عملوا في ١١٢ كنيسة و١٥ محطة تبشيرية و٢٦٨ محطة تبشيرية خارجية، مع حوالي ٤٧ ألف شخص من التابعين لهم في هذه المناطق، إلى جانب استثمار حوالي ٤ ملايين دولار من العقارات القابضة. وكان للولايات المتحدة الأمريكية وجود تبشيري أكبر بكثير من أي قوة أوروبية

أخرى في الدولة العثمانية طغى في أهميته على المصالح التجارية الأمريكية في المنطقة، ونتيجة لذلك، وجه أغلب القناصل الأمريكيين في الدولة العثمانية طاقاتهم وجهودهم من أجل حماية حقوق وسلامة وقانونية وجود المبشرين وعائلاتهم في الدولة العثمانية.(١٨)

كان النشاط التبشيري يزداد يوماً بعد يوم في المناطق الأرمنية، حيث قام المبشرون الأمريكيون ببذل جهود كبيرة من أجل تنمية المنطقة التي يسكنها الأرمن في جميع نواحي الحياة وخصوصا في المدارس وقطاع التعليم وإيقاظ الوعي القومي الأرمني(١٩). فمنذ عام ١٨٣٩م تحولت المدارس التبشيرية إلى مكان يحتوي على عدد هائل من الطلاب الأرمن، الذين يدرسون في هذه المدارس، الأمر الذي بدأ يُمهّد مستقبلاً إلى قيام هؤلاء الطلاب بصراع محتمل من أجل المطالبة بالاستقلال والانفصال نهائياً عن الدولة العثمانية.(٢٠)

ورغم كل ما أثير عن تساهل السلطات العثمانية تجاه أنشطة البعثات التبشيرية؛ إلا أن المدارس التبشيرية الأمريكية التابعة للمجلس الأمريكي كانت تخضع لرقابة السلطات المحلية العثمانية في كل المقاطعات، وخصوصاً في المناطق الشرقية حيث يكثر الأرمن، وكانت السلطات المحلية قد أخبرت وزارة التربية والتعليم والجهات الحكومية العثمانية بالأنشطة السلبية لهذه المدارس. لذلك كلفت الحكومة العثمانية العديد من المحققين للتحقق من أنشطة هذه البعثات والمدارس. فمنذ عام ١٨٩٠م ركزت المراسلات والشكاوي التي تتوارد للحكومة العثمانية على الدور السلبي الشديد للمدارس التبشيرية، والتي كانت تُحرض السكان الأرمن خصوصاً والمسيحيين عموماً على التمرد على الدولة العثمانية، مما عزز بقوة فكرة القيام بالثورة على السلطات العثمانية.(٢١)

وكان المبشرون البروتستانت والمدرسون والوُعّاظ الأرمن المتحولين إلى البروتستانتية يقومون بإلقاء الخطب الاستفزازية في العديد من الأماكن وتوزيع المنشورات التحريضية ضد الدولة العثمانية، وهو الأمر الذي حدث بالفعل في كل المدارس البروتستانتية في مدينة ميرزفون Merzifon وغيرها من المدن والمقاطعات العثمانية التي يتواجد فيها

الأرمن.[٢٢] وهو الأمر الذي حدث أيضاً في أرضروم، حيث أخل المبشرون الأمريكيون بالنظام العام، واتخذوا مواقف معادية من الدولة العثمانية، وكذلك الأمر في ديار بكر، حيث صادرت القوات العثمانية البيانات والمناشير والكتب التحريضية الموجودة مع البعثات التبشيرية؛ التي اتُهِمَت في إستانبول بأنها تمارس مهام تجسسية داخل الأراضي العثمانية.[٢٣]

السياسة الامريكية ودعم البعثات التبشيرية.

كانت العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية تخضع لاعتبارات المحافظة على "مبدأ مونرو" Monroe Doctrine (٢ ديسمبر ١٨٢٣م) والذي يمنع الولايات المتحدة من التدخل في الشؤون الأوروبية والعكس، وهو الأمر الذي جرى تطبيقه أيضاً فيما يتعلق بعلاقات الولايات المتحدة مع جميع دول العالم.[٢٤] ورغم اختلاف النظريات المُحفّزة للسياسة الخارجية الأمريكية، إلا أنه يوجد اتفاق على أن منتصف تسعينيات القرن العشرين كانت تُعد نقطة تحول كبيرة في تفاعل الولايات المتحدة مع العالم الخارجي، حيث تغيرت سياستها الانعزالية نحو سياسة أكثر إمبريالية، مما دفعها للتحرك من أجل تحديد مكانتها كدولة عُظمى في العالم، وهو الأمر الذي أشار إليه المؤرخ ريتشارد و. ليوبولد Richard W Leopold الذي أكد على أن الولايات المتحدة أصبحت قوة عالمية كُبرى حتى قبل عام ١٨٩٠م، حيث تفاعلت سياسياً مع العالم من خلال قدرتها على التدخل في توازن القوى في أوروبا، كما تفاعلت من الناحية "الأخلاقية" من خلال عمل المبشرين في شتى أنحاء العالم من خلال دعمهم وحمايتهم، وتجارياً من خلال منتجاتها التجارية التي تم تصديرها براً وبحراً إلى جميع أنحاء العالم.[٢٥]

كان عدد المدارس التبشيرية الأمريكية قد زاد في العام ١٨٩٠م، وخصوصاً في المناطق الأرمنية الحساسة في شرق ووسط الأناضول، وذلك في موازاة صعود الحركة القومية الأرمنية، التي نشأت بين طلاب وخريجي هذه المدارس التي خرجّت القوميين الأرمن الذين بدأوا يُغَيّرُون نظرتهم بالنسبة للدولة العثمانية، وظهرت هذه الأنشطة

بشكل محدد وأساسي في مدينة ميرزفون، حيث اتهمت السلطات العثمانية الطلاب والمعلمين الأرمن بأنهم كانوا على اتصال بالمتمردين، الأمر الذي نتج عنه قيام السلطات العثمانية بإلقاء القبض على مُدَرّسَينِ يعملان في المدرسة الأمريكية التبشيرية بسبب قيامهما بمساعدة المتمردين الأرمن. كما ألقت السلطات العثمانية القبض على بعض القوميين الأرمن عام ١٨٩٣م أثناء تواجدهم في الكلية الأمريكية،[٢٦] وأثناء الاقتحام وقعت أضرار في مبنى الكلية، كما تضررت منازل بعض المبشرين الأمريكيين، الأمر الذي أدى إلى اتصالات دبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية؛ بَذَلَ فيها القنصل الأمريكي في سيواس الدكتور ميلو أ. جويت Dr. Milo A. Jewett وسكرتير السفارة الأمريكية في إستانبول نيوزبري Newsberry جهودهما وقدما الضمانات اللازمة من أجل إطلاق سراح اثنين من المدرسين الأرمن الذين تم القبض عليهما من قبل السلطات العثمانية.[٢٧] وفي عام ١٨٩٣م دفعت الحكومة العثمانية ٥٠٠ جنيه تركي إلى الولايات المتحدة الأمريكية كتعويض عن الأضرار التي لحقت بالكلية، كما منحت تصريحاً لإعادة بناء الأجزاء التي تضررت منه.[٢٨] ورغم ذلك بقيت السلطات العثمانية تقوم بوضع العراقيل أمام المدرسين الأجانب والمدارس التبشيرية؛ وخصوصاً تلك التابعة للمجلس الأمريكي، مما أدى إلى احتجاج الولايات المتحدة.[٢٩]

دور المجلس الأمريكي في تفعيل قضية الأرمن.

لم يكن هناك الكثير ليعرفه الأمريكيون في الولايات المتحدة عن الأقليات في الدولة العثمانية، لكن وبسبب نشاطات المجلس الأمريكي وأنشطته التبشيرية أصبحت قضية الأرمن قضية كبيرة ومشهورة على المستوى الدولي، وذلك من خلال الكتابات والاجتماعات التي قام بها المبشرون الأمريكيون والمهاجرون الأرمن الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تبنى معظم هؤلاء المهاجرين أفكاراً قومية وإن لم تكن ثورية، بينما عمل قادة المجلس الأمريكي كل ما في وسعهم كي ينأوا بأنفسهم فيما يتعلق بإبداء التعاطف الصريح بشأن انفصال الأرمن واستقلالهم عن الدولة

العثمانية.[٣٠] لكن المبشرين الأمريكيين ومن معهم من المصلين أرمن كانوا دائماً يتضرعون إلى الله بجدية كي يُنَجّي الأرمن من الاضطهاد. وكان هدف المجلس الأمريكي الأول هو استمرار العمل من أجل ما اعتبره إنقاذ الأرواح، من خلال جمع التبرعات والحرص ألا تصل لأيدي جمعية الهنشاك الأرمنية، مع عدم التلميح أبداً فيما يتعلق بالتعاطف معها، الأمر الذي من شأنه أن يُخاطر باستعداء المسؤولين العثمانيين، الذين اتهموا البعثات التبشيرية الأمريكية مراراً وخصوصاً المجلس الأمريكي بتحريض الأرمن على العنف والأنشطة الثورية،[٣١] وهو الأمر الذي نفاه المجلس الأمريكي وتبرأ منه، بل وادعى إرساله المبعوثين إلى المناطق الأرمنية للحديث مع المتمردين والمتهورين، الذين يسعون إلى استخدام القوة ضد الدولة العثمانية، مما أثار غضب واستياء القوميين الأرمن.[٣٢]

ومهما يكن من أمر، فقد كانت الحكومة العثمانية حتى ديسمبر ١٨٩٤م تعي تماماً وجود مراسلات تحريضية ضدها يقوم بها المبشرون العاملون في المجلس الأمريكي مع الحكومة الأمريكية، كما كانت تراقب عن كثب نشاط المجلس الأمريكي تجاه الأرمن، لذلك فقد عملت الحكومة العثمانية على مراقبة المراسلات الأجنبية،[٣٣] خصوصاً وأن الحكومة العثمانية كانت قد انزعجت من المنشورات والمقالات التي أرسلها المبشرون الأمريكيون ونُشرت على نطاق واسع في الصحافة الأميركية والإنجليزية.[٣٤] كما احتجت السلطات العثمانية على انخراط نحو ٣٠ من الأرمن المقيمين في نيويورك في التدريبات العسكرية من أجل مساعدة الأرمن في الدولة العثمانية، وأن هؤلاء يعلنون صراحة عن رغبتهم من خلال الصحف والمجلات في الاخلال بالنظام والهدوء داخل الدولة العثمانية[٣٥]، وأن القوانين في الولايات المتحدة تسمح للأرمن بالقيام بأنشطة مؤيدة للهنشاك ومعادية للدولة العثمانية في كل من مدينة نيويورك New York وورستر Worcester وبوسطن Boston وبروفيدانس Providence وشيكاغو Chicago مطالبة بوقف هذه الأنشطة.[٣٦] ورغم ذلك أكدت الدولة العثمانية أنه وفقاً لأحكام القانون العام المعمول به في الولايات المتحدة؛ فإن السلطات المختصة في

ولاية نيويورك وغيرها هي في وضع يُمَكّنها من وقف ومنع هذه التدريبات،[٣٧] وهو الأمر الذي وعدت وزارة الخارجية الأمريكية ببحثه وباستفاضة والتنسيق مع السلطات العثمانية بشأنه.[٣٨]

يمكن القول أن الأمور في الدولة العثمانية بدأت تسير بشكل أكثر "راديكالية" منذ نوفمبر عام ١٨٩٤م، حيث جلبت الأحداث المتواصلة في المناطق الأرمنية الكثير من المعاناة بسبب العنف، والأمراض المتفشية، والموت جوعاً، حتى أن المبشرين التابعين للمجلس الأمريكي والدبلوماسيين حذروا على حد سواء من كارثة غير مسبوقة.[٣٩]

لذلك عملت البعثات التبشيرية التابعة للمجلس الأمريكي على جمع التبرعات وخلق بيئة سياسية مواتية لصالح الأرمن، كما كانت مقرات المجلس الأمريكي والبعثات التبشيرية الأمريكية مكاناً للجوء الأرمن إليها منذ بداية عام ١٨٩٤م،[٤٠] كما نُشرت الصحف الصادرة في الولايات المتحدة إعلانات من أجل القيام بأنشطة تبشيرية لمساعدة الأرمن في الدولة العثمانية.[٤١] وخلال أحداث مدينة ماردين Mardin أبلغت السلطات المحلية الحكومة العثمانية عن المراكز التبشيرية الأمريكية التي تتبع المجلس الأمريكي والتي لعبت دوراً أساسياً في المسألة الأرمنية،[٤٢] وأدت الشكاوي المتكررة من قبل الحكام المحليين إلى تدهور العلاقات بين الحاكم المحلي لمدينة ماردين والمبشرين الأميركيين، الأمر الذي انعكس بدوره على العلاقات بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة.[٤٣]

وكانت الأمور قد ازدادت سوءاً ودخلت منعطفاً خطيراً بسبب تصاعد الأحداث في أرمينيا، حيث أصبح المبشرون الأمريكيون في مواجهة واضحة مع المسؤولين العثمانيين المحليين، لذلك بات المبشرون متأكدين بأنهم أصبحوا في حاجة للحماية من قبل السلطات العثمانية، كما أرسلوا عام ١٨٩٥م رسائل إلى مجلس الشيوخ الأمريكي يطالبونهم بإنشاء قنصليات أمريكية جديدة في هاربوت وأرضروم وبتليس.[٤٤]

تأثير المجلس الأمريكي على السياسة الخارجية الأمريكية.

كانت حقائق الامور تشير إلى أن المبشرين الأمريكيين التابعين للمجلس الأمريكي ومؤيديهم؛ لهم اليد العليا بالنسبة للتأثير على الحكومة الأمريكية وتشكيل الرأي العام الأمريكي فيما يتعلق بالعنف الحاصل بين الأرمن والدولة العثمانية. حيث كان هناك تواصل دائم وكبير بين المجلس الأمريكي ووزارة الخارجية الأمريكية، وأثبت المبشرون في المحطات التبشيرية الواقعة بالقرب من الأحداث الأرمنية بأنهم مصدرٌ هامٌ للأخبار. فطوال فترة الأزمة؛ أبقى المجلس الأمريكي – من خلال تقاريره – مسؤولي وزارة الخارجية على اطلاع واسع من خلال إبلاغهم بمستجدات الأحداث وإيصال المعلومات اللازمة لهم من خلال المبشرين الذين شهدوا أحداث العنف.(٤٥) وفي الوقت نفسه، "غَمَرَ" مسؤولي المجلس الأمريكي وزارة الخارجية بتيار من التوجيهات السياسة العامة. فقبل كل شيء، كان المبشرون التابعون للمجلس الأمريكي أكثر عدداً وأفضل تأهيلاً من الموظفين القنصليين الرسميين التابعين للحكومة الأمريكية، وساعدوا أكثر في حماية الموظفين التبشيريين وممتلكاتهم، لكن عندما بدأت تتفجر الأحداث بشكلٍ قاسٍ، وتصاعدت عمليات العنف؛ طالب هؤلاء بالتدخل. فعلى سبيل المثال، طلب المسؤولون في المجلس الأمريكي من الحكومة الأمريكية إرسال طرادات عسكرية من أجل المساعدة في تأمين التعويضات التي طلبتها الولايات المتحدة عن الممتلكات الأمريكية التي تضررت من عنف "الغوغائيين".(٤٦) وقد تكررت هذه المطالب مراراً وتكراراً طوال فترة الاضطرابات، ورغم أن المجلس الأمريكي كان لا يزال يدعي احتفاظه بمواقف محايدة من المسألة الأرمنية، ورغم أن الولايات المتحدة كانت لا تزال تعلن التزامها "بروح" مبدأ مونرو؛ إلا أن المجلس الأمريكي كان يدعو الحكومة في الولايات المتحدة دون خجل إلى أقوى وجود أمريكي عسكري في البحر المتوسط.(٤٧)

خلال هذه الفترة قرر المجلس الأمريكي القيام بجهود كبيرة تجاه مجلس الشيوخ لصالح الأرمن، وهو الأمر الذي وجد له آذاناً صاغية هناك، مما يُعَدُ انعكاساً للعقلية "الصليبية" في إطار تقييم الأسباب الدينية، حيث طلب مجلس الشيوخ من السلطة

التنفيذية في الولايات المتحدة أن تأخذ الأحداث في أرمينيا على محمل الجد، والعمل من أجل تطبيق المادتين ٦١ و٦٢[٤٨] من قرارات مؤتمر برلين.[٤٩]

وكانت الصحف الأمريكية المختلفة قد كتبت عن الأحداث التي تصاعدت في أرمينيا منذ عام ١٨٩٥م، كما تم القيام بالعديد من حملات الدعم والتأييد للأرمن، كما نُظمت في الكنائس الأمريكية "العديد من الصلوات من أجل إحلال اللعنات على الأتراك".[٥٠] وكان من الصحف الأمريكية التي شاركت واهتمت كثيراً بالمسألة الأرمنية والأحداث هناك صحيفة تصدر في نيويورك تدعى "كريستيان هيرالد" Christian Herald، حيث قام أحد الأشخاص الذين يعملون في هذه الصحيفة ويُدعى وليام ويلارد هوارد William Willard Howardبجمع الأموال والتبرعات في الولايات المتحدة وإرسالها من أجل توزيعها على الأرمن في مدينة وان وغيرها من المدن ذات التواجد الأرمني، وهو الأمر الذي أكده الوزير الأمريكي المفوض (السفير) في استانبول الكسندر و. تيريل Alexander W. Terrell (١٨٩٣-١٨٩٧م) الذي أكد أن هذه الأموال والتبرعات تم إرسالها عبر أمين صندوق لجنة الإغاثة الأرمنية التابعة للمجلس الأمريكي القس وليام و. بيت Rev. William W. Peet، وتوزيعها من قبل رئيس بعثة بيت الكتاب المقدس في إستانبول head of the Bible House Mission وأمين جمعية الكتاب المقدس الأمريكيةSecretary American Bible Society القس هنري أوتس دوايت Rev. Henry Otis Dwight في مدينة وان الأرمنية،[٥١] الأمر الذي دفع السفير العثماني في الولايات المتحدة أليكسندر ماورياني بك Aleksandr Mavroyeni Bey إلى التأكيد على العداء الشديد الذي يكنه هوارد للدولة العثمانية والتي ظهرت من خلال منشوراته وخطبه التحريضية على الدولة العثمانية، ورغم ذلك لم يكن بمقدور ماورياني بك فعل الكثير في هذا الشأن مع وزارة الخارجية الأمريكية، الأمر الذي أسهم بشكل جدي في الدعاية المعادية للدولة العثمانية.[٥٢]

نشر أمين لجنة الإغاثة الأرمنية الوطنية Secretary, the National Armenian Relief Committee المبشر الأمريكي فريدريك ديفس جرين Rev. Frederick Davis Greene في عام ١٨٩٥ العشرات من الرسائل التحريضية ضد الدولة العثمانية، والتي ضَمّنَهَا في كتابه الذي انتشر على نطاق واسع، والمُعنون باسم "الأزمة الأرمنية في تركيا"،(٥٣) والذي كتب تقديمه عالم الاجتماع الدكتور القس يوشيا سترونج Rev. Josiah Strong، حيث لفت هذا الكتاب انتباه السفير الأمريكي تيريل، الذي شعر بالقلق من أن ذلك من شأنه أن يعيق أي عمل دبلوماسي كان يفترض أن يجري بعيداً عن المجلس الأمريكي.(٥٤)

وبينما كان القوميون الأرمن وحلفائهم قد نزلوا فعلاً إلى الشوارع للتمرد بشكل واضح على الدولة العثمانية؛ إلا أن المجلس الأمريكي كان لا يزال يلتزم الحذر، حيث أكد الناطق باسم المجلس الأمريكي في صحيفة ميشيناري هيرالد The Missionary Herald في يناير ١٨٩٥م أن هذا الصمت النسبي على المجازر يعود إلى "موقف حساس للغاية" يتعلق بالمبشرين في الدولة العثمانية. في حين كان هؤلاء المبشرين يعلنون تعاطفهم العميق مع من اعتبروهم "الأرمن المظلومين"، وأكد الناطق أنه بعد عشرات السنوات من العمل بين الأعراق المحلية في الدولة العثمانية؛ فإنه من الخير البقاء على مسافة آمنة من مكان الخطر.(٥٥)

انتشرت الأحداث المؤسفة بحق الأرمن في يناير ١٨٩٥م، حتى وصلت إلى العاصمة إستانبول، حيث كتب سكرتير المجلس الامريكي الدكتور القس جودسون سميث .Rev Judson Smith في إحدى الصحف الأمريكية مؤكداً أنه بعد ٧٠ عاماً من العمل التبشيري؛ فإن المبشرين الذين خدموا في الدولة العثمانية كانت أنشطتهم تتوافق تماماً مع الإرشادات الخاصة بالانخراط في واجباتهم الروحية دون سواها،(٥٦) إلا أن سميث سرعان ما غير من موقفه، حيث مارس الضغط على وزير الخارجية الأمريكي والتر كوينتين جريشام Walter Quintin Gresham (١٨٩٢-١٨٩٥) مطالباً إياه بضرورة القيام بإجراءات تتجاوز حماية المواطنين الأمريكيين، مشيراً إلى وجود "ما هو أكثر من

مجرد مسألة سياسية" بشأن الأزمة، مؤكداً أن حكومة الولايات المتحدة، التي "دفعتها ببساطة الاعتبارات الإنسانية، يجب أن تبذل قصارى جهدها ... بحيث يكون من المستحيل القيام بتكرار هذه الأفعال".[٥٧] كما عبر جودسون سميث عن اعتقاده بأن جريشام يجب أن يضغط على بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى من أجل الوفاء بالتزاماتها تجاه الأرمن بموجب معاهدة برلين ١٨٧٨م، ووصل الأمر بجودسون سميث إلى أن يُوصي بأن الولايات المتحدة وبريطانيا يجب عليهما الانضمام سراً من أجل تشكيل قوة مشتركة لتنفيذ القرارات وفرض القانون الدولي، إلا أن جودسون سميث لم يكن يعتقد أن بإمكان المجلس الأمريكي كمنظمة تبشيرية اتخاذ مواقف رسمية بشأن هذه المسائل، لذلك فقد أبقى سميث توصياته خارج السجلات العامة للمجلس.[٥٨]

تيريل ونشاط المجلس الأمريكي.

كان واضحاً أن الأحداث بين الأرمن والدولة العثمانية في تصاعد مستمر خصوصاً بعد انتقال الأحداث إلى العديد من المقاطعات والمدن العثمانية، حيث بدأت الصحافة الأمريكية تنقل أنباء أولية في فبراير ١٨٩٥م عن اعتداءات تطال المبشرين الأمريكيين في بتليس، وبأن حياة السفير الأمريكي تيريل أصبحت في خطر. كما وصلت أنباء عن مهاجمة المواطنين العثمانيين للمبشرين والقساوسة والمواطنين الأميركيين في العديد من المدن العثمانية، مثل ماراش Maraş وهاتشن Haçin وعنتاب Antep وأوروفا Urfa. كما تم في هاربوت وماراش نهب المدرسة الأمريكية وحرق أماكن خاصة بالعبادة من قبل الجنود العثمانيين والأكراد.[٥٩]

لذلك أشار تيريل في مذكرة موجهة إلى ناظر الخارجية العثماني سعيد باشا إلى خطر الأحداث السابقة على الممتلكات وسلامة وحياة الأميركيين، وضرورة قيام الباب العالي بواجبه تجاه اتخاذ احتياطات السلامة اللازمة[٦٠]، لذلك ردت الحكومة العثمانية عليه بأنها فعلاً قامت بإعطاء التأكيدات اللازمة بشأن ضمان سلامة أرواح وممتلكات المواطنين الأميركيين[٦١]، تضمنت عزل بعض الضباط العثمانيين، ورغم ذلك اعتبرت حكومة الولايات المتحدة أن ما حدث من إقالة قائد الدرك العثماني في ماراش غير

كافية لتهدئة الأحداث هناك، الأمر الذي خلق نوعاً من البلبلة وبشكل كبير، باعتبار ذلك تدخلاً سافراً في شؤون الداخلية للدولة العثمانية.[٦٢]

ومهما يكم من أمر؛ تواصلت الدعاية الأرمنية بشكل مبالغ فيه في الصحف الأمريكية؛ وخصوصاً صحيفة نيويورك تايمز The New York Times وغيرها من الصحف الأمريكية التي بدأت تسرد أرقاماً كبيرة لأعداد القتلى والجرحى من الأرمن، حيث ذكرت أن الأرمن فقدوا ما لا يمكنهم استرداده في محافظتي قيصري Kayseri وبتليس، وأن الذين يعيشون في مدينة تالاس Talas لا يمكنهم فتح محلاتهم، بينما نشرت صحيفة نيويورك تايمز تقريراً لأحد الأساقفة الأمريكيين في قيصري في ٣٠ أكتوبر ١٨٩٥م تحدث فيه عن حالات النهب والقتل، حيث قُتل ٣٤٨ شخصاً وجرح ١٩٠ آخرين، كما تعرضت ٥٠ من النساء للاغتصاب، إلى جانب أحراق المنازل، وتم نهب ٤٤٧ منزلاً و٢٥٠ محلاً تجارياً. كما ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن معاهدة برلين ١٨٧٨م نصت على "حفظ حقوق المسيحيين وليس تدميرهم في مجزرة وحشية"، مما اضطر الكثير منهم إلى تغيير دينه واعتناق الإسلام. وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية لا تزال تسعى إلى خداع المسيحيين في أوروبا بشأن إعلان رغبتها في إجراء الإصلاحات؛ إلا أن الأمور كانت لا تزال تراوح مكانها. وكانت تقارير هذه الصحيفة قد أدت إلى انزعاج الحاكم المحلي في بتليس من نشاط المبشرين الأمريكيين فيها وخصوصاً القس المبشر جورج كوشنغ ناب George Cushing Knapp معتبراً أن ما يقوم به الأخير خطير للغاية، وخصوصاً بعد فشل السلطات العثمانية في اعتقاله على أثر مطالبته السلطات العثمانية بالتحقيق في الأحداث التي أصابت الأرمن في بتليس وغيرها من المناطق الأرمنية،[٦٣] حيث وجهت له السلطات العثمانية المحلية تهمة التحريض من خلال جمع الأخبار عن الأرمن في بتليس وإرسالها إلى الصحافة الأمريكية.[٦٤] .

جودسون سميث والموقف من الأرمن.

ذكر الكاتب والفنان الأمريكي فرانسيس هوبكنزون سميث Francis Hopkinson Smith في مقابلة له مع صحيفة بوسطن غلوب The Boston Globe في ٢ نوفمبر ١٨٩٥م أن الدكتور القس جودسون سميث قال: "يبدو غريبا؛ أننا نخاف بشكل دائم من الأرمن أكثر من المحمديين" (المسلمين)[٦٥] Strange as it may seem, we have more to fear continually from Armenians than we have from the Mohammedans الأمر الذي اعُتُبِرَ محاباة من قبل فرانسيس سميث للدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد، لذلك سرعان ما قام جودسون سميث بنشر تكذيب لما ادعاه فرانسيس سميث في نفس الصحيفة في ٦ نوفمبر ١٨٩٥م، معلناً أنه قد تم تفسير أقواله بطريقة مضللة، حيث قال: "جعلني أقول بأننا نخاف من الأرمن في تركيا أكثر من المحمديين، وإني لأعتبر بأن هذا "كلام سخيف مردود عليه".[٦٦]

في ذلك الوقت تلقى القس الدكتور تشارلز س. كريجان Rev. Dr. Charles C. Creegan في مقر بيت الكتاب المقدس Bible House، رسالة شخصية بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٨٩٥م، من امرأة مبشرة تعمل مع المجلس الأمريكي في سيواس التابعة لبعثة "غرب تركيا"، واحتوت الرسالة على بعض التفاصيل الخاصة بالهجوم الذي قام به الأتراك ضد الأرمن في تلك المدينة في منتصف الشهر الماضي، حيث قُتل في هذا الهجوم أكثر من ٢٠٠٠ أرمني، وأكدت الرسالة أن النساء العاملات بالتبشير اضطررن إلى الذهاب إلى محطة دوريك Divrik التبشيرية، – وهي قرية كبيرة بعيدة ثلاثة أيام عن سيواس– للحفاظ على سلامتهن.[٦٧]

وكان المبشرون الذين ابتعدوا وهربوا من سيواس قد أكدوا ما آلت إليها الأوضاع هناك من قتل ونهب واختطاف، وهو الأمر الذي تجاوز سيواس، حيث سمع المبشرون الأمريكيون التابعون للمجلس الأمريكي أن الأكراد واللصوص هناك قد تجاوزوا القرى التي تقع إلى الشرق من دويريك وقاموا بقطع الطريق ونهب المنازل، مما جعل دوريك نفسها مهددة من قبل الأكراد. لذلك طلب قناصل الولايات المتحدة من حكومتهم حماية

المبشرين الذين يتنقلون من منطقة إلى أخرى. لذلك أبرق الحاكم العثماني العام إلى ضابط عثماني كبير من دوريك كي يقوم بمرافقة المبشرين إلى الأماكن التي يريدونها بأمان. ومنذ ذلك الوقت كان هناك سلسلة متصلة من التقارير المتعلقة بجميع القرى التي هُوجمت سواء كانت كبيرة أو صغيرة، والتي يصرخ سكانها طلباً للمساعدة.(٦٨)

وأخيرا، بدأ المبشرون بالوصول إلى دويريك ليؤكدوا أن القرى بالفعل قد سُرقت من قطعانها وسلعها المنزلية. وقد شغل هذا الأمر القنصل الأمريكي في سيواس جويت الذي كان في حالة تأهب بسبب الأحداث الأرمنية وتعرض المبشرين وعائلاتهم وممتلكاتهم للاعتداءات، حيث قابل جويت الحاكم العام العثماني في سيواس وطلب منه حماية المبشرين الأمريكيين، مؤكداً أنه يتعهد بقوة من أجل فعل كل ما يستطيع فعله من أجل حماية المبشرين.(٦٩)

ازدياد تحريض المجلس الأمريكي على الدولة العثمانية.

قام المجلس الأمريكي بتعميم رسائله التبشيرية على الملأ بشأن الأرمن، وهو الأمر الذي فعله المؤرخ والقس جرين أيضاً مع الوزراء والصحفيين ودعاة الإنسانية، حيث أظهرت هذه الرسائل الطبيعة الدينية الضيقة للصراع. ففي خطبة للدكتور المبشر ليمان أبوت Lyman Abbott وصف اضطهاد المسيحيين في أرمينيا بأنه "أسوأ وأقسى أنواع الاضطهاد الديني، والأكثر وحشية في العالم على الإطلاق"، رغم أنه اعترف بأن العنف كان بسبب "الكراهية والاختلاف العرقي والتجارة والغيرة وبشكل جزئي العداء الديني".(٧٠) كما بدأت بعض الكتب التي يصدرها المبشرون المتعاطفون مع الأرمن والتي كانت صفحاتها الأولى تحمل شعارات فريدة وغريبة من نوعها تُظهر روح التعصب التي سادت المبشرين المتعاطفين مع الأرمن، والتي تدلل على أن الصراع تجاوز السياسة إلى الصراع الديني وبشكل صارخ، حيث كتب أحدهم: "الرب ضد الله، المسيح ضد محمد، الكتاب المقدس ضد القرآن، الجنة ضد الجحيم"(٧١) God against Allah, Christ against Mohammed, Bible against Koran, Heaven against Hell

كان الطبيب والمبشر الأمريكي الدكتور جريس ن كيمبل Dr. Grace N. Kimball من أكثر الأسماء المؤثرة في البعثة التبشيرية في مدينة وان، حيث أشار إلى مسألة إغاثة الأرمن في تقرير مؤرخ بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٨٩٥م فقال: أن عدداً كبيراً من العمال الأرمن عانوا من الجوع بسبب عدم توافر فرص عمل لهم، حيث كان هناك جزء كبير من السكان في المدن والقرى الأرمنية على دراية بنسيج القطن والصوف، فعملوا به من أجل كسب أرزاقهم وتوفير المال، وأكد الدكتور كيمبل أنه مع مرور الوقت ساعد الأرمن بعضهم البعض من خلال استضافة النازحين منهم في غرفة في منزل كان يُستخدم كمستوصف، حيث تم إيواء ٤٧٦ أرمني حتى أكتوبر ١٨٩٥م، ممن عملوا في المنسوجات القطنية، كما قام المبشرون المسيحيون ببذل قصارى جهدهم من أجل مساعدة الأرمن في ساسون ووان. كما أتى الدكتور كيمبل على ذكر الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الأوروبية كدول مُرشحة من أجل تقديم المساعدات لهؤلاء الناس.(٧٢) ويذكر المؤرخ التركي ميم كمال أُوكه بأن المبشرين البروتستانت دعموا الأرمن بكل ما يستطيعون حتى وصل الأمر إلى قيام هؤلاء بدفع رواتب شهرية لأعضاء في المجتمع الأرمني.(٧٣)

لذلك وبسبب جهود البعثات التبشيرية التابعة للمجلس الأمريكي فُتحت مراكز الإغاثة في كل من بتليس ووان، ففي وان عمل الدكتور جريس كيمبل من أجل توفير فرص عمل لأكبر عدد ممكن من المعوزين الأرمن في أسرع وقت ممكن، وذلك من خلال تصنيع السلع القطنية. وعندما ضعف هذا العمل بسبب نقص التمويل، أرسل الدكتور كلوبش Dr. Klopsch إليه التحويلات المالية اللازمة لاستمرار العمل، حيث نجح في جمع ١٥٠٠٠ دولار لمنطقة وان، وكانت النتيجة أن الدكتور كيمبل "كان قادراً على إنقاذ الكثير من الأرواح". حيث تم توظيف مئات العائلات الأرمنية في المصانع القطنية. أما أولئك الذين لم يتمكنوا من الحصول على عمل فقد تم تقديم وجبات الطعام لهم بكميات كافية لمنعهم من الموت جوعاً، كما قدموا لهم الملابس الضرورية التي تقيهم برد الشتاء.(٧٤)

ووفقاً لرسائل الدكتور كيمبل؛ فقد تم توظيف ٩٨١ شخصاً من الأرمن، يمثلون أكثر من ٩٥٠ أسرة تضم ٤٧٥٠ شخص من خلال عملهم في الغزل والنسيج وصناعة البُسُط القطنية والسلع الصوفية والسجاد والسترات والجوارب والفُرُش، والتي كانت تُباع في أجزاء مختلفة من الدولة العثمانية، مما كان يجني عليهم مبالغ كبيرة، كان يتم إرسالها إلى لجنة الإغاثة الأرمنيةthe Armenian Relief Committee في ساسون. كما تم تعليق لافتة على مكتب الإغاثة، بأنه سيتم توفير الخبز مجاناً إلى ٢٥٠٠ أرمني آخرين،(٧٥) وكان توفير كل هذه الخدمات الممنوحة بسبب توفر الأموال والمساعدات والتبرعات الأمريكية التي بلغت حوالي ٢٠٠ ألف دولار أمريكي، والتي تم توزيعها على الأرمن المشردين حتى نهاية عام ١٨٩٥م.(٧٦)

كان المبشرون الأمريكيون يعيشون تحت ضغط ومراقبة مستمرة من قبل المسؤولين في الحكومة العثمانية بسبب مساعدتهم للأرمن، رغم الادعاء بأنهم يحمون الأرمن من الأكراد واللصوص، لذلك فقد كان معظم الأرمن في الدولة العثمانية على ثقة وطاعة عمياء للمبشرين الأمريكيين.(٧٧)

وكانت "مساعدة الأرمن" هي العنوان الذي اتخذه المبشرون الأمريكيون أيضاً في هاربوت، حيث ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أنه على الرغم من كل "الترهيب" الذي مارسته السلطات العثمانية والأكراد؛ إلا أن المبشرين الأمريكيين في الأناضول يعلنون بأنهم لا زالوا صابرين على الحكومة العثمانية، مما استدعى تيريل للقيام بالطلب من الأخيرة حماية المبشرين الاميركيين في هاربوت من القوات العثمانية التي اتهمها بأنها أطلقت الأكراد للقتال ضد الأرمن.(٧٨)

المبشرون وممارسة الضغوطات على الدولة العثمانية.

تعرضت الدولة العثمانية إلى العديد من الضغوط الدبلوماسية من قبل الولايات المتحدة، حيث طلبت الأخيرة في أواخر نوفمبر ١٨٩٥م تعويضات من الدولة العثمانية عن كل الأضرار التي لحقت بالمؤسسات الأمريكية الرسمية وغير الرسمية بما فيها المؤسسات التبشيرية، لذلك تُبودلت العديد من المراسلات بين السلطات الأمريكية والصدر الأعظم

توفيق باشا، الذي أَكّد عدم مسؤولية الحكومة العثمانية عن الأحداث في المناطق الأرمنية والتي طالت بعض المبشرين الأمريكيين وممتلكاتهم. وفي ٤ ديسمبر ١٨٩٥م أرسلت نظارة الخارجية العثمانية إلى تيريل أن الجنود العثمانيين بذلوا جهوداً كبيرة لحماية الرعايا الأمريكيين في هاربوت وماراش، مؤكدةً أن المباني والممتلكات الأمريكية التي أُحرقت كانت بفعل الثوار الأرمن لا غيرهم.(٧٩)

وبلغ من شدة الضغوطات الأمريكية على الدولة العثمانية أن قام مجلس الشيوخ الأمريكي بمناقشة المسألة الأرمنية، رغم إعلان الحكومة العثمانية التزامها ببنود المادة ٦١ و٦٢ من معاهدة برلين لعام ١٨٧٨م والتي تنص على التزام الحكومة العثمانية بإجراء الاصلاحات اللازمة في المناطق الأرمنية، كما أكدت الحكومة العثمانية ضمانها لأرواح المواطنين الأمريكيين في الدولة العثمانية واتخاذ التدابير اللازمة من أجل تحقيق هذا الأمر،(٨٠) لذلك فقد تم إبلاغ جميع الأميركيين الذين يعيشون في الأناضول بأنهم سيكونون تحت حماية الجنود العثمانيين، وذلك رغبةً من الدولة العثمانية في منع أي تدحل للولايات المتحدة الأمريكية في شؤونها الداخلية، والذي كان يزداد يوماً بعد يوم.(٨١)

ومهما يكن من أمر؛ فقد كان مجلس الشيوخ الأمريكي لا يزال يناقش أوضاع الأرمن داخل الدولة العثمانية ليس بوصفها مشكلة بسيطة أو من أجل المطالبة بالتعويض، بل كان يدعو إلى اقامة دولة قومية أرمنية مستقلة عن الدولة العثمانية، كوسيلة ضغط تمارسها الولايات المتحدة على الدولة العثمانية،(٨٢) إلا أن تيريل كان يدعو إلى حل وسط بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية من خلال قيام الأخيرة بدفع التعويضات عن الأضرار التي لحقت بالأمريكيين وأملاكهم، رغم تصعيد الموقف من قبل المبشرين الأمريكيين والمبالغة في الخسائر من أجل تعقيد الأمور وتصعيدها بين البلدين، من أجل إجبار الولايات المتحدة على التدخل أكثر لصالح قضية الأرمن، لكن تيريل كان واضحاً في مراسلاته مع الحكومة الأمريكية بشأن أهداف المبشرين، حيث أكد أنه لا

يطلب أكثر من التدخل من أجل حماية المصالح الأمريكية في الدولة العثمانية ودفع التعويضات المطلوبة، ولم يمض تيريل إلى أبعد من ذلك أبداً.(٨٣)

تلقت وزارة الخارجية الأمريكية رسالة من القنصل الأمريكي في أرضروم ليو ألين بيرغولز Leo Allen Bergholz في ١٧ ديسمبر ١٨٩٥م قال فيها: إن المبشرين الأمريكيين قدروا عدد الأطفال الأرمن دون سن الثانية عشرة من العمر والذين أصبحوا أيتاماً بسبب "المجازر" بحق الأرمن عام ١٨٩٥ بحوالي ٥٠ ألف طفل(٨٤) مؤكداً على أهمية ما يجب القيام به تجاه هؤلاء الأيتام، الذين يلقون الاهتمام اللازم من العالم المسيحي وخصوصاً المجلس الأمريكي، والذي يُولي مثل هؤلاء الاهتمام الجدي. وأكد بيرغولز أن المجلس الأمريكي وضع خطة عامة لإغاثة الأرمن، على الرغم من أن مسألة إنشاء دور للأيتام ومصانع الملابس وبعض المؤسسات الصناعية لا زالت قيد النظر فيها.(٨٥)

كان المجلس الأمريكي لا يزال يقدم الشكاوى للحكومة الأمريكية بشأن الأحداث في المناطق الأرمنية وما قد ينتج عنها من إمكانية تعرض المبشرين الأمريكيين وأملاكهم وعائلاتهم للخطر، مما دفع حكومة الولايات المتحدة مراراً وتكراراً إلى الافصاح عن عدم كفاية الضمانات المقدمة من الحكومة العثمانية بشأن النشاطات التبشيرية والمبشرين(٨٦).

لذلك قرر مجلس الشيوخ الأمريكي في ٤ ديسمبر ١٨٩٥م أنه يجب على الرئيس الأمريكي جروفر كليفلاند Grover Cleveland إصدار تقرير عن الأضرار التي لحقت بممتلكات المواطنين الأميركيين في الدولة العثمانية،(٨٧) لذلك أعد كليفلاند تقريرا مطولاً قدمه إلى مجلس الشيوخ أكد فيه أنه لا يوجد أي مواطن أمريكي أصيب أثناء الأحداث بين الأرمن والدولة العثمانية، ولكن الأضرار قد وقعت بالفعل والتي تقدر بحوالي ١٠٠ ألف دولار. كما أبلغ كليفلاند مجلس الشيوخ كان قد أنه أوعز إلى ثلاثة سفن حربية أمريكية وهي: سان فرانسيسكو San Fransisco وماربلهيد Marblehead ومينابوليس Minneapolis من أجل التواجد في الموانئ العثمانية مثل

أزمير وأضنة وبيروت والإسكندرونة، لمنع أي اعتداءات أخرى على المواطنين الأمريكيين، وتأمين التعويضات التي طلبتها الولايات المتحدة عن الخسائر الأمريكية في الدولة العثمانية.(٨٨) رغم تأكيد الحكومة العثمانية أنها غير مسؤولة عن تدمير الممتلكات الأمريكية وأن الجنود العثمانيين بذلوا جهوداً كبيرة من أجل حماية الرعايا الأمريكيين في هاربوت وغيرها من المناطق، مؤكدين أن مثيري الشغب الأرمن هم الذين قاموا بإحراق المباني والممتلكات.(٨٩) وعندما سألت الحكومة العثمانية عن سبب زيارة هذه السفن، ألمح تيريل إلى أن السبب الحقيقي وراء ذلك هو حماية المصالح الأميركية في المناطق النائية، مؤكداً أن مجيء هذه السفن كان لأهداف ودية.(٩٠)

قام مجلس الشيوخ الأمريكي في ٢٧ يناير ١٨٩٦م بالموافقة على القرار الذي صاغه رئيس لجنة الشؤون الخارجية السناتور شيلبي مور كولوم Shelby Moore Cullom، والذي دعا فيه الرئيس الأمريكي كليفلاند إلى الشروع في الخطوات اللازمة للحصول على التعويضات المطلوبة من الحكومة العثمانية.(٩١) في الوقت الذي زادت الأعمال الانتقامية ضد الأرمن في أوائل عام ١٨٩٦م، حيث حل الشتاء القارس، وسادت حالة من الفقر والبؤس التي تضررت منها كل فئات المجتمع الأرمني بما فيها فئة التجار والحرفيين والمزارعين، وانقطع الآلاف من الناس التائهين عن أعمالهم(٩٢)، مما دفع هؤلاء الأرمن إلى تعزيز فكرة الهجرة من الأراضي العثمانية إلى الغرب، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية.(٩٣)

كانت الدعاية الأرمنية لا تزال في أوجها في الولايات المتحدة، حيث ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن ٦ من الأتراك هاجموا البعثة التبشيرية الأمريكية في أوروفا في ١ يناير ١٨٩٦م، مما أدى لوفاة أحد المبشرين الأمريكيين، لذلك قام تيريل بإرسال أسماء هؤلاء المتورطين المسؤولين عن الاعتداء إلى السلطات العثمانية لاتخاذ الاجراءات العقابية الرادعة بحقهم، كما أرسل بلاغاً بالحادثة مع الأسماء الستة إلى صحيفة يونايتد برس United Press في الولايات المتحدة لنشر التفاصيل الحادث.(٩٤)

كما نشرت صحيفة نيويورك تايمز تقريراً من إستانبول عن وجود اضطهاد للأرمن فيها، مؤكدةً استمرار النهب والمذابح رغم الشتاء القارس، كما تحدث التقرير عن ظهور حالات قتل جديدة في أورفا، حيث قتل ٩٠٠ أرمني، وأن الأرمن في منطقة زيتون Zeytun قاتلوا بشجاعة من أجل "الحياة والحرية"[٩٥]، لذلك وقف المبشرون التابعون للمجلس الأمريكي جنباً إلى جنب مع الأرمن من خلال الدعوة إلى التمرد ودعم المتمردين. كما حدث الأمر نفسه في عنتاب Ayintab عام 1895م، حيث قام كاهن أرمني يتبع للكنيسة البروتستانتية بتحريض الأرمن على التمرد والثورة، ورغم اعتقاله إلا أنه تم اطلاق سراحه في ١ يونيو ١٨٩٦م،[٩٦] بينما اضطر الأرمن في بتليس وفق تقارير المبشرين الأمريكيين إلى اعتناق الإسلام.[٩٧]

كانت صحيفة نيويورك تايمز هي الصحيفة الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة والأكثر تأثيراً بشأن المسألة الأرمنية، حيث كانت لا تزال تنشر العديد من التقارير، والتي كان أهمها التقرير الذي نشرته في ٤ يناير ١٨٩٦م، حيث عنونت تقريرها بـ"آلام الأرمن" Ermenilerin Acıları، وذكرت فيه بأن المظالم ضد الأرمن قد وقعت في جميع المقاطعات التي يعيشون فيها، مؤكدة أن أحوال الأرمن في مدينة وان قد أصبحت ضمن أنشطة المبشرين الأمريكيين الذين فوجئوا عند عودتهم إلى منازلهم بفاجعة، حيث دُمرت العديد من القرى الأرمنية بشكل كامل أو جزئي، وقد نهب الأتراك والأكراد كل ما فيها، بما فيها من الملابس الشخصية، مما دفع المبشرين الأمريكيين البروتستانت للقيام بحملات لجمع التبرعات، وهو الأمر الذي لاقى استحساناً كبيراً، واعتبرت الصحيفة بأن وضعاً مماثلاً وقع في منطقة هاربوت وعربجير Arapgir ضد الأرمن، واعتبرت هذه الصحيفة أن حالة الأرمن هناك كان يرثى لها.[٩٨]

أرسل جودسون سميث من محل إقامته في بوسطن في رسالة بتاريخ ١٨ مارس ١٨٩٦م موجهة إلى ممثلي الصليب الأحمر في الدولة العثمانية، قال فيها: بأنه كان في منتهى السعادة لمعرفته بدخول رئيسة الجمعية الوطنية للصليب الأحمر الأمريكي في الولايات المتحدة السيدة كلارا بارتون Clara Barton إلى إستانبول، والتي كان قد

قابلها قبل ذلك، حيث حصلت على حق تمديد العمل الاغاثي للصليب الأحمر في كل جزء من الدولة العثمانية، مؤكداً أن "جميع الأموال التي تأتي إلى أيدينا مباشرة يتم تحويلها إلى السيد وليام بيت، وسنستمر في إرسال كل ما يأتي إلينا إلى السيد بيت كما كان عليه الأمر من قبل، على أمل أن هذه الأموال سوف تكون جنباً إلى جنب مع المبالغ التي سيدفعها إخوة براون Brown Brothers، كي تشكل صندوق واحد، وهو الآن تحت رعاية الصليب الأحمر، وسيتم توزيعها في كل مكان من الإمبراطورية التركية".[٩٩]

الهجوم على البنك العثماني واتساع دائرة الأحداث.

في ظهيرة يوم ١٤ أغسطس ١٨٩٦م قام ٢٥ أرمني من جمعية الداشناك مزودين ببنادق الماوزر والقنابل بالهجوم على البنك العثماني في استانبول[١٠٠]، مما أدى إلى انتقال الأحداث بقسوة داخل استانبول حيث انتشرت المذابح فيها. في الوقت الذي أبحرت في ١٣ سبتمبر ١٨٩٦م باخرة متجهة من ألمانيا إلى إيطاليا، وكان من بين ركابها دانيال م ب ثورن Daniel M. B. Thorn وزوجته، وهو طبيب ومبشر من المجلس الأمريكي، والذَيْنِ كانا في طريقهما إلى استئناف عملهما في ماردين، والتي تركاها قبل بضعة أشهر بسبب الإجازة. وكان الدكتور ثورن مبشراً في الدولة العثمانية لاثنين وعشرين عاماً مضت. لذلك كان معروفاً في جميع أنحاء الدولة بسبب أعماله وخدماته أثناء انتشار وباء الكوليرا عام ١٨٩٤م، حيث حصل بسبب ذلك على تقدير خاص من قبل السلطان. وكمكافأة على عمله؛ قام السلطان عبد الحميد الثاني من خلال محافظ ديار بكر بمنح الدكتور ثورن الوسام المجيدي من الدرجة الرابعة the Fourth Order of the Medjidie الذي يتكون من شارة متقنة الصنع مليئة بالزخارف الذهبية على شكل نجمة وهلال، ومرصعة باللؤلؤ والماس. وقال الدكتور ثورن إنه يعتقد أن هذه الشارة أنقذت حياته من قبل الأتراك، لأنه كان في خطر دائم من الموت بسبب الأحداث في المناطق الأرمنية. وكان ثورن كلما نشأت مشكلة مع

السلطات العثمانية أظهر الوسام، الذي كان يحظى باحترام دائم من قبل أولئك الذين قد يختلفون معه ويحاولون قتله.[١٠١]

في ذلك الوقت التقي السفير العثماني في واشنطن ماورياني بك بوزير الخارجية الأمريكي جريشام في واشنطن في ٢٠ نوفمبر ١٨٩٦م، حيث أكد له السفير عدم اقتراف الجنود العثمانيين لأي خطأ فيما يخص المبشرين الأمريكيين،[١٠٢] وفي ٣ ديسمبر ١٨٩٦م، التقى ناظر الخارجية العثماني سعيد باشا مع تيريل في استانبول حيث كرر تيريل طلبه بضرورة دفع الحكومة العثمانية التعويضات المطلوبة للولايات المتحدة، مؤكداً ضرورة الحصول من الدولة العثمانية على جواب بشأن ذلك[١٠٣]، وفي اليوم التالي، أعرب ماورياني في واشنطن عن رغبته بتأجيل البث في هذه المسألة لحساسيتها المفرطة،[١٠٤] في يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٩٦م، أعرب سعيد باشا أن عدم القبول بمطالب تيريل والولايات المتحدة بشأن دفع التعويضات من شأنه أن يولد ضغوطاً أمريكية وأوروبية من أجل القبول بها.[١٠٥] لذلك فهمت الدولة العثمانية أن حكومة الولايات المتحدة كانت ولا تزال تحت تأثير الأحداث في المناطق الأرمنية، وتسعى للحصول على تنازلات من خلال ابتزاز الدولة العثمانية بحجة "الدفاع عن حقوق الأرمن".[١٠٦]

بقيت مشكلة التعويضات مشكلة مستعصية لم تحل حتى شهر يونيه عام ١٩٠١م، وذلك عندما تم إرسال الطراد الأمريكي كنتوكي Kentucky إلى ميناء أزمير مع إصدار أوامر لقائد الطراد للقيام بالضغط على الحكومة العثمانية من خلال التهديد العسكري، حتى يتم دفع التعويضات، الأمر الذي نتج قيام الحكومة العثمانية بتسديد قيمة التعويضات البالغة ١٠٠ ألف دولار إلى الولايات المتحدة الأمريكية. [١٠٧]

المجلس الأمريكي ونهاية المسألة الأرمنية.

قام المجلس الأمريكي عام ١٨٩٧م بالعديد من المهام "الإنسانية" من أجل التخفيف من معاناة الأرمن وخصوصاً توفير الطعام، حيث تم تقديم ما يقرب من ٦٠٠ ألف دولار أمريكي تم توزيعها على الأرمن، منها ٢٧ ألف تم توزيعها عبر الصليب الاحمر، أما البقية فقد تم توزيعها من قبل أمين صندوق لجنة الإغاثة الأرمنية – في إستانبول والتابعة للمجلس الأمريكي– وليام بيت في أواخر فصل الربيع، وشكا بيت من أن الصليب الأحمر قد فشل في القيام بأي عمل تجاه الأرمن خارج نطاق أنشطة المجلس الأمريكي، وأن "قدراً كبيراً من العمل الخاص بهم؛ تم القيام به من قبل المبشرين".[١٠٨] لذلك نظم المبشرون الأمريكيون بدعم من صحيفة هيرالد Herald لجاناً لدعم الأرمن، حيث تم تشكيل ٧ لجان لجمع المساعدات المالية وذلك من أجل تقديم الخدمات الإغاثية للأرمن في شتى المجالات، وكانت اللجنة الأولى في وان برئاسة ميسيس جارسي كمبيل Misis Garesi Kimball والسيد رونالد Ronald الذين جمعا ٥٢٥٠٠ فرنك، أما اللجنة الثانية فيرأسها الراهب شاميرسي Rahip Şamirsi في أرضروم، والثالثة في إرزينجان Erzincan وترأستها زوجة شاميرسي Madam Şamirsi، والرابعة في هاربوت ويرأسها الكاهن بارنوم Barnum، والخامسة في ديار بكر تحت إدارة جوتسي وإيلي Gotsi ve Eli واللذين جمعا ٢٠٠٠٠ فرنك، والسادسة في ماردين برئاسة الكاهن أندروس Andoros والذي جمع ٢٥٠٠ فرنك، والسابعة في جيميريك Gemerek برئاسة الكاهن فاڤيل Favel الذي جمع ٢٥٠٠ فرنك.[١٠٩]

ما إن صادف شهر أكتوبر ١٨٩٧م حتى كانت حلقة الصراع الدائر بين الأرمن والدولة العثمانية في ذلك الوقت قد انتهت بشكل نهائي[١١٠]، حيث نجح السلطان عبد الحميد في تجريد القوى الغربية من قوتها، الأمر الذي كانت نهايته قيام هذه الدول بترك الأرمن وشأنهم،[١١١] كما كان لجوء السلطان إلى ألمانيا قد أدى إلى أن تفرض الأخيرة نوعاً من الحماية الخاصة على الدولة العثمانية، لتحول دون تأثير الدول الغربية عليها بشأن المظالم الأرمنية، وهذا ما جعل ألمانيا فيما بعد تأخذ موقعاً متميزاً داخل الدولة

العثمانية.[١١٢] بحيث يمكن القول بأن كل تلك الأحداث التي حصلت في أرمينيا "مرّت كما تَمُرّ الرياح" في أوروبا والولايات المتحدة، خصوصاً وأن الأخيرة أعلنت تمسكها بسياستها القائمة على مبدأ مونرو والقاضي بعدم التدخل في الشؤون الخاصة بالدول خارج القارة الأمريكية[١١٣].

الخاتمة:

نجح المجلس الأمريكي في التدخل في المسألة الأرمنية، لكنه كان نجاحاً نسبياً وذلك من خلال توفير كل ما يستطيع من أموال وتبرعات سخرها من أجل إغاثة الأرمن وحمايتهم، كما استطاع المجلس الأمريكي بسبب نفوذه من الضغط على الحكومة الأمريكية للتدخل لصالح حماية الأرمن والمبشرين الأمريكيين. ورغم ذلك كانت هذه الأنشطة تعتبر أنشطة محدودة بسبب سوء الأحوال وخطورتها في المناطق الأرمنية على المبشرين وأنشطتهم وعملية تنقلهم، إلى جانب رقابة الدولة العثمانية على هذه النشاطات. كما أن تدخل الحكومة الأمريكية لم يكن على القدر الذي أراده المبشرون العاملون في المجلس الأمريكي، والذين كانوا يرغبون بتدخل عسكري واضح المعالم لصالح الأرمن، تحت شعار حماية أرواح الأمريكيين وممتلكاتهم في الدولة العثمانية، وذلك بسبب الالتزام الحكومة الأمريكية بمبدأ مونرو. لذلك يمكن القول بأن نشاط المجلس الأمريكي اقتصر في كثير من الأحيان على تقديم المساعدات والاغاثة الإنسانية وتحريض الصحافة والرأي العام الأمريكي على الدولة العثمانية إبان أحداث الأرمن.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق الأمريكية:

1. United States Department of State / Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president transmitted to Congress, December 3, 1894, Turkey.
2. United States Department of State / Papers relating to the foreign relations of the United States, with the annual message of the president, transmitted to Congress, December 2, 1895.

ثانياً: الوثائق التركية:

3. Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.

- Bâb-ı Âlî Evrak Odası Ayniyat Defterleri (BEO. AYN. D), 1632/s. 415.
- Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS), 2830/1, 2830/2, 2857/91
- Irade Hususi (I. HUS), 1312 C. /109.

4. Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 96, Osmanlı Belgelerinde Ermeni Isyanları 1895-1896, II Ankara 2008.

- Yıldız Sadâret Resmî Maruzat Evrakı (Y. A. RES), 81/30.

ثالثاً: المصادر الإنجليزية المعاصرة:

5. Apcar, Diana Agabeg. On the Cross of Europe's Imperialism Armenia Crucified (Yokohama: The Fukuin Printing, 1918).
6. Aslan, Kevork. Armenia and the Armenians from the Earliest Time until the Great War 1914, Translated from the French by Pierre Crabites (New York: The MacMillan, 1920).
7. Dixon-Johnson, C. F. The Armenian Question, its Meaning to great Britain (Leeds : Nutt & Co, 1914).
8. Filian, George H. Armenia and her People, or the story of Armenia (Hartford: American Publishing Company, 1896).

9. Greene, Frederick Davis. The Armenian Crisis in Turkey, (New York: G.P. Putnam's Sons, 1895).
10. Greene, Frederick Davis. Armenian Massacres or The Sword of Mohammed (Philadelphia & Chicago: International Publishing, 1896).
11. Hopkins, J. Castell. The Sword of Islam or Suffering Armenia, Annals of Turkish Power and the Eastern Question (Brantford: The Bradley-Garretson, 1896).
12. Morton, Daniel O. (ed.). Memoir of Rev. Levi Parsons, First Missionary to Palestine from the United States (Hartford: Cooke & Others, 1830).
13. The Missionary Herald, for the year 1895, "Affairs in Turkey" (Boston: Press of Samuel Usher, 1895), Vol. XCI, 1895.
14. Williams, A. W - Gabriel, M. S. Bleeding Armenia, its History and Horrors under the Curse of Islam (Chicago: Publishers Union, 1896).
15. Yenovkian, S. S. Martyred Armenia, A Brief Description of the recent Horrible, Massacres of The Christian Armenians in Turkey (Cleveland: The Brinton, 1896).

رابعاً: المراجع الإنجليزية:

16. Ensor, R. C. K. England 1870-1914 (Oxford: At The Clarendon Press, 1946).
17. Karpat, Kemal H (ed). The Ottoman State and its Place in World History (Leiden: E. Brill, 1947).
18. Langer, William L. The Diplomacy of Imperialism 1890-1902 (New York: Alfred A. Knopf, 1956).
19. Lewis, Bernard. The Emergence of Modern Turkey (Oxford: Oxford University Press, 1968).
20. Redgate, Anne Elizabeth. The Armenians (Oxford: Blackwell, 1998).
21. Walker, Christopher J. Armenia and Carabagh, The Struggle for Unity (London: Minority Rights Publications, 1991).

22. Gordon, Leland G. American Relations with Turkey 1830-1930, An Economic Interpretation (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1932).
23. Grabill, Joseph L. Protestant Diplomacy and the Near East-Missionary Influence on American Policy 1810-1927 (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1971).
24. Leopold, Richard W. The Growth of American Foreign Policy, A History, (New York: Alfred A. Knopf, 1962).
25. Mekhitarian, Vosgan. (ed). Armenians, Twilight of the Ottoman Era, News Reports from the International Press, The New York Times 1890-1914(Armenia: Genocide Documentation& Research Center, 2011).
26. Mirak, R. Torn. Between Two Lands : Armenians in America, 1890 to World War I (Cambridge, Mass, Harvard University Press, 1983).
27. Ramsaur, Ernest Edmondson. The Young Turk, Prelude to the Revolution of 1908 (Princeton: Princeton University Press, 1957).
28. Suslu, Azmi. Massacres by the Armenians Against the Turks (Ankara: Koksav-Kok Social and Strategical Research Foundation, 1991).
29. Woodward, E. L. Great Britain and the German Navy (Oxford: At the Clarendon Press, 1935).

خامساً: المراجع التركية:

30. Açıkses, Erdal. Amerikalıların Harput'taki Misyonerlik Faaliyetleri, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2003).
31. Erhan, Çağrı. Türk Amerikan İlişkilerinin Tarihsel Kökenleri, Ankara, İmge Yay., 2001).
32. Kantarcı, Şenol. Amerika Birleşik Devletleri'nde Ermeniler ve Ermeni Lobisi (İstanbul: Aktüel, 2004).
33. Karacakaya, Recep. Ermenilere Yönelik Ermeni Suikastleri (Istanbul: 47 Numara Yayıncılık, 2006).

34. Kılıç, Davud. Osmanlı Ermenileri Arasında Dini ve Siyasi Mücadeleler (Ankara:Atatürk Araştırma Merkezi Yay., 2012).
35. Kocabaş, Süleyman. Sultan II. Abdülhamid Şahsiyeti ve Politikasi (Istanbul: Vatan Yayinlari, 1995).
36. Öke, Mim Kemal, Ermeni Meselesi 1914-1923 (Istanbul: Fatih Yay., 1986).
37. Mutlu, Şamil. Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okulları (İstanbul: Gökkubbe Yayınları, 2005).

سادساً: الأبحاث الإنجليزية:

38. Douglas, Roy. "Britain and the Armenian Question 1894-7", The Historical Journal, Vol. 19, March 1976, No. I.
39. Erhan, Çağrı. "Ottoman Official Attitudes Towards American Missionaries", The Turkish Yearbook of International Relations, Faculty of Political Science, Ankara University, 2000, Vol. 30, Issue: 0.
40. Zeidner, Robert F. "Britain and the Launching of the Armenian Question", International Journal of Middle East Studies, Cambridge University Press, Vol. 7, No.4, Oct. 1976.
41. Ümit, Devrim. "The American Protestant Missionary Network in Ottoman Turkey 1876-1914", International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 4, No. 6(1); April 2014.
42. Wilson, Ann Marie. "In the Name of God, Civilization, and Humanity: The United States and the Armenian Massacres of the 1890s", Le Mouvement Social, numéro special, L'humanitaire : XIX-XXI siècle, 227, April-June 2009.

سابعاً: الأبحاث التركية:

43. Akgün, Seçil. "Amerikali Misyonerlerin Ermeni Meselesinde Rolü", Osmanli Tarih Araştirma ve Uygulama Merkezi Dergisi (OTAM), Ankara Üniversitesi, sayı 3, 1992.
44. Bağçeci, Yahya. "Osmanli Devleti'nde Amerikan Misyonerlerinin, Ermenilere Yönelik Eğitim Faaliyetleri", Turkish

Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic, Volume 3/4, Summer 2008.
45. Aydın, Mithat. "Amerikan Protestan Misyonerlerinin Ermeniler Arasındaki Faaliyetleri ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkisi" Osmanlı Tarihi Araştırma ve Uygulama Merkezi Dergisi (OTAM), Ankara Üniversitesi, Sayı. 19, 2006.
46. Erdoğan, Dilşen İnce. "Ortak Yaşamdan Çatışmaya Türkler ve Ermeniler: Van Yetimhanesi Örneği 1896-1897", Hoşgörü Toplumunda Ermeniler, Cilt: II, Erciyes Üniversitesi Yayini, 2007.
47. Fendoğlu, Hasan Tahsin "Amerika Birleşik Devletlerinin Misyonerleri ve Osmanlı Devleti", Türkler, Cilt. XIV, Ankara: Yeni Türkiye Yayınları, 2002.
48. Gülery, Yavuz. "Osmanli Devleti Dönemi Türk- Amerikan İlişkileri 1795-1914", Gazi Üniversitesi Kirşehir Eğitim, Fakültesi Dergisi, Cilt 6, Sayı 1, 2005.
49. Günay, Necla "Ermenilerin Avrupa ve Amerika Birleşik Devletleri'nde Yürüttüğü Propaganda Faaliyetleri, Hoşgörüden Yol Ayrımına Ermeniler", Cilt: 3, Erciyes Üniversitesi, 22-24 Mayis 2008. Erciyes Üniversitesi Yayini , 2008.
50. Günay, Nejla. "Amerikan Misyonerlerine Anadolu Halkının Tepkisi ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkileri", Gazi Akademik Bakış, Cilt 1, Sayı 2, Yaz 2008.
51. Kuzgun, Meral. "Ermeni Propagandası Çatısı Altında 1895-1896, Ermeni Olaylarına Genel Bakış ve Amerikan Kızılhaç Heyeti'nin Faaliyetleri", Yeni Türkiye 60/2014.
52. Sezer, Cemal "Amerikan Misyonerlerinin Ermeni Meselesine Etkileri 1890-1914", Hitit Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Yıl:3, S:1-2, Haziran-Aralık, 2010.

ثامناً: الرسائل والأطروحات العلمية الانجليزية:

53. Cleaver, Nicholas. Rise to Power? : The Foreign Policy of the Second Grover Cleveland Administration, 1893-1897, Degree

of Doctor of Philosophy, School of American Studies, University of East Anglia, February, 2012.
54. Fratantuono, Ella M. Self-Righteous Beneficence: American Diplomat and Missionary Perceptions of the Ottoman Empire 1908-1914, Honors Thesis in, Department of History, Richmond: University of Richmond April, 2008.
55. Memiş. Şerif (Eroğlu), Syrian Armenians During the Last Decades of the Nineteenth and the First Quarter of the Twentieth Centuries, The Degree of Master of Science and Arts, The Department of Middle East Studies, Middle East Technical University, December 2007.
56. Stebbins, Jeffrey W. Bell and Banner: Armenian Revolutionaries at the End of the Ottoman Empire, Master of Arts in Security Studies, Naval Postgraduate School, California, December 2011.

تاسعاً: الرسائل والأطروحات العلمية التركية:

57. Akter, Ahmet. Tehcir Öncesi Vilayat-ı Sitte'den Amerika'ya Ermeni Göçüs. Doktora Tezi, Atatürk İlkeleri ve İnkılap Tarihi Enstitüsü, Dokuz Eylül Üniversitesi, İzmir 2006.
58. Karaş, Zeynep. Ermen Terör Örgütü: Asala, Atilim Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitusü, Yüksek Lisans Tezi, Tez Danişmani: Dr. Idris Bal, Ankara, 2007.
59. Özcoşar, İbrahim. 19 Yüzyilda Mardin Süryanileri, Tarih Anabilim Dalı, Yakınçağ Tarihi Bilim Dalı, Doktora Tezi, Tezi Yöneten Doç. Dr. Ayhan Öztürk, Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Nisan 2006.

الهوامش :

(1) Karaş, Zeynep. Ermen Terör Örgütü: Asala, Atilim Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitusü, Yüksek Lisans Tezi, Tez Danişmani: Dr. Idris Bal, Ankara, 2007, s. 1.

(2) Karpat, Kemal H (ed). The Ottoman State and its Place in World History (Leiden: E. Brill, 1947), p. 96.

(3) Lewis, Bernard. The Emergence of Modern Turkey (Oxford: Oxford University Press, 1968), p. 350; Karacakaya, Recep. Ermenilere Yönelik Ermeni Suikastleri (Istanbul: 47 Numara Yayıncılık, 2006), s.11; Karaş. Ermen, s. 3.

(4) Langer, William L. The Diplomacy of Imperialism 1890-1902 (New York: Alfred A. Knopf, 1956), pp. 147-8; Karaş. Ermen, s. 1.

(5) Filian, George H. Armenia and her People, or the story of Armenia (Hartford: American Publishing Company, 1896), p. 21-4.

(6) Dixon-Johnson, C. F. The Armenian Question, its Meaning to great Britain (Leeds : Nutt & Co, 1914), p. 1; Langer. The Diplomacy, pp. 147-8

(7) Redgate, Anne Elizabeth. The Armenians (Oxford: Blackwell, 1998), p. 270; Zeidner, Robert F. "Britain and the Launching of the Armenian Question", International Journal of Middle East Studies, Cambridge University Press, Vol. 7, No.4, Oct. 1976, p. 481.

(8) Walker, Christopher J. Armenia and Carabagh, The Struggle for Unity (London: Minority Rights Publications, 1991), p. 23.

(9) Aslan, Kevork. Armenia and the Armenians from the Earliest Time until the Great War 1914, Translated from the French by Pierre Crabites (New York: The MacMillan, 1920), p. 128; Yenovkian, S. S. Martyred Armenia, A Brief Description of the recent Horrible, Massacres of The Christian Armenians in Turkey (Cleveland: The Brinton, 1896), pp. 9-11.

(10) Ramsaur, Ernest Edmondson. The Young Turk, Prelude to the Revolution of 1908 (Princeton: Princeton University Press, 1957), p. 25; Walker. Armenia, p. 23; Aslan. Armenia, 128; Yenovkian. Martyred, pp. 9-11.

(11) Suslu, Azmi. Massacres by the Armenians Against the Turks (Ankara: Koksav-Kok Social and Strategical Research Foundation, 1991), p. 7.

(12) Walker. Armenia, p. 23.

(13) Kantarcı, Şenol. Amerika Birleşik Devletleri'nde Ermeniler ve Ermeni Lobisi (İstanbul: Aktüel, 2004), s. 59-60; Günay, Nejla. "Amerikan

Misyonerlerine Anadolu Halkının Tepkisi ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkileri", Gazi Akademik Bakış, Cilt 1, Sayı 2, Yaz 2008, s. 119.
(14) Ümit, Devrim. "The American Protestant Missionary Network in Ottoman Turkey 1876-1914", International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 4, No. 6(1); April 2014, p. 18.
(15) Morton, Daniel O. (ed.). Memoir of Rev. Levi Parsons, First Missionary to Palestine from the United States (Hartford: Cooke & Others, 1830), p.221-230; Mutlu, Şamil. Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okulları (İstanbul: Gökkubbe Yayınları, 2005), s. 285-286; Ümit. "The American", p. 24.
(16) Grabill, Joseph L. Protestant Diplomacy and the Near East- Missionary Influence on American Policy 1810-1927 (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1971), p. 33-34; Fratantuono, Ella M. Self-Righteous Beneficence: American Diplomat and Missionary Perceptions of the Ottoman Empire 1908-1914, Honors Thesis in, Department of History, Richmond: University of Richmond April, 2008, p. 21; Kantarcı. Amerika, s. 59-60; Günay. "Amerikan", s. 119;; Kantarcı. "Amerika", s.59-60; Alan - Bolat. "The American", p. 106.
(17) Mekhitarian, Vosgan. (ed). Armenians, Twilight of the Ottoman Era, News Reports from the International Press, The New York Times 1890-1914(Armenia: Genocide Documentation& Research Center, 2011), p. 94.
(18) Wilson, Ann Marie. "In the Name of God, Civilization, and Humanity: The United States and the Armenian Massacres of the 1890s", Le Mouvement Social, numéro special, L'humanitaire : XIX-XXI siècle, 227, April-June 2009, p. 30.
(19) Erhan, Çağrı. Türk Amerikan İlişkilerinin Tarihsel Kökenleri, Ankara, İmge Yay., 2001), s.303-304; Kuzgun, Meral. "Ermeni Propagandası Çatısı Altında 1895-1896, Ermeni Olaylarına Genel Bakış ve Amerikan Kızılhaç Heyeti'nin Faaliyetleri", Yeni Türkiye 60/2014, s. 6.
(20) Karaş. Ermen, s. 11.
(21) Aydın, Mithat. "Amerikan Protestan Misyonerlerinin Ermeniler Arasındaki Faaliyetleri ve Bunun Osmanlı-Amerikan İlişkilerine Etkisi" Osmanlı Tarihi Araştırma ve Uygulama Merkezi Dergisi (OTAM), Ankara Üniversitesi, Sayı. 19, 2006 , s. 90-1.
(22) Ibid, s. 98.
(23) Ibid, s. 100.

(24) Bağçeci, Yahya. "Osmanli Devleti'nde Amerikan Misyonerlerinin, Ermenilere Yönelik Eğitim Faaliyetleri", Turkish Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic, Volume 3/4, Summer 2008, s. 172; Gordon, Leland G. American Relations with Turkey 1830-1930, An Economic Interpretation (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1932), p.7-12; Fendoğlu, Hasan Tahsin "Amerika Birleşik Devletlerinin Misyonerleri ve Osmanlı Devleti", Türkler, Cilt. XIV, Ankara: Yeni Türkiye Yayınları, 2002, s. 194; Akgün, Seçil. "Amerikali Misyonerlerin Ermeni Meselesinde Rolü", Osmanli Tarih Araştirma ve Uygulama Merkezi Dergisi (OTAM), Ankara Üniversitesi, sayı 3, 1992, s. 2.

(25) Leopold, Richard W. The Growth of American Foreign Policy, A History, (New York: Alfred A. Knopf, 1962) p. 105; Cleaver, Nicholas. Rise to Power? : The Foreign Policy of the Second Grover Cleveland Administration, 1893-1897, Degree of Doctor of Philosophy, School of American Studies, University of East Anglia, February, 2012, p. 22.

(26) Sadrıazam ve Yâver-i Ekrem, Fî 13 Saban sene 1310 ve fî 18 Subat sene 1308 / 2 Mart 1893, Bâb-ı Âlî Evrak Odası Ayniyat Defterleri (BEO. AYN. D), 1632/s. 415 . In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007; Erhan, Çağrı. "Ottoman Official Attitudes Towards American Missionaries", The Turkish Yearbook of International Relations, Faculty of Political Science, Ankara University, 2000, Vol. 30, Issue: 0, p. 206; Erhan. Türk, s. 331; Günay. "Amerikan", s. 122;.

(27) Erhan, Türk-Amerikan, s. 331; Günay. "Amerikan", s. 122. Erhan. "Ottoman", p. 206.

(28) Erhan, Türk-Amerikan, s. 331; Günay. "Amerikan", s. 122. Erhan. "Ottoman", p. 206.

(29) Mr. Edwin F. Uhl to Mr. Terrell, Acting Secretary, Department of State, Washington, January 2, 1894, No. 111; Mr. Judson Smith to Mr. Gresham. The American Board of Commissioners for Foreign Missions, Boston, Mass., December 26, 1893.

(30) Mirak, R. Torn. Between Two Lands : Armenians in America, 1890 to World War I (Cambridge, Mass, Harvard University Press, 1983), p. 209; Wilson. "In the name", p. 31.

(31) Bâb-ı Âlî, Nezâret-I, Tercüme Odası, Tarih: 13 Kânûn-ı Sânî sene 1309, Numara: 13, Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS), 2830/1. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi

Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.Wilson. "In the name", p. 31.

(32) Ibid, p. 31-2.
(33) Mekhitarian. Armenians, p. 119.
(34) Ibid, p. 1٢٠.
(35) Mavroyeni Bey to Mr. Gresham, Imperial Legation of Turkey, Washington, January 16, 1894, Translation; Mr. Uhl to Mavroyeni Bey, Department of State, Washington, February 19, 1894; Mavroyeni Bey to Mr. Gresham, Imperial Legation of Turkey, Washington, January 16, 1894, Translation; Mr. Uhl to Mavroyeni Bey, Department of State, Washington, March 16, 1894..
(36) Bâb-ı Âlî, Daire-i Hariciye, Mektubî Kalemi, Aded: 2850, Irade Hususi (I. HUS), 1312 C. /109. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.Wilson. "In the name", p. 31.
(37) Mavroyeni Bey to Mr. Gresham, Imperial Legation of Turkey, Washington, January 16, 1894, Translation; Mr. Uhl to Mavroyeni Bey, Department of State, Washington, February 19, 1894; Mavroyeni Bey to Mr. Gresham, Imperial Legation of Turkey, Washington, January 16, 1894, Translation; Mr. Uhl to Mavroyeni Bey, Department of State, Washington, March 16, 1894..
(38) Mr. Uhl to Mavroyeni Bey, Department of State, Washington, February 19, 1894.
(39) Wilson. "In the name", p. 37.
(40) Özcoşar, İbrahim. 19 Yüzyilda Mardin Süryanileri, Tarih Anabilim Dalı, Yakınçağ Tarihi Bilim Dalı, Doktora Tezi, Tezi Yöneten Doç. Dr. Ayhan Öztürk, Erciyes Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Nisan 2006, s. 288.
(41) Ibid, s. 283.
(42) Açıkses, Erdal. Amerikalıların Harput'taki Misyonerlik Faaliyetleri, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2003), s.117; Özcoşar. 19 Yüzyilda, s. 283.
(43) Özcoşar. 19 Yüzyilda, s. 283; Açıkses. Amerikalıların, s. 181-183.
(44) Özcoşar. 19 Yüzyilda, s. 283; Açıkses. Amerikalıların, s. 182-183.
(45) Wilson. "In the name", p. 32.
(46) Loc. Cit.
(47) Loc. Cit.

(٤٨) اتفاقية برلين في ١٣ يوليه ١٨٧٨م: جاءت لتعديل معاهدة سان استيفانو بعد هزيمة روسيا للدولة العثمانية في الحرب التي نشبت بينهما في الفترة بين عامي ١٨٧٧-١٨٧٨م، حيث اعتبرت القوى الأوروبية الأخرى وخاصة بريطانيا أن بنود معاهدة سان استفانو منحازة كثيراً لروسيا. لذلك طالبت هذه القوى بتنقيح المعاهدة من خلال المشاركة في مؤتمر برلين الذي شاركت فيه: النمسا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والدولة العثمانية، الأمر الذي انتهي بتوقيع اتفاقية برلين، حيث نصت المادة ٦١ و٦٢ من الاتفاقية على تعهد الباب العالي بإجراء الإصلاحات دون تأخير في الولايات التي يسكنها الأرمن وحمايتهم من الشركس والأكراد.

Hurewitz, J. C. Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record 1535-1914 (New Jersey: D. Van Nostrand Co, 1956), Vol. I. Vol. I, 189-91.

(49) Gülery, Yavuz. "Osmanli Devleti Dönemi Türk- Amerikan İlişkileri 1795-1914",Gazi Üniversitesi Kirşehir Eğitim, Fakültesi Dergisi, Cilt 6, Sayı 1, 2005, s. 236.

(50) Kılıç, Davud. Osmanlı Ermenileri Arasında Dini ve Siyasi Mücadeleler (Ankara:Atatürk Araştırma Merkezi Yay., 2012), p.251; Kuzgun. "Ermeni", s. ١٠.

(51) Williams, A. W - Gabriel, M. S. Bleeding Armenia, its History and Horrors under the Curse of Islam (Chicago: Publishers Union, 1896). p.404; Kuzgun. "Ermeni", s. ١٠.

(52) Kılıç. Osmanlı, s.251; Kuzgun. "Ermeni", s. ١٠.

(53) Greene, Frederick Davis. The Armenian Crisis in Turkey, (New York: G.P. Putnam's Sons, 1895); Wilson. "In the name", p. 33.

(54) Wilson. "In the name", p. 33.

(55) The Missionary Herald, for the year 1895, "Affairs in Turkey" (Boston: Press of Samuel Usher, 1895), Vol. XCI, 1895, p. 11-2; Wilson. "In the name", p. 37.

(56) Bâb-ı Âlî, Tercüme Odası, Numara: 23, Tarih: 5 Subat sene 1309, Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS), 2830/2. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007.

(57) Wilson. "In the name", p. 32.

(58) Ibid, p. 32-3.

(59) Erhan. Türk-Amerikan, s. 320-325; Günay. "Amerikan", s. 122.

(60) Erhan. Türk-Amerikan, s. 321; Günay. "Amerikan", s. 123.

(61) Günay. "Amerikan", s. 123.

(62) Loc. Cit.

(63) Kuzgun. "Ermeni", s. ١2-3.

(64) Kuzgun. "Ermeni", s. ١٣.
(65) Mekhitarian. Armenians, p. ٩٠٥.
(66) Ibid, p. ٩٠٥-6.
(67) Ibid, p. ٥٠٨.
(68) Loc. Cit.
(69) Loc. Cit.
(70) Wilson. "In the name", p. 33.
(71) Report America's Relief Expedition to Asia Minor under the Red Cross (Washington DC, The Journal Publishing Co,.1896), p. ١2.
(72) Williams-Gabriel. Bleeding, p. 409-412; Kuzgun. "Ermeni", s. ١١.
(73) Öke, Mim Kemal, Ermeni Meselesi 1914-1923 (Istanbul: Fatih Yay., 1986), p. 112; Memiş. Şerif (Eroğlu), Syrian Armenians During the Last Decades of the Nineteenth and the First Quarter of the Twentieth Centuries, The Degree of Master of Science and Arts, The Department of Middle East Studies, Middle East Technical University, December 2007, p. 16.
(74) Greene, Frederick Davis. Armenian Massacres or The Sword of Mohammed (Philadelphia & Chicago: International Publishing, 1896), p. 422; Kuzgun. "Ermeni", s. ١١; Kuzgun. "Ermeni", s. ١١-2.
(75) Greene. Armenian, s.42٢; Kuzgun. "Ermeni", s. ١١.
(76) Hopkins, J. Castell. The Sword of Islam or Suffering Armenia, Annals of Turkish Power and the Eastern Question (Brantford: The Bradley-Garretson, 1896), p. 403.
(77) Erdoğan, Dilşen İnce. "Ortak Yaşamdan Çatışmaya Türkler ve Ermeniler: Van Yetimhanesi Örneği 1896-1897", Hoşgörü Toplumunda Ermeniler, Cilt: II, Erciyes Üniversitesi Yayini, 2007, s. 21; Kuzgun. "Ermeni", s. ١١-2.
(78) Kuzgun. "Ermeni", s. ١2.
(79) Günay. "Amerikan", s. 123.
(80) Erhan, Türk-Amerikan, s. 327; Günay. "Amerikan", s. 124.
(81) Günay. "Amerikan", s. 124.
(82) Erhan, Türk-Amerikan, s. 327; Günay. "Amerikan", s. 125.
(83) Erhan, Türk-Amerikan, s. 329; Günay. "Amerikan", s. 125.
(84) Mekhitarian. Armenians, p. ٩٠١.
(85) Loc. Cit.
(86) Gülery. "Osmanli", s. 236; Erhan, Türk-Amerikan, s. 321; Günay. "Amerikan", s. 123-4.
(87) Erhan. "Ottoman", p. 207.

(88) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, November 21, 1895, No. 685; Hopkins. The Sword, p. 410; Erhan, Türk-Amerikan, s. 321; Günay. "Amerikan", s. 123-4; Erhan. "Ottoman", p.206-7; Gülery. "Osmanli", s. 236-7.

(89) Tevfik Pasha to Mr. Terrell, Ministry of foreign Affairs, Sublime Porte, Constantinople, December 3, 1895; Günay. "Amerikan", s. 123; Erhan. "Ottoman", p. 206

(90) Mr. Terrell to Mr. Olney, Legation of the United State, Constantinople, November 18, 1895, No. 680; Mr. Terrell to Tewfik Pasha, Legation of the United State, Constantinople, November 18, 1895, No. 99, Inclosure in No. 680; Bâb-ı Âlî, Tercüme Odası, Numara: 230, Tarih: 15 Tesrîn-i Sânî sene 1311, Hariciye Nezâreti Siyasî Kısım (HR. SYS) 2857/91. In: T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 85, Osmanli Belgelerinde Ermeni-Amerikan Ilişkileri 1839-1995, I, Ankara 2007; Erhan, Türk-Amerikan, s. 322; Günay. "Amerikan", s. 123; Gülery. "Osmanli", s. 236.

(91) Erhan. "Ottoman", p. 207.

(92) Akter, Ahmet. Tehcir Öncesi Vilayat-ı Sitte'den Amerika'ya Ermeni Göçüs. Doktora Tezi, Atatürk İlkeleri ve İnkılap Tarihi Enstitüsü, Dokuz Eylül Üniversitesi, İzmir 2006, s. ٣١.

(93) Loc. Cit.

(94) Kuzgun. "Ermeni", s. ١2.

(95) Loc. Cit.

(96) Ibid, s. 6.

(97) Ibid, s. 12.

(98) Ibid, s. ١٠-1.

(99) Mekhitarian. Armenians, p. 711-2.

(100) Bâb-ı Âlî, Daire-i Sadâret, Âmedî-i Divan-ı Hümâyûn, 992, Yıldız Sadâret Resmî Maruzat Evrakı (Y. A. RES), 81/30; Hariciye Nezâreti'nden fî 27 Ağustos sene 1896 tarihiyle, Sefârât-ı Seniyye'ye irsâl kılınacak telgrafnâme-i umumînin tercümesidir, Yıldız Perakende Hariciye Nezâreti (Y. PRK. HR) 22/22 in T.C., Başbakanlik Devlet Arşivleri Genel Müdürlügü, Osmanli Arşivi Daire Başkanliği, Yayın Nu: 96, Osmanlı Belgelerinde Ermeni Isyanları 1895-1896, II Ankara 2008; Stebbins, Jeffrey W. Bell and Banner: Armenian Revolutionaries at the End of the Ottoman Empire, Master of Arts in Security Studies, Naval Postgraduate School, California, December 2011, p. 80; Suslu. Massacres, p.١٤.

(101) Mekhitarian. Armenians, p. ٨٠٥.

(102) Günay. "Amerikan", s. 125.
(103) Erhan, Türk-Amerikan, s. 332; Günay. "Amerikan", s. 126.
(104) Günay. "Amerikan", s. 126.
(105) Erhan, Türk-Amerikan, s. 332; Günay. "Amerikan", s. 126.
(106) Gülery. "Osmanli ", s. 236.
(107) Erhan. "Ottoman", p. 207.
(108) Wilson. "In the name", p. 41.
(109) Sezer, Cemal "Amerikan Misyonerlerinin Ermeni Meselesine Etkileri 1890-1914", Hitit Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Yıl:3, S:1-2, Haziran-Aralık, 2010, s.65 ; Günay, Necla "Ermenilerin Avrupa ve Amerika Birleşik Devletleri'nde Yürüttüğü Propaganda Faaliyetleri, Hoşgörüden Yol Ayrımına Ermeniler, Cilt: 3, Erciyes Üniversitesi, 22-24 Mayis 2008, Erciyes Üniversitesi Yayini , 2008, s. 366; Kuzgun. "Ermeni", s. ١3.
(110) Currie to Salisbury, 28 Oct. 1897, Salisbury A. 137, fos. 145-9, In Douglas, Roy. "Britain and the Armenian Question 1894-7", The Historical Journal, Vol. 19, March 1976, No. I, p. 132.
(111) Kocabaş, Süleyman. Sultan II. Abdülhamid Şahsiyeti ve Politikasi (Istanbul: Vatan Yayinlari, 1995), s. 196.
(112) Ensor, R. C. K. England 1870-1914 (Oxford: At The Clarendon Press, 1946). p, 220; Woodward, E. L. Great Britain and the German Navy (Oxford: At the Clarendon Press, 1935), pp. 144-5.
(113) Apcar, Diana Agabeg. On the Cross of Europe's Imperialism Armenia Crucified (Yokohama: The Fukuin Printing, 1918), p. 20.

سيرة وحياة الخطيب البغدادي

أ.د.كاظم ستر العلاق

جعفر جمعة فاخر الشوكي

كليـة التربيـة /ابن الرشد للعلوم الإنسانية

قسـم التـاريـخ

سيرة وحياة الخطيب البغدادي

أ.د.كاظم ستر العلاق
جعفر جمعة فاخر الشوكي

١-اسمه:

الفقيه الحافظ المؤرخ محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن أبي الحسن البغدادي الإمام في الصنعة انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان ومن العلماء المتبحرين وكان فقيها فغلب عليه الحديث والتاريخ وكان فصيح اللهجة عارفا بالأدب ولوعا بالمطالعة والتأليف وكان إمام عصره بلا مدافعة وحافظ وقته بلا منازعة واحد الأئمة المشهورين والمصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين ومن ختم به ديوان المحدثين[١]

٢-نسبه :

ونسبة يرجع إلى قبيلة عربية لم يخبره أبوه باسمها بل اكتفى بذكر أصله من العرب .

وإلى ذلك يشير الخطيب البغدادي[٢] قائلا : "وكان أبي يذكر أن أصله من العرب وإن له عشيرة يركبون الخيول ومسكنهم في الجصاصة [٣] من نواحي الفرات" ، فبقى معرفة عشيرته مجهولا عند الباحثين .

٣-ولادته :

اختلف المؤرخون في زمانها ومكانها :

أشار البعض إلى أنه ولد في يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة (٣٩٢ هـ/١٠٠١م) [٤] .

وذهب بعض المؤرخين إلى أن ولادة الخطيب البغدادي في سنة(٣٩١هـ/١٠٠٠م) [٥]

ذهب ابن كثير[٦] إلى ذكر القولين في مولده قائلا : ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وقيل سنة ثنتين وتسعين .

غير أن الخطيب البغدادي[٧] رفع الاختلاف والشك في تاريخ مولده عندما ذكر تاريخ ولادته قائلا : "أنا أول ما سمعت الحديث وقد بلغت إحدى عشرة سنة لأني ولدت في يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وأول ما سمعت في المحرم سنة ثلاث وأربعمائة" .

فيكون الخطيب البغدادي أغلق النقاش بين المؤرخين الذين اختلفوا في تاريخ مولده فمنهم من ذهب إلى (٣٩١ هـ/١٠٠م) ومنهم من ذهب إلى (٣٩٢ هـ/١٠٠١م)، ومنهم من جمع القولين غير أن الطرف الذي ذهب إلى سنة (٣٩٢هـ/١٠٠١م) هو الأصح في تاريخ ولادته كما وضح الخطيب البغدادي ذلك .

وذهب بعض المؤرخين إلى مولده في قرية من إعمال نهر الملك [٨] في بغداد[٩].

وذهب البعض الآخر إلى أن مولده كان في غزية [١٠] من أعمال وادي ملل [١١] في الحجاز [١٢]

٤- لقبــه :

حاز الخطيب البغدادي على أكثر من لقب ولكنه في نهاية المطاف اشتهر بلقب غطى على جميع ألقابه الأخرى وهو لقب الخطيب البغدادي فقد بلغ أحمد بن علي بن ثابت الشهرة تحت عنوان لقبه بالخطيب البغدادي عند المؤرخين [١٣] . كما ثبت ذلك اللقب على مؤلفات الخطيب البغدادي المختلفة [١٤] .

ومن ألقابه التي ذكرت : الحافظ [١٥] ، الخطيب [١٦] ، أبو بكر الخطيب [١٧] ، أبو بكر البغدادي [١٨] .

وذكر السمعاني[١٩] إنه لقب بالخطيب البغدادي : "نسبة إلى الخطابة على المنابر" .

وفي ذلك يُشير الخطيب البغدادي[٢٠] قائلا : "أصحاب الألقاب من أهل العلم قد غلبت ألقاب جماعة على أسمائهم فاقتصر على ذكر ألقابهم في الرواية عنهم" .

وكلام الخطيب السابق ينطبق عليه نفسه إذ أن لقبه بالخطيب البغدادي قد غطى على اسمه وجميع ألقابه الآخرى فقد اكتسبه من عمله في الخطابة وتأليفه لكتابه تاريخ بغداد الذي اكتسب به أكبر شهرته وهذا واضح من مراجعة ترجمة حياته عند المؤرخين .

٥-كنيتــه :

ذكر الخطيب البغدادي [٢١] أنَّ : "الاقتصار على الاسم والنسب والاكتفاء بذكر الكنية واللقب جماعة من المحدثين تقتصر في الرواية عنهم" .

كان الخطيب البغدادي يثبت له كنيه بعد ذكره قول وهو يذكر رأيا فيه قائلا : "قال أبو بكر : إذا كان الطالب للحديث عزبا فآثر طلب العلم على الاحتراف فان الله تعإلى يعوضه ويأتيه بالرزق من حيث لا يحتسب كماً " [٢٢] .

يفهم من قول الخطيب انه يفضل العزوبية لطالب العلم ، وأفرد باباً لذلك وجاءه فيه " إيثار العزوبة للطالب وتركة التزويج المستحب للطالب الحديث أن يكون عزبا ما أمكنه ذلك لئلا يقتطعه الاشتغال بحقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة عن الطلب"[٢٣] .

ما هو المدرك عند الخطيب بقوله المستحب لطالب العلم أن يبقى بلا زواج حتى يكون طالب العلم بلا زواج متفرغ تماما لطلب العلم ، فلو كان الزواج فيه مضرة لطالب العالم كما يفهم من كلامه ، لما تزوج الأنبياء والأولياء والعلماء الذين سبقوا الخطيب عمرا وعلما ولما أكد الله على ضرورة الزواج بقوله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢٤] فقد أكدت الروايات الشريفة والأبحاث العلمية فيها قضاء العديد من المشكلات التي يمر بها طالب العلم بشكل خاص وكل شخص بشكل عام. وذكر الذهبي[٢٥] قائلا : "لما رجع الخطيب من الشام كانت له ثروة من الثياب والذهب وما كان له عقب فكتب إلى القائم بأمر الله إن مالي يصير إلى بيت المال فأذن له "

فإنه كنيتُهُ بابي بكر هي كنية اعتبارية وليست حقيقة فلم يكن له عقب يذكر فبعد مراجعة المصادر لم نجد في جميعها تقريبا من يذكر ابنا له أو زوجا وعند متابعة

حياته على كافة المستويات العلمية والاجتماعية والسياسية يفهم أنه كان بمفرده ولم يذكر في جميع محطات حياته أنّه كانت له زوجه أو أولاد [٢٦] .

٦-نشأته وشيوخه وتلاميذه :

أ-نشأته :

نشأ ببغداد وبدأ بدرزيجان [٢٧] قرية أسفل بغداد وكان أبوه إماما وخطيبا لمسجدها عشرين سنه ، وأول ما سمع الحديث سنة ثلاث وأربع مئة وله إحدى عشرة سنة ، وقرأ القرآن وتفقه على يد هلال بن عبد الله الطيبي [٢٨] (ت : ٤٢٢ هـ-١٠٣٠ م) كما استفاد أيضا من منصور الحبال[٢٩] في القراءات[٣٠] ، أكثر من سماع الحديث ببغداد في عام (٤٠٣ هـ/١٠١٢م) ، بعد دخوله في حلقة أبي الحسن بن رزقوية بجامع بغداد في المحرم ، سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م) ، ثم انقطع وأخذ يتردد على مجلس أبي حامد الأسفرائيني في[٣١] مسجده (ت : ٤٠٦ هـ/١٠١٥م) وبعد وفاة الحبال أفاد الخطيب من ابن الصيدلاني[٣٢] الذي كان يعلم القراءات في جامع الدار قطني (ت : ٣٨٥هـ/٩٩٥ م) ثم عاد الخطيب إلى حلقة ابن رِزْقَوَية (ت : ٤١٢ هـ-١٠١٢ م) مره أخرى في بداية سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م) ، وواظب على ذلك حتى سنة (٤١٢ هـ/١٠٢١م) ، وقد أفاد الخطيب من شيخه ابن رزقوية فتحمل عنه سماعا وإجازة روايات من مصنفات عديدة مشهورة ألفها ومعظمها يتعلق بالحديث والرجال[٣٣] خلال مدة الانقطاع ليأخذ منه فقه الشافعي ويدرسه على يد ابن المحاملي[٣٤] وأبي الطيب الطبري[٣٥] (ت:٤٥٠ هـ-١٠٥٨) فلم يمنع الخطيب شغفه بالحديث من متابعة تحصيل الفقه[٣٦] .

وقد أفاد الخطيب من محدث بارز آخر هو أبو بكر البرقاني[٣٧] الذي كان الخطيب يجله فكان له اثر كبير في توجيهه نحو الحديث وقد تحمل عن البرقاني مصنفات عديدة سماعة وإجازة [٣٨] . وقد أفاد الخطيب عن عدد كبير من العلماء البغداديين وكذلك من العلماء الواردين على بغداد ممن استقوا العلم منها وتأثروا بثقافة علمائها وسمعوا عليهم مصنفاتهم أو مصنفات المؤلفين القدامى التي ملكوا حق روايتها سماعا

أو إجازة [٣٩] . سمع خلقا كثيرا وروى عن جم غفير [٤٠] ومن هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم الخطيب العلم وروى عنهم في كتابه تاريخ بغداد وأشهرهم.

ب-شيوخه :

١. محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق بن عبد الله بن يزيد بن خالد أبو الحسن البزاز ابن رزقويه ، هو أول شيخ حدثت عنه وأول ما سمعت منه في سنة ثلاث وأربعمائة ، وكتبت عنه إملاء مجلساً واحداً ثم انقطعت عنه إلى أول سنة ست عدت فوجدته قد كف بصرة فلازمته إلى آخر عمره وكانت وفاته غداة يوم الاثنين سادس عشر من جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن من يومه بعد صلاة الظهر في مقبرة باب الدير بالقرب من معروف الكرخي وصلى عليه ابنه أبو بكر وحضرت الصلاة عليه [٤١] .

٢. محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم ، أبو الحسين الأزرق القطان ، متوثي الأصل كتبت عنه كان ثقة توفي عند انتصاف الليل من ليلة الاثنين الثالث من شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة ودفن في صبيحة تلك الليلة في مقبرة الدير وكنت إذ ذاك غائبا في رحلتي إلى نيسابور [٤٢] .

٣. علي بن أحمد بن عمر بن حفص، أبو الحسن المقرى المعروف بابن الحمامي، سمع أبا عمرو بن السماك وأحمد بن سلمان النجاد وجعفر الخلدي ، روى عنه أبو بكر الخطيب وقال : كتبت عنه وكان صادقا دينا فاضلا حسن الاعتقاد وتفرد بأسانيد القراءات وعلوها في وقته ، وكان يسكن بالجانب الشرقي في ناحية سوق السلاح في درب الغابات ، مات يوم الأحد الرابع والعشرين من شعبان سنة سبع عشرة وأربعمائة[٤٣] .

٤. هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم الرازي طبري الأصل ، ويعرف باللاكائي : قدم بغداد فاستوطنها ودرس فقه الشافعي على يد أبي حامد الاسفراييني ، وسمع عيسى بن علي وأبا طاهر المخلص وأبا الحسن بن الجندي

وطبقتهم من بعدهم كتبنا عنه وكان يفهم ويحفظ وصنف كتابا في السنن وكتابا في شرح السنة ، مات بالدينور وكان خرج إليها لحاجة فتوفي يوم الثلاثاء لست خلون من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة [٤٤] .

٥. أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد أبو الحسن الضبي ، المعروف بابن ألمحاملي ، أحد الفقهاء المجودين على مذهب الشافعي ، كان قد درس على أبي حامد الاسفراييني ، وبرع في الفقه ورزق الذكاء وحسن الفهم ما أربى به على أقرانه ، وهو أول من علقت منه وكان قد سمع من محمد بن المظفر وطبقته ، وسألته غير مرة أن يحدثني بشيء من سُماعِهِ يعدني بذلك يرجئ الأمر إلى أن مات ولم أسمع منه إلا خبر محمد بن جرير الطبري عن قصة الخراساني الذي ضاع همیانة بمكة ولا اعلم سمع منه احد غيري ، مات ابن المحاملي في يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة [٤٥] .

٦. عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشر أن بن محمد بن محمد بن بشر بن مهران أبو القاسم الأموي الحافظ كتبت عنه وكان صدوقا ثبتا صالحا ، وكان يشهد قديما عند الحكام ثم ترك الشهادة رغبة عنها ، مات في صبيحة مقبرة المالكية إلى جنب أبي طالب المكي وهو كان أوصى بذلك ، وصلينا عليه في جامع الرصافة وكان الجمع كثيرا يتجاوز الحد ويفوت الإحصاء وكان يسكن درب الديوان من الجانب الشرقي بالقرب من جامع المهدي[٤٦] .

٧. الحسن بن الحسين بن الفضل بن المغيرة ، أو علي المعروف بابن دوما ألنعالي ، من أهل الجانب الشرقي ، كتبت عنه وكان كثير السمع إلا انه افسد أمره بان الحق لنفسه السماع في أشياء لم تكن سماعه ، مات يوم السبت ودفن يوم الأحد الخامس من ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة[٤٧] .

٨. محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي أصله من فم الصلح ونشأ بواسط وحفظ بها القرآن وقرأ على شيوخها في وقته ، كتبت عنه

منتخبا وكان من أهل العلم بالقراءات ورأيت عنده أصولا صحيحه وأصولا مضطربة وانه كان يزور لنفسه السماعات ، مات ليلة الاثنين الثالث والعشرون من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ودفن يوم الثلاثاء في دارة وصليت عليه [٤٨] .

٩. عمر بن إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم بن بجاد بن موسى ابن سعد بن أبي وقاص ، أبو طالب الزهري الفقيه الشافعي المعروف بابن حمامه ، كتبت عنه وكان ثقة ، مات في ليلة الاثنين تاسع جمادى الآخرة من سنة أربع وثلاثين وأربع مائة ودفن في صبيحة يوم الثلاثاء العاشر من الشهر في مقبرة باب الدير وصليت عليه [٤٩] .

١٠. عبيد الله بن أبي الفتح أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر بن إبراهيم بن قيم، كان أحد المكثرين من الحديث كتابة وسماعة ومن المعنيين به ، والجامعين له مع صدق وأمانة وصدق وصحة واستقامة ، وسلامة مذهب وحسن معتقد ودوام درس للقرآن وسمعت منه المصنفات الكبار والكتب الطوال ، مات في يوم الثلاثاء التاسع عشر من صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ودفن من الغد في تربة كانت له آخر درب الآجر مما يلي نهر عيسى وحضرت الصلاة عليه[٥٠] .

١١. الحسين بن علي بن محمد بن جعفر أبو عبد الله القاضي الصيمري ، سكن بغداد وكان أحد الفقهاء المذكورين من العراقيين حسن العبارة جيد النظر وتولى قضاء المدائن ، ثم تولى قضاء ربع الكرخ ، كتبت عنه ، كان صدوقا وافر العقل جميل المعاشرة عارفا بحقوق أهل العلم ، مات يوم الأحد الحادي والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وأربعمائة ودفن في دارة [٥١] .

١٢. علي بن محمد بن الحسن ، أبو الحسن الحربي السمسار يعرف بابن قشيش ، كتبت عنه وكان صدوقا يتفقه بمذهب مالك وكان حسن الصوت بالقرآن ، مات يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ودفن[٥٢].

١٣. الحسين بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن ثابت بن جعفر بن عبد الكريم أبو الفرج الطناجيري ، كتب عنه وكان دينا مستورا ثقة صدوقا ، مات في ليلة الثلاثاء سنه تسع وثلاثين وأربعمائة ودفن يوم الثلاثاء [٥٣] .

١٤. الحسن بن محمد بن الحسن بن علي ، أبو محمد بن أبي طالب الخلال ، كتبت عنه وكان ثقة له معرفة وتنبه وخرج المسند على الصحيحين وجمع أبوابا وتراجم كثيرة ، مات في ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ودفن يوم الثلاثاء في مقبرة باب حرب حضرت الصلاة عليه في جامع المدينة [٥٤] .

١٥. محمد بن علي بن عبد الله بن محمد ، أبو عبد الله الصوري [٥٥] ، قدم علينا في سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وأقام ببغداد يكتب الحديث ، وكان من أحرص الناس عليه وأكثرهم كتبا له ، وأحسنهم معرفة به ولم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث وكان دقيق الخط ، وصحيح النقل ، وكان صدوقا كتبت عنه ، وكتب عني شيئا كثيرا ، ولم يزل في بغداد حتى توفي بها في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، ودفن من الغد في مقبرة جامع المدينة ، وحضرت الصلات عليه [٥٦] .

١٦. أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن منصور أبو الحسن المجهز التوزي ، المعروف بالعتيقي[٥٧] كتبت عنه وكان صدوقا ثقة ، مات سحر يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من صفر سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وصلينا عليه في ذلك اليوم[٥٨] .

١٧. أحمد بن علي بن الحسين بن محمد بن موسى أبو الحسين المحتسب ، المعروف بابن التوزي ، كتبت عنه وكان صدوقا كثير الكتاب ، مديما لحضور المجالس والسماع معنا ، مات في ليلة الأربعاء ، ودفن في صبيحة يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة [٥٩] .

١٨. عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل بن شكر بن بكر أن ، أبو القاسم الخياط كتبت عنه وكان صدوقا كثير الكتاب ، مات في ليلة الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وأربعين وأربعمائة ودفن من الغد وهو يوم الاثنين[٦٠] .

١٩. إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن بهران أبو إسحاق المعروف بالبرمكي[٦١] ، كتبت عنه وكان صدوقا دينا فقيها على مذهب أحمد بن حنبل ، مات في يوم الأحد ودفن في يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة سنة خمس وأربعين وأربعمائة، وكنت إذ ذلك بمكة[٦٢] .

٢٠. عبد العزيز بن محمد بن علي بن أبو القاسم المطرز ، المعروف بابن حريقا ، كتبت عنه وكان صدوقا ، مات في جمادى الآخرة من سنة تسع وأربعين وأربعمائة[٦٣].

٢١. عبد العزيز بن علي بن محمد بن عبد الله بن بشر ان ، أبا الحسن الطيب كتبت عنه ، وكان سماعه صحيحا ، مات يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة خمسين وأربعمائة [٦٤] .

٢٢. الدربندي الحافظ الإمام الجوال أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي البلخي ، حدث عنه الخطيب ، توفي في شهر رمضان سنة ست وخمسين وأربعمائة[٦٥].

٢٣. أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران الإمام الجليل الحافظ أبو نعيم الاصبهاني الصوفي رحل إليه الحفاظ من الأقطار ، رحل إليه الخطيب البغدادي وهو من أخص تلامذته وأكثر عنه ، ومع ذلك لم يذكره في تاريخ بغداد ولا يخفى عليه انه دخلها [٦٦] .

لم يتحدد الخطيب البغدادي بشريحة علمية أو عمرية محددة من خلال كثرة شيوخه الذين روي عنهم أو لم يروِ ، والذين التقى بهم وكتب عنهم بل كان من خلال شيوخه الذي مرت ترجمتهم في الصفحات السابقة وغيرهم انه كان يأخذ من الجميع الصغير والكبير فقد ذكر الخطيب البغدادي[٦٧] بخصوص العلم قائلا : "لا يكون الرجل عالم حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو دونه وعمن هو مثله" ، وكان

حريصا على الوقت فقد كان يقرأ في الكتاب وهو يمشي في الطريق ، ذكر ابن الجوزي قائلا : "وكان الخطيب يمشي في الطريق وفي يده جزء يطالعه" [٦٨] .

تلامذته :

١. محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور ، أبو بكر ، كان معروفا بالإفادة وجودة القراءة وحسن الخط وجودة النقل ، وجمع علم القراءات والحديث ، حدث عن أبي بكر الخطيب ، كان رجلا صالحا حسن الأخلاق [٦٩] .
٢. حيدرة بن أحمد بن الحسين بن تراب الأنصاري المقرئ المعروف بالخروف ، سمع أبا بكر الخطيب ، توفي يوم السبت ودفن يوم الأحد ستة وخمس مائة[٧٠].
٣. المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبيد الله الساجي ، الحافظ أبو نصر، سمع أبا بكر البغدادي ، حافظ متقن ، توفي في صفر سنة سبع وخمسمائة ببغداد[٧١].

وذكر ابن عساكر[٧٢] قائلا : "قال المؤتمن بن أحمد بن علي الحافظ ببغداد يقول ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني أحفظ من أبي بكر الخطيب" .

٤. علي بن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن الحسين ، أبو القاسم العلوي الحسيني ، ويعرف بالنسيب ، خطيب دمشق في أيام المصريين وكان سنيا حسن السيرة مرضي الأمر ممدوح بكل لسان ، قدم بغداد ، وسمع من أبيه وجده وأبي بكر الخطيب ، واخرج له الخطيب فوائد عن شيوخه في عشرين جزءا ، توفي الجمعة عاشر ربيع الآخر بدمشق في السنة الثامن وخمس مئة [٧٣] .
٥. غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن أبي الحسين الصوري ، خطيب صور ، سمع بصور أبو بكر الخطيب وروى عنه بيتين من شعر ، توفي يوم الأحد ودفن يوم الاثنين الرابع والعشرين من سفر من سنة تسع وخمسمائة[٧٤].
٦. ابن السمرقندي عبد الله بن أحمد بن عمر ، الإمام المحدث المتقن ، سمع أبا بكر الخطيب ، كان عالما فاضلا ثقة ، مات في ربيع الآخر سنة ست عشرة وخمس مائة [٧٥] .

٧. محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق بن عثمان بن أحمد الزعفراني ، الفقيه الشافعي سمع الحديث في بغداد من أبي بكر الخطيب وسمع منه بصور ، وكان شيخا فاضلا ورعا دينا ، توفي سنة سبع عشرة وخمس مائة ودفن ببغداد[٧٦] .

٨. أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، الشريف أبو السعادات ، روى عن الخطيب ، مات شهيدا بعد إن صلى صلاة التراويح في شهر رمضان ليلة سبع وعشرين من سنة إحدى وعشرين وخمس مائة ، وقع من السطح فمات رحمه الله[٧٧] .

٩. عبد الكريم بن حمزة بن الخضر بن العباس أبو محمد السلمي الحداد ، الشيخ المسند ، كان سهلا في الرواية وكان ثقة مستورا ، سمع أبو بكر الخطيب ، توفي في ذى العقدة سنت ست وعشرين وخمس مائة [٧٨] .

١٠. الواسطي أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد ، الإمام الثقة المحدث ، سمع أبا بكر الخطيب ، شيخ ثقة صالح مكثر ، مات في ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وخمس مائة عن ست وثمانين سنة [٧٩] .

١١. بركات بن عبد العزيز بن الحسين بن أحمد أبو الحسن بن أبي محمد ألأنماطي ، حدث عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، كان مستورا حافظا للقرآن ولم يكن الحديث من شانه ، توفي يوم السبت ثامن عشر من رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة [٨٠] .

١٢. طاهر بن سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد أبو محمد بين أبي الفرج الاسفرايني، سمع أبا بكر الخطيب ، توفي ليلة الجمعة ودفن بعد صلاة الجمعة للسابع من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة [٨١] .

١٣. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن منازل أبو منصور القزاز، المعروف بابن زريق ، حدث عن أبي بكر الخطيب بكتاب التاريخ سمعه منه سوى جزء واحد ، قال توفيت أمي وانشغلت بدفنها والصلاة عليها ففاتتني هذا الجزء وما

أعيد لي لأن الخطيب شرط في الابتداء أن لا يعيد الفوات لأحد ، كان شيخا صالحا من أولاد المحدثين صبورا حسن الأخلاق ، توفي في يوم الخميس الرابع عشر من شوال سنة خمس وثلاثين وخمس مائة [٨٢] .

الهوامش :

(١) ينظر ترجمته : الشافعي ، أحمد بن أحمد قاسم (ت : ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م) اللباب في الفقه الشافعي ، تحقيق : عبد الكريم العمري ، دار البخاري ، (السعودية ، ١٤١٦ هـ) ، ص١٩؛ ابن مأكولا ، سعد الملك علي بن هبة اللّه بن جعفر (ت : ٤٧٥ هـ/١٠٨٢ م) تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولى الإفهام ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٠ هـ) ، ص٨ ؛ ابن الاكفاني ، هبة اللّه بن أحمد بن محمد(ت : ٥٢٤ هـ/١١١٩ م) ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق : عبد الله بن أحمد ، دار العاصمة ، (الرياض ، ١٤٠٩هـ) ص٣٢ ؛ السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت : ٥٦٢ هـ/١١٦٦ م) الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن اليماني ، دائرة المعارف العثمانية ، (د . م ، ١٣٨٢ هـ) ، ج ٥ ، ص١٦٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ج٥، ص٣١ ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ١٤١٢ هـ) ، ج ١٦ ، ص١٢٩؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م) معجم الأدباء، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، ١٤١٤هـ) ، ج ١ ، ص٣٨٤ ؛ ابن نقطة ، أبو بكر معين الدين (ت ٦٢٩ هـ/١٢٣١ م) التقييد في معرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمي (بيروت ، ١٤٠٨هـ) ، ص١٥٣؛ الحنبلي ، تقي الدين إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت : ٦٤١ هـ/ ١٢٣٩م) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق: خالد حيدر ، دار= =الفكر، (بيروت ،١٩٩٤ م) ، ص١١٢؛ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف (ت : ٦٥٤هـ/١٢٥٦ م) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق : محمد تنس الحسن ، كامل محمد الخروط ، دار الرسالة العالمية ، (بيروت ، ١٤٣٤هـ) ، ج ١٩ ، ص٢٣٩؛ ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، ط ٥ ، (بيروت ، ١٤٣٠هـ) ، ج١ ، ص٩٢ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل أيبك (ت : ٧٦٤هـ/١٣٢٦ م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت ، ١٤٢٠هـ) ، ج ٧ ، ص١٢٦ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص٣٥٩ .

(٣) وهي من قرى السواد قرب قصر ابن هبيرة من أعمال الكوفة ، ينظر ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان ، دار صادر ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٩٥م) ، ج ٢ ، ص٢٦٣ .

(٤) ابن الاكفاني ، ذيل مولد تاريخ العلماء ووفياتهم ، ص٣٢ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج ٥، ص١٦٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٥ ، ص٣٤ ؛ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١، ٩٢ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة، ١٤٢٧هـ)، ج١٣ ، ص٤١٩؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ج٧، ص١٩١؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب(ت:٧٧١ هـ/١٣٦٩م)= =طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود طناحي وعبد الفتاح محمد حلو ،هجر للطباعة والنشر، ط ٢ ، (د.م ، ١٤١٣هـ) ، ج ٤ ، ص٢٩ ؛ ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد (ت: ١٠٣٢هـ/١٦٢٢ م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د . م) ، ج ٣ ، ص٣١٠

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٦ ، ص١٢٩؛ ابن نقطة ،أبو بكر معين الدين (ت : ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، أكمال الإكمال ، تحقيق : عبد القيوم عبد ريب النبي ، جامعة أم القرى ، (السعودية ، ١٤١٠ هـ) ، ج ١ ، ص١٠٤؛ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، ص١٥٣؛ ابن تغر بردي ، جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت : ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،وزارة الثقافة والإرشاد،(مصر،د.ت)،ج ٥، ص٨٧ .

(٦) أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة ، (د.م ، ١٤١٨هـ) ، ج ١٦ ، ص٢٧ .

(٧) تاريخ بغداد ، ج ١١ ، ص٢٦٥ .

(٨) هو كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال انه يشتمل على ثلاثة مائة وستين قرية على عدد أيام السنة ، وقيل انه أول من حفره النبي سليمان بن داود عليه السلام ، وقيل حفره الاسكندر لماخرب السواد وكذلك الصراة ، وقيل حفرة اقفور شاة بن بلاش وهو الذي قتل اردشير، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص٣٢٤ ؛ غي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، مطبعة الرابطة ،(بغداد ، ١٣٧٣هـ) ص٩٣.

(٩) ينظر ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٥ ، ص٣١ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٦ ، ص١٢٩ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص٤٢٦ ؛ الصفدي ، الوافي الوفيات ، ج ٧ ، ١٣٦ .

(١٠) هو موضع قرب فيد وبينهما مسافة يوم وثم ماء يقال له غمر غزية قيل انه أغزر ماء لغنى وهو قرب جبلة عن نصر ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٤، ص٢٠٣.

(١١) هو موضع في طريق مكة بين الحرمين ويبعد ٢٨ ميلا عن المدينة سميت بهذا الاسم لأنه قاصدها يبلغها بعد جهد وملل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص٣٢٤.

(١٢) الزر كلي ، خير الدين بن محمود بن محمد (ت : ١٣٩٦هـ/١٩٧٦ م) ، الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من الرجال والنساء والعرب والمستعربين ، دار العلم للملاين ، ط١٥ ، (د.م ، ١٤٢٤هـ) ، ج١ ، ص١٧٢ .

(١٣) الجرجاني ، يحيى بن الحسين بن إسماعيل (ت:٤٩٩هـ/١١٠٥ م) ترتيب الأمالي الخميسية الشجرية، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية،(بيروت، ١٤٢٢هـ)، ج٢، ص٣٣٥؛ المقدسي، شرف الدين علي بن المفضل بن علي (ت:٦١١هـ/١٢١٤م)=كتاب الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين ، تحقيق : محمد سالم ألعبادي ، أضواء السلف ، (د.م ، د.ت) ، ص٤٩٧ .

(١٤) ومن تلك المؤلفات هي : أربع مجالس ، مسلسل العيدين ، عوالي مالك ، صلاة التسبيح ، الزهد والرقائق ، تلخيص المتشابه ، البخلاء ، تقيد العلم ، شرف أصحاب الحديث ، الفقيه والمتفقه ، المتفق والمفترق ، السابق واللاحق في ، نصيحة أهل الحديث ، وغيرها من المؤلفات الأخرى ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص١٥-٢١ ؛ العش ، يوسف بن رشيد ، مؤرخ بغداد ومحدثها ، مطبعة الترقي، (دمشق، ١٣٦٤هـ) ، ص١٢٠-١٣١ .

(١٥) السمعاني ، الأنساب ، ج ٥ ، ص١٦٦ .

(١٦) (١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص٢٦٥ .

(١٧) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص١٣ .

(١٨) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص١٣ .

(١٩) الأنساب ، ج ٥ ، ص١٦٦ .

(٢٠) أحمد بن علي بن ثابت (ت : ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ،الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق : محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، (د.ط ، د.م) ، ج ٢ ، ص٧٤ .

(٢١) الجامع لأخلاق الراوي ، ج ٢ ، ص٧٢ .

(٢٢) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي ج ١ ، ص١٠٤ .

(٢٣) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي ، ج ١ ، ص١٠١ .

(٢٤) سورة الروم : الآية : ٢١ .

(٢٥) سير أعلام النبلاء : ج ١٨ ، ص٢٨٥ .

(٢٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٨-١٣ .

(٢٧) هي قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة في الجانب الغربي منها ، كان والد أبي بكر أحمد الخطيب البغدادي يخطب بها ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص٤٥٠.

(٢٨) أبي الطيب الطبري : هو هلال بن عبد الله بن محمد أبو عبد اللّه ألطيبي المعلم ، يروى عن ابن مالك وابن إسماعيل روى عنه أبو بكر الخطيب ، وقال عنه مؤدبي ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٧ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج ٩ ، ص١٢١ ؛ابن عساكر ، تاريخ ، دمشق ، ج ٥ ، ص٣١ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٩ ، ص٢٣٩-٢٤٠ .

(٢٩) منصور الحبال : هو أحمد بن محمد بن إسحاق أبو منصور ، كنت اقرأ عليه وأتلقنُ منه مات سنة ثلاثين وأربع مائة ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٥، ص١٥٦.

(٣٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٥ .

(٣١) الاسفراييين: هو أحمد بن محمد شيخ طريقة العراق ، ينظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص٦١.

(٣٢) أبو علي أحمد بن محمد بن إبراهيم الصيدلاني ، ينظر : الخطيب البغدادي ،أحمد بن علي بن ثابت (ت : ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، الكفاية ، تحقيق : أبو عبد اللّه السروقي وإبراهيم حميد المدني ، المكتبة العلمية ، (السعودية ، د . ت) ، ص١٧٣ .

(٣٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٥ ؛ وينظر: سبط ابن الجوزي ، ج ١٩ ، ص٢٤٠.

(٣٤) ابن ألمحاملي : هو أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن الظبي المعروف بابن ألمحاملي فقيه شافعي بارز ، ينظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص١٨ .

(٣٥) أبو الطيب الطبري : هو طاهر بن عبد اللّه ، فقيه شافعي درس أول الأمر في جرجان ، وجاء إلى بغداد وعمره أربعة عشر عام واستقر ودرس بها وأصبح قاضي بربع الكرخ وظل يفتي إلى أن مات وعمره مئة عام قائل للشعر ، ينظر ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص٣٥٨-٣٦٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص١٩٨ .

(٣٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٥ .

(٣٧) أبو بكر البرقاني : هو الحافظ الفقيه الشافعي روى عن جماعته وروى عنه الصوري و البيهقي والشيرازي ، قال عنه الخطيب كان ثقة ورعا متدينا لم يكن في شيوخنا اثبت منه ، ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٧ ، ص٢١٦ .

(٣٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٥ .

(٣٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٥ .

(٤٠) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٩ ، ص٢٤٢ .

(٤١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص٣٦٨-٣٦٩ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٨ ، ص٣٠٢ .

(٤٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص٢٤٦ .

(٤٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ج ١١، ص٣٢٩؛ السمعاني، الأنساب، ج ٤ ، ص٢٣٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٥ ، ١٧٩ .

(٤٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص٧١؛ السمعاني، الأنساب، ج١٣، ص٤٦٠.

(٤٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٥ ، ص١٣٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٧ ، ص٢١٦ .

(٤٦) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص٤٣١ .

(٤٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص٣١١ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج ١٣ ، ص١٤٠ .

(٤٨) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٣ ، ص٣١٠-٣١١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٥ ، ص٢٧٦ .

(٤٩) الخطيب البغدادي ، ج ١١ ، ص٢٧٣ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج ٢ ، ص٨٣ .

(٥٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص٣٨٣ ؛ ينظر: ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٥ ص٢٩٠ .

(٥١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٨ ، ص٧٧ ؛ ينظر : السمعاني ، الأنساب ، ج ٨ ، ص٣٦٥ .

(٥٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص١٠٠ .

(٥٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٨ ، ص٧٨-٧٩ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٥ ، ص٣٠٩ .

(٥٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص٤٣٧ .

(٥٥) نسبتا إلى مدينة صور وهي مدينة مشهورة والتي كانت من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بلاد الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد سكنها خلق من الزهاد والعباد ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج ٣ ، ص٤٣٣ .

(٥٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣ ، ص٣١٧، السمعاني، الأنساب،ج٨، ص٣٤٥ .

(٥٧) قال الخطيب ، قلت له–يعني أحمد بن محمد–فالعتيقي نسبة إلى أيش ، فقال : بعض أجدادي كان يسمى عتيقا فنسبنا إليه ، ينظر ، تاريخ بغداد ، ج ٥ ، ص١٤٣ .

(٥٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٤ ،ص١٤٣–١٤٤؛ السمعاني،الأنساب، ج٩،ص٢٣٣ .

(٥٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٨٣ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج ١٢ ، ص١١٤.

(٦٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠ ، ص٤٦٨ ؛ السمعاني، الأنساب، ج ١، ص١٨٠.

(٦١) نسبة إلى محلة قديمة في بغداد تعرف بالبرامكة ، وقيل بل كانوا يسكنون قرية تسمى البرامكية فنسبوا إليها ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص١٣٧.

(٦٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ج ٦، ص١٣٧ ؛ السمعاني، الأنساب ،ج ٢ ، ص١٨٠.

(٦٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص٤٦٨ .

(٦٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠ ، ص٤٦٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم، ج١٦، ص٤١.

(٦٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٩هـ)، ج٣ ، ص٢٣٢.

(٦٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١٩٦؛ السبكي، طبقات الشافعية،ج٤ ،ص١٨.

(٦٧) الجامع الأخلاق الراوي ، ج ٢ ، ص٢١٦ .

(٦٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٦ ، ص١٣١ .

(٦٩) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٥١ ، ص٦٩ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٧ ، ص٣٥ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص١٦ .

(٧٠) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٥ ، ص٣٧٨ .

(٧١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٦٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٧ ، ص١٣٨؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص٣٠٨ .

(٧٢) تاريخ دمشق ، ج ٥ ، ص٣٥

(٧٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٢٠ ، ص٨١–٨٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص٣٥٨ ؛ الزر كلي ، الإعلام ، ج ٤ ، ص٢٥٠ .

(٧٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤٨ ، ص١٢٨ ؛ الزر كلي ، الأعلام ، ج ٥ ، ص١٢٤.

(٧٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص٤٦٥ .

(٧٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٥٥ ، ص٢٣٦-٢٣٧ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٥ ، ص١٢ .

(٧٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص٧؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص٤٩٨-٤٩٩ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٧ ، ص١٤٣ .

(٧٨) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٣٦ ، ص٤٣٥ ؛ ابن نقطة ، التقييد ، ص٣٦٦-٣٦٧ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص٦٠٠ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص٧٧ .

(٧٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٧ ، ص٢٩٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠،ص٥.

(٨٠) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٧١ ، ص٣٧٤ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت :٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ، تحقيق : عمرو بن عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٤١٣هـ) ، ج ٣٦ ، ص٣٣٦ .

(٨١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٤ ، ص٤٥٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج ٣٦ ، ص٢٤٢ .

(٨٢) ابن نقطة ، التقييد ، ص٢٣٩-٢٤٠ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص٥٣ .

الشهر التاسع في مدينة اوما

(iti ^{d}li$_{9}$-si$_{4}$)

أ.م.د. مهند عاشور شناوه القطبي

صفا عبد الكريم النعيمي

الشهر التاسع في مدينة اوما

أ.م.د. مهند عاشور شناوه القطبي

صفا عبد الكريم النعيمي

iti ^{d}li$_{9}$-si$_{4}$

هو الشهر التاسع في مدينة اوما. ومعناه الحرفي شهر الاله ليسي.

Halloran , J.A. Sumerian Lexicon a Dictionary Guide to the Ancient Sumerian Language, Los Angeles (2006),p115.

غالباً يكتب Iti ^{d}li$_{9}$–si$_{4}$ ، واحياناً Iti ^{d}li$_{9}$–si$_{4}$–na.او iti ezen ^{d}li$_{9}$–si$_{4}$ ، اما القراءة القديمة له (^{d}ne–gun) وهو شهر الاحتفال بالإلهة ليسي والتي تقدم لها القرابين في مدينة اوما، اذا تعد(lisi) احدى الالهة في مدينة اوما. ويعرف ايضاً بانه الشهر الثالث في تقويم مدينة كرسو ينظر:

Cohen ,M,A., The Cultic Calendars of the Ancient Near East ,Maryland, (1993),p182.

والإلهة ليسي ابنة الإلهة ننخرساك (^{d}nin–ur–sag) وأخت الإله اشكي (Ašgi) وزوجة الإله ننسيكيلا (^{d}ninsikila) وام الالة الشاب دموزي (dmue–zi) ينظر:

black , J & Green , A., Gods Demons and Symbols of Anciend Mesopotamia , London , 1992, p.122.

وقد عبدت الاله ليسي في مدينة اوما في المعبد المسمى (é–ur$_{5}$–šà–ba). ينظر:

. George ,A. ,House Most High , The Temple of Ancient Mesopotamia,USA (1993),p.157

وفيما يأتي مجموعة من النصوص الاقتصادية التي تعود لعصر اور الثالثة من النصوص المصادرة من المتحف العراقي مجهولة المعثر.

NO.1 (I.M.206446)

Abv.

1- 1 ^{urudu}kin gín

ki lugal-nesag-e ta

^{d}šára-ḫé-<gál>

Rev.

[iti] $^{d}li_9$-si_4

blank spaese

5- mu dumu-munus lugal

énsi za-ab-ša-lí ^{ki}

é ba-an-tuku

الترجمة:

الوجه:

١- ١مثقال لمناجل نحاسية

من لوكال نيساك اي

شارا خي

القفا:

الشهر التاسع في مدينة اوما.

٥- سنة تزويج الملك من ابنة الامير زأبشالي.(ابي سين 5).

المضمون العام: نص يتضمن تسلم كمية من النحاس في الشهر التاسع اوما.

شرح المفردات:

urudu: علامة دالة على النحاس تقابلها بالأكدية (erû) ينظر:

Labat ,R. ,Manuel D' Épigraphie Akkadienne ,MDA , Paris (1994),p.97.

urudukin : مفردة سومرية، تقابلها بالأكدية(niggallu) تعني "مناجل نحاسية" ينظر:
Oppenheim, L., & Others, The Assyrian Dictionary of The Oriental Institute of The University of Chicago,(CAD), Chicago, 1956,(N),p213; Borger ,R.Assyrisch–babylonische Zeichenliste(AbZ) , Germany (1981),p94.

والنحاس من المعادن التي تتوفر في الطبيعة على شكل كربونات أو سيلكات أو وكسيدات، وكان يستورد من بلاد مكان (عمان) ودلمون (البحرين) لعدم توفره في بلاد الرافدين وقد ذكرت النصوص المسمارية أنواعاً مميزه من النحاس منها (الثقيل، والمطروق، والمصبوب، والمتوسط الجودة، والنحاس الخام.

وقد استعمل النحاس لأول مرة في بلاد الرافدين في صناعة الأدوات الحربية منها رؤوس الحراب. وقد عرف العراقيون القدماء عملية صهر النحاس منذ عصر جمدة نصراي في حدود الالف الرابع قبل الميلاد. ينظر:

الجادر، وليد، "صناعة التعدين" موسوعة حضارة العراق،ج٢، ١٩٨٥،ص٢٤٣-٢٤٢.

المتولي، نوالة أحمد محمود ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أورالثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، بغداد ، ٢٠٠٧، ص٢٨٤.

وللمزيد عن النحاس ينظر:

Moory, P.R.S., Ancient Mesopotamian Materials and Industries, U.S.A, 1999, P.242ff.

gín: وحدة وزن سومرية تقابلها بالأكدية Šiqlu تعني شيقل. ينظر:

VonSoden ,W.,Akkadische Handworterbuch, AHw ,Weisbaden (1955),P.1248; CDA,P.376.

Ki ..... ta :- حرف جر بمعنى (من ... مكان) ينظر :

فوزي رشيد ، قواعد اللغة السومرية ، بغداد ١٩٧٢ ، ص74.

Snell , D.C. ," The Rams of Lagash ",ASJ , vol.8 , (1986) p.196.

Lugal- nésag -e: اسم علم سومري ورد في نصوص سلالة اور الثالثة. ينظر:

Molina ,M,& Such ,M, & Gutiérrez., Neo-Sumerian AdministrativeTexts in the British Museum ,(Nisaba-9), Messina ,(2005),p.229.

^{d}šára-ḫé-<gál>: اسم علم سومري.ينظر:

Limet ,H, L'anthroponymie Sumerienne, Paris , 1968,p.269.

iti-^{d}li$_9$-si$_4$: الشهر التاسع من مدينة اوما. ينظر:

cohen , M.E. , Op.Cit , p.182.

mu dumu-munus ensi za-ab-ša-li^{ki} é ba-an-tuku:

السنة التي تزوجت فيها ابنة الملك أمير زابشالي" وتقابل السنة الخامسة من حكم الملك ابي سين. ينظر:

Sigrist ,M. and Damerow ,P.,Mesopotamian year Names ,Neo-Sumerian and Old Babylonian Date Formulae,p.13.

NO.2 (202905)

Abv.

1- 60 10 3 géme

tu-ra

ugula ur^{d}pa-sag

u$_4$ 20 lá 1 kam

Rev.

blank spaec

iti ezen ^{d}li$_9$-si$_4$

5- mu en nun^{ki}

ba-ḫun

الترجمه:

الوجهة:

١- ٧٣ عاملة مريضة (سقيمة)

(من) الوكيل أورباسك

في اليوم التاسع عشر(٢٠-١=١٩)

القفا:

الشهر التاسع اوما

٥- سنة تعيين كاهن في مدينة أريدو (شولكي٢٨).

المضمون العام: نص يتضمن عمل عدد من العاملات المريضات.

شرح المفردات:

géme-tu-ra: مصطلح سومري معناه عاملات مريضات (سقيمات)،

ويتكون من مقطعين (géme) ويعني أمة أو عاملة يقابله بالأكدية amtū ينظر:

Labat,MDA,p.231; CDA,p.15.

والمقطع الثاني (tur-ra) ومعناه مرض، سقيم يقابله بالأكدية (marṣu) ينظر:

Oppenheim ,L. ‘‘Catalogue of the Cuneiform Tablets of the Willberforce Eames Babylonian Collection ”AOS , vol.32 , New Haven (1948), p87; CAD:(m),p.291.

ugula: مهنة سومرية يرادفها بالاكدية (aklu (w)) بمعنى (المراقب / الملاحظ أو الوكيل) ينظر:

Halloran , Sumerian Lexicon ,p68; CDA,p.1152.

وترتبط مهنة الوكيل مع العديد من المهن الاخرى كالوكيل التجاري والوكيل على صناع الزيت والوكيل على الخياطين والوكيل على مخزن الحبوب والوكيل على النساجين وغيرها من المهن. للمزيد ينظر:

الحسناوي، فائز هادي علي، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٥٨.

ur ^{d}pa-sag: اسم علم سومري. ينظر:

Huber,E.,Die Personennamen in der Keilschriftenurknden aus der Zeit der konigs von ur and Isin, Leipzig,1907,p.82.

u_4: كلمة سومرية، تقابلها بالأكدية(ūmu) وتعني "يوم" ينظر:

Labat ,MDA ,p.175 ; AbZ ,p.1٥7.

kam: علامة دالة تلحق الأعداد الترتيبية تستعمل لتحويل الارقام إلى اعداد ينظر:

Labat,MDA, p.183.

mu en-nun^{ki} ba-ḫun:

" سنة تعيين كاهنة مدينة اريدو"

وتقابل السنة التاسعة والعشرون(28a) من حكم الملك شولكي. ينظر:

Sigrist , M. and Damerow ,P. , Mesopotamia Year .....,p٢٢.

NO.3(I.M. 212771)

Abv.

1- 30+2 guruš u_4 1 šè

á-bí 6 sìla ús

še- bí 3(pi) 1bán 2 sìla

a-da gub-ba

Rev.

5- a-šà da-še-ḫu-um

iti ^{d}li-si_4

mu é ^{d}šára ba-dù

الترجمة:

الوجه:

١- ٣٢عامل ليوم واحد
اجرته ٦ سيلا
ثمن الشعير ٣ (بي) ١ بان ٢ سيلا
إلى الارواء

٥- الحقل داشي خوم
الشهر التاسع اوما
سنة بناء معبد الاله شارا (شوسين ٩).

المضمون العام: نص يتضمن تسلم اجور عمال الاراضي الزراعية .

شرح المفردات:

u_4 1 šè: مصطلح سومري بمعنى " ليوم واحد" . ينظر:
عشتار سمير، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ق.م)،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠٠٧،ص ١٠١.

u_4: كلمة سومرية، تقابلها بالأكدية(ūmu) وتعني "يوم" ينظر:
Labat ,MDA ,p.175 ; AbZ ,p.157.

á: مفردة سومرية، تقابلها بالأكدية (idū) بمعنى "اجرة" ينظر:
CDA,p.342 ; Halloran , J. , Sumerian Lexicon... , p. 9.

bí: ضمير التملك(possessive pronouns) للشخص الثالث غير العاقل (its).ينظر:
Foxvog , D. , Introduction To Summer Grammar , 2008 , p.32.
سجى مؤيد عبد اللطيف ، قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لجش الأولى ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠٠٤ ، ص٨٤ .

še-bí: مفردة سومرية معناها فائدة أو ثمن الشعير. ينظر:

Halloran , J. , Sumerian Lexicon... , p.٢٥٠; Snell ,D.C. " The Ur III Tablets in the Emory University Museum "ASJ , vol.9 , (1987) p.227.

a-da-gub-ba: مصطلح سومري بمعنى "واجب مائي" أي إلى الارواء. ينظر:

Halloran , J. , Sumerian Lexicon... , p.٢; Maeda,T,"Subgroups of lú-kur$_6$-dab$_5$-ba (ll)-šeš-gub-ba ans šeš-tuš-a, ASJ-5(1983),p.75; Yildiz,F& Tohru,O., DieUmma-Texte Aus Den Archäologischen Museen Zu , Istanbul,Band -V(Nr.3001-3500) , UTI, vol.5,.(1999),p235.

a-šà : مصطلح سومري، يقابله بالأكدية

(eqlum) بمعنى "حقل". ينظر:

Labat ,MDA ,p.237 ; Schramm ,W. , Akkadische Logogramme,GAAL , vol.4 , Gottingen ,(2003),P.24.

a-šà da-še-ḫu-um: اسم حقل ورد في مدينة اوما. ينظر:

Limet,H,.Textes Sumerians de la IIIE Dynastie d'ur,(TSU),liege,1976,P.20

المصادر العربية:

الجادر، وليد، "صناعة التعدين" موسوعة حضارة العراق،ج٢، ١٩٨٥.

المتولي، نوالة أحمد محمود ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أورالثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، بغداد ، ٢٠٠٧.

الحسناوي، فائز هادي علي، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٥٨.

سجى مؤيد عبد اللطيف ، قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لجش الأولى ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠٠٤ ، ص٨٤ .

عشتار سمير، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ق.م)،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،٢٠٠٧،ص ١٠١.

فوزي رشيد ، قواعد اللغة السومرية ، بغداد ١٩٧٢ ، ص74.

المصادر الاجنبية:

1- black , J & Green , A., Gods Demons and Symbols of Anciend Mesopotamia , London , 1992.

2-Borger ,R.Assyrisch-babylonische Zeichenliste(AbZ) , Germany (1981).

3- Cohen ,M,A., The Cultic Calendars of the Ancient Near East ,Maryland, (1993).

5- Foxvog , D. , Introduction To Summer Grammar , 2008 .

6- George ,A. ,House Most High , The Temple of Ancient Mesopotamia,USA (1993).

7- Halloran , J.A. Sumerian Lexicon a Dictionary Guide to the Ancient Sumerian Language, Los Angeles (2006).

9- Huber,E.,Die Personennamen in der Keilschriftenurknden aus der Zeit der konigs von ur and Isin, Leipzig,1907.

10- Limet ,H, L'anthroponymie Sumerienne, Paris , 1968.

11- Limet,H,.Textes Sumerians de la IIIE Dynastie d'ur,(TSU),liege,1976.

12- Labat ,R. ,Manuel D' Épigraphie Akkadienne ,MDA , Paris (1994).

13- Maeda,T,"Subgroups of lú-kur$_6$-dab$_5$-ba (II)-šeš-gub-ba ans šeš-tuš-a, ASJ-5(1983).

14- Molina ,M,& Such ,M, & Gutiérrez., Neo-Sumerian AdministrativeTexts in the British Museum ,(Nisaba-9), Messina ,(2005).

15-Moory, P.R.S., Ancient Mesopotamian Materials and Industries, U.S.A, 1999.

16- Oppenheim ,L. ‘‘Catalogue of the Cuneiform Tablets of the Willberforce Eames Babylonian Collection ”AOS , vol.32 , New Haven (1948).

17- Oppenheim, L., & Others, The Assyrian Dictionary of The Oriental Institute of The University of Chicago,(CAD), Chicago, 1956.

18- Schramm ,W. , Akkadische Logogramme,GAAL , vol.4 , Gottingen ,(2003).

19-Sigrist ,M. and Damerow ,P.,Mesopotamian year Names ,Neo-Sumerian and Old Babylonian Date Formulae.

20- Snell , D.C. ,“ The Rams of Lagash ”,ASJ , vol.8 , (1986).

21-Snell ,D.C. “ The Ur III Tablets in the Emory University Museum ”ASJ , vol.9 , (1987).

22- VonSoden ,W.,Akkadische Handworterbuch, AHw ,Weisbaden (1955),P.1248; CDA.

23- Yildiz,F& Tohru,O., DieUmma-Texte Aus Den Archäologischen Museen Zu , Istanbul,Band -V(Nr.3001-3500) , UTI, vol.5,.(1999),p235

الاستنساخات

NO.1 (I.M.206446)

Rev

5



Rev

5



NO.2 (202905)

Obv

1



Rev

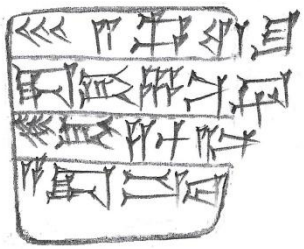
5



NO.3(I.M. 212771)

Obv

1



Obv

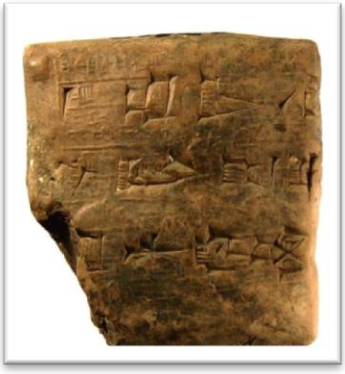
1



الصور

NO.1 (I.M.206446)

Obv **Rev**





NO.2 (202905)

Obv **Rev**





NO.3(I.M. 212771)

Obv **Rev**





الأوضاع الإدارية في مدينة القدس في العصر المملوكي

أ.د.عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي

مريم علاوي فهد

الأوضاع الإدارية في مدينة القدس في العصر المملوكي

أ.د.عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي

مريم علاوي فهد

مقدمة :

إنَّ المكانة التي تحتلها مدينة القدس لدى اتباع الديانات السماوية الثلاثة , لاسيما الدين الإسلامي بوصفها موقعاً للمسجد الأقصى المبارك فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين , ومسرى الرسول محمد (ﷺ) , كما تقع فيها كنيسة القيامة (قيامة السيد المسيح عليه السلام) وهيكل سليمان المزعوم الذي تم تخريبه من الأساس على يد الرومان ، لهذا فان القدس ليست مدينة ككل المدن وإنّما لها فرادة خاصة , فكل شيء فيها مقدس مما أغرى الباحثين بدراسة جوانب الحياة المختلفة منها على مرّ العصور .

وهذا الأمر كان حافزاً جعلني اقبل على التصدي لتاريخ مدينة القدس في العصر المملوكي إذ لاحظت اهتمام الباحثين بدراسة التاريخ الفاطمي والأيوبي ولاسيما الصراع الذي شهدته في العصور الوسطى والذي سمي بالحروب الصليبية , وتأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية وقلة التركيز على الأحداث المهمة والتحولات الكبيرة التي طرأت على الأحوال العامة للمدينة في العصر المملوكي على اعتبار عودتها إلى حاضنة العالم الإسلامي.

ولهذا الموضوع أهميته إذ إنَّه يلقي الضوء على التغيرات التي طرأت في الأوضاع العامة للمدينة والمتمثلة بالاستقرار والازدهار في العصر المملوكي الأول وهو عصر المماليك البحرية , لاسيما وأن الدولة المملوكية كانت تمثل مركز الدولة العربية الإسلامية والحامية لها , وقد حاولت أن اسلط الضوء على الجوانب العامة منها سياسة , وسكانية , وإدارية , وعلمية , واقتصادية .

أولاً : الوضع الإداري لمدينة القدس في العصر المملوكي :

بعد أن تمكن المماليك من هزيمة المغول في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[١]، تم توحيد مصر وبلاد الشام تحت السيادة المملوكية[٢] ، فقسم المماليك بلاد الشام إلى وحدات إدارية اطلق عليها اسم النيابات ، وأصبحت دمشق أولى الوحدات الإدارية المملوكية التي تحمل اسم النيابات ، ونيابة دمشق هي كبرى نيابات المملكة الشامية وارفعها في الرتبة[٣] .

كانت مدينة القدس منذ بداية العصر المملوكي ملحقة بنيابه دمشق ادارياً[٤] إذ كان لنواب دمشق صلاحية تعيين ولاة هذه المدينة لكنه لم يكن حقاً مطلقاً إذ كان للسلاطين المماليك في مصر الحق بتعيين ولاه مدينة القدس من دون أن يشكل ذلك خرقاً لشرعية الولاية التي منحوها لنوابهم[٥]. فعندما وصل السلطان قلاوون الالفي الى غزة عندما كان في طريقه لزيارة دمشق قام بعزل والي القدس الامير عماد الدين بن أبي القاسم وعين مكانه الامير نجم الدين السونجي من دون علم او استشارة نائب دمشق وذلك سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)[٦].

وفي سنة (٧١١هـ/١٣١١م) استحدث السلطان الناصر محمد بن قلاوون نيابه غزة ، فالغى تبعية القدس لنيابة دمشق والحق مدينة لقدس نيابه غزة[٧]، وعين السلطان علم الدين سنجر الجاولي[٨]ت(٧٤٥هـ/١٣١٦م) على نيابه غزة واضاف اليه ولاية القدس[٩] .

إلاّ أنه في سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ربط السلطان النواب جميعهم في الشام بنيابة دمشق ، وجعل مكاتبه النواب تتم عن طريق نائب دمشق الامير تنكز[١٠] . ومما يؤكد هذا إنَّ السلطان عندما زار مدينة القدس سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م) كتب الى الامير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة القدس ، فتوجه إلى القدس وزارهُ[١١] .

اختلف المؤرخون في تحديد التاريخ الذي تحولت فيه مدينة القدس الى نيابه مستقلة عن نيابه دمشق .

إذ يورد المؤرخ الفلسطيني الأصل ابن حجر العسقلاني تاريخاً لانشاء نيابة القدس عند حديثه عن سلطنه الأشرف شعبان بن حسين سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) يقول "وفيها استقر تمراز في نيابة القدس وهو أول من ولي نيابتها وكانت قبل ذلك يكون فيها وال من جهة والي الولاية بدمشق"[١٢] .

وتعزز أقوال القلقشندي رواية ابن حجر العسقلاني بخصوص هذا التاريخ وذلك بقوله "ونائب القدس الشريف وهو ممن استحدثت نيابته في الدولة الاشرفية ، شعبان بن حسين في سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وكانت قبل ذلك ولاية طبلخانه[١٣] "[١٤]، اما المقريزي فجاءت روايته بخصوص هذا التاريخ متأخرة اذ ذكر بان مدينة القدس تحولت الى نيابة سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٤م) في السلطنة الثانية للسلطان برقوق[١٥] .

في حين يذكر مجير الدين الحنبلي انشاء النيابة في وقت متأخر نحو (٨٠٠هـ/١٣٩٨م) بقوله "وكان في الزمن السالف توليه النيابة والنظر من نواب الشام، ولم يزل الامر على ذلك الى نحو الثمانمائة ثم عادا الامر من السلطان بالديار المصرية وهو مستمر الى يومنا"[١٦] .

هناك ثلاث آراء بشأن الهدف من جعل القدس نيابة مستقلة بذاتها ، فعزى بعضهم ذلك إلى خشية المماليك من احتمال نجاح الصليبين في استرداد المدينة المقدسة ، إذ جعلوا القدس نيابة مستقلة عسى أن يستطيع نوابها اتقاء مخاطر المطامع الصليبية ، وذهب فريق آخر إلى القول بان الهدف من إنشاء النيابة إنما قصد به السلاطين اضعاف نواب الشام بشأن محاولاتهم الانفصالية عن الدولة المملوكية ، ورأى آخرون أن استحداث نيابة القدس جاء استعداداً لمواجهة الخطر المغولي خلال الربع الأخير للقرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي على خلفية بوادر الاجتياح الشامل لبلاد الشام الذي كان يعدون له .

ومن بين هذه الآراء يمكن القول أنَّ الهدف من إنشاء أو استحداث النيابة جاء لدرء خطر المغول على بلاد الشام ، وذلك لان الخطر الصليبي زال عن المدينة اذ لم يقم الصليبيون بإعداد حملة كبرى نحو القدس وانما كل الذي قام به الصليبيون هي

عمليات اغاره ونهب وسلب من الموانئ الشامية ، اما بشأن المحاولات الانفصالية من قبل نواب الشام فلم تكن ظاهرة جديدة وطارئة بل تعود إلى الأيام الأولى لدولة المماليك ، فجاء استحداث النيابة لدرء خطر المغول الذي كان داهماً في ذلك الوقت[١٧] .

ثانياً: الوظائف الإدارية لمدينة القدس في العصر المملوكي

من الناحية الادارية ورث المماليك الانظمة الادارية الايوبية بعد سيطرتهم على هذه المدينة المقدسة عقب موقعه عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، ولكنهم احدثوا بعض الانظمة الادارية في مدينة القدس تتناسب واهمية المدينة الدينية، وذلك لابراز اهمها السياسية والدينية بهدف الحفاظ على حكمهم واكساب صفة الشرعية له.

هذا وقد شمل الجهاز الاداري لمدينة القدس على الكثير من الوظائف منها الدينية ومنها الادارية وهي :

١- الوظائف الادارية .

أ- ارباب السيوف : وتشمل هذه الوظيفة على :

١- الوالي :

من الوظائف الإدارية هي وظيفة الوالي الذي كان يتم تعينه من قبل نائب دمشق عندما كانت مدينة القدس مجرد ولاية صغيرة تابعة إلى نيابة دمشق[١٨] ، ولكن بعد تحول مدينة القدس سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) إلى نيابة مستقلة عن نيابة دمشق أصبحت المدينة تحت حكم النائب[١٩] .

ومن أبرز مهام الوالي هي الحفاظ على امن مدينة القدس وتعقب المفسدين وشاربي الخمر والحشيش، ومعاقبتهم كما يقوم بحفظ المدينة في أوقات الليل وحماية أهلها من الأشرار والعابثين[٢٠]، كذلك كان الوالي مسؤولاً عن الحجاج الذين يعدون الى مدينة القدس وسلامتهم طوال مدة اقامتهم[٢١] .

يتضح لنا ان هذه الوظيفة كانت من الوظائف المهمة في مدينة القدس التي يتولاها ارباب السيوف هذا وقد ذكر مجير الدين الحنبلي الكثير من الولاة في مدينة

القدس قبل تحولها إلى نيابة مستقلة أصبحت مدينة القدس تحت حكم النائب الذي كان في تلك المدة له سلطات واسعة في المدينة .

٢- النائب :

كما سبق ان اشرنا بان مدينة القدس بعد تحولها الى نيابة مستقلة عن نيابة دمشق أصبحت تحت حكم النائب، وكان هذا النائب يتم تعينه من قبل السلطان في القاهرة .

أما عن اختصاصات النائب فهو المسؤول على إعداد الجيوش وتعيين الأمراء ولكن بمشورة السلطان ويذكر ابن فضل الله العمري " وعادته ان يركب بالعسكر في أيام المواكب وينزل الجميع في خدمته وجميع نواب الممالك تكاتبه في غالب ما يكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيه وهو يستخدم الجند من غير مشاورة"[٢٢]، ويذكر القلقشندي بأن "النائب يعبر عنه بكافل السلطنة الشريفة يعين اقطاعات الجند وتجهز الى الأبواب الشريفة فيشملها الخط الشريف السلطاني"[٢٣] ، وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير[٢٤] .

وبعد تحول مدينة القدس الى نيابة مستقلة عن نيابة دمشق اصبح النائب يقوم بمهام نيابة مدينة القدس، فضلاً عن نظر الحرمين حرم القدس وحرم الخليل[٢٥]، فأصبح يلقب بناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشريف الا ان هذه الوظيفتين لم تستمر معاً في بعض الاوقات، وذلك بسبب قيام بعض السلاطين بفصل وظيفة النيابة عن وظيفة ناظر الحرمين وهذا ما قام به السلطان المملوكي فرج بن برقوق إذ أصدر مرسوم في سلطنته الثانية سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، وهو ان نائب القدس لا يكون ناظر الحرمين الشريفين"[٢٦] .

الا انه في سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) اي بعد ثلاث سنوات اعاد هذه الوظيفة والجمع بينهما[٢٧] ، وفي احيان اخرى كان النائب يجمع بين كاشف الرملة وكاشف نابلس[٢٨]ومتولي الصلت[٢٩]وعجلون[٣٠] واستادار الاغوار وهذه الوظائف جمعت الى

نائب القدس الامير طوغان العثماني[٣١] في دولة الملك الاشرف برسباي سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م)[٣٢] .

أما عن مكان اقامة النائب فقد كان يقيم في دار النيابة الذي وصفه لنا احد الرحالة بأن (بيت نائب مدينة القدس هو اجمل المنازل في المدينة واتقنها)[٣٣] ، وقد ذكر مجير الدين مكان دار النيابة بالقدس بقوله "دار النيابة الواقعة بجانب الرواق العلوي بجوار منارة الغوانمة"[٣٤] ، وفي سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٩م) استحدثت بعض التعديلات في دار النيابة إذ اصبح مكان جلوس النائب على هيئة مجالس الحكام بالديار المصرية وسقف بالخشب المدهون[٣٥] ، وأصبحت المدرسة الجاولية سكنا لنواب القدس وكان النواب قبل ذلك يقيمون في زاوية الدركاه[٣٦].

كما كان بعض النواب يلبسون العمامة على طريقة أمراء مصر مثل نائب القدس الأمير تغري بردي والي قطيا كان يقال له أبو القرون وكان يدق الكؤوس في الطبلخانه في كل ليلة على عادة الأمراء بمصر ولم تجر بذلك عادة قبله بالقدس الشريف لم تطل مدته وعزل سنة (٨٦٩هـ/١٤٨٦م)[٣٧] .

٣- نائب القلعة :

وتأتي هذه الوظيفة في المرتبة الثانية بعد نائب السلطنة ويذكر مجير الدين الحنبلي "ان للقلعة نائب غير نائب القدس وكانت تدق في بابه الطبلخانه في كل ليلة بين المغرب والعشاء على عادة القلاع بالبلاد وقد تلاشت أحوالها في عصرنا وبطل فيها دق الطبلخانه وصار نائبها كأحاد الناس لتلاشي الأحوال وعدم إقامة النظام، وتقدم ان الوالي بالقدس كان قديماً ينزل بالقلعة"[٣٨]، أما القلقشندي على حديثه عن نيابة القدس فيقول ، "كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يليها جندي"[٣٩]، وكان نائب القدس يعين من قبل نائب السلطنة بدمشق عندما كانت مدينة القدس تابعة الى نيابة دمشق، ولكن بعد تحول مدينة القدس الى نيابة مستقلة أصبحت وظيفة نائب القلعة يتم توليتها من جهة نائب القدس[٤٠] .

أما واجبات نائب القلعة او اختصاصات النائب فهي صيانة القلعة وحفظها وإعادة ما وهي من عمارتها وخزن أنواع الاسلحة والزردخانه[٤١]فضلاً عن ذلك اشرافه على الاجناد المقيمين في القلعة الذين يحرسون المدينة ويقومون بالدفاع عنها[٤٢].

٤- الحاجب :

سمي بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عمن يدخل إليه بغير اذن، وفي العصر المملوكي فانه عبارة عمن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ليبلغ ضرورات الرعية اليه ويركب امامه بعصا في يده ويتصدى لفصل المظالم بين المتداعين لاسيما فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الامور الديوانية وغيرها[٤٣] .

كان في مدينة القدس حاجب الحجاب وهو ثاني نائب السلطنة في الرتبة والى الحاجب ترد المراسيم السلطانية بالقبض على نائب السلطنة اذا اراد السلطان القبض عليه وفي حالة غياب النائب عن المدينة يقوم هو بمهامه حتى يتم توليه نائب جديد[٤٤]، ومن مهامه ايضاً الحكم بين الناس ويرفع اليه الامور المتعلقة بارباب الجرائم وغيرها مما يرفع الى حكام الشرطة وكان من جملة من وليها الامير شاهين الحاجب ثم ولي بعده جماعة[٤٥] .

٥-الدويدار :

وهو لقب يطلق على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرها، ويتولى أمرها إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال، وهو مركب من لفظين احدهما عربي وهو الدواة التي يكتب فيها والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك[٤٦] .

وهذه الوظيفة ظهرت في عصر المماليك واطلقت على الذي يقوم بتبليغ الرسائل عن السلطان واليه، ولما كان صاحب هذه الوظيفة يطلع على كل ما يصدر من ديوان الانشا وما يرد عليه من مكاتبات لانه هو الذي يختمها بخاتم الدولة ويقيدها في سجلات خاصة وهي من الوظائف الخطرة كما روعي في اختياره دائماً ان يكون

من بين كبار الأمراء[٤٧]، كما يقوم الدويدار بتوصيل الشكاوى إلى السلطان، من ذلك ما يذكره مجير الدين الحنبلي في زيارة السلطان الأشرف لمدينة القدس سنة (٨٨٠هـ/١٤٨٥م) " وجلس معه الأمير يشبك الدويدار وغيره من اركان الدولة ثم اعلم الدويدار الكبير السلطان ان النائب أرضى خصمائه فقال له السلطان احسن للناس واحكم بينهم بالعدل"[٤٨] .

٦- كاشف بيت المقدس :

من الوظائف الادارية في مدينة القدس هي وظيفة الكاشف ومهمته الأساسية هي الكشف عن الأراضي والجسور وأحوال المدينة العمرانية من ابنية، ورعاية أحوالها العامة وكان يطلق عليه والي الولاة[٤٩]، وكان هذا الكاشف يتم تعيينه من قبل نائب مدينة القدس[٥٠] .

٧- ترجمان القدس :

تكون مهمة الترجمان الأساسية في مدينة القدس هي استقبال الحجاج الأجانب الذين يفدون إلى مدينة القدس ، ومن شروطه أن يكون عارفاً للغات حتى يتفاهم مع هؤلاء الزوار ، ويقوم بإثبات كل زائر في بطاقة خاصة به[٥١] .

ب- ارباب الاقلام :

١- المحتسب :

بداية لابدَّ أنّ نوضح إنَّ الحسبة هي من قواعد الأمور الدينية ، وهي امر بالمعروف اذ ظهر تركه ونهي عن المنكر إذ اظهر فعله ، واصلاح بين الناس[٥٢].

وقد وجدت هذه الوظيفة في مدينة القدس اذ كان هناك المحتسب الذي يقوم بمهام واسعة وسلطات كبيرة، منها منع الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل[٥٣]، وكان له دفتر خاص به يعرف (بدفتر المحتسب) يسجل فيه اسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، ويلزمهم باستخدام كمية محددة من الدقيق[٥٤] ، كما يمنع المعلمين من ضرب الصبيان ضرباً مبرحاً ويأمر نوابه بالختم على قدر الهراسين[٥٥]ونظر لحمهم ومعرفة من جزره ، والنظر في دار العيار[٥٦] ، ومراقبة

الاداب العامة في الطرقات والاماكن التي يرتادها الناس لتطبيق مبادئ الشرع على نحو سليم[٥٧] .

كان المحتسب يستعين بالخبراء الذين يختارون من بين ارباب الصناعة والتجارة[٥٨] ، وهؤلاء الاعوان يتخذهم لتحقيق مهامه الموكلة اليه[٥٩] .

ومن شروط المحتسب ان يكون مسلماً حراً بالغاً عدلاً قادراً فلا يجوز ان يولي المجنون ولا الكافر[٦٠]، وأن يكون ذا رأى وصرامة وخشونة وعلم بالمنكرات الظاهرة[٦١] ، وللمحتسب سلطة تنفيذية كسلطة القضاء ويتخذ الضرب لتنفيذ العقوبات ويسمى التعزيز، وذلك عن طريق الات الضرب مثل السوط والدرة والتي تتخذ من جلد البقر أو الجمل المخروزة وهي قطعة غليظة من فرع شجرة[٦٢].

أما عن توليه المحتسب في مدينة القدس فقد كان يتم عن طريق نائب دمشق عندما كانت القدس تابعة إلى نيابة دمشق، وبعد أن أصبحت نيابة مستقلة اصبح تعيين المحتسب من قبل نائب القدس[٦٣] ، إلاّ أنَّه نتيجة سوء الأحوال في الشطر الثاني من العصر المملوكي تأثرت الحسبة بكافة مظاهر التدهور، وصارت تتم عن طريق الرشوة ، وهذا ما حدث سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) في عهد السلطان الاشرف قايتباي كان نائب القدس يأخذ أموالاً من المحتسب وهذا الأخير بدوره يأخذ أموالاً من الناس عن طريق تسلطه على الفقراء ، هذا السبب دفع السلطان إلى اصدار مرسوم بابطال تولية الحسبة من نائب القدس ، وأن يكون المحتسب بمرسوم شريف[٦٤].

٢- وكيل بيت المال :

وهي من الوظائف المهمة في مدينة القدس[٦٥]، والقائم بها وهو الناظر في بيت المال وحمل حمولات المملكة الى بيت المال، وهو التحدث فيما يتعلق بمبيعات بين المال ومشترياته من ارض وادر وغير ذلك[٦٦]، كما له الحق في عتق المماليك وتضمين ما يقتضي الضمان واتباع ما يرى اتباعه[٦٧] ، وقد اضيف لها نظر الكسوة وهي كسوة الكعبة الشريفة[٦٨] .

وكانت هذه الوكالة لا تستند إلاّ لذوي الهيبة من الشيوخ العدول[٦٩]، أما تولية وكيل بيت المال فكانت تتم عن طريق السلطان في بعض الأحيان وعن طريق النائب في أحيان أخرى[٧٠] ، هذا وكانت هذه الوظيفة موجودة في العصر الايوبي إذ عين السلطان صلاح الدين أحد الأشخاص لتولي تلك الوظيفة وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خضر القدسي[٧١] ، وقد استمرت تلك الوظيفة في العصر المملوكي وذلك لحفظ بيت المال في مدينة القدس .

٣- نقابة الاشراف :

هي وظيفة شريفة ومرتبة نفيسة[٧٢] ، ومن واجبات نقيب الاشراف أن يترفع بهم عن المكاسب الدنيئة ، ويمنعهم من انتهاك المحارم ومن التسلط على العامة وينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم[٧٣] ، فضلاً عن هذا فان نقيب الاشراف كان مسؤولاً عن حماية الاشراف من نسل الرسول (ﷺ) ، وتضم نقابة الاشراف بشكل عام الاشراف من نسل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن نسل فاطمة الزهراء بنت رسول الله (عليها السلام)[٧٤] .

أما عن تولية نقيب الأشراف فقد كان يتم عن طريق نائب مدينة القدس بعد تحولها إلى نيابة مستقلة عن نيابة دمشق[٧٥]، وكان بعض هؤلاء الأشراف يجمع بين نقابة الاشراف ونظر القدس والخليل، ومن أبرز هؤلاء هو نقيب الاشراف صدر الدين بن الشريف غياث الدين إبراهيم بن حمزة الحسيني العراقي وكان شكلاً مهيباً فصيحاً بالألسن الثلاثة العربية والعجمية والتركية وكان ديناً خيراً وله شعر[٧٦] .

ج- الوظائف الدينية :

١- القضاء :

استمر القضاء في مدينة القدس شافعياً طوال المدة الايوبية وخلال السنوات الاولى لحكم المماليك الذين ورثوا عن اسيادهم الايوبيين ولاءهم لهذا المذهب .

وبعد قيام السلطنة المملوكية أدخل السلطان الظاهر بيبرس بعض الإصلاحات القضائية إذ جعل مؤسسة القضاء محصورة بأربعة قضاة بحسب المذاهب السنية

الأربعة ومع أن هذا النظام قد جرى تطبيقه في غالب نيابات الدولة إلاّ أنه لم يطبق في مدينة القدس[٧٧] ، وظل منصب القضاء وقفاً على قاض شافعي واحد حتى سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) ان استحدث السلطان الملك الظاهر برقوق منصب قضاء الحنفية وذلك بتعيين خير الدين الحنفي لهذا المنصب[٧٨] .

وفي سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) استحدث منصب قاض المالكية وذلك بسبب حرب الاسترداد التي حدثت في الأندلس إذ أدت إلى هجرة إعداد كبيرة منهم إلى القدس، وبما انهم كانوا على المذهب المالكي ، وجدت الحاجة إلى استحداثه وفي سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م) استحدث منصب قاضي الحنابلة[٧٩] .

كان تعيين القضاة يتم عن طريق السلطان في القاهرة[٨٠] ، كذلك يمكن القول إنَّ القاضي في مدينة القدس كان يجمع بين القضاء والخطابة وتدريس الصلاحية[٨١] وبين قضاء نابلس والقدس وبلد سيدنا الخليل (عليه السلام)[٨٢] .

٢- ناظر الحرمين :

هي من اقدم الوظائف في بيت المقدس ، وكان يتولاها أمير كبير برتبة (طبلخانة) واحياناً يتولاها عالم جليل برتبة قاضي القضاة ، ربما جمع النائب بين النظر والنيابة وسمي متولي هذه الوظيفة ناظر القدس والخليل ومن مهامه النظر في كل ما يحتاج إليه الحرم الشريف بالقدس وحرم الخليل من اصلاح وترميم، وكذلك كان من اختصاصه الإشراف على موارد المياه وعمليات البناء وشراء الزيت اللازم للإضاءة، والاحتفاظ بأموال الوقف الزائدة، وكان من الذين تولوا نظر الحرمين الشريفين بأمر من السلطان الأمير علاء الدين ايدغدي الركني الذي تولى نظر الحرمين سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٤م) ولوظيفة الناظر حق حفظ الوقف، وعمارته وايجاره وزرعه والمخاصمة فيه وتحصيل الغلة وقسمتها بين مستحقيها، وعليه الاجتهاد في تنمية الموقوف وصرفه في جهاته[٨٣] .

أضيف النظر في الحرمين القدسي والخليلي إلى الحرمين الشريفين في مكة والمدينة فكان يتولاها ناظر واحد ، وهذا ما وقع في عهد السلطان الملك المنصور

لاجين ، فقد عهد في سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) إلى القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب بنظر الحرمين مكة والمدينة مع حرمي القدس والخليل[٨٤] .

ولما استحدثت وظيفة النيابة سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) ، اصبح الجمع بين النيابة ونظارة الحرمين ، لكن في عهد السلطان فرج بن برقوق اصدر أمراً سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، بفصل الوظيفتين وعدم جمعهما في يد امير واحد[٨٥] .

وفي عهد السلطان برسباي تولى القاضي عز الدين خليل السخاوي نظر الحرمين الشريفين القدس والخليل سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) فعني بترتيب هذين الحرمين ، ورتب الوظائف فيها وعمر الأوقاف الموقوفة عليها ونماها[٨٦] .

وقد انعم السلطان الملك الظاهر جقمق على الحرمين (القدس والخليل) بمبلغ الفين وخمسمائة دينار ذهباً[٨٧] .

وفي سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) قام السلطان جقمق بفصل وظيفة النيابة عن وظيفة ناظر الحرمين وعين في وظيفة نظارة الحرمين الامير غرس الدين خليل[٨٨]في حين استمر الامير طوغان العثماني الذي كان يجمع بين الوظيفتين في منصب النيابة فقط[٨٩] .

٣- الخطابة :

هي من الوظائف الدينية والخطيب وهو الذي يقوم بالخطبة في المسجد الاقصى ، وكان الخطيب في العصر المملوكي يجمع بين الخطابة وتدريس الصلاحية منهم الخطيب برهان الدين ابن جماعه[٩٠] كما ان منهم من جمع بين القضاء والخطابة والافتاء في المسجد الاقصى[٩١] .

وتجب الإشارة أنّ تدهور الأوضاع في العصر المملوكي الثاني وهو عصر المماليك الجراكسة قد اثر على وظيفة الخطابة في مدينة القدس، فأصبحت هذه الوظيفة تتم أو يتم توليتها عن طريق الرشوة وبذل المال ، وهذا يدل على ما وصلت إليه الدولة من الضعف والتدهور من ذلك ما يرويه العسقلاني سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) في عهد السلطان فرج بن برقوق بقوله "استقر ابن السائح الرملي في خطابه القدس بذل فيها

ثمانين الف درهم فصرف ابن غانم النابلسي"[٩٢]، كما أصبح التعيين والعزل يتم اكثر من مرة في السنة الواحدة ففي سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) ولي الخطابة في القدس خمسة احدهم وليها مرتين[٩٣] .

٤- مشيخة الصلاحية :

وهي من الوظائف السنية بمملكة الإسلام[٩٤]، إذ إنه لما فتح صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس أوقف المدرسة الصلاحية وجعلها للشافعية[٩٥] .

ومن أبرز وظائف شيخ المدرسة الصلاحية هي الإشراف والتدريس في المدرسة ، وتوفير ما يلزم الطلاب والمعلمين والخدام الذين يفدون إلى المدرسة الصلاحية[٩٦] وفي سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) ، أوقف صلاح الدين الخانقا الصلاحية على فقهاء الصوفية وكان يتم توليها عن طريق السلطان بمرسوم شريف[٩٧] ، وهذه الوظيفة استمرت تؤدي دورها في العصر المملوكي والعصر الذي بعده وهو العصر العثماني[٩٨] .

٥- ائمة المساجد :

كانت من الوظائف الدينية المهمة ويذكر مجير الدين الحنبلي أن صاحب هذه الوظيفة يصلي في بيت المقدس اربع صلوات على المذاهب الأربعة بقوله " اما الائمة المرتبون فأولهم امام المالكية يصلي في الجامع الذي غربي المسجد ثم يصلي بعده امام الشافعية بالجامع الكبير القبلي المتعارف عند الناس بالمسجد الاقصى، ثم يصلي بعده امام الحنفية بقبة الصخرة الشريفة ثم يصلي بعده امام الحنابلة ، وكان قديماً يصلي امام الحنابلة بالرواق الغربي خلف منارة باب السلسلة من جهة الشمال"[٩٩] .

ومن شروط أئمة المساجد أن يكونوا من أهل العلم والصلاح والعبادة وعارفاً بالأحكام الشرعية[١٠٠] .

٦- المؤذنون :

ومن الوظائف المهمة في مدينة القدس هي وظيفة المؤذنين ويكون مهمتهم هي القيام بالاذان وقت الصلاة وكان لهم رئيس يسمى رئيس المؤذنين[١٠١] .

ومن أبرز المؤذنين علم الدين سليمان الصفدي[١٠٢] ومحمد بن أبي بكر بن محمد التدمري[١٠٣]وكانت مهمتهم قراءة القران والتسبيح والدعاء بعد الصلاة[١٠٤] .

٧- الموقت أو المقرئ :

من الوظائف الدينية في بيت المقدس هي وظيفة الموقت وهي وظيفة تهتم بتحديد مواقيت الصلاة بدقة تامة، ومن أبرز من تولى هذه الوظيفة هو أحمد بن عمر بن إسماعيل[١٠٥]ومنهم من قام بهذه الوظيفة مدة طويلة من الزمن مثل شمس الدين محمد التميمي[١٠٦] (**) كما يجب أن يكون الموقت عارفاً بعلم الفلك والحساب[١٠٧] .

إلى جانب وظيفة الموقت كانت وظيفة المقرى ويشترط فيه أن يكون عالماً بعلم القراءات كذلك يجب أن يكون حسن الصوت والأداء والترتيل[١٠٨] .

الخاتمة :

من خلال استعراضنا لموضوع بحثنا (الأوضاع الإدارية في مدينة القدس في العصر المملوكي) توصلنا من خلال البحث إلى نتائج مستخلصة من هذا البحث : اتضح لنا في دراستنا للحدود الإدارية لمدينة القدس أنها كانت مكونة من المدينة المسورة ، ومحيطها من القرى والنواحي التي تمتد من الرملة شمالاً إلى مدينة الخليل جنوباً ومن البحر المتوسط غرباً إلى نهر الأردن شرقاً وهي مساحة ليست بالقليلة وإن لم تحددها المصادر المعاصرة ، مما يوضح المركز الإداري الذي احتلته مدينة القدس أيام المماليك .

وكذلك كانت مدينة القدس في عصر المماليك مدينة متكاملة وجدت فيها جميع الوظائف الإدارية والمالية والدينية ، رغم أنها في البداية كانت ملحقة إدارياً بنيابة دمشق ، ومن ثم بنيابة غزة إلاّ أنها أصبحت مستقلة لأهميتها المتزايدة بسبب وضعها الديني الخاص بها .

الهوامش :

(١) اليونيني ، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد(ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، ذيل مرآة الزمان ، ط٢ ، (القاهرة ، دار الكتاب الاسلامي ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .، ج١ ، ص٣٦١ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد بن سعيد بسيوني زغلول ، ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م) ، ، ج١ ، ص٥١٦ .

(٢) عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام ،القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ ، ص٣٦ .

(٣) القلقشندي ، احمد بن علي (ت: ١٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، شرح وتعليق يوسف علي الطويل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بلا ت ،ج٤ ،ص١٩٠ .

(٤) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: محمد مصطفى زيادة ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٣٧٠هـ) ، ص٧١٥ .

(٥) عثامنة ، خليل ، فلسطين في العهدين الايوبي والمملوكي ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ٢٠٠٦ ، ص٣٢٤ .

(٦) المقريزي ، السلوك ، ج٢ ، ص١٧٣ .

(٧) ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، حققه ووضع حواشيه : د. محمد محمد أيمن ، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بلا . ت) ، ج٦ ، ص٥٧ .

(٨) علم الدين سنجر الجاولي : من امراء الملك الناصر محمد بن قلاوون كان على المذهب الشافعي وكان يعمل الاستاداريه للملك الناصر محمد بن قلاوون لما كان بالكرك ، فلما قدم الملك الناصر من الكرك جهزه الى غزه نائباً وأضاف إليه القدس واللد والرملة وقاقون واقطعه اقطاعاً هائلاً ، واستمر على ذلك حتى رفض تعيين تتكز نائباً على الشام فامسكه الملك الناصر وحبسه ثم افرج عنه وولاه ثانياً نيابة غزة ثم نقل الى نيابه حماه. ينظر : ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٤ ، ص٧٥ .

(٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ، (مطابع كوستاماس ، بلا ت)، ج٩ ، ص٣٦ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٤ .

(١١) م . ن . ج٩ ، ص٥٥ .

(١٢)العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد الكناني أبو الفضل (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م) ، أنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق: حسن حبشي ، (القاهرة ، دار احياء التراث، ١٩٥٩م) ، ج١ ، ص١٠٧.

(١٣) الطبلخانه : كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والابواق، والطبلخانه ايضاً المكان المخصص من حواصل السلطان لطبول الفرقة وابواقها وتوابعها من الالات ويحكم على ذلك امير من امراء العشرات ويعرف بامير علم، ينظر الحاشية رقم ١ ، ابن كثير أبو الفدا الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٣٧م) ، البداية والنهاية ، ط١ (بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٩٦م) ، ج١٣ ، ص٤١ .

(١٤) صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٢٠٥ .

(١٥) السلوك ، ج٥ ، ص٣٥٦ .

(١٦) مجير الدين الحنبلي ، أبو اليمن العليمي عبد الرحمن بن محمد (ت٩٢٨هـ/١٥٢١م) ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، (عمان ، مكتبة المحتسب، بلا ت) ، ج٢ ، ص٢٨٢ .

(١٧) عثامنه ، فلسطين في العهدين الايوبي والمماليك ، ص٣٢٧ .

(١٨) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٢٠٦ ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، نظم الحكم والادارة في عصر الايوبيين والمماليك ، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الاسلامية ، (القاهرة ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، ط ، ١٩٨٧م)، ص٢٨٠ .

(١٩) العسقلاني ، انباء الغمر بابناء العمر ، ج١ ، ص١٠٧ .

(٢٠) السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب ، (ت٧٧٣هـ/١٣٧١م) ، معيد النعم ومبيد النقم ، (بيروت ، دار الحداثة ، ١٩٨٣م) ، ص٥٥ .

(٢١) عاشور ، نظم الحكم والادارة في عصر الايوبيين والمماليك ، ص٩١ .

(٢٢) العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق : مهدي النجم ، ط١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م) ، ، ج٣ ، ص٤٥٣ .

(٢٣) صبح الاعشى ، ج٤ ، ص١٩١ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٩١ .

(٢٥) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٧ ، ص١٨٧ .

(٢٦) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٩٥ .

(٢٧) المقريزي ، السلوك ، ج٦ ، ص٢١٤ .

[٢٨] نابلس : وهي مدينة مشهورة بارض فلسطين بين جبلين مستطيلة لاعرض لها كثيرة المياه لانها لصيقة في جبل ارضها حجر وبها الجبل الذي تعتقد اليهود ان الذبح كان عليه، وبها كثير من اليهود السامرة . ينظر : الحموي ، أبو عبد الله ياقوت الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، (بيروت ، دار صدار ، ٢٠١٠م)، ج٥ ، ص٣٤١ .

[٢٩] الصلت : تقع في مدينة البلقاء . ينظر: كحالة ، عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، معجم قبائل العرب القديمة الحديثة ، ج٢، ص٤٧٢ .

[٣٠] عجلون : وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلعة خطيرة وماءها عذب وهي من مدن فلسطين ، ينظر : ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ، ط١ ، (القاهرة ، المطبعة الأزهرية ، ١٣٣٦هـ/١٩٢٨م)، ج١ ، ص٢٥٦ .

[٣١] طوغان العثماني : كان من الحكام المعتبرين له محاسن كثيرة بمدينة القدس من العمارة وإقامة الحرمة ، ولما توفيت زوجته الست زهرة جعل لها مصحفاً شريفاً يقرأ فيه بالصخرة الشريفة ودفنها على رأس جعل جبل طور زيتا في قبة عمرها لها بالقرب من خروبة العشرة . ينظر : مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٢٧٥ .

[٣٢] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧٥ .

[٣٣] علي،السيد علي ، القدس في العصر المملوكي ،القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٨٣ ، ص٤٢ .

[٣٤] الانس الجليل ، ج٢ ، ص٤٠٣ .

[٣٥] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٨ .

[٣٦] زاوية الدركاه : تقع بجوار البيمارستان الصلاحي كانت في زمن الافرنج دار الاسبتار وهي من بناء هيلانه ام قسطنطين التي عمرت كنيسة قمامه وعليها منارة استهدم بعضها، وكان قديماً ينزل بها نواب القدس، واقفها الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب صاحب ميافارقين . ينظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٧٥ .

[٣٧] مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٢٨٠ .

[٣٨] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥٥ .

[٣٩] صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج١٢ ، ص١٠٤ .

[٤٠] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٠٦ .

(٤١) الزردخاناه : ومعناه بيت السلاح ومعنى بيت الزرد لما فيه من الدروع الزرد (اللون الاصفر بالفارسية) وتشمل على أنواع الاسلحة من السيوف والقسي العربية والنشاب والدروع وسائر انواع السلاح ، ينظر : المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١٠ .

(٤٢) م. ن ، ص١٩١ .

(٤٣) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٥ ، ص٤٢٢ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٢٥ .

(٤٥) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٢٨٠ .

(٤٦) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٥ ، ص٤٣٤ .

(٤٧) عاشور ، نظم الحكم والادارة في عصر الايوبيين والمماليك ، ص٢٧٢ .

(٤٨) الانس الجليل ، ج٢ ، ص٢١٦ .

(٤٩) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٦٦ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٦٥ .

(٥١) دراج ، احمد ، المماليك والافرنج ،القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٦١ ، ص٣٩ .

(٥٢) الماوردي ، ابي الحسن علي بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٧٩م) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١١) ، ص٣٠٠ ؛ ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي ضياء الدين (ت٧٩٢هـ/١٣٩٤م) ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، (كمبردج ، دار الفنون ، بلا . ت) ، ص٧ .

(٥٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٨٠ .

(٥٤) الشيرزي ، عبد الرحمن بن نصر (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م) ، نهاية الرتبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، اشراف : محمد مصطفى زيادة ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٦م) ، ص٢٢ .

(٥٥) الهراسين : وهم جماعة يقومون بطبخ القمح واللحم ، ينظر : الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص٣٦ .

(٥٦) المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، ج٢ ، ص٣٨٨؛ الكروي ، ابراهيم سلمان ، الحضارة العربية الاسلامية ، ط٢ ، (الكويت ، ذات السلاسل ، ١٩٨٧م) ، ص٩٤ .

(٥٧) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م) ، احياء علوم الدين ، (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي وشركاؤه ، ١٩٣٩م) ، ج٢ ، ص٣٢٧ .

(٥٨) المقريزي،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (الخطط المقريزية)، ج٢ ، ص٣٨٨ .

[٥٩] ابن بسام ، المحتسب (توفى أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : حسام الدين السامرائي ، (بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨م) ، ص١٥.

[٦٠] ابن الأخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص٧ .

[٦١] المصدر نفسه ، ص٨ .

[٦٢] علي ، القدس في العصر المملوكي ، ص٤٦ .

[٦٣] القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٢٠٠ .

[٦٤] مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ن ص٣١٤ ؛ قاسم ، عبده قاسم ، اثر الحروب الصليبية في العالم العربي ، ط١ ، (بلا . م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م) ، ص١٩٩ .

[٦٥] العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج٣ ، ص٤٥٨ .

[٦٦] المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٥٨ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٣ ، ص٥٥٩ .

[٦٧] القلقشندي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٥٥٩ .

[٦٨] المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٢١٣ .

[٦٩] العمري ، مسالك الابصار ، ج٣ ، ص٤٥٨ .

[٧٠] القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٢ ، ص٥ .

[٧١] مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل ، ج٢ ، ص١٤٤ .

[٧٢] القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٣٨ .

[٧٣] الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص٩٦ .

[٧٤] القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٣٨ ؛ عماد، عبد الغني ، السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر الميلادي ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٣م) ، ص٢١٥ .

[٧٥] القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٢٠٠ .

[٧٦] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٢ ، ص١٥٣.

[٧٧] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٢١ .

[٧٨] المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٢١ .

[٧٩] علي ، مدينة القدس في العصر المملوكي ، ص٤٩ ؛ زكار ، فلسطين في عهد المماليك ، الموسوعة الفلسطينية ، بيروت ، مطبعة ميلانو ، ١٩٩٠ ، ص٥٨٨ .

[٨٠] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٢٢٨ .

(٨١) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص١١٧ .

(٨٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٦ .

(٨٣) ابن اياس، زين العابدين محمد بن أحمد أبو البركات (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، (مطابع الشعب ، ١٩٦٠م) ، ج١ ، ص٣٠٧ ؛ أمين ، محمد محمد ، الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، (القاهرة، النهضة العربية ، ١٩٨٠م)، ص٥٤ .

(٨٤) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٨٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٥؛ عثامنه ، فلسطين في العهدين الايوبي والمملوكي ، ص٣٢٨.

(٨٦) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٤٤٥ .

(٨٧)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٩ .

(٨٨) غرس الدين خليل : غرس الدين خليل بن أحمد بن محمد بن عبد الله السخاوي جلس بالحضرة الشريفة الظاهرية مولده سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٧م) . ينظر : مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٢٧٦ .

(٨٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٥ ، ص٣٤٠ .

(٩٠) برهان الدين ابن جماعة : إبراهيم بن عبد الله ابن جماعه الكناني الشافعي الحموي الاصل ثم المقدسي، قاضي الديار المصرية والديار الشامية، مولده سنة(٧٢٥هـ/١٣٢٣م) وكان نائباً عن ابن عمه قاضي القضاة ، وكان كثير العبادة . ينظر : العسقلاني ، انباء الغمر بأبناء العمر، ج١ ، ص٣٥٥ .

(٩١) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص١٠٨ .

(٩٢) العسقلاني ، انباء الغمر بابناء العمر ، ج٢ ، ص٩٢ .

(٩٣) المقريزي ، السلوك ، ج٦ ، ص٢٦٤ .

(٩٤) مجير الدين الحنبلي ، الانس الخليل ، ج٢ ، ص٤١ .

(٩٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٠١ .

(٩٦) علي ، القدس في العصر المملوكي ، ص٥٣ .

(٩٧) مجبر الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٣٨١ .

(٩٨) عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، المدارس في بيت المقدس في العصرين الايوبي والمملوكي ، (عمان ، مطبعة الاقصى ، ١٩٨١م) ، ص١٨٨ .

(٩٩) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج٢ ، ص٣٣ .

(١٠٠) علي ، القدس في العصر المملوكي ، ص٥٤ .

(١٠١) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل ، ج٢ ، ص١٨٦ .

(١٠٢) علم الدين سليمان الصفدي، رئيس المؤذنين بالمسجد الاقصى ولد سنة (٧٨٥هـ/١٣٧٤م)، حفظ القران وتلاه بالقراءات وكان حسن الصوت ومات قريب الستين ينظر ، السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، بلا ت)، ج٢ ، ص١٣ .

(١٠٣) محمد بن أبي بكر بن محمد التدمري (ت ٧٨٧هـ/١٣٧٦م) وهو المؤذن قاضي القدس وكان صاحب خط حسن ماهراً في الفقه ولكنه كان متساهلاً بالصلاة وربما تركها . ينظر: العسقلاني ، انباء الغمر بأبناء العمر ، ج١ ، ص٣١٠ .

(١٠٤) علي ، القدس في العصر المملوكي ، ص٥٥ .

(١٠٥) أحمد بن عمر بن إسماعيل شهاب الدين أبو العباس النصيبي الموقت ولد سنة (٦٣٩هـ/١٤١٨م) ولد بملطية وقدم مصر في صغره وكان ديناً عاقلاً خبيراً بالمواقيت . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٣٤٥ .

(١٠٦) شمس الدين محمد التميمي : الموقت بالمسجد الأقصى الشريف كان من أهل الحذق في فنه باشر التأقيت بالمسجد الأقصى مدة أربعين سنة كان موجوداً سنة (٨٥٥هـ/١٥٣٤م) . ينظر : مجير الدين الحنبلي ، الإنس الجليل ، ج٢ ، ص١٨٤ .

(**) شمس الدين محمد التميمي : الموقت بالمسجد الأقصى الشريف كان من أهل الحذق في فنه باشر التأقيت بالمسجد الأقصى مدة أربعين سنة كان موجوداً سنة (٨٥٥هـ/١٥٣٤م) . ينظر : مجير الدين الحنبلي ، الإنس الجليل ، ج٢ ، ص١٨٤ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٨٤ .

(١٠٨) علي ، القدس في العصر المملوكي ، ص٥٥ .

إثر الأوضاع الدولية في التوجه البريطاني نحو ايطاليا ١٨٩١-١٨٩٥

أ. م. د: حسن زغير حزيم
م. م: صادق صكبان دوشان

إثر الأوضاع الدولية في التوجه البريطاني نحو ايطاليا ١٨٩١-١٨٩٥

أ. م. د: حسن زغير حزيم

م. م: صادق صكبان دوشان

المقدمة :

خلاف ما كان يتوقعه الألمان بأن حزب الأحرار سيلغي الارتباط مع الحلف الثلاثي فور وصوله للسلطة، بعد سقوط حكومة سالزبوري في آب عام ١٨٩٢، إذ حث سالزبوري غلادستون (آب ١٨٩٢-آذار ١٨٩٤) على الاستمرار في العلاقات بين بريطانيا والحلف الثلاثي مثلما كانت في عهد سالزبوري[١] وتأتي المخاوف الألمانية والإيطالية بسبب وجهة نظر غلادستون التي أخبر عنها في آب من العام نفسه في رسالة مفتوحة إلى صحيفة كورونا نابولي التي أكد فيها رفضه تجديد التحالف مع ايطاليا، فضلاً عن ذلك تأييده لفكرة الجلاء للقوات البريطانية عن مصر. وكانت هذه الآراء مثار خوف في روما وبرلين لأن الجلاء من شأنه إزالة العائق الرئيس في طريق التفاهم البريطاني – الفرنسي، إذ عقد البلدان في ١٧ آب عام ١٨٩٢ معاهدة تعاون عسكري بينهما بشأن المستعمرات[٢].

ولهذا شعرت روما وبرلين بالارتياح عندما علمتا بتولي اللورد روزبيري[٣] Lord Rosebery منصب وزير الخارجية البريطاني، الذي وافق على نصح سالزبوري في السياسة الخارجية واستبعاد لابوتشير عن الترشيح لمنصب وكيل وزارة الخارجية[٤].

وشعرت فينا بالارتياح النسبي أيضاً عندما أكد كابريفي للنمساويين " مادامت وزارة الخارجية البريطانية تظل في أيدي رجل سياسة مثل روزبيري فإن السياسة التي تتخذها الوزارة بشأن الحلف الثلاثي ستكون استمراراً للسياسة السابقة " [٥].

وأكد روزبيري شخصياً هذا الشعور في ١٦ ايلول عام ١٨٩٢ لهاترفيلدت عندما وضح بعدم تأثر سياسته الخارجية بآراء غلادستون الذي أصبح نفوذه على

الحكومة ضعيفاً بسبب تقدمه في السن، وكان هذا صحيحاً تماماً ، لأن غلادستون حصل على اغلبية بسيطة في البرلمان، وأكثر زملائه كانوا كباراً في السن، ولذلك أصبح أمر استمراره على رأس الحكومة ضعيفاً[٦]، وجعل روزبيري الموقف أسوأ عندما هدد بالانسحاب من العمل السياسي، وكانت نتيجة هذا ان تم الرجاء منه العدول عن ذلك مقابل القبول بشرطه، الذي تمثل بإدارة وزارة الخارجية بحرية تامة، وهذا يعني أنه يدير شؤون الوزارة تقريباً دون الرجوع إلى مجلس الوزراء وإلا فإنه يهدد بتفعيل الاستقالة. وفي ظل مثل هذه الظروف فإن غلادستون وهارتنكتون مهما بذلا من جهود والضغط للقيام بشيء ما بشأن مصر، فإن روزبيري يمتلك الحق الكامل في الرفض والاعتراض، وأصبحت العلاقات البريطانية- الفرنسية في غضون أشهر قليلة من تشكيل حكومة حزب الاحرار، أسوأ مما كانت عليها سابقاً في عهد سالزبوري، واعترف غلادستون بأنه ارتكب خطأ كبيراً بمنح روزبيري منصب وزارة الخارجية[٧].

وأكد روزبيري لهاتزفيلدت ومن خلال ألمانيا ليؤكد لإيطاليا " أن حكومة غلادستون ملزمة بمساعدة إيطاليا في حالة تعرضها لأي هجوم" [٨].

أعادت الملكة فيكتوريا تقييم الأوضاع الداخلية والخارجية، لأنها تخشى على امبراطوريتها من مزاج غلادستون السيّئ بسبب تقدمه بالعمر ، وبدت التأكيدات التي أعطاها روزبيري بشأن دعمه السياسة الخارجية التي اتخذها سالزبوري في الماضي تجاه روما وبرلين وفينا مقنعة جداً، ويذكر ان تورنيللي وبرن كذلك اقتنعا بتلك التأكيدات[٩].

ومما شجع روزبيري على اتخاذ هذا الموقف هو توتر العلاقات البريطانية- الفرنسية في كانون الأول عام ١٨٩٢ بسبب دعم فرنسا مطالب الروسية السيطرة على منطقة بامير[١٠] Pamir مما يهدد بوصولهم إلى مناطق جترال Chitrall الإستراتيجية التي تؤثر على المصالح البريطانية في المنطقة خاصة وان بريطانيا تخشى من قيام حلف روسي – فرنسي ضدها[١١].

ونتيجة تدهور علاقات بريطانيا مع فرنسا وروسيا لدرجة كبيرة في عام ١٨٩٣ بسبب الخلافات الاستعمارية في مصر وأوغندا وسيام والهند الصينية[١٢]، ازدادت ثقة بريطانيا بنحو كبير بألمانيا وايطاليا[١٣]، وأكد السفير البريطاني في فينا اثناء القائه بياناً رسمياً في أيار عام ١٨٩٣ عن تضامن بريطانيا مع النمسا- المجر فيما أكد روزبيري للايطاليين بأن فرنسا كانت تدفع بريطانيا نحو الحلف الثلاثي[١٤].

وافترضت روما وبرلين في تموز عام ١٨٩٣ عندما نشبت أزمة سيام (تايلند)[١٥] أن اللحظة مؤاتية لالتحاق بريطانيا بالحلف الثلاثي، وطلبها المساعدة من الإمبراطورية الألمانية، لكن سرعان ما خاب أملهما ولم يتحقق ما افترضا[١٦].

وكان تأثير هذه الأزمة سلبياً في مستقبل ارتباط بريطانيا بالحلف الثلاثي وجاءت هذه الأزمة بعد فشل عدة محاولات ألمانية لدفع بريطانيا لقتال فرنسا رغم حصول روزبيري على تعهد ألماني بتقديم دعم لبلاده ضد فرنسا ؛ الأمر الذي أقنع كابريفي بعدم جدوى الاعتماد على بريطانيا. وكانت ألمانيا في الحقيقة خاطئة في ذلك ؛ لأن روزبيري اعتقد ان المشكلة لا تستحق الدخول في الحرب من اجلها[١٧].

أكد الأخير ذلك في رسالة بعثها إلى الملكة فكتوريا قال فيها: " إن اللجوء إلى الحلف الثلاثي يمكن أن يصبح في أحد الأيام ضرورياً، ومما لاشك فيه أن الفرنسيين يحاولون الآن بذل كل جهودهم لدفعنا نحو الحلف الثلاثي ولكن التحاقنا بالحلف يجب أن يكون في موقف أكثر من سوء الموقف الحالي وأن من الحكمة تسوية هذه المشكلة دون الحصول على المساعدة الألمانية " [١٨].

لكن ألمانيا في هذا الوقت لم تعد مقتنعة بموقف بريطانيا المتردد من الانضمام إلى الحلف الثلاثي، وهددت ألمانيا فأما أن تلتحق بريطانيا بالحلف أو أن تتخلى ألمانيا عن السياسة القديمة وإتباع سياسة عالمية ، وتتوصل مع روسيا إلى اتفاقية تحالف. وأصرت بريطانيا نتيجة لوصول الأسطول الروسي في تشرين الأول عام ١٨٩٣إلى ميناء طولون الفرنسي على إجراء مفاوضات مع النمسا- المجر بشأن المضايق

العثمانية ولكنها فشلت بسبب انتهاج ألمانيا سياسة عالمية[١٩] Kolonia Politik للحصول على المستعمرات وأدى إلى إبعاد الحكومة والرأي العام البريطاني عن ألمانيا.

وأوضحت المفاوضات جلياً بغض النظر عن موقف ألمانيا بأن لاتزال لدى لندن وفينا مصالح مشتركة كبيرة، لكن غلادستون قدم استقالته في ٣ آذار عام ١٨٩٤ وشكل روزبيري حكومة جديدة وكان مستعداً لبذل كل الجهود للمحافظة على مصالح بلاده مع النمسا- المجر. وكان سبب هذا القلق المتبادل كالمعتاد هو البحر المتوسط، فقد كان كل من كالنوكي وروزبيري قلقاً من احتمالية اشتراكهما في حرب ضد روسيا وفرنسا، وكان كالنوكي أصلاً قلقاً من التوجه الواضح جداً في السياسة الخارجية الألمانية نحو روسيا، وكذلك سيطرت عليه مخاوف من أن تؤدي الأزمة الاقتصادية في إيطاليا إلى انهيار النظام الملكي في إيطاليا وأعلان الجمهورية على أيدي أنصار حركة الردنتستس [٢٠] .

وخروج إيطاليا من الحلف الثلاثي مما يجعل النمسا- المجر مضطرة لعقد اتفاقية مع روسيا، رغم أن الأمر غير مرحب به وبشدة من لدن كالنوكي بحيث أنه قرر القيام بآخر محاولة لدفع بريطانيا لاتخاذ سياسة معادية تجاه فرنسا ؛ لأن ذلك من شأنه تعزيز موقف إيطاليا والحيلولة دون انسياب ألمانيا باتجاه روسيا.إذ كتب كالنوكي إلى روزبيري: " إن اللحظة التاريخية جاءت إلى بريطانيا ليس فقط لزيادة قوتها البحرية بل لتأكيد سلطتها السياسية والعسكرية في البحر المتوسط " [٢١].

وتقبل روزبيري تلك النصيحة بسبب تحول شكوكه السابقة بشأن قوة الأسطول البريطاني بعد زيارة الأسطول الروسي إلى ميناء طولون الفرنسي إلى مخاوف حقيقية. وقال الادميرال سبنز اللورد الأول في البحرية البريطانية : " إن أمل بريطانيا الوحيد في التأثير في روسيا لمنعها من الاشتراك في حرب إلى جانب فرنسا هو الالتحاق بالحلف الثلاثي [٢٢].

واعتقد أن الحل الواضح للأزمة هو التحاق بريطانيا بالحلف الثلاثي أو عقد معاهدة منفصلة مع إيطاليا، لمنعها من الانسحاب من الحلف. ولكن روزبيري رفض

هذا الرأي وقال : " كلا هذين الحلين غير موجودين في نظر السياسة الخارجية لرئيس الوزراء البريطاني في هذا الوقت" (٢٣).

وكان قرار الحكومة البريطانية الذي اتخذته سابقاً لتطوير الأسطول لم يكن كافياً، وأن جزءاً من خطة الردع البريطانية اعتمدت على التعاون مع النمسا- المجر بيد أن كالنوكي هدد بالسعي وراء التفاهم مع روسيا إذا لم يحصل على تعهد خطي من مجلس الوزراء البريطاني يشير إلى وقوفه إلى جانب اتفاقيات البحر المتوسط(٢٤). وكان طلب كالنوكي هذا صعباً جداً، لإقناع غلادستون بذاك يعد مستحيلاً مثلما أشار روزبيري " أنه يجعلني أتعصبُ وأشعرُ بالصداع بسبب رفضه عرض هذا الموضوع على مجلس الوزراء البريطاني " (٢٥).

أصر روزبيري على عدم قراءة نصوص اتفاقيات البحر المتوسط، لكي يستطيع الادعاء بعدم عقدها في حالة سأل أحد الوزراء عنها، مثلما أمر ديم بذلك وهذا الفرق الكبير بينه وبين سالزبوري الذي ناقش تلك الاتفاقيات في مجلس الوزراء، في حين روزبيري لم يعرضهن مطلقاً على مجلس الوزراء البريطاني ولكن الشيء الوحيد الذي استطاع القيام به هو الوعد بالدعم الخارجي البريطاني لإيطاليا من أجل المحافظة على المصالح البريطانية في البحر المتوسط ، وضمان الدفاع عن الإمبراطورية العثمانية من الاعتداء الروسي بشرط حصول بريطانيا على دعم الحلف الثلاثي لمراقبة فرنسا ومنعها من مهاجمة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط(٢٦).

وعدت فينا هذا التعهد استجابة معقولة جداً للدعوات النمساوية السابقة. وأدرك كالنوكي صعوبة عقد حلف مع بريطانيا يكون ملزماً في كل القارة الأوروبية ؛ لذا كان كالنوكي يرغب في التفاوض مع بريطانيا على هذا الأساس، ولكن برلين لم تتأثر بذلك. وأجرى كابريفي مفاوضات مع روسيا تكللت بعقد اتفاقية تجارية بين البلدين، وأن هولشتاين والإمبراطور الألماني قد سيطرت عليهما فكرة عقد اتفاقية استعمارية مع فرنسا هدفها إخافة بريطانيا وجعلها تضطر لتقديم تنازلات استعمارية مما يزيد من تقربها إلى ألمانيا(٢٧). وان الغاء تلك الفكرة مقابل النتائج المحتملة من إشارة روزبيري

هو أمر يمكن التفكير به، بل على العكس أن الضغط القليل في افريقيا لإظهار استقلال السياسة الخارجية الألمانية يمكن أن يكون مفيداً لتحفيز بريطانيا[٢٨]، الأمر الذي دفع بريطانيا لعقد معاهدة مع إيطاليا في ٥ أيار عام ١٨٩٤ وافقت بموجبها بريطانيا على احتلال إيطاليا لمنطقة كسلا[٢٩]. لكن فرنسا احتجت على هذه المعاهدة التي عدتها تضرّ بمصالحها في إفريقيا[٣٠].

وهذا أصل الخلاف بشأن الكونغو بين بريطانيا وألمانيا في ٨ حزيران عام ١٨٩٤ التي تشكل سياسة النهج الجديد لألمانيا التي أساسها هو تأجيل المطامع الاستعمارية الألمانية مقابل الحصول على الدعم البريطاني في أوروبا للحلف الثلاثي[٣١].

وكذلك توترت العلاقات الفرنسية- الإيطالية في ٢٤ حزيران بسبب مقتل الرئيس الفرنسي كارنو[٣٢] Carnot في مدينة ليون على يد ثائر إيطالي مما أثار غضب الشعب الفرنسي ضد إيطاليا وردت صحافة الأخيرة بحملة تصعيد[٣٣].

دفعت روزبيري إلى الاشارة في ١٤ تموز عام ١٨٩٤ إلى إن تغير السياسة الألمانية الخارجية تجاه بريطانيا وتوتر العلاقات الفرنسية – الإيطالية سيقود إلى تغير مماثل من بريطانيا لتحسين علاقتها مع فرنسا وأجرى روزبيري مفاوضات مع فرنسا انتهت بعقد في ١٤ آب معاهدة الكونغو. ولكن العلاقات البريطانية الألمانية استمرت جيدة ولكنها لم يتم الإشارة إليها علناً قطُّ في الرأي العام البريطاني [٣٤].

ومثلما أشار هاتزفيلدت في كانون الأول عام ١٨٩٤ بنحو واضح عندما اعتقد أن استمرار المفاوضات بين بريطانيا والنمسا- المجر حتى إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق فإنها تخدم هدفاً مفيداً جداً وهو المحافظة على ارتباط بريطانيا بالحلف الثلاثي. حتى عودة سالزبوري لرئاسة الوزراء مرة أخرى: " وإن الخطر هنا لا يكمن في اهانة وزير بريطاني معين أو آخر، لكن يكمن في التحول بالرأي العام بريطاني الذي أصبح بارزاً نتيجة للجفاء الذي حصل بيننا ولا يمكن لأي شخص في الحكومة البريطانية تغير قناعة الرأي العام الذي أصبح وبنحو حاسم ضد الحلف الثلاثي" [٣٥].

لكن القضاء على هذه العلاقات بهذه السياسة لم تؤدّ إلى إبعاد روزبيري فقط الذي بدأ الآن بمحاولة لتسوية خلافاته مع فرنسا وروسيا ولكن الأكثر أهمية هو الرأي العام البريطاني المتأثر من تلك السياسة، وبهذا يتم الإضرار بالحكومة البريطانية التي تعتمد عليها ألمانيا، وأن مشاعر العداء الشعبية المتزايدة هذه بشأن المسائل الاستعمارية انتقلت ايضاً إلى الشعب الألماني مما زاد من توتر العلاقات البريطانية الألمانية وبالطبع أثار هذا مخاوف إيطاليا والنمسا- المجر[٣٦].

إذ حاول كرسبي[٣٧] إنشاء حلف مع بريطانيا في إفريقيا لمواجهة الصعوبات المتزايدة التي تعاني منها إيطاليا في الحبشة[٣٨]، ولكن هذه المحاولة لم تكن لها أية استجابة في لندن، ويذكر أن بريطانيا ترغب في عقد اتفاقية محدودة مع إيطاليا بشأن الحدود في مدينة هرار Harar ، التي تقع جنوب شرق الحبشة. ولكن طلب كمبرلي من بريطانيا أن تتضمن هذه الاتفاقية تنازل بريطانيا عن زولا Zeila في السودان أو تعاون البلدين عموماً في السودان، بيد أن بريطانيا رفضت ذلك، وأشار كرسبي: " لدينا المزيد من المشاكل ولا نريد إضافة الزيت على النار" [٣٩].

شعر كرسبي في ٢٠ كانون الأول عام ١٨٩٤ باليأس المتزايد من الاتجاه الواضح للسياسة الخارجية البريطانية لعقد اتفاقية مع فرنسا وروسيا لتسوية الخلافات فيما بينهم، وكان يخشى أن تمتد هذه الاتفاقية لتضم المستعمرات في البحر الأحمر، الأمر الذي دفع كرسبي لإعادة الاتصال مجدداً بلندن ولكن لم يحقق النجاح[٤٠].

ونقل هاتزفيلدت الاستنتاج الذي توصل إليه كرسبي إلى بريطانيا بأنها لا ترغب في إزعاج علاقتها الجيدة مع روسيا والتي كان لها أهمية كبيرة بالنسبة للمصالح البريطانية في البحر المتوسط والإمبراطورية العثمانية والشرق الأقصى. فيما كانت إيطاليا تستطيع الاعتماد على الدعم البريطاني في البحر المتوسط، لكنها لا تستطيع التوقع ان تشترك بريطانيا في دعم نشاطها الاستعماري في البحر الأحمر مما يدخلها في صراع مع الدول الأوروبية الأخرى[٤١].

وأصبح واضحاً تغير السياسة الخارجية البريطانية تجاه إيطاليا والحلف الثلاثي لكن تورنيللي ظل المدة طويلة ينتظر من بريطانيا التعاون مع إيطاليا حتى وصل إلى اليأس من ذلك[٤٢]، وأعلن عن قناعته بميل روزبيري وكمبرلي[٤٣] (وزير خارجية بريطانيا) لإجراء تسوية للخلافات البريطانية مع فرنسا، وطالب بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، لكن هاتزفيلدت نظر إلى ذلك على أنه سابق لأوانه وقال : " الآن من الواضح أن بريطانيا تعمل مع روسيا وفرنسا وهي سياسة تجعلنا نبتعد عن بريطانيا ولكن هذا الأمر يفسح المجال لفرنسا وروسيا للتقارب أكثر معها " [٤٤].

وبوضوح شديد لم يبقِ في نهاية عام ١٨٩٤ إلا القليل من علاقات بريطانيا مع كلّ من ألمانيا وإيطاليا والنمسا- المجر، وأصبحت العلاقات الألمانية – البريطانية سيئة جداً[٤٥]، مع نمو الخلاف بشأن موزمبيق بينهما هدد كمبرلي بشن حرب ضد ألمانيا، والذي أجهض ذلك هو فشل المفاوضات البريطانية- الفرنسية بشأن المستعمرات بسبب إصرار فرنسا المشاركة مع بريطانيا في إدارة مصر[٤٦].

ودافع روزبيري عن سياسته الخارجية الجديدة، على الرغم من تطور المشكلة الأرمينية، وأشار أنها ستستمر بلا تردد، واتهم كالنوكي الساسة الألمان بالوقوف وراء تغيير بريطانيا سياستها الخارجية[٤٧]، ولم يشعر رزوبيري بالندم على تغيير سياسته، وعبر عن شعوره بالفخر والابتهاج بسياسته الجديدة في رسالة بعث بها في كانون الثاني عام ١٨٩٥ إلى مالت وصف فيها مركز بريطانيا بالرئيس في العلاقات الدولية، وقال: " إذا أرادت بريطانيا قيادة سياستها الخارجية قيادة صحيحة، فيجب أن تسيطر على مفتاح البحر المتوسط [إيطاليا] " [٤٨].

وأظهرت ألمانيا تجاهلها لمكانة بريطانيا الدولية، عندما بدأت بالتكلم على قدرتها على دعم السياسة الاستعمارية الفرنسية في افريقيا [٤٩] لذلك تحتم على بريطانيا إرسال رسالة واضحة جداً إلى ألمانيا عن طريق فينا، بأننا لا نستطيع دعم الحلف الثلاثي في أوروبا بسبب تجاهل ألمانيا لدور بريطانيا الرئيس في دعم إيطاليا لضمان

بقائها في الحلف الثلاثي مما زاد مشاعر الخوف والانزعاج في فينا وروما من اللهجة المختلفة جداً عن موقفهما في برلين(٥٠).

ولكن إذا كانت بريطانيا في هذا الوقت قادرة على التفاوض مع كل المتحالفين وتعزيز موقفها بسبب نجاح مشروع سبنسر (٥١) Spencer لزيادة قوتها البحرية مما جعلها تتخلى عن روابطها السابقة، مثلما أشار روزبيري عام ١٨٩٥ : " يجب علينا أن نتعاون مع التحالف الفرنسي– الروسي إلا أننا يجب أن لا نشترك بالتزامات تفرض علينا الدخول في حرب ليست لنا مصلحة فيها " (٥٢).

واستمرت بريطانيا بالعمل على هذا النهج والتعاون العملي مع التحالف الفرنسي – الروسي كلما تسمح الظروف ولكن دون الدخول في التزامات واضحة مع الحلف. وكانت هذه الفكرة الرئيسة في سياسة روزبيري الخارجية الجديدة التي جعلت التعاون مع الحلف الفرنسي– الروسي ممكن. كان هذا التطور ناتجاً جزئياً عن تغير الرأي العام البريطاني بسبب الصراع الاستعماري بين بريطانيا وألمانيا. وجزء آخر ناتجاً عن مذابح الأرمن التي ولدت مجموعة جديدة من القيود على السياسة الخارجية البريطانية. وكانت ألمانيا تعتقد ان هذه القيود ستدفع روزبيري فوراً للعودة إلى الحلف الثلاثي ولكن الفكرة كانت وهماً ألمانيا وغير صحيحة(٥٣).

وتنبأ هاتزفيلدت بأن المسألة الحرجة والحاسمة في هذا الوقت أصبحت المضايق العثمانية، ومادامت المسألة الشرقية مقتصرة على مشكلة الأرمن فإن من السهل نسبياً لبريطانيا وروسيا أن يعملا معاً. ولكن ما أن تدخل قضية المضايق في الأزمة، فإن تصادم مصالحها يجعل التعاون بينهما صعباً جداً وفشلت سياسة حكومة حزب الأحرار للتوصل إلى حل مشكلة الأرمن بالتعاون مع روسيا(٥٤).

وإن المسألة الرئيسة التي واجهت سالزبوري الذي عاد إلى رئاسة مجلس الوزراء في حزيران عام ١٨٩٥ كانت البحث عن حل لمشكلة الأرمن(٥٥)، وبدأ بالبحث مجدداً لإعادة ارتباط بريطانيا بالحلف الثلاثي، لأنه اكتشف بسرعة ليس هناك أمل في نجاح

أي تعاون مع روسيا مهما وافقت بريطانيا على القيام بالضغط على الإمبراطورية العثمانية لحل المشكلة وان ما ينطبق على روسيا ينطبق على فرنسا(٥٦).

وكان سالزبوري يميل إلى انتقاد الإرث الذي ورثه من روزبيري خاصة الفكرة القائلة بإمكان الإمبراطورية العثمانية إجراء إصلاحات بين رعاياها ومنح الضمانات للأرمن بحسن نية السلطان، وتساءل سالزبوري كيف نستخدم القوة لفرض شروطنا على السلطان التي يرفضها دون وجود حلفاء أوروبيين إلى جانبنا،وإن مجرد التساءل ما الذي ينوي سالزبوري القيام به في هذه المرحلة هو تساؤل مثير لكثير من الجدل. وأنه أبلغ إلى هاتزفيلدت في تموز عام ١٨٩٥ عن ندمه بشأن دعم الإمبراطورية العثمانية سابقاً ورفضه تقسيمها فإنه أي سالزبوري يفكر بالأمر حالياً(٥٧).

ويبدو أن محادثات سالزبوري مع هاتزفيلدت كانت استطلاعية بنحو صرف ليكتشف وجهة النظر الألمانية لحل مشكلة الأرمن عن طريق تقسيم الإمبراطورية العثمانية. لكن سالزبوري أنكر بشدة بعد ذلك أنه اقترح إعطاء أسطنبول إلى روسيا وقال: " لم ألمح إلى أي شيء عن هذا الأمر وقلت بأنني متأكد أن الألمان سيقومون بذلك إذا كانوا في حرب ضد فرنسا " (٥٨).

ولكن بغض النظر عن ما هي نيات سالزبوري، فإن ألمانيا بعد هذه المحادثات كانت أكثر حرصاً من روسيا في الاهتمام بحل مشكلة الأرمن ، وقال : " يتضح من خلال المحادثات بين سفير النمسا– المجر والإمبراطور الألماني مما لا يقبل الشك بأن جميع دول أوروبا مؤيدة لسياستنا بشأن الأرمن وان الدولتين [ألمانيا والنمسا– المجر] تكره بالتأكيد تلك السياسة إذ تعتقدان أنها سياسة غريبة وخطيرة " (٥٩).

وظل كرسبي يضغط في هذه الظروف لعقد الحلف الثلاثي والتعاون وبريطانيا لعقد مؤتمر دولي بشأن مشكلة الأرمن، وكانت الفكرة الإيطالية واضحة للقيام بأي شيء يقضي على تقارب بريطانيا مع التحالف الروسي– الفرنسي، وإذا قاد المؤتمر إلى تقسيم الإمبراطورية العثمانية فإن كرسبي لا يعترض على ذلك، ولكن سالزبوري لم يؤيد عقد المؤتمر, ولمح إلى الطليان بضرورة التفكير في احتلال طرابلس أو ألبانيا بدلاً من

البحث عن حل لمشكلة الأرمن ،ذ ولم تكن تلميحاته جادة بل كان هدفها الرئيس هناك إبعاد إيطاليا عن زيلا Zeila، إذ أصبح الضغط شديداً على بريطانيا، وعد سالزبوري عقد مؤتمر مع روسيا وألمانيا والنمسا– المجر وفرنسا وإيطاليا والإمبراطورية العثمانية لا يستطيع ضمان اتخاذ قرار لصالح بريطانيا وقال : " إن النتيجة الوحيدة لعقد المؤتمر هو أننا يجب أن نقدم تنازلات إلى ست دول بدلاً من اثنتين كما هو الحال في الوقت الحاضر" (٦٠).

وكان سالزبوري يعتقد رغم ذلك بضرورة القيام بعمل ما وكان الحل الواضح في نظره هو التخلي عن الأرمن مثلما اخبر هاتزفيلدت لاحقاً: " فكرتي الوحيدة هو إخراج نفسي من هذا الموقف المثير للاشمئزاز" . ولكن ضغط الرأي العام البريطاني جعل هذه الفكرة بعيدة جداً ؛ لأن المشكلة الأرمينية تم الاهتمام بها من لدن صحافة حزب الأحرار وغلادستون ورجال الدين البريطانيين(٦١).

ويكمن هذا تفسير الخلاف بين بريطانيا والدول الأوروبية، مثلما تأمل سالزبوري ذلك في رسالة بعث بها إلى كورني Cornie سفير بريطانيا في اسطنبول: " إن من المسائل المثيرة للاهتمام ان الطبيعة السايكولوجية للمجتمع البريطاني مختلفة جداً عن شعوب القارة الأوروبيين، ولا أعتقدُ بأن هناك شخصاً واحداً في ميناء ارتشنجل Archangel الروسي إلى ميناء قادس Cadil الأسباني يهتم بمذبحة الأرمن، لكننا هنا نتعاطف معهم ويصل هذا التعاطف في غضبه إلى الجنون" (٦٢).

وكان حل سالزبوري في هذه الظروف في أيلول عام ١٨٩٥ هو استبعاد القيام بعمل ما في المضايق العثمانية وإنزال قوات بريطانية في ميناء جدة (الحجاز) وتهديد الأماكن المقدسة الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت هذه الفكرة تحمل ميزة مزدوجة ؛ لأنها لا تثير خوف الروس في حين من المحتمل أن تؤثر في السلطان العثماني. وكان سالزبوري ينتظر حلول فصل الشتاء ؛ لان فصل الخريف حار في المنطقة لتنفيذ فكرته لكن لدن مجيء ذلك الفصل ، فإن الظروف قد تغيرت، فقد تجددت مذابح الأرمن(٦٣) في نهاية أيلول مما اثار الهلع في أوروبا بصورة عامة بإذ

نتج عن ذلك اتحاد غير متجانس بين الدول الأوروبية الكبرى، وأجبرت تلك الدول السلطان العثماني لإصدار فرمان في ١٧ تشرين الأول من عام ١٨٩٥ تم بموجبه منح الإصلاحات التي كان الحلف الثلاثي وبريطانيا وروسيا وفرنسا تضغط للحصول عليها منذ أشهر(٦٤).

كان لهذا القرار نتيجتان الأولى: سمح لروسيا بموجب هذا القرار الدخول في المضايق العثمانية، والقيام بعمل عسكري بحري هناك، وغير سالزبوري نتيجة اهتمامهم نحو مسألة دخول روسيا في المضايق، وابتعد عن الاهتمام بمشكلة الأرمن. والثانية: أصبح الاهتمام الآن بانفتاح الإمبراطورية العثمانية وإصلاحها مما جعل الدفاع عنها امراً مقبولاً للرأي العام البريطاني، وبذلك استطاع سالزبوري أن يبدأ بسياسة واضحة لإعادة علاقة بريطانيا الجديدة مع الحلف الثلاثي(٦٥).

وكان سالزبوري إثناء مباحثاته مع هاتزفيلدت في تشرين الأول عام ١٨٩٥ متفائلاً جداً ؛ فقد توصل إلى استنتاج أخبر به ديم، بأن المحافظة على الإمبراطورية العثمانية هي السياسة الوحيدة الممكنة التي يجب إتباعها ، لان انهيار تلك الإمبراطورية ليس في مصلحة بريطانيا(٦٦).

وكان يرغب بشدة في مناقشة تجديد التفاهم السابق مع الحلف الثلاثي، واعتقد أن إيطاليا ستكون طرفاً ثالثاً مفيداً واستقبلت فينا هذه الأخبار بامتنان، وأن كولو جوفسكي(٦٧) Ceolachwski وزير خارجية النمسا – المجر ، شعر بالارتياح في هذا الوقت، ولم تكن هناك صعوبة في الحصول على مساعدة ايطاليا، وان كرسبي وبلانك Blanc كانا يحثان فينا على الرأي العام البريطاني بشأن الأرمن، وبذلك يتم إبعاد بريطانيا عن فرنسا وروسيا، وأن كرسبي سيدعم إي عمل تراه بريطانيا ضرورياً، وأنه لا يكترث بسقوط الإمبراطورية العثمانية ، لأن المسألة الضرورية بالنسبة له في هذه المرحلة الحرجة عدم تحالف بريطانيا مع فرنسا وروسيا ما عدا ذلك فإن إيطاليا لا تهتم في حالة احتلال روسيا لاسطنبول أو عدم حصول إيطاليا على طرابلس(٦٨).

وجاء التغير في السياسة النمساوية الخارجية من هنا. فاقترح كولوجوفسكي ، بعد ان علم بعودة العلاقات البريطانية- الإيطالية إلى سابق عهدها في ١١ تشرين الثاني قيام أساطيل الحلف الثلاثي وبريطانيا بالدخول إلى المضايق العثمانية لإجبار السلطان العثماني على تنفيذ الإصلاحات التي وعد بها سابقاً في إمبراطوريته، واعتقد كولوجوفسكي وكذلك كرسبي بأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي من خلالها جعل العلاقات القديمة مع بريطانيا عملية، وبهذا يتم إبعاد بريطانيا عن التعاون الذي يخشاه مع روسيا[٦٩]، ولكن لسوء الحظ فكان اهتمام كولوجوفسكي الرئيسي ليس مصير الأرمن بل بخطر تقسيم الممتلكات العثمانية الشرقية بين بريطانيا وروسيا، وانتهز كولوجوفسكي فرصة إعادة التعاون بين بريطانيا والحلف الثلاثي من جديد ليتجنب حدوث ذلك[٧٠].

ولكن عند تهديد لوبانوف[٧١] Lobanov (وزير خارجية روسيا) بمعارضة روسيا لإغلاق المضايق العثمانية بوجه السفن الروسية مهما كانت الظروف، الأمر الذي اضطر كولوجوفسكي التراجع بسرعة عن موقفه لان استمراره يعني إعلان الحرب ضد روسيا ، وهي حرب لا داعي لها في وجهة نظر النمسا- المجر[٧٢]، لأن لوبانوف عدّ انتفاء أمل لعقد أية صفقة بين بريطانيا وروسيا، اذا رفضت الأولى افتتاح المضايق العثمانية بوجه السفن الحربية الروسية[٧٣].

وحاول سالزبوري تبرير موقفه من مشكلة الأرمن للرأي العام البريطاني بنشر كتاب أزرق رمى اللوم فيه على النمسا- المجر التي لم تكن ترضى إتباع بريطانيا في جهودها هناك، وكان هدفها الوحيد هو المحافظة على العمل المشترك وكان إعلان روسيا الصريح بانتهاك معاهدة باريس[٧٤] السابقة بشأن المرور في المضايق يهدد المصالح البريطانية في المنطقة مما كاد يقود إلى الحرب، ومثل هذه الحرب ليس لها أهمية بالنسبة للنمسا- المجر[٧٥].

اعتقد سالزبوري بإمكانية قيام بريطانيا والحلف الثلاثي بحملة مشتركة لفرض الإصلاحات على السلطان العثماني. وبهذا يمنحون ضماناً لوحدة إمبراطوريته، لكنه

رفض لوبانوف حدوث بهذا وانسحاب كولوجوفسكي جعل من الواضح بأن سالزبوري إذا إصر على ذلك فستكون بريطانيا وحدها في الحملة. ويتضح ذلك من خلال مراسلته مع جوشن Goschen بأن ما كان يفكر به سالزبوري أصبح الآن يشعر بالتعب من عناد السلطان العثماني وتغيير كولوجوفسكي وتردده [٧٦].

بدأ سالزبوري في هذا الوقت بالاعتقاد بأن الطريقة الوحيدة لزيادة التعاون مع حلفائه (ألمانيا والنمسا- المجر وإيطاليا) هي قيام بريطانيا باحتلال المضايق العثمانية بالقوة. واعتقد بأن قيام بريطانيا بالحملة وحدها دون مساعدة النمسا- المجر وألمانيا وإيطاليا ستجعل روسيا لا تعارضها. لذلك رفض العروض الإيطالية لتقديم المساعدة لبريطانيا في هذا الوقت استناداً إلى هذا الاعتقاد ولم يكن يعرف ما هو هدفه بالضبط من هذه الفكرة[٧٧].

وكان هدفه للمرة الثانية غير واضح، وقام بإخبار وزارة البحرية البريطانية بأنه يهدف إلى إحباط مخطط روسي للسيطرة على أسطنبول ولكن لا يستطيع تحديد مدى جدية تلك المخططات. وربما أنه كان عذراً للتغلب على معارضة مجلس الوزراء البريطاني. وكان هدفه الحقيقي هو احتلال بريطاني مباشرة لاسطنبول وإجبار السلطان العثماني للقيام بالإصلاحات وإنقاذ تدهور الإمبراطورية العثمانية[٧٨].

وأصبح بعد كل هذا الدفاع عن اسطنبول، مثلما أشار هاملتون Hamilton وبلفور. أحد المفصلين الرئيسين للسياسة الخارجية البريطانية التي يتخذها سالزبوري حالياً. وكان يعتقد بأنه إذا لم يستطع القيام باحتلال اسطنبول سيضطر إلى التخلي عن تلك السياسة وكان هاتزفيلدت مقتنعاً بأن هدف سالزبوري في هذه المرحلة هو التخلص من السلطان العثماني[٧٩].

وان سالزبوري باتخاذه هذه الفكرة فإنه وقف بوجه قناعة وزارة البحرية البريطانية التي أشارت إلى عدم استطاعتها منع طموحات الروس في المضايق العثمانية، إذا بقيت فرنسا معادية لبريطانيا، فيما كان سالزبوري يشك بآراء الوزارة ؛ واعتقد بأن احتلال اسطنبول هو عمل سهل جداً، وأن إصر على معارضة الوزارة ،

على اعتبار مسؤولية مجلس الوزراء البريطاني لإصدار القرار بشأن ذلك وليس الخبراء البحريين العسكريين(٨٠).

ولكن الصعوبة التي واجهها سالزبوري هي عدم استطاعته إقناع زملائه في مجلس الوزراء بآرائه، إذ كان جوشن اللورد الأول للأدميرالية البحرية البريطانية بالطبع يدعم كادر وزارة البحرية في معارضتهم لسالزبوري واشترط جوشن للموافقة على آراء سالزبوري حصوله على ضمان بالدعم النمساوي والايطالي في حالة قيام روسيا بمهاجمة اسطنبول لاحتلالها، ورفض جوشن دون ذلك الاقتراح الذي قدمه سالزبوري بمنح كورني سلطة عودة الأسطول البريطاني الموجود في سالونيك Salonika في البحر المتوسط في حالة حدوث حالة طارئة على حسب رأيه دون الرجوع إلى مجلس الوزراء البريطاني(٨١).

وأشار جوشن في رفض هذا الاقتراح: " إنني أخشى موافقتكم عليه ليعطي كورني سلطة لاستدعاء الأسطول دون معرفتي بالخطوة التالية للأسطول، وما هو هدف السياسة التي يتبعها وإني لا أستطيع قبول هذه الخطوة بسبب حدوث حالة طارئة مثلاً" (٨٢).

وحصل جوشن في معارضته لهذا الاقتراح على دعم تشيمبرلين وهاملتون وبلفور ، ولم يكن أمام سالزبوري، الذي لا يستطيع الحصول على دعم النمسا– المجر وإيطاليا ، أي خيار إلا الاستقالة، مثلما أخبر جوشن " أجبرني مجلس الوزراء بشأن مشكلة الأرمن أن أجلس صامتاً " ولهذا في بداية كانون الأول عام ١٨٩٥ على الرغم من أنه لم يتخذ أي قرار واضح إلى الآن فإن جميع أعضاء مجلس الوزراء تخلى عن الفكرة وذلك لوجود اعتبارين آخرين ساعدت في تغيير هذا الموقف ؛ وهما تطور التوتر الشديد مع الولايات المتحدة بشأن فنزويلا ومع ألمانيا بشأن الترانسفال(٨٣).

الهوامش والمصادر

(1)Bourne, Kenneth, the foreign policy of Victorian England (1830-1902), London, 1970, P.151.

(٢) لمزيد من التفاصيل، ينظر:

C.F. Heming , op. cit, P.73.

(٣) لورد روزبيري Lord Rosebery (١٧٤٧-١٩٢٩) : سياسي بريطاني ولد في لندن ولقب الأيدل الخامس عام ١٨٦٨ . وتسلم العديد من المناصب إذ أصبح وزيراً للخارجية عام ١٨٨٦ . وشغل المنصب نفسه مرة أخرى (١٨٩٢-١٨٩٤) ، وتولى بعد ذلك رئاسة الوزراء من آذار ١٨٩٤- حزيران ١٨٩٥ .

انظر : Encyclopedia The New Britannica, London, 1985, vol , 10 , p183.

(4) Lowe C. J, The Relaxctant Imperialism British Foreign policy (1878-1902), London, 1967, P.90.

(5) Bourne, Op. Cit, P.151.

(6) Ibid, P.91

(7) Ibid ,P.92.

(8) Bourne, Op, Cit, P.151.

(9) G.P. E.K.,8 Band, No. 1738.

(١٠) بامير : تقع على الحدود الأفغانية . انظر :

The New Encyclopaedia Britannica, Vol , 9, p99 .

(11) Bourne, Op, Cit, P.151.

(١٢) كذلك خالفت بريطانيا موقف فرنسا وروسيا بشأن مشكلة الكونغو عام ١٨٩٤، وأزمة الأرمن في عام ١٨٩٥، ولكن على الرغم من ذلك إلا أنه لم يكن حاسماً. انظر:

Langer, William, European Alliances and alignments (1871-1890), New York, 1939, P.178.

([13]) Dedidour, D., Histories piplomatiq-ue De L, Europe Depuis Le congres Berlin, paris, Libric felix Al can, 1929, P.187.

([14]) G.P. VIII, Nos, 1742.

([١٥]) أزمة سيام: سيام المقصود بها تايلند، كانت بريطانيا تشجع ملوك سيام على محاربة الفرنسيين الذين كانوا يحاولون التوغل غرباً والوصول إلى نهر ميكننج الذي يفصل أراضي لاوس الفرنسية عن أراضي سيام. وأدى ذلك إلى قيام حرب فرنسية مع سيام عام ١٨٩٣. وخسرت الأخيرة الحرب وتقلص حجم دولة سيام، بعد ان وقعت بريطانيا وفرنسا ما يسمى (الاتفاق الانجلو-الفرنسي) عام ١٨٩٦ وفيه اعترفت الدولتان ببقاء ما تبقى من سيام مستقلاً ، وذلك ليس بالطبع حباً بملوك سيام بل لتفادي نشوب حرب استعمارية بينهما، انظر: فايز جابر ابو صالح ، المصدر السابق ، ص٧١.

([16]) G.p.E.K.,7 Band, No, 1751.

([17]) Wesleym, Gergehr, The Rise of Nationalism, Lafore, Loaurence, The Long fuse in interpretation at the Origins of world, Indiana, 1959, P.424.

([18]) G.P. E.K.,7 Band, No. 1745.

([١٩]) السياسية العالمية : انتهجت ألمانيا سياسية عالمية في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والتي تهدف الى التوسع في الحصول على المستعمرات خارج أوروبا بما يتناسب مع مكان ألمانيا وقوتها في أوروبا . أنظر : يقظان سعدون العامر ، العلاقات الألمانية – الروسية في عهد السياسة العالمية ، (١٨٩٤-١٩٠٢) ، مجلة الأستاذ ، العدد (٤٩) ، لسنة ٢٠٠٤ ، ص ص ٥٠٩-٥١٢ .

([20]) .Ibid , No , 1746 .

([21]) Lowe, The Reluctant, P.92.

([٢٢]) سبب الحلف الفرنسي – الروسي مخاوف كبيرة لبريطانيا دفع الحكومة البريطانية لبناء اسطول بحري كبير، إذ اقترح وزير الخارجية روزبيري في تشرين الأول عام ١٨٩٣ توسع الأسطول البريطاني بنحو موازي للأسطولين الروسي والفرنسي ولاسيما بعد زيارة الأسطول الروسي لميناء طولون الفرنسي، لكن غلادستون رفض هذا المقترح، وقد شنت الصحافة البريطانية حملة كبيرة ضده واتهمته بأنه غير مهتم بمسؤوليات الامبراطورية. أنظر: حسين حماد رجب الدليمي، المصدر السابق، ص١٠١.

([23]) Langer, op. P.368.

([24]) Lowe, Salisbury, P.104.

([25]) Langer, William, European Alliances and Alignments (1871-1890), New York, 1939, P.368.

([26]) Debldour, op. cit, P.180.

([27]) Medlicott, The Mediterranean Agreements of 1887, Slaunic Reaiew, London, 1921, P.219.

([28]) Ibid, P.220.

([٢٩]) وقعت إيطاليا في الخامس من ايار ١٨٩٤، اتفاقية جديدة مع بريطانيا وهو العام الذي تمكن فيه الطليان من السيطرة على كسلا وطرد أنصار حركة المهدي، وقد نصت هذه الاتفاقية على اعتراف بريطانيا بدائرة نفوذ ايطالية تمتد من ساحل ارتيريا وتشمل جميع اثيوبيا وتنتهي على ساحل المحيط الهندي. أنظر: آمال ابراهيم محمد، الصراع الدولي بشأن البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٧، ص٢٠١-٢٠٢؛ د. جلال يحيى محمد نصر مهنا ، مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص ص٤١٣-٤١٥.

([30]) Debldour, op. cit, P.197.

([31]) Debldour, op. cit, P.263.

([٣٢]) كارنو ، سادي Carnt Sadi(١٨٣٧-١٨٩٤) : رجل دولة فرنسي ورابع للجمهورية الثالثة ولد في مدينة ليموج ، عين مديراً بعد سقوط الإمبراطورية وأصبح وزيراً لمرتين ١٨٧٩-١٨٨٥-١٨٨٦- ثم أنتخب رئيساً للجمهورية في عام ١٨٨٧ ، وتميزت ولايته بالاضطراب السياسي العام . أقتيل على يد أحد الفوضويين الايطاليين ويدعى كازيريو في مدينة ليون عام ١٨٩٤ . انظر The New Encyclopaedia Britannica, Vol , 2 pp.884-885.

([33]) G.P. E.K.,8 Band, No.1850.

([34]) Ibid, P.63.

([35]) Temperly and person, Foundation of British Foreign policy, 1792-1902), London, 1938, P.482.

([36]) Medlicott, Op. cit, P.220.

([٣٧]) عاد كرسبي إلى رئاسة الحكومة الإيطالية في كانون الأول عام ١٨٩٣.

(38) Bayer, op. cit, P.81.

(39) G.P. E.K.,8 Band, No.2004.

(40) Lowe, Salisbury, P.105.

(41) Bayer, op. cit, P.95.

(42) Ibid, P103.

(43) G.P. No. 1852.

(٤٤) جوزيف جامبرلين Joseph Chamberlain (١٨٣٦-١٩١٤): رجل دولة بريطاني ولد في لندن، دخل المعترك السياسي في البرلمان عام ١٨٧٦ ممثلاً عن مدينة برمنغهام وأصبح رئيس هيئة التجارة في حكومة غلادستون (١٨٨٠-١٨٨٥) ثم انتمى إلى حزب المحافظين بعد انشقاقه عن حزب الاحرار، وفي عام ١٨٩٥ أصبح وزيراً للمستعمرات في حكومة سالزبوري ١٨٩٥. وقاد عام ١٩٠٣ حملة لإصلاح نظام التعريفة الكمركية، اعتزل السياسة عام ١٩٠٦ بعد أن أصيب بالشلل. انظر: الآن بالمر، المصدر السابق ، ص ص١٧٣-١٧٤.

(٤٥) معمر مصطفى علي عثمان، التنافس البحري الألماني- البريطاني (١٨٩٧- ١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص ص٢٨-٣٠.

(46) Temperley and Penson, Op. Cit, P.491.

(47) Lowe, Sailasbury, P.106.

(48) B.D.vol , VIII, P.111.

(49) Ibid, P.112.

(50) Lowe, Salisbury, P.106.

(٥١) جون بوينتز سبنر (الايرال الخامس) John poyntz spencer (١٨٣٥-١٩١٠) : سياسي بريطاني وأحد أعضاء حزب الأحرار المتميزين . تولى العديد من المناصب أهمها نائب الملكة في ايرلندة في المدة (١٨٦٨-١٨٧٤) ؛ ثم شغل منصب نفسه في المدة (١٨٨٢-١٨٨٥) دعم بشدة إصلاحات الأحرار في ايرلندة. كما ساند مشروع الحكم الذاتي لايرلندة في المدة (١٨٨٥-١٨٨٦) ، تولى وزارة البحرية في المدة (١٨٩٢-١٨٩٥) ، دعم التوسيع البحري البريطاني مخالفاً بذلك سياسة غلادستون ، أدى تدهور صحته منذ عام (١٩٠٥) إلى استبعاده من تولي رئاسة الحكومة . انظر : حيدر صبري شاكر الخيقاني ، الملكة فكتوريا وأثرها على السياسة البريطانية(١٨٣٧-١٩٠١) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص١٩٤ .

([52]) Hammann, op, cit, P.132.

([53]) Ibid, P.134.

([54]) Lowe, Salisbury, P.107.

([55]) Hermann, P. cit, p.132,

([٥٦]) سقطت حكومة روزبيري في حزيران عام ١٨٩٥ بسبب المسألة الشرقية. انظر: حسن زغير حزيم، سياسة التحالفات الأوربية وأثرها في العلاقات السياسية الأوربية (١٨٧٩ – ١٩٠٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص٢٠٦.

([57]) Ibid, P.134,

([58]) Lowe, The Reluctant, P.99.

([59]) G.P., E.K.,10 Band, No, 281.

([60]) Lard Rondolph Churchill, Churchill, London, 1918, p.341.

([61]) I bid, P, X, Nos. 371.

([62]) G.P. X, Nos. 371.

([٦٣]) ارتبط تطور القضية الأرمينية بظهور الجمعيات والأحزاب الأرمينية في الداخل والخارج التي أنتقلت بدورها إلى العمل المسلح للمطالبة بالحقوق ، ومن أقدم هذه الأحزاب حزب الأدمنكان في مقاطعة فإن ، وحزب الهنشاق الذي أسُس في جنيف سنة ١٨٨٩ . وحزب الطشناق الذي أسُس في تفليس سنة ١٨٩٠ . وبدأت هذه الأحزاب والجمعيات بالمظاهرات السلمية مطالبة بتنفيذ الإصلاحات من السلطان العثماني التي تتعلق بالأرمن وتدخل الجيش التركي في هذه الحالة عند ذاك بدأت المجزرة التي تعدّ من أفضع المجازر البشرية حيث أطلقت يد العصابات المتعطشة للقتل والنهب والسلب ، وقد تم حرق أكثر من ثلاثة ألاف أرمني في أسبوع عيد الميلاد وذبح ٧٠٠٠ أرمني في اسطنبول ، وذلك تحت سمع وبصر السلطات الفرنسية . انظر : بول اميل ، تاريخ ارمينيا ، ترجمة : شكري علاوي ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ص ٤١-٤٨ ؛ ك . ل . أستار جياك ، تاريخ الأمة الأرمنية ، مطبعة الاتحاد الجديد ، الموصل ، ١٩٥١ ، ص ص ٢٧٢-٢٨٦ .

([64]) Ibid, Nos. 286.

([65]) G.p; E.K.,10 Band 2386.

([66]) Ibid. No, 2562.

(٦٧) كولو جوفسكي : سياسي نمساوي من أصل بولندي ، عمل في منصب وزير خارجية النمسا – المجر (١٨٩٥-١٩٠٦) وهو الذي تباحث مع الروس بشأن الاتفاقية النمساوية – الروسية ١٨٩٧ . واستطاع بهذه الاتفاقية أن يهدى التوتر الأوروبي . ثم عزز الاتفاقية باتفاقية ميورزنيج النمساوية الروسية لعام ١٩٠٣ ، وحافظ على ولاء بلاده لحليفتها ألمانيا في مؤتمر الجزيرة الخضراء ، لكن أصله البولندي كان سبباً كبيراً في سقوطه عندما شك فيه المجريون في كونه يعمل على عرقلة استخدام اللغة المجرية لغة سائدة في الجيش النمساوي المجري ، فأخذ يعمل على إرضائهم ، مما حدا بولي العهد موانس فيردينا إلى تنحيته عن منصبه في عام ١٩٠٦ متهماً إياه بمطاوعته لمطالب المجريين . انظر : أنس إبراهيم خلف العبيدي ، المشكلة المقدونية ١٨٧٨-١٩٠٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص١٢٧ .

(68) Lowe, The Reluctant, P.101.

(69) Ibid, P.102.

(70) Ibid, P.102.

(٧١) أليكس لوبانوف روستوفسكي (١٨٢٤-١٨٩٦) : رجل دولة روسي دخل السلك الدبلوماسي وهو في سن العشرين . وأصبح سفيراً في اسطنبول عام ١٨٥٩ و ١٨٦٣ . وعمل لمدة عشرة سنوات مساعداً لوزير الخارجية وفي آذار عام ١٨٩٥ أصبح وزيراً للخارجية ، وأبان هذه المدة عمل على إحياء النفوذ الروسي في شبه جزيرة البلقان .

انظر : Encyclopedia The New Britannica, London, 1985, vol , 7 , p.429

(72) G.P.E.K.,10 Band. 250.

(73) Ibid, Nos. 250.

(٧٤) عقدت معاهدة باريس في ٣٠ آذار سنة ١٨٥٦ التي أنهت حرب القرم ونصت على إدخال الإمبراطورية العثمانية عضواً في المحفل الأوربي، وقبول مبدأ التحكيم في حالة وقوع خلاف بين الامبراطورية العثمانية وبين إحدى الدول الأوروبية وتشترك الدول الأوروبية في ضمان استقلال الامبراطورية العثمانية ووحدتها. وتعهد السلطان بإدخال الإصلاحات بدون تفرقة بين رعاياه على اساس الدين أو القومية، إعلان حياد البحر الأسود وفتح موانئه للتجارة الدولية عامة على أن تغلق في وجه السفن الحربية. انظر: هـ. أ. ل فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة احمد نجيب هاشم وديع الضبع، مصر، ١٩٦٤، ص٢٢٥.

(75) Lowe, The Reluctant, P.102.

([76]) Lowe, Salisbury, P.108.

([77]) Langer, op. Cit, P.206.

([78]) Ibid, P.208.

([79]) Lowe, Salisbury, P.150.

([80]) Lowe, The Reluctant, P.103.

([81]) Marder, Op, cit, P.244.

([82]) Ibid, P.245.

([٨٣]) للمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر : عبد الله حميد مرزوك حسين ، العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٥-١٩٠٢ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ص ١٠٥-١٦٣ ؛ شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ ، ص ص ٢٥٦-٢٧٧ .

تطور السياسة العثمانية تجاه الكويت حتى عام ١٨٩٦

د. صبري فالح الحمدي
ذكرى عبد الدين عزيز

الجامعة المستنصرية
كلية التربية/قسم التاريخ

تطور السياسة العثمانية تجاه الكويت حتى عام ١٨٩٦

د. صبري فالح الحمدي

ذكرى عبد الدين عزيز

المقدمة :

لاتزال بعض موضوعات امارات الخليج العربي ونشأتها التاريخية بعيدة عن متناول الباحثين ،وربما وذلك الى قلة المصادر التي تغطي تلك المدة الزمنية ،وهذا الامر ينطبق على سنوات التاريخ الحديث والمعاصر اذ يتجه الباحثون الى دراسة الاحداث والوقائع التي يجدون موادها متوفرة في المصادر التاريخية المتنوعة ، لقلة العناء في الحصول عليها.

وجاء اختياري لهذا الموضوع لدراسة البحث ، لعدم وجود دراسة اكاديمية متخصصة بهذا الموضوع ،واهمية العملية لمن يتصدون لدراسات الخليج العربي.

واقتضت منهجية البحث تقسيمه الى مبحثين حيث سلط المحث الاول منه الضوء على طبيعة تلك السياسة مع نشؤ الكويت في منتصب القرن الثامن عشر وصولا الى حملة الاحساء عام ١٨٧١ ،وتبعه المبحث الثاني الذي استكمل بمادته التاريخية العلاقات بين الدولة وشيخ الكويت حتى عام ١٨٩٦.

اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة منها الوثائق غير المنشورة ومنها الوثائق العثمانية الصادرة من الارشيف العثماني في اسطنبول وايضا الكتب الوثائقية المنشورة لاهميتها في دعم ماوقع من تطورات في العلاقة العثمانية – الكويتية ، منها لونكريك في مؤلفه (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) / وكان من الضروري الرجوع الى الرسائل الجامعية منها رسالة شذى منعم خلف الوائلي الموسوعة (الصراع العثماني البريطاني في منطقة الخليج العربي ١٨٧١–١٩١٤)، أما اهم الكتب العربية المستخدمة (تاريخ الكويت الحديث " ١٧٥٠–١٩٦٥") لصاحبة احمد مصطفى ابو حاكمة (وايضا اعتمدت على عدد من

البحوث المنشورة منها بحث (علاقة الكويت بالمدينة العثمانية) لميمونة الصباح وان كانت تعبر عن وجهة نظر الدولة العثمانية تجاه تلك التطورات

ولابد من ان اشير الى الصعوبات التي واجهتها في اعداد البحث لعل ابرزها قلة المصادر التي تخص السياسة العثمانية تجاه الكويت وندرتها احيانا بسبب ميل اغلب المصادر على

الخوض في العلاقة بين بريطانيا والكويت دون اعطاء علاقة بين الدولة العثمانية بالاخيرة وذلك لوجود الرابطة الروحية للاهالي تجاه الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة الاسلامية.

١- <u>السياسة العثمانية تجاة الكويت (١٧٥٠-١٨٧١)</u>

برزت الكويت بوصفها مركزا تجارياً تقع في الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي منذ مطلع القرن السابع عشر[١] ، فيما وردت في المصادر العثمانية خلال القرن التاسع عشر انها تقع على بحر الخليج العربي بواقع سفائن عادية متوسطة السير مارا بمضيق فاو وبواقع ١٢ ساعة المسافة الموجودة بينها وبين بحر الخليج العربي وفي قصبة (ناحية) كويت توجد (٢٠٠٠) فانه توجد (١٤) جامع وخان واحد وحوالي ٥٠٠ دكان المتجاوزين ويحوي سوق واحد ويتكون الاهالي من العشائر والعربية ونفوسها يبلغ تقريبا ٢٥٠٠ نسمة[٢] .

ان السالنامة العثمانية لقد ذكرت الكويت على النحو الاتي : اهالي مدينة الكويت اغلبهم يعملون في التجارة وركوب البحر وهم اصحاب بواخر والسفن في بحر فارس , والهند والسواحل ويعيشون على السفر وتجارة العقيق وصيد الاسماك والبحث واستخراج المواد الثمينة في البحر[٣] .

يعد العتوب[٤] اولى الجماعات البشرية التي وفدت الى الكويت بداية القرن الثامن عشر , بعد ان هاجرت من مواطنها الاصلية في وسط الجزيرة العربية لاسيما نجد لاسباب مختلفة , ياتي في مقدمتها العوامل الاقتصادية , اذ هاجر العتوب , بسبب القحط والجفاف الذي عم تلك المناطق ,كما اسهمت النزاعات بين

القبائل في نجد نفسها , وعوامل اخرى في تلك الهجرة[٥] وهم اتحاد قبلي تالف من: ال الصباح بزعامة الشيخ سليمان بن احمد , والجلاهمة تحت زعامته الشيخ جابر بن عتوبي , ويترأس ال خليفة الشيخ خليفة بن احمد[٦] , فضلا عن قبائل اخرى , ومنها المطير وعجمان , وكان لابد لهذه الجماعات من تنظيم اوضاعها , فاتفقت على تقسيم الاعمال والارباح فيما بينها بالتساوي , وذلك باءت يتولى ال صباح شؤون الحكم , والجلاهمة امور الملاحة , ويقوم بنو خليفة بالاشراف على التجارة[٧] , الا ان ذلك التحالف لم يستمر طويلا لاسباب عدة[٨], فغادر ال خليفة الى الزبارة , ولحقهم الجلاهمة صوب الساحل القطري لكي يستقلوا في شؤونهم وتجارتهم وتعريف امورهم خلال سنوات عقد الستينات من القرن الثامن عشر[٩].

ولما كثر الساكنون بالكويت وخالطهم جميع المهاجرين , راوا اهمية ان ينوط ادارة شؤونهم شخص يكون اميرا عليهم , فوقع اختيارهم على صباح الاول حوالي عام ١٧٥٦[١٠] , لا سيما بعد تطور دور الكويت التجاري واتساعها مستثمرة انشغال القوى المجاورة المؤثرة

في مشاكلها , لاسيما الدولة العثمانية التي كانت تشهده خلافا بين ولاتها , خاصة بين متسلم البصرة وباشا بغداد , وعدم امتلاك فارس قوة بحرية تمكنها من فرض نفوذها في المنطقة الامر الذي ساعد ال صباح وحلفاءهم ومؤازريهم من القبائل الاخرى من تثبيت مركزهم وتقويته ضد القوى المجاورة، ومنذ سنواتها الاولى احتفظت الكويت بصلات ودية مع البصرة , وعلاقات مع القوى القبلية المجاورة والتي كانت ودية في الغالب ولاكثر من مائة عام بعد مهمة الشيخ صباح [١١].

اما بشأن العلاقة بين الكويت والدولة العثمانية ويمكننا أن نلمسها عبر الصلات الموجودة بين الاولى والبصرة التي اتسمت بالمودة عقب تولي صباح الاول امور مدينة الكويت . من الجدير بالذكر انه عندما استقر العتوب في الكويت طلبوا الاذن من مصطفى اغاوالي البصرة والاستقرار هناك , اذ اجمعوا امرهم على ان يبعثوا الشيخ صباح رسولا منهم الى والي البصرة يبين انهم اناس

نزحوا في طلب العيش ولا يبغون الضرر بأحد , او اثارة المشاكل والتعدي على قوافل التجارة , وقد نجح الشيخ في مهمته[١٢] مما اضفى طابع التعاون على تلك العلاقة , وعد ذلك البداية الاولى للعلاقات بين الجانبين[١٣].

وفي محاولتنا تحليل طبيعة تلك العلاقة بين الكويت وولاة البصرة العثمانيين , يمكن القول في رغبة شيخ الكويت الحصول على الدعم المادي من الدولة العثمانية في حال تعرض بلاده لخطر خارجي , مع الاشارة ان الاخيرة لم تكن خاضعة لادارة عثمانية مباشرة , وذلك ما ذكرته[١٤] المصادر التاريخية بشأن الموضع على النحو الاتي ((ان الكويت يسكنها عرب يعترفون بسيادة الباب العالي , ولكنهم يتولون شؤون امارتهم وليس للدولة مامور يشرف على شون الكويت[١٥] ،بدليل رفض شيخها طلب جماعة من الانكليز تضمن السماح برفع العلم البريطاني في الكويت)) ومؤكدا لهم ((ان الدولة كانت جارتنا في البصرة وكل ما تحتاج اليه نستورده منها , ولما وصل الخبر الى والي البصرة جاء الى الكويت وقدم الشكر الى شيخها ورتب له (كارة)[١٦] من التمر سنويا , فضلا عن منحه الفرمان والعلم العثماني ذي اللون الاخضر))[١٧].

يتضح لنا مما سبق عرضه ان السياسة العثمانية تجاه الكويت قد تميزت بتبعية الكويت الاسمية للدولة , مع اقتران الرابط الديني مع تلك العلاقة، اذ لم تتدخل الدولة العثمانية في شؤون الكويت الداخلية , ولم تفرض عليها ادارة عثمانية مباشرة او دفع اية اموال , بل ان الدولة العثمانية كانت تقوم بدفع مبلغ سنوي الى الشيخ مقابل مشاركته في حماية ميناء البصرة من جهة البحر وليس معنى ذلك ان شيوخ الكويت كانوا خاضعين لسيطرة العثمانيين ,حتى وضعت بعض المصادر علاقتهم بالدولة بوصفها تميزت بالحذر والترقب بسبب انشغال سكان الكويت في ترتيب اوضاع الامارة والعمل على تقوية امكانات الاخيرة بهدف ترسيخ وجودها في شمال الخليج العربي[١٨].

وعلى اثر وفاة الشيخ صباح الاول عام ١٧٦٢ خلفه ولده عبد الله (١٧٦٥-١٨١٤)[١٩], والذي نمت الكويت في عهده بحكم تنامي دورها التجاري في المنطقة وجهود اهلها في توفير وسائل الدفاع عنها , بدليل بناء الكويتيون سور الحماية المدينة من الاخطار الخارجية التي تهددها لاسيما بعد ضعف حكم بني خالد[٢٠] امراء شرق الجزيرة العربية[٢١] , فضلا عن تزايد قوة الكويت البحرية , حتى ان الاخيرة لم تتعرض لاية هجمات , الاعقب تمكن السلفيون[٢٢] من شن بعض الغارات عليها بعد قضائهم على قوة بني خالد في اواخر القرن الثامن عشر[٢٣] .

ومن الادلة على ممارسة الكويتون نشاطهم التجاري بحرية , ان السفن الكويتية كانت في بعض الاحيان ترفع العلم الخاص بها (العلم السليمي الاحمر)[٢٤] ، لكن الكويتيون وجدوا ان الضرائب التي تفرض على صادراتهم الى بومباي في الهند كانت باهظة ومرهقة لان الضرائب التي تفرض على مركب بعلم غير معروف تفوق بقدر كبير تلك التي تفرض على السفن العثمانية , الامر الذي اضطر تجار الكويت على معاودة رفع الاعلام العثمانية , مما يشير الى استمرار تبعيتها للدولة العثمانية[٢٥].

وعلى الرغم من وجود علاقات ذات طابع تجاري بين الكويت وشركة الهند الشرقية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر , تمثلت في نقل بريد الشركة من الهند عبر الطريق الصحراوي المار بالكويت الى سواحل البحر المتوسط[٢٦] , وصولا الى بريطانيا وكان ذلك في حرب السبع سنوات (١٧٥٦ -١٧٦٣) كما تميزت الكويت بمكانة تجارية بسبب تعرض البصرة لاحتلال الفرس (١٧٧٥-١٧٧٩) لذلك راحت السفن تفرغ بضائعها التجارية في ميناء الكويت القادمة من الهند ومنه تنقل في القوافل الى بغداد وحلب[٢٧] الا ان الدولة العثمانية ظلت عبد واليها في البصرة على استمرار علاقاتها مع الكويت . وان الدولة لم تمارس سياسة تدلل على سيطرتها على امور الكويت الداخلية والخارجية[٢٨] .

ومع اطلالة القرن التاسع عشر اخذت السياسة العثمانية تميل الى محاولة ابعاد الكويت عن النفوذ البريطاني , لاسيما بعد نقل القنصلية البريطانية في البصرة الى الكويت في اواخر شهر كانون الاول ١٨٢١ , لحدوث خلافات بين السلطات العثمانية والقنصلية البريطانية في المدينة[٢٩] عن طريق حث شيخها جابر بن عبد الله (١٨١٤-١٨٥٩) , على اهمية التعاون مع العثمانيين ,خاصة وان البريطانيون اخذوا يعملون على ادخال الكويت في معاهدات توثق العلاقات معهم تحت ذرائع عدة, منها حفظ السلام وتحريم تجارة الرقيق عام ١٨٤١ [٣٠].

وعلى اثر اتساع الثقل السياسي والتجاري للكويت في القسم الشمالي من الخليج العربي , في النصف الاول من القرن التاسع عشر، فقد ادركت الدولة العثمانية اهميتها في احكام سيطرتها على مناطق نفوذها المنتشرة على سواحل المنطقة[٣١], لذلك اتبعت سياسة من شأنها التضيق على سكان الكويت وشيخها , من خلال وضع القيود على رحلات سفن الغوص على الؤلؤ , وزيادة الرسوم الجمركية المفروضة على تجار الكويت , الامر الذي ترك اثاره السلبية على مسار العلاقات بين الجانبين , عندما شعر الشيخ بالاستياء من جراء تلك المعاملة , وفسر ذلك الاجراء العثماني بوصفه يرمي الى اجبار الشيخ على رفع (العلم العثماني الاخضر) على السفن الكويتية , بدلا من العلم السليمي الاحمر الخاص بالكويت[٣٢].

وحقيقة الامر فأن شيخ الكويت كان يرفع العلم العثماني ويدفع اتاوة سنوية الى الباب العالي , تقدر باربعين كيسا من الرز واربعمائة سباطة[٣٣], من التمر[٣٤] كما ان الكويت تمثل قائمقامية تابعة لولاية البصرة في اثناء الحكم العثماني للمنطقة وكانت الدولة العثمانية لاتفرض رسوما كمركيا على التمر المصدر من البصرة[٣٥] الا ان ذلك لم يكن على وتيرة واحدة مقابل حاجة الاخيرة الى مساعدة الاسطول الكويتي لوالي البصرة في الدفاع عن شط العرب ضد الاخطار الخارجية[٣٦] , من ذلك تقديم الشيخ جابر الصباح حوالي عام ١٨٤١ ودعمه للقوات العثمانية التي ارسلت لفك الحصار الذي فرضته بعض القبائل العربية على البصرة , فضلا عن ارسال ما بين

(٧٠-٨٠) سفينة لمساعدة القوات العثمانية ضد التهديدات الفارسية على المحمرة[٣٧] والتي قاد حملاتها على رضا (١٨٣٢-١٨٤٢) والي البصرة .

وعلى ما يبدو , فأن الكويت كانت تتمتع باستقلال واضح عن الدولة العثمانية , ما دامت الاخيرة لاتتدخل في شؤونها الداخلية , ولا تعرقل نشاطها التجاري , مثال على ذلك انه حينما تعرضت الكويت لهجمات بعض القبائل العربية في عام ١٨٤٥ عندما شن بندر السعدون شيخ قبائل المنتفق غارات على الكويت , كانت تصد هذه الهجمات بنفسها , دون ان تطلب مساعدة الدولة العثمانية , دون ان تتطوع الاخيرة بتقديم مثل هذه المساعده[٣٨] .

الا ان هذا النوع من الاستقلالية لم يكن دائميا , اذ اشارت المصادر التاريخية الى تبعية الكويت للدولة العثمانية في عهد الشيخ صباح بن جابر (١٨٥٩-١٨٦٦) الذي ظل يرفع العلم العثماني ويدفع الضريبة التي بدأها والده الى الدولة حتى عام ١٨٦٣.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر استمرت الدولة العثمانية في اتخاذ خطوات تعزز من علاقاتها مع الكويت , عقب ازدياد الاهتمام البريطاني بها , عن طريق متابعة رفع اعلامها على السفن الكويتية ودفع المستحقات المالية عليها , ويستفاد مما ذكر الكولونيل بلي [٣٩] Pelly خلال رحلته الشهيرة الى الرياض كانت هي نقطة انطلاقة الاولى[٤٠] ،حيث التقى صباح الثاني بن جابر شيخ الكويت , في وصفه لطبيعة السياسة العثمانية تجاه الكويت بقوله ((ان الشيخ صباح الثاني حاكم الكويت اخبره ان اسرته كانت تدفع الزكاة للعثمانين , وانها غيرت العلم الخاص بها وقامت برفع العلم العثماني لارتفاع الرسوم الجمركية المفروضة على السفن الكويتية , مما كان عاملا شجع شيخها للتعاون مع السلطات العثمانية))[٤١] .

وختم (بلي) حديثة بالقول ((ان الكويت في الستينات من القرن التاسع عشر كانت تعترف بسلطة الباب العالي واذا ما تعارضت مصلحة الكويت مع ذلك الاعتراف فانها تتجاهله))[٤٢] .

مقابل ذلك تفسر المصادر التاريخية الاهتمام العثماني بالكويت في تلك المرحلة المبكرة من تاريخها وعدم قصم عدى العلاقة مع الكويت خلال سنوات منتصف القرن التاسع عشر , الى ادراك العثمانين وجود خطط بريطانية لزيادة نفوذها في الكويت, وهو الامر الذي نبه اليه (بليزيه) القنصل الفرنسي بغداد في ٣ تشرين الثاني ١٨٦٦ وخدر حكومته بقوله ((ان هناك خطرا ان يتدخل العثمانيون في الكويت , بسبب الاشاعات التي سرت في بغداد حول مؤامرة بريطانية لضم الكويت))[٤٣] حينها لوح نامق باشا والي بغداد (١٨٦١-١٨٦٦)[٤٤] الى استخدام القوة ضد الكويت وميناؤها وتحويل سيطرتها الاسمية الى فعلية , مما دفع شيخها الى الطلب من الكولونيل كمبل Kempel المقيم البريطاني في الخليج العربي ان يوقف السفن التجارية من ميناء الكويت[٤٥] .

نستنتج مما سبق عرضه ان السياسة العثمانية تجاه الكويت قد اتسمت بزيادة الاهتمام بها , مع اطلالة القرن التاسع عشر في خضم تنافس بريطاني في ترسيخ نفوذها في شمال الخليج العربي وتبؤا الكويت مكانة تجارية هناك , الامر الذي كان سببا في تزايد المحاولات العثمانية لاعادة سيادتها على مناطق الخليج العربي الاخرى , متخذه من الكويت معبرا لتحقيق تلك الغايات , وهو الامر الذي برز واضحا في حملة الاحساء عام ١٨٧١, والتي سنتاولها في الصفحات القادمة .

٢- <u>السياسة العثمانية تجاه الكويت ١٨٧١-١٨٩٦</u>

على الرغم من ان الكويت تعد اقرب امارات الخليج العربي للعراق , بحكم مجاورتها البصرة الا انه لم يتضح عبر التوجهات العثمانية صوب الكويت وجود سيطرة عثمانية فعلية عليها قبل عام ١٨٦٩ , وقد اقتصرت على مجرد نوع من التبعية الاسمية للكويت , وهو الامر الذي برزته احداث المبحث الاول التي اوردناها سلفا, ذلك ان المستوطنين الاوائل من العتوب بزعامة ال صباح في الكويت لم يجدوا مناصاً من تامين مركزهم في الاعتراف بشيء من الولاء للوالي العثماني في

البصرة([1]) ، لك اقرت الكويت للدولة العثمانية بنوع من السيادة الاسمية دون تدخل الاخيرة في الشؤون المحلية[2] .

الا ان تولي مدحت باشا[3] ولاية بغداد عام ١٨٦٩ , فضلا عن عوامل اخرى[4] يعد منعطفا هاما في السياسة العثمانية نحو مناطق الخليج العربي، ومنها الكويت لاسيما بعد اتساع النفوذ البريطاني في عموم المنطقة ,حتى اصبح الوكيل السياسي في الكويت , يؤثر على سياسة شيخ الاخيرة , فراح مدحت باشا يعمل على معاودة السياسة العثمانية على الساحل الغربي من الخليج العربي وجعل تبعيتها الاسمية فعلية , محاولة مد نفوذه صوب نجد فكان من الطبيعي ان يزداد اهتمامه بالكويت بوصفها معبرا صوب الاحساء[1] , والقطيف الواقعة على الساحل الغربي من الخليج العربي ولم يكن القلق البريطاني من الامتداد العثماني مبعثه قوته المادية , بقدر خشيتها من تأثيرها الروحي , ومن احتمال تعاطف سكان الخليج العربي مع الدولة باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية , ومن اجل مجابهة هذا التهديد , فقد طلب اللورد (مايو) نائب الملك في الهند من الحكومة البريطانية ان تعمل كل ما في وسعها من اجل تفادي الامر , واذا تعذر عليها ذلك فينبغي حصولها على ضمانات من الباب العالي يتجنب وقوع المعارك البحرية من السفن العثمانية [2].

وجاءت الفرصة المناسبة لمدحت باشا في سبيل تحقيق اهدافه عقب وفاة الامير فيصل بن تركي عام ١٨٦٦ , حيث ولدت نزاعا بين ابنائه الاربعة وهم عبد الله وسعود وعبد الرحمن [3] ومحمد بسبب رغبة كل منهم في السيطرة على الحكم الا ان الصراع الاسري كان على اشده بين ولديه عبد الله وسعود بالانفراد بالحكم [4] واستنجد الاول بمدحت باشا والي بغداد الذي لبى هذه الدعوة ويعتقد بقوة العلاقة بين سعود والسلطات البريطانية في المنطقة , فقام مدحت باشا بتعيين عبد الله بن فيصل قائمقاما لنجد باسم السلطان[1] ،وعليه مسؤولية حماية المسلمين من الاخطار الخارجية , ولا بد من انقاذ نجد من سعود المتعاون مع بريطانيا[2] كما ارسل الفرقة النجدية بقيادة نافذ باشا[3] للسيطرة على الاحساء[4] وقد تمت اجراءات مدحت باشا بسرية تامة حتى لايعرف البريطانيون

تحركات قواته[٥] ،وكان والي بغداد مقتنعا ان الوجود العثماني لايمكن ترسيخه الا بوجود قوة عثمانية بحرية ضاربة في الخليج العربي , يمكن ان تبعد الاطماع الاجنبية عليها لاسيما البريطانية والفارسية بوصف الكويت ميناء مهما في شمال الخليج العربي[٦]

والذي يهمنا من حملة الاحساء , هو دور الكويت في مجرياتها , الذي يمكن تتبعه بدأً من دعوة مدحت باشا وجهاء الكويت للقاءه في البصرة , مدورا في منحهم امتيازات بهدف استمالتهم الى جانبه ويكونوا من رعاية الدولة , مقابل رفع الراية العثمانية(٤٦) , وانتهاء في ارساله بعضا من رجاله متنكرين بزي التجار , لينقلوا له اوضاع الاحساء والقطيف والبحرين ومسقط(٤٧), ومعرفة مدى قبول السكان لدخول القوات العثمانية الى تلك المناطق .

وفي محاولتنا معرفة الاسباب التي دفعت الكويت الى التعاون مع الحملة , يمكن تلخيصها بما يأتي :-

١- ان شيوخ الكويت كانوا لايرغبون في الانفصال عن الرابطة الاسلامية التي تجسدها الدولة العثمانية(٤٨).

٢- وهناك العامل الاقتصادي والمتمثل في امتلاك ال صباح اراضي واسعة في جنوب العراق , وان الشيخ متيقن ان مدحت باشا لن يتوانى عن اتخاذ اجراءات سلبية ضد بلاده اذا لقي مقاومة من جانب الكويت(٤٩).

٣- ان الكويت تخشى معارضة الدولة العثمانية , لان الكويت لم تكن مرتبطة بمعاهدة حماية مع دول كبرى تجيز لها التدخل لحمايتها عندما تتعرض للخطر(٥٠).

٤- ادرك مدحت باشا مالا سطول الكويت من دور لحركة الملاحة والنقل في المنطقة ومالشيوخها من تأثير على بعض بلدان الخليج العربي , فاستغل ذلك لانجاح حمتله(٥١).

تحركت الحملة العثمانية بقيادة نافذ باشا في ٢١ نيسان ١٨٧١ من بغداد , وهي مؤلفة من خمسة افواج من الجند النظاميين للجيش السادس , برفقة قوات من المشاة والمدفعية والخيالية من الجيش النظامي , والتحاق قبائل المتفق التي قدر افرادها

بـ(١٠٠٠) فارس[٥٢] وقد ابدى شيخ الكويت عبد الله الصباح (١٨٦٩- ١٨٩٢) دعمه للحملة اذا استقبلها بترحاب كبير ,كما قاد بنفسه اسطولاً بحريا , فضلا عن قوة برية مساندة قادها اخيه مبارك , لتحقيق هدف مدحت باشا في حماية البصرة التي كانت بريطانيا تطمع في اتخاذها قاعدة لاسطولها لاجل سيطرة على الملاحة في الخليج العربي[٥٣] ،وثم نقل القوات العثمانية على ظهر السفن العثمانية (بروسة)و(نينوى) وسفينة الحراسة القديمة (كوجة بك) والتي بنيت اصلا في البصرة[٥٤].

وفي الاول من ايار ١٨٧١ وصلت القوات العثمانية والمشاركة معها الى رأس التنورة احد موانئ الاحساء , بعدها تقدمت نحو القطيف لكي تلتقي مع القوات الزاحفة برا , وكان قائد الحملة قد طمان سكان المنطقة باهداف الحملة التي ترمي لحمايتهم من التهديدات الخارجية طالبا مساندتهم للحملة , بعد ان كانوا يضرون العداوة للعثمانيين , وقد تمكنت القوات الزاحفة من دخول المدينة بعد استلام القوة النجدية التي كانت محاصرة في القلعة فهرب القائد النجدي من الاحساء[٥٥].

من جانب اخر ادت الثورة التي قام بها سكان الرياض ضد الامير سعود بن فيصل , المتزامنة مع استمرار الضغوط العثمانية التي اثمرت في انسحاب قواته الى الرياض , وفقدان الامن في المناطق التي اخضعتها الى سيطرته , وما تبع ذلك من تعيين الدولة عبد الله بن فيصل اميرا على الرياض تحت امراة القائمقام الرسمي , كما ارسل نافذ باشا مبارك الصباح ليتأكد من نوايا سعود , الذي اصابه الذهول فيما وجد جموع سعود تستعد للزحف على الاحساء , وبعد اجتماع له مع الاخير انه قد عزم على مقاومة العثمانيين حتى اخر لحظة من حياته واخراجهم من بلاده , ثم عاد مبارك لينقل تلك الانباء الى السلطات العثمانية في البصرة الذين لم ينتظروا هجوم النجديين , بل شنوا هجوما بقيادة حمدي باشا ودار القتال عنيفا وقد استبسل اهل عجمان الذين وقفوا الى جانب سعود بن فيصل, ولكن دون ان يحقق احدهما نصرا على الاخر وسميت تلك المعركة (الخويراء)[٥٦] .

وفي اواخر عام ١٨٧١ قام مدحت باشا بزيارة تفقدية الى الاحساء بعد ان نجح قائده نافذ باشا في دخولها , فأصدر امرا بتعيين الاخير متصرفا على الاحساء تابعا لولاية البصرة[٥٧], ثم جعل مدحت باشا الاحساء متصرفية اطلق عليها (لواء نجد) ليجعلها تابعة لولاية بغداد , مؤلفة من الهفوف مركز مقر اقامة المتصرف , قضاء القطيف , وقضاء قطر[٥٨] .

كان من الطبيعي ان تثير التحركات العثمانية قلق السلطات البريطانية في الخليج العربي , اذ طلب الرائد هربرت Hurbrt القنصل البريطاني في بغداد , من مدحت باشا ان يتجنب الاشتباك الاشتباك مع الامارات العربية والقبائل الداخلة بمعاهدات صداقة وحماية مع بريطانيا , فرد الاخير مؤكد انه لن يتدخل في شؤونها اذ لم تكن تحت حكم عبد الله , وانه يستعبر من يؤيد سعودا عدو للدولة العثمانية[٥٩] , , كما رفض التماسا تقدم به سعود الفيصل للسماح له القيام بتحركات بحرية ضد قوات الحملة , او في الاقل الحصول على وعد بعدم التدخل البريطاني في حالة قيامه باعمال عدائية تجاهها , ومطالبها في حالة الموافقة ابلاغ شيوخ ساحل عمان ليتسنى لهم مساعدته ضد العثمانيين على غرار شيخ الكويت , فرفض القنصل البريطاني هذا الالتماس لعدم رغبته في انفلات زمام المبادرة من يده[٦٠].

على ان ما يلفت الانتباه ان السياسة العثمانية تجاه الكويت خلال سنوات (١٨٧١-١٨٧٢) لم تكن ذات ادارة مباشرة ,كما هو الحال بالنسبة للاحساء , اذ ترك مدحت باشا شؤون الكويت الداخلية لشيخها يتولى امورها حسب تقاليد البلد , وعلى وفق ما ذكره مدحت باشا في مذكراته فأن اسباب اتباع تلك السياسة راجع الى ((ان الكويت ينعم بالاستقرار ويطبق الشريعة الاسلامية في احكامه , وهو ليست بحاجة الى قوة ضابطة عثمانية))[٦١], مقابل تمتع شيخ الكويت بلقب قائمقام الذي يعد تكريما من الدولة العثمانية للاخير نظر لخدماته التي قدمها لحملة الاحساء , وحث الدولة الشيخ على بذل مساعيه لاقناع الشيوخ العرب بالتعاون مع الدولة بوصفها دولة الخلافة الاسلامية.

وبعد رجوع مدحت باشا من حملة الاحساء مارا بالكويت جدد في حفل خاص اقيم في المدينة الى شيخها عبد الله الصباح منحه رتبة (قائمقام) واكد له ثقة السلطان به[٦٢], فضلا عن ذلك فأن موقف الكويت كان موضوع تقدير الحكومة العثمانية , وبذلك تعززت العلاقة الكويتية – العثمانية , ودخلت مرحلة من التعاون , او غير التفاهم الذي وصل بين الشيخ عبد الله الصباح ومدحت باشا والي بغداد[٦٣] , وعلى رفع العلم العثماني, فيما حصل مقابل هذا على لقب الباشوية , وتضمن الفرمان السلطاني على حصول شيخ الكويت على قطعة ارض[٦٤] كبيرة قريبا من الفاو[٦٥] , واعفاء الكويت من كافة الضرائب والرسوم الكمركية واعفاء ابنائها من ادار الخدمة العسكرية , وانزال الاعلام الاجنبية التي كانت ترفع على السفن الكويتية , وتحمل محلها الاعلام العثمانية[٦٦] فضلا عن استمرار تسلم شيخ الكويت المعونة السنوية , وتفسير تلك الاجراءات يأتي من بعد النظر الذي انتهجه مدحت باشا حيال امارات الخليج العربي , فقد اراد بسياسته هذه ان يخفف عن الكويت التزاماتهم المالية مع رغبته في كسب ود الامارة اليه[٦٧].

من جانب آخر ابدي آل سعود مقومة للاحتلال العثماني لاقليم الاحساء والاجراءات الادارية التي اتخذها مدحت باشا من اجل تثبيت دعائم الحكم العثماني فيه , ولا سيما الامير سعود بن فيصل , الذي حمل اخاه عبد الله مسؤولية ضياع الاحساء , بعد ان استنجد بالعثمانيين . وفي الوقت نفسه شعر الامير عبد الله بالندم والاسى بعدما لمس وبشكل عملي حقيقة اهداف حمله مدحت باشا في انهاء حكم ال سعود في نجد , هذه التطورات دفعت سعود بن فيصل على الاتفاق مع اخيه عبد الله على توحيد جهودهما , ونبذ الخلافات لتحقيق مصالح الاسرة السعودية ,ففي نيسان ١٨٧٢ تمكنا من محاصرة الحامية العثمانية في القطيف , وقد دفع استنجاد القوة المحاصرة بحاكم الكويت , الامر الذي دفع سعود الفيصل على مهاجمة الكويت لمنعها من تقديم المساعدة للقوات العثمانية , ومع ذلك فقد منيت القوة النجدية بهزيمة على ايدي القوات العثمانية[٦٨] .

وعلى اثر عودة مدحت باشا الى استانبول وتخليه عن ولاية بغداد في ٢٢ ايار ١٨٧٢ لم تستمر الدولة على سيادتها تلك[٦٩] لاستكمال ما حققه مدحت باشا، كما لم تتمكن من تحقيق وجود دائم لها متمثلا بقوة بحرية دائمة لها نقلها في منطقة الخليج العربي[٧٠] .

فضلا عن متابعة السلطات البريطانية في المنطقة للتحركات العثمانية والحيلولة دون امتداد النفوذ العثماني صوب البحرين وقطر والامارات الساحل العماني , والعمل بجدية في منع حصول تعاون بين القبائل العربية وشيوخها مع ممثلي الدولة هناك[١] , ومما يؤكد ما اورده اللقينانت كولونيل بريدوكس Bredoks) المقيم البريطاني في بوشهر ازاء ذلك بقوله ((ان الموانى العثمانية على الجانب الغربي من الخليج العربي هي الكويت والقطيف والعقير))[٢].

وازاء المصاعب التي واجهت الوجود العثماني في الاحساء فقد صدرت الاوامر بسحب القوات العثمانية منها عام ١٨٧٣ واعطيت ادارة الاقاليم لبزيع بن عريعر[٣] .

شيخ قبيلة بني خالد الذي صار يمثل السلطة العثمانية هناك، وقد استغل عبد الرحمن بن فيصل عدم شعبية هذا الحاكم , فمرض عليه القبائل البدوية التي عملت على محاصرة زعيم بني خالد مقره الهفوف , وقد ارسل شيخ المنتفق ناصر[٤] باشا مع قوة لنجدة المحاصرين , وهنا يبرز دور الكويت وعلاقتها مع الدولة العثمانية , اذ وضع شيخها عبد الله الثاني بن صباح سفنه تحت تصرف العثمانين فأبحر عليها ناصر باشا قواته التي انتقلت الى ساحل الاحساء باتجاه صوب الهفوف وقد جرى تحرير المدينة من مسلحي البدو الذين يحاصرونهم دون صعوبة تذكر , وعين مزيد متصرفا , ثم عاد بعدها الى البصرة لتكرمه الحكومة العثمانية بتعينه واليا على البصرة عام ١٨٧٥ التي اصبحت ولاية بعد ان كانت متسلمية [٥] .

وفي شهر مايس عام ١٨٧٨ اقترحت حكومة الهند الاعتراف بسيادة الباب العالي على المنطقة الممتدة من البصرة الى العقير (الواقعة جنوب الكويت) على الارض فقط , اما في البحر فعلى الحكومة البريطانية ان تواصل ممارسة نوع من

الحماية المشتركة , وتطارد العمال القرصنة اذا لزم الامر ,داخل المياه العثمانية وقد وافقت وزارة الخارجية على اجراء هذه التعديلات , مما زاد من النفوذ البريطاني في المنطقة [١] .

وعلينا التذكير في الاشارة الى تزامن تصاعد الاهتمام العثماني في الكويت مع تنامي امارة الكويت التي غدت تمثل اهمية سياسية وتجارية في شمال الخليج العربي اواخر القرن التاسع عشر , وتزايد التوجهات البريطانية الرامية الى فرض الحماية عليها ,خاصة بعد ظهور مشروع سكة حديد برلين بغداد عام ١٨٨٧ التي دعمته المانيا , مما ولد تنافسا دوليا على الكويت [٢].

وعلى اثر وفاة الشيخ عبد الله الصباح عام ١٨٩٢ ظهر الخلاف واضحا بين اخوته , اذا كان محمد يباشر شؤون الحضر ومبارك [٣] يختص باغلب الاحكام بين بدو الكويت والاشراف على شؤونهم اما جراح , فاغلب عمله في الشؤون المالية ,وتتفق اغلب المصادر الكويتية على نجاحه في تنظيم مالية الكويت التي كانت تعتمد في السابق على الاستدانه من الاهالي عن طريق استثمار اراضي الفاو التي اخذت تدر اموالا كثيرة , فضلا عن اهتمامه بالتجارة , ويبدو ان حرص جراح على تنظيم المالية ادى الى نزاع مع اخيه مبارك , وخاصة بعد وفاة الشيخ عبد الله , لان مبارك كان يريد ان يظهر بمظهر الحاكم الذي يتصرف بحكم منزلته , بينما جراح يقتر عليه ,ومحمد ينصاع لما يراه جراح [٤] .

ولم تكن السلطات العثمانية في البصرة بعيدة عن التطورات الداخلية في الكويت , اذ توسعت لاصلاح ما فسد بين الاخوة الثلاثة ,وحددت الى مبارك راتبا سنويا مقداره (١٠٠٠) روبيه [١] يتقاضاه من اخويه , لكن الوفاق لم يستمر طويلا , فقد عمد كل من محمد وجراح على سلب مبارك كل نفوذ له , والتضيق عليه في مصروفاته اليومية , ومما زاد كره لهما وضعهما الامارة تحت نفوذ الشيخ يوسف بن عبد الله ال ابراهيم [٢] , فقط جعل منه مستشارا لهما في الحكم , وهو المعروف بطموحاته بالسيطرة على الحكم في الكويت بمساعدة الدولة العثمانية , الامر الذي دفع مبارك على

تحريض الكويتين عليه , خشية من سيطرة الدولة العثمانية على الامارة , وانفراده في الحكم [٣] .

واذا تناولنا التوجهات العثمانية نحو الكويت في هذه المرحلة من تاريخها الحديث , نلاحظ رفض الكويت اقدام السلطات العثمانية في البصرة على بناء قلعة لهم في املاك ال صباح في الفاو عام ١٨٩٣ وتوجه الشيخ محمد الصباح الى البصرة لاجراء مفاوضات مع رأفت باشا واليها العثماني محتجاً على ذلك لعدم حصول موافقتهم او دفع التعويض , الا ان المفاوضات فشلت , الامر الذي اضطر معه محمد الصباح ان يقوم احتجاجا الى الباب العالي[٧١] .

من جانب اخر اتاح الحكم الضعيف لمحمد وجراح لقبائل البدو ان تهدد الكويت اكثر من مرة خاصة في منتصف التسعينات من القرن التاسع عشر , فقد هاجمت قبائل شمر والدافر الامارة من نجد , فضلا عن محاولات التوغل العثمانية من الشمال , وبناء على نصيحة يوسف ال ابراهيم , بعث جراح بمبارك مكلفا من قبله، مانحاً اياه لقب (امير البادية) لمعالجة اوضاع البادية , املا في التخلص او الافادة منه بالقضاء على الفتن الداخلية هناك، الا ان مبارك استطاع استثمار تواجده بيت البدو في استمالة معظم القبائل , وهو ما كان عاملا شجعه في التخلص من اخويه بالقتل , مستعينا بابنيه جابر وسالم وهما حديثين صغيرين وبمساعدة رجال من العجمان والرشايده[٧٢] ،وفي ١٧ ايار ١٨٩٦ قام مبارك بالهجوم على القصر منتصف الليل وقتل اخويه , اما خصمه يوسف الابراهيم فكان ليلة القتل في الصبيحة شمال الكويت , وما ان سمع بذلك حتى هرب ومعه ابناء محمد جراح الى البصرة , وفي اليوم التالي احضر مبارك شيوخ الكويت واعيانها واجتمعوا في مجلس الحكم معلنا وفاة محمد وجراح , وتنصيب نفسه الحاكم الشرعي للبلاد , مما ضطر الشيوخ على مبايعته[٧٣] .

كان من الطبيعي ان تؤدي هذه التطورات الهامة التي مرت بها الكويت الى (ردود فعل متباينة من جهات عدة , من ذلك مطالبة يوسف ال ابراهيم الدولة العثمانية بحق اولاد محمد , فيما ارجعو والي البصرة واستنادا الى مصادر تاريخية السبب الذي

دفع مبارك الى قتل اخويه محمد وجراح , وهو ما ذكر من علاقات الاخيرين الطيبة مع العثمانيين , وكانا يسعيان لاجل حمايتهم على الكويت في مواجهة النفوذ البريطاني , وان يوسف الابراهيم حث السلطات العثمانية ان تخلع مبارك ولو بالقوة وتضع سعود بن محمد مكانه[٧٤] ،اما مبارك فراح يبدل المساعي لدى الجهات العثمانية بالاشارة الى ان تلك المعلومات وهي مجرد شائعات تدعمها بريطانيا ضد مصالح الدولة العثمانية[٧٥] ، وقد تحققت مراميه في حصوله على الموافقة الرسمية للدولة على توليه امارة الكويت , وهو ما سنتاوله في الفصل القادم .

وينطبق الامر نفسه بشأن ردود الفعل على موقف بريطانيا التي راح ممثليها في الكويت يتابعون تلك التطورات كذلك لم يقصد اولاد القتيلين وهما في البصرة عن الالتجاء الى قنصل بريطانيا في البصرة , في الوقت الذي التجأوا فيه الى حمدي باشا الوالي العثماني وكان القنصل البريطاني في البصرة ذات باع طويل في الدسائس والايقاع بالاخرين فنصر اولاد محمد وجراح على عمهم مبارك[٧٦] , حينما علم مبارك الصباح باخبار ذلك , سارع بنفسه متوجها الى بوشهر لمقابلة الكولونيل (ميد) المقيم البريطاني هناك وخلال اللقاء ابدى الشيخ مبارك استعداده للتعاون مع الحكومة البريطانية اذا ابدت تعاونها معه في حسم موضوع طلب ابناء اخويه , الامر الذي دفع المقيم البريطاني في الكتابة الى نائب الملك في الهند مبينا له ضرورة قيام حكومته بتقديم المساعدة اللازمة لشيخ الكويت حرصا على تحقيق التوازن الدولي في منطقة الخليج العربي[٧٧] .

وتوافقا مع تلك التوجهات طلبت بريطانيا من الدولة العثمانية ان تمارس الضغوط على مبارك الصباح , لتجعله يشعر بعدم وجود حليف له الامر الذي جعله يتحول الى طلب العون من بريطانيا التي لبت طلبه واكرمته في استعدادها لتهيئة كل الوسائل المتوفرة لدعم حكمه في الكويت[٧٨] .

يمكننا القول ان ما اوضحته المعلومات الواردة في الصفحات السابقة ان طبيعة سياسة الدولة العثمانية تجاه الكويت اتسمت بعدم تدخلها في امورها الداخلية مما

جعلها مستقلة عن الدولة العثمانية الى حد كبير , بدليل دفاع الكويت عن نفسها في احيان كثيرة ,دون طلب المساعدة من الدولة , ولا ان تتطوع الاخيرة بتقديم مثل هذه المساعدة هذا من جانب , ومن جانب اخر كان وضع الدولة الاقتصادي والعسكري لايمكننا في الابقاء على قوات مرابطة في الخليج العربي , بسبب حروبها المستمرة خاصة في اوربا ومشاكلها الداخلية , وما نتج عنه من مشاكل اقتصادية ,فضلا عن وجود المعارضة البريطانية , والتي راحت تشجع بعض الكويتين على عدم التقارب مع العثمانيين وفي نفس الوقت تتبع سياسة استمالتهم الى جانبها , وهو الامر الذي سنلمسه في عهد الشيخ مبارك الصباح .

الخاتمة :

ان سنوات نشوء الكويت وتطورها منذ منتصف عام ١٧٥٠ قد ارست اسس السياسة العثمانية تجاه الكويت المتمثلة بموافقة والي البصرة على اقامة العتوب في المنطقة , بوصفها تابعة الى البصرة والتي شهدت في نمو العلاقات بين الجانبين , توجت في مساهمة الكويت في حملة الاحساء العثمانية واستمرار الاهتمام العثماني بها طيلة سنوات القرن التاسع عشر . لا سيما وان النفوذ البريطاني لا يزال تغلغله في الكويت غير ذات تاثير في مسار التوجهات العثمانية صوب الاخيرة.

Abstract

The years the emergence of Kuwait and its development since mid-1750 has laid the foundations of the Ottoman policy toward Kuwait which represented in the consent of Governor of Basra to establish Al-Utub in the region, as it belonging to Basra, which has seen the growth of relations between the two sides, culminating in the contribution of Kuwait in the campaign of the Ottoman Al-Ehsaa and the continuation of the Ottoman interests throughout the years of the nineteenth century. Especially since the permeation of the British influence in Kuwait is still without effect in the Ottoman path towards the latest trends.

الهوامش

(١) عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب , المطبعة الهاشمية , دمشق , (د.ت) , ص٤٧٨ .

(٢) سالنامة البصرة ، مطبعة سندة ،ولاية البصرة ، ١٣١٤هـ ص .

(٣) سالنامة البصرة ,مطبعة سندة ،ولاية البصرة ، ١٣٢٠هـ ، ص١٥٥٥ .

(٤) العتوب : هم قبائل عدة تتكون من (ال صباح , ال خليفة , الجلاهمة) ترجع في اصلها الى عنزة , تركت مواطنها الافلاج الواقعة في نجد وسط الجزيرة العربية نزلوا المبرز في الاحساء , واستقبلهم بنو خالد حكامها , ثم رحلوا الى قطر , وقد رحب بهم ال مسلم حكامها , وعاشوا هناك مدة من الزمن , استطاعوا خلالها تعلم ركوب البحر , الا ان خلافا نشب بين الجانبين اضطرهم الى مغادرة قطر , والتوجه الى بعض المناطق الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي , مثل جزيرة قبس وعبادان , ومن المحتمل ان يكون العتوب قد استوطنوا الصبية الواقعة في شمال شرق البصرة , الا ان ولاة الاخيرة ارغموهم على المغادرة بسبب الغارات التي شنوها على القوافل التجارية الذاهبة الى البصرة , فوصلوا الكويت حوالي عام ١٧١٦ , انظر : احمد مصطفى ابو حاكمه , تاريخ الكويت(١٧٥٠-١٩٦٥), ط١, منشورات ذات السلاسل الكويت , ١٩٨٤ , ص٢٢-٢٣.

(5) Robin Bidwell , The Affairs of kuwait1841-1906 ,vol , Frank Cass and Compang, Limited, 1971, p.xi.

(٦) رنده المصري قطينة , الكويت (دراسة تحليلية لقيام الدولة) مجلة الوثيقة , العدد ١ , السنة الاولى , مركز الوثائق التاريخية , البحرين , كانون الثاني , ١٩٨٣, ص١٢ .

(٧) صبري فالح الحمدي , الكويت نشؤوها وتطورها ١٧٥٠-١٨٧١,دار الحكمة , لندن ,٢٠٠٥, ص٣٨ .

(٨) من هذه الاسباب الصراع الذي نشب على السلطة بين ال خليفة والعتوب فأراد الاول ان يبطل هذا الحلف لمصلحة دعتهم ان يهاجروا الكويت فرحلوا الى قطر واقاموا بالزيارة ثم استولوا على البحرين في عام ١٧٧٨ تقريبا فكانوا حكامها الى يومنا هذا .ينظر : راشد عبد الله الفرحان , مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية , مكتبة دار العروبة القاهرة . ١٩٦٠, ص٦٣ .

(٩) قدري قلعجي , اضواء على تاريخ الكويت , دار الكاتب العربي , بيروت , ١٩٦٢, ص٤٤.

(١٠) جمال زكريا قاسم , الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤, ط٢, دار البحوث العلمية , الكويت ,١٩٧٤, ص١٨ .

(11) H.v.f.Winstone and Zahrafreeth, Kuwait prospect and Reality, London, 1972.p68.

(١٢) سيد نوفل , الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي ,دار الطليعة للطباعة والنشر , بيروت , ١٩٦٩, ص١٦٤ .

(١٣) صبري فالح الحمدي , المصدر السابق , ٥٢ .

(١٤) نجاة عبد القادر الجاسم , العلاقات الكويتية – العثمانية ,دراسات تاريخية (مجلة) , العدد ٦١-٦٢, جامعة دمشق ,(ايلول – كانون اول – ١٩٩٧) ص١٩٤ .

(١٥) الكويت ، الهلال (مجلة) اسم الموضوع الكويت , القاهرة , السنة العاشرة , ١٩٠١-١٩٠٢, ص١٢٧ .

(١٦) كارة تساوي (٢٠٠٠) اقة التي تساوي ٢٥٦٥,٩ كغم . ينظر : خليل اينا لجك التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية , ترجمة عبد اللطيف الحارس , المجلد الاول , دار المدار الاسلامي , بيروت ,٢٠٠٧ , ص ٥٨٠ .

(١٧) نقلا عن : امين سعيد , الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ,دار الكاتب العربي , بيروت , (د. ت),ص٧١ .

(١٨) زين العابدين بن شمس الدين نجم , تاريخ العرب الحديث والممعاصر ,دار المسرة (د.ت) ,ص٣٥٩ .

(19) Robin Bidiwell, O p.Cit, p.xi .

(٢٠) بني خالد : هم امراء شرق الجزيرة العربية الذين بسطوا نفوذهم على تلك المناطق بين سنوات (١٦٦٢-١٧٩٥) لمزيد من التفاصيل .ينظر: جزائر جليل عطيوي الوائلي , امراء بني خالد في شرق الجزيرة العربية (الاحساء)١٦٦٢-١٧٩٥, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية ,٢٠٠٥, ص٦٤-٧٠ .

(٢١) عبد المجيد عبد الحميد العاني , السياسة البريطانية تجاه الكويت ١٨٩٦-١٩١٥ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب , جامعة بغداد , ١٩٨٤, ص٢٨ .

(٢٢) السلفيون : هي حركة دينية ذات طابع سياسي اسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٨٧), التي نادت بالرجوع الى مبادئ الاسلام الاولى , لكنها تحولت الى حركة سياسية بعد التحالف بين مؤسسيها الشيخ والامير النجدي محمد بن سعود عام ١٧٤٥ ثم عملت على بسط نفوذها في الجزيرة العربية وخارجها .ينظر: مؤلف مجهول ,طع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب , تحقيق : احمد مصطفى ابو حاكمه , بيروت , ١٩٦٧ .

(٢٣) صبري فالح الحمدي , صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث ,دار الحكمة , لندن , ٢٠٠٢, ص١٩٢ .

(٢٤) العلم السليمي الاول الاحمر : هو علم خاص شكله قريب من المستطيل ذو لون احمر اتخذه الشيخ عبد الله الاول بن صباح (١٧٦٢-١٨١٤) على بلاده .ينظر: شفاء المهدرس المطيري , علم الكويت منذ النشاة حتى الاستقلال ١٧٤٦-١٩٦١, ط١,دار الوارقين للنشر , ١٩٩٦, ص٣٧ .

(٢٥) نورية محمد ناصر الصالح , علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢ , منشورات ذات السلاسل , الكويت ,١٩٧٧, ص٢١ .

(26) .C.H URE Witz, Diplomacy in the Near and Middle East Adocmentary Record: 535-1914, Vo101, Adivison of farrar new yourk,1972,p.218.

(27) The Centre for Resarch and Studies on Kuwait , Kuwait and Britain Ahistoric Frien Ship ,Kuwiat ,2007,p.5.

(٢٨) احمد مصطفى ابو حاكمه , المصدر السابق , ص٨٦ .

(٢٩) محمود بهجت سنان , الكويت زهرة الخليج العربي , مطابع دار كشاف , بيروت ,١٩٥٦, ص٣١ .

(٣٠) حسين خلف الشيخ خزعل, تاريخ الكويت السياسي ,ج١,بيروت ,١٩٦٢, ص١١٧.

(٣١) صبري فالح المحمدي , الكويت نشؤوا وتطورها , ص٦٥ .

(٣٢) شفاء المهدوس المطيري , المصدر السابق , ص٣٩ .

(٣٣) سباطة : يقدر وزن السباطة بين (٢٠-٢٥ كغم).

(٣٤) يقظان سعدون العامر , الصراع الدولي واثره على توقيع اتفاقية عام ١٨٩٩, الخليج العربي (مجلة) مركز الدراسات الخليج العربي , جامعة البصرة : مجلد ٢٤, العدد (٢-٤) لسنة ١٩٩٢, ص١٧ .

(٣٥) سالنا ما البصرة ,المصدر السابق، ص١٥١.

(٣٦) صلاح العقاد , التيارات السياسية في الخليج العربي , مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة , ١٩٦٥, ص٩٠ .

(٣٧) كانت المحمرة احدى المناطق العربية التي تعرضت لذلك الصراع , وتمتع امراؤها العرب باستقلالهم الذاتي في اماراتهم , لكنهم كانوا يتصدون لهجمات متوالية من الفرس والعثمانيين لمزيد من التفاصيل عن تلك التطورات .ينظر : مصطفى عبد القادر النجار عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي (١٨٩٧- ١٩٢٥) , دار العربية للموسوعات بيروت , ٢٠٠٩ , ص٥٥ .

(٣٨) صبري فالح المحمدي , الكويت نشؤوها وتطورها , ص٣٨ .

(٣٩) بلي :Pelly : هو المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي الذي زار الرياض عام ١٨٦٥ في اعقاب تازم الاوضاع بين بريطانيا وفيصل بن تركي امير نجد بسبب محاولته ضم الاحساء والتوسع في قطر والبحرين ومشيخات ساحل عمان ,وحتى وصل الامر الى النزاع المسلح واسفرت المحادثات بين الطرفين عن عقد الاتفاقية (النجدية – البريطانية) من العام التي تضمنت منع فيصل تركي من التوسع نحو المشيخات التي تربط مع بريطانيا بمعاهدات خاصة .ينظر : وداد خضير حسين الشتوي , موقف الدولة العثمانية مع ال سعود ١٨٩١-١٩١٤ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة البصرة , ١٩٨٩, ص٢١ .

(٤٠) خالد عبد المنعم العاني , الكويت والصراع العثماني – البريطاني (١٨٩٦-١٩١٥) , الدار العربية للموسوعات , بيروت ٢٠٠٨, ص٤٤.

(٤١) نقلا عن : نجاة عبد القادر الجاسم , المصدر السابق , ص٢٠٥ .

(٤٢) نقلا عن احمد مصطفى ابو حاكمة , المصدر السابق , ص٢٣٧ .

(٤٣) ب .ج. سلوت مبارك الصباح مؤسس الكويت الحديثة (١٨٩٦-١٩١٥) ترجمة : السيد عيسوي ايوب , مراجعة عبد الله يوسف الغنيم , مركز البحوث والدراسات الكويتية , الكويت ٢٠٠٨, ص٣٩ .

(٤٤) احمد مصطفى ابو حاكمه , المصدر السابق , ص٣٦٥ .

(٤٥) احمد بن مصطفى ابو حاكمه , المصدر السابق , ص٣٦٥ .

(٤٦) جمال زكريا قاسم , المصدر السابق , ص١٧٤.

(٤٧) ميمونة خليفة ال صباح , علاقة الكويت بالدولة العثمانية , المؤرخ العربي (مجلة) بغداد , الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب , العدد ٣٩ , لسنة ١٥, ١٩٨٨, ص٧٧.

(٤٨) مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) هو مدحت بن حاجي حافظ اشرف افندي , بدأ حياته في بلغاريا , توظف في قلم الديوان في الباب العالي بعدما تولى مناصب عدة اخرها منصب شورى الدولة في اسطنبول لمدة عام واحد بعدها صار واليا على بغداد بسبب الخلاف مع محمد نديم باشا الصدر الاعظم , ترك منصبه الاخير وصدر امر تعيينه واليا على درنة ولكنه تمكن من اقناع السلطان بعزل محمود نديم من الصدارة واقنعه انه جدير بهذا المنصب ختم تعينه صدرا اعظم في عام ١٨٧٢ .ينظر : احمد اسماعيل ياغي , سياسة مدحت باشا والي العراق العثماني تجاه الخليج العربي (١٨٦٩-١٨٧٢) الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية, مركز الدراسات والبحوث , راس الخيمة , ٢٠٠١, ص١٥-١٦.

(٤٩) من العوامل الاخرى هي افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية عام ١٨٦٩ وايجاد خط ملاحي مباشر بين استبابول والبصره , مما شجع الدولة على ارسال قوات بحرية الى جانب القوات البرية من العراق والعمل على تعويض خسائر العثمانين في كل من البلقان وعلى الحدود مع روسيا في اسيا . ينظر: حسين محمد حسين القهواني , دور البصرة التجاري في الخليج العربي (١٨٩٦-١٩١٤) مطبعة الارشاد، بغداد , ١٩٨٠ , ص١٠٥-١٠٦.

(٥٠)الاحساء وتتكون من مدن القطيف الهفوف , المبرز المطلة على ساحل الخليج العربي ولها ميناء راس التنوره يصلح لرسو السفن الكبيرة لمزيد من التفاصيل .ينظر : محمد بن عبد الله الانصاري الاحسائي , تحقيق المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد , القسم الاول , مطابع رياض , ١٩٦٠ .

(٥١) عبد المجيد عبد الحميد العاني , المصدر السابق , ص٢٣- ٢٤.

(٥٢) عبد الرحمن : هو الابن الثالث لفيصل بن تركي الذي لجأ الى الكويت بعد تنازله عن الحكم في نجد لاخيه عبد الله والذي ستكون لشخصيته وولده عبد العزيز دور بارز في احداث المرحلة القادمة .

(٥٣) جمال شمال دغل الفرطوسي , العلاقات السياسية النجدية – الكويتية ١٩١٤-١٩٢٣ ،رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠١١, ص٨.

(٥٤) الكسندر ادموف , ولاية البصرة في ما فيها , ترجمة هاشم صالح التكريتي ,ج٢, مركز دراسات الخليج العربي , جامعة البصرة ١٩٨٩, ص٢٦٨.

(٥٥) شذى منعم خلف الوائلي , الصراع العثماني – البريطاني في منطقة الخليج العربي ١٨٧١-١٩١٤, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية , الجامعة المستنصرية ,٢٠١١, ص٤٤-٤٥.

(٥٦) نافذ باشا : هو قائد الحملة العثمانية على الاحساء عام ١٨٧١ عين متصرفا على نجد (الاحساء) في ٣ كانون الثاني ١٨٧٢ وبقي فيها اقل من سنة عين في عام ١٨٨٧ واليا على البصرة , وكان مشيرا بالجيش العثماني . انظر: سهيل صايان , مداخل بعض اعلام الجزيرة العربية في الارشيف العثماني ,جداول للنشر والترجمة والتوزيع ,بيروت ,٢٠١٣, ص٤١١.

(٥٧) الكسندر اداموف , المصدر السابق , ص٢٧٢.

(٥٨) محمد عصفور سلمان , العراق في عهد مدحت باشا(١٢٨٦-١٢٨٩هـ/ ١٨٦٩ ١٨٧٢م), مؤسسة مرتضى للكتاب العراقي , بغداد , ١٩٨٩, ص٥٢١-٥٢٢.

(٥٩) وثائق عثمانية ،رقم البحث (٣٩٣٥)، رقم الاوراق (٣٦٦) ،رقم القسم (١٤) ،رقم الظرف (١٢٦)،رقم الكارتون (١١) ، تاريخ الوثيقة ٨ كانون الثاني ١٣٠٤هـ (١٨٨٧م) ، الارشيف العثماني في استانبول , مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج

العربي : وثائق عثمانية رقم البحث (٣٩٣٦) بلا تاريخ , الارشيف العثماني , استانبول , رقم الاوراق (٣٢٥٦) مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي , بغداد .

(٦٠) احمد راسم, عثمانلي تاريخي ,ج٤, مطبعة ابو ضياء , قسطنطينية , ١٣٢٨هـ , ص٢٢٠٠ .

(٦١) فاضل بيات , الدولة العثمانية في المجال العربي , دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية من مطلع العهد العثماني – اواسط القرن التاسع عشر , ط١, مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ٢٠٠٧, ص٥٢١.

(٦٢) اسماعيل احمد باغي , المصدر السابق , ص٢٤ .

(٤٩) عبد العزيز نوار , تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا , القاهرة , ١٩٦٨, ص٤٠٦ .

(٦٣) تشير المصادر التاريخية الى ان تقديم الشيخ الكويت المساعدة في حملة الاحساء لم يكن مجرد طاعة للدولة العثمانية وانما ذلك يتفق مع مصلحة الكويت وامنها ورغبتها في التخلص من سيطرة امير سعود على السواحل الجنوبية المناهضة لامارته . ينظر : جمال زكريا قاسم ,موقف الكويت الكويت من التوسع في نجد وسواحل الاحساء , التاريخية المصرية (مجلة) , مجلد ١٧, ١٩٧٠, ص١٠٢ .

(٦٤) محمد عرابي نخله , تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨–١٩١٣, منشورات ذات السلاسل ،الكويت , ١٩٨٠, ص١٧٧ .

(٦٥) شذى منعم خلف الوائلي , المصدر السابق , ص٥٣ .

(٦٦) وثائق عثمانية , رقم الملف (٧) , الوثيقة رقم (٥) ، مؤرخة في شوال ١٢٨٨, ص٦، مركز الدراسات الخليج العربي , جامعة البصرة ؛ الزوراء (جريدة) , العدد ١٦٨, ٢١ , جمادي الاولى ١٢٨٨(اب ١٨٧) .

(٦٧) الزوراء(جريدة) العدد ١٤٣ ، ٢٣ صفر ١٢٨٨هـ .

(٦٨) فائق حمدي طهوب , الحملة العثمانية على شرقي الجزيرة العربية عام ١٨٧١ ودورها في تشكيل القوى السياسية في المنطقة , الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية , سلسلة ندوات تاريخية ، مركز الدراسات والوثائق , راس الخيمة , ٢٠٠١, ص٢٦٢ .

(٦٩) احمد عرابي نخله , المصدر السابق , ص١٨٤ .

(٧٠) عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون , السعدون والسياسة العثمانية(١٨٦٩-١٩١٧), اطروحة دكتوراة غير منشورة , كلية الاداب ,جامعة البصرة , ١٩٩٦, ص١٥٩ .

(٧١) اسماعيل احمد باغي , المصدر السابق , ص٢٤ .

(٧٢) محمد عصفور سلمان , المصدر السابق , ص١٨٧ .

(٧٣) شذى منعم خلف الوائلي , المصدر السابق , ص٥٧-٥٨ .

(٧٤) امين هندية , مذكرات مدحت باشا , تعريب : يوسف كمال بك, مطبعة هندية , القاهرة ,١٩١٣,ص١٧٥ .

(٧٥) حقيقة الكويت ,وزارة الخارجية العراقية ,تموز ١٩٦١, ص١٤ .

(٧٦) نجاة عبد القادر الجاسم , المصدر السابق , ص٢١٤ .

(٧٧) تشير الوثائق التاريخية ان مدحت باشا قد منح الشيخ (عبد الله الصباح) مساحات كبيرة في ناحية تعرف بأسم تجرهي في منطقة الفاو لمدة سبع سنوات، قدرت ايراداتها بقيمة (١١,٥٠٠) قرش , والجدير بالذكر ان هذه الاراضي لم تكن مثمرة وانما ارضا بورا ، فقام شيوخ الكويت باستصلاحها وجلب المياه لها واختاروا اجود انواع النخيل لزراعتها فصارت اراضي مثمرة وان امتلاك الكويتين للاراضي الزراعية في البصرة لم يقف عند هذا الحد بل سارع تجار الكويت ,فضلا عن العائلات الكويتية شراء هذه الاراضي وانفقوا عليها مبالغ كبيرة وبلغ مجموع الاراضي

تقدر بحوالي .١٨٦٥ جريبا (والجريب يعادل ٣٩٦٧م٢) انظر: ب.ح. سلوت , المصدر السابق , ص٢٥ .

(٧٨) فتوح عبد الحسن الحترش, تاريخ العلاقات السياسية البريطانية – الكويتية ١٨٩٠-١٩٢١, ,منشورات ذات السلاسل , الكويت , ١٩٧٤,ص١٥

(٧٩) حسين خلف الشيخ خزعل , المصدر السابق , ص١٣٨ .

(٨٠) نورية محمد صالح , المصدر السابق , ص٦٥ .

(٨١) عاد سعود واتخذ زمام الحكم بيده وظل اميرا لنجد حتى وفاته في عام ١٨٧٤ اما اخوه عبد الرحمن الذي كان طيلة هذه الوقت رهينة في بغداد فقد توجه بعد ان اطلق سراحه الى الاحساء وقاد انتفاضة شعبيه وبعدها هرب الى الرياض واستولى على السلطة، ولكنه اضطر ان يتخلى عن السلطة في عام ١٨٧٥ لاخيه عبد الله .ينظر: كريم طلال الركابي , التطورات السياسية الداخلية في نجد ١٨٦٥-١٩٠٢,ط١, الدار العربية للموسوعات , بيروت ,٢٠٠٤, ص١٤٦-١٤٧ .

(٨٢) جمال زكريا قاسم , المصدر السابق , ص٢٠٣ .

(٨٣) حسين محمد حسين القهواني , المصدر السابق , ص٧٠.

(٨٤) ج.ج. لوريمر , دليل الخليج , القسم التاريخي ,ج٣, ترجمة ديوان امير قطر , الدوحه, ١٩٦٧, ص١٤٥٧.

(٨٥) نقلا عن : فتوح عبد المحسن الحنترش , المصدر السابق , ص٢٥.

(٨٦) بزيع بن عريعر : هو شيخ بني خالد عينته الدولة العثمانية متصرفا للاحساء وقائدا للقوات العثمانية , استقال من منصبه كمتصرفا بسبب مرضه . ينظر ستيفن همستلي لونكريك المصدر السابق , ص٣٦٤.

(٨٧) ناصر السعدون : امير قبائل المنتفق , عهدت اليه السلطات العثمانية بعد ان استقر الحكم في الاحساء وتمكن من ادارتها لمزيد من التفاصيل , انظر: عبد الحكيم عجيل عبد الرزاق السعدون , المصدر السابق , ص١٦.

(٨٨) عبد الحكيم عصيل عبد الرزاق السعدون ، المصدر السابق ، ص١٦١.

(٨٩) قدري قلعجمي , المصدر السابق , ص٤٦.

(٩٠) محمد انيس , الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤ دار الجيل للطباعة القاهرة ١٩٨٥, ص٢٣٦.

(٩١) من ذلك قيادة مبارك الصباح للقوة العثمانية التي شاركت بحملة الاحساء العثمانية عام ١٨٧١, وقيادته لحملة عسكرية عام ١٨٩٢ تنفيذا لامر صدر اليه من اخيه الشيخ محمد لاعادة الاستقرار الى الاحساء .ينظر : John Daniel, kuwiat Jouruey& Great Britian , LONDON, 1971, P.14.

(٩٢) تشير المصادر التاريخية الى ان الخلاف يرجع الى ما بعد وفاة الشيخ صباح الثاني بن جابر عام ١٨٦٦, اذ صارت شؤون الامارة بيد اربعة من ابنائه وهم : عبد الله وهو ابن الاكبر ومحمد وجراح مبارك , ويبدو ان الاول تمتع بمركز الامارة وترك مقاليد الامور لاشقائه الثلاثة , محاول نزاعا بينهم لاحقا . ينظر: جمال زكريا قاسم , الخليج العربي , ص٢٥٧,

(٩٣) الروبية الهندية : تعادل (٩٥) فلساً.

(٩٤) الشيخ يوسف بن عبد الله الابراهيمي (آل ابراهيم) : من كبار تجار ا للؤلؤ في الكويت وكان احد مستشاري الشيخ محمد في الحكم من اصل عراقي من البصرة , وصاحب ثروة كبيرة , تربطه صلة معاصرة مع اسرة ال صباح سبق ان قدم الى الكويت من مقاطعة الدورة التي لاتبعد كثيرا عن عبادان على الجانب الشرقي من شط العرب وبحكم موالاته للعثمانيين ابدى رغبة في عزل واضعاف امراء الكويت ومحاولة الحلول محلهم .ينظر : رجب حراز , الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب(١٨٤٠-١٩٠٩), معهد البحوث والدراسات العربية , القاهرة , ١٩٧٠ , ص١٧١.

(٩٥) جمال زكريا قاسم , الخليج العربي , ص٢٥٨.

(٩٦) وثائق عثمانية (ميكروفلم) ت ف ٨١٣ ؛ دار الكتب والوثائق ، ص٧٣-٧٤ .

(٩٧) جمال زكريا قاسم , الخليج العربي , ٢٥٩-٢٦٠ .

(٩٨) احمد الشرباهي , ايام الكويت , مطابع دار الكتاب العربي , القاهرة ,(د.ت) ص١٥ .

(٩٩) احمد حسن جوده , المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩, ترجمة : حسن علي النجار ,منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة , بغداد ,١٩٧٩, ص٤٩ .

(١٠٠) The Centre for Research and studies , on Kuwait, p.41.

(١٠١) عبد المجيد كامل التكريتي ، القضية الكويتية – العراقية في المؤلفات والمذكرات الشخصية ١٨٩٩-١٩٦٣ ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص١٣-١٤ .

(١٠٢) عبد المجيد عبد الحميد العاني ، المصدر السابق، ص٤٦.

(١٠٣) عبد المجيد كامل التكريتي , المصدر السابق , ص١٥-١٦ .

المصادر

<u>الوثائق العثمانية غير منشورة</u>

١- وثائق عثمانية (ميكروفلم) ت ف ٨١٣ ؛ دار الكتب والوثائق.

<u>الرسائل الجامعية</u>

١- جزائر جليل عطيوي الوائلي , امراء بني خالد في شرق الجزيرة العربية (الاحساء) ١٦٦٢-١٧٩٥, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية ,٢٠٠٥.

٢- عبد المجيد عبد الحميد العاني , السياسة البريطانية تجاه الكويت ١٨٩٦-١٩١٥ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب , جامعة بغداد , ١٩٨٤.

٣- _وداد خضير حسين الشتوي , موقف الدولة العثمانية مع ال سعود ١٨٩١-١٩١٤ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة البصرة , ١٩٨٩.

٤- _جمال شمال دغل الفرطوسي , العلاقات السياسية النجدية – الكويتية ١٩١٤-١٩٢٣ ،رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠١١.

٥-شذى منعم خلف الوائلي , الصراع العثماني – البريطاني في منطقة الخليج العربي ١٨٧١-١٩١٤, رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية , الجامعة المستنصرية ,٢٠١١.

- الكتب العربية والمعربة

١- احمد اسماعيل ياغي , سياسة مدحت باشا والي العراق العثماني تجاه الخليج العربي (١٨٦٩-١٨٧٢) الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية, مركز الدراسات والبحوث , راس الخيمة , ٢٠٠١.

٢- احمد الشرباهي , ايام الكويت , مطابع دار الكتاب العربي , القاهرة ,(د.ت) ص١٥ .

٣- احمد حسن جوده , المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩, ترجمة : حسن علي النجار ,منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة , بغداد ,١٩٧٩, ص٤٩ .

٤- احمد مصطفى ابو حاكمه , تاريخ الكويت(١٧٥٠-١٩٦٥), ط١, منشورات ذات السلاسل الكويت , ١٩٨٤.

٥- امين سعيد , الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ,دار الكاتب العربي , بيروت , (د. ت) .

٦- ب .ج. سلوت مبارك الصباح مؤسس الكويت الحديثة (١٨٩٦-١٩١٥) ترجمة : السيد عيسوي ايوب , مراجعة عبد الله يوسف الغنيم , مركز البحوث والدراسات الكويتية , الكويت ٢٠٠٨.

٧- جمال زكريا قاسم , الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الامارات العربية (١٨٤٠-١٩١٤) دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢.

٨- جمال زكريا قاسم , الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤, ط٢, دار البحوث العلمية , الكويت ,١٩٧٤.

٩- حسين خلف الشيخ خزعل, تاريخ الكويت السياسي ,ج١,بيروت ,١٩٦٢.

١٠-حسين محمد حسين القهواني , دور البصرة التجاري في الخليج العربي (١٨٩٦-١٩١٤) مطبعة الارشاد، بغداد , ١٩٨٠ .

١١-خالد عبد المنعم العاني , الكويت والصراع العثماني – البريطاني (١٨٩٦-١٩١٥) , الدار العربية للموسوعات , بيروت ٢٠٠٨.

١٢-راشد عبد الله الفرحان , مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية , مكتبة دار العروبة القاهرة . ١٩٦٠ .

١٣-رجب حراز , الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب(١٨٤٠-١٩٠٩), معهد البحوث والدراسات العربية , القاهرة , ١٩٧٠.

١٤-زين العابدين بن شمس الدين نجم , تاريخ العرب الحديث والمعاصر ,دار المسرة (د.ت).

١٥-سهيل صايان , مداخل بعض اعلام الجزيرة العربية في الارشيف العثماني ,جداول للنشر والترجمة والتوزيع ,بيروت ,٢٠١٣.

١٦-سيد نوفل , الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي ,دار الطليعة للطباعة والنشر , بيروت , ١٩٦٩.

١٧- شفاء المهدرس المطيري , علم الكويت منذ النشاة حتى الاستقلال ١٧٤٦-١٩٦١, ط١,دار الوارقين للنشر , ١٩٩٦.

١٨-صبري فالح الحمدي , صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث ,دار الحكمة , لندن , ٢٠٠٢.

١٩-صبري فالح الحمدي, الكويت نشؤوها وتطورها ١٧٥٠-١٨٧١,دار الحكمة , لندن ,٢٠٠٥.

٢٠-صلاح العقاد , التيارات السياسية في الخليج العربي , مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة , ١٩٦٥.

٢١-عبد المجيد كامل التكريتي ، القضية الكويتية – العراقية في المؤلفات والمذكرات الشخصية ١٨٩٩-١٩٦٣ ، بغداد ، ٢٠٠١.

٢٢- عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب , المطبعة الهاشمية , دمشق , (د.ت) .

٢٣-قدري قلعجي , اضواء على تاريخ الكويت , دار الكاتب العربي , بيروت , ١٩٦٢.

٢٤-كارة تساوي (٢٠٠٠) اقة التي تساوي ٢٥٦٥,٩ كغم . ينظر : خليل اينا لجك التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية , ترجمة عبد اللطيف الحارس , المجلد الاول , دار المدار الاسلامي , بيروت ,٢٠٠٧ .

٢٥-الكسندر ادموف , ولاية البصرة في ما فيها , ترجمة هاشم صالح التكريتي ,ج٢, مركز دراسات الخليج العربي , جامعة البصرة ١٩٨٩.

٢٦-محمد بن عبد الله الانصاري الاحسائي , تحقيق المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد , القسم الاول , مطابع رياض , ١٩٦٠.

٢٧- محمود بهجت سنان , الكويت زهرة الخليج العربي , مطابع دار كشاف , بيروت ,١٩٥٦.

٢٨-مصطفى عبد القادر النجار عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي (١٨٩٧-١٩٢٥) , دار العربية للموسوعات بيروت , ٢٠٠٩.

٢٩- مؤلف مجهول ,طع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب , تحقيق : احمد مصطفى ابو حاكمه , بيروت , ١٩٦٧.

٣٠- نورية محمد ناصر الصالح , علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢ , منشورات ذات السلاسل , الكويت ,١٩٧٧ .

الكتب الأجنبية

1- H.v.f.Winstone and Zahrafreeth, Kuwait prospect and Reality, London, 1972.

2- The Centre for Resarch and Studies on Kuwait , Kuwait and Britain Ahistoric Frien Ship ,Kuwiat ,2007.

السالمانات العثمانية

١- سالنامة البصرة ، مطبعة سندة ،ولاية البصرة ، ١٣١٤هـ .

٣- سالنامة البصرة ،مطبعة سندة ،ولاية البصرة ، ١٣٢٠هـ.

الكتب الوثائقية الأنكليزية المنشورة

1- C.H Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East docmentary Record: 535-1914, Vo101, Adivison of farrar new yourk,1972.

2- Robin Bidwell , The Affairs of kuwait1841-1906 ,vol , Frank Cass and Compang, Limited, 1971.

3- John Daniel, kuwiat Jouruey& Great Britian , LONDON, 1971.

4- The Centre for Research and studies , on Kuwait.

البحوث المنشورة

١- رنده المصري قطينة , الكويت (دراسة تحليلية لقيام الدولة) مجلة الوثيقة , العدد ١ , السنة الاولى , مركز الوثائق التاريخية , البحرين , كانون الثاني , ١٩٨٣.

٢- نجاة عبد القادر الجاسم , العلاقات الكويتية – العثمانية ,دراسات تاريخية (مجلة) , العدد ٦١-٦٢, جامعة دمشق ,(ايلول – كانون اول – ١٩٩٧) .

٣- الكويت ، الهلال (مجلة) اسم الموضوع الكويت , القاهرة , السنة العاشرة , ١٩٠١-١٩٠٢, ص١٢٧ .

٤- يقظان سعدون العامر , الصراع الدولي واثره على توقيع اتفاقية عام ١٨٩٩, الخليج العربي (مجلة) مركز الدراسات الخليج العربي , جامعة البصرة : مجلد ٢٤, العدد (٢-٤) لسنة ١٩٩٢.

٥- ميمونة خليفة ال صباح , علاقة الكويت بالدولة العثمانية , المؤرخ العربي (مجلة) بغداد , الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب , العدد ٣٩ , لسنة ١٥, ١٩٨٨.

سياسة الولايات المتحدة الأمريكية
تجاه ايران ١٩٤٥-١٩٧٩

أ.د.سمر جمعة بهلوان
اياد حمادي ثلاج

جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الانسانية
قسم التاريخ-دراسات عليا

سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه ايران (١٩٤٥-١٩٧٩)

أ.د.سمر جمعة بهلوان

اياد حمادي ثلاج

إستعدت الولايات المتحدة الأمريكية لأخذ دور كبير في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط بعد ظهور أهمية النفط في الحرب العالمية الثانية, وبدأت المنافسة الأمريكية- البريطانية في التنقيب عن النفط في المنطقة, كذلك ظهور الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية كقوة عظمى أشعر الولايات المتحدة الأمريكية بأن تغلغله في الخليج سيمثل تطويقاً للحلف الأطلسي المتكون من الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين, ولا سيما عندما شجع الاتحاد السوفيتي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قيام جمهوريتين في شمال ايران, ومنذ ذلك الوقت بدأت الحرب الباردة بين العملاقين.

سعت الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق أهدافها في منطقة الخليج والشرق الأوسط, ولعل من أبرزها احتواء التوسع السوفيتي, والمحافظة على استقرار المنطقة وأمنها, وتأمين منابع النفط, واستمرار تدفقه, وإمكانية وصولها اليه دون عوائق. وبذلك يكون النفط قد لعب دوراً أساسياً في صياغة العلاقات الخارجية الأمريكية, واعتبرت الولايات المتحدة أن منطقة الخليج تشكل قلب العالم النابض بالحياة.

وسلكت تبعاً لذلك برامج متعددة ومتعاقبة تحقيقاً لمصالحها منها محاولات ربط المنطقة بالأحلاف والتكتلات الأمريكية, وإمداد دول المنطقة بصفقات الأسلحة والمعدات العسكرية, وسياسة التوكيل بالإعتماد على حليف إقليمي يؤدي ما تقتضيه المصلحة الأمريكية في المنطقة, ثم سياسة التدخل العسكري المباشر والإنتشار السريع وغيرها.

رغم الخطوات غير المعلنة في أروقة السياسة الأمريكية باديء الأمر فإن الولايات المتحدة سعت لتحقيق التقارب الأمريكي -الإيراني في أعقاب الحرب العالمية الثانية,

في محاولة لكسب التأييد الإيراني للسياسات الأمريكية في المنطقة. وهذا ما إنعكس سلباً على أمن الخليج والمنطقة برمتها.

أهمية ايرا ن:

ايران إحدى أبرز دول الخليج العربي ذات التأثير على المستوى الإقليمي والدولي, حيث الموقع الجغرافي المتميز, فهي تمتد على الساحل الشمالي للخليج العربي, من ميناء بندر عباس الى ميناء عبادان على شط العرب, ويعد موقعها بين بحر قزوين والخليج العربي, وتشكيلها حلقة الإتصال بين الكثير من خطوط النقل براً وبحراً الموصلة بين قارة آسيا وقارتي أفريقيا وأوربا ذات أهمية استراتيجية كبرى.

تقع ايران على مضيق هرمز, الرابط بين الخليج العربي والمحيط الهندي عبر بحر العرب, وكما هو معروف فإن من يتحكم بمداخل ومخارج هذا الممر البحري فإنه يتحكم في حركة النقل البحري من والى الخليج العربي, ونظراً لموقع هذا المضيق على عنق حركة النقل البحري للخليج العربي فإنه يمثل الشريان الحيوي الذي من خلاله تتم تغذية العالم الصناعي بأهم موارده الأولية وهو النفط.

يعد الحصول على النفط, وتأمين منابعه في منطقة الخليج واحدة من أولويات السياسة الأمريكية, حيث يمثل النفط مرتكزاً أساسياً تقوم عليه الحياة في الولايات المتحدة, وكذلك في الدول الصناعية الكبرى, كما أن منطقة الخليج العربي تمثل أخصب مناطق الحصول على الإستثمارات والفرص التجارية والأموال, وتمثل سوقاً رائجةً للبضائع والسلع والخدمات المصدرة اليه من الدول الغربية.

كما أن الساسة الأمريكان رأوا في منطقة الخليج منطقة نفوذ مهمة للغاية, وأن الولايات المتحدة تسخر كل ما لديها من إمكانيات في سبيل فرض هيمنة أمريكية ضاغطة كفيلة بتحقق المصالح الأمريكية, حتى أنهم اعتقدوا أن من يسيطر على منطقة الخليج العربي فانه يسيطر على العالم.

وعلى قدر تعلق الأمر بالسياسة الأمريكية تجاه ايران – موضوع البحث – فإن الولايات المتحدة الأمريكية اتجهت منذ الحرب العالمية الثانية لتحقيق دوراً محورياً تجاه ايران سياسياً واقتصادياً وعسكرياً, في سبيل تحقيق مراحل متقدمة من التصورات والمخططات الإستراتيجية الأمريكية حيال هذه الدولة المهمة, وما يمكن أن تقدمه من نجاحات حقيقية في هذا المجال.

مثلت ايران دوراً مهماً في السياسة الأمريكية نظراً لإحتوائها على مخزونات كبيرة من النفط الخام, الذي يمثل أبرز مصادر الطاقة في العالم أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية, يضاف اليه الموقع الجغرافي المتميز, وما يمثله على صعيد التنافس الأمريكي-السوفيتي, فايران تجاور الاتحاد السوفيتي بحدود طويلة جداً بلغت قرابة ٢٥٠٠ كم, مما يتيح لها تقديم تسهيلات كبيرة للولايات المتحدة في هذا المجال.

نظرت الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا بمزيد من الخوف والقلق الى أي تقارب سوفيتي- ايراني ممكن أن يحصل, وحاولت بكل ما تستطيع منع حصول هيمنة سوفيتية على إيران, وتدخلت الولايات المتحدة وبريطانيا دبلوماسياً لإجبار الإتحاد السوفيتي على سحب قواته من الأراضي الإيرانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية, وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن المنافسة مع السوفيت مؤهلة لاندلاع حرب عالمية مفاجئة بين الطرفين, وأن كلا الطرفين سيتمد قوته من الحصول على كميات كافية من نفط ايران ودول الخليج, وتبعاً لذلك انصب التخطيط الأمريكي على ضمان الحصول على كميات النفط الخليجي, وتدفقها باسعار مناسبة الى الولايات المتحدة, مقابل العمل على منع السوفيت من الحصول على كل ما يحتاجونه من هذا المورد المهم.

ركزت لجنة المسح الإستراتيجي التابعة لهيئة الأركان الأمريكية المشتركة عام ١٩٤٦ على أهمية النفط كعامل حيوي, وأوصت باعتماد ايران كدولة ذات أهمية استراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية, وضرورة دعمها وتقديم المساندة اللازمة لها, كونها تمثل

خطاً دفاعياً رصيناً أمام التحديات السوفيتية وزحفها باتجاه الخليج, كما أنها تمثل منطقة مؤهلة لشن أي هجوم أمريكي محتمل.[١]

تبنت الولايات المتحدة الأمريكية ما يسمى بـ (سياسة الإحتواء) الرامية الى محاصرة المد السوفيتي وتحجيم دوره المحتمل, وهي لا شك حلقة أساسية من حلقات السياسة الأمريكية المعتمدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية, والمتمثلة ابتداءاً بسلسلة من الأحلاف والمشاريع الأمريكية كمبدأ ترومان, ومبدأ آيزنهاور... .

تأزمت العلاقات السوفيتية – الإيرانية عام ١٩٤٥ عندما رفض الإتحاد السوفيتي الإنسحاب من الأراضي الإيرانية التي إحتلها أثناء الحرب العالمية الثانية, ورفعت الشكوى الى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة حيال ذلك, وتدخلت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا الى جانب شاه ايران (محمد رضا بهلوي) بغية تحقيق عملية الإنسحاب السوفيتي من ايران, وفعلاً تم الإنسحاب.

- **التطورات على الساحة الإيرانية:**

تعرض شاه ايران (محمد رضا بهلوي) في ٤/شباط/١٩٤٩ لمحاولة اغتيال فاشلة على يد عناصر من حزب تودة الشيوعي الايراني الموالي للاتحاد السوفيتي, الأمر الذي جعل الشاه يصدر قراراً بإلغاء هذا الحزب, في محاولة منه لاستغلال حادثة الإغتيال في ايقاف المد السوفيتي تجاه ايران, والعمل على إقامة علاقات تعاون وطيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية, حيث كان الشاه يطمح لتحقيق هذا الهدف, وتطور الأمر ليتوج بزيارة الشاه لواشنطن في ١٩/تشرين الثاني/١٩٤٩.[٢]

حرص السوفيت على توخي الحكمة والحذر في الحصول على مصالحهم الإستراتيجية المهمة في منطقة الخليج, ولعل من أبرزها النفط, خشية الوقوع في صدام مسلح مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الأخرى, مما قد يؤدي الى إندلاع حرب عالمية ثالثة, فانتهج السوفيت سياسات دبلوماسية أفضت الى اقامة علاقات

دولية واتفاقيات اقتصادية مع دول المنطقة كما حصل مع العراق بخصوص التنقيب عن النفط واستخراجه وتسويقه دون الحصول على امتيازات نفطية كبيرة في العراق.

بينما حرصت الولايات المتحدة على ضمان مصالحها في منطقة الخليج, والحيلولة دون تحقيق نفوذ سوفيتي في هذه المنطقة, في محاولة منها لتحقيق هيمنة القطب الواحد المنشودة في أعقاب الحرب العالمية الثانية, وأثناء فترة ما سمي بالحرب الباردة.

في ٣٠/نيسان/١٩٥١ حصلت تطورات مهمة على الساحة الايرانية إضطر معها الشاه محمد رضا الى تعيين الشخصية السياسية الوطنية المعروفة على صعيد ايران (محمد مصدق) رئيساً للحكومة الإيرانية, وقام الأخير بإصلاحات مهمة عدت في مصلحة الشعب, وأصدر قراراً منع بموجبه شراء الأسلحة إلا لأغراض دفاعية بحته. (٣)

في آب/١٩٥٣ أصدر الشاه أمره بإقالة رئيس الحكومة (محمد مصدق) وعين الجنرال (فضل الله زاهدي) رئيساً للحكومة الايرانية خلفاً له, غير أن (محمد مصدق) رفض الإنقياد لهذا القرار, وهرب خوفاً من الإعتقال, وعمت البلاد تبعاً لذلك التظاهرات والإضطرابات المنددة بهذا الإجراء, فغادر الشاه تحت الضغط الشعبي الواسع ايران والتجأ الى بغداد, ومنها الى روما.

في تلك الاثناء كانت قد وصلت سدة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية إدارة الرئيس (آيزنهاور) المعروف بتشدده وقلقه الكبير تجاه المد الشيوعي, واعتقاده بأهمية ايران الإقليمية في مواجهة هذا الخطر. (٤)

- **الاطاحة بحكومة مصدق:**

خلصت الادارة الأمريكية الى ضرورة الإطاحة بحكومة مصدق الموالية للسوفيت, كون بقاءها يشكل خطراً على المصالح الأمريكية في المنطقة, ويعمل على جر ايران ودول مجاورة أخرى لتدور في فلك الاتحاد السوفيتي, وهو ما لا ينبغي حدوثه في تقديرات الساسة الأمريكان, وتم تنفيذ عملية الإطاحة بحكومة مصدق عبر الإنقلاب

العسكري الذي أشرف عليه مسؤول وكالة الاستخبارات الأمريكية C.I.A (كرميت روزفلت), ونفذها الجنرال الايراني فضل الله زاهدي, وذلك في ١٩/اب/١٩٥٣, وهو ما عرف بعملية (أجاكس). (٥)

نجحت عملية الانقلاب العسكري, وقامت الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة الشاه (محمد رضا) الى عرشه في طهران, وعين قائد الإنقلاب الجنرال (فضل الله زاهدي) رئيساً للحكومة الايرانية مرةً أخرى, وكل ذلك وفق توجيهات أمريكية محكمة في هذا المجال, حيث أن زاهدي عرف هو الآخر بتأييده لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية, وكان لقيام الولايات المتحدة بهذه الخطوات تطبيقاً لرؤيتها تجاه ايران، وما تمثله من دور ايجابي على صعيد تحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة.

دخلت ايران منذ الإنقلاب العسكري الذي دبرته الولايات المتحدة الأمريكية للاطاحة بحكومة مصدق, وعودة الشاه والجنرال فضل الله زاهدي في فلك الهيمنة الأمريكية, ونجح الساسة الأمريكان في ربط ايران بعجلة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والخليج العربي.

قام رئيس الحكومة فضل الله زاهدي بالغاء قرارات التأميم التي كان (محمد مصدق) قد أصدرها, وأصدر قراراً حظر فيه أنشطة المعارضة. والدعوة الى الحريات العامة وحقوق الانسان والتوجهات الديمقراطية.

- **حلف بغداد:**

إنضمت ايران في تشرين الثاني/١٩٥٧ الى حلف بغداد, وهو الحلف الذي تأسس في ٢٤/شباط/١٩٥٥, عندما عقدت كل من تركيا والعراق ميثاقاً دفاعياً بينهما, ثم انضمت الى هذا الحلف بريطانيا في نيسان/١٩٥٥, والباكستان في تموز/١٩٥٥, وايران في تشرين الثاني/١٩٥٧, واصبح يعرف بـ (حلف بغداد) ثم تحول الى اسم (المعاهدة المركزية) أو (السينتو –Cento)منذ قيام ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ في العراق, حيث انسحب العراق منه في ٢٤/آذار/١٩٥٩ وأصبح يضم ايران والباكستان وتركيا

وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على اعتبار أن هناك اتفاقيات ثنائية كانت تربط الولايات المتحدة مع الدول الثلاث. [٦]

ويعود عدم انسحاب العراق مباشرة من الحلف بعد قيام ثورة تموز/١٩٥٨ الى اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية, وأعضاء الحلف بالنظام الثوري الجديد في العراق.[٢]

.مبدأ ايزنهاور:

في كانون الثاني/١٩٥٧ أعلن الرئيس الأمريكي (آيزنهاور) سياسة مك الفرغ, لتحل تبعاً لذلك الولايات المتحدة الأمريكية محل بريطانيا وفرنسا بعد انسحابهما من الساحة إثر العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦.

ورأى شاه ايران أن مبدأ (آيزنهاور) يمثل فرصة سانحه لديمومة نظامه على رأس الهرم في ايران, وذلك من خلال الإستفادة من الضمانات والمساعدات التي يقترحها هذا المبدأ.

- **معاهدة الدفاع المشترك ١٩٥٩:**

في ضوء مبدأ(آيزنهاور) وموافقة ايران وانضمامها اليه عقدت معاهدة الدفاع المشترك بين الولايات المتحدة وايران في مطلع اذار/١٩٥٩, لتسجل انقياداً ايرانياً واضحاً لعجلة السياسة الأمريكية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في المنطقة مما انعكس ايجاباً على العلاقات الأمريكية- الايرانية فترة الستينات, ولعل من أبرز بنودها :

١- تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم كل أشكال الدعم بما فيها العسكري حفاظاً على ديمومة السلم والأمن والاستقرار في ايران.

٢- تتواصل اللقاءات للاتفاق على شكل التدابير الدفاعية المقترحة لمواجهة أي خطر محتمل يداهم أحد الطرفين أو كلاهما.

٣- تقدم الولايات المتحدة المعونات الاقتصادية لإيران فيما تتعهد الأخيرة بتوفير واقع أفضل على الساحة الايرانية. [٧]

- **الرئيس جون كيندي (١٩٦٠-١٩٦٤):**

تولى الرئيس جون كيندي الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٠, تزامناً مع تأزم الوضع الداخلي في ايران, فتوجه كيندي الى الساسة الايرانيين يدعوهم الى تبني مشاريع إصلاحية, ولا سيما في المجال الاقتصادي في محاولة لتحسين الوضع المعاشي والاجتماعي المتدهور في ايران, والذي يعد عاملاً أساسياً في حدوث الإضطرابات والمظاهرات المطالبة بالإصلاح. مما يهدد نظام الحكم الايراني, وبالتالي يشكل تهديداً للمصالح الأمريكية في المنطقة, وفي إطار ذلك بين الرئيس كيندي أن إدارته تسعى لتحقيق التقدم الاجتماعي والاقتتصادي والسياسي لكل بلدان المنطقة, وتعمل جاهدةً للحد من سباق التسلح [٨] ،الذي يأخذ حيزاً كبيراً من الإنفاق الحكومي في تلك البلدان, ولهذا رفض كيندي الطلبات الايرانية المقدمة آنذاك لشراء الأسلحة والمعدات العسكرية الأمريكية, وأوعز الى الشاه بتحويل جزء كبير من النفقات العسكرية لإصلاح الوضع الاقتصادي في ايران. [٩]

اتسعت دائرة المعارضة الداخلية في ايران لنظام الشاه, وحاول بدوره معالجة هذا التأزم الحاد والإحتقان الشعبي الكبير بتبني إصلاحات إقتصادية واجتماعية وسياسية, شملت المجال الزراعي, وقوانين الانتخابات, وحق المرأة في التصويت, والسعي الجاد لمحو الأمية وغيرها. [١٠]

لكن ما قام به الشاه من خطوات إصلاحية زادت من حالة التأزم والاحتقان الداخلي والمعارضة, وذلك لانها كانت في نظر الشعب والمراقبين إصلاحات شكلية تفتقر الى الجدية والتطبيق الفعلي, وأن البصمة الأمريكية واضحة المعالم على هذه الاجراءات, مما زاد في حدة المعارضة, ولا سيما الدينية منها, حتى توجت تلك الأحداث بالانتفاضة الشعبية الواسعة في حزيران/١٩٦٣, مما اضطر الشاه لقمع هذه الانتفاضة واخمادها, واعتقل الخميني كزعيم للمعارضة الدينية, وتم نفيه خارج ايران, لينتهي به المطاف في العراق. [١١]

- **الرئيس ليندون جونسون (١٩٦٣-١٩٦٨):**

كان (ليندون جونسون) خبيراً في الشؤون الاقتصادية الداخلية الأمريكية, وعضواً بارزاً في مجلس الشيوخ الأمريكي, لكن خبرته في السياسة الخارجية تكاد تكون ضعيفة, وكان منشغلاً بحرب فيتنام الى حد كبير [١٢] .

حصلت ايران على مرادها من القروض الأمريكية لشراء الأسلحة والمعدات من الولايات المتحدة, وذلك من خلال زيارة قام بها شاه ايران الى واشنطن منتصف عام ١٩٦٤, وبقيت ايران تحصل على المساعدات والأسلحة والمعدات الأمريكية بغية إكمال ترسانتها العسكرية حتى آواخر عام ١٩٦٧, عندما رأت الولايات المتحدة أن ايران لم تعد بحاجة للمساعدات الأمريكية [١٣] نتيجة التحسن الكبير في وضعها الاقتصادي, ولا سيما قطاع النفط.

- **الرئيس ريتشارد نيكسون (١٩٦٩-١٩٧٤):**

أعلن الرئيس الأمريكي (ريتشارد نيكسون) عام ١٩٦٩ مجموعة من المفاهيم التي يجب أن ترتكز عليها السياسة الأمريكية في تلك المرحلة, ولعل من أبرزها مبدأ اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على قوى إقليمية كفوءة تقوم بمهمة الوكالة عن الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط, بمعنى أخر تنتقي الولايات المتحدة الأمريكية دولة بعينها في منطقة معينة, وتقوم بدعمها واصلاح شأنها لتكون مؤهلة لحماية المصالح الأمريكية, والحرص عليها في تلك المنطقة, وهو ما دعي بسياسة (التوكيل) وبذلك تكون الولايات المتحدة قد حققت استراتيجيتها تجاه أحداث معينة دون التدخل المباشر, شريطة أن لا يؤثر ذلك سلباً على مبدأ التفوق والهيمنة الأمريكية, مع ضمان الأولوية لسلامة المصالح الأمريكية, مما يتيح للدولة (الوكيل) الحصول على الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي الأمريكي, بغية تمكنها من أداء دورها, وقد وقع الإختيار في فترة الرئيس الأمريكي (ريتشارد نيكسون) على ايران وحاكمها الشاه لتلعب دور الشرطي في منطقة الخليج العربي, تحقيقاً للاهداف والتطلعات الأمريكية.

كان الرئيس (نيكسون) يمتلك رؤية جديدة تجاه علاقات الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي, وهو اعتماد سياسة (الوفاق الدولي) لتحل محل سياسة (الاحتواء), عبر ربط السوفيت بمجموعة من المصالح الدولية, مما يؤدي الى انشغال السوفيت في الحرص على ادامة السلم والأمن والإستقرار في المنطقة تحقيقاً لمصالحهم وضمان ديمومتها.

وفي مجال الصراعات والنزاعات الاقليمية فقد تبنى الرئيس (نيكسون) ومستشار الأمن القومي الأمريكي (هنري كيسنجر) فكرة تأهيل ايران و"اسرائيل" كقوتين اقليميتين تؤديان مضامين السياسية الخارجية الأمريكية في المنطقة. (١٤)

يطلق على هذه السياسة الأمريكية كما تقدم سياسة (التوكيل) لتخليص الولايات المتحدة من العبء الحاصل نتيجة تدخلها المباشر ومعالجتها للاحداث الواقعة في المنطقة وعلى كل الصُعد. (١٥)

رغم ادعاءات الرئيس نيكسون باعتماد سياسة مغايرة تجاه السوفيت فإن مبدأه يمثل في جوهره امتداداً واضحاً لسياسة الإحتواء الأمريكية, بغية الحد من النفوذ السوفيتي. (١٦)

كان مبدأ نيكسون يمثل نظاماً متكاملاً يسعى لتحقيق المصالح الأمريكية, وخلق حالة من الاستقرار والهدوء النسبي في المناطق التي تشكل ثقلاً في الميزان الاستراتيجي الأمريكي, وتكرس ذلك التوجه في الرسالة التي توجه بها الرئيس نيكسون الى الكونغرس الأمريكي مطلع عام ١٩٧١, ولعل من أهم فقراتها:

١- ضرورة دعم الأنظمة الموالية للولايات المتحدة الأمريكية, لتقوم بدورها في تأمين الأمن والسلام, عبر كبح جماح حركات التمرد والمعارضة, وتخفيف العبء عن كاهل الولايات المتحدة الأمريكية.

٢- تحافظ الولايات المتحدة على جميع تعهداتها والتزاماتها حسب المعاهدات والاتفاقيات والأحلاف المبرمة, وتسارع لتقديم أشكال الدعم عسكرياً واقتصادياً متى طلب ذلك.

٣- السعي لتجهيز الدول المؤيدة والمساندة للتطلعات والسياسات الأمريكية بدرع واق. [١٧]

وعلى قدر تعلق الأمر بايران على وجه التحديد فإنها كانت الدولة المؤهلة تماماً للقيام بدور سياسي وعسكري واقتصادي متميز في منطقة الخليج العربي ذات الأهمية الاستراتيجية الكبرى اعتماداً على الموارد الذاتية الايرانية والدعم الأمريكي, ولا سيما في المجال العسكري, ولعل من أهم الأسباب الداعية لاختيار ايران لتقوم بهذا الدور هي:

١- موقف ايران المحايد من الصراع العربي – "الاسرائيلي", كونها دولة غير عربية, بل هي ترتبط بعلاقات جيدة مع "اسرائيل".

٢- احتوائها على المقدرات الاقتصادية الكفيلة بتوفير عنصر الإنفاق المطلوب لتنفيذ الكثير من الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة, وخاصة النفط وما يشكله من أهمية بالغة, كما أن ايران تمتلك قوة بشرية كبيرة حيث بلغ عدد سكانها انذاك قرابة (٤٠ مليون) نسمة. [١٨]

٣- مثلت ايران حلقة أساسية مهمة في مناورات الحرب الباردة التي هدفت بشكل رئيسي الى احتواء المد السوفيتي, وخاصةً معارضة الشاه (محمد رضا بهلوي) للدور السوفيتي في منطقة الخليج العربي, يضاف اليه رغبة ايران المتنامية في امتلاك السلاح النووي[١٩] , وقيامها بمثل هذه الادوار المهمة قد يحقق لها ذلك الى حد كبير.

كما أن ثقة الأمريكان بحليفهم الشاه محمد رضا والمتطلع الى كل السبل التي تحقق عملية تقارب دائم بين ايران والولايات المتحدة, ولا سيما هذا السبيل الذي يحقق له حلم الزعامة في منطقة الخليج العربي. [٢٠]

شرعت ايران في تنفيذ ما أوكل اليها حسب مبدأ نيكسون, وذلك عشية إنسحاب القوات البريطانية في الخليج العربي عام ١٩٧١, فأقدم الشاه وفي إطار سياسته التوسعية على حساب الدول العربية على إحتلال الجزر العربية الإماراتية الثلاث(طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة أبي موسى), لما تتمتع به من موقع وميزات استراتيجية مهمة, وقربها من مضيق هرمز عند مدخل الخليج العربي. [٢١]

ويعد هذا التدخل العسكري المباشر في ظل الدعم الأمريكي اللا محدود تدخلاً سافراً واعتداءاً واضحاً لا مبرر له على اراض دولة أخرى, وليس هذا فقط بل تدخلت ايران بالشؤون الداخلية لسلطنة عمان, حيث ارسلت خمسة آلاف جندي ايراني وعشرات الطائرات النفاثة, ومعدات عسكرية أخرى لقمع الحركة السياسية في اقليم ظفار العماني[٢٢] , مما يسجل خرقاً آخر, يندرج في سياسة التوكل الأمريكية- الايرانية ,التي تبيح لايران انتهاج آلية الإعتداء والتدخل العسكري المباشر.

ولغرض تمكين ايران من أداء دورها بإحكام, والذي كان ينسجم تماماً مع تطلعات الشاه في بناء منظومة عسكرية أمنية ايرانية متطورة فقد أعلن الرئيس نيكسون في ايار/١٩٧٢ عن استعداد الولايات المتحدة لبيع ايران كل ما تريده- كماً ونوعاً- من الأسلحة والمعدات الأمريكية على طريق التحالف الإستراتيجي بين الدولتين, وأهم ما تضمنته تلك الصفقة طائرات الفانتوم الأمريكية, وطائرات F14 و F15 القتالية المتطورة [٢٣] .

زادت مبيعات الأسلحة الأمريكية المتطورة للنظام الايراني الذي توفرت لديه القدرة على شرائها, وبكميات كبيرة جراء الإزدهار الإقتصادي الحاصل بفضل ارتفاع أسعار النفط, وتحسن الإنتاج الى حد كبير في مطلع السبعينات, وعدت ايران من أبرز مستوردي الأسلحة الأمريكية, حيث جهزت ايران بين عامي ١٩٧٠-١٩٧٧ بعدد كبير من الطائرات والدبابات والصواريخ والمعدات البحرية والإلكترونية, حيث بلغت قيمة هذه الصفقات ضعف قيمة ما تم شراؤه بين عامي ١٩٥٠-١٩٦٩, ويرافق ذلك ايفاد بعثات عسكرية أمريكية مختصة تتولى مهمة تدريب أصناف من القوات الايرانية على هذه الاسلحة المعقدة, ولذلك وصفت هذه الصفقات بأنها أسرع عملية بناء لقوة عسكرية في ظروف السلم. [٢٤]

وبهذا تكون الطموحات الايرانية قد تحققت في بناء ترسانة عسكرية شاملة تتيح لايران ممارسة دورها كقوة إقليمية مهمة في الخليج والشرق الأوسط, وبرعاية أمريكية.

استمرت ايران بمسلسل التدخل غير المشروع في شؤون الأقطار العربية المجاورة, ومنها على سبيل المثال تدخلها في الشؤون العراقية وقيامها بالتستر على شبكات التجسس الأمريكية "والاسرائيلية", والعمل على تسهيل مهامها التجسسية داخل الأراضي العراقية, حيث دعمت ايران في أعقاب ثورة تموز/١٩٦٨ المعارضين للنظام الجديد, وزودتهم بالمعلومات اللوجستية والأسلحة, وفتحت لهم معسكرات تدريب داخل الأراضي الايرانية, وذلك بايعاز من الإدارة الأمريكية التي رأت في ثورة/تموز/١٩٦٨ في العراق خطراً على المصالح الأمريكية في المنطقة. [٢٥]

وكانت هذه الممارسات تتم والعلاقات مقطوعة بين العراق وايران بسبب اعتراض العراق ورفضه لاحتلال ايران للجزر الإماراتية الثلاث.

إذاً يمكن وصف العلاقات الأمريكية- الايرانية في النصف الأول من السبعينات بالعلاقات الممتازة, حيث النتيجة الطبيعية لالتقاء مصالح الطرفين, فالولايات المتحدة تسعى لتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الخليج بالاعتماد على ايران كأبرز حليف استراتيجي قادر على تحقيق ذلك, وكذلك ايران تتطلع الى أن تصبح قوة اقليمية في المنطقة لتأخذ زمام المبادرة في الوصول الى أهدافها المنشودة. في ظل دعم ورعاية وحماية الولايات المتحدة الأمريكية.

ازدهار العلاقات الأمريكية- الايرانية ١٩٤٥-١٩٧٩ ألقى بظلاله على نمو العلاقات الايرانية – "الاسرائيلية", حيث أن ذلك يندرج في رغبات وتطلعات الولايات المتحدة الأمريكية وحرصها على بقاء وأمن "اسرائيل", وتشابه كل من ايران "واسرائيل" انذاك في تنفيذ المخططات الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي, حيث شملت أوجه التعاون الايراني – "الاسرائيلي" مجالات عدة, ولعل من ابرزها المجال العسكري والأمني والاقتصادي, حيث شارك جهاز (الموساد) "الاسرائيلي" في إنشاء جهاز(السافاك) الايراني المشابه له الى حدٍ كبير, وتكفلت ايران بتأمين النفط وتدفقه الى "اسرائيل"[٢٦] حتى في أضعف الظروف.

ضمنت السياسة الأمريكية في الخليج العربي بشكل عام, وايران بشكل خاص في فترة السبعينات حصولاً واضحاً للأمريكان على مصالحهم, ولا سيما المصالح العسكرية والاقتصادية, وكان من أبرز محاور هذه السياسة هو الالتزام الأمريكي بالدفاع عن مكامن النفط في الخليج, وتوفير حالة الإستقرار السياسي وديمومته, ومنع وصول الجماعات الأصولية والمتطرفة الى مواقع الحكم في الدول النفطية, ومنع حصول الإضطرابات السياسية والتظاهرات التي من شأنها أن توقف امدادات النفط, كما حصل في ايران أواخر عام ١٩٧٧, عندما أضرب عمال النفط انذاك, وتوقفت صادرات ايران النفطية البالغة خمسة ملايين برميل يومياً في ذلك الوقت.

- **مبدأ الرئيس كارتر (١٩٧٧-١٩٨٠):**

تسلم الرئيس (جيمي كارتر) مقاليد الحكم عن الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٠/كانون الثاني/١٩٧٧, بعد هزيمة منافسه الجمهوري (جيرالد فورد), وقد كان شاه ايران يدعم فرصة فوز المرشح الجمهوري (فورد), وقدم الشاه عن طريق السفارة الايرانية في واشنطن دعماً كبيراً لحملة (فورد) الانتخابية متطلعاً الى فوزه على حساب المرشح الديمقراطي (كارتر), والسبب هو خشية الشاه من التوجهات الديمقراطية التي يتبناها المرشحون الديمقراطيون في الولايات المتحدة, وظن أن فوز (كارتر) قد يعني انتهاء حكمه, ومغادرته عرش ايران. [٢٧]

تعد توجهات الرئيس كارتر نوعاً من استراتيجية التغيير في مرتكزات السياسة الأمريكية تجاه الخليج العربي والشرق الأوسط, ويرى المراقبون أن طروحات الرئيس (كارتر) تمثل نقطة تحول في السياسة الأمريكية تجاه الخليج العربي, حيث رغب الرئيس (كارتر) في عدم الإستمرار في استراتيجية التوكيل التي اعتمدها سلفه الرئيس نيكسون وجيرالد فورد, فأصدر قراراً في ايار/١٩٧٧ بحظر الأسلحة الأمريكية الى الدول الأجنبية, ومنها ايران, لكن سرعان ما عاود الدفء الى العلاقات الأمريكية – الايرانية, نظراً لأهمية ايران بالنسبة للولايات المتحدة, وخاصةً على الصعيد الاقتصادي,

وفي تشرين الثاني/١٩٧٧ وصل الشاه الى الولايات المتحدة لحضور مؤتمر منظمة أوبك حول أسعار النفط في الأسواق العالمية, والتقى الشاه بالرئيس كارتر, حيث تعهد الشاه بتثبيت أسعار النفط في الأسواق العالمية تلبيةً للرغبة الأمريكية, وتعهد كارتر باستئناف بيع الأسلحة والمعدات العسكرية المتطورة الى ايران[٢٨] ,وعاد الرئيس كارتر ليقدم دعمه الكبير لشاه ايران من جديد مع ظهور بوادر ومؤشرات انطلاق ثورة اسلامية في ايران منذ عام ١٩٨٧.

نجحت الثورة الإسلامية في ايران في اسقاط الشاه, ومثل سقوط نظامه هزة عنيفة لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه ايران والخليج العربي, حيث كان يمثل الأداة المعول عليها في تحقيق المصالح الأمريكية, وضمان حمايتها.

بدأت تتبلور حتى قبيل نجاح الثورة الاسلامية في ايران/١٩٧٩ سياسات وتوجهات أمريكية جديدة تهدف الى تعزيز التواجد العسكري الأمريكي في منطقة الخليج العربي, لحماية المصالح الأمريكية, ولعل من أهمها انذاك تدفق النفط, والوقوف بحزم أمام تحديات الاتحاد السوفيتي, ولا سيما بعد تدخله في افغانستان عام ١٩٧٩, مما حدا بالادارة الأمريكية أن تعيد النظر في مبدأ نيكسون. [٢٩]

واللجوء الى استراتيجية بديلة الا وهي التواجد العسكري الأمريكي, وامكانية التدخل المباشر حمايةً للمصالح الأمريكية في المنطقة, وقد تبنى الرئيس (كارتر) رؤية مجلس الأمن القومي الأمريكي, وهو خيار القوة الأمريكية والتدخل العسكري المباشر, حيث أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية (قوات الانتشار السريع) والتي يبلغ قوامها قوام أكبر جيش لأكبر دولة في المنطقة.[٣٠]

- **أثر العلاقات الأمريكية الايرانية على الصراع العربي – "الاسرائيلي" ١٩٤٥-١٩٧٩:**

أدرك شاه ايران أن إقامة علاقات وطيدة مع "اسرائيل" تحقق له سرعة التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية, نظراً لتبني الولايات المتحدة هذا الكيان منذ نهاية

الحرب العالمية الثانية, ولهذا كان الشاه يسعى في هذا الاتجاه, حيث أعلن اعترافه المباشر "باسرائيل" مع قيام هذه الدولة عام ١٩٥٠.

وحصل التقارب الايراني- "الاسرائيلي" واستمرت عجلته اقتصادياً وامنياً وعسكرياً بالتوازي مع ازدهار وانتعاش العلاقات الأمريكية- الايرانية, وتوحدت التوجهات الايرانية- "الاسرائيلية" المعارضة للتحركات الثورية الإستقلالية في المنطقة العربية, ولهذا رصدت زيارة لوزير الدفاع "الاسرائيلي" (موشي ديان) لطهران أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦.

وفي ضوء التقارب الايراني – "الاسرائيلي" المدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية, فقد اعتمدت "اسرائيل" على النفط الايراني الى حد كبير جداً, حيث بلغت الواردات "الاسرائيلية" من النفط الايراني قرابة ٩٠% من مجمل وارداتها النفطية, اضافةً الى سلسلة من الإتفاقيات والمعاهدات في المجالات العسكرية والأمنية, حتى أن جهاز الموساد "الاسرائيلي" ووكالة المخابرات الأمريكية هما من أشرف على تأسيس جهاز السافاك الامني الايراني على شاكلة جهاز الموساد "الاسرائيلي".

وكذلك هو الحال في حرب ١٩٦٧, وحرب ١٩٧٣ العربية – "الاسرائيلية" بقيت العلاقات الايرانية- "الاسرائيلية" تعيش حالة الازدهار والنمو, وعلى قدر تعلق الامر بحرب/تشرين/١٩٧٣فقد رفض الشاه الوقوف مع العرب في استخدام النفط كوسيلة ضغط على الولايات المتحدة و"اسرائيل", بل عمل عكس المتوقع حيث قرر زيادة الانتاج والتصدير ليغطي النقص الحاصل بفعل انقطاع امدادات نفط الخليج العربي. (٣١)

كما أن الشاه, وفي ضوء تحالفه مع الولايات المتحدة "واسرائيل" رفض الإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد عن الشعب الفلسطيني, بل اتهمها بأنها منظمة إرهابية, وكان يدعم مسار التفاوض والتسوية السلمية في منتجعات كامب ديفيد أنذاك.

يتضح مما تقدم أن مسار العلاقات الأمريكية – الايرانية في الفترة ١٩٤٥-١٩٧٩ – موضوع البحث – إنعكس على مسألة الصراع العربي – "الاسرائيلي" لصالح تمكين "اسرائيل" ومشروعها الاستيطاني التوسعي على حساب الحقوق العربية, وأفرز التحالف الثلاثي الأمريكي – الايراني – "الإسرائيلي" تحقيقاً لمصالح هذه الاطراف وفي مقدمتها المصالح الأمريكية, أماعن حقيقة التحالف الأمريكي- الايراني فقد كانت ايران في موقع التبعية الكاملة لكل المشاريع الأمريكية في المنطقة وآلية تنفيذها. غير أنها نجحت في تقوية علاقاتها مع الولايات المتحدة ,والاستفادة من امتيازات هذه العلاقات في كل حقب الرئاسة الأمريكية, حيث حظيت بالدعم الأمريكي اللا محدود مقابل تنفيذها لشبكة معقدة من المصالح الأمريكية في المنطقة.

مصادر البحث:

- **احمد**, حسن مصطفى, مذكراتي السياسية في واشنطن, مطبعة بابل, بغداد, ١٩٩٠.
- **برانغر**, روبرت, القضية الفلسطينية في الاستراتيجية الامريكية, بيقوسيا, شركة الخدمات النشرية المحدودة, ١٩٨٣.
- **الحسن**, بدرالدين عبدالمحسن, الامبرالية والصهيونية, مطبعة الاتحاد, دمشق, ١٩٨٩.
- **رجبي**, حسن محمد, الحياة السياسية للامام الخميني, دار الروضة, بيروت, ١٩٩٣.
- **زهرة**, السيد, "استراتيجية القوتين الاعظم وقضايا الامن في الخليج", مجلة الفكر الاستراتيجي العربي, العدد ٢, ١٩٨١.
- **سعود**, محمد عبدالغني, ايران دراسة في جذور الصراع, دار القبس, الكويت.
- **سلامة**, غسان, السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥, معهد الانماء العربي, بيروت, ١٩٨٠.
- **شريق**, حسين, الولايات المتحدة الامريكية من الاستقلال الى العزلة الى سيادة العالم, الهيئة المصرية للكتاب, القاهرة, ٢٠٠١.
- **الشعيبي**, محمد فوزي, السياسة وفن الحكم, (د.ن), دمشق, ١٩٩١.
- **شكر**, زهير, السياسة الامريكية في الخليج العربي ومبدأ كارتر, معهد الانماء العربي, بيروت, ١٩٨٢.
- **فاسيلييف**, الكسي, الخليج العربي تحت فوهات البتاغون, ترجمة دار التقدم, موسكو, ١٩٨٤.
- **فضة**, محمد ابراهيم, دور الدرع النووي الاستراتيجي في السياسة الخارجية, شركة المطابع النموذجية, عمان, ١٩٨٢.
- **الكعكي**, يحيى, الشرق الاوسط والصراع الدولي, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, ١٩٨٦.

- **كلير**, مايكل, ايران بين عامي ١٩٠٠-١٩٨٠, مؤسسة الابحاث العربية, بيروت, ١٩٨٠.
- **الكيالي**, عبدالوهاب, الموسوعة السياسية, الجزء الاول, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ١٩٩٠.
- **محمد**, محمد جاسم, "واقع العلاقات العربية – الايرانية في منطقة الخليج العربي", مجلة الخليج العربي, المجلد ١٣, العدد ٤, ١٩٨١.
- **المدني**, جلال الدين, تاريخ ايران السياسي, منظمة الاعلام السياسي, طهران, ١٩٩٣.
- **مراد**, خليل علي, "الولايات المتحدة والنفط وامن الخليج في السبعينات", مجلة الخليج العربي, مجلد ١٤, عدد ١, ١٩٨٢.
- **النعيمي**, احمد نوري, السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية, دار الحرية للطباعة والنشر, بغداد, ١٩٧٥.
- **هوليداي**, فريد مقدمات الثورة في ايران, دار ابن خلدون, بيروت, ١٩٨٢.
- **هيكل**, محمد حسنين, حرب الخليج اوهام القوة والنصر, مركز الاهرام, القاهرة, ١٩٩٢.
- **هيكل**, محمد حسنين, مدافع اية الله, دار الشروق, القاهرة, ١٩٨٢.
- **وليام**, كوانت, عملية السلام, مركز الاهرام, القاهرة, ١٩٩٤.

الهوامش :

(١) **هيكل**, محمد حسنين, مدافع اية الله, دار الشروق, القاهرة, ١٩٨٢, ص٧٠.

(٢)**الشعيبي**, محمد فوزي, السياسة وفن الحكم, (د.ن), دمشق, ١٩٩١, ص٢٥٦.

(٣)**كلير**, مايكل, ايران بين عامي ١٩٠٠-١٩٨٠, مؤسسة الابحاث العربية, بيروت, ١٩٨٠, ص٢٩٠.

(٤) **شريف**, حسين, الولايات المتحدة الامريكية من الاستقلال الى العزلة الى سيادة العالم, الهيئة المصرية للكتاب, القاهرة, ٢٠٠١, ص٣٤٥.

(٥) **هيكل**, مصدر سابق, ص٨٩.

(٦) **الكعكي**, يحيى, الشرق الاوسط والصراع الدولي, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, ١٩٦٨, ص٥٣.

(٧) **الصباغ**, سعيد, العلاقة بين القاهرة وطهران تنافس ام تعاون, الدار الثقافية للنشر, القاهرة, ص٦٢.

(٨) **الحسن**, بدرالدين عبدالمحسن, الامبرالية والصهيونية, مطبعة الاتحاد, دكشق, ١٩٨٩, ص٢٣٦.

(٩) **الصباغ**, سعيد, مصدر سابق, ص٦٢.

(١٠) **المدني**, جلال الدين, تاريخ ايران السياسي, منظمة الاعلام السياسي, طهران, ايران, ١٩٩٣, ص٥٥.

(١١) **كلير**, مايكل, مصدر سابق, ص١٩٣.

(١٢) **وليام**, ب كوانت, عملية السلام, مركز الاهرام للترجمة, القاهرة, ١٩٩٤, ص٣٧.

(١٣) **الصباغ**, سعيد, مصدر سابق, ص٦٣.

(١٤) **برانغر**, روبرت, القضية الفلسطينية في الاستراتيجية الامريكية, بيقوسيا, شركة الخدمات النشرية المحدودة, ١٩٨٣, ص٦.

(١٥) **الكيالي**, عبدالوهاب, الموسوعة السياسية, الجزء الاول, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ١٩٩٠, ص٦٥٧.

(١٦) **فضة**, محمد ابراهيم, دور الدرع النووي الاستراتيجي في السياسة الخارجية, شركة المطابع النموذجية, عمان, ١٩٨٢, ص٦٣.

(١٧) **شكر**, زهير, السياسة الامريكية في الخليج العربي ومبدأ كارتر, معهد الانماء العربي, بيروت, ١٩٨٢, ص٥٧-٥٨.

(١٨) **هيكل**, محمد حسنين, حرب الخليج – اوهام القوة والنصر, مركز الاهرام للترجمة والنشر, القاهرة, ١٩٩٢, ص١٠٤.

(١٩) **سلامة**, غسان, السياسة الارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥, معهد الانماء العربي, بيروت, ١٩٨٠, ص٥٨٦.

(٢٠) **مراد**, خليل علي, "الولايات المتحدة والنفط وامن الخليج في السبعينات", مجلة الخليج العربي, مجلد ١٤, عدد ١, ١٩٨٢, ص١٩.

(٢١) **هوليداي**, فريد, مقدمات الثورة في ايران, دار ابن خلدون, بيروت, ١٩٨٢, ص٣٥١.

(٢٢) **محمد**, محمد جاسم, "واقع العلاقات العربية – الايرانية في منطقة الخليج العربي", مجلة الخليج العربي, المجلد ١٣, العدد٤, ١٩٨١, ص٥٩.

(٢٣) **هوليداي**, فريد, مصدر سابق, ص١٣٠.

(٢٤) **كلير**, مايكل, مصدر سابق, ص٢٦٦.

(٢٥) **فاسيلييف**, الكسي, الخليج العربي تحت فوهات النتاغون, ترجمة دار التقدم, موسكو, ١٩٨٤, ص٩٦.

(٢٦) **زهرة**, السيد, "استراتيجية القوتين الاعظم وقضايا الأمن في الخليج", مجلة الفكر الاستراتيجي العربي, العدد ٢, ١٩٨١, ص٨٥.

(٢٧)**رجبي**, حسن محمد, الحياة السياسية للامام الخميني, دار الروضة, بيروت, ١٩٩٣, ص٣٢٢.

(٢٨) **رجبي**, حسن محمد, مصدر سابق, ص٣٢٤.

(٢٩)**شكر**, زهير, مصدر سابق, ص٥٩.

(٣٠) **زهرة**, السيد, مصدر سابق, ص٨٧.

أهمية اللقى الاثرية المكتوبة
في الدراسات الآثارية

أ.د. نواله أحمد محمود المتولي
محمد عيسى جعفر

أهمية اللقى الاثرية المكتوبة في الدراسات الآثارية

أ.د. نواله أحمد محمود المتولي

محمد عيسى جعفر

تمهيد

شكلت نتائج أعمال التنقيبات الأثرية والدراسات اللغوية (دراسة النصوص المسمارية) مصدران أساسيان من مصادر دراسة التأريخ بوجه عام وتأريخ بلاد الرافدين وحضارته بوجه خاص، وأن ما يجعل من التأريخ علماً هو طريقة البحث أو المنهج العلمي الذي يعتمد اساساً على الوثائق الكتابية التي لا يمكن من دونها ان يكون هناك تأريخ(١). وكل ذلك يعود إلى الأرث المدون الضخم الذي تركه أبن أرض الرافدين في امهات المدن والمواقع الأثرية من بقايا الأبنية والعمائر، والهياكل العظمية، والأعداد الكبيرة من اللقى الأثرية مختلفة الأشكال والأنواع التي صنعت من مواد متنوعة، سواء أكانت من مادة الطين أم من الأحجار الكريمة أم نصف الكريمة أم أحجار أعتيادية، وكذلك ما صنع من معادن ثمينة مثل الذهب والفضة، أو من معادن اعتيادية مثل النحاس والبرونز وغيرها. وان دراسة الشواهد المكتشفة وما يتصل بها من لقى مكتوبة تساعد في استخلاص معلومات قيمة، ولو بشكل محدود ومقتضب احياناً، تساعد في فهم مفردات وجوانب من الحياة اليومية(٢). ولا يفوتنا ان نذكر الأعداد الوفيرة من الرقم الطينية والمواد المكتوبة الاخرى من المسلات والتماثيل والنصب الجدارية والاسطوانات والمخاريط والمواشير وصنارات الابواب والاجر واحجار الحدود وتماثيل واحجار الاسس واحجار الوزن والتمائم والدلايات والخرز والحلي والاختام الاسطوانية..... وغيرها من اللقى الأثرية المكتوبة، وتأتي جميع تلك الموجودات في مقدمة الوسائل التي ينبغي للباحث والمؤرخ الاعتماد عليها في كتابة تأريخ وحضارة بلاد الرافدين(٣).

مضامين النصوص المسمارية المدونة على اللقى الأثرية

١. النصوص التأريخية :

كان من أهم النتاجات الفكرية العراقية القديمة هي كتابة التأريخ[٤]، ويشير الراوي (نقلاً عن سبايزر)، بان المؤرخ العراقي القديم عد التأريخ "نتاجاً لعوامل سابقة عليه وقوة فعالة في الحاضر وفعلاً لتشكيل المستقبل"[٥]. وكان الاعتقاد إلى وقت قريب، بان بدايات التدوين التأريخي كانت في بلاد اليونان على يد المؤرخ اليوناني هيرودتس، الذي عدته الكتابات اليونانية "أقدم مؤرخ في التأريخ" أو "مؤرخ العراق الاول[٦]،

يعد الباحثون ما يعرف اليوم بـ"قوائم اثبات الملوك" ولا سيما قائمة الملوك السومرية (Sumerian King List) [٧]، من أهم المصادر التي عرفتنا باسماء الملوك وفهم العراقيين للتأريخ[٨]، إذْ زودتنا تلك القوائم باسماء عدد كثير من الملوك وسنوات الحكم[٩] واسماء عدد من المدن، كما اوردت تلك القوائم بعض الأشارات الى احداث تأريخية، ومنها الأشارة إلى الحروب والانتصارات[١٠]. وتكمل الحوليات الأشورية (Annals) ذكر الحوادث عاماً بعد عام عند تدوين اخبار الملوك، وهي أحد أهم واشهر الشواهد المدونة على معرفة سكان بلاد الرافدين بتدوين التأريخ[١١]، وقد وصل هذا الاسلوب من التدوين مرحلة النضج في ومنذ حكم الأمبراطورية الأشورية الحديثة[١٢] (٩١١-٦١٢ ق.م). فضلاً عن ان الأشوريين قد توصلوا الى ما يعرف بـ "التأريخ التعاصري" (Synchronistic History)، الذي هو عبارة عن استعراض لتاريخ الاحداث الهامة التي وقعت قي بلاد اشور وما يعاصرها من احداث في بلاد بابل، وتناولت تلك المدونات تاريخ حكم ملوك اشوريين وبابليين منذ العصرين البابلي والاشوري القديمين[١٣].

٢. النصوص الملكية :

هي تلك النصوص التي تعنى باعمال الملوك وحكام المدن والأقاليم، وتشترك مع النصوص التأريخية أحياناً ببعض الجوانب

زودتنا النصوص ذات المضامين الملكية، بأخبار الحروب والحملات العسكرية وانتصارات الملوك على الاعداء[١٤]، وكان ذلك سبباً في اقامة الاحتفالات بالنصر، وقد عمد ملوك بلاد الرافدين إلى تسجيل تلك الاخبار في مدوناتهم[١٥]، وقد زودتنا النصوص المسمارية ومن مختلف العصور الزمنية بنماذج من تلك النصوص، وقد جاءتنا تلك الاخبار من عصر السلالات السومرية او ما يسمى "بعصر ما قبل سرجون"[١٦]، كما ذكرت النصوص المسمارية الى أن الملك سرجون الاكدي قد تعدى في فتوحاته بلاد الرافدين، إذْ عرفتنا تلك النصوص بأخبار انتصاراته في الفتوحات التي قام بها والتي شملت اجزاء واسعة من الاقسام الشرقية من اسيا الصغرى وصولاً إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط[١٧]، وكذلك غزوه لأقليم كبدوكية في شرق بلاد الاناضول لنجدة التجار الأكديين، كما ذكرت ايضاً وصوله إلى أقليم "كفتارة"، التي يعتقد أنها "جزيرة كريت"[١٨]، ودونت تلك الكتابات على الرقم الطينية، ودون البعض الآخر على المواشير والاسطوانات والنصب والمسلات الجدارية [١٩]، ومن أقدم الوثائق المدونة لأقدم حرب للتحرير، التي تسجل اخبار انتصار الملك السومري (اوتو-حيكال)(^{d}Utu-ḫegal) (٢١٢٠-٢١١٤ ق.م)، وطرده لاقوام الكوتيين عرفت بـ" وثيقة حرب التحرير"[٢٠].

اما سياسة الملك البابلي حمورابي(Ḥammu-rabi)(١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م)، وسنه لأشهر وانضج قانون عرف باسمه، فتشير الكتابات إلى انه حاول الوصول إلى اهدافه عن طريق التفاهم وعقد الاحلاف والمعاهدات[٢١]، وعدم زج الجيش في ميادين الحرب الا عند الضرورة[٢٢].

تُعد وثيقة النصر للملك نبوخذنصر الاول (Nabu-kuduri-uṣur I) (١١٢٤-١١٠٣ ق.م) ، من الوثائق المهمة التي سجلت انتصاره على العيلاميين في حملتين عسكريتين اخفق في الاولى وانتصر في الثانية، وترك الملك نبوخذنصر الاول اخبار ذلك الانتصار مدوناً على حجرة حدود، إذْ وصف أخبار النصر وصفاً أدبياً ممتعاً[٢٣].

وتعد النصوص البنائية واحدة من اشهر الكتابات التي تعد ضمن النصوص الملكية وقد ترك لنا ملوك وحكام بلاد الرافدين وعلى مر العصور الزمنية المختلفة نتاجاً مدوناً سجلوا فيه كثيراً من اعمالهم البنائية والعمرانية سواء ما وصلنا مدوناً على الواح الطين أو المواشير والمخاريط والاسطوانات الفخارية، واحجار الاسس وتماثيله، واحجار الحدود وصنارات الابواب وغيرها(٢٤).

٣. النصوص الدينية :

الدين بمفهومه العام هو مجموعة من الطقوس والشعائر التي يؤديها الفرد من أجل كسب ود وثقة الالهة أو القوى الغيبية التي اعتقد بوجودها، ومن اجل درء خطرها وغضبها احياناً، وكان للدين عند سكان بلاد الرافدين، وسكان الشعوب الأخرى، المكانة الاولى في حياتهم اليومية وفي مختلف جوانبها.

زودتنا النصوص ذات المضامين الدينية والمكتشفة في عدد من المدن والمواقع الاثرية، منذ القرن التاسع عشر الميلادي، بمعلومات غزيرة عن الفكر الديني لحضارة بلاد الرافدين، وعن اعداد الالهة التي عبدت فيها مسمياتها، والتي تباينت فيما بينها, إذْ أحتلت بعض الآلهة مركز الصدارة في مجلس الالهة(٢٥)، وكان للبعض الاخر أتخاذ القرارات التي تتعلق بالالهة والبشر على حد السواء(٢٦).

لا توجد شواهد على إن سكان بلاد الرافدين قد وصلوا الى مبدأ التوحيد، أو بعبارة أخرى ، عبادة إله واحد من دون بقية الالهة، كالتي ظهرت في عهد الفرعون اخناتون في مصر وعهد اشعيا الثاني عند العبرانيين(٢٧). باستثناء الفكرة التي ذكرتها النصوص حول محاولة الملك البابلي نبونائيد إعلاء شان عبادة اله القمر سين، وهي ليست بمفهوم التوحيد انما التفريد، كما حدث مع الاله مردوخ اله البابليين، إذْ عظم شانه ومركزه، حتى يقال ان كلمته اصبحت مثل كلمة الاله آنو كبير الالهة، وكذلك الحال مع الاله آشور، الاله القومي للآشوريين، وغيرهم في الديانات الاخرى(٢٨). كما زودتنا

النصوص المسمارية كذلك بمعلومات قيمة عما يرتبط بالمعتقدات الدينية المتعلقة بالموت والحياة والعالم السفلي، تسمياته وصفاته والهته والاساطير المتعلقة به[٢٩].

ترتبط العرافة والسحر ارتباطاً وثيقا بموضوع المعتقدات والممارسات الدينية وبعض التقاليد الاجتماعية، وهدف العرافة هو الاتصال بالقوى الغيبية العليا، لغرض معرفة ما ستقدره على البشر سواء في جانب الخير أم الشر، في حين يهدف السحر، وهو من المعتقدات القديمة لدى سكان بلاد الرافدين وسائر الشعوب الأخرى، إلى تحقيق أو احداث غرض معين يكون أحياناً ضاراً وفي أحيان أخرى يكون نافعاً، وقد زودتنا النصوص المسمارية بعدد من تلك الممارسات المتعلقة بالعرافة[٣٠] والسحر[٣١].

٤. النصوص الأدبية :

يُعد النتاج الفكري الأدبي واحداً من النتاجات التي أسهمت في رقي الحضارة العراقية قديماً وحديثاً، فقد ترك سكان بلاد الرافدين سجلاً حافلاً من المدونات الأدبية، وهو حصيلة أبداع الأدباء والشعراء السومريين والبابليين، وهو يعكس انماطاً من الحياة اليومية التي يعيشها السكان[٣٢]. وعلى الرغم مما تم أكتشافه من أعداد الالواح المسمارية ذات المضامين الأدبية، سواء الشعرية ام النثرية لا يؤلف في الواقع إلاّ نسبة قليلة بالمقارنة مع الأعداد التي لا تزال غير مكتشفة او مطمورة في باطن المدن والمواقع الأثرية[٣٣].

إن الباحث في موضوع الأدب في بلاد الرافدين يجد نفسه أمام نتاجات ذات موضوعات مختلفة مثل الأساطير المتعلقة بخلق الأنسان والكون والظواهر الطبيعية واساطير العالم الاسفل، والقصص والملاحم البطولية التي تحدثت عن بطولات عدد من الحكام والملوك[٣٤]، وهناك نوع من التأليف الأدبية ما يعرف "بأدب الحكمة" يندرج تحت هذا النوع الحكم والامثال والنصائح[٣٥]، وهناك ايضاً أدب السخرية والمناظرات والمراثي التي تسجل احداثاً تاريخية تتعلق بالكوارث التي تحل بالمدن وتخريبها[٣٦]، وتأخذ التأليف الأدبية احياناً طابعاً دينياً مثل أدب التراتيل والصلوات[٣٧]، وإن لأعتماد

التاليف الادبية اسلوب التكرار والاعادة قد ساعد الباحثين على إكمال النواقص والأجزاء المفقودة من النصوص. كما ساهم انتشار الخط المسماري خارج بلاد الرافدين الى انتشار النتاج الأدبي الرافديني الى مناطق عدة من بلدان الشرق الادنى القديم وبلدان اخرى، مثل سورية وفلسطين وأسيا الصغرى ومصر وحتى بلاد اليونان، وإن لأكتشاف اجزاء من القصص والملاحم الرافدينية في تلك البلدان والاقاليم لهو خير دليل على ذلك، كما أن دليلا اخر يثبت ذلك هو أكتشاف نسخة من القصة البابلية المعروفة "قصة آدابا" مدونة بالخط المسماري واللغة الاكدية ضمن نصوص موقع تل العمارنة[٣٨], فضلا عن عدد من الأعمال الأدبية التي تم العثور عليها في مدن قديمة مختلفة خارج بلاد الرافدين.

٥. النصوص القانونية والقضائية :

تم العثور على عدة أنواع من النصوص المسمارية تضمنت نصوصاً قانونية منها الاصلاحات الأجتماعية الأقتصادية ومنها المراسيم الملكية[٣٩]، إلا ان اهمها هي نصوص القوانين التي أصدرت من قبل الملوك والحكام، وأول اصلاحات معروفة لدينا لحد الان هي اصلاحات اوروكاجينا (حاكم لكش) (٣٥٠٠ ق.م)، وهي أقدم النصوص التي تحمل طابعاً قانونياً، وأقدم أصلاحات أجتماعية وأقتصادية، وقد تم العثور على ثلاثة نسخ منها وهي مدون باللغة السومرية[٤٠]. كما وردتنا تسجيلات للمعاملات اليومية من عقود البيع والشراء والتاجير وغيرها- والتي عادة تضم قائمة باسماء الشهود[٤١]. وقبل ان نتعرف على القوانين، فقد سبقتها الاعراف والتقاليد في حل المشكلات والمنازعات وتثبيت الحقوق[٤٢]. وكذلك زودتنا النصوص المسمارية القضائية بمعلومات عن القضايا المحسومة والتي عرفت في السومرية بالمصطلح (DI–TIL–LA)، واما القضايا غير المحسومة فقد اوردها الكاتب السومري بالمصطلح (DI.NU.TIL.LA) [٤٣]،

اما القوانين المدونة المكتشفة، فهي تعد أهم التشريعات التي أصدرها ملوك وحكام بلاد الرافدين، وتظل في المركز الأول بين جميع القوانين المعروفة من حيث القدم والمنزلة،

ويعد قانون الملك السومري اور–نمو (Ur–Nammu) (٢١١٢–٢٠٩٦ ق.م)(مؤسس سلالة اور الثالثة) اقدم القوانين المكتشفة لحد الآن، وهو يتألف من مقدمة ومتن وخاتمة، إما قانون لبت عشتار (١٩٣٤–١٩٢٤ ق.م) وهو مدون على لوح من الطين من اثني عشر حقلاً مدون باللغة السومرية، وهو على غرار قانون اور–نمو يضم مقدمة وخاتمة مع عدد من المواد القانونية[٤٤]، وقانون اشنونا هو الثالث من حيث القدم، وأقدم القوانين المدونة باللغة الأكدية، ويسبيق قانون الملك البابلي حمورابي بنحو ٨٠ عاماً[٤٥].

يعد قانون حمورابي أكمل وأنجح القوانين المكتشفة لحد الآن، وهو مدون باللغة الأكدية على مسلة من الحجر، تتالف من (٤٤) حقلاً من الكتابة المسمارية، ومقدمة القانون مدونة باسلوب ادبي رفيع، واختص القانون بكل شرائح المجتمع وجوانب الحياة اليومية[٤٦]. واختصت مواد القانون بالسرقات والاراضي والمعانلات التجارية، من جانب اخر فقد خصصت بعض مواده للاحوال الشخصية[٤٧]، واجور الاشخاص والحيوانات، كما عالجت المواد الاخيرة امور تتعلق بالرقيق[٤٨]. اما القوانين الاشورية، فالمكتشف منها يعد قليلاً نسبة الى المدونات الاخرى في العصر الاشوري، ألا أنه مع ذلك فقد وجدت الواح طينية تحمل مواداً من القانون الاشوري القديم (٢٠٠٠–١٣٥٠ ق.م) والوسيط (١٣٦٥–٩١٠ ق.م)، إذْ عثر على الالواح التي تضم القانون الاشوري القديم في المستعمرة الاشورية "كانيش"، ويظهر انها تتعلق بما يختص بالمستعمرات التجارية وتنظيم أمور التجار[٤٩]، اما المجموعة الثانية فقد عثر عليها في العاصمة اشور، وهي عبارة عن نسخ ثانية[٥٠]. ان أهم ما يميز القوانين العراقية القديمة انها قوانين دنيوية عالجت النواحي الأجتماعية والأقتصادية، ولم تتطرق إلى المعبد والكهنة.

٦. النصوص اللغوية والمعجمية :

كان من نتائج أجود ازدواجية اللغة في العصر الأكدي وما تلاه من العصور، ان عمل الكتبة في بلاد الرافدين على اعداد وتنظيم اعداد من الجداول والمعاجم تضم المفردات السومرية وبيان معانيها في اللغة الأكدية من أجل فهم معانيها وأستعمالها في كتابة

النصوص[٥١]، وتعد أقدم المعاجم اللغوية المعروفة لحد الأن[٥٢]، وقد ضمت عددا من النصوص المعجمية قوائم بأسماء البلدان والأقاليم والمدن ومن المحتمل ان مثل تلك القوائم كانت تستعمل كدليل لأغراض الرحلات التجارية، ولأغراض ايصال المراسلات وللاغراض الادارية والعسكرية[٥٣]، كما نظموا قوائم بأسماء الجبال والأنهار والقنوات والبحار، فضلاً عما صوروه على المنحوتات، ويعد تنظيم مثل تلك المعاجم أقدم ما عرف من محاولات الأنسان في هذا الجانب[٥٤]. من أهم الخرائط التي زودتنا بها الرقم الطينية هي الخريطة المعروفة لمدينة نفر، وما يعرف بخريطة العالم التي صوروا مدينة بابل هي مركزها، وهناك عدد لا باس به من خرائط الحقول الزراعية وقنوات ومجاري المياه[٥٥].

٧. النصوص الاقتصادية :

تعكس النظم الاقتصادية والمالية جانباً أخر من جوانب اصالة الحضارة في بلاد الرافدين، ومدى تأثيراتها في البلدان المجاورة لها، ان مصادر معلوماتنا عن النظم الاقتصادية والمالية في بلاد الرافدين مستقاة من عدد من المصادر والنصوص المسمارية (النصوص الزراعية والخاصة بالتجارة والنصوص المتعلقة بانواع الصناعات والحرف الصناعية)، وتأتي النصوص ذات المضامين الاقتصادية على رأس قائمة تلك النصوص وأن كانت مقتضبة المضمون، ويزيد عدد من الباحثين أن نسبة النصوص المتعلقة بالحياة الاقتصادية والمكتشفة في مدن بلاد الرافدين ومواقعه الاثرية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، إلى مجموع عدد النصوص المكتشفة في بلاد الرافدين بنسبة ٩٠%[٥٦].

عرفتنا النصوص الاقتصادية بكثير من المصطلحات الخاصة بالتسلم والتسليم والادخال المخزني والأخراج، وحسابات الميزانية السنوية والشهرية، والجرايات وأنواع العمال والعاملات وأجورهم وجراياتهم، كما زودتنا بمعلومات عن المواد والأوزان والمكاييل والمساحات، والاشخاص الأداريين القائمين على المعامل والورش، وعقود البيع والشراء، وأسماء النباتات والحاصلات الزراعية ومواعيد الحراثة والبذار والحصاد وغيرها من الاعمال الزراعية، فضلاً عن الثروة الحيوانية ومدى اهميتها في الحياة

الاقتصادية[٥٧]، وغير ذلك مما له علاقة بالجوانب الاقتصادية المتعلقة بالمواد المتاجر بها، سواء الصادرات أم الواردات، سواء من ناحية أعدادها أم من ناحية نوعيتها.

٨. النصوص المدرسية التعليمية:

كان الأعتقاد عند سكان بلاد الرافدين، إن المدرسة والتعليم هما الوسيلتان العمليتان لنقل ميراث المعارف والتجارب والعلوم الى الاجيال اللاحقة، وكانت بداية التعليم محصورة بيد كهنة المعابد،، الا إن بشيوع المدارس أصبح هناك عدد كبير من المختصين بالكتابة، وأضحت المدارس أماكن توافر عدداً من الكتبة والنساخ الجيدين[٥٨].

أحتلت المدارس دوراً بارزاً في عملية التعليم ونشر الثقافة، وقد احتضت اغلب ابنية المعابد في بلاد الرافدين أولى المدارس في التأريخ، واستمر ذلك عبر العصور الزمنية، وتعاظم شان التعليم منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد[٥٩]. والحقت بأبنية المعابد أيضاً مكتبة الرقم الطينية أو ما يمكن تسميته بـ" دائرة أو مكان حفظ السجلات أو الرقم"، ومنها ما كان يتم تدريس الطلبة عليها فيما يخص تعليم الخط المسماري وقواعد اللغة، ولعل ما وجد في معبد تل حرمل، وسبار ومعبد الاله نابوشخاري في بابل، ومكتبة الملك اشوربانيبال خير دليل على ذلك[٦٠]، إذْ كانت الرقم الطينية تنظم على رفوف من الطين، وان دل كما عرفتنا النصوص المسمارية ومن خلال النصوص التعليمية بانواع الكتبة ، وكانت مهنة الكاتب من المهن المتوارثة قي بلاد الرافدين، كما عمد الكتبة إلى الاحتفاظ بسر مهنتهم ضمن نطاق الاسرة وعدم تعليمها الا لأبنائهم[٦١]، كما تم العثور على نماذج كثيرة من النصوص التعليمية المعروفة باشكل الدائري القرصي، ووجد ان البعض من هذه النماذج عبارة عن نصوص نموذجية تستعمل للتعليم ولتدريب الطلاب على الكتابة، ومن بينها تمارين مدرسية، والبعض الأخر منها هي كتابات المتعلمين، ومن المعتاد أن أمثال هذه النصوص مقتضبة وقصيرة وتحتوي أحياناً على علامات متشابهة أو مكررة[٦٢]. إمَا موضوعاتها فهي

متنوعة، فقد شملت مواضيع النصوص المدرسية التعليمية قوائم باسماء الآلهة والمدن والمواقع الجغرافية او اسماء أشخاص أو أسماء النباتات والأحجار والمواد الزراعية، فضلاً عن اجزاء من النصوص الادبية والرياضية وغيرها(٦٣).

٩. النصوص العلمية :

قبل الحديث عن العلوم والمعارف التي اضطلع بها سكان بلاد الرافدين، لابد من الأشارة الى محاولة المؤرخين اليونانيين وغيرهم تضليل الاجيال عن حقيقة ومكانة العلوم والمعارف في بلاد الرافدين، ولا سيما العلوم الطبية والرياضيات والهندسة والجبر.. وغيرها، واختلقوا القصص لطمس الحضارة العراقية ومكانتها وأهميتها في الدراسات التأريخية والآثارية، حتى ذكر عن هيرودتس "بان العراقيين يخرجون مرضاهم إلى الشارع لأنهم لا يمتلكون اطباء، وان الناس الذين يمرون في الشارع يقدمون النصح والارشاد للمرضى"(٦٤). ولذلك تكمن أهمية العثور على أعداد من الرقم الطينية التي تختص بالعلوم والمعارف في الكشف عن زيف الادعاءات التي اطلقها عدد من الباحثين لغرض تشويه اصاله الحضارة العراقية وعراقتها.

في مجال الطب فقد زودتنا النصوص المسمارية ذات المضامين الطبية بمعلومات لا باس بها عن والتشخيص الطبي لكثير من الأمراض مع الأشارة إلى علاجاتها، (التشخيص والانذار الطبي)، فضلاً عن ذلك فقد منحتنا النصوص الطبية ايضاً معلومات عن عدد من الممارسات الكهنوتية، التي تدخل في مجال النصوص الدينية احياناً، لمعالجة بعض الامراض والاوبئة التي تعد في بعض الاحيان ناتجة عن غضب الالهة على البشر(٦٥)، فقد عزوا الآلآم والأمراض الى ما سموه " يد الاله او الالهة"(٦٦)، ان كما كان لتلك النصوص الطبية دوراً في تزويدنا بمعلومات عن المعرفة بعدد من المواد الكيميائية واستعمالاتها وكيفية تحضيرها(٦٧).

إمَا بالنسبة للنصوص الرياضية، فبالرغم من قلتها، إلأ أنها على قدر كبير من الصعوبة والاهمية، وحاول الباحثون في حقل العلوم الرياضية التركيز على دورين هما العصر البابلي القديم ومدة الاحتلال السلوقي، علماً ان الاساس الذي بني عليه علم

الرياضيات في بلاد الرافدين يعود الى عصر السلالات السومرية وما تبعه في العصر الأكدي وعصر سلالة أور الثالثة، والتي أزدهرت فيما بعد في العصر البابلي القديم والاشوري[٦٨]. وشملت معرفة العراقيين بعلوم الرياضيات القضايا الهندسية والجبرية والجذور التربيعية والتكعيبية للاعداد[٦٩]، وعمليات الجمع والطرح والقسمة ومعادلات الدرجة الثانية والثالثة، وكان نظام العد هو النظام الستيني الذي اساسه العدد ٦٠[٧٠]، ويرتبط بعلم الرياضيات أرتباطاً وثيقاً ومباشراً علم أخر هو علم الفلك[٧١]، وهو من العلوم القديمة التي ربما ترجع معرفة سكان بلاد الرافدين به إلى ما قبل الألف الثالث قبل الميلاد، إلا إن المدونات الفلكية المعروفة لدينا لحد الآن لا يرقى زمنها الى ابعد من الألف الثاني قبل الميلاد[٧٢]، علماً ان علماء اليونان والرومان حاولوا طمس تطور العلوم والمعارف ومن بينها علما الفلم والرياضيات التي كان لها شان كبير في حضارة بلاد الرافدين[٧٣]، ولعل ايضاً أهم ما يؤيد معرفة سكان بلاد الرافدين بعلم الفلك ومنذ مرحلة مبكرة، هو ان معظم أسماء الابراج والنجوم هي اسماء سومري، كما ان نصوص العصر الأكدي تشهد على معرفة السكان بنصوص العرافة التي تعتمد اساساً على الارصاد الفلكية وحساباتها[٧٤].

كما عرفوا علم التنجيم الذي نشأ اساسا لتنظيم الوقت والتقويم، وما له علاقة بامور الحصاد والفيضان والغزو والمجاعة، كما زودتنا النصوص المسمارية بمعلومات عن معرفة سكان بلاد الرافدين بالبروج الاثني عشر واطلقوا عليها أسماء حيوانية أو ادمية، وكانت بابل والوركاء وسبار من المدن التي تُعد كمراصد للنجوم[٧٥].

في علم النبات ميز سكان بلاد الرافدين كثيراً من انواع النباتات والخضر والحبوب والاعشاب والاشجار والثمار[٧٦]، ودونوا اسماء تلك النباتات مسبوقة بعلامة دالة[٧٧]. ولعل من أهم تلك النباتات والأعشاب ما يعرف بالنبات العطرية المستعملة لأغراض المعابد والاحتفالات ومراسيم التتويج وغيرها ، كما لا يخفى ذكره في هذا المجال النباتات والاعشاب المستخدمة للأغراض الطبية والعلاجات[٧٨].

إما في مجال علم الكيمياء، فقد اسهمت النصوص المسمارية اسهاماً كبيراً في القاء الضوء على المعارف والصناعات الكيميائية والحرف الصناعية ، التي شملت

الصناعات الغذائية (كصناعات الألبان والزيوت والعصائر والمشروبات .. وغيرها)، والصناعات الأخرى في مختلف انواعهما، ومنها الصناعات المعدنية والحجرية، (كصناعة الحلي والآلآت الموسيقية والآلآت الزراعية والأدوات المنزلية وعدة الحرب...وغيرها، وكذلك صناعة النسيج والأثاث والطابوق وتصنيع الجلود والقصب وصناعة السفن والقوارب .. وغيرها، كما عرفتنا بأنواع الآلآت والأدوات والمواقد والافران، والمواد النباتية والمعدنية المستعملة في اعمال صب المعادن وصهرها، واعمال المعالجة وتصنيع والجلود[٧٩]، والصناعات النسيجية، واماكن الورش والمعامل والعاملين فيها فضلاً عن المشرفين عليها، وكان للنصوص الأقتصادية أهمية بالغة في تعريفنا بكثير من المعلومات في هذا المجال[٨٠].

ولم تقتصر معرفة سكان بلاد الرافدين بالعلوم التطبيقية بل اهتموا ايضاً بالعلوم الجغرافية، فقد زودتنا الرقم الطينية باعداد من الخرائط

١٠. الصيغ التأريخية:

تعد الصيغ التأريخية (Date Formulae) التي أرخ بها الملوك سنين حكمهم من المصادر الكتابية المهمة، إذْ مكنتنا من التعرف إلى الأحداث الرئيسة التي وقعت في زمن حكم ملك معين، وتضمنت تلك الصيغ احداثاً تأريخية وعمرانية (سواء اكانت دينية أم مدنية)، فضلاً عن الحملات العسكرية وتقديم القرابين والهدايا وفتح القنوات والاهتمام باعمال الزراعة والري والاحتفالات وغيرها من مفردات الحياة اليومية[٨١]، ولم تقتصر كتابة الصيغ التأريخية على عصر أو ملك أو مدة زمنية معينة بل أستمر هذا التقليد لدى ملوك وحكام بلاد الرافدين على مر العصور التأريخية.

١١. الرسائل :

عثر المنقبون على عدد من الرسائل ذات مضامين متنوعة منها رسائل ملكية وأدارية وتجارية وشخصية، وقد زودتنا تلك الرسائل، سواء الملكية أو الأدارية، بمعلومات قيمة عن أعمال الملوك والحكام، وقد تناولت تلك الرسائل أعمال الملوك

الحربية بما فيها صد هجوم الأعداء أو الفتوحات وانتصاراتهم فيها[٨٢]، فضلاً عن الاعمال الأدارية والتجارية وغيرها. ولعل اشهر مثال على ذلك الرسائل الملكية المتبادلة بين ملوك سلالة أور الثالثة وحكام المدن والاقاليم التابعة لهم والتي امدتنا بمعلومات قيمة عن الوضع الاقتصادي للبلاد الذي لم يعد آمنا ومستقراً بسبب أجتياح اقوام الأموريين وفقدان السيطرة المركزية من قبل الملك ابي سين اخر ملوك سلالة اور الثالثة، كما عرفتنا بمعلومات عن سوء الوضع الاقتصادي لمدينة أور وغلاء أسعار المواد الغذائية بسبب النقص الحاصل في كميات الشعير[٨٣].

اشار الراوي في معرض حديثه عن العلوم الطبية، إلى إن بعض المدن والمراكز الحضارية في بلاد الرافدين قد تميزت في مجال العلوم الطبية، نذكر على سبيل المثال، نفر وايسن واشور ونينوى ... وغيرها، وكنتيجة لتلك المكانة التي تميزت بها المراكز والمدن العراقية مما حدى ببعض ملوك وامراء الدول والاقاليم المجاورة بارسال الرسائل طلباً للاستفادة من تلك االخبرة في بلادهم، ويرقى زمن تلك الرسائل الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، وقد أكدت تلك الرسائل، من جانب أخر، على المكانة والسمعة العالية التي كان يتمتع بها الاطباء في دول الجوار نتيجة للحدمات التي يقدمونها[٨٤].

في الختام نورد ملخصاً لأهمية دراسة النصوص المسمارية الواردة على اللقى الآثرية، سواء الرقم الطينية التي شكلت النسبة الأكبر بين انواع اللقى الاثرية المكتوبة، أو اللقى الأثرية المكتوبة على مواد أخرى، سواء على الاحجار أم على المعادن أم على العاج ...وغيرها .

١- شكلت النصوص المكتوبة على اللقى الأثرية بما فيها الرقم الطينية مصدراً اساسياً في دراسة تاريخ بلاد الرافدين والشرق الأدنى القديم وحضارتهما.

٢- المدونات الكتابية هي سجل حافل ووسيلة أوصلت الينا جملة من المقومات الحضارية الاصيلة.

٣- لدراسة النصوص المسمارية اهمية كبيرة في دراسة العلاقات السياسية والدبلوماسية بين بلاد الرافدين والمدن والاقاليم التابعة لها ، فضلاً عن تلك المجاورة لها.

٤- امدت الكتابات على اللقى الأثرية القارىء بمعلومات عن الوضع السياسي والأداري والأقتصادي والديني فضلاً عن جملة معلومات عن الحياة اليومية في بلاد الرافدين والآقاليم الأخرى.

٥- كان لتلك اللقى الاثرية المكتوبة الفضل في تعريف القارىء والباحث بمعلومات قيمة عن العلوم والمعارف والتي لم تغفل جانباً من جوانب العلوم والمعرفة. كما أسهمت النصوص المسمارية والمهن والحرف.

٦- كان لدراسة النصوص المسمارية المدونة على اللقى الآثرية الفضل الكبير في التعريف بعدد من نشاطات واعمال الملوك والحكام من خلال النصوص التي وردتنا من مناطق أخرى من خارج بلاد الرافدين.

٧- لانتقال الخط المسماري إلى الدول والاقاليم المجاورة لبلاد الرافدين الفضل في نقل صنوف المعرفة ومقومات الحضارة العراقية، إلى الدول والاقاليم المجاورة من بلدان الشرق الادنى القديم.

٨- كما ساهم انتقال الخط إلى التعرف على العلاقات السياسية والدبلوماسية بين بلاد الرافدين وبلدان الشرق الأدنى القديم ودول الخليج العربي، وما يتعلق بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية وحتى الزيجات الملكية.

٩- أسهمت دراسة النصوص المسمارية في الرد على من حاول طمس المقومات الحضارية العراقية ومعرفة العراقيين بكثير من مجالات العلوم والمعرفة وتضليل القارىء من خلال تشويه اصالة الحضارة العراقية ونسبتها إلى شعوب أخرى كاليونان والرومان او المساهمة في القول بان الحضارة العراقية مستوردة وليست اصيلة.

١٠- أمدتنا دراسة اللقى المكتوبة بمعلومات حول تطور المدارس ونظام التعليم في بلاد الرافدين، وكان ذلك واضحاً من خلال أعداد النصوص المدرسية والنصوص

الاخرى، التي اشرنا إليها ، فضلاً عما أسهمت به التنقيبات الأثرية من المعلومات حول المكتشفات الأثرية لعدد من ابنية المدارس والمكتبات في بعض المدن والمواقع الأثرية، كان من أهمها سبار وبابل ونينوى.

١١- اسهمت دراسة النصوص المسمارية على اختلاف مضامينها في التأكيد على اصالة الحضارة العراقية وعراقتها، كونها حضارة أصيلة غير منقولة أو مستوردة كما ذهب لبعض من الباحثين الاجانب.

١٢- ان كتابات الرحالة والمستشرقين واسفار اليهود لا تؤخذ كلها على محمل الجد، إذْ لا بد من ان نطبق نظرية النقد التأريخي عليها، فأن تلك المدونات تحمل كثيراً من التزييف والتشويه في رسم صورة مجتمع بلاد الرافدين وحضارته.

لذلك بات لزوما على الباحث في مجال علم الاثار والمؤرخ عدم اغفال دراسة النصوص المسمارية أو ترجماتها من أجل الوقوف على واقع حضارة بلاد الرافدين والحضارات الأخرى في بلاد النيل وبلدان الشرق الأدنى القديم، فالمدونات التي تركها سكان بلاد الرافدين والبلدان الأخرى سجل حافل بالمآثر والفنون والآداب وغيرها من مقومات الحضارة الغزيرة.

الهوامش :

(١) الراوي، فاروق ناصر، "العلوم والمعارف"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢ ، بغداد، ١٩٨٥. ص ٢٦٩.

(٢) كانجيك-كيرشباوم، ايفا، تاريخ الاشوريين القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، دمشق- سوريا،٢٠٠٨، ص ١٥.

(٣) المتولي، نوالة أحمد, "النصوص المسمارية مضامينها وأهمية دراستها", ندوة الآصل المشترك للغات العراقية القديمة, بغداد, ١٩٩٩، ص ٧٧.

(٤) الراوي، فاروق ناصر," العلوم والمعارف ", موسوعة حضارة العراق, ج٢, بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٧٠، وحول المفهوم الدلالي للتاريخ ينظر: سلمان، حسين أحمد, كتابة التاريخ في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية, بغداد, ٢٠٠٨، ص ٣٩ وما بعدها.

(٥) الراوي، المصدر نفسه

(٦) سلمان، المصدر السابق، ص ٣٤١

(٧) من الوثائق التاريخية المهمة، ويرجح ان أول زمن جمعها او تاليفها يعود الى زمن سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) او لعله قبيل ذلك، في المدة التي حكم فيها الملك اوتوحيكال، لكن المعروف لحد الآن ان أخر نسخة منها تعود الى زمن سلالة ايسن (٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م) التي اعقبت حكم اور الثالثة، إذْ تنتهي تلك الجداول بذكر ملوك سلالة ايسن، وهي تبدأ بتعداد اسماء الملوك من زمن ما قبل الطوفان، وقد عنونها جامعوها باسم "الملوكية" (في السومرية nam-lugal)، ومما تجدر الاشارة اليه او التنويه عنه هو المبالغة في ارقام السنين التي خصصت لكل ملك فيها، كما انها اغفلت ذكر عدد من اسماء الملوك والسلالات التي لدينا معلومات عنها من مصادر اخرى انها كانت حاكمة ومنها ذكر سلالة لكش المعروفة. للمزيد عن جداول اثبات الملوك السومرية وترجمتها ينظر، باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص ٢٨٩ وما بعدها، وكذلك اصل النص اللاتيني في

Jacobsen, Th., The Sumerian King List, Chicago, 1939, p. 28ff

[٨] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٢٧٢.

[٩] وان كانت سنوات مغالى فيها.

[١٠] يعد احراز النصر على العدو من المناسبات المهمة لدى ملوك وحكام بلاد الرافدين، وكانت سبباً لأقامة الاحتفالات، وان عدداً من اؤلئك الملوك والحكام قد خلدوا انتصاراتهم في عدد من النصب والمسلات الحجرية او المعدنية، وكان ذلك سائداً منذ عصر السلالات السومرية، وأهم تلك المشاهد ما وردنا من عصر السلالات السومرية المسلة المعروفة بـ "مسلة النسور او مسلة العقبان" العائدة لحاكم مدينة لكش "ياناتم"، وكذلك ما يعرف اليوم بـ "راية اور"، ومسلة النصر للملك الأكدي نرام سين، فضلاً عن النصب والمسلات الاشورية التي خلدها ملوك الدولة الاشورية، مثل مسلة اشوربانيبال.. وغيرها. للمزيد ينظر، علي، فاضل عبد الواحد، " الاعياد والاحتفالات"، موسوعة حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢١٨ ؛ وكذلك باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص ٣٤٢ وما بعدها.

[١١] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٢٧٧.

[١٢] اعتبارا من حكم الملك ادد – نيراري الثاني (٩١١–٨٩١ ق.م) حتى سقوط العاصمة نينوى في (٦٢١ ق. م).

[١٣] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٢٧٨.

[١٤] حول التنظيمات العسكرية لصنوف الجيش والعدة الحربية في عصر السلالات السومرية، ينظر، باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص ٣٤٢ وما بعدها.

[١٥] علي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٢١٩

[16] Frayne, D. R., Pre– Sargonic Period (27 00 –2 35 0 B.C), Toronto, RIME, Early Periods, Vol–1, 1998

[١٧] باقر، طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, بغداد، ١٩٨٦، ص ٣٥٩ وما بعدها.

[١٨] سليمان، عامر، "الجيش والسلاح في العصر الاكدي"، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١ ، بغداد، ١٩٨٧، ص ١١٤ وما بعدها.

(١٩) للمزيد عن فتوحات ملوك الدولة الاكدية وانتصاراتهم .ينظر، باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص ٣٥٩.

(٢٠) حول الوثيقة وترجمتها والوضع السياسي الذي رافق حرب التحرير وتفاصيلها ينظر، علي، فاضل عبد الواحد، "وثيقة حرب التحرير للملك السومري اوتوحيكال (٢١٢٠-٢١١٤ ق. م)"، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٤٩ وما بعدها.

(٢١) حول الاحلاف والمعاهدات ينظر: سليمان،المصدر السابق، ١٩٨٧، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢٢) الاحمد، سامي سعيد، "الجيش والسلاح في العصر البابلي القديم"، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٧٥.

(٢٣) باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص ٤٦٤.

(٢٤) حول الكم الهائل من الكتابات البنائية ينظر، رشيد، فوزي، ترجمات النصوص سومرية ملكية، بغداد، ١٩٨٥.

(٢٥) بوتيرو، جان، الديانة عند البابلين، ترجمة وليد الجادر، ٢٠٠٥، ص ٥٠ وما بعدها.

(٢٦) الاسود، حكمت بشير، حضارة بلاد الرافدين الاسس الدينية والاجتماعية، العراق، دهوك، ٢٠١٢، ص ٥٧ وما بعدها.

(٢٧) الاسود، المصدر السابق ص ٥٨ وما بعدها.

(٢٨) الاسود، المصدر السابق، ٢٠١٢، ص ٦٢ وما بعدها .

(٢٩) حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٦٨ وما بعدها.

(٣٠) بوتيرو، المصدر السابق، ١٩٩٠، ص ١٤١ وما بعدها و ١٦٧ وما بعدها .

(٣١) علي، فاضل عبد الواحد، "العرافة والسحر"، موسوعة حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٩٧ وما بعدها، وكذلك الدوري، رياض عبد الرحمن، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، بغداد، ٢٠٠٩ , ص٧٥ .

(٣٢) علي، فاضل عبدالواحد," الادب", موسوعة حضارة العراق، بغداد, ١٩٨٥، ص ٣٢٣ .

(٣٣) باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد، ١٩٨٠, ص ٣٥ .

(٣٤) كريمر، صموئيل نوح، السومريون احوالهم– عاداتهم –تقاليدهم، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت،

(٣٥) الجبوري، صلاح سلمان رميض، ادب الحكمة في وادي الرافدين، بغداد، ٢٠٠٠، ص٥٩ وما بعدها .

(٣٦) الاسود، حكمت بشير، ادب الرثاء في بلاد الرافدين، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨، ص ٣٢.

(٣٧) علي، ١٩٨٥، ص ٣١٩ وما بعدها.

(٣٨) علي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٣٢٥.

(٣٩) المراسيم الملكية: اعتاد ملوك بلاد الرافدين اصدار مراسيم ملكية في السنة الاولى او الثانية من حكمهم او في سنوات اخرى، وتختص المراسيم باتخاذ الاجراءات الاقتصادية الفورية لمعالجة الحالات الطارئة، ولم تقتصر على الاقتصاد فقط بل عالجت مواضيع اخرى، كفرض الضرائب او الغائها، او ما يتعلق بالبيع والشراء للعقارات والدور والاراضي الزراعية والحقول .. وغيرها، للمزيد ينظر، سليمان، المصدر السابق، ١٩٨٧، ص ٩٣ وما بعدها.

(٤٠) سليمان، عامر، "العراق في التاريخ القديم"، موجز التاريخ الحضاري، الموصل،١٩٩٣. ص ١٩٢.

(٤١) للمزيد عن كتابة تلك العقود وتحريرها ينظر: سليمان،١٩٨٧ ، ص ١١٩.

(٤٢) العرف: عبارة عن مجموعة القواعد التي يتبعها الناس من دون ان يتدخل في ذلك نص صادر عن السلطة او الملك ، سليمان، المصدر نفسه، ص ١٣٩ وما بعدها.

(٤٣) رشيد، فوزي، "الشرائع"، العراق في موكب الحضارة –الاصالة والتاثير، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٣٧.

(٤٤) سليمان، عامر، "العراق في التاريخ القديم"، موجز التاريخ الحضاري، ج ٢،الموصل، ١٩٩٣، ص ١٩٦ وما بعدها.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٤٦) رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة ، بغداد،١٩٧٩،ص١٠٧وما بعدها.

(٤٧) للمزيد عن الاحوال الشخصية ينظر: الهاشمي، رضا جواد، نظام العائلة في العهد البابلي القديم، بغداد، ١٩٧٠، ص ٣٨ وما بعدها.؛ عقراوي، ثلما ستيان، المرأة دورها ومكانتها في حضارة بلاد وادي الرافدين، بغداد، ١٩٧٨، ٤٩ وما بعدها.

(٤٨) حول هذه الشريحة من المجتع العراقي القديم ينظر: الرويح، صالح حسين، العبيد في العراق القديم، بغداد، ١٩٧٧.

(٤٩) سليمان، المصدر السابق، ١٩٩٣، ص ٢٠٢ وما بعدها، ورشيد، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص ٢٦١ وما بعدها.

(٥٠) المصدر نفسه ، ١٩٩٣، ص ٣٠٢.

(٥١) سليمان ، المصدر السابق، ١٩٩٣، ص ٢٦١.

(٥٢) حول المعاجم اللغوية ينظر: سليمان، المصدر السابق، ١٩٨٧، ص ١١٥ وما بعدها.

(٥٣) الراوي، ١٩٨٥، ص ٢٨١.

(٥٤) سليمان، المصدر السابق، ١٩٩٣، ص ٢٦١.

(٥٥) الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٢٧٩ وما بعدها ولاجل التعرف على المزيد عن معرفة سكان بلاد الرافدين بعلم الجغرافية ورسم الخرائط ينظر، الجميلي، عامر عبد الله، المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، دهوك، ٢٠١١، ص ٤٧ وما بعدها.

[٥٦] سليمان، عامر، "النظم المالية والاقتصادية – الاصالة والتاثير، موسوعة العراق في موكب الحضارة الاصالة والتاثير، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٥٤.

[٥٧] المتولي، المصدر السابق، ٢٠٠٧، ص ١٧٧ وما بعدها.

[٥٨] الجادر، وليد، وعبد الاله فاضل، ، "دور العلم والمعرفة في العراق القديم"، مجلة المورد، عدد خاص عن حضارة بابل، ١٩٨٧، ص ٨٤. ؛ والراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٣١٠ وما بعدها.

[٥٩] رشيد، فوزي، "المعتقدات الدينية"، موسوعة حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٨٨.

[٦٠] سارتون، جورج، تاريخ العلم، ج ١، ترجمة نخبة من الباحثين، ط ٣، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٥٧ وما بعدها.

[٦١] للمزيد عن الكاتب ومهنة الكتابة ينظر، الجميلي، عامر عبد الله، الكاتب في بلاد الرافدين, دمشق ٢٠٠٥، ص ١٢٢ وما بعدها.

[٦٢] الجادر، وعبد الاله فاضل، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص ٨٥.

[٦٣] الفؤادي، عبد الهادي، النصوص المدرسية القرصية الشكل، سلسلة نصوص في المتحف العراقي، العدد ١٠– القسم الاول، بغداد، ١٩٧٩، ص ٨٩.

[٦٤] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٣٢٥.

[٦٥] للمزيد ينظر: عبد الرحمن، يونس عبد الرحمن، الطب في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٨٩، ص ١٤ وما بعدها.

[٦٦] ساكز، المصدر السابق، ص ٣٢٢.

[٦٧] ليفي، مارتن, الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين, ترجمة وتعليق د. محمود فياض المياحي وأخرون, بغداد, ١٩٨٠، ص ٤٤.

[٦٨] للمزيد عن علم الرياضيات ينظر، الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٢٩٦ وما بعدها.

[٦٩] المصدر نفسه، ص ٣٠٠ وما بعدها.

[٧٠] الراوي، فاروق ناصر، "المعارف والعلوم البحتة العراقية القديمة في موكب الحضارة"، موسوعة العراق في موكب الحضارة، الاصالة والتاثير، ج ١، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٨٣ وما بعدها.في حين يشير الباحث سارتون الى ان النظام العدد في بلاد الرافدين هو نظام خليط بين الطريقتين الستينية والعشرية، ويشير الى انهم ربما ابتدوا بالطريقة العشرية ثم ادركوا بعد مدة وجيزة ان الاساس الستيني هو احسن واصلح، للمزيد ينظر، سارتون، المصدر السابق، ص ١٦٤.

[٧١] سماه العرب بـ "علم النجوم".

[٧٢] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٧، ص ٢٩٢.

[٧٣] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص ٣١٦.

[٧٤] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص ٢٩٢ .

[٧٥] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص ٣٢٠ وما بعدها.

[٧٦] تي بوتس, دانيال , حضارة وادي الرافدين (الأسس المادية), ترجمة كاظم سعدالله, مراجعه أسماعيل حجارة, بغداد, ٢٠٠٦, ص ٩٦ وما بعدها.

[٧٧] باقر، طه، "دراسة النباتات المذكورة في المصادر المسمارية "، مجلة سومر، العدد ٨، ج ١ ، ١٩٥٢، ص ٦ وما بعدها.؛ وكذلك العدد ٩، ج ٢، ص ٣ وما بعدها. و

Thompson, R.C., A Dictionary of Assyrian Botany, London, 1949

[٧٨] الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسة في النباتات والاعشاب الطبية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، ٢٠٠٦، ص ٧٦ وما بعدها.

[٧٩] الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص ٣٠٦.

[٨٠] المتولي، المصدر السابق، ٢٠٠٧، ص ٢٥١ وما بعدها.

(٨١) الرواي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٢٧٣.

(٨٢) الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٣٨٤

(٨٣) للمزيد عن تفاصيل الرسائل المتبادلة بين الملك ابي سين وحكام المدن التابعة له وعن ما آل اليه الوضع الاقتصادي والسياسي في زمن حكم ابي سين ينظر: المتولي، المصدر السابق، ٢٠٠٧، ص ٣١١ وما بعدها .

(٨٤) الراوي، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص ٣٣٦ وما بعدها

مصادر البحث:

١.الاحمد، سامي سعيد، "الجيش والسلاح في العصر البابلي القديم"، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١، بغداد، ١٩٨٧.

٢. الاسود، حكمت بشير، ادب الرثاء في بلاد الرافدين، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨.

٣. .....، حضارة بلاد الرافدين الاسس الدينية والاجتماعية، العراق، دهوك، ٢٠١٢

٤. باقر, طه، "دراسة النباتات المذكورة في المصادر المسمارية "، مجلة سومر، العدد ٨، ج ١ ، ١٩٥٢.

٥. باقر، طه, مقدمة في أدب العراق القديم , بغداد,١٩٨٠.

٦. .....، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, بغداد,١٩٨٦.

٧. بوتيرو، جان, بلاد الرافدين الكتابة– العقل– الآلهه, ترجمة الأب البير أبونا, مراجعة وليد الجادر, بغداد, ١٩٩٠.

٨. .....,, الديانة عند البابلين، ترجمة وليد الجادر،٢٠٠٥

٩. تي بوتس, دانيال, حضارة وادي الرافدين (الأسس المادية), ترجمة كاظم سعدالله, مراجعة أسماعيل حجارة, بغداد, ٢٠٠٦.

١٠. الجادر، وليد، وعبد الاله فاضل، ، "دور العلم والمعرفة في العراق القديم"، مجلة المورد، عدد خاص عن حضارة بابل، ١٩٨٧.

١١. الجبوري، صلاح سلمان رميض، ادب الحكمة في وادي الرافدين، بغداد، ٢٠٠٠

١٢. حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦.

١٣. الدليمي، مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسة في النباتات والاعشاب الطبية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، ٢٠٠٦.

١٤. الدوري، رياض عبد الرحمن، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، بغداد، ٢٠٠٩ .

١٥. الراوي، فاروق ناصر، "العلوم والمعارف"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢ ، بغداد، ١٩٨٥. ص ٢٦٩.

١٦. .....، "المعارف والعلوم البحتة العراقية القديمة في موكب الحضارة"، موسوعة العراق في موكب الحضارة، الاصالة والتاثير، ج ١، بغداد، ١٩٨٨.

١٧. رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة ، بغداد،١٩٧٩.

١٨. .....، ترجمات النصوص سومرية ملكية، بغداد، ١٩٨٥.

١٩. .....، " المعتقدات الدينية", موسوعة حضارة العراق, ج١, بغداد, ١٩٨٥.

٢٠. الرويح، صالح حسين، العبيد في العراق القديم، بغداد، ١٩٧٧.

٢١. سارتون، جورج، تاريخ العلم، ج ١، ترجمة نخبة من الباحثين، ط ٣، القاهرة، ١٩٧٦.

٢٢. سلمان، حسين أحمد, كتابة التاريخ في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية, بغداد, ٢٠٠٨

٢٣. سليمان، عامر، "الجيش والسلاح في العصر الاكدي"، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١ ، بغداد، ١٩٨٧.

٢٤. .....، "العراق في التاريخ القديم"، موجز التاريخ الحضاري، ج ٢،الموصل، ١٩٩٣

٢٥. .....، "النظم المالية والاقتصادية – الاصالة والتاثير، موسوعة العراق في موكب الحضارة الاصالة والتاثير، ج ١، بغداد، ١٩٨٨

٢٦. علي، فاضل عبد الواحد، "العرافة والسحر"، موسوعة حضارة العراق، ج١، بغداد، ١٩، "وثيقة حرب التحرير للملك السومري اوتوحيكال (٢١٢٠-٢١١٤ ق. م)"، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١، بغداد، ١٩٨٧.

٢٧. .....," الادب", موسوعة حضارة العراق، بغداد, ١٩٨٥

٢٨. فؤادي، عبد الهادي، النصوص المدرسية القرصية الشكل، سلسلة نصوص في المتحف العراقي، العدد ١٠- القسم الاول، بغداد، ١٩٧٩، ص ٨٩.

٢٩. كانجيك-كيرشباوم، ايفا، تاريخ الاشوريين القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، دمشق،٢٠٠٨ .

٣٠. كريمر، صموئيل نوح، السومريون احوالهم- عاداتهم -تقاليدهم، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت،

٣١. ليفي، مارتن, الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين, ترجمة وتعليق د. محمود فياض المياحي وأخرون, بغداد, ١٩٨٠

٣٢. المتولي, نواله أحمد, "النصوص المسمارية مضامينها وأهمية دراستها", ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة, بغداد, ١٩٩٩.

٣٣. .....,, مدخل في دراسة الحياة الأقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة), بغداد, ٢٠٠٧.

34..Jacobsen, Th., The Sumerian King List, Chicago, 1939

35. Thompson, R.C., A Dictionary of Assyrian Botany, London, 1949

وزارة الزراعة في العراق

١٩٥٢ـ ١٩٥٨

(دراسة تأريخية تحليلية)

أ.د. علي محمد كريم المشهداني

حسين علي فليح

جامعة بغداد

كلية التربية للعلوم الإنسانية / ابن رشد

قسم التاريخ

وزارة الزراعة في العراق ١٩٥٢ـ ١٩٥٨
(دراسة تأريخية تحليلية)

أ.د. علي محمد كريم المشهداني

حسين علي فليح

المقدمة

تناولت كثير من الأبحاث الجامعية دراسة تاريخ العراق الحديث والمعاصر في مختلف المجلات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، ولكن دراسة الوزارات العراقية المختلفة ومؤسساتها وأعمال التي قدمتها كانت قليلة ونادرة . وهذا الأمر هو الذي دفعني للبحث في أحدى الوزارات العراقية ، فوقع الاختيار على وزارة الزراعة؛ لأهمية هذه الوزارة في الدولة العراقية الحديثة ، كون ان هذه الوزارة قد اختصت بالعناية والتطوير الواقع الزراعي في العراق الذي يمثل الركيزة الأساسية في أوضاع العراق الاقتصادية و الاجتماعية . فضلاً عن ذلك ان العراق بلد زراعي بدرجة الأساس ، وان ٥٧ بالمائة من المجتمع العراقي تقريباً يعمل في القطاع الزراعي حسب أحصاء عام ١٩٤٧ . اما سبب اختيار مدة البحث من عام ١٩٥٢ـ ١٩٥٨، كون ان هذه الوزارة حينما أعيدَ استحداثها عام ١٩٥٢ شهدت أول نظام إداري يوضع لها يُبين فيه الهيكلية التنظيمية للوزارة و وظائفها ، فضلاً عن ذلك ان هذه الوزارة قد أنجزت خلال تلك المدة بتعاون مع مجلس الأعمار العراقي الذي شكل عام ١٩٥٠ في العراق ، مشاريع كثيرة ومهمة في مجال الزراعة والري والتي مازالت قائمة الى وقتنا الحاضر ونذكر منها مشاريع ضبط المياه والسدود كمشروع خزان دوكان و خزان دربندخان وغير ذلك من المشاريع.

أولاً : الأسباب الموجبة لإحداث منظومة وزارة الزراعة عام ١٩٥٢.

أ. نوري السعيد ومقترح إحداث الوزارة :

حينما شكل نوري السعيد وزارته الحادية عشر في (٥ أيلول ١٩٥٢– ١٠ تموز ١٩٥٢)[١]. كان مجلس الوزراء العراقي قد عقد جلسة بتاريخ الحادي والثلاثين من كانون الثاني من العام ١٩٥٢، أوضح خلالها رئيس الوزراء نوري السعيد على إن نية الحكومة متجهه إلى إحداث وزارة باسم (وزارة الزراعة) فضلاً عن إدخال تعديل على قانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣[٢]، المعدل بقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٤٧[٣] ، ولهذا فقد أحضرت لائحتين قانونيتين لتأمين هذا الغرض من قبل ديوان مجلس الوزراء[٤] . فكانت اللائحة الأولى تتضمن قانون إحداث وزارة الزراعة رقم ( ) لسنة ١٩٥٢ ، والتي كانت على النحو الاتي[٥] : –

المادة الأولى – تحدث وزارة باسم (وزارة الزراعة) .

المادة الثانية – أ – تقوم وزارة الزراعة بالعناية في الأمور الاتية : –

١– الزراعة ٢– الري ٣– المساحة ٤ – البيطرة ٥ – العناية و المحافظة على التربة

٦ – الإحصاء الزراعي

ب – عند نفاذ هذا القانون يفك ارتباط الدوائر الآتية من الوزارات التي كانت تحت ادارتها وترتبط بوزارة الزراعة :

١– مديرية الزراعة العامة . ٢– مديرية الري العامة . ٣– مديرية المساحة العامة .

٤– مديرية البيطرة . ٥– لجنة إعمار واستثمار الأراضي الأميرية الصرفة .

٦– مصلحة إدارة المكائن الزراعية . ٧– لجنة الحبوب . ٨– إدارة انحسار التبغ .

٩– جمعية التمور. ١٠– الغرف الزراعية .

المادة الثالثة – كل إشارة وردت في القوانين و الأنظمة إلى الوزير المختص أو الوزارة المختصة مما له بالأمور المبينة في المادة الثانية يقصد بها وزير الزراعة أو وزارة الزراعة .

المادة الرابعة – يجوز بقرار من مجلس الوزراء و إرادة ملكية فك ارتباط بعض الدوائر و المؤسسات الأُخرى من الوزارات التابعة لها وربطها بوزارة الزراعة .

المادة الخامسة – ينفذ هذا القانون بعد مرور شهر واحد من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

المادة السادسة – على وزراء الدولة تنفيذ هذا القانون .

اما اللائحة الثانية فكانت تتضمن قانون التعديل الثاني لقانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣ ، والتي كانت على النحو الآتي[٦] : –

المادة الأولى – تضاف العبارة الآتية إلى اخر الفقرة الأولى من القانون رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣ المعدلة بالمادة الأولى من القانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٤٧ " ويجوز فك ارتباط بعض الدوائر او المؤسسات المرتبطة بوزارة وإلحاقها بوزارة أُخرى بقرار من مجلس الوزراء و ارادة ملكية ".

المادة الثانية – ينفذ هذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

المادة الثالثة – على وزراء الدولة تنفيذ هذا القانون .

وبذلك عرضت هاتين اللائحتين على مجلس الوزراء ، وبالنظر لأهمية هذا الموضوع ، قرر مجلس الوزراء تأليف لجنة[٧] وزارية لهذا الغرض ، مع إيداع وتوزيع هذه اللوائح اليها لدرسها وتدقيقها ورفع تقرير فيها إلى مجلس الوزراء[٨].

ب : إحداث الوزارة وتشكيلها في مجلس الوزراء العراقي :

في ضوء ذلك عقد مجلس الوزراء جلسة خاصة في السادس من شباط من العام ١٩٥٢ ، أوضح خلالها رئيس الوزراء نوري السعيد الأسباب الموجبة لإحداث هذه الوزارة قائلاً " بأن شؤون الزراعة تعتبر بطبيعتها من أهم موارد البلاد ، وان اقتصاديات المملكة تتركز في الغالب عليها، وان إحداث وزارة خاصة يكون هدفها إدارة الشؤون الزراعية والأشراف عليها وتوجيه الزراعة إلى أحدث الأسس و التفرغ إلى تنمية الثروة الزراعية له محسناته وفوائده ، لهذا اقترح رئيس الوزراء إحداث وزارة بإسم وزارة الزراعة ، فضلاً عن ذلك اشار رئيس الوزراء خلال هذه الجلسة مبينا بأن بعض

القوانين جعلت بعض الدوائر الزراعية مرتبطة بوزارة الاقتصاد ، وأن إحداث هذه الوزارة يوجب فك ارتباط بعض تلك الدوائر من الوزارات الملحقة بها حاليا وربطها بالوزارة الجديدة ، ولا يمكن إجراء هذه العملية إلا بقانون كون ان ربطها بالوزارات الحالية كان بقانون ، فلتأمين هذه الغاية ولتكون الحكومة ذات سلطة بفك ارتباط بعض الدوائر من وزارة و ربطها بأُخرى عند اقتضاء المصلحة، أوضح رئيس الوزراء على ان من المفيد وضع لائحة قانونية تعدل قانون تشكيلات الوزارات من شأنها ان تعطي مجلس الوزراء صلاحية فك ارتباط بعض الدوائر الفرعية من وزارة وربطها بوزارة أُخرى ، ولتأمين هذين الغرضين أشار رئيس الوزراء بأنه سبق ان أصدر أوامره إلى الدوائر المختصة بإحضار لائحتين ، الأولى تقضي بإحداث وزارة باسم وزارة الزراعة والثانية بتعديل قانون تشكيلات الوزارات ، فضلاً عن تشكيل لجنة وزارية لدراسة هذا الموضوع ،وبذلك طلب رئيس الوزراء من الوزراء ابداء الرأي نحو مبدأ إحداث الوزارة ثم نحو اللوائح المقدمة ،وبعد المذاكرة وتبادل وجهات النظر، قرر مجلس الوزراء الموافقة على إحداث وزارة الزراعة ، تبعها الموافقة على اللائحتين بعد تلاوتها مادة فمادة ورفعها إلى مجلس النواب لمناقشتها"[٩] .

ثانياً: مناقشة لائحة قانون التعديل الثاني لقانون تشكيلات الوزارات ولائحة قانون إحداث وزارة الزارعة في مجلس النواب والأعيان العراقي :

عرضت اللائحتين على مجلس النواب ، فعقد مجلس النواب جلسة في السابع والعشرين من شباط من العام ١٩٥٢ برئاسة عبد الوهاب مرجان[١٠]، وتحدث في الجلسة رئيس مجلس النواب قائلاً "بأن المادة الأولى من المنهاج تقرير لجنة الشؤون المالية في لائحة قانون التعديل الثاني لقانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣ [١١]. والتي اقترحت على المجلس قبول اللائحة على الشكل نفسه كما وردت من مجلس مجلس الوزراء"[١٢]. تحدث النائب خليل اسماعيل – نائب العمارة – قائلاً: انا لا انكر السهولة والبساطة في ان يكون الحق في فك وارتباط الدوائر لمجلس الوزراء وهو يقدر

جميع الاعتبارات التي تعرض في هذه الأمور، ولكن من حيث ماهية العمل فينبغي ان ينص من السلطة التشريعية اي فك او ارتباط لدائرة من وزارة ما إلى وزارة أُخرى[١٣] . وبذلك طلب رئيس مجلس النواب عبد الوهاب مرجان، من النواب الدخول في مذاكرة مواد اللائحة ، إبتداءاً من المادة الأولى والتي نصت على ، تضاف العبارة الآتية إلى اخر الفقرة الأولى من القانون رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣ المعدل بالمادة الأولى من القانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٤٧ "ويجوز فك ارتباط بعض الدوائر او المؤسسات المرتبطة بوزارة وإلحاقها بوزارة أُخرى بقرار من مجلس الوزراء و ارادة ملكية "، فعرضت هذه المادة على مجلس النواب، فوافق المجلس على قبولها ، تبعها موافقة المجلس على المادة الثانية والتي نصت على ،ينفذ هذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية ، ثم المادة الثالثة والتي نصت ، على وزراء الدولة تنفيذ هذا القانون[١٤].

وبعد ان وافق المجلس على قبول لائحة قانون التعديل الثاني لقانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣، تحدث في الجلسة رئيس مجلس النواب قائلاً: بأن المادة الثانية من المنهاج تقرير لجنة الشؤون المالية في لائحة قانون إحداث وزارة الزراعة[١٥]. التي اقترحت على المجلس قبول اللائحة ، بعد ان أجرت تعديلاً عليها ، كما اوصت المجلس بالمصادقة عليها كما عدلت في عمود اقتراحها الآتي[١٦].

مقترح الحكومة	مقترح اللجنة
المادة الأولى – تحدث وزارة باسم وزارة الزراعة .	المادة الأولى (عينا) .
المادة الثانية–أ– **تقوم وزارة الزراعة بالعناية في الأمور الآتية:** ١– الزراعة . ٢– الري . ٣– المساحة . ٤– البيطرة . ٥– الحماية والمحافظة على التربة . ٦– الإحصاء الزراعي . **ند نفاذ هذا القانون يفك ارتباط الدوائر الآتية من الوزارات التي تحت إدارتها وترتبط بوزارة الزراعة :** ١– مديرية الزراعة العامة . ٢ – مديرية الري العامة . ٣ – مديرية المساحة العامة . ٤ – مديرية البيطرة . ٥ – لجنة إعمار واستثمار الأراضي الأميرية الصرفة . ٦– مصلحة إدارة المكائن الزراعية . ٧ – لجنة الحبوب . ٨ – إدارة انحصار التبغ . ٩– جمعية التمور. ١٠– الغرف الزراعية .	المادة الثانية (عينا). ١– (عينا) . ٢– (عينا). ٣– (عينا) . ٤– (عينا) . ٥– (عينا) . ٦– (عينا) . **ب – (عينا) .** ١– (عينا) . ٢– (عينا) . ٣– (عينا) . ٤– (عينا) . ٥– (عينا) . ٦ – (عينا) . ٧– الغرف الزراعية .
المادة الثالثة – كل إشارة وردت في القوانين والأنظمة إلى الوزير المختص او الوزارة المختصة مما له علاقة بالأمور المعنية في المادة الثانية يقصد بها وزير الزراعة او وزارة الزراعة .	المادة الثالثة – (عينا).
المادة الرابعة – ينفذ هذا القانون بعد مرور شهر واحد من من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .	المادة الرابعة– (عينا).

المادة الخامسة – على وزراء الدولة تنفيذ هذا القانون .	المادة الخامسة (عينا).

وبعد اطلاع النواب على تقرير لجنة الشؤون المالية في لائحة قانون إحداث وزارة الزراعة ، بعد ان أجرت تعديلا عليها ، تحدث – نائب المنتفك – أركان عبادي[١٧] ، مقترحاً على المجلس اضافة المصرف الزراعي كمديرية إلى دوائر وزارة الزراعة لما لهذا المصرف من إمكانية وفعالية من توجيه الزراع إلى المكائن والآلات، وقال ، ان اللائحة تكون منسجمة اذا ما اضيف المصرف الزراعي إلى هذه الوزارة[١٨]. توافق رأي – نائب المنتفك – موحان الخير الله[١٩] و رأي زميله النائب اركان عبادي ، على اضافة المصرف الزراعي كمديرية إلى دوائر وزارة الزراعة ، موضحا من خلال ذلك بأن المصرف الزراعي يعمل بأمور الزراعة وان امور الزراعة لها علاقة صرفة بوزارة الزراعة[٢٠]. وفي ختام مناقشات النواب بخصوص اللائحة ، طلب رئيس مجلس النواب من النواب الدخول في مذاكرة مواد اللائحة ، إبتداءً من المادة الأولى ، فعرضت هذه المادة على المجلس فوافق المجلس على قبولها ، تبعها موافقة المجلس بالقبول على المادة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة من لائحة قانون إحداث وزارة الزراعة ، بعد ان اجرت لجنة الشؤون المالية تعديلا عليها[٢١].

وفي الجلسة الثامنة عشر المنعقدة بتاريخ الواحد من اذار من العام ١٩٥٢ ، صادق مجلس النواب على لائحة قانون التعديل الثاني لقانون تشكيلات الوزارات رقم(٣٧) لسنة ١٩٣٣ بشكلها النهائي ، تبعها مصادقة المجلس خلال هذه الجلسة على لائحة قانون إحداث وزارة الزراعة ، بعد عرض اللائحتين للتصويت في المجلس[٢٢].

عرضت اللائحتين على مجلس الأعيان بعد مصادقة مجلس النواب عليها، فعقد مجلس الأعيان جلسة بتاريخ الثالث عشر من اذار من العام ١٩٥٢ برئاسة جميل المدفعي ، وحضرها اثنى وعشرين عيناً ، وحضرها رئيس الوزراء نوري السعيد وثلاث وزراء[٢٣] ، وتحدث في الجلسة رئيس مجلس الأعيان قائلاً: بأن المادة الحادية عشره من المنهاج تقرير لجنة الأمور المالية والاقتصادية في لائحة قانون التعديل الثاني

لقانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣، اقترحت على المجلس قبول اللائحة على الشكل نفسه كما وردت من مجلس النواب ، وبذلك طلب رئيس مجلس الأعيان من الأعيان الدخول في مذاكرة مواد اللائحة ابتداءً من المادة الأولى ، فعرضت هذه المادة على المجلس للتصويت ، فوافق المجلس على قبولها ، تبعها موافقة المجلس على المادة الثانية والثالثة من اللائحة المذكورة[٢٤]. وبعد مصادقة مجلس الأعيان على لائحة قانون التعديل الثاني لقانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣، تحدث في الجلسة رئيس مجلس الأعيان قائلاً: بأن المادة الثالثة عشره من المنهاج تقرير لجنة الأمور المالية والاقتصادية في لائحة إحداث وزارة الزراعة ، اقترحت على المجلس قبولها والموافقة عليها كما وردت من مجلس النواب ، وبذلك طلب رئيس مجلس الأعيان جميل المدفعي من الأعيان الدخول في مذاكرة مواد اللائحة ، ابتداءً من المادة الأولى، فعرضت هذه المادة على المجلس للتصويت فوافق المجلس على قبولها، تبعها موافقة المجلس على المادة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة من لائحة قانون إحداث وزارة الزراعة[٢٥].

وبعد اكتساب اللائحتين صفتها القانونية ، صدرت الإرادة الملكية بتاريخ الثاني والعشرين من اذار من العام ١٩٥٢ [٢٦] . التي فضت بالمصادقة على قانون التعديل الثاني لقانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣، بموجب القانون رقم (٢٦) لسنة ١٩٥٢ [٢٧]. فضلاً عن استحداث وزارة الزراعة ، بموجب القانون رقم (٢٧) لسنة ١٩٥٢، على ان تتألف من التشكيلات الآتية ، مديرية الزراعة العامة ، مديرية الري العامة ، مديرية المساحة العامة ، مديرية البيطرة ، لجنة إعمار واستثمار الأراضي الأميرية الصرفة ، مصلحة المكائن والآلات الزراعية ، الغرف الزراعية[٢٨].

ثالثاً : وزراء الزراعة وأهم إنجازاتهم خلال عمل مجلس الأعمار ١٩٥٢ . ١٩٥٨.

تعد فترة بداية الخمسينات من القرن العشرين بداية للنهوض والتطور في رسم السياسة الاقتصادية والعمرانية في عموم العراق ، على الرغم من المشكلات التي كان

يعاني منها العراق آنذاك، لاسيما مشاكل السكان المهاجرين من الريف الى المدينة وتعرض المدن الكبيرة لخطر الفيضانات و الانتفاضات العشائرية في عموم مناطق العراق ، فضلاً عن الوضع العراقي المتأزم من خلال مواقف بعض الأحزاب العراقية والتي جعلت من الريف العراقي واجهات ضغط على الحكومة العراقية في معظم الإحداث آنذاك [١]. اذ لم يكن قبل هذه الفترة خطط اقتصادية وعمرانية تذكر بل كانت كل وزارة تقوم ببعض المشاريع على قدر الامكان حين يتيسر لها ذلك ، وكانت الإمكانيات محدودة وغير مضمونة النجاح لاختلاف الاتجاهات وتبعثر الجهود ، الامر الذي سبب في الماضي ضياعا كبير في الوقت وتبذير في أموال الدولة [٢]. وحينما تشكلت وزارة توفيق السويدي الثالثة (٥ شباط ١٩٥٠ـ ١٥ ايلول ١٩٥٠) كان تخصيص نسبة من العائدات النفطية لوضع خطط التنمية في البلاد ولتحقيق التقدم الاقتصادي ولضمان استمرارية الخطط الاعمارية في فترة التغيرات السياسية غاية في الأهمية[٣]. اذ شرعت حكومة توفيق السويدي الثالثة قانون مجلس الأعمار رقم ٢٣ لسنة ١٩٥٠ وأعطت لهذا المجلس شخصيته ، وله ان يدخل في مقاولات لغرض استئجار الخدمات وشراء اللوازم الخاصة بالتحريات والكشوف والإشراف مع اي مؤسسة في داخل العراق وخارجه، كما ان له ان يستأجر او يمتلك الاموال الغير منقولة الأزمة لمنهاجه ، وان للمجلس ان يعقد القروض ، ويصدر السندات ، ويكون للمجلس ميزانية خاصة، تأتي وارداتها من مجموع واردات الحكومة من النفط والمبالغ الأُخرى التي يخصصها له مجلس النواب من وقت لآخر[٢٩]. وجاء تشكيل هذا المجلس بعد ان فرض بنك الإنشاء والتعمير الدولي على الحكومة العراقية تشكيله ليتولى الأشراف على صرف قرض البنك المذكور والبالغ (١٢،٨) مليون دولار وذلك لتمويل إقامة سد سامراء، وخزان الثرثار، وجاء قرار البنك الدولي أثر فقدان الاستقرار السياسي وتكرر التبادلات الوزارية في العراق[٣٠]. فضلاً عن القضاء على الروتين الحكومي ، والتركيز على قضايا البلاد الاقتصادية والعمرانية في مؤسسة ثابتة مستقرة لا تتأثر وعدم الاستقرار السياسي[٣١]. ويتألف المجلس من ثمانية اعضاء بينهم رئيس الوزراء ، ووزير

المالية ، وستة اعضاء متفرغين يعينون بإرادة ملكية ، يبقون في مناصبهم لمدة خمسة سنوات ، على ان يكون بين هؤلاء الاعضاء الستة ثلاث من الاختصاصين احدهم بالري ، والثاني بالمالية ، والثالث غير مختص بفرع واحد ، وقد استخدم المجلس اخصائي مالي بريطاني ، وآخر مهندس امريكي ، وبالرغم من ذالك لم تكن واردات الحكومة من النفط من الضخامة ما يسمح لها بالقيام بأعمال عمرانية كبرى . فلما تسلمت حكومة نوري السعيد الحادية عشر مقاليد الحكم في ١٥ ايلول ١٩٥٠ ، عقدت الحكومة مع شركات النفط العراقية الاتفاقية المؤرخة بتاريخ ٣ شباط ١٩٥٢، والتي قدرت بموجبها ايرادات النفط بما لا يقل عن خمسين مليون دينار في كل سنة ، كما وضعت تعديلا لقانون مجلس الأعمار المذكور خصصت بموجبه سبعين بالمائة من صافي ما تقبضه الحكومة من الواردات من شركات النفط لميزانية مجلس الأعمار[٣٢].

وعلى هذا الأساس أخذ مجلس الأعمار مهمة تنفيذ سياسة الدولة الاقتصادية وإنشاء مشاريعها المختلفة ، بحكم وجوده الدائم فضلاً عن استقلاله ، اذ لا يتأثر بتغير الوزارات والمفاجئات التي كانت تجري في العراق بشكل مستمر والذي يؤدي ذلك الى صعوبة القيام بالمشاريع والأخص التي تتطلب وقت طويل لإنجازها[٣٣]. تألف المجلس من عدة أقسام إدارية وأربع هيئات فنيه يعمل بها المهندسون الاستشاريون،والفنيون المتخصصون وتختص بتنفيذ المهام التي أنشئ من أجلها مجلس الأعمار وهذه الهيئات هي: الهيئة الفنية الأولى وتختص بشؤون الري والبزل وخزن المياه ، وتختص الهيئة الفنية الثانية بإنشاء وتوسيع طرق المواصلات والجسور وأبنية المؤسسات العامة،ودور السكن لذوي الدخل المحدود، والهيئة الفنية الثالثة تختص بإنشاء المشاريع الكهربائية والصناعية والتعدين ، والهيئة الفنية الرابعة تختص بإنشاء المشاريع الزراعية والغابات ، اما وظائف مجلس الأعمار فقد عهد للمجلس عند وتأسيسه مهمة رسم وتنفيذ خطط و برامج اقتصادية ومالية عامة ، هدفها تنمية موارد العراق رفع مستوى معيشة سكانه، كذلك عهد اليه ، القيام بمسوحات اقتصادية لموارد العراق من النواحي المالية والفنية والبشرية، لكي يستند اليها في وضع وتنفيذ هذه الخطط والبرامج[٣٤]. فقد كان المجلس

يركز بدرجة الأولى على القطاع الزراعي وتطويره والعناية بالري، من خلال ضبط الفيضانات واهتمام بالسدود والإرواء[٣٥]. إذ حظى القطاع الزراعي بنسبة (٦١%) من اجمالي نفقات المجلس و البالغة (٨ر٥٧) مليون دينار[٣٦]. ومن خلال ذلك اصبح هنالك ازدواجية بالعمل بين مجلس الأعمار و الوزارات العراقية ، لاسيما وزارة الزراعة على الاشراف والتنفيذ المشاريع الزراعية و الأروائية[٣٧].

الوزراء وأهم انجازاتهم خلال المدة ١٩٥٢– ١٩٥٨.

١. عبد المجيد محمود :

تولى منصب وزير الزراعة (بالوكالة) في الثاني والعشرين من نيسان من العام ١٩٥٢ [٣٨] ولغاية العاشر من تموز من العام١٩٥٢. [٣٩] ومن أهم الأعمال التي أنجزتها الوزارة في عهده هي:–

١. تنفيذ المشاريع الخاصة بجنس الحيوانات ، وذلك بتأسيس مراكز لتحسين نسل الأبقار في معظم الألوية العراقية ، ووضع مشروع آخر لتحسين نسل الأغنام آخر لتحسين نسل الخيول.
٢. تنفيذ مشاريع الإرشاد والدراسات الزراعية ، من خلال استقدام عدد من الخبراء الفنيين من بعض المؤسسات الدولية ، وتدريب قسم من الموظفين الزراعيين على أعمال الإرشاد الزراعي وتوزيعهم على مناطق العراق المختلفة ، وتأسيس قسم خاص لبحث مشاكل الزراع في إدارة حقولهم ووضع الحلول لهذه المشاكل .
٣. إنشاء مختبر كامل المعدات في بغداد لدراسة التربة وتحليلها ، والقيام بأبحاث واسعة النطاق للمحاصيل السكرية والليفية والزيتية ونباتات المراعي بقصد تعميم زراعة الأصناف الملائمة منها ، فضلاً عن المباشرة بزراعة بنجر السكري على نطاق واسع في شمال العراق تمهيداً لتأسيس صناعة السكر.
٤. مكافحة الحشرات الزراعية ، اذ قامت الوزارة بمكافحة فعالة للجراد الذي غزا العراق من الأردن ، فضلا عن القضاء على الجراد النجدي بمكافحته في العراق وفي الأراضي الكويتية .

٥. تنظيم أعمال الري والبزل ، اذ تم تسديد جدول اللطيفية ، وإنشاء نواظم في شط الشامية ، وتحسين الري في جداول الفرات الأوسط وديالى والدجيل وتوسيع مبزل الشامية الشرقي.

٦. تحكيم السداد المحيطة ببحيرة الحبانية .

٧. مكافحة الأمراض الحيوانية ، فقد تم تأسيس تسعة مستوصفات بيطرية جديدة في الأقضية ومستشفى حديث في الديوانية .

٨. إنشاء ٢٦ مجزرة حديثة في أنحاء مختلفة في البلاد بقصد صيانة الصحة العامة.

٩. إصلاح الآلات الزراعية وتأجيرها ببدلات منخفضة في معظم الألوية العراقية وإكمال تدريب عدد من الميكانيكيين اللازمين لإدارتها(٤٠).

١٠. تأسيس الكلية الزراعية ، وجاء ذلك تنفيذاً لما نص عليه نظام وزارة الزراعة رقم ٢٧ لسنة ١٩٥٢ ، على أن تكون مرتبطة بوزارة الزراعة مباشرة ، بعد فك ارتباط مدرسة الزراعة والمعهد الزراعي العالي من مديرية الزراعة العامة وجعلها ضمن مؤسسات وزارة الزراعة على ان يكون مقرها في أبي غريب(٤١).

٢. عبد الجبار الجلبي(٤٢) :

تولى منصب وزير الزراعة في الثاني عشر من تموز من العام ١٩٥٢ (٤٣) ولغاية الثالث والعشرين من تشرين الثاني من العام ١٩٥٢ (٤٤)

ومن أهم الأعمال التي أنجزتها الوزارة في عهده هي :-

١. إصلاح و توسيع الغابات ، اذ خصص مجلس الأعمار مبلغاً قدره (٨٠,٥٠٠) دينار الى وزارة الزراعة للقيام بأعمال منهاج أولي ، فأسست مزرعة تجريبية في منطقة حجي عمران في لواء أربيل ، لزراعة بعض الأنواع من أشجار الصنوبر والأرز التي لاقت بعض النجاح ، مع وضع منهاج آخر لتشجير مناطق صلاح الدين وسواره وتوكه في لواء نفسه ، فضلاً عن استقدام بعض موظفي الغابات من باكستان لإبداء المساعدة في تطبيق هذا المنهاج .

٢. شراء عدد من المكائن الزراعية وتوزيعها على الزراع في بعض ألوية العراق الجنوبية .

٣. توسيع جدول اللطيفية ، اذ باشر مجلس الأعمار بتعاون مع وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) من توسيع جدول اللطيفية .

٤. دراسة امكانية تنظيم مياه شط الغراف ، اذ وضع مجلس الأعمار بتعاون مع مديرية الري العامة في دراسة امكانية تنظيم شط الغراف ، لغرض أعمار مساحة قدرها ٤٠٠,٠٠٠ دونم ضمن هذه المنطقة.

٥. الاهتمام في تحسين نسل الحيوانات وإصلاح المراعي والحظائر، اذ أنهى مجلس الأعمار بالتعاون مع وزارة الزراعة من إكمال التصاميم والمواصفات لبناء مختبر بيطري في منطقة أبي غريب للعناية بالحيوانات وإصلاح المراعي والحظائر ، وتقدر كلفة هذا العمل ب (٨٠,٠٠٠) دينار.[٤٥]

٦. توزيع ٣٤٢٠ وحدة استثمارية في سنجار و اللطيفية على المستثمرين.[٤٦]

٣ . رايح العطية[٤٧]

تولى منصب وزير الزراعة في الثالث والعشرين من تشرين الثاني من العام ١٩٥٢ الى غاية التاسع والعشرين من كانون الثاني من العام ١٩٥٣.[٤٨] وأهم الأعمال التي أنجزتها الوزارة في عهده :-

١. إكمال ١٣ مشروعا من مشاريع التشجير في شمال العراق ، وشق الطرق الضرورية في الغابات ، وإنشاء ثلاث مراكز لمراقبتها[٤٩].

٢. الاهتمام بتأسيس مبازل وافية بالنظر، اذ وضع مجلس الأعمار بالتعاون مع وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) الخطط اللازمة لبزل ٢٥،٠٠٠ دونم من مشروع الدجيلة ، و ١٦٦,٠٠٠ دونم أراضي الصقلاوية ، و ٣١,٣٠٠ دونم من أراضي طويريج في كربلاء .

٣. تنظيم ذنائب الفرات في منطقة سوق الشيوخ في الناصرية ، اذا أنهى مجلس الأعمار بالتعاون مع وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) من وضع التصاميم

النهائية لخمسة نواظم جديدة ، ناظمين على كرمة حسن ، وناظم على كل من كرمة بني سعد والحفار وأم نخلة.

٤. تنظيم شط الحلة وفروعه الرئيسية ، اذ باشر مجلس الأعمار بالتعاون مع مديرية الري العامة على تخصيص المبالغ اللازمة لإنشاء ٦ نواظم على شط المشخاب وتقوية سداد الشط نفسه[٥٠].

٤. عبد الرَحمن جودة[٥١] :

تولى منصب وزير الزراعة مرتين متتالية الأولى في التاسع والعشرين من كانون الثاني من العام ١٩٥٣ الى غاية الخامس من آذار من العام ١٩٥٣.[٥٢] والثانية من السابع من آذار عام ١٩٥٣ الى غاية السابع عشر من أيلول عام ١٩٥٣ [٥٣]. وأهم الأعمال التي أنجزتها الوزارة في عهده :

١. توسيع شط الحلة وتوابعه الرئيسية وإعادة إحياء شط الدغارة و التخلص من الترسبات الرملية ، اذ عهد مجلس الأعمار بالتعاون مع مديرية الري العامة الى شركة نابن الامريكية وشركاه ، توسيع وتنظيم شط الحلة وإعادة إحياء شط الدغارة وإحضار الخرائط والمواصفات الخاصة بهذا التوسيع وأعمال التخلص من الترسبات الرملية، وقد قامت الشركة المذكورة بدراسات والتحريات وقدمت تقريرا عن ذلك ، وبينوا ان مشروع توسيع شط الحلة يمكن ان يشمل أراضي جديدة يمكن ان يشمل أراضي جديدة تبلغ مساحتها ١,٧٩٥,٠٠٠ دونم من الأراضي الأميرية الصرفة التي يمكن توزيعها الى ملكيات صغيرة وتتبع فيها طريقة الزراعة الكثيفة و المناوبة الزراعية التي ستزيد من الإنتاج الزراعي ، وبذلك أقر المجلس توسيع شط الحلة من صدره الى جدول بابل مع توسيع الأخير وشمول إسقاء (٤٠٠,٠٠٠) دونم من الأراضي الأميرية الصرفة كخطوى أولى مع إنشاء الصدور والنواظم والمبازل اللازمة لهذه الاعمال.

٢. تنظيم شطي الكوفة والشامية ، اذ خصص مجلس الأعمار مبلغ (١٩,٣٠٠) دينار ، لإنشاء ستة نواظم على جانبي المشخاب ، وخصص(٣٣،٠٠٠) دينار لإنشاء

سداد على ضفتيه مع إنشاء ناظم قاطع وناظم آخر جانبي مع شركة هوبس للملاحة ، وقد عهد الى مديرية الري العامة تنفيذ هذا العمل نيابة عن وزارة الأعمار.

٣. إعداد وإنجاز التصاميم والخرائط و الكشوفات لمشروع المسيب الكبير بالتعاون مع مجلس الأعمار ، الذي يشمل أراضي تبلغ مساحتها ٢٤٦,٠٠٠ دونم، ولغرض تنفيذ العمل بسرعة وبانتظام فقد قسم العمل أقسام وأعلنت بعض مناقصاته منها ، حفريات الجداول الرئيسية التي أُحيلت الى شركة المقاولات والتجارة العربية المحدودة بمبلغ ٢٧٣,٠٠٠ دينار بتاريخ ١٨ شباط ١٩٥٣ ، اذ يتوقع إنجاز العمل بتاريخ ١٨ تموز ١٩٥٤ ، اما انشاء النواظم الرئيسة فقد أُحيلت الى شركة الشرق الأوسط للهندسة والإنشاءات المحدودة بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٣ بمبلغ ٦٤,٣٩٨ دينار ويتوقع انجاز العمل في ١٥ نيسان ١٩٥٤، وقد خولت مديرية الري العامة تنفيذ هذا المشروع بجميع اقسامه نيابة عن وزارة الأعمار وتقوم مديرية الري العامة بالاشراف عليه.[٥٤] .

٤. إعداد التصاميم و المناقصات اللازمة مبزل الصقلاوية ، اذ باشرت وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) بتعاون مع مجلس الأعمار في إعداد التصاميم والمناقصات ، وتخصيص مبلغ قدره (٥٠٠,٠٠٠) دينار لتنفيذه ، فأحيلت مناقصة الحفريات للمبزل وفروعه الى شركة العراق الأوسط للتجارة المحدودة بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٥٣، وبمبلغ (٢٨١,٩٠٨) دينار، فضلا عن إحالة مقاولة تجهيز مكائن الضخ للمبزل الى شركة ستورك الهولندية ، وقد عهد الى مديرية الري العامة بالإشراف على تنفيذ هاتين المقاولتين ، فضلاً عن القيام بإنشاء ١٣ كيلومتر من الجدول المبطن نيابة عن مجلس الأعمار.

٥. إعداد التصاميم والخرائط و الكشوفات لمشروع مبازل ديالى ، اذ قامت وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) بإعداد التصاميم والكشوفات اللازمة لمبازل بعقوبة في منطقة خريسان على الضفة اليسرى من نهر ديالى ، وذلك لبزل أراضي تبلغ مساحتها (١١,٨٠٠) دونم، وقد خصص مجلس الأعمار مبلغ (٤٠,٠٠٠) دينار

لهذا المشروع مع تخويل وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) المباشرة في حفره نيابة عن مجلس الأعمار.

٦. حفر مبزل الشامية ، اذ قامت مديرية الري العامة بحفر الجانب الشرقي لمبزل الشامية بمساحة تتراوح بين الكيلو وستة كيلو ، كما أعدت المديرية التصاميم والكشوفات وأوراق المناقصة لإكمال حفر المبزل الى ٦٤ كيلو نيابة عن مجلس الأعمار.

٧. افتتاح مشروع اليونسكو للتعليم الأساسي في الدجيلة لتدريب الفتيان والفتيات على مناصب الإدارة في الزراعة والصحة والتربية وكذلك الإهتمام بالمستوطنين في أراضي الدجيلة الأميرية عن طريق تقديم القروض الازمة لغرض شراء اللوازم و التجهيزات الخاصة بهم لحين بيع محاصيلهم وبفائدة مناسبة لهم .

٨. الاهتمام بالإرشاد الزراعي و المزارع النموذجية للأراضي الأميرية الصرفة، اذ خصصت وزارة الزراعة في كل مشروع من مشاريع الأراضي الأميرية قطعة من الأرض لغرض الإرشاد الزراعي ، فضلاً عن تقديم القروض لمستوطني هذه الأراضي[٥٥].

٩. تأسيس مزرعة نموذجية لإسكان اللاجئين الفلسطينيين في بغداد عام ١٩٥٣، وتبلغ مساحة المزرعة ٢٦ الف دونم ، وكان الغاية من هذا المشروع إسكان اللاجئين الفلسطينيين و اشغالهم بأعمال مفيدة ، فضلاً عن إغاثة أنفسهم بدلاً من صرف الحكومة العراقية عليهم[٥٦].

٥ . عبد الغني الدلي :

تولى منصب وزير الزراعة ثلاث مرات متتالية ، الأولى في السابع عشر من ايلول من ا عام ١٩٥٣ الى غاية الثامن من آذار من ا لعام ١٩٥٤.[٥٧]

والثانية في الثامن من آذار من العام ١٩٥٤ الى غاية التاسع والعشرين من نيسان من العام ١٩٥٤. [٥٨]

والثالثة من التاسع والعشرين من نيسان من العام ١٩٥٤ الى غاية السادس عشر من حزيران من العام ١٩٥٤ [٥٩] وأهم الأعمال التي أنجزتها الوزارة في عهده :

١. الاهتمام بمشروع النهروان ، اذ باشر مجلس الاعمار بتعاون مع وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) بالشروع بالتحريات الازمة لتقدير امكانية إرواء الأراضي الشاسعة الصالحة للزراعة وتصنيفها وقد استمرت هذه الدراسة طوال عام ١٩٥٤ وأنجز منها حوالي ٥٠% من هذه التحريات .

٢. وضع التصاميم اللازمة وإعداد وثائق المقاولة لإنشاء ناظم في مدينة الحي وثلاث نواظم على جدول الغراف.[٦٠]

٣. البدء بوضع مشروع للبزل منطقة الحبانية ، اذ وضعت مديرية الري العامة مشروع للبزل في هذه المنطقة التي تقع بين نهر الفرات وبحيرة الحبانية.

٤. البدء بحفر مشروع الحويجة ، اذ خصص مجلس الأعمار مبلغ قدره (٦٧,٥٠٠) دينار لهذا المشروع الذي يشمل مساحة (٩٠,٠٠٠) دونم من أراضي الري ، وقد بدأت مديرية الري العامة بأعمال الحفر الترابية[٦١].

٦. رشدي الجلبي [٦٢]:

تولى منصب وزارة الزراعة مرتين متتاليتين ، الأولى (بالوكالة) في السادس عشر من ايلول من العام ١٩٥٤ الى غاية السابع عشر من كانون الأول من العام ١٩٥٥.[٦٣] والثانية في السابع عشر من كانون الاول من العام ١٩٥٥ الى غاية العشرين من حزيران من العام ١٩٥٧ [٦٤] وأهم الأعمال التي أنجزتها الوزارة في تلك المدة :

١. إقامة معرض زراعي وحيواني في البصرة في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٥٥ ، يهدف الى تشجيع تحسين المنتجات الحيوانية و الزراعية حرصاً على رعاية الحالة الاقتصادية العامة[٦٥] .

٢. شراء مكائن والآلات زراعية وبناء أربعة كراجات لها في لواء العمارة وديالى عام ١٩٥٥ .

٣. تأسيس دائرة لإرشاد الزراعي في البصرة و مستشفى بيطري في الديوانية.

٤. تأسيس مختبرات لتحسين النسل الحيواني في لواء الموصل ، وتشييد (١٢) حوضاً لتغطيس الأغنام و ثلاث مستوصفات بيطرية ثابتة.[٦٦]

٥. أكمال محطة ضخ مشروع الصقلاوية ، اذ أكملت مديرية الري العامة محطة ضخ مشروع الصقلاوية في ١٢ أيلول ١٩٥٥ ، فضلا عن اكمال الطريق المؤدي الى موقع الضخ وقناة المصب مع المنشآت وتبطينها[٦٧].

٦. عقد مؤتمر صلاح الدين لدراسة مشاكل الأراضي للشرق الأدنى ، اذ عقد هذا المؤتمر في صلاح الدين واستمر ثلاث أسابيع اعتباراً من ٢ تشرين الأول لسنة ١٩٥٥ حسب ألاتفاقية الخاصة بين الحكومة العراقية ومؤسسة الغذاء و الزراعة الدولية ، وقد حضره منتدبون عن ١٢ دولة بما في ضمنها العراق فضلاً عن الممثلين من المؤسسات العالمية المشهورة كمؤسسة الغذاء والزراعة ودائرة التعاون الدولية الامريكية ومصرف الاعمار الدولي ومركز الشرق الاوسط و الجامعة العربية ، وكانت الغاية من هذا المؤتمر اتاحة الفرصة لأقطار الشرق الأدنى لتبادل المعلومات و التجارب الفنية عن السياسة الزراعية و الاقتصادية ولاسيما فيما يتعلق بالتصرف بالأراضي و حيازتها وإسكانها وأعمارها في هذه البلدان .

٧. انجاز مشروع تغطيس الأغنام ومكافحة الأمراض الطفيلية ، أن اهداف هذا المشروع هي وقاية الثروة الحيوانية و المحافظة عليها من الأوبئة الفتاكة التي تسبب خسائر فادحة في كل سنة ، ولأجل هذه الغاية أحتوى المشروع على شراء مواد كيماوية وبعض العقاقير الطبية البيطرية لأغراض المكافحة، فضلاً عن استخدام الخبراء من أجانب وعراقيين وانشاء مستوصفات سيارة ، ونفذ هذا المشروع مديرية البيطرة العامة في وزارة الزراعة بالاشتراك مع مجلس الاعمار بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٥٥، وقد قدرت كلفة هذا المشروع ب (١١٥, ٥٠٠) دينار .[٦٨]

٨. اتمام مشتل أربيل الذي كانت مديرية الغابات العامة بدأت بإنشائه سنة ١٩٥٦.

٩. تأثيث مختبرات لكلية الزراعة ، يستهدف هذا المشروع شراء الآلات والأدوات التي تحتاجها كلية الزراعة وقد خولت وزارة الزراعة صلاحية الصرف بالاشتراك مع مجلس الاعمار بمبلغ قدر ب (٢٠,٠٠٠) دينار.

١٠. مشاريع الغابات في ألوية بغداد و الموصل وكركوك والسليمانية ، يستهدف هذا المشروع انتاج الاخشاب الصالحة لأغراض الصناعة و البناء ، وتقوم بالعمل مديرية الغابات و التشجير العامة باشتراك مع مجلس الاعمار و بكلفة (٣٤٢,١٣٦) دينار.

١١. مشروع انشاء زرائب في ابي غريب ، يستهدف هذا المشروع بناء زرائب ومركز للتلقيح الاصطناعي في كل من مزرعة ابي غريب ومزرعة بكرة جو ، ويقوم بالعمل قسم تربية وتحسين الحيوان في مديرية الزراعة العامة بالاشتراك مع مجلس الاعمار وبكلفة (١٨,٧٠٠) دينار. [٦٩]

١٢. اقامة معرض حيواني في بغداد أواخر شهر آذار ١٩٥٦ في ميدان سباق المنصور في الكرخ ، لتشجيع الناس على العناية بالحيوان واستغلال نتاجه بصورة تؤمن زيادة الثروة الحيوانية في لواء بغداد ، واستعرض هذا المعرض الآلات الحديثة و الكيفيات العلمية الجديدة[٧٠].

١٣. مشروع مسح التربة وتصنيف الأراضي لمدة خمس سنوات ، ان الغرض من هذا المشروع هو، القيام بتصنيف ومسح التربة لمنهاج مشاريع مجلس الاعمار ، انجز المشروع بواسطة قسم التربة في مديرية الزراعة العامة و بأشراف مجلس الاعمار في عام ١٩٥٦ ، وبكلفة (٢٤٠,٩٠٠) دينار لهذا المشروع.

١٤. مشروع كلية الطب البيطري عام ١٩٥٦ ، ان الهدف من هذا المشروع هو تجهيز كلية الطب البيطري بالآلات و الأدوات المختبرية اللازمة و المواد الكيماوية و اللوازم الفنية لضرورية في الكلية ، وبكلفة (١٠٠,٠٠٠) دينار[٧١].

١٥. مشروع تحسين وتربية الطيور الداجنة ، يستهدف هذا المشروع على جلب وتكثير الطيور الاجنبية التي تلائم المحيط العراقي ، وتهجين الأنسال العراقية وتحسين الدجاج المحلي للوصول الى انتاج نسل عالي متجانس الصفات ، ويشمل

المشروع ايضاً تأسيس محطات لتدريب العراقيين على الطرق الحديثة في جميع مجالات تربية الدواجن وشراء الآلات و الادوات الضرورية لأعمال التفقيس واستخدام الخبراء وبناء مخازن ، مع تأسيس محطات للوقاية اللازمة وذلك بإجراء الفحوص والتلقيحات ومكافحة الطفيليات للطيور، وتقديم الارشادات العلمية التي يمكن تطبيقها مباشرة من قبل مربى الدواجن . ويقوم قسم تربية وتحسين الحيوان في مديرية الزراعة العامة بالاشتراك مع مجلس الاعمار بنهوض بهذا المشروع الذي قدرت كلفته (١٠٨,٣٤٥) دينار.[٧٢]

١٦. مشروع تكثير الأغنام والأبقار المحسنة عام ١٩٥٦، نظم هذا المشروع على أساس تقوية مركز أبي غريب ، وتأسيس ثلاث مراكز في المزارع الحكومية الواقعة في مناطق مختلفة من العراق احدهما في لواء أربيل والآخر في لواء الموصل و الثالث في المنطقة الجنوبية على ان تعزز هذه المراكز بالمؤسسات والأخصائيين ألازمين للقيام بالمشروع الذي يستغرق انجازه خمسة سنوات ، ويستهدف هذا المشروع على تدريب الموظفين والمزارعين ومربى الحيوانات على اتباع أحدث الوسائل في التغذية و الإدارة وتحسين نوعية الانتاج ، و تكثير الحيوانات المستوردة من الخارج وتحسين الحيوانات العراقية بالتهجين و استعمال التلقيح الاصطناعي لهذا الغرض ، فضلاً عن إجراء البحوث و الدراسات التي لها مساس بتنمية هذا المشروع ، ويتعاون قسم تربية وتحسين الحيوان في مديرية الزراعة العامة مع مجلس الاعمار بالقيام بهذا المشروع الذي قدرت كلفته (٣٦٦,٠٠٠) دينار . [٧٣]

١٧. تجهيز المزارعين في بغداد بالآلات الزراعية ، اذ قامت وزارة الزراعة بتعاون مع الإدارة المحلية للواء بغداد ، بشراء (تراكتورين) عدد أثنين مع محاريثهما بمبلغ (٢٠٦٠) دينار متوخيه بذلك تدريب الطبقات العاملة بالزراعة بهما و الاستفادة من استئجارها ، فضلاً عن شراء حفارتين بقيمة (٨٩٦٤) دينار ، نظراً للحاجة اليها ، اذ ثبت ان وجود الحفارات قد خفف كثيراً من أعباء المزارعين في حفر الجداول وتطهيرها ، فضلاً عن والاستفادة من واستئجارها.[٧٤]

١٨. كما أنجزت وزارة الزراعة في النصف الأول من العام ١٩٥٧ بالتعاون مع مجلس الاعمار في عدد من الألوية العراقية عدت مشاريع منها ، تأسيس معمل لتصليح المكائن الزراعية في لواء الدليم ، و بناء مستشفى بيطري في كربلاء وآخر في البصرة ، وخمسة مستوصفات بيطرية و مستشفى بيطري في لواء المنتفك ، و ١١ مستوصفاً بيطرياً في ديالى ، وشراء مضخات ومكائن زراعية في لوائي الحلة والعمارة ، وأنشاء أربعة أحواض لتغطيس الاغنام في لواء كركوك ، و أربعة مستوصفات في لواء اربيل ، فضلاً عن تشجير الجهة الغربية من مدينة الموصل وتأسيس الغابات والأحراش فيها.[٧٥]

أما خلال المدة الممتدة من العشرين من حزيران من العام ١٩٥٧ ولغاية اندلاع ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ ، تناوب على تسلم منصب وزير الزراعة أربعة وزراء وهم ، جمال عمر نظمي الذي تسلم منصب وزير الزراعة من (٢٠ حزيران ١٩٥٧ لغاية ١٤ كانون الأول ١٩٥٧)[٧٦] ، و جميل الأُورفه لي [٧٧] من (١٥ كانون الاول ١٩٥٧– ٣ آذار ١٩٥٨)[٧٨] و محمد مشحن الحردان [٧٩] من (٣ اذار ١٩٥٨– ١٩ أيار ١٩٥٨)[٨٠] وجميل الأُورفه لي من (١٩ أيار ١٩٥٨ – ١٤ تموز ١٩٥٨)[٨١] اذ لم تشهد الوزارة في تلك المدة اي أعمال تذكر.

رابعاً : مشاريع السيطرة وخزن المياه ١٩٥٢– ١٩٥٨.

ان مشاريع ضبط وخزن المياه لم تلقى الاهتمام اللازم في العراق إلا بعد عام ١٩٥٢ ، حينما اهتمت الحكومة العراقية ومن خلال عمل مجلس الاعمار وبالمشاركة مع وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) بإنشاء مشاريع لضبط وخزن المياه على نهري دجلة والفرات ، وتتكون مشاريع السيطرة والخزن من السدود المقامة على مجرى نهري دجلة والفرات ومن الخزانات الواقعة على جوانب مجرى النهر، وهذه عبارة عن منخفضات طبيعية تحول اليها مياه النهر عن طريق قنوات محولة ، وتقوم هذه المنخفضات بوظيفة خزن المياه الزائدة خلال موسم الفيضان ، ثم يتم إرجاعها ثانية

الى النهر خلال مدة فصل الصيف عندما تقل كمية المياه الجارية فيه[٨٢] . ومن أهم المشاريع المنجزة خلال تلك المدة التي تؤدي وظيفة ضبط وخزن المياه ما يلي :

١. مشروع الحبانية .

يعد مشروع الحبانية من المشاريع المهمة التي انشئت لضبط المياه على نهر الفرات وبواسطته انقذت المزارع والمدن الواقعة على النهر من كوارث الفيضان وما تسببه من أضرار وخسائر في كل عام ، اذ ان كميات المياه التي تجري في الفرات خلال مواسم الفيضانات كبيرة جداً ولابد من السيطرة عليها في أعالي النهر قبل ان تصل الى القسم الجنوبي من حوضه ، اذ لا يستوعبه مجراه فتفيض على جوانبه وبذلك تسبب الاضرار الجسيمة و الخسائر الفادحة ، وقد بذلت محاولات عديدة لتلافي أضرار الفيضانات وتنفيذ الخطط و الوسائل للسيطرة على مياه نهر الفرات الفائضة ، فكان ان عهدت الحكومة العثمانية في العراق الى السير وليم وليكوكس[٨٣] عام ١٩١١ لدراسة المشروع ، وكانت نتيجة دراسته وأبحاثه أن اقترح على الحكومة العثمانية الاستفادة من منخفض الحبانية لخزن المياه الزائدة بواسطة جدول يصل النهر ببحيرة الحبانية ، وقد بوشر في تنفيذ مقترحاته عام ١٩١٣، وكانت تنطوي على حفر جدول بالقرب من مدينة الرمادي لتحويل المياه من الفرات الى منخفض الحبانية ، فضلاً عن حفر جدول آخر يوصل البحيرة بهور أبي دبس ، وقد ابتدأت الحفريات عام ١٩١٣ الا ان نشوب الحرب العالمية الاولى سبب ايقاف الاعمال فيه حتى عام ١٩٣٢، اذ أدخلت بعض التعديلات على المشروع الاصلي كان من جملتها حفر جدول ثالث يوصل البحيرة بنهر الفرات بغية ارجاع المياه المخزونة للنهر ثانية ، وقد أعيد المشروع الى الحياة مرة اخرى عام ١٩٣٩ ولكن سرعان ما داهمته الحرب العالمية الثانية فحالت دون الاستمرار فيه ، الا ان حفر جدول المجرة وإنشاء الناظم عليه أستمر وأكمل عام ١٩٤١، وعلى ضوء الفيضانات التي حدثت عام ١٩٤١ وعام ١٩٤٣ تقرر حفر جدول المدخل مجدداً في موقع الورار فضلاً عن توسيع سعة تصريف الناظم المقام عليه الى ٢٨٠٠م٣ في الثانية وشمل التعديل تغيير موقع جدول المخرج وناظم الذبان الى ما

وراء منطقة معسكر الحبانية .[٨٤] وقد تبنى مجلس الاعمار منذ تأسيسه وبتعاون مع وزارة الزراعة (مديرية الري العامة) مشروع الحبانية ، فبادر الى انشاء سد الرمادي الذي بوشر به في ١٣ ايار عام ١٩٥٢، وقد تعهدت الشركة التي انيط بها العمل بإكمال العمل فيه في ١٣ كانون الاول عام ١٩٥٥، ويتضمن أنشاء سدة على نهر الفرات ذات اربعة وعشرين فتحة وبعرض ٧ أمتار مع أرصفة جانبية بعرض متر ونصف المتر لمرور السابلة ، وبلغ طول السد ٢٠٩ أمتار مع بناء هويس للملاحة وسلم للأسماك وجهزت الفتحات ببوابات حديدية ترفع بواسطة القوى الكهربائية ، او ترفع بواسطة اليد اذا توقفت القوى الكهربائية ، وقد بلغت كلفة هذه السدة (١,٣٩٥,٢١٣) دينار ، اما الغاية من انشائها فهو زيادة سعة استيعاب بحيرة الحبانية من مليار متر مكعب من الماء الى المليارين وذلك برفع منسوب المياه من ٤٩,٥متراً الى ٥١ متراً اي بزيادة متر ونصف المتر.[٨٥] وقد أفتتح هذا المشروع في ٥ نيسان عام ١٩٥٦، وكان من نتائجه السيطرة على المياه في موسم فيضان عام ١٩٥٦و الإفادة منه في فصل الصيف ، كما ادى هذا المشروع في مواسم الزراعة من السنة المذكورة خدمات كبيرة في رفع مستوى المنتوج الزراعي [٨٦].

٢. مشروع الثرثار.

مشروع وادي الثرثار من المشاريع الري الكبرى في العراق ، ويقصد به وقاية المنطقة الوسطى و الجنوبية من العراق من أخطار الفيضان ، ويتلخص هذا المشروع في تحويل مياه الفيضان الزائدة من نهر دجلة الى منخفض الثرثار الطبيعي ، ويتكون هذا المشروع من حجز المياه مقابل مدينة سامراء بسده على نهر دجلة وتحويلها الى منخفض الثرثار وكذلك بناء سداد طولها ٦٥ كيلو متراً بقصد منع تسرب هذه المياه الى الاراضي الزراعية وتحويلها الى منخفض الثرثار، ويقسم هذا المشروع الى قسمين :

القسم الاول – ويشتمل على ما تقوم به شركة بلفور بيتي من اعمال ترابية لبناء سداد وحفر جداول ، وقد أحيل العمل بعهدة الشركة المذكورة وبمبلغ قدره (٥,٩٦٢،٠٠٠) دينار في كانون الثاني عام ١٩٥٢، وسيتم العمل فيه في نهاية عام

١٩٥٥، وتبلغ الاعمال التي تقوم بها شركة بلفور بيتي ٣٥ مليون متر مكعب وهي المقاولة رقم واحد. اما القسم الثاني فهي المقاولة تعهدتها شركة زبلن الالمانية بمبلغ (٤,٩٤٧,١٠٠) دينار بتاريخ ٢٣ شباط عام ١٩٥٣ ، وتعهدت بانجازه في اذار عام ١٩٥٦ ، ويتلخص عمل هذه الشركة في :

١. انشاء سدة رئيسية عبر نهر دجلة مقابل مدينة سامراء، وتشتمل هذه السدة على ١٧ فتحة عرض كل منها ١٢ متراً و مجهزة بأبواب حديدية تعمل بالقوة الكهربائية او بواسطة العتلات عند توقف القوى الكهربائية.

٢. انشاء ناظم الثرثار المكون من ٢٤ فتحة عرض كل منها ١٢ متراً ومجهزة بأبواب حديدية وذلك لإمرار ٧٠٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية من مياه الفيضان[٨٧].

ومن جملة أهداف هذا المشروع توليد الطاقة الكهربائية ، وتقدر كمية الطاقة التي يمكن انتاجها ب ١٤٥,٠٠٠ كيلو وات ، فضلا عن درء مخاطر الفيضانات ، وخزن المياه لري المناطق الزراعية ، وفتتح هذا المشروع في ٢ نيسان عام ١٩٥٦.[٨٨]

٣. مشروع خزان بخمه .

يقع الخزان في لواء أربيل في شمالي شرق العراق على المضيق الذي يمر منه نهر الزاب الكبير – أحد روافد دجلة ضمن سلسلة جبال قره داغ ، اذ عهد مجلس الاعمار في منتصف عام ١٩٥٢ الى شركة هيرزا الهندسية بدراسة مشروع انجازه ، ومن أهداف انشاء هذا المشروع :

١. الوقاية من الفيضان ، إذ سيؤدي الى السيطرة على مياه نهر الزاب الزائدة في موسم الفيضان ونعها من الانحدار الى نهر دجلة .

٢. استعماله كخزان للمياه للاستفادة منها وإرجاعها الى نهر دجلة للري في موسم فصل الصيف.

٣. توليد طاقة كهربائية قدرها ٦٠٠,٠٠٠ كيلو وات ، فضلاً عن ان المساحة التي سيرويها المشروع بعد إكماله ستبلغ ٦,٦ مليون دونم من الاراضي الزراعية[٨٩] .

٤. مشروع خزان دوكان .

بوشر في هذا المشروع في مطلع عام ١٩٥٤، ويقع هذا الخزان في الشمال الغربي لمدينة السليمانية ، وعلى بعد ٦٠ كيلو متراً منها وعلى بعد ٨٠ كيلو متراً شمال شرق منطقة التون كوبري على نهر الزاب الصغير . وقد احال مجلس الاعمار مناقصة العمل لهذا الخزان الى شركة دوميز الفرنسية بمبلغ قدره (٨,٨١٧,٤٦٠) دينار ، وتشتمل هذه المقاولة على انشاء السد المقوس بارتفاع قدره ١١٦متر وطول ٣٦٠ متر ، وبناء خمسة منافذ مبطنة بالفولاذ قطر كل منهما ٣,٦٥ متر لإمرار المياه فيها لغرض توليد القوى الكهربائية ، وإنشاء نفق بقطر ١٢,٥على الجانب الأيسر لتغيير مجرى النهر خلال مدة انشاء السد والذي سيستعمل كمسيل عند انجاز السد لإمرار المياه الزائدة ، وستكون سعت الخزن فيه ٦,٨ مليار متر مكعب من الماء ، اما اهداف انشاء هذا المشروع فهي :

١. تخفيف وطأة الفيضان ، اذ سيستخدم هذا السد لأجل حجز مياه الفيضان الزائدة من الانحدار الى نهر دجلة اثناء مواسم الفيضانات.

٢. سيمكن هذا المشروع خزن كميات هائلة من المياه لري مساحات كبيرة من الاراضي تقدر مساحتها (١,٣٠٠,٠٠٠) دونم من الأراضي الزراعية الأميرية الصرفة في ألوية كركوك وأربيل وديالى ، وقد انجز العمل في حزيران عام ١٩٥٨وبلغت كلفته الاجمالية ٢٣ مليون دينار[٩٠] .

٥. مشروع خزان دربند خان .

يقع مشروع دربند خان على نهر ديالى في المنطقة الشمالية الشرقية في العراق بين محافظة كركوك وديالى ، اذ يمر نهر ديالى بمضيق عميق يدعى دربند خان قاطعاً سلسة جبال بارانتداغ في محافظة السليمانية. وقد بوشر في انشاء هذا السد في أوائل عام ١٩٥٦ من قبل مجلس الاعمار العراقي وبالمشاركة مع مديرية الري العامة،

من خلال وضع التصاميم والخرائط والمواصفات اللازمة لسد يلائم طبيعة الموقع من نوع السد الحجري الاملائي بارتفاع ١٤٠ متر وبطول ٤٣٥ متر وبسعة ٣,٧ مليار متر مكعب وقد احيلت المناقصة بالعمل الى شركة هرزا الهندسية حيث تكون الاعمال الخاصة بإنشاء نفق التحويل ، وتقدر كلفة انشاء هذا السد بـ ٢١ مليون دينار[٩١].

خامساً : ميزانية وزارة الزراعة ١٩٥٣ـ ١٩٥٨.

بدأت مسؤولية العراق المالية منذ ان تم تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١، فوضعت أول ميزانية للدولة العراقية الحديثة لسنة ١٩٢١ المالية ، و كانت الميزانية في أول أمرها توضع على أساس قانون أصول المحاسبات العثماني الصادر في عام ١٩١١ و التعليمات المالية التي أصدرتها سلطة الاحتلال البريطاني و الحكومة الوطنية المؤقتة[٩٢]. وكانت السنة المالية في العراق تبدأ في الاول من شهر نيسان من كل عام ، وتنتهي في اليوم الأخير من شهر آذار، وكانت الميزانية طوال مدة الانتداب تعد وتهيئ من قبل المستشارون البريطانيون في الوزارات العراقية ، وتحظى بموافقة دار الاعتماد البريطاني ، ثم تعرض على مجلس الوزراء العراقي للمصادقة عليها، وتعد مصادقة مجلس الوزراء على الميزانية إقراراً لها في المدة التي سبقت بدء الحياة البرلمانية في العراق ، ولكن بعد بدء الحياة البرلمانية فأن مجلس الوزراء يحيل مسودة لائحة الميزانية الى مجلس الأمة لمناقشتها (النواب والأعيان) لدراستها ومناقشتها، وإدخال بعض التعديل عليها أحياناً، وبعد مصادقة مجلس النواب والأعيان على الميزانية تنشر في الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية)، ويبدأ بصرف بحسب أبوابها المقررة لها، وفي بعض الأحيان يتأخر التصديق على الميزانية حتى شهر حزيران فتوضع ميزانية مؤقتة لشهري أيار و حزيران، ولا ينفض الاجتماع السنوي لمجلس الأمة إلا بعد التصديق على الميزانية العامة[٩٣]. و الجدول الآتي يوضح ميزانية وزارة

الزراعة ، الاعتمادات والمصروفات والنسبة المئوية للصرف من العام ١٩٥٣-١٩٥٧.

نسبة نفقات وزارة الزراعة الى الاعتمادات المصدقة خلال الأعوام (١٩٥٣. ١٩٥٧)

السنة	الاعتمادات المصدقة بالدينار	المصروفات بالدينار	النسبة المئوية
٩٥٣	١٧٣٨١٧٠	١٥٢٨٤٦٢ [٩٤]	٨٧,٩٣
٩٥٤	٢٣٤٢٠٩٥	٢١٤٠٨٤٠ [٩٥]	٩١,٤٠
٩٥٥	٢١٧٠٦٢٠	١٧٩٨١٩٦ [٩٦]	٨٢,٨٤
٩٥٦	٢٦٨٢٠٣٤	٢١١٣٤٣٩ [٩٧]	٧٨,٧٩
٩٥٧	٢٣٧٠٣٢٦	١٩٧٦٠٧٧ [٩٨]	٨٣,٣٦
٩٥٨	٣٣٤٦٨٦٠	٢٥٦٣٠٤٨(٩٩)	٧٦,٥٨

ويلاحظ من خلال الجدول أعلاه ان ميزانية وزارة الزراعة خلال الأعوام (١٩٥٣. ١٩٥٧) كانت فيها نسبة الاعتمادات أكثر من المصروفات ومعنى ذلك وجود فيض او توفير ، ولا يأتي هذا الفيض او التوفير من كون العراق لا يحتاج الى المشاريع الزراعية والأروائية الضرورية ، ولكن يعود الى قلة الخبرة بالتنفيذ ، وعدم وجود الملاكات الفنية والإدارية القادرة على الإشراف على مشاريع الوزارة.

الخاتمة

تعد فترة بداية الخمسينات من القرن العشرين بداية للنهوض والتطور في رسم السياسة الاقتصادية والعمرانية في عموم العراق ، على الرغم من المشكلات التي كان يعاني منها العراق آنذاك ، لاسيما مشاكل السكان المهاجرين من الريف الى المدينة وتعرض المدن الكبيرة لخطر الفيضانات ، فضلاً عن الوضع العراقي المتأزم من خلال مواقف بعض الأحزاب العراقية والتي جعلت من الريف العراقي واجهات ضغط على الحكومة العراقية في معظم الإحداث آنذاك اذ لم يكن قبل هذه الفترة خطط اقتصادية وعمرانية تذكر بل كانت كل وزارة تقوم ببعض المشاريع على قدر الامكان حين يتيسر لها ذلك ، وكانت الإمكانيات محدودة وغير مضمونة النجاح لاختلاف الاتجاهات وتبعثر الجهود ، الأمر الذي سبب في الماضي ضياعاً كبيراً في الوقت وتبذيراً في أموال الدولة ،وإزاء هذا الوضع اتجهت الحكومة العراقية عام ١٩٥٠ الى انعاش الوضع الاقتصادي بعد تخصيص نسبة من العائدات النفطية لوضع خطط التنمية في البلاد، فأنشأت مجلس الاعمار عام ١٩٥١ واستحدثت وزارة للزراعة عام ١٩٥٢، وبذلك بدء مجلس الاعمار وبمشاركة مع وزارة الزراعة بتنفيذ مشروعات كثيرة في مجال الزراعة، ومشاريع أخرى للسيطرة على الفيضانات كمشروع الثرثار ودوكان وغير ذلك . الا ان الطريقة التي اتبعها مجلس الاعمار بالمشاركة مع وزارة الزراعة في تخطيطه لهذه المشاريع لم تنظر للقطاع الزراعي في العراق نظرة شاملة إجمالية بل نظرة جزئية غير متكاملة، أدت بدورها الى فشل هذه السياسة لأسباب منها، عدم كفاية السياسة الزراعية التي رسمت، وعدم وجود خطة اقتصادية انمائية، ومقاومة كل إصلاح زراعي وتجديد، وبذلك فقد بقي الإقطاع مهيمناً وزادت واتسعت الملكيات الزراعية الكبيرة، وزادت معاناة أبناء الريف الذين واصلوا هجرتهم الى المدن وبأعداد كبيرة ولاسيما من جنوب العراق ، حتى اندلاع ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ وإسقاط النظام الملكي وإعلان النظام جمهوري في العراق .

الهوامش و المصادر

(١) عبد الرزاق الحسني ،تاريخ الوزارات العراقية ،ج٨ ،ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،١٩٨٨، ص١٩٠.

(٢) نص قانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣ على " للحكومة ان تصدر نظاما لكل وزارة يبين فيه تشكيلات الوزارة والدوائر التابعه لها وواجباتها وكيفية قيام الموظفين بتلك الواجبات". د .ك . و ، الحكومة العراقية ، وزارة العدل ،مجموعة القوانين والأنظمة لسنة ١٩٣٣، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٤ ، ص ٤٥٧ .

(٣) نص قانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣ المعدل بقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٤٧ على " تعتبر المادة الأولى من قانون تشكيلات الوزارات رقم (٣٧) لسنة ١٩٣٣ فقرة اولى وتضاف اليها الفقرتان الأتيتان ، الفقرة الثانية ، للوزير ان يخول – بأمر تحريري يصدر . أيا كان من كبار موظفي وزارته السلطات الممنوحة له بموجب اي قانون او نظام بالصورة التي يعينها من وقت إلى لأخر ، الفقرة الثالثة ، لا يشتمل حكم الفقرة السابقة الصلاحيات المخولة للوزير شخصيا بمقتضى القانون الأساسي " . د . ك . و ، الحومة العراقية ، وزارة العدل ، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة ١٩٤٧، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٣٣٩.

(٤) د. ك. و، البلاط الملكي ، محاضر وجلسات مجلس الوزراء ١٩٥٢ ، رقم الملف ٥٥٥٨ / ٣١١ ، الجلسة الثانية عشر المنعقدة بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٥٢ ، و ١ ، ص ٧.

(٥) المصدر نفسه ، و ١ ، ص ١٥ .

(٦) د . ك . و ، البلاط الملكي ، محاضر وجلسات مجلس الوزراء ١٩٥٢ ، رقم الملف ٥٥٥٨ / ٣١١ ، الجلسة الثانية عشر المنعقدة بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٥٢ ، و ١ ، ص ١٦

(٧) تألفت اللجنة الوزارية من : مصطفى العمري و محمد حسن كبه وزيري الدولة ، عبد وهاب مرجان وزير المالية ، ضياء جعفر وزير الاقتصاد . المصدر نفسه ، رقم الملف ٥٥٥٨ / ٣١١ ، و ١ ، ص ٧.

(٨) المصدر نفسه ، و١ ، ص ٧ .

(٩) د . ك. و ، البلاط الملكي ، مقررات مجلس الوزراء ١٩٥٢ ، رقم الملف ٦٤٣ /٣١١ ، الجلسة الرابعة عشر المنعقدة بتاريخ ٦ شباط ١٩٥٢ ، و٤٣ ، ص ٧٣– ٧٤ .

(١٠) عبد الوهاب مرجان : هو عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمود ال مرجان ، ولد في الحلة عام ١٩٠٧، وتربى في اسرة ذات جاه ومال ، دخل المدرسة الابتدائية عام ١٩١٨، ثم المدرسة

المتوسطة عام ١٩٢٥ ،ثم انقل إلى بغداد ودخل الإعدادية المركزية عام ١٩٢٧، دخل كلية الحقوق عام ١٩٣٣، عين قاضيا في قضاء الصويرة عام ١٩٣٨، ثم رئيسا لغرفة تجارة الحلة عام ١٩٤٢، اصبح رئيسا لمجلس النواب عام ١٩٤٧، ثم وزير للاقتصاد عام ١٩٤٨، ووزير للمواصلات والأشغال عام ١٩٥٠. للمزيد من المعلومات ينظر : حسن احمد ابراهيم المعموري ، عبد الوهاب مرجان ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٧، ص ٣٢ـ٤٣ ؛ ستار علك الطفيلي ، التطورات السياسية في العراق وموقف النخبة النيابية في لواء الحلة منها (١٩٤٩ـ ١٩٥٨) ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٣ ، ص ٤١.

(١١) م.م.ن ، الحكومة العراقية ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥١ـ١٩٥٢، الدورة الانتخابية الثانية عشر، الجلسة السابعة عشر، ٢٧ شباط ١٩٥٢،ص ٢٥٣.

(١٢) د.ك.و، مجلس الأعيان "الديوان " ، قانون تأليف وزارة الري والزراعة ١٩٢٧ـ١٩٥٢، رقم الملف ٥٠/ ٣٣٢١ ، و ١٣ ، ص ٢.

(١٣) د.ك.و، مجلس الأعيان "الديوان " ، قانون تأليف وزارة الري والزراعة ١٩٢٧ـ١٩٥٢، رقم الملف ٥٠/ ٣٣٢١ ، و ١٣، ص ٢٥٣.

(١٤) م.م.ن ، الحكومة ألعراقية الاجتماع الاعتيادي ١٩٥١ـ١٩٥٢، الجلسة السابعة عشر ، المصدر السابق ، ص ٢٥٣ـ٢٥٤.

(١٥) م.م.ن ، الحكومة العراقية الاجتماع الاعتيادي ١٩٥١ـ١٩٥٢، الجلسة السابعة عشر ، المصدر السابق ، ص٢٥٤.

(١٦) د.ك.و، مجلس الأعيان "الديوان " ،الارادات الملكية / تأليف الوزارات ،رقم الملف ١٥٤/٣٣٢١ ، و٥ ، ص٦ـ ٨.

(١٧) اركان عبادي: ولد في الديوانية عام ١٩١٥، اكمل الدراسة الابتدائية في النجف الاشرف و الثانوية في برمانا في لبنان ، ثم التحق في كلية اكستر فنشير في بريطانيا عام ١٩٣٣ وتخرج فيها ، ثم درس الاقتصاد في جامعة لندن ونال شهادتها عام ١٩٣٩، ثم التحق بجامعة كمبردج وتخرج فيها عام ١٩٤٣، خرج نائبا في مجلس النواب ممثلا عن لواء الديوانية في سبعة دورات ، عين وزير بلا وزارة في وزارة فاضل الجمالي الأولى عام ١٩٥٣، ثم وزير للشؤون الاجتماعية في وزارة فاضل الجمالي الثانية عام ١٩٥٤، وفي وزارة جودت الايوبي عام ١٩٥٦، توفي عام

١٩٦٩. للمزيد من المعلومات ينظر : علي صالح الكعبي ، نواب ألوية الحلة والديوانية والمنتفك في مجلس النواب العراقي في العهد الملكي (١٩٢٥– ١٩٥٨)، المصدر السابق ، ص ٨٥.

(١٨) م.م.ن ، الحكومة ألعراقية الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥١ـ ١٩٥٢، الجلسة السابعة عشر، المصدر السابق ، ص ٢٥٤.

(١٩) موحان الخير الله : ولد في قضاء الرفاعي (الناصرية) عام ١٨٩٠، تلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب ، ثم تتلمذ في الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، تولى رئاسة عشائر الشويلات بعد مقتل والده عام ١٩١٦، حضي بشهره واسعة في مناطق الفرات الأوسط ، اصبح عضوا في المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤، ثم ممثلا للواء المنتفك في مجلس النواب لعدة مرات ، توفي عام ١٩٥٦. للمزيد من المعلومات ينظر : علي صالح الكعبي ، نواب الوية الحلة والديوانية والمنتفك في مجلس النواب العراقي في العد الملكي (١٩٢٥ـ ١٩٥٨) ، المصدر السابق، ص ١٦٠– ١٦١.

(٢٠) م.م.ن، الحكومة العراقية، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥١– ١٩٥٢، الجلسة السابعة عشر، المصدر السابق ، ص ٢٢٤.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٥٤– ٢٥٥.

(٢٢)م.م.ن، الحكومة العراقية، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥١– ١٩٥٢، الجلسة الثامنة عشر ، ص٢٦٨– ٢٦٩.

(٢٣) الوزراء هم : شاكر الوادي وزير الدفاع و وكيل وزير الخارجية ، عمر نظمي وزير الداخلية، مصطفى العمري وزير الدولة . م.م.ع ، الحكومة العراقية الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥١– ١٩٥٢، الجلسة الثامنة ، ١٣ اذار ١٩٥٢، ص١٦٠.

(٢٤) المصدر نفسه ، ص١٧٨.

(٢٥) م.م.ع ، الحكومة العراقية ، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥١.١٩٥٢، الجلسة الثامنة ، المصدر السابق ، ص ١٨٢. ١٨٣.

(٢٦) د.ك.و، وزارة المالية "الديوان"،تشكيلات الدولة ، رقم الملف ٢٢٨/ ٣٢١١٠، و ١١٠، ص ١٢١؛ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٨، المصدر السابق ، ص٢٤٥.

(٢٧) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجموعة القوانين والأنظمة لسنة ١٩٥٢، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٥٣، ص١٢٣ –١٢٤؛ جريدة الوقائع العراقية ،العدد ٣٠٧٦ ، ٢٤ آذار ١٩٥٢.

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٤–١٢٦.

[١] هلال كاظم حميري الشبلي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤.

[٢] د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الأعمار و وزارة الأعمار ، اسبوع الأعمار الثاني ١٩٥٧، د.م ، د.ت، ص ٧.

[٣] عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

[٢٩]عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ،ج ٨ ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨.

[٣٠] عبد الرزاق مطلك الفهد ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

[٣١] فيصل كشمولة ، نظرات في اقتصاديات العراق، المطبعة الشرقية، الموصل، ١٩٥٥، ص٢٧.

[٣٢]عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٨ ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨. ٢٥٩.

[٣٣] ايمان مصطفى خلف المحمدي ، سياسة التخطيط الاقتصادي في العراق (١٩٦٤ـ ١٩٧٥)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية (ابن الرشد) ، جامعة بغداد ، ٢٠١٢، ص ٢٩.

[٣٤] المصدر نفسه ، ص ٣١.

[٣٥] المصدر نفسه ، ص ٥٨.

[٣٦]كاتلين ام.لانلكي، تصنيع العراق، ت. محمد حامد الطائي وخطاب صكار العاني، مراجعة محمد عزيز وعدنان القصير، بغداد، ١٩٦٣، ص٢٧٧.

[٣٧]حسن الدروبي وآخرون ، تطور الادارة العامة في العراق ، ط١، مطبعة الشرق الأوسط ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ٨٦.

[٣٨]د.ك.و، الحكومة العراقية ، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٢، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٥٢، ص٨٠ ؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٨، المصدر السابق، ص٢٤٥.).

[٣٩]عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٨، المصدر السابق ، ص ٢٧٩.

[٤٠] د.ك.و، الحكومة العراقية ، وزارة المالية ، سياسة الحكومة في خطاب وزير المالية عن الميزانية العامة لسنة ١٩٥٣، د.ت ، ص١٣.

[٤١] د.ك.و، الحكومة العراقية ،المزارع الحديث ، الكتاب السنوي لسنة ١٩٥٢، كلية الزراعة ، وزارة الزراعة ، أبو غريب ،د.ت ، ص٢

[٤٢] عبد الجبار الجلبي : من مؤسسي حزب العهد الذي اجيز في ١٤ تشرين الاول ١٩٣٠، عضوا في مجلس النواب للدورة الانتخابية الثالثة (١ تشرين الثاني ١٩٣٠ـ ٤ تشرين الثاني ١٩٣٢) ، والدورة الانتخابية الخامسة (٢٩ كانون الاول ١٩٣٤ـ ١١ اذار ١٩٣٥) ، عين وزيرا للمواصلات

في وزارة ارشد العمري الأولى عام ١٩٤٦، و في وزارة نوري السعيد التاسعة عام ١٩٤٦، ثم عضوا في مجلس النواب للدورة الانتخابية الحادية عشر (١٧ آذار ١٩٤٧ـ ٢٢ شباط ١٩٤٨) ، ثم وزيرا للزراعة في وزارة مصطفى العمري التي شكلت في ١٢ تموز ١٩٥٢– ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢. ، خالد أحمد الجوال ، اعلام كبار ساسة العراق الملكي ١٩٢٠– ١٩٥٨ ، ج١ ، المصدر السابق ص٤٨٦.

(٤٣) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٨ ، المصدر السابق ، ص٢٨١

(٤٤) المصدر نفسه ، ص٣٢٨؛ نزار توفيق سلطان الحسو ، الصراع على السلطة في العراق الملكي (دراسة تحليلية في الإدارة والسياسة) ، دار افاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٤، ص١٩٧.

(٤٥) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الأعمار، التقرير السنوي عن أعمال مجلس الأعمار لسنة ١٩٥٢ـ ١٩٥٣، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٣، ص٢١.ص٢٢

(٤٦) الحكومة العراقية ، وزارة المالية ، سياسة الحكومة في خطاب وزير المالية عن الميزانية العامة لسنة ١٩٥٣، المصدر السابق ، ص ١٤.

(٤٧) رايح العطية : هو رايح بن عطية بن غضبان بن عبد الله ، ولد في قضاء الشامية في محافظة القادسية عام ١٨٩٠، عين عضوا في لجنة تدقيق القانون الأساسي العراقي عام ١٩٢٢، ثم عضوا في مجلس النواب عام ١٩٢٤، ثم عضوا لمجلس النواب للدورة الانتخابية الرابعة (٨ اذار ١٩٣٣ـ ٤ ايلول ١٩٣٤) ، وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ . ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ عين وزيرا للزراعة في وزارة نوري الدين محمود ، ثم عين وزيراً بلا وزارة في وزارة نوري السعيد الرابعة عشر عام ١٩٥٨. خالد احمد الجوال ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

(٤٨) نزار توفيق سلطان الحسو ، الصراع على السلطة في العراق الملكي (دراسة تحليلية في الادارة والسياسة) ، دار افاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٤، ص١٩٧.

(٤٩) الحكومة العراقية ، وزارة المالية ، سياسة الحكومة في خطاب وزير المالية عن الميزانية العامة لسنة ١٩٥٣، المصدر السابق ، ص ١٤.

(٥٠) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الأعمار، التقرير السنوي عن أعمال مجلس الأعمار لسنة ١٩٥٢– ١٩٥٣، المصدر السابق، ص٨.

(٥١) ولد ببغداد عام ١٩٢١، حصل على بكالوريوس في الحقوق ، عمل في المحاماة ، عين وزيرا للصحة في ١٢تموز ١٩٥٢، ثم وزيرا للمواصلات و الاشغال في العام نفسه ، ثم وزيرا للزراعة عام في وزارة جميل المدفعي السادسة (٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣– ٥ مارس ١٩٥٣). هيئة

التقاعد العامة ، الاضبارة الشخصية لعبد الرحمن جودة ، رقم الاضبارة ٣١/٠٧٣٩٥٠٠٧ ؛علي صالح الكعبي ، نواب الوية الحلة والديوانية والمنتفك في مجلس النواب العراقي في العهد الملكي ١٩٥٨.١٩٢٥ ، المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٥٢) عبد الرزاق الحسني ،تاريخ الوزارات العراقية ، ج٩ ، ط٧، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨، ص٧.

(٥٣) نزار توفيق سلطان الحسو ، المصدر السابق ، ص٢٠١.

(٥٤) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الأعمار، التقرير السنوي عن أعمال مجلس الأعمار لسنة ١٩٥٣ـ ١٩٥٤، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٤، ص١٨- ٢٠.

(٥٥) الحكومة العراقية ، مجلس الأعمار ، التقرير السنوي عن أعمال مجلس الأعمار لسنة ١٩٥٣- ١٩٥٤، المصدر السابق، ص ٢٩. ٣١.

(٥٦) د.ك.و، وزارة الزراعة " الديوان" ، تأسيس مزرعة نموذجية لإسكان اللاجئين الفلسطينيين ، رقم الملف ١٠١/ ٣٢٠٧١٠٣ ، و٣ ، ص ٥ - ٧.

(٥٧) د.ك.و، الحكومة العراقية ، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٣، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٥٤، ص٨٦ ؛ نزار توفيق سلطان الحسو ، المصدر السابق ، ص٢٠٢.

(٥٨) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٩، المصدر السابق ، ص ٨٣.

(٥٩) د.ك.و، الحكومة العراقية ، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٤، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٥٥، ص٩٠ ؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٩ ، المصدر السابق، ص ١١٠.

(٦٠) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار، التقرير السنوي عن أعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٤- ١٩٥٥، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٧، ص٨.

(٦١) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار، التقرير السنوي عن أعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٤- ١٩٥٥، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٧، ص ١٣.

(٦٢) رشدي الجلبي : هو رشدي بن عبد الهادي الجلبي ، ولد في بغداد عام ١٩١٧ و اكمل دراسته فيها ، ثم درس في الجامعة الأمريكية في بيروت واختص في الاقتصاد وإدارة الأعمال ، تقلد مناصب عديدة منها وزيرا للزراعة (بالوكالة) من ١٦ ايلول ١٩٥٤ لغاية ١٤ كانون الاول عام ١٩٥٥ ، ثم وزيرا للزراعة من ١٧ كانون الاول ١٩٥٥ ولغاية ٢٠ حزيران عام ١٩٥٧، ثم وزيرا الأعمار في ٣ اذار ١٩٥٨، ثم وزيرا لاقتصاد في وزارة احمد مختار بابان عام ١٩٥٨. د.ك.و ، هيئة التقاعد العامة ، الاضبارة الشخصية لرشدي الجلبي ، رقم الاضبارة ٠٢٧٢٥٠٠٥/ ٣١ ؛

د.ك.و، الحكومة العراقية ،المزارع الحديث ، الكتاب السنوي لسنة ١٩٥٥، كلية الزراعة ، وزارة الزراعة ، أبو غريب، د.ت ، ص٣ ؛ مؤيد الونداوي ، أعلام الشخصيات السياسية العراقية في الوثائق البريطانية ١٩٣٥. ١٩٥٨، رحنه للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٢، ص ٢٢٥.٢٢٤ ؛ خالد احمد الجوال ، المصدر السابق ، ٢٣٣.

(٦٣) د.ك.و، الحكومة العراقية ، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٥، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٥٦، ص١٠٣ ؛عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج٩ ، المصدر السابق ، ص١٧٠.

(٦٤) د.ك.و ، الحكومة العراقية ، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٦، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٥٧، ص٣٨؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ج١٠ ، ص٩ .

(٦٥) د.ك.و، الحكومة العراقية ، الادارة المحلية للواء البصرة ، مقررات مجلس اللواء العام لسنة ١٩٥٤–١٩٥٥، مطبعة التايمس ، بغداد ، ٥٢.

(٦٦) شاكر راغب الحلي ، مشاريع الأعمار في العراق (اعمال الادارة المحلية) ، ج١، مطبعة العاني ، ١٩٥٥، ص ٢٥–٢٦.)

(٦٧) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، التقرير السنوي عن اعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٥– ١٩٥٦، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٧، ص١٤.

(٦٨) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، التقرير السنوي عن اعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٥– ١٩٥٦، المصدر السابق، ص٣٤.

(٦٩) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، التقرير السنوي عن اعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٥–١٩٥٦، المصدر السابق، ص٣٥– ٣٧.

(٧٠) د.ك.و ، الحكومة العراقية ، مشاريع الادارة المحلية للواء بغداد ومقرراتها في سنة ١٩٥٦–١٩٥٧، مطبعة المعارف ، بغداد ، د.ت، ص٣١.

(٧١) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، التقرير السنوي عن اعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٥–١٩٥٦، المصدر السابق، ٣٧ – ٣٨.

(٧٢)د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، التقرير السنوي عن اعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٥–١٩٥٦، المصدر السابق، ص٣٩.

(٧٣) د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، التقرير السنوي عن اعمال مجلس الاعمار لسنة ١٩٥٥– ١٩٥٦، المصدر السابق، ص٤٠.

[٧٤] د.ك.و، الحكومة العراقية ، مشاريع الادارة المحلية للواء بغداد ومقرراتها ١٩٥٧– ١٩٥٨، مطبعة العاني ، بغداد، د.ت، ص٢٧.

[٧٥] شاكر راغب الحلي ، مشاريع الاعمار في العراق ، ج٢ ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٧، ص ٤٤ – ٤٩.

[٧٦] نزار توفيق سلطان الحسو ، المصدر السابق ، ص٢٠٧.

[٧٧] جميل الأورفه لي: ولد في بغداد عام ١٩٠٧، ونشأ فيها ، أكمل دراسته الابتدائية عام ١٩٢٣ و الثانوية عام ١٩٢٧، ثم تخرج في كلية الحقوق ببغداد ، تقلد مناصب عدة منها ، وزيراً للعدلية في وزارة الجمالي الاولى بتاريخ ٧ ايلول ١٩٥٣، ثم وزيراً للمعارف في وزارة الجمالي الثانية بتاريخ ٨ اذار ١٩٥٤، ثم وزيراً للزراعة في وزارة عبد الوهاب مرجان بتاريخ ١٥ كانون الاول ١٩٥٧، ثم وزيراً للزراعة في وزارة احمد مختار بابان التي سقطت بسقوط النظام الملكي يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، له مؤلفات منها (شرح قانون العقوبات البغدادي وتعديلاته وذيوله – القسم العام والخاص عام ١٩٤٨) . للمزيد من المعلومات ينظر: جميل الأورفه لي ، لمحات من ذكريات وزير عراقي سابق ، تقديم الشيخ نمر الخطيب ، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، ١٩٧١، ص ١٧ – ٢٥ ؛ باقر امين الورد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ ؛ خالد أحمد الجوال ، اعلام كبار ساسة العراق الملكي ١٩٢٠– ١٩٥٨ ، ج١ ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

[٧٨] د.ك.و، الحكومة العراقية ، جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٧، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٨، ص٣٦ ؛ نزار توفيق سلطان الحسو ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨.

[٧٩] محمد مشحن الحردان: عضو مجلس النواب للدورة الانتخابية الثانية عشرة (٢١حزيران ١٩٤٨– ٢٠ حزيران ١٩٥٢) و الدورة الانتخابية الثالثة عشرة (٢٤ كانون الثاني ١٩٥٣– ٢٨ نيسان ١٩٥٤) و الدورة الانتخابية الخامسة عشرة (١٦ ايلول ١٩٥٤– ٢٧ اذار ١٩٥٨) ، في ١٥ كانون الاول ١٩٥٧ عين وزيراً للاقتصاد في وزارة عبد الوهاب مرجان ، ثم عين وزيراً للزراعة في ٣ اذار ١٩٥٨ في وزارة نوري السعيد الرابعة عشرة . خالد أحمد الجوال ، أعلام كبار ساسة العراق الملكي ، ١٩٢٠ – ١٩٥٨ ، ج٢ ، ط١ ، اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص ١٣٨.

[٨٠] نزار توفيق سلطان الحسو ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩

[٨١] المصدر نفسه ، ص ٢١١.

[٨٢] خطاب العاني ، جغرافية العراق الزراعية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٧٢، ص ٤٧. ٤٨.

[٨٣] وليم وليكوكس (١٨٥٢ـ ١٩٣٢) : ولد في الهند عام ١٨٥٢، تلقى دراسته في كلية روكي في الهند وقضى مايزيد على احدى عشر عاماً بين عامي ١٨٧٢ـ ١٨٨٣ في مزاولة هندسة الري فكتسب خبرة وحاز على ثقة الأوساط العلمية ، استعانت الحكومة العثمانية ببعض الخبراء الاجانب ، وكان منهم وليم وليكوكس للعمل في الأستانة مشاوراً فنياً لها ، ثم أوفدته الحكومة العثمانية الى مصر لتنظيم شؤون الري فيها بين عامي (١٨٨٣. ١٨٩٧)، وبين عامي (١٨٩٨. ١٩٠٢) وضع تصميم خزان أسوان أشرف على انشائه ، واما في العراق فقد كان له دوراً كبيراً في وضع الخطط والوسائل ودراسات للسيطرة على مياه نهر الفرات لاسيما في انشاء سدة الهندية . أحمد سوسة ، الري الحضارة في وادي الرافدين ، ج١، مطبعة الاديب البغدادية ، ١٩٦٨، ص٢٨ـ ٢٩؛ أحمد سوسة ، تطور الري في العراق ، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٤٦، ص٧٠. ٧٢.

[٨٤] د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار ووزارة الاعمار ، مشاريع الري الكبرى ، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٥٦، ص٦.٥.

[٨٥] د.ك.و، الحكومة العراقية مجلس الاعمار ، أعمار العراق ، مطبعة العاني ، ١٩٥٣، ص ١٣– ١٤.

[٨٦] د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار، أعمار العراق "اسبوع الاعمار الثاني آذار ١٩٥٧" ، د.م ، د.ت، ص ١٦.

[٨٧] د.ك.و ، الحكومة العراقية ، مشاريع الري الكبرى ، المصدر السابق ، ص٨ ؛ ماجد السيد ولي محمد، منخفض الثرثار ومشاريع التنمية ذات العلاقة به، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص٤٥–٤٧.

[٨٨] د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، نشرة مجلس الاعمار ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٦، ص ٧ ؛ د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، اسبوع الاعمار الثالث ١٩٥٨، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ، د.ت، ص ١٦.

[٨٩] د.ك.و ، الحكومة العراقية ، مشاريع الري الكبرى ، المصدر السابق ، ص١٣ ؛ فيصل كشمولة ، المصدر السابق، ص٣٧.

[٩٠] د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، مشاريع الري الكبرى ، المصدر السابق ، ص ١٥ـ١٦ ؛ د.ك.و، الحكومة العراقية ، مجلس الاعمار ، مشروع خزان دوكان ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٥٥، ص ٤ـ ٦ ؛ فيصل كشمولة ، المصدر السابق ، ص ٣٩؛ عباس فاضل السعدي ،

جغرافية العراق (اطارها الطبيعي . نشاطها الاقتصادي – جانبها البشري) ، ط١ ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بغداد ، ٢٠٠٩، ص ١٢٤.

(٩١) د.ك.و، مجلس الاعمار و وزارة الاعمار ، مشاريع الري الكبرى ، المصدر السابق ، ص ١٦– ١٧.

(٩٢) احمد عبد الباقي ، ميزانية الدولة العراقية تحضيرها وتحليلها ، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٤٧، ص ٦.

(٩٣) زينة مسلم درويش ، المصدر السابق ، ص ١٠٢.

(٩٤) الحكومة العراقية ، وزارة المالية ، التقرير السنوي لمديرية المحاسبات العامة عن حسابات الدولة العراقية لسنة ١٩٥٣ المالية ، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٥٦، ص١٥٣.

(٩٥) الحكومة العراقية ، وزارة المالية ، التقرير السنوي لمديرية المحاسبات العامة عن حسابات الدولة العراقية لسنة ١٩٥٤ المالية ، مطبعة الحكومة، بغداد ، ١٩٥٧، ص١٢٣.

(٩٦) الحكومة العراقية ، وزارة المالية ، التقرير السنوي لمديرية المحاسبات العامة عن حسابات الدولة العراقية لسنة ١٩٥٥المالية ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٥٨، ص١٢٦.

(٩٧)الجمهورية العراقية ، وزارة المالية ، مديرية المحاسبات العامة ، التقرير السنوي عن حسابات الدولة العراقية لسنة ١٩٥٦ المالية ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٦١، ص١٦٥.

(٩٨)الجمهورية العراقية ، وزارة المالية ، مديرية المحاسبات العامة ، التقرير السنوي عن حسابات الدولة العراقية لسنة ١٩٥٧ المالية ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٦١، ص١٢١.

(٩٩) الجمهورية العراقية ، وزارة المالية ، مديرية المحاسبات العامة ، التقرير السنوي عن حسابات الدولة العراقية لسنة ١٩٥٨ المالية ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٦٢، ص٤٦.

سوابق ولواحق الضمائر الشخصية للفعل الكامل لنصوص اقتصاديه من سلالة أور الثالثة

أ.م.د. سجى مؤيد عبد اللطيف
علي عزاوي أحمد

سوابق ولواحق الضمائر الشخصية للفعل الكامل لنصوص اقتصاديه من سلالة أور الثالثة

أ.م.د. سجى مؤيد عبد اللطيف
علي عزاوي أحمد

يقسم باحثون اللغة السومرية الفعل[١] الى نوعين (الفعل الكامل و الفعل الناقص)[٢], والفعل الكامل هو الفعل الذي يتكون من سلسلة من سوابق (الحال والتصريف والحالة وسوابق الضمير) , وسلسلة من لواحق (لاحقة الحاضر ed ولواحق الضمير واللاحقة a وحروف الجر), والفعل الكامل بدوره ينقسم الى الفعل اللازم[٣] , والفعل المتعدي[٤], والجدول الآتي يبين تنظيم سوابق ولواحق عبارة الفعل الكامل :

حروف الجر	اللاحقه a	لاحقة الحاضر	لواحق الضمير	جذر الفعل	سوابق الضمير	سوابق الحالة	أدوات الجملة الفعلية أو سوابق التصريف	سوابق الحال أو السوابق الشكلية

أن سوابق ولواحق (الضمائر الشخصية) في العبارة الفعلية أدت دوراً مهماً في النصوص الاقتصادية لسلالة أور الثالثة, التي تستعمل لتحديد زمن الأشخاص ويمكن الإشارة في هذا البحث الى السوابق واللواحق الشخصية التي استعملت في نصوص سلالة اور الثالثة.

السوابق الشخصية :

وهي الحشوات التي نجدها دائماً قبل جذر الفعل[٥] أي سابقة للجذر الفعلي, وتشمل ١- ضمير الفاعل في الفعل التام[٦](ماضي) ٢- حشوات المفعول به في الفعل غير التام (مضارع) .

وهي كالآتي:

الضمائر الشخصية	سوابق ضمير الفاعل[٧]	سوابق ضمير المفعول به[٨]
الشخص الأول المفرد	∅	- en -
الشخص الثاني المفرد	-e-	- en-
الشخص الثالث المفرد العاقل	-n-	- n -
الشخص الثالث المفرد لغير العاقل	-b-	- b-
الشخص الثالث الجمع	éš - جذر الفعل n	/

١. تأتي ضمائر الفاعل سابقة لجذر الفعل وتشمل السوابق في الفعل التام , وهناك اختلاف في آراء الباحثين في ضمائر الجمع فهناك اعتقاد بأن الشخص الأول الجمع يمثل me والشخص الثاني الجمع -e-ene[٩] , وهناك عدد من الباحثين من ينفي ظهور ضمائر الشخص الأول والثاني الجمع[١٠].

عبارة الفعل المتعدي للزمن الماضي كالآتي:

جذر الفعل ← ضمير الفاعل ← سابقة تصريف

مثال:

mu-un-dù < mu-n-dù بنى

أتت حشوه ضمير الفاعل n للشخص الثالث المفرد العاقل سابقة لجذر الفعل dù بمعنى "بنى" وهو فعل تام.

٢. أمّا حشوات المفعول به في الفعل غير التام فأنها تأتي أيضاً سابقة لجذر الفعل. وهي كالاتي:

جذر الفعل ← ضمير المفعول به ← سابقة تصريف

السوابق :

أ. حشوة الشخص الأول المفرد:

إنّ حشوة ضمير الفاعل للشخص الأول لجذر فعل التام لا يعبر عنها بحشوه في عصر أور ألثالثة وكذلك في باقي العصور, وليس لها أي تأثير على العلامات المجاورة , ويرمز له بعلامه ∅ ومعناها الحاله المطلقة (أي لاتوجد علامة تمثله) أو يرمز له بعلامة الاستفهام ؟ [١١],وعبر كذلك عن الشخص الأول المفرد بضمير الشخص الأول gá-e ولكننا لم نجد لها استعمالاً في عصر أور الثالثة , وربما ترد لدينا في المستقبل*.

مثال:

$in\text{-}na\text{-}du_{11}$ < ì-na-∅-du_{11}.g (SAT 1 No.344)

قلت له

نشاهد في هذا المثال عدم وجود حشوه للتعبير عن ضمير الشخص الأول المفرد.

ب. حشوة -e- :

تعبر الحشوة e للشخص الثاني المفرد عن ضمير الفاعل للفعل المتعدي لجذر الفعل التام , وفي عصر سلالة أور الثالثة استعملت الحشوة في نصوص الرسائل ونصوص القوانين ولكن استعمالها في النصوص الاقتصادية كان بشكل قليل جدا , وكانت السابقة e تختفي في العصور المبكرة إذ إن صوت العلة الطويل كان يهمل في التهجي , ولكن في عصر كوديا بدأ الكاتب السومري يهتم بظهورها متماثله صوتياً[١٢]مع الصوت السابق لها , مثل ظهورها بالشكل a بعد حشوة ra للشخص الأول المفرد /a/ [١٣]كما في المثال الآتي:

$ma\text{-}a\text{-}du_{11}$ < $mu\text{-}a\text{-}e\text{-}du_{11}$.g (Cyl A 2:13)

تحدثت معي

نلاحظ أنّ سابقة الشخص الثاني المفرد e في عصر كوديا قد ظهرتa نتيجة للتماثل الصوتي المشار اليه أنفاً, و جذر الفعل du_{11} الذي أتى بمعنى "تحدث" وهو فعل تام .

اما في نصوص العصر البابلي القديم فبدأت الحشوة /e/ تظهر بصورة واضحة, وفي عصر سلالة اور الثالثة كان يعبر عن الحشوة بالصوت /a/ الذي يمثل به ضمير الشخص الثاني [١٤].

ù-na-a-du_{11} < ù-(ì-)na-e-du_{11}.g (AUCT 3 No.76;BPOA 1 No.563)

هكذا قلت (انت) له

ظهرت سابقة الشخص الثاني المفرد بصيغة a في عصر سلالة اور الثالثة التي تتحول الى حشوة e ضمير الشخص الثاني المفرد.

ج. حشوة -n- :

نجد حشوه ضمير الفاعل n قد ظهرت بصورة واضحة في النصوص الاقتصادية لعصر أور الثالثة , أما في عصر السومري القديم فإنّ ظهورها كان قليلاً وبشكل مقاطع صوتية[١٥].

وتظهر في: المواضع الآتية:

١. للتعبير عن حشوه ضمير الفاعل للشخص الثالث العاقل للفعل التام , وهذه حالة ليست سهلة فهناك جمل فعلية سومرية تكون خالية من السابقة وعند استعمال السابقة يحتاج الى توافق قواعدي فضلاً عن توافق المعنى [١٦].

مثال:

nu-sa_{10} bí-du_{11}< bi-(n-) du_{11}.g (AnOr 7 No.321)

وقال (انه) لم يشترِ له

نلاحظ في هذه الجملة عدم استعمال اي حشوة للتعبير عن الضمير, ولكن عند استعمال السابقة n للشخص الثالث المفرد بحسب سياق النص اصبح مفهوماً ليأتي مع جذر الفعل du_{11} بمعنى "قال" وهو جذر فعل تام.

ba-an-ak< ba-n-ak (UET 3 No.1145)

صنع

نلاحظ هنا ظهور ضمير الفاعل n للشخص الثالث المفرد في المثال اعلاه قبل جذر الفعل ak الذي جاء بصيغة الفعل التام بمعنى "صنع".

ba-an-dab_5 < ba-n-dab_5 (BPOA 1 No.697)

قبض

ورد ضمير الفاعل n للشخص الثالث المفرد قبل جذر الفعل dab_5 بمعنى"قبض" وهو فعل تام متعدي.

٢. تأتي n كحشوه ضمير الفاعل للشخص الثالث الجمع, وهناك اختلاف حول ضمير الشخص الثالث الجمع على أنّ الضمير أمّا أن يأتي a - (e) ne ..... e أو n ..... éš[١٧]، أو يكون الضمير في هذا الشكل ene - éš ..... n [١٨].

أمثلة:

bí-in-ak-éš< bí-n-ak-éš (BPOA 1 No.563)

صنعوا

ظهر ضمير الفاعل للشخص الثالث الجمع n....éš للزمن الماضي في هذا المثال مع الجذر الفعلي ak ومعناه "صنع" وهو فعل متعدي تام.

ì-dab_5-éš < ì-(n)-dab_5-éš (Nisaba 6 No.26 Obv: 2:29)

قبضوا

نلاحظ في هذا المثال عدم ظهور سابقة الجمع n وهذا شيءٍ وارد في العبارة السومرية وجاء جذر الفعل dab_5 بمعنى "قبضوا" وهو فعل متعدي تام.

٣. تمثل السابقة n حشوة ضمير المفعول بة لجذر الفعل غير التام , ولكننا لم نجد مثال لهذه الحالة في النصوص الاقتصادية لعصر سلالة أور الثالثة .

د. حشوة -b- :

تمثل السابقة b ضميراً للشخص الثالث غير العاقل, وفي نصوص عصر سلالة أور الثالثة يظهر ضمير الفاعل b بشكل íb نتيجة تأثره بسابقة التصريف i الذي ينتج من إلصاقه بحرف العلة i [١٩], ولكن هذا لا ينطبق على نصوص سلالة أور الثالثة جميعها.

وتظهر حشوه b في:

١. تمثل ضمير الفاعل للشخص الثالث غير العاقل من الفعل التام .

šu ba-ab-ti < šu ba-b-ti

استلمها

ظهرت حشوة ضمير الفاعل b للشخص الثالث المفرد لغير العاقل سابقة لجذر الفعل المركب šu…ti بمعنى "استلم" وهو فعل تام.

٢. تمثل السابقة b ضمير المفعول به للفعل غير التام للشخص الثالث المفرد غير العاقل, أما استعماله بصوره واضحة فقد ظهر في النصوص القضائية للعصر

السومري الحديث, وقبل ذلك لا يمكن تمييزه لإهماله في الكتابه[٢٠], أمَّا استعماله في النصوص الاقتصادية لعصر سلالة أور الثالثة فقد ظهر بصورة واضحة معبراً عن حشوة ضمير المفعول بة.

مثال:

mu má-dàra-abzu ba-ab-du_8 < ba-b-du_8 (BIN 3 No.222; AUCT 3 No.201)

في السنة التي زفتت سفينة مادارا آبزو

أتى ضمير المفعول به بشكل ab الناتج من الصاق ضمير المفعول به b بسابقة التصريف ba, وجذر الفعل dab_5 ومعناه "زفت" وهو فعل تام.

اللواحق الشخصية:

وهي اللواحق التي تلحق جذر الفعل, معبراً عن الضمائر التي تمثل ١- لواحق ضمير الفاعل في الفعل اللازم ٢- لواحق ضمير الفاعل في الفعل غير التام(مضارع) ٣- لواحق ضمير المفعول به في فعل التام(ماضي).

وتشمل اللواحق على وفق الجدول الآتي[٢١]:

الضمائر الشخصية	لواحق الفعل اللازم	لواحق ضمير الفاعل للفعل غير التام	لواحق ضمير المفعول به للفعل التام
الشخص الأول المفرد	en	e (n)	e (n)
الشخص الثاني المفرد	en	e (n)	e (n)
الشخص الثالث المفرد	∅ (لاتوجد علامة	e	–

	تمثله)		
الشخص الأول الجمع	enden	enden	enden
الشخص الثاني الجمع	enzen	enzen	enzen
الشخص الثالث الجمع	éš	ene	–

١. ضمائر الفاعل في الفعل اللازم التي تأتي مع الفعل التام والفعل غير التام, للتعبير عن الأشخاص عدا الشخص الثالث المفرد الذي لا يوجد ضمير يمثله. فتصبح جملة الفعل اللازم على النحو الآتي:

ضمير الفاعل ← جذر الفعل ← أداة الجملة الفعلية

مثال:

أنا ذهبت ì-gin-en

ويذكر عدد من الباحثين أنّ صيغة المبني للمجهول تمثل صيغة فعل لازم لأنّ صيغة المبني للمجهول غير واضحة في اللغة السومرية , ويرى عدد آخر من الباحثين أن اللغة السومرية لاتحتوِ على صيغة المبني للمجهول [٢٢].

اختلف الباحثون في تحديد زمن الفعل اللازم فمنهم من يعتقد أنه غير محدد بزمن والفعل التام وغير التام يحدد من خلال المعنى العام للجملة السومرية[٢٣], ومنهم من يعتقد بأنّه محدد الزمن ، ودليلهم إمكانية التمييز بين الفعل التام والفعل غير التام من خلال جذور بعض الأفعال[٢٤] مثل الفعل " تكلم " الذي ظهر في الماضي $du_{11}.g$ وفي المضارع بالصيغة e.

مثال:

قال الرجل lú mu-du_{11}

يقول الرجل lú ì-e

بالرغم من أنّ لواحق الفعل اللازم في الفعل التام وغير التام متشابهة ولا يمكن تميز الفعل الماضي عن الحاضر, غير ان هناك من الباحثين من ميزها عن طريق اللاحقة ed[٢٥] التي تميز الفعل الماضي عن الحاضر, وذلك وفق الجدول الآتي [٢٦] :

الضمائر الشخصية	لواحق فعل التام	لواحق فعل غير التام
الشخص الأول المتكلم	en	ed–en
الشخص الثاني المفرد	en	ed–en
الشخص الثالث المفرد	∅	ed–∅
الشخص الأول الجمع	enden	ed–enden
الشخص الثاني الجمع	enzen	ed–enzen
الشخص الثالث الجمع	éš	ed–éš

ضمير الفاعل→ed → جذر الفعل → سابقة تصريف

من خلال هذا الجدول نرى اللاحقة ed تأتي بعد جذر الفعل السومري ثم يأتي بعدها ضمير الفاعل للفعل اللازم في زمن الفعل غير التام , وهذا الاستعمال كان واضحا في نصوص عصر سلالة أور الثالثة.

أمثلة :

nu-ub-gi_4-gi_4-dè-éš < nu (ì-)b-gi_4-gi_4-ed-éš (NATN No.131)

لن يتراجعوا عنه

نلاحظ في هذا المثال أن اللاحقة ed اتت بعد جذر الفعل gi_4[٢٧] الذي معناه "رجع" وهو جذر فعل متعدي غير تام, أمّا éš فقد ظهرت لتعبر عن ضمير الفعل اللازم للشخص الثالث الجمع.

٢. عبارة الفعل المتعدي للفعل غير التام تصبح على النحو الآتي:

ضمير الفاعل ← جذر الفعل ← سابقة تصريف

مثال:

ì-na-ak-ke_4 < ì-na-ak-e (RIME 3/2 p.67)

يقتل

يلاحظ في هذا المثال أن اللاحقة e أتت للتعبير عن الشخص الثالث المفرد بعد جذر الفعل ak الذي جاء في الجملة بمعنى"يقتل" وهو فعل متعدي غير تام.

٣. لواحق المفعول به في الفعل التام فإن وجودها ضمن الفعل يشير الى نوعية المفعول به المستعمل في الجملة السومرية[٢٨]. فتصبح جملة المفعول به على النحو الآتي:

ضمير المفعول به ← جذر الفعل ← سابقة تصريف

اللواحق:

أ. اللاحقة en :

تأتي اللاحقة en مع ضمير الشخص الأول المفرد وضمير الشخص الثاني المفرد , وهناك صعوبة في تمييز استعمال لاحقة الشخص الأول عن الثاني المفرد في نصوص أور الثالثة ويمكن تميزها فقط من خلال المعنى العام للنص.

وتظهر اللاحقة en في المواقع الاتية:

١. ظهرت اللاحقة en مع الفعل اللازم كضمير فاعل في الفعل التام والفعل غير التام في نصوص عصر السومري الحديث, ولم تظهر في نصوص عصر السومري

القديم[٢٩], وذلك لعدم اكتمال ونضوج النظام الكتابي لذلك العصر ، لاسيما كتابة الادوات القواعدية, ولكنها جاءت بصورة واضحة في عصر سلالة أور الثالثة ولاسيما في النصوص القضائية منه.

ba-an-zi-gin$_7$< ba-n-zi.g-en (TCTI 1No.950: Rev 1:19)

أنا اعلوه / أنت تعلوه

نلاحظ في هذه الجملة ورود اللاحقة en بعد جذر الفعل zi.g بمعنى "علو, ارتفاع" وهو فعل غير تام.

٢. تمثل اللاحقة en في الفعل اللازم ضمير الفاعل للفعل التام و غير التام للشخص ألأول والثاني المفرد.

u$_4$ ba-zàḫ-dè-na-gá < u$_4$ ba-zàḫ-ed-en-a gu-a (BE 3/1 No.1)

في اليوم الذي أنا سأهرب

نلاحظ في هذا ألمثال ظهور اللاحقة en بعد اللاحقة ed و جذر الفعل zàḫ يمثل فعل لازم بمعنى "هرب".

٣. تأتي en بشكل لاحقة لضمير المفعول به في فعل التام بعد جذر الفعل للشخص الأول والثاني المفرد, ولكننا لم نعثر على امثلة لهذه الحالة في نصوص سلالة أور الثالثة ولاسيما الاقتصادية.

ب. اللاحقة e :

تستعمل لاحقة e للدلالة على ضمير الفاعل غير التام للشخص الثالث المفرد.

مثال:

ba-gi-né < ba-gi.n-e (MVN 7 No.583)

يسير

نلاحظ ظهور لاحقة الشخص الثالث المفرد للتعبير عن الفعل غير التام قبل جذر الفعل gi.n الذي اتى بمعنى "يسير أو يذهب".

- أما في الفعل اللازم فليس هناك لاحقة تمثل الشخص الثالث المفرد العاقل فيرمز له بـعلامة(∅ أو ؟).

مثال:

mu ḫa-ar-ši^{ki} ba-ḫul < ba-ḫul -∅ (UET 3 No.296, SAT 2 No.614)
السنة (التي) دمرت (فيها) مدينة خاآرشي
نشاهد في هذا المثال عدم وجود لاحقة الشخص الثالث المفرد للفعل اللازم التي يرمز لها بـ ∅.

ج. اللاحقة enden :

تستعمل اللاحقة enden لضمير الشخص الأول, وقد ظهر هذا الضمير في عصر السومري الحديث [٣٠], وتكتب اللاحقة بشكل (e- dè-en, en-dè-en, , (e)den, (e)nden, dè-en)[٣١], وكان استعمال اللاحقة في نصوص الاقتصادية لعصر سلالة اور الثالثة بصورة قليلة جداً.

وتأتي اللاحقة مع :
١. ضمير الفاعل للفعل اللازم للفعل التام والفعل غير التام, ولكننا لم نعثر في النصوص الاقتصادية على استعمال هذه اللاحقة.
٢. تظهر اللاحقة enden مع ضمير الفاعل للشخص الأول الجمع للفعل غير التام للفعل المتعدي, وكان استعمالها قليلٌ أيضا.
مثال:

in-da-du-dè-en < ì-n-da-du-(en)den (MVN 11 No.185)
نسير معه
وردت اللاحقة enden بشكل dè-en اذا سبقها حرف علة, و جذر الفعل du الذي جاء بمعنى "نسير" وهو فعل متعدي غير تام.

ba-ra-ba-zàh-dè-en< bara-ba-zàh-(en)den (BE 3/1 No.4)
لن نهرب
ظهرت لاحقة الجمع للشخص الأول الجمع enden بعد جذر الفعل zàh بمعنى "نهرب" ليصبح الفعل غير تام للزمن الحاضر.

٣. كما تظهر اللاحقة enden مع ضمير المفعول به في الفعل المتعدي التام, و لم نجد مثال لهذه الحالة.

د. اللاحقة enzen :

تعبر اللاحقة enzen عن ضمير الشخص الثاني الجمع, وترد بطرق مختلفة في النصوص بشكل e-zé-en, en-zé-en, zé-en, أما اذا سبقها حرف علة فإنّها تتماثل صوتياً مع الصوت الذي يسبقها un-zé-en [٣٢], ولكن استعمالها في نصوص الاقتصادية لعصر أور الثالثة لم يكن واضحا , ولم نجد امثله لهذه اللاحقة.

و تأتي اللاحقة في المواضع الآتية :

١. ضمير الفاعل للفعل اللازم للفعل التام وغير التام.

٢. للتعبير عن ضمير الفاعل للفعل المتعدي غير التام.

٣. تعبر اللاحقة enzen عن ضمير المفعول به للفعل المتعدي التام.

هـ. اللاحقة éš :

تمثل اللاحقة éš ضمير الشخص الثالث الجمع في نصوص عصر أور الثالثة, وقد كان استعمالها واضحاً في النصوص الاقتصادية.

وتعبر عن:

١. ضمير الفاعل للفعل اللازم للزمن الماضي من الفعل التام وزمن المضارع من الفعل غير التام, وقد ظهرت هذه اللاحقة في عصر السومري الحديث , واستعملت في نصوص الاقتصادية لعصر أور الثالثة.

مثال:

nu-ub-gi_4-gi_4-dè-éš < nu-b-gi_4- gi_4-ed-éš (NATN No.131)

لن يتراجعوا عنه

أتت اللاحقة éš بعد لاحقة الحاضر ed ,وجاء جذر الفعل اللازم gi_4 بصيغة الفعل غير تام بمعنى "رجع" .

٢. ضمير الفاعل للفعل المتعدي للشخص الثالث الجمع , أذ استعملت بشكلين الاول n.....éš والشكل الثاني استعمال اللاحقة éš فقط بدون حشوة n التي تسبق جذر الفعل .

مثال:

ì-na-an-de$_6$-éš < ì-na-n-de$_6$-éš (UTI 6 No.3800 Obv 3:31)
جلبوا

نلاحظ في هذا المثال ظهور لاحقة ضمير الفاعل بشكل n....éš لتعبر عن ضمير الفاعل للشخص الثالث الجمع واتى جذر الفعل de$_6$ من الصنف المكمل للفعل المتعدي التام بمعنى "جلب".

و. اللاحقة ene :

تستعمل اللاحقة ene لضمير فاعل الشخص الثالث الجمع للفعل المتعدي غير التام, وقد استعملت اللاحقة بصورة واضحة في النصوص الاقتصادية لعصر اور الثالثة ولكن استعمالها كان اوسع في الجملة الاسمية .

مثال:

íb-gi-né-ne < ì-b-gi.n-ene (UET 3 No.11)
سيثبتوا/ سيثبتوه
أتت اللاحقة ene بعد جذر الفعل gin بمعنى "ثبت" ,وهو جذر فعل متعدي تام.

الخلاصة:

يتبين لنا من خلال دراسة سوابق ولواحق الضمائر الشخصية مايلي:

١. هناك بعض من عناصر قواعد الفعل السومري لم تظهر بصورة واضحة ولم نجد لها امثلة في سلالة اور الثالثة ولاسيما الاقتصادية , ولكن ربما تظهر لدينا في المستقبل مثل لاحقة en لضمير المفعول به في فعل التام بعد جذر الفعل للشخص الأول والثاني المفرد , وضمير الفاعل للفعل اللازم لفعل التام وفعل غير التام للاحقة enden , و ضمير المفعول به في الفعل المتعدي التام أيضا للاحقة

enden , و ضمير الفاعل للفعل اللازم للفعل التام وغير التام , وضمير المفعول به للفعل المتعدي التام للاحقة enzen .

٢. هناك صعوبة كبيره في تمييز السوابق الشخصية (حشوات ضمير الفاعل في الفعل التام وحشوات ضمير المفعول به في الفعل غير التام) التي نستطيع فقط ان نميزها من خلال دراسة النص السومري بتأني وتمعن .

٣ . هناك بعض الاختلاف لدى الباحثين في اللغة السومرية لسوابق الضمائر الشخصية.

الهوامش :

١. الفعل: كلمه دالة على حدث مقترن بزمن معين. ينظر:
الطائي, عبد العزيز قاسم محمد, مبادئ اللغة العربية قواعد وأحكام علمي النحو والصرف , بيروت, ٢٠١٣, ص٢٦٦.

٢. الفعل الناقص: وهي الصيغة الفعلية التي يتقتصر ورودها على جذر الفعل مع بعض اللواحق التي يحُدد فيها زمن الفعل, وتكون مختلفة عن السلسلة الفعلية التي ترتبط بالفعل الكامل. ينظر:

Thomesn, M., The Sumerian Language , Copenhagen, 1984, p.254; Edzard, D,.Sumerian Grammar, Berlin, 2003, p130.

٣. الفعل اللازم : وهو الفعل الذي يكتفي بالفاعل ولا يتعدى الى المفعول به. ينظر:
السامرائي , أبراهيم , الفعل زمانه وأبنيته , الطبعة الثالثة , بيروت , ١٩٨٣, ص٨٢ .

٤. الفعل المتعدي: هو ما يتعدى أثره فاعله ويتجاوزه إلى المفعول به. ينظر :

الغلاييني ،مصطفى، جامع الدروس العربية ، ج١ ، الطبعة ٢٨, بيروت, ١٩٩٣, ص٣٤.

5. Jagersma, A.H., A Descriptive Grammar of Sumerian, Doctoral thesis, Leiden University, 2010, p.327.

٦. سوف نقوم في هذا البحث في استعمال الفعل التام (ماضي) والفعل غير تام (مضارع) بدلاً من صيغة خمطو ومارو لتحديد زمن الفعل, وهذا المصطلح قد استعمل قديما للإشارة الى زمن الفعل. ينظر:

Poebel,A., "The Tenses of the on Transitive Verb in Sumerian",(AJSL/ 50, 1934, p.143-150; Jagersma, A.H, Op. Cit, p.359.

7. Kienast , B., " Probleme der Sumerischen Grammatik" , ASJ,vol.2, 1980, p.58.
8. Falkenstein, A., "Das Sumerische", HdOr, Leiden, 1959, p.47.
9. Falkenstein, A., "Grammatik der Sprache Gudea Von Lagaš" , AnOr, vol.28, Roma, 1978, p.194.
10. Poebel, A., Grundzüge der Sumerischen Grammatik , Rostock, 1923, p173; Falkenstein, A., 1959, p.44; Kienast , B., Op. Cit, p.58.
11. Thomesn ,M., Op. Cit, p.148; Jagersma, A.H., Op. Cit, p.337.
* هنالك ضمائر شخصية منفصلة استعملت للتعبير للأشخاص المفرد والجمع , ولكننا لم نجد لها اي استعمال في نصوص سلالة أور الثالثة. للمزيد ينظر:
Kienast , B., Op. Cit, p.52; Hayes, J., 1999, p.18.

١٢. التماثل الصوتي : وهو نوع من التجانس الصوتي بين صوتين متجاورين حيث يقوم احدهما بالتحول الى صوت جديد يشابه الآخر نتيجة التأثر به. للمزيد ينظر :
Thomesn ,M., Op. Cit, p.40; Jagersma, A.H., Op. Cit, p.12ff.
13. Jagersma, A.H., Op. Cit, p.334.
14. Falkenstein, A., , AnOr, vol.28, p.159.
15. Jagersma, A.H., Op. Cit, p.332-334.
16. Yoshikawa, M., "Focalization in Sumerian Verbs", ASJ, vol,13, 1991, p.389.
17. Falkenstein, A., AnOr, vol.28, p.159.
18. Poebel, A., Op. Cit, p.173; Kienast , B., Op. Cit, p.58; Jagersma, A.H., Op. Cit, p.352.
19. Jagersma, A.H., Op. Cit, p.331.
٢٠. عبد اللطيف, سجى مؤيد, قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لكش الأولى, أطروحة دكتوراه غير منشورة, جامعة بغداد, كلية الآداب, ٢٠٠٤, ص ٢١٥.
21. Zólyomi, G., Sumerisch[1], Sprachen des Alten Orients, Wissenschaftliche Buchgesellschaft., 2005, p.28; Darmstadt, Edzard, D.,Op. Cit, p. 81,82. ; Jagersma, A.H., Op. Cit, p.343.
22. Hayes, J., A Manual of Sumerian Grammar and Texts , Malibu, 2000, p.228-229.
23. Thomesn ,M., Op. Cit, p.141f.
24. Edzard, D., Op. Cit, p.81-82; Thomesn ,M., Op. Cit, p.119.

٢٥. ed: هي لاحقة الحاضر التي تستعمل مع الفعل اللازم والفعل الكامل وتستعمل أيضا مع الفعل الناقص وتودي معنى الحاضر ويكون موقعها بعد جذر الفعل . ينظر:
Poebel, A., 1934, p.153-154.
26. Ibid, p.153; Jagersma, A.H., Op. Cit, p.370.
٢٧. جاء جذر الفعل gi_4 غير تام من الصنف المكرر بشكل كامل بمعنى (ارجع او ارسل) . للمزيد ينظر :
Krecher, J., "Die Maru- Formen des Sumerischen Verbums", (AOAT 240), 1995, p.152f; Hayes, J., "Sumerian" LW/ M 68, Müenchen, 1999, p.24.
٢٨. رشيد, فوزي, قواعد اللغة السومرية, سوريا, ٢٠٠٩, ص ١١٠.
٢٩. عبد اللطيف, سجى مؤيد, المصدر السابق, ص ٢٢٢.
30. Thomesn ,M., Op. Cit, p.153.
٣١. عبد اللطيف, سجى مؤيد, المصدر السابق, ص ٢٢٦.
32. Falkenstein, A., AnOr, vol.28, p.237-240.

مختصرات المصادر والمجلات العلمية:

المختصر	المصدر
AJSL	American Journal of Semitic Languages and Literatures,(Chicago, 1895- 1941).
AnOr	Analecta Orientalia , (Rome 1931ff.).
AOAT/ AOATS	Alter Orient und Altes Testament (Neukirchen-Vluyn 1969ff.)S= Sonderreihe (1971ff.).
ASJ	Acta Sumerologica , Hiroshima , (Japan,1979ff.).
AUCT	Andrews University Cuneiform Texts , (Berriens Springs, Michigan, 1984 ff.).
BE	Babylonian Expendition of the University of Pennsylvania, (Philadelphia, 1893ff.).

BIN	Babylonian Inscriptions in The Collection of James ,B., Nies , (New Haven, 1917 ff.).
BPOA	Biblioteca des Próximo Oriente Antiguo, (Madrid, 2006ff.).
Cyl	Inscriptions of Gudea on cylinders. Edition: Edzard, D,O. Gudea and his dynasty (RIM E3/1) (Toronto, 1997).
HdOr	Handbuch der Orientalistik, (Leiden, 1948 ff.); Erg.Bd. (1955 ff.)
LW/ M	Languages of the World/Materials, (Müenchen, 1997).
MVN	Materiali per il Vocabolario Neo sumerico,(Roma, 1974 ff.).
NATN	Owen,D,I.,Neo-Sumerian Archival Texts primarily from Nippur (Winona Lake, 1982).
Nisaba	Studi Assiriologici Messinesi, (Messina, 2002ff.).
RIME	The Royal Inscriptions of Mesopotamia Early Period, (Toronto, 1990ff).
SAT	Sigrist , M., Sumerian Archival Texts,(1993,2000).
TCTI	Lafont, B., &Yildiz, F.,Tablettes cunéiformes de Tello au Musée d'Istanbul datant de l'époque de la IIIe dynastie d'Ur (Leiden, 1989ff.).
UET	Ur Excavation Texts, (London, 1928 ff).
UTI 6	Yildiz, F. & Gomi,T **(aka Umma Ist. 6, UTAMI 6)** Die Umma-Texte aus den Archäologischen Museen zu Istanbul, III(1993-2000).

المصادر العربية:

١. **رشيد, فوزي**, قواعد اللغة السومرية, سوريا, ٢٠٠٩.

٢. **السامرائي , أبراهيم**, الفعل زمانه وأبنيته , الطبعة الثالثة, بيروت , ١٩٨٣.

٣. **الطائي, عبد العزيز قاسم محمد**, مبادئ اللغة العربية قواعد وأحكام علمي النحو والصرف , بيروت, ٢٠١٣.

٤. **عبد اللطيف, سجى مؤيد**, قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة لكش الأولى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٤.

٥. **الغلاييني ،مصطفى**, جامع الدروس العربية ، الجزء١ ،الطبعة ٢٨, بيروت, ١٩٩٣.

المصادر الأجنبية :

1. Al - Rawi , F., & D'Agostin , F., Neo - Sumerian Administrative Texts from Umma , (Nisaba/6) , 2005.

2. Edzard, D., Sumerian Grammar, Berlin, 2003.

3.Edzard, D,O., Gudea and his dynasty (RIM E3/1) Toronto ,1997.

4. Falkenstein, A.,"Das Sumerische", HdOr , Leiden, 1959.

5. Falkenstein, A., Grammatik der Sprache Gudea Von Lagaš , (AnOr/28), Roma, 1978.

6. Frayne , D. , Ur III Period (2112 - 2004 B.C) , (RIME 3/2) , London, 1997.

7. Genouillac, H.DE., Textes de I'époque d'Ur, (ITT/3), Paris, 1912.

8. Hayes, J., "Sumerian" LW/ M 68, Müenchen, 1999.

9. Hayes, J., A Manual of Sumerian Grammar and Texts , Malibu, 2000.

10. Jagersma, A.H., A Descriptive Grammar of Sumerian, Doctoral

11. Keiser, C.E., Neo Sumerian Accounts Text from Drehem, (BIN-3), New Haven& London, 1971.

12. Kienast , B.y“ Probleme der Sumerischen Grammatik" , ASJ, vol.2, 1980, 52-66.
13. Krecher, J., Die Maru- Formen des Sumerischen Verbums", (AOAT 240), 1995,141-200.
14. Lafont , B., & Yildiz , F., Tabletes Cunéiformes De Tello As Musée D Istanbul Datant de I’époque de la III , Dynastie d Ur , (TCTI/1) , Belgium , 1989.
15. Legrain, L., Business Documents of The Third Dynasty of Ur ,(UET-III), London, 1947.
16. Myhrman, D,W., Sumerian Administrative Documents, (BE 3/1), Philadelphia, 1910.
17. Owen, D., The John Fredrick Lewis Collection, (MVN/3), Roma, 1975.
18. Owen , D.I., Neo-Sumerian Archival Texts Primarily From Nippur In The University Museum The Oriental Institute And The Iraqi Museum , (NATN) , Indiana, 1982 .
19. Owen, D., Selected Ur III Texts from the Harward Semitic Museum, (MVN/11), Roma, 1982.
20. Ozaki, T., & Sigrist, M., Ur III Administrative Tablets From The British Museum, (BPOA/part one), Madrid, 2006.
21. Pettinato, G,& Picchioni, S, A., Testi economici di Lagas del Museo di Istanbul, Parte II: La. 7601-8200, (MVN/7), Roma, 1978.
22. Poebel, A., Grundzüge der Sumerischen Grammatik , Rostock, 1923.
23. Poebel, A., "The Tenses of The Intrasitive Verb in Sumerian", AJSL/50, 1934, 143-170.
24. Schneider , N., Die Drehem und Djoha Texte , (AnOr/7) , Roma, 1932.
25. Sigrist, M., Neo - Sumerian Account Texts in the Horn Archaeological Museum, (AUCT/3), U.S.A, 1988.
26. Sigrist, M., Texts From The British Museum, (SAT/1), Maryland, 1993.

27. Sigrist, M., Texts From The Yale Babylonian Collections , (SAT/3), Maryland, 2000.
28. Thomesn, M., The Sumerian Language , Copenhagen, 1984.
29. Yildiz, F. & Gomi,T., Die Umma-Texte aus den Archäologischen, (UTI 6), Museen zu Istanbul, 2001.
30. Yoshikawa, M., "Focalization in Sumerian Verbs", ASJ, vol,13, 1991,389-407.
31. Zólyomi, G., Sumerisch[1], In: Michael P. Streck (ed.) Sprachen des Alten Orients, 11-43. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft. 2005.

مدينة تل العمارنة وأهميتها التاريخية

مهند جريان رشيد

جامعة بغداد

كلية الآداب – قسم التاريخ

مدينة تل العمارنة وأهميتها التاريخية

مهند جريان رشيد

المقدمة

ترجع اهمية هذه المدينة التي كانت عاصمة الفرعون امنحوتب الرابع (أخناتون), ما يعرف بأسم أخت أتون (تل العمارنة حاليا), الواقعة في محافظة أسيوط شرقي النيل, الى انها المدينة التي اكتشف فيها ذلك الأرشيف المكتوب على قوالب صغيرة باللغة البابلية والخط المسماري, وهي اللغة الدبلوماسية الدولية في الشرق الأدنى في ذلك الوقت,اذ احتوى على ثلاثمائة واثنين وثمانين رسالة , كانت هذه الرسائل تشكل أرشيفاً كاملاً لمراسلات كانت متبادلة بين حكام مصر وملوك وأمراء الشرق الأدنى القديم, اذ ألقت هذه الرسائل المهمة كثيراً من الضوء على العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية بين بلدان الشرق الأدنى القديم خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد , إذ أنها رسائل تبادلها أمنحوتب الثالث (Amenhotp III) (١٣٩٧-١٣٦٧ق.م), وولده أمنحوتب الرابع (Amenhotpe IV)(١٣٦٧-١٣٥٠ق.م) مع ملوك وأمراء الشرق الأدنى القديم.

تم تقسيم البحث الى عدة نقاط تناول في النقطة الاولى موقع المدينة , وفي النقطة الثانية تسمية المدينة , وفي النقطة الثالثة وصف المدينة , وفي النقطة الرابعة أسباب بناء المدينة, وفي النقطة الخامسة الانتقال الى المدينة , وفي النقطة السادسة سقوط المدينة , ثم انتهيت بالخلاصة .

اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر العربية والاجنبية كان من ابرزها كتابالمدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم لمؤلفة محمد بيومي مهران, وكتاب مصر القديمة السيادة العالمية والتوحيد,ج٥ ,لمؤلفة سليم حسن, فخري, احمد, مصر الفرعونية وكتاب Akhenaten the Heretic King لمؤلفة Donald Redford

مدينة تل العمارنة وأهميتها التاريخية

١- موقع المدينة

تقع مدينة أخت أتون (العمارنة حالياً) على الضفة الشرقية للنيل في منطقة تتراجع فيها الهضبة الشرقية بحيث تترك بينها وبين النهر منخفضاً في شكل نصف دائري ولا يزيد طوله على (١٠كم) , ولا يتجاوز عرضة (٥ كم) ,وتقترب الهضبة في الشمال والجنوب من حافة النهر بحيث تصبح مقفلة, وهذا يفسر سبب عدم وجود سور للمدينة وهي بهذا الشكل تقع في منتصف المسافة ما بين مدينة طيبة في الجنوب والعاصمة المصرية منف في الشمال ، والتي وتقوم الآن على أطلال هذه المدينة ثلاث قرى وهي تل العمارنة ,والحاج قنديل مركز دير مواس في محافظة المنيا، والحوطة مركز ديروط بأسيوط[١], فهي بهذا تصبح ضمن الإقليم الخامس عشر في قلب الوادي وهو إقليم الأشمونين[٢].

٢- تسمية المدينة:

تسمية المدينة في النصوص القديمة باسم (آخت آتون), لقد كتبت بعدة أشكال والتي تعني (أفق آتون), [٣], وعرفت لدى الباحثين المحدثين باسم (تل العمارنة) حيث ربطوا خطأ بين قرية التل الحالية في شمال قرية قبيلة بني عمران التي تقطن تلك الناحية منذ نحو عام ١٧٣٧م , وهذا الاسم ينقسم إلى جزءين فالجزء الأول من الاسم وهو (تل) الذي يوحي بوجود (تل) هناك بمعنى (ربوة) غير أن المكان أنما يخلو تماما من التلال أو الربي التي كانت تتكون ببطء عبر القرون اثر تراكم القطع الأثرية , أما الجزء الثاني فهو العمارنة وهذا يشير نسبة إلى قبيلة كانت قائمة هناك وهي قبيلة (بني عمران), فتسميتها بتل العمارنة نسبة إلى قرية بني عمران أو البدو العمارنة الذين كان يُقيمون بها , وتل لأنها كانت تل خراب ولكن أصبح تل مدينة تجوز للسكن, وهذه التسمية بدأ يتقبلها الجميع [٤].

٣- وصف المدينة

تميز موقع المدينة بأتساع رقعته اتساعاً كبيرا كما أن الأبنية امتدت امتداداً وصل من الشمال إلى الجنوب [٥], فقسمت المدينة إلى قطاعات عدة هي: الحي المركزي والضواحي الجنوبية والشمالية , واحتوى الحي المركزي على القصر الملكي, والمعبد الرئيس, والمباني الحكومية, وسكن اغلب سكان العمارنة في الضواحي الجنوبية والشمالية , وكانت الضاحية الجنوبية على وجه العموم مقرأ للمحكمة والمباني الحكومية , اما الضاحية الشمالية التي تقع شمال الحي المركزي بنحو (٨٠٠م) , فكانت مقرأ للطبقة الوسطى[٦], كان قطاع الجنوبي مقرأ لسكنى كبار الموظفين ورجال الحاشية, وجد منزل الوزير(تاخت با اتون) , والذي يعد من أجمل الأمثلة للعمارة السكنية في العمارنة[٧], وتنتشر منازل عامة الشعب البسيطة بين منازل الإشراف الكبيرة [٨] , ويوجد في هذا القطاع مركزاً صناعيا ومنه مصنع المثال (دحوت موزه) الذي عثر على رأس (نفرتيتي) الشهيرة وكان القطاع الشمالي مقرا لسكنى التجار وهو يكون المنطقة المركزية في المدينة حيث المركز التجاري[٩].

ضمت المدينة التي أمر إخناتون بتحديد حدودها بأربعة عشر لوحة تعرف باسم لوحات الحدود ولقد ذكر إخناتون قصة بناء هذه المدينة على هذه اللوحات التي نحتت في التلال الشرقية والغربية [١٠], أن استقرار اخناتون هناك واليمين الذي قسمة وسجله على الألواح بأن لم يغادر حدودها طالما كان حياً يجعلنا نحس بالمرارة التي كان يعانيها من كهنة امون[١١], وقد عثر على هذا نص منقوشاً بهذا المكان على أحجاره الشمالية والجنوبية الذي يذكر:

"**رفع جلالته يده إلى السماء نحو خالقه أتون قائلا :هذا قسمي الازلي وهذا شاهدي الابدى. هذا الحجر يعين حدود الأرض .... شيدت (أخت أتون) لتكون مسكناً لوالدي... وأظهرت حدود أخت أتون الجنوبية والشمالية والغربية والشرقية . ولن أتعدى حدود اخت اتون الجنوبية متجهاً نحو الجنوب كما أننى لن أتعدى حدود أخت**

أتون الشمالية سائراً نحو الشمال... لقد صنع الإله دائرته هذه لنفسه وجعل في وسطها مذبحة الذي أقدم عليه القرابين لأجله" [١٢].

يعترف الملك في نص نقشه على إحدى لوحات الحدود , والتي حدد بها منطقة العمارنة , بسيادة الاله الشمس كان شاملاً وأن جميع البشر يعترفون بسلطانة:

" **أن أتون خلقهم لنفسه فجميع الأراضي وأهل بحر ايجة يحملون ضرائبهم ويأتون بجزيتهم فوق ظهورهم ويتوجهون إلى الذي أوجد حياتهم وهو الذي يحي البشر بأشعته وينقشون الهواء**"[١٣].

ليس من شك في أن اخناتون أراد أن يقدم للبشرية دينا يعتنقه كل الناس في كل البلاد, إذ نقشت عبادة اتون في كل مناحي الحياة في العمارنة, وكان الملك نفسه هو الداعي الأكبر , وكانت طبيعة هذه الديانة وتعاليمها تظهر بشكل جلي في ألترتيله الكبيرة المنقوشة على جدران قبر (أي) والتي من المحتمل أن يكون واضعها هو الملك نفسه وفيها يبرز (اتون) باعتباره الآلة الوحيد خالق كل إشكال الحياة وصانع العالم وحاميه[١٤].

٤- أسباب بناء المدينة

يبدو أن الانتقال إلى هذه المدينة حدث بصورة فجائية إلا أن النية كانت في حقيقة الأمر معقودة عليه اثبت ذلك الانتقال أنه كان بمثابة ابرز خط فاصل في تاريخ فترة (أخت أتون) [١٥], وربما يكون اختيار هذه المدينة لأسباب الآتية:

أولا- عامل جغرافي: حيث المكان المحصن تحصيناً طبيعياً فيحده النيل غرباً وسلسلة جبال ممتدة شرقاً واقتراب الهضبة من حافة النهر[١٦].

ثانيا-عامل اقتصادي: فالمدينة تقع في منطقة ضيقة من الأرض الخصبة [١٧].

ثالثا- عامل ديني: ويقال أن (اتون) هو الذي هداه إلى هذا الموقع واستقاه وأنه لم يكن من قبل يخص إلهاً أخر أو إلهة[١٨] .

إذ كان الغرض من بناء اخناتون لعاصمته الجديدة في مصر أن تكون مركز الحكومة والبلاط , وكان يريد من هذا أن يكون بمعزل هو وحاشيته عن الوسط الخطر

الذي كان يحيط به في طيبة وبذلك يضمن لنفسه مكان أمنا خصباً ليبذر فيه بذور عقيدته الجديدة [١٩], وهذا الانتقال لابد أنه جاء نتيجة نزاع قام بينه وبين كهنة (امون رع) الذين كان يقيمون في طيبة وكان قوة كبيرة لا يستهان بها[٢٠], إذ يرى البعض في ثورة اخناتون الدينية سياسة حكيمة من الملك سار عليها للتخفيف من تدخل رجال الدين في الشؤون الإدارية والسياسية لاسيما كهنة امون الذين جمعوا في أيديهم كل السلطة الدينية والمدنية وكدسوا الأموال في خزائن معابدهم فأصبحوا بذلك خطراُ على نفوذ الملك[٢١].

أمر اخناتون بأن يمحى اسم الإله امون من كل مكان , حتى من الأسماء الشخصية ولم ينج اسم أبيه من هذا القرار, كما أن كل مصري كان يسمي باسم امون كأسماء (عبد امون), أو (حبيب امون),أو (امون راضي), [٢٢],كان علية أن يغير أسمة إلى إخناتون الذي يعنى المفيد لآتون أو(اتون مسرور) حتى لا ينطق لسان من ارض مصر بكلمة امون [٢٣], بذلك أنفصل هذا الملك عن التقاليد الدينية القديمة تمام الانفصال ولاسيما عندما أنتقل إلى عاصمته الجديدة التي كان قد شرع في بنائها هذا فضلا عن أنه قبل مغادرته (طيبة) قد سماها مدينة (اتون العظيم) [٢٤].

اما امون الذي كان الاله الأعظم للدولة المصرية فلم يجد له موقعاً أو دوراً في الديانة الجديدة مما سبب في تفجير غضب كهنة امون الذين قويت شوكتهم وتعاظم نفوذهم بشكل مريب قبل أن يبدأ اخناتون ثورته والآن وبعد أن توضحت نوايا اخناتون أمامهم ثارت ثائرتهم وبدءوا يحيكون له المؤامرات والدسائس للقضاء عليه وعلى دينه الجديد, فأعلنها حربا لا هوادة فيها على أمون وكهنته, ففي السنة السادسة من حكمة أعلن أتون ألها جديداً وحيداً للدولة المصرية إذ لم يعد بعد ألان من اله سوى أتون وليس لآتون من إشكال مقدسة سوى جوهر سماوي يتجلى في قرص الشمس وأشعتها التي تنتهي بأيد بشرية تحمل علامة السعادة والحياة [٢٥].

٥ - الانتقال إلى المدينة

بداية عام ١٣٧٠ق.م , عندما كانت اغلب المنشآت قد اكتملت لتكون المدينة الجديدة المنتظرة ظهر الملك علي عجلته الحربية [٢٦], في العام الثامن من حكم اخناتون, وهو تاريخ احتفال العائلة المالكة بالذكرى الثانية لاختيار المدينة [٢٧], هاجر اخناتون لمدينته تبعه جم غفير من الإشراف وكبار رجال الدولة اقتناعا بدينه الجديد أو لمصالحهم الشخصية, أو فراراً من إذ ى إتباع امون الذين بقوا في طيبة [٢٨].

إذ قام بنقل قصره ومركز إدارته السياسية والدينية أليها[٢٩], وحاط اخناتون نفسه برجال بلاط جدد لا نعرف عنهم أى شيء أمثال (أى) الاب المقدس , حمى الملك , (ومرى رع) الكاهن الأكبر الذي كان يحمل لقب كبير الرائيين للمعبود اتون في معبده , ونرى في مناظر مقبرته تنصيبه كاهناً أول لاتون وقد تقلد وظيفته بين هتافات الجماهير وألقى الملك خطاباً في تلك المناسبة , ونرى على جدران هذا المقبرة مناظر تمثل الملك يقود عربته وكذلك زوجته الملكة نفرتيتى [٣٠], والأميرات الكبيرات يقدن أيضاً , عرباتهن والوزير (نخت با اتون) والمشرف على الجنود (ماى) و(بأنحسى) الكاهن الثاني لأتون (وحويا) المشرف على الحريم الملكي, وعلى بيت الملك , والذي تعد مقبرته من أهم مقابر العمارنة [٣١].

وزارت أمه الملكة (تي) مدينة العمارنة, واصطحبت كامل حاشيتها, وبطانتها وعلى رأسهم (حويا) الذي كان يشغل منصب المشرف العام على بيتها وخزانتها وحريمها [٣٢], فأقيمت الأعياد الكبرى تكريما لزيارة الملكة تى , وقد شيد لها خصيصاً معبداً لكي يمكنها أداء الطقوس لأتون ولكن بعد وقت قصير من عودتها إلى طيبة توفيت ودفنت في مقبرة صغيرة في وأدى الملوك على بعد بضعة أمتار من المكان الذي دفن فيه أبوها وأمها [٣٣].

في هذه المنطقة من المدينة بالقرب من قرية حواته الحديثة أقام الملك لنفسه وزوجته نفرتيتي وابنتها الكبرى (مريت اتون) meritaton حديقة كبيرة مزودة بالبحيرات الصناعية وأنواع أخرى مختلفة من المباني [٣٤], وجناح صيفي ومعبد صغير لاتون

ومنازل للحراس وما أشبة والغرف الداخلية في هذه المباني مزدانة أيضاً بالأعمدة الملونة البهيجة والأرضيات المرسوم عليها أجمل الزهور والطيور المنطلقة والحيوانات المتراقصة تلك التي تميز المناظر الطبيعية في مصر[٣٥].

إذ صارت وفود الشعوب الخاضعة لمصر تذهب إلى العاصمة الجديدة وبذلك أصبحت التبرعات الملكية من والغنائم والإرباح التجارية تجد طريقها إلى معبد اله (اتون) ومما زاد في خسارة كهنة امون الاقتصادية أن قادة الجيش وكبار الموظفين والتجار قد التحقوا بالعاصمة الجديدة إلى جانب الفرعون [٣٦].

سادساً- سقوط المدينة

توفى اخناتون في عام ١٣٥٠ق.م, وما زال يحيط بحادثة موته الغموض التام,إذ كانت النتيجة المباشرة لسقوطه هي إعادة عبادة أمون والإلهة القديمة ليبدأ اضطهاد ذكرى اخناتون فدمرت أسماؤه الملكية وصوره وأزيلت أسماء إلهه اتون من كل مكان[٣٧].

أصبحت (أخت اتون) مدينة مهجورة إذ قام كهنة الكرنك بانتهاك قدسية معابد أتون[٣٨]، إذ فعلوا كل ما بوسعهم لإزالة آثار وسجلات ديانة أتون ، فأهملت (أخت اتون) وصارت خراباً وأُستخدمت أحجار قصورها ومعابدها لبناء هيرموبوليس ومدن أخرى[٣٩].

خلف إخناتون في مدينة آخت آتون هو (سمنخ كا رع) الذي حكم عامين أو ربما عاماً واحداً والذي ظهر ربما لإعادة ارتقاء اخت اتون[٤٠], ثم جاء من بعد توت عنخ آمون والذي بدأ حكمه أيضا في أخت أتون ولقد تزوج من إحدى بنات إخناتون وهي (عنخ إس أن با آتون) ولقد قام هذا الملك بتغيير اسمه بعدها من توت عنخ آتون إلى توت أثار بعد تغيير أسمائها بإدخال أمون فيها ثم أنتقل نهائيا إلى طيبة [٤١], بدأ هذا بعملية كشط لأسم المعبود (آمون) وإزالته من على أسطح جميع المباني والمنشآت ولقد لقي إخناتون ومعبودة نفس هذا المصير من الكشط بعد وفاته, هجرها

سكان ها واستأنفت طيبة سيرتها الأولى وطفقت تنشد أناشيد النصر وتحتفل بأعياد امون احتفالات رائعة يشترك فيها الكهنة ورجال الدولة والجند وطبقات الشعب المختلفة[٤٢].

الخلاصة

فقد توصلنا إلى عدة حقائق مهمة هي :

١- ان هذه المدينة سميت في النصوص القديمة باسم (آخت آتون), وعرفت لدى الباحثين المحدثين بأسم (تل العمارنة) فتسميتها بتل العمارنة فهي نسبة إلى قرية بني عُمران أو البدو العمارنة الذين كانوا يُقيمون بها وتل لأنها كانت تل خراب ولكن أصبح تل مدينة تجوز للسكن وهذه التسمية بدأ يتقبلها الجميع.

٢- كان الغرض من بناء اخناتون لعاصمته الجديدة في مصر أن تكون مركز الحكومة والبلاط , وكان يريد من هذا أن يكون بمعزل هو وحاشيته عن الوسط الخطر الذي كان يحيط به في طيبة وبذلك يضمن لنفسه مكان أمنا خصباً ليبذر فيه بذور عقيدته الجديدة, اذ أراد أن يقدم للبشرية ديناً يعتنقه كل الناس, وكان الملك نفسه هو الداعي الأكبر لهذه الديانة.

٣- بعد موت اخناتون, أصبحت هذه المدينة مهجورة إذ قام كهنة الكرنك بانتهاك قدسية معابد أتون إذ فعلوا كل ما بوسعهم لإزالة آثار وسجلات ديانة أتون ، فأهملت مدينة العمارنة وصارت خراباً وأُستخدمت أحجار قصورها ومعابدها لبناء هيرموبوليس ومدن أخرى.

الهوامش:

(١) البربري , احمد محمد, عواصم مصر القديمة,(الإسكندرية,٢٠٠٨),ص٢٣.

(٢) اقليم الاشمونين, يقع على الضفة الغربية للنيل على بعد نحو ٧,٥كم من ملوي المينا,وقد حملت مدينة الاشمونيين هذا الاسم حتى اليوم ومعناه بالمصرية الثمانية (إي مدينة الثمانية) والمقصود بذلك العناصر الأربعة بوصفها الهة ذكور ,مضافة إلى زوجاتهم الأربع فيكون المجموع ثمانية عناصر (إي شمن , ثمانية بالمصرية) انظر, بكر, محمد إبراهيم ,صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم , (الإسكندرية,مطابع هيئة الآثار المصرية,١٩٩٢),ص ٦٠؛الخطيب, محمد,مصر أيام الفراعنة ,(دمشق, دار علاء الدين, ٢٠٠١), ص٨٠.

(٣) سيف الدين ، ابراهيم نمير ، مصر في العصور القديمة ، (القاهرة ، ١٩٢١),ص ٩٤.

(٤)Aldred ,Cyril, Akhenaton King of Egypt (London, Thames and Hudson, 1988),p16.

(٥)ابو بكر, عبد المنعم, اخناتون, (القاهرة , دار القلم ,١٩٦١),ص٨٢ .

(٦) Shaw,L,Stairs and Altars in the Cult of the Aten at el-Amarna, The Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 80 (1994),p. 109

حسن , سليم, مصر القديمة السيادة العالمية والتوحيد,(القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٩٢م), ج٥,ص٢٧٢.

(٧) مهران ,محمد بيومي,المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ,(الإسكندرية , دار المعرفة الجامعية ,١٩٩٩) ج١. ص ٣٤.

(٨) جاردنر ،ألن،مصر الفراعنة، ترجمه, نجيب ميخائيل طه، (القاهرة،١٩٨٧), ص٢٤٧.

(٩) مهران, المدن الكبرى,ج١, ص ٣٤.

(١٠) ويرى البعض أن لوحات الحدود هذه هي عبارة عن لوحات منحوتة في الصخر وموزعة بين قرية الحوطة والشيخ سعيد وتضم مجموعة القبور الشمالية والجنوبية.للمزيد انظر:

Alarcon ,Claudia, Amarna Capital City of Ancient Egypt, (London, 2007),p7.

(١١) فخري, احمد, مصر الفرعونية,(القاهرة, ١٩٩٧) , ص ٣١٨ ؛ كريم, سيد, اخناتون,(القاهرة,الهيئة المصرية, العامة للكتاب,١٩٩٧), ص ٤١.

Kemp,Barry J., Delwen Samuel and Rosemary Luff, Food for an Egyptian City, Tell el-Amama, Oxbow Monograph 38-1994,P 136.

(١٢) برستد, جيمس هنري, تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي , ترجمة , حسين كمال , ط٢ , (القاهرة, مكتبة مدبولي , ١٩٩٦م), ص ٢٤١؛ زايد ,عبد الحميد, مصر الخالدة , مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م (القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ٢٠٠٢م) ج٢, ص ٦١٥.

(١٣) ابو بكر , اخناتون, ص ١٠٢-١٠٣.

(١٤) شيندروف ك. سيل, عندما حكمت مصر الشرق ,ترجمة , محمد العزب موسى, (القاهرة, مكتبة مدبولي, ١٩٩٠), ص ٢٠٩.

(١٥) ريدفورد, دونالد , اخناتون ذلك الفرعون المارق, ترجمة , بيومي قنديل, (الإسكندرية , دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر, ٢٠٠٠), ص ١٣٨.

(١٦) مهران , محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم (مصر) ,(الاسكندرية , دار المعرفة الجامعية ,١٩٨٨), ج٣ , ص ١٨٧ .

(١٧) حسن , مصر القديمة ج٥, ص٢٥٧.

(١٨) Kemp, Barry, G, Anatomy of Acivilization , (London and New York , 1989),p 270.

(١٩) حسن , مصر القديمة , ج٥,ص ٢٧١.

(٢٠) ابو بكر, عبد المنعم, محاضرات في التاريخ المصري القديم ,(القاهرة, مطبعة شبرا, ١٩٤٠), ص ٥٥.

(٢١) زايد، عبد الحميد, الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور وحتى عام ٣٢٣ ق.م)،(القاهرة، ١٩٦٦),ص ٦١٥.

(٢٢) Redford ,Donald,B.,TheSun-Disc in Akhenaten's Program,Journal of the American Research Center in Egypt, Vol. 17 (1980), p23.

(٢٣)Budge, Wallis E. A.,Egyptian Collectionc, (London ,1909),p237.

(٢٤) حسن , مصر القديمة , ج٥,ص ٢٧٠.

(٢٥) برستد , جيمس هنري, تطور الفكر والدين في مصر القديمة , ترجمة زكي سوس , (القاهرة, دار الكرنك, ١٩٦١), ص٤٢٨؛ السعدي , على عطية موسى , ثورة اخناتون وأثرها في جديد قواعد الفن المصري القديم, بحث ضمن مجله العلوم الانسانية , (جامعة بابل ,كلية الفنون الجميلة , بلا,ت), ص ٣٠٩.

(٢٦)Redford,Donald, B., Akhenaten the Heretic King (Princeton, University Press, 1984) , p144.

(٢٧) جريمال , تاريخ مصر القديمة , ترجمة, ماهر جويجاتي, ط٢, (القاهرة, دار الفكر, بلا. ت), ص٢٩٨-٣٠٠؛ كريم, سيد, اخناتون, (لقاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٩٧), ص ٤١.

(٢٨) حسن, مصر القديمة,ج٥,ص ٣٥٩ .

(٢٩) البربري , عواصم مصر القديمة, ص ٨.

(٣٠) نفرتيتي (١٣٥٣-١٣٤٠ق.م), ومعناه بالهيروغليفية (الجميلة اتت) تعد الملكة نفرتيتي من الملكات المتميزات في تاريخ مصر فهي فضلاً عن كونها زوجة للملك اخناتون , أدت دور بارز في الثورة الدينية التي قام بها زوجها الملك أمنحوتب الرابع ان من ابرز ما يميز هذه الملكة هو أنها لا تحمل صفة الدم الملكي على اختلاف بين الباحثين حول أصولها كما أنها تلقبت بلقب الزوجة

الملكية العظمى وأصبحت حاملة لصفة الدم الملكي بعد زواجها من أمنحوتب الرابع , وقد اختلف الباحثون في أصول الملكة نفرتيتي , فمنهم من ذهب إلى أنها أصلها أسيوي وقد تزوجها الملك من خلال المصاهرات السياسية في تلك الفترة ومنهم من ذهب إلى أنها ابنة احد الشخصيات المصرية البارزة في تلك الفترة . انظر, سعد الله , محمد على , دور السياسي للملكات في مصر القديمة , (الإسكندرية , مؤسسة شباب الجامعة ,١٩٨٨), ص ١١٠؛ فياض , محمد, المراة المصرية القديمة ,(القاهرة, دار الشروق, ١٩٦٨), ص ١٧٧؛ سناء حسون, أهمية الدم الملكي في الانتقال العرش في مصر القديمة , (جامعة الموصل , مجلد٨, العدد٣٠, ٢٠١٣), ص٢٣٦.

(٣١) السيد , رمضان, تاريخ مصر القديمة (منذ الاسرة الخامسة عشرة حتى دخول الاسكندر الاكبر مصر عام ٣٣٢ق.م) , (وزارة الثقافة , مطبعة هيئة الآثار المصرية,١٩٩٣),ج٢ ص١١٦؛ القمص , مصرنا الجميلة تاريخ وحضارة ,ص ٢٢٨.

(٣٢) سامسون ,جوليا, نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد ,ترجمة , مختار السويفى , (القاهرة , دار المصرية اللبنانية , ١٩٩٢),ص ١٨٠.

(٣٣) السيد , تاريخ مصر القديمة ,ج٢,ص ١١٥-١١٦.

(٣٤) Petrie, W. M. F., A History of Egypt, (London, 1924), p223.

(٣٥) شيندروف ,عندما حكمت مصر الشرق,ص ٢٠٨.

(٣٦) احمد , محمود عبد الحميد, اخناتون والسلطة المعارضة, (مجلة دراسات تاريخية , العددان ٥١ -٥٢, ١٩٩٥), ص ٣٥.

(٣٧) ويرى بعض الباحثين ان اخناتون قد مات في العمارنة وان (توت عنخ امون) قد دفنه في مقبرته التي أعدها لنفسه في شرقي (اخت اتون) وبوفاته هجرها وعاد الى (طيبة) ولقد تم نقل جثمانه إلى وادي الملوك بغربي طيبة إذ دفن في مقبرة

صغيرة غير مزخرفة . انظر, سليم, احمد , دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم, مصر – العراق–إيران (بيروت, دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٠), ص ١٥٨.

(٣٨) فلايكوفسكي, ايمانويل, عصور في فوضى من الخروج الى الملك أخناتون, ترجمة, رفعت السيد, (القاهرة, سيناء للنشر, ١٩٩٥), ص ٢٤٨.

(٣٩) Redford D, Akhenaten the Heretic,p64.

الأحمد , سامي سعيد, وجمال رشيد ، تاريخ الشرق القديم ، (بغداد ، ١٩٨٨), ص ١٦٧.

(٤٠) أديب , سمير , تاريخ وحضارة مصر القديمة ,(القاهرة , ١٩٩٧), ص ١٩٦–١٩٨؛ برايس , تريفور , رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم , ترجمة ,رفعت علي السيد,(القاهرة , دار العلوم للنشر والتوزيع, ٢٠٠٦), ص٤٣.

(٤١) فخري ,مصر الفرعونية,ص ٢٢٥.

(٤٢) رزقانه ,ابراهيم, واخرون,حضارة مصر والشرق الأدنى القديم, (القاهرة, دار مصر , بلا .ت),ص ١٨٨.

قائمة المصادر

أولا- المصادر العربية

١- ابو بكر, عبد المنعم, اخناتون, (القاهرة , دار القلم ,١٩٦١).

٢- _____, محاضرات في التاريخ المصري القديم ,(القاهرة, مطبعة شبرا, ١٩٤٠).

٣- الاحمد , سامي سعيد, وجمال رشيد ، تاريخ الشرق القديم ، (بغداد ، ١٩٨٨).

٤- احمد , محمود عبد الحميد, اخناتون والسلطة المعارضة, (مجلة دراسات تاريخية , العددان ٥١ –٥٢,لسنة ١٩٩٥).

٥- أديب , سمير , تاريخ وحضارة مصر القديمة ,(القاهرة , ١٩٩٧).

٦- برايس , تريفور , رسائل عظماء الملوك في الشرق الأدنى القديم , ترجمة ,رفعت علي السيد,(القاهرة , دار العلوم للنشر والتوزيع, ٢٠٠٦).

٧- البربري , احمد محمد, عواصم مصر القديمة,(الإسكندرية,٢٠٠٨).

٨- برستد , جيمس هنري, تطور الفكر والدين في مصر القديمة , ترجمة زكي سوس , (القاهرة, دار الكرنك, ١٩٦١).

٩- _____, تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي , ترجمة , حسين كمال , ط٢ , (القاهرة, مكتبة مدبولي , ١٩٩٦م).

١٠- بكر, محمد إبراهيم ,صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم , (الإسكندرية,مطابع هيئة الآثار المصرية,١٩٩٢).

١١- جاردنر ،ألن،مصر الفراعنة، ترجمه, نجيب ميخائيل طه، (القاهرة،١٩٨٧).

١٢- جريمال , تاريخ مصر القديمة , ترجمة, ماهر جويجاتي, ط٢, (القاهرة, دار الفكر, بلا. ت).

١٣- حسن , سليم, مصر القديمة السيادة العالمية والتوحيد, ,(القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ١٩٩٢م), ج٥.

١٤- الخطيب, محمد,مصر أيام الفراعنة ,(دمشق, دار علاء الدين, ٢٠٠١).

١٥- رزقانه ,إبراهيم, وآخرون,حضارة مصر والشرق الأدنى القديم, (القاهرة, دار مصر , بلا .ت).

١٦- ريدفورد, دونالد , اخناتون ذلك الفرعون المارق, ترجمة , بيومي قنديل, (الإسكندرية , دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر, ٢٠٠٠).

١٧- زايد ,عبد الحميد, مصر الخالدة , مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م (القاهرة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ٢٠٠٢م) ج٢.

١٨- _____, الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور وحتى عام ٣٢٣ ق.م)،(القاهرة، ١٩٦٦).

١٩- سامسون ,جوليا, نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد ,ترجمة , مختار السويفى , (القاهرة , دار المصرية اللبنانية , ١٩٩٢).

٢٠- سعد الله , **محمد على** , دور السياسي للملكات في مصر القديمة , (الإسكندرية , مؤسسة شباب الجامعة ,١٩٨٨).

٢١- السعدي , على عطية موسى , ثورة اخناتون وأثرها في جديد قواعد الفن المصري القديم, بحث ضمن مجله العلوم الانسانية , (جامعة بابل ,كلية الفنون الجميلة , بلا,ت).

٢٢- سليم, احمد , دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم, مصر- العراق-إيران (بيروت, دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٩٠).

٢٣- سناء حسون, أهمية الدم الملكي في الانتقال العرش في مصر القديمة , (جامعة الموصل , مجلد٨, العدد٣٠, ٢٠١٣).

٢٤- السيد , رمضان, تاريخ مصر القديمة (منذ الاسرة الخامسة عشرة حتى دخول الاسكندر الاكبر مصر عام ٣٣٢ق.م) , (وزارة الثقافة , مطبعة هيئة الآثار المصرية,١٩٩٣),ج٢.

٢٥- سيف الدين ، ابراهيم نمير ، مصر في العصور القديمة ، (القاهرة ، ١٩٢١).

٢٦- شيندروف ك. سيل, عندما حكمت مصر الشرق ,ترجمة , محمد العزب موسى, (القاهرة, مكتبة مدبولي, ١٩٩٠).

٢٧- فخري , احمد, مصر الفرعونية,(القاهرة, ١٩٩٧).

٢٨- فلايكوفسكي, ايمانويل, عصور في فوضى من الخروج الى الملك أخناتون, ترجمة, رفعت السيد, (القاهرة, سيناء للنشر, ١٩٩٥).

٢٩- فياض , محمد, المراة المصرية القديمة ,(القاهرة, دار الشروق, ١٩٦٨).

٣٠- القمص , سمير فهيم, مصرنا الجميلة تاريخ وحضارة ,(القاهرة , مكتبة الانجلو , ٢٠٠٦).

٣١- كريم, سيد, اخناتون, (لقاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٩٧).

٣٢- مهران , محمد بيومي, مصر والشرق الادنى القديم (مصر) ,(الاسكندرية , دار المعرفة الجامعية ,١٩٨٨), ج٣ .

٣٣- _____,المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ,(الإسكندرية , دار المعرفة الجامعية ,١٩٩٩) ج١.

ثانياً- المصادر الأجنبية

1- Alarcon ,Claudia, Amarna Capital City of Ancient Egypt, (London, 2007).
2- Aldred ,Cyril, Akhenaten King of Egypt (London, Thames and Hudson, 1988).
3- Budge, Wallis E. A., Egyptian Collectionc, (London ,1909).
4- Kemp, Barry, J , Anatomy of A civilization , (London and New Yourk , 1989).
5- _____., Delwen Samuel and Rosemary Luff, Food for an Egyptian City, Tell el-Amama, Oxbow Monograph 38-1994.
6- Petrie, W. M. F., A History of Egypt, (London, 1924).
7- Redford,Donald,B.,TheSun-Disc in Akhenaten's Program,Journal of the American Research Center in Egypt, Vol. 17 (1980).
8- _____, Akhenaten the Heretic King (Princeton, University Press, 1984) .
9- Shaw,L,Stairs and Altars in the Cult of the Aten at el-Amarna, The Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 80 (1994).

تخطيط وعمارة قيسرية قيردار في مدينة كركوك(١٣٠٣هـ/١٨٨٣م)

أ.د. نسيبة محمد الهاشمي
مؤيد غازي ناجي الربيعي

تخطيط وعمارة قيسرية قيردار في مدينة كركوك(١٣٠٣هـ/١٨٨٣م)

أ.د. نسيبة محمد الهاشمي

مؤيد غازي ناجي الربيعي

المقدمة:

إن اختياري لموضوع البحث ((**تخطيط وعمارة قيسرية قيردار في مدينة كركوك**)) جاء من أجل تسليط الضوء على هذا النوع من المباني الخدمية البارزة والمهمة في العمارة العربية الاسلامية، والإحاطة بكل مايتعلق به من حيث التخطيط وما احتوى من عناصر سواء كانت عمارية أم زخرفية. لقد تناولنا في بداية هذا البحث المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفردة(قيسرية)، ومن ثم الدخول في موضوع البحث وهو تخطيط وعمارة قيسرية قيردار، حيث ذكرنا أهميتها ومكانتها التراثية في مدينة كركوك وأهميتها من الناحية التجارية، ومن ثم تطرقنا إلى تحديد موقعها داخل مدينة كركوك الحالية وسبب تسميتها وتاريخ بناءها، ومن ثم فصلنا عناصرها التخطيطية والعمارية والزخرفية، واستكمالا للبحث فقد أرفقت في النهاية مجموعة من المخططات بالإضافة إلى الصور والأشكال.

المدلول اللغوي والاصطلاحي للقيسرية:

قيسرية[١]، ذُكِرَ أن القيسرية اسم قديم مشتق من اسم قيصر ملك الروم[٢]، وقياسر وقيساريات جمع قيسارية أو قيسرية، وقيصريات وقياصر جمع قيصرية[٣]، لان القيسرية والقيصرية تسميتان مترادفتان ومنسوبتان إلى قيصر[٤] الروم[٥]، ويذكر إنها كلمة غير عربية، معربة ومشتقة من الكلمة الرومانية(قيساريون) والتي تعني السوق الإمبراطوري[٦].

لقد وردت كلمة قيسري في معاجم اللغة العربية، وتعني الضخم الشديد المنيع، والشيخ الكبير، والرجل القوي، والقياسر والقياسرة جمع قيسري[٧]، فمن خلال البحث في معاجمنا اللغوية نلاحظ عدم

ورود كلمة قيسرية، إذْ إننا لم نجد سوى كلمة قيسري التي يلفت انتباهنا معناها وتفسيرها في المعاجم العربية(الكبير، والقوي والشديد والمنيع، العظيم)، فمن خلال هذه المعاني للكلمة نرجح انه قد يكون من الممكن القول إن معنى قيسرية هو (السوق الكبيرة والعظيمة والمنيعة) نظرا لطبيعة تخطيطها وعمارتها، فإذا كان بالإمكان الأخذ بهذا التفسير وهذا المعنى من المعاجم العربية، وبما إن مفردة السوق مؤنثة وتذكر فمن المحتمل انه كان يطلق عليها اسم(السوق القيسرية) أو(السوق القيسري)، وهذا هو الاستعمال اللغوي الفصيح للكلمة، وقد يكون بمرور الزمن تم حذف الموصوف والاختصار على الصفة مكان الموصوف حاله حال كثير من الأسماء الاصطلاحية، إذْ تقوم الصفة مكان الموصوف[٨].

وتعد القيسرية من المنشات التجارية في المدينة الإسلامية[٩]، ومن المباني المرتبطة بالأسواق العامة والمكملة لعملها وغالبا ما تكون داخل الأسواق أو بالقرب منها، وتتكون من مجموعة حوانيت ولها خصوصيتها من حيث أسلوب تخطيطها وعمارتها وسعتها ومن حيث أنواع البضائع الثمينة والنادرة التي يتم بيعها في هذه المباني[١٠]، وتعني الأسواق المغلقة[١١]، أو السوق الصغيرة المتخصصة ببيع نوع معين من السلع[١٢]، ويشغل بناءها مساحة مستطيلة أو مربعة التخطيط مكون من طابقين وقد يكون من طابق واحد، وأحيانا تتوسطه ساحة مكشوفة أو مجموعة من الأروقة المسقفة تطل عليها الحوانيت، والطابق العلوي يحتوي على غرف تستعمل كورش خاصة للصناعات الحرفية وصناعة البضائع التي تباع داخل القيسرية[١٣]، فهي من الأسواق المتخصصة بتجارة نوع معين من البضائع وتظم مجموعة من الحوانيت التجارية داخل بناء مسقف له مدخل يتم غلقه ليلا[١٤].

أما في العراق فالقيساريات تختلف في التخطيط العماري، ولها بعض الخصوصية من حيث أسلوب بناءها عن قيساريات بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا، فهي مباني لها عدة مداخل كبيرة الحجم تؤدي إلى أروقة مسقفة بأقبية تحتوي على نوافذ سقفية متعددة للإنارة والتهوية، وتطل الحوانيت على جانبي هذه الأروقة، وشكلها يكون مستطيل في اغلب الأحيان، وتتكون من طابق واحد أحيانا وبشكل عام من طابقين، الأرضي يضم الحوانيت، والعلوي يحتوي على غرف لخزن البضاعة أو تستعمل كورش للحرف المحلية أو للسكن في بعض الأحيان[١٥]، وفيما يأتي أنموذجاً من القيساريات التي شيدت في مدينة كركوك خلال العصر العثماني وهي قيسرية قيردار.

قيسرية قيردار:

هي من العمائر التراثية المهمة في مدينة كركوك، وهي من المراكز التجارية الرئيسية للمدينة قديما وحديثا، ولها تأثير كبير في ازدهار الحركة التجارية في كركوك، بسبب قدمها وموقعها. ، إذْ تم بناءها في نهاية العصر العثماني.

الموقع والتسمية والتأريخ:

شيدت هذه القيسرية في الجانب الشرقي للمدينة المسمى أسكي ياقة والذي يعني (الشطر القديم)[١٦]، والذي يضم القلعة التي تُعد أول نواة للاستيطان في كركوك[١٧]، يلتصق جدار القيسرية الشمالي ببدن قلعة كركوك الجنوبي(خريطة_١)، وتطل واجهتها الجنوبية وهي الواجهة الرئيسة على السوق الكبير مباشرة، ومن الشرق تطل على زقاق ضيق غير نافذ(مغلق حاليا)، يفصل هذا الزقاق بينها وبين جامع قيردار[١٨]، ومن الغرب تطل على سوق الصفافير، وتعرف هذه القيسرية بـ(قيسرية قيردار) نسبة إلى عائلة قيردار[١٩].

بنى هذه القيسرية الحاج مصطفى محمد قيردار[٢٠] عام(١٣٠٣هـ/١٨٨٣م)، بحسب النص التوثيقي المثبت أعلى المداخل الجنوبية للقيسرية والمثبت من قبل الهيئة

العامة للآثار والتراث[٢١]، ونصه(بناه المرحوم الحاج مصطفى قيردار ١٣٠٣هـ/١٨٨٣م) (لوح_١).

التخطيط العام للقيسرية:

تتكون القيسرية من طابق أرضي(مخطط_١)، وطابق علوي(مخطط_٢)، كل طابق له تخطيطه ووظيفته التي تختلف عن تخطيط ووظيفة الطابق الأخر.

يبدو التخطيط العام للقيسرية شكل هندسي غير منتظم، بلغ طول الجدار الشمالي (٣٧م)، وطول الجدار الجنوبي(٣١م)، وطول الجدار الشرقي(٣٢م)، أما طول الجدار الغربي فهو(٣٥م)، وتحتوي القيسرية على خمسة مداخل موزعة على ثلاثة جدران، بواقع مدخلين في كل من الجدار الجنوبي والشرقي، ومدخل واحد في الجدار الغربي، وتتوزع الأروقة داخل القيسرية في الطابق الأرضي إذْ تتقاطع طولاً وعرضاً، وفي الطابق العلوي تتوزع قاعات مستطيلة، ووحدات عمارية مختلفة التخطيط، كل واحدة منها تضم عدة غرف.

فتح على جانبي الأروقة وتطل عليها حوانيت مختلفة الأبعاد، وبلغ عددها ستة وسبعون حانوتا، ثمانية وستون حانوتاً منها داخل القيسرية، وسبعة حوانيت فتحت في الجدار الجنوبي للقيسرية من اصل البناء تطل واجهاتها مباشرة على السوق الكبير، فضلا عن حانوت واحد تم بناءه لاحقا في الركن الجنوبي الغربي من خارج القيسرية، وتحتوي القيسرية على سبعة سلالم تؤدي إلى الوحدات العمارية والقاعات في الطابق العلوي والى سطح القيسرية.

أما الطابق العلوي(مخطط_٢) فانه يحتوي على خمسة وحدات عمارية مختلفة المساحة والتخطيط، تحتوي كل منها على عدد من الغرف المربعة والمستطيلة، وقاعتين اثنتين مستطيلة الشكل.

العناصر العمارية والزخرفية للقيسرية:

الطابق الأرضي: (مخطط_١)

المداخل:

المدخل الجنوبي رقم(١): (لوح_ ٢)

يقع هذا المدخل في النهاية الغربية من الجدار الجنوبي للقيسرية، ويطل مباشرة على السوق الكبير، وهو اكبر المداخل، وهو عبارة عن كتلة بنائية ضخمة مستطيلة الشكل، ارتفاعها(٧,٥م) وعرضها(٤,٧٥م)، وفتحة المدخل تقع وسط دخلة مستطيلة الشكل متراجعة نحو الداخل عمقها(٠,٣٠م)، وارتفاعها(٥,٧٥م) وعرضها(٤م)، يحيط بها إطار مستطيل من الحجر، عرض فتحة المدخل(٢,٧٠م) وبارتفاع(٤م) وسمك جدار المدخل(٠,٤٠م)، يتوج هذه الفتحة عقد مدبب كبير من الرخام يزين واجهته زخرفة نباتية منفذة داخل إطار مستطيل قوامها أوراق كأسيه مكونة من ثلاثة فصوص متصلة فيما بينها لتؤلف سلسلة زخرفية متصلة ومتشابهة(شكل_١)، يعلو العقد النص التوثيقي الحديث لبناء القيسرية وتأريخ إجراء الصيانة على القيسرية بإشراف مفتشية أثار كركوك، مؤطر من ثلاثة جهات بإطار من الزخرفة الهندسية قوامها أشكال مثلثات متصلة، ويعلو هذه الدخلة المستطيلة المؤطرة بإطار من الحجر دخلة مستطيلة أخرى طولها (٤م) وعرضها(٠,٨٠م) وعمقها (٠,٠٥م) كتب داخلها البسملة وتحتها اسم القيسرية وتاريخ صيانتها، ونفذت هذه الكتابة بطريقة الحفر الغائر وهي حديثة(لوح_١)، ويعلو سقف كتلة المدخل إطار مزين بصفين من الأجر الفرشي رصفت بطريقة هندسية (التلاعب بوضعية الأجر)، إذْ يشكل لنا الصف الأسفل مثلثات متجاورة رؤوسها تتجه نحو الأمام، وهذا الإطار الزخرفي يستمر على طول الواجهة الجنوبية للقيسرية المطلة على السوق الكبير، علما إن واجهة المدخل ترتفع عن مستوى أرتفاع الجدران الخارجية للقيسرية، ويرتفع مدخل القيسرية عن مستوى أرضية السوق الكبير بنحو(٠,٦٠م)، ويتم

الوصول إليه بواسطة سلم مكون من أربع درجات، ويؤدي هذا المدخل إلى الرواق رقم_١.

يضم هذا المدخل باب خشب تتكون من مصراعين عرض كل واحد منهما (١,٣٥م) وارتفاعه (٤,٢٠م)، يتكون كل مصراع من عدة ألواح خشبية مرصوفة بصورة أفقية مثبتة من الخلف بواسطة ثلاثة ألواح عمودية وبالمسامير الحديدية الكبيرة المحدبة الرأس وتشكل هذه المسامير زخرفة هندسية في واجهة الباب(شكل_٢)، وثبتت مصراعي هذا الباب بواسطة عضادتين من الخشب تقع إحداهما أقصى اليمين والأخرى أقصى يسار المدخل، ومثبتان من الأعلى بتجويف عمل في ساكف المدخل (العتبة العليا) من الداخل، أما من الأسفل فقد ثبتت العضادتين في الأرض، وثبتت الباب بالعضادتين بواسطة مفاصل حديدية(نرمادة) لغرض فتحها وغلقها، ويتم قفل الباب بواسطة قطعة حديدية مستطيلة ثبتت في المصراع الأيمن من الخارج وفي المصراع الأيسر حلقة حديدية يتم قفل الباب بواسطتهما، وان هذا الباب قد تم تجديده على غرار الأبواب القديمة الأصلية خلال أعمال الصيانة[٢٢].

المدخل الجنوبي رقم _٢: (لوح_٣).

يقع هذا المدخل في وسط الجدار الجنوبي للقيسرية، ويطل على السوق الكبير مباشرة، وهو عبارة عن كتلة بنائية على غرار كتلة المدخل الجنوبي الأول من حيث الشكل والأبعاد وأرتفاع مستوى أرضيته عن مستوى أرضية السوق الكبير، أما عرض فتحة المدخل فبلغت(٢,٤٠م) وارتفاعها(٤م) وسمك جداره(٠,٤٠م)، ويعلو فتحة المدخل عقد مدبب كبير مبني من الرخام، يزين واجهته شريط زخرفي يتخذ شكل العقد المدبب يضم زخرفة عبارة عن سلسلة متصلة من أجزاء عقود تحصر بينها أشكال مثلثة بسيطة، وقد نفذت هذه الزخارف بطريقة النحت البارز على الرخام(شكل_٣)، ويفضي هذا المدخل إلى الرواق رقم_٢.

يضم هذا المدخل باب خشب ذات مصراعين، تشبه باب المدخل الجنوبي_١، من حيث شكله وطريقة تثبيته وزخرفة المسامير الحديدية التي تزين واجهته، عرض كل

مصراع(١,٢٥م) وارتفاعه (٤,١٠م)، ويتم قفله بطريقة قفل باب المدخل الجنوبي_١ نفسها.

المدخل الشرقي رقم_١و٢ :(مخطط_١)

يقعان هذان المدخلان في الجدار الشرقي للقيسرية، ويطلان على زقاق ضيق غير نافذ يفصل بين القيسرية وجامع قيردار، وقد تم غلق هذان المدخلان من خلال بناء فتحاتهما وتسويتها مع الجدار الخارجي للقيسرية، وتم تسوية هذه الفتحات من الداخل أيضا في أثناء أعمال الصيانة، وقد كانا على غرار المداخل الجنوبية، وكانا يضمان أبواب تشبه أبواب المداخل الجنوبية، ان غلق هذان المدخلان كان بسبب غلق الزقاق الذي يطلان عليه من خلال بناء حانوت في مدخله تطل واجهته على السوق الكبير، وملاصق لجامع قيردار ولحوانيت الجدار الجنوبي للقيسرية المطلة على الخارج[٢٣].

من خلال المخطط_١ يقع المدخل الشرقي_١ في الجهة الشمالية من الجدار الشرقي، وعرض فتحته(٢,٥م)، وكان يفضي هذا المدخل الى الرواق رقم_٧ الذي يوصل إلى الرواق رقم_٦، أما المدخل الشرقي_٢ يقع في الجهة الجنوبية من الجدار الشرقي عرض فتحته(١,٧٠م)، ويُعد اصغر مداخل القيسرية، ويفضي هذا المدخل إلى(الرواق رقم_٤).

المدخل الغربي: (لوح_٤)

يقع هذا المدخل في الطرف الشمالي للجدار الغربي، ويطل على سوق الصفافير الذي يقع غرب القيسرية، وهو على غرار المداخل الجنوبية، إلا إن هذا المدخل يرتفع عن أرضية سوق الصفافير بـ(٠,٤٠م) تقريبا، وذلك بسبب طبيعة تضاريس المنطقة التي شيدت عليها القيسرية، إذْ يزداد الأنحدار بمستوى أرضيتها كلما اتجهنا جنوبا عن القلعة، ويتم الصعود إلى المدخل بواسطة سلم مكون من درجتين، أما فتحة المدخل فيبلغ عرضها(٢,٥م) وارتفاعها(٤م)، ويتوج هذه الفتحة عقد مدبب كبير من الرخام خالي من أي ضرب من ضروب الزخرفة، ماعدا النص الكتابي التوثيقي

الحديث الذي يعلو عقد المدخل، ومن المحتمل إن واجهة العقد الذي يعلو فتحة هذا المدخل كانت مزينة بزخارف على غرار زخرفة عقود المداخل الجنوبية، إلا أنها اختفت في الوقت الحاضر وقد يكون بسبب أعمال الصيانة التي قد غفلت عن أعادة هذه الزخارف على ما كانت عليه في الأصل.

يضم هذا المدخل باب خشب يتكون من مصراعين عرض كل منهما(١,٣٠م) وارتفاعه (٤,٢٠م)، ويتكون كل مصراع من عدة ألواح مرصوفة بصورة أفقية ومثبتة بواسطة(٣) ألواح خشبية من الخلف وضعت بصورة عاموديه وثبتت بالمسامير الحديدية الكبيرة، وان واجهة هذا الباب خالية من أي ضرب من ضروب الزخرفة، ويتم قفل هذا الباب بطريقة قفل الأبواب الجنوبية نفسها، يفضي هذا المدخل إلى الرواق رقم_٦.

الأروقة: (مخطط_١)

تضم القيسرية ستة أروقة رئيسة تتقاطع فيما بينها، ورواق واحد ثانوي، والأروقة الرئيسة ثلاثة منها تمتد من جنوب القيسرية إلى شمالها، وثلاثة أخرى تمتد من شرقها إلى غربها، أما الرواق السابع يقع في الجزء الشمالي الشرقي من القيسرية.

رواق رقم_١: (لوح_٥) (مخطط_١)

يمتد هذا الرواق بشكل مستقيم من المدخل الجنوبي_١ إلى شمال القيسرية، يبلغ طول هذا الرواق(٣١م) وعرضه(٣,٢٠م) وارتفاع سقفه(٦م)، تتوزع على جانبيه مجموعة من الحوانيت وعددها ثمانية عشر حانوتا، البعض من هذه الحوانيت وعددها خمسة حوانيت لها واجهتين، واجهة تطل على هذا الرواق وأخرى تطل على الأروقة الأخرى، ويتقاطع هذا الرواق مع الأروقة المتجهة من شرق القيسرية إلى غربها، سقف هذا الرواق بقبو نصف اسطواني يستند على سلسلة من العقود المدببة الكبيرة عددها احد عشر عقدا، مبنية من الحجر والجص، وتستند هذه العقود على دعامات مدمجة في الجدران الجانبية للرواق، وأرتفاع العقود(٥,٦٠م) وعرض فتحاتها بعرض الرواق نفسه، وسقفت مناطق تقاطع هذا الرواق مع الأروقة المتجهة من الشرق إلى الغرب بقباب منخفضة نصف قطرها(٣م) وعددها(٣) قباب، وفتحت نوافذ في سقفه مربعة

الشكل بقياس (٠,٦٠م×٠,٦٠م) للإنارة والتهوية ولتخفيف ضغط مواد البناء على الجدران والأساسات، ومثبت عليها شباك من قضبان حديدية متقاطعة مكونة أشكال مربعات صغيرة وعددها خمس نوافذ[٢٤](لوح_٦)، وغطيت هذه النوافذ من السطح بأغطية معدنية لمنع تسرب مياه الأمطار إلى داخل القيسرية (لوح_٧)، وتطل من الطابق العلوي على الرواق من جدرانه الجانبية وفوق مداخل الحوانيت نوافذ القاعة_٢ ونوافذ غرف الوحدات العمارية وعددها ست عشرة نافذة مستطيلة الشكل تقريبا متوجة بعقد مدبب، أبعاد هذه النوافذ (١م×٠,٨٠م) [٢٥] (شكل_٤).

رواق رقم_٢:(مخطط_١)

يقع هذا الرواق بموازاة الرواق رقم_١ والى الشرق منه، ويمتد بشكل مستقيم من المدخل الجنوبي_٢ إلى شمال القيسرية، يبلغ طوله(٢٦م) وعرضه(٣,١٠م)، وتتوزع على جانبيه احد عشر حانوتاً، منها ثمانية لها واجهتين الأولى تطل بها على هذا الرواق والأخرى تطل على الأروقة الأخرى، سُقِفَتْ مناطق تقاطع هذا الرواق مع الأروقة الممتدة من شرق القيسرية إلى غربها بقباب منخفضة عددها ثلاث قباب بلغ نصف قطرها(٣م)، وسقفت مناطق مابين القباب بأقبية نصف اسطوانية تستند على سلسلة من العقود المدببة الكبيرة عددها تسعة عقود، وهي بدورها تستند على دعامات مدمجة في الجدران الجانبية للرواق حالها حال جميع عقود أروقة القيسرية، أرتفاعها(٥,٦٠م) وعرض فتحتها(٣,١٠م)، فتحت في سقف هذا الرواق أربع نوافذ مربعة الشكل، وتطل عليه من الطابق العلوي نوافذ غرف الوحدات العمارية وعددها اثنا عشر نافذة.

رواق رقم_٣:(مخطط_١)

يقع هذا الرواق إلى شرق الرواقين_١و٢، وبموازاة الجدار الشرقي للقيسرية، ويتجه من جنوب القيسرية إلى شمالها بشكل مستقيم، بلغ طوله(٢٥م) وعرضه (٣,١٠م)، سقف هذا الرواق بقبو نصف اسطواني، ومناطق تقاطعه مع الأروقة الممتدة من الشرق غرب القيسرية سقفت بقباب منخفضة عددها ثلاث قباب نصف قطر الواحدة منها(٣م)، يستند سقفه على سلسلة من العقود المدببة الكبيرة وعددها ثمانية

عقود، بنيت من الحجر والجص، تستند هذه العقود على دعامات مدمجة في الجدران الجانبية للرواق، أرتفاع العقود(٥,٦٠م) وعرض فتحاتها بعرض الرواق، وفتحت في سقفه أربع نوافذ مربعة الشكل، وتطل عليه نوافذ غرف الطابق العلوي وعددها سبعة، ومن جداره الشرقي تطل عليه خمس نوافذ مغلقة حاليا، وتتوزع على جانبي الرواق اثنا عشر حانوتاً خمس من هذه الحوانيت لها واجهتين.

رواق رقم_٤ :(مخطط_١).

يتجه هذا الرواق من المدخل الشرقي_٢ إلى غرب القيسرية، وهو ليس على استقامة واحدة بل فيه انكسار ضئيل عند تقاطعه مع الرواق رقم_٢، ويمتد بموازاة الجدار الجنوبي للقيسرية، ويفضي إليه كل من المدخلين الجنوبيين_١و٢، فضلا عن المدخل الشرقي_٢(المغلق حاليا)، طول هذا الرواق(٢٤م) وعرضه من جهته الشرقية (٢,٢٠م) ويتسع كلما اتجهنا غربا ليصل عرضه(٣,٢٠م)، ومسقف بقبو نصف اسطواني يستند على سلسلة من العقود المدببة الكبيرة عددها ثمانية عقود، أرتفاع هذه العقود (٥,٦٠م) وسعة فتحتها بعرض الرواق، وتستند هذه العقود على دعامات مدمجة في الجدران الجانبية للرواق، أما مناطق تقاطع هذا الرواق مع الأروقة الأخرى المتجهة من جنوب القيسرية إلى شرقها سقفت بثلاث قباب منخفضة ، تم فتح أربعة نوافذ مربعة في سقفه، وتطل عليه نوافذ من الطابق العلوي وعددها أحد عشرة نافذة، وتتوزع على جانبيه اثنتي عشر حانوتاً، ستة حوانيت منها ذات واجهتين.

رواق رقم_٥ :(مخطط_١)

يقع هذا الرواق إلى شمال الرواق رقم_٤ وبموازاته، ويمتد من شرق القيسرية إلى غربها بشكل مستقيم، يبلغ طوله(٢٢م) وعرضه(٣,١٠م)، مسقف بقبو نصف اسطواني يستند على سلسلة من العقود المدببة الكبيرة عددها ثمانية عقود، وتستند هذه العقود على دعامات مدمجة في الجدران الجانبية للرواق، أرتفاع العقود(٥,٦٠م) وعرضها بعرض الرواق، وسقفت مناطق تقاطع الأروقة المتجهة من جنوب القيسرية إلى شمالها مع هذا الرواق بثلاث قباب منخفضة، تم فتح أربع نوافذ سقفية، وتطل عليه

نوافذ الطابق العلوي وعددها ثمان نوافذ، وتتوزع على جانبيه عشرة حوانيت، ثمانية منها لها واجهتين.

رواق رقم_٦:(مخطط_١).

هو من أطول أروقة القيسرية، ويمتد بموازاة الجدار الشمالي، ويتجه من شرق القيسرية إلى غربها بشكل مستقيم، ويفضي إليه المدخل الغربي مباشرة، والمدخل الشرقي_١(المغلق حاليا) يفضي إليه من جهته الشرقية من خلال الرواق رقم_٧ الذي يتصل به، طوله(٣٥م) وعرضه من جهته الشرقية(٣,٨٠م) حتى يصل عرضه من جهته الغربية(٣,١٠م).

سقف هذا الرواق قبو نصف اسطواني ، أما مناطق تقاطع الأروقة الممتدة من الجنوب إلى الشمال، ومنطقة تقاطع الرواق رقم_٧ مع هذا الرواق سقفت بقباب منخفضة، وهو الرواق الوحيد الذي يضم أربع قباب لأنه أطول الأروقة، يستند سقفه على سلسلة من العقود المدببة الكبيرة عددها احد عشر عقد كبير، أرتفاع العقود(٥,٦٠م) والمسافة بين عقد وأخر تتراوح مابين(١,٦٠م الى٣,١٠م) ، وعرض فتحات هذه العقود اختلفت باختلاف عرض الرواق، وتستند هذه العقود على دعامات مدمجة في الجدران الجانبية له، تم فتح خمس نوافذ في سقفه، وتطل على الرواق من الطابق العلوي نوافذ الغرف والقاعة الشمالية وعددها خمس عشر نافذة تشبه النوافذ السابقة، فتحت على جانبي هذا الرواق وتطل عليه واحد وعشرون حانوتاً، منها ستة حوانيت لها واجهتين.

رواق رقم_٧:(مخطط_١).

يقع هذا الرواق في الجزء الشمالي الشرقي من القيسرية، ويمتد من المدخل الشرقي_١(المغلق حاليا) ليطل على الرواق رقم_٦ بشكل مستقيم، طول هذا الرواق (٤,٥م)، وعرضه(٣م)، ومسقف بقبو نصف اسطواني ، فتحت فيه نافذة واحدة مربعة الشكل على غرار سابقاتها، وتطل عليه من الوحدة العمارية_١ نافذتين مفتوحة تشبه النوافذ المطلة على الأروقة السابقة، يستند القبو على ثلاثة عقود مدببة كبيرة، أرتفاع

العقد(٥,٦٠م) وعرض فتحته بعرض الرواق، فتح في جداره الغربي ثلاثة حوانيت، منها حانوت واحد له واجهتين واحدة تطل عليه والأخرى تطل على رواق رقم_٦.

الحوانيت: (مخطط_١).

بلغ عدد حوانيت القيسرية ستة وسبعون حانوت، مختلفة الأبعاد بعضها مستطيلة التخطيط والأخرى مربعة، تتوزع ثمانية وستون حانوت منها داخل القيسرية في الطابق الأرضي على جانبي الأروقة وتطل عليها(لوح _٨)، وفي الجدار الجنوبي من القيسرية فتحت سبعة حوانيت واجهاتها إلى الخارج ومطلة على السوق الكبير مباشرة، وحانوت واحد تم بناءه في مدد متأخرة في الركن الجنوبي الغربي للقيسرية من الخارج، وملاصق للمدخل الجنوبي_١ يطل على السوق الكبير، وأكبر حوانيت القيسرية يقع وسط الجدار الشرقي للرواق_١، إذْ بلغت أبعاده(٣,٨٠م×١,٩٠م)، وفي الزاوية الشمالية الشرقية يقع اصغر الحوانيت وأبعاده(١,٦٠م×١,٥٠م)، أما الحوانيت الأخرى فقد اختلفت أبعادها فالبعض منها ذات أبعاد(٢,٦٠م×٢م) وأخرى(٢م×٢م)، أما الحوانيت الخارجية التي تطل واجهاتها على السوق الكبير والتي تقع إلى الشرق من المدخل الجنوبي_٢ أبعادها(٢,١٠م×٢م)، والحوانيت التي تقع غرب المدخل الجنوبي_٢ أبعادها(٣,٥م×٢م) و(٣م×٢م) و(٢,٥م×١,٨٠م)، وأخيرا بلغت أبعاد الحانوت المستحدث مؤخرا الواقع في الركن الجنوبي الغربي للقيسرية من الخارج (٤,٥م×١,٨٠م).

يتوج مداخل حوانيت القيسرية الداخلية والخارجية عقود نصف دائرية، وأخرى تتوجها عقود مدببة(لوح_٨) وجميعها من الرخام، قسم من هذه الحوانيت مسقفة بأقبية نصف اسطوانية وأخرى بأقبية مدببة، والبعض الأخر بقباب منخفضة، وسمك جدرانها (٠,٤٠م).

تغلق مداخل هذه الحوانيت حاليا أبواب دفترية من الحديد، بعض منها مكون من ثلاثة مصاريع، والأخرى من أربعة مصاريع بحسب عرض واجهة الحانوت، هذه

الأبواب أخذت شكل العقود التي تتوج مداخل الحوانيت، فبعض منها على شكل عقود مدببة، وأخرى على شكل عقود نصف دائرية[٢٦].

الطابق العلوي[٢٧]: (مخطط _٢).

تتوزع داخل القيسرية سبعة سلالم يتم بواسطتها الصعود إلى الطابق العلوي، وخصص لكل وحدة عمارية ولكل قاعة سلم خاص بها، والسلم الذي يوصل إلى القاعة رقم_٢ يستمر ليوصل إلى سطح القيسرية وهو السلم الوحيد المؤدي الى السطح، ويضم الطابق العلوي خمس وحدات عمارية وقاعتين مستطيلتي الشكل، بنيت هذه الوحدات العمارية فوق الحوانيت الموجودة وسط القيسرية وهي مختلفة الأبعاد والمساحات، إذْ إن كل وحدة عمارية أخذت شكل ومساحة مجموعة الحوانيت التي تعلوها، وتحتوي كل واحدة منها على مجموعة من الغرف، أما القاعات فهي مستطيلة الشكل وبنيت فوق الحوانيت الملاصقة للجدار الشمالي والجدار الغربي[٢٨].

الوحدة العمارية رقم_١:

تقع هذه الوحدة العمارية في الجزء الشمالي الشرقي من الطابق العلوي للقيسرية، ويتم الصعود أليها بواسطة سلم خاص بها، يتوج مدخل السلم عقد منبطح، ومثبت عليه باب حديدي ذو مصراعين[٢٩]، وتضم هذه الوحدة العمارية أربع غرف مختلفة الأبعاد[٣٠]، ومن خلال(المخطط_٢) فان أبعادها(٣,٨٠م×٥م)، وتطل على أروقة القيسرية بخمس نوافذ مستطيلة ومتوجة بعقود مدببة بقياس(١م×٠,٨٠م).

الوحدة العمارية رقم_٢:

تقع هذه الوحدة العمارية في القسم الشمالي من الطابق العلوي للقيسرية والى الغرب من الوحدة العمارية رقم_١، وهي مستطيلة التخطيط، يتم الصعود إليها بواسطة سلم خاص بها، أبعاد هذه الوحدة العمارية من خلال المخطط(٥م×٤م)، وتطل على أروقة القيسرية بثمان نوافذ مستطيلة بقياس(١م×٠,٨٠م) متوجة بعقود مدببة.

الوحدة العمارية رقم_٣:

تقع هذه الوحدة العمارية في الجهة الشمالية الغربية من القيسرية، ويتم الصعود إليها بواسطة سلم خاص بها، أبعاد هذه الوحدة العمارية من خلال المخطط (٦م×٥م)، تضم هذه الوحدة العمارية خمس غرف مختلفة الأبعاد[٣١]، وتطل على أروقة القيسرية بثمان نوافذ مستطيلة بقياس(١م×٠,٨٠م) متوجة بعقود مدببة.

الوحدةالعمارية رقم_٤:

تقع هذه الوحدة في القسم الشرقي من الطابق العلوي جنوب الوحدة العمارية_٢، يتم الصعود اليها بواسطة سلم مستقيم خاص بها مكون من احد عشر درجة، طول الدرجة(١م) وعمقها(٠,٣٠م) وأرتفاعها(٠,٣٠م)، وسقفه عبارة عن قبو منخفض[٣٢]، ويتوج مدخل السلم عقد منبطح(لوح_٩)، ويسد مدخله باب حديدي حديث مكون من مصراعين، أبعاد هذه الوحدة العمارية(٧,٥م×٤م)، وتضم خمس غرف مختلفة التخطيط، الغرفة الأولى تقع على يمين السلم وهي مستطيلة التخطيط وأبعادها (٤م×١,٥م)، وعلى يسار السلم تقع الغرفة الثانية وهي أيضا مستطيلة التخطيط أبعادها(٢,٥م×٢م)، وفي الجدار الغربي لهذه الغرفة يوجد مدخل الغرفة الثالثة وهي مربعة التخطيط(٢م×٢م)، وفي الجدار الجنوبي للغرفة الثالثة مدخل الغرفة الرابعة المستطيلة التخطيط(٢م×١,٨٠م)، أما الغرفة الخامسة فلها مدخل في الجدار الشرقي للغرفة الرابعة، وهي اكبر الغرف مستطيلة التخطيط أبعادها(٣,٥م×٢م)، ويتوج مداخل هذه الغرف الخالية من الأبواب[٣٣] عقود مدببة، بعض هذه الغرف سقفت بأقبية نصف اسطوانية، والبعض الأخر سقف بقباب منخفضة، وفي وسط القبة المنخفضة التي تسقف الغرفة الثالثة توجد نافذة دائرية صغيرة قطرها(٠,١٠م) (لوح_١٠)، ومن سطح القيسرية مثبت عليها أنبوب معدني طوله(١م) ومغطاة من أعلى الأنبوب(لوح_١١)، هذه النافذة كانت تستعمل لإخراج الدخان والغازات المنبعثة من عملية تدفئة الوحدة العمارية في الشتاء، أمَّا في فصل الصيف فكانت تغلق من الداخل[٣٤]، تطل غرف هذه هذه الوحدة العمارية على الأروقة بثمان نوافذ قياس(١م×٠,٨٠م) متوجة بعقود مدببة،

وإن غرف هذه الوحدة العمارية خالية من أي ضرب من ضروب الزخرفة، ويحتمل إنها كانت تضم بعض العناصر الزخرفية، إلا أن أعمال الصيانة التي جرت عليها قد غفلت عن إعادة هذه الزخارف على ما كانت عليه.

الوحدة العمارية رقم_٥:

تقع هذه الوحدة العمارية في الجزء الجنوبي الغربي من الطابق العلوي للقيسرية، وهي أكبر الوحدات العمارية في القيسرية، يتم الصعود إليها بواسطة سلم خاص بها، ومن خلال المخطط يبدو تخطيطها مستطيلة الشكل وبأبعاد(٦,٥م×٧,٥م) تقريبا، تضم ثمان غرف[٣٥]، وتطل على أروقة القيسرية بأثنا عشر نافذة على غرار النوافذ السابقة.

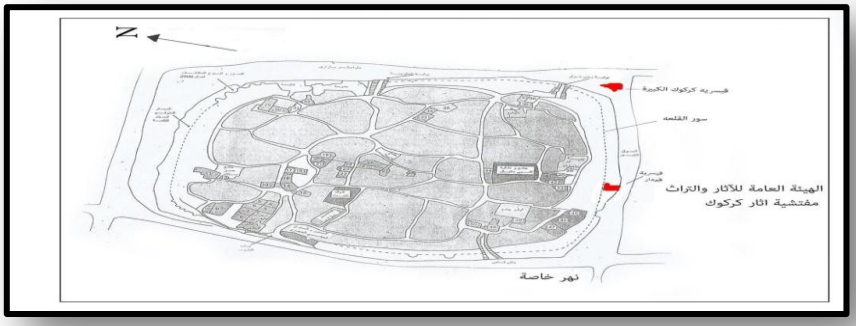
القاعة رقم_١[٣٦]:

تقع هذه القاعة في الجزء الشمالي من الطابق العلوي وهي مستطيلة التخطيط، بنيت فوق الحوانيت الملاصقة للجدار الشمالي والمطلة على الرواق رقم_٦، يتم الصعود إلى هذه القاعة بواسطة سلم خاص بها، يتوج مدخله عقد منبطح ويسد فتحته باب حديدي مكون من مصراعين، ومن خلال المخطط_٢ فأن طول هذه القاعة (٣١م) تقريبا وعرضها يتراوح مابين(١,٧٠إلى٢م) تقريبا، مسقفة بقبو نصف اسطواني[٣٧] تطل هذه القاعة على الرواق رقم_٦ بتسع نوافذ على غرار سابقاتها.

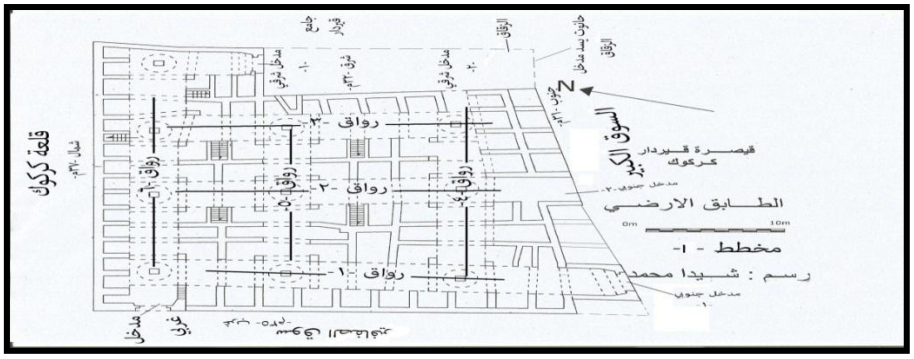
القاعة رقم_٢: (لوح_١٢)

تقع هذه القاعة في الجهة الغربية من الطابق العلوي وهي مستطيلة التخطيط، شيدت فوق الحوانيت الملاصقة لجدار القيسرية الغربي والمطلة على الرواق رقم_١، يتم الصعود الى هذه القاعة بواسطة سلم منكسر مكون من احد عشر درجة، طول الدرجة(١م) وأرتفاعها(٠,٣٠م) وعمقها (٠,٣٠م)، وعند الصعود إلى القاعة يوجد على يمين السلم سلم أخر يوصل إلى سطح القيسرية مكون من تسع درجات، طول الدرجة(١م) وعمقها(٠,٣٠م) وأرتفاعها(٠,٣٠م) في نهايته باب من الحديد.

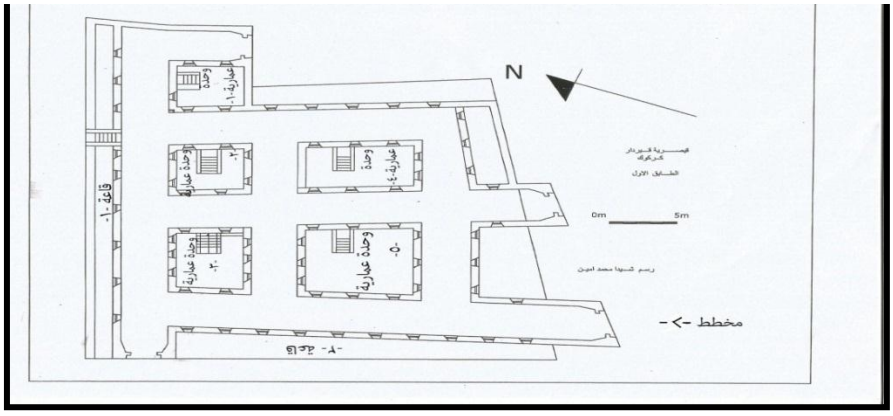
يبلغ طول هذه القاعة(٢٧م)، وعرضها(١,٨٠م) من الجهة الشمالية و(١,٢٠م) من الجهة الجنوبية وأرتفاع سقفها(٢,٢٠م)، سقفت هذه القاعة بقبو نصف اسطواني يستند على سبعة عقود نصف دائرية، بعض هذه العقود متهدمة في الوقت الحاضر (لوح_١٢)، تطل على الرواق رقم_١ بعشر نوافذ على غرار النوافذ السابقة المطلة على الأروقة، تم غلقها جميعها من خلال بناء فتحاتها من داخل القاعة، وتطل على سوق الصفافير بنافذتين اثنين من جدارها الغربي (لوح_١٣)، وعلى السوق الكبير تطل بنافذة واحدة فتحت في جدارها الجنوبي، وهذه النوافذ مستطيلة الشكل بقياس(١م×٠,٦٠م) يتوجها عقد منبطح ثبت عليها قضبان حديدية متقاطعة كونت أشكال مربعات صغيرة(لوح_١٤)، تم بناء فتحات النوافذ الغربية للقاعة من الداخل مؤخرا، وهذه القاعة خالية من أي ضرب من ضروب الزخرفة.



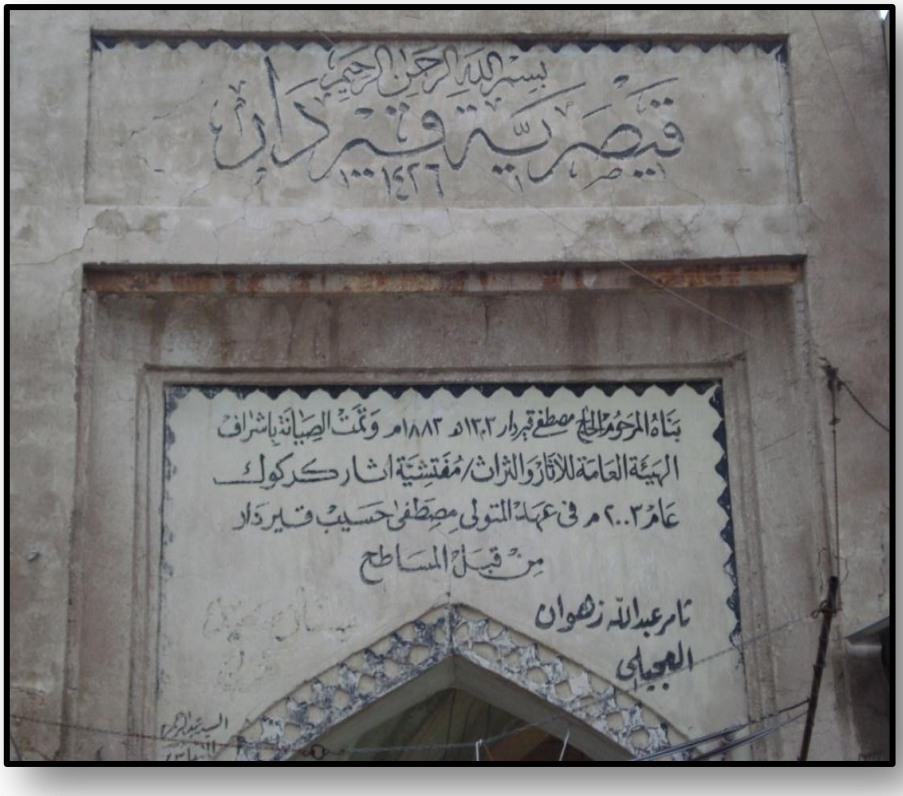
(خريطة _ ١)



(مخطط _١)


N
0m
5m
مخطط

(مخطط_٢)


بسم الله الرحمن الرحيم
قيصرية قيردار
١٤٢٦
بناه المرحوم الحاج مصطفى قيردار ١٣٠٢هـ ١٨٨٣م وتمت الصيانة بإشراف
الهيئة العامة للآثار والتراث/ مفتشية آثار كركوك
عام ٢٠٠٣م في عهد المتولي مصطفى حسيب قيردار
من قبل المساطح
نامر عبدالله رضوان
العجيلي

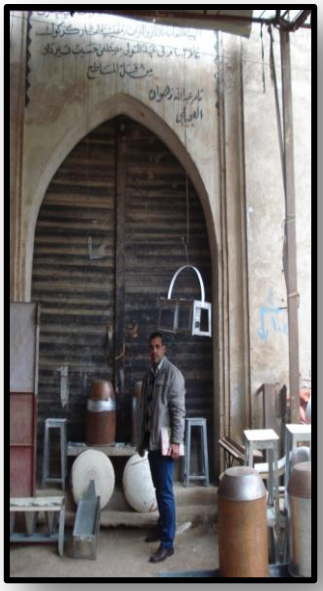
(لوح –١)



(لوح ـ٢)



(لوح – ٣)



(لوح –٤)



(لوح –٥)



(لوح –٦)



(لوح ٧)



(لوح –٨)



(لوح–٩)



(لوح –١٠)



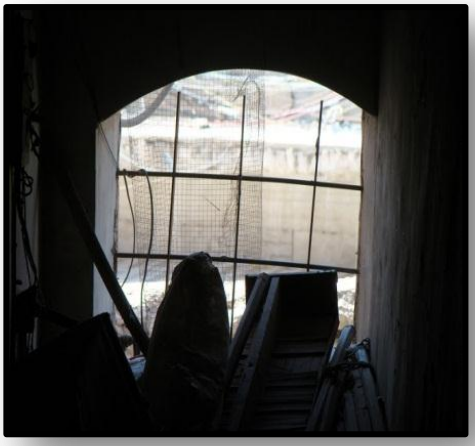
(لوح –١١)



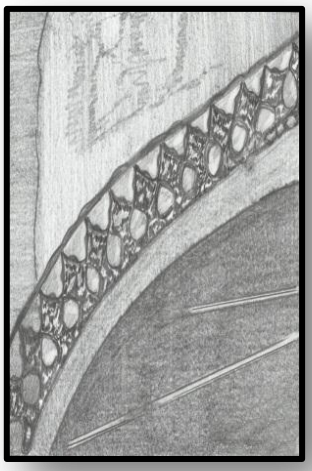
(لوح –١٢)



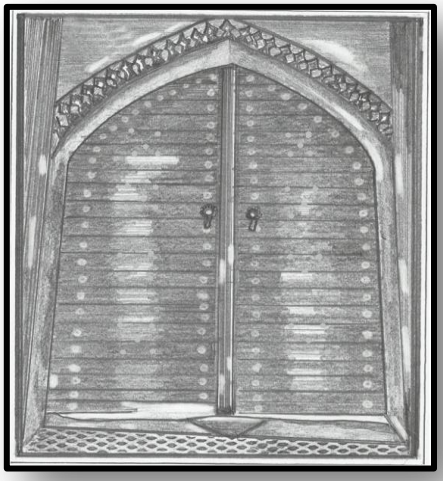
(لوح –١٣)



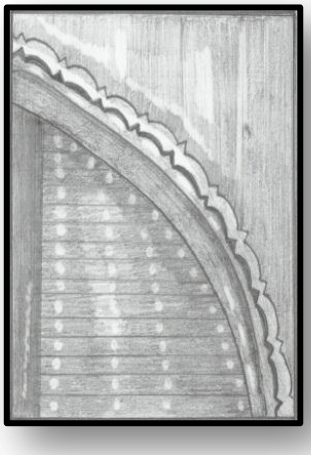
(لوح –١٤)



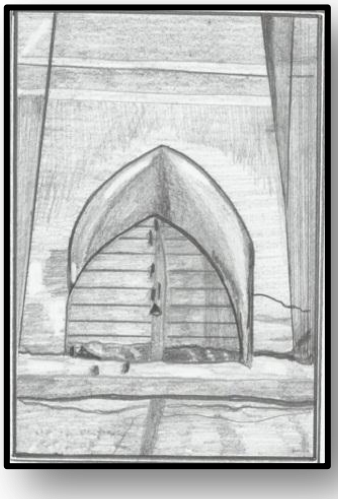
(شكل _١)



(شكل _ ٢)



(شكل _٣)



(شكل _٤)

الهوامش :

(١) أطلقت هذه التسمية على بعض المدن القديمة تكريما لبعض قياسرة الروم، الأولى ثغر من ثغور الشام تم فتحها من قبل الجيش الاسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رض) عام(١٩هـ)، والثانية مدينة كبيرة ولها أهمية عظيمة في بلاد الروم وهي كرسي ملك سلاجقة الروم(أولاد قليج أرسلان). ينظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت/٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، تحقيق:مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ج٣، ص١١٠٦؛ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد(ت/٥٤٠هـ)، المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: احمد محمد شاكر، طهران، ١٩٦٦م، ص٢٧٧؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت/٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٤، ص٤٢١؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت/٦٣٩هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦م، ج٢، ص٤٩٧. ؛ غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، بيروت، ١٩٦٥م، مج١، ص١٤١٢.

(٢)الوزان، حسن بن محمد(١٤٨٣-١٥٥٠م)، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٤٢ص٢٤٢.

(٣) غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، المطبعة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٨م،ص٣٢٠.

(٤) إن هذا الاسم يلفظ و يكتب باليونانية والانكليزية بـ(سيزر_CESAR) لذلك نلاحظ بعد كبير بين هذه الكلمة وبين كلمة(قيسرية_Caesarea)، والتي يشير الكثير من الباحثين على إنها سميت كذلك نسبة إلى لقب ملوك الروم(سيزر، قيصر)، وبحسب ما نعلم إن العرب هم من كانوا يطلقون اسم قيصر على ملك الروم، فإذا سلمنا إن هذا الاسم نسبة إلى قيصر الروم، فيا ترى من أطلق اسم(قيسرية) على هذه المباني التجارية ملوك الرومان أم العرب؟ مع العلم إن مكان التبادل التجاري والبيع الشراء في المدن اليونانية يدعى(أكورا_agora).

(٥) الشهابي، قتيبة، معجم المواقع الأثرية في سوريا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦م، ص٢١٢.

(٦) مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٩٨؛

- E.VAN DONZEL,AND OTHERS,"KAYSARIYYA"THE ANCYCLOPAEDIA OF ISLAM,VOL, IV,BRILL,1978,p.840 ؛ الريحاوي، عبد القادر، العمارة العربية الإسلامية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م، ص٧٤.

(٧) الفراهيدي، الخليل بن احمد(ت/١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة،١٤١٠هـ ، مج٥، ص٧٥ ؛ الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت/٣٩٣هـ)، الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٧٩١؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت/١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، مج٧، ص٣٨٩_٣٩٠ ؛ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت/٧١١هـ)، لسان العرب نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ، ج٥، ص٩٣.

(٨) من الأسباب الأخرى التي تسند هذا الترجيح والاعتقاد إن أقدم نص يذكر كلمة قيسرية ويتحدث عن القيساريات في المدة الإسلامية المبكرة هو للمؤرخ ابن عبد الحكم في كتابه(فتوح مصر والمغرب)، وهو من رجال القرن الثالث الهجري (ت/٢٥٧هـ)، ويلاحظ انه لا يشير أبدا إلى النظام الروماني ولا ينوه إلى إن اسم أو تخطيط أو عمارة هذه السوق كان مقتبسا من الرومان، وأيضا نلاحظ إن الكثير من الرحالة والجغرافيين يذكرون إن جمع كلمة قيسرية هو(قياسر)، وهي نفس جمع كلمة قيسري في المعاجم اللغوية العربية، ومنهم الرحالة المقدسي والمقريزي. ينظر: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله(ت/٢٥٧هـ)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦١م، ج١، ص١٨٣-١٨٥-١٨٦ ؛ المقدسي، شمس الدين محمد(ت/٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦، ص١٩٨-٢٠٢؛ الجوهري، المصدر السابق، ج١، ص٦٣٠؛ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت/٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ج٣، ص١٥٧.

(٩) مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٩٨.

(١٠) الجمعة، احمد قاسم، "المميزات والتصاميم المعمارية في الموصل"، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٦م، ع١٦، مج ٢١، ص٣٣٠.

(١١) شافعي، فريد محمود، العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ج١، ص٣.

(١٢) محمد، رفعت موسى، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ص٣٧.

(١٣) الأنصاري، رؤوف محمد علي، "الأسواق والقيساريات التراثية في العراق"، جريدة الحياة، ع١٢٤٣٠، لندن، ١٩٩٧م، ص٢١.

(١٤) ناجي، عبد الجبار، دراسات في المدن العربية الإسلامية، البصرة، ١٩٨٦م، ص٢٣.

(١٥) الجمعة، احمد قاسم، "استنطاق العلوم الصرفة والبيئية من عمائر كوردستان العراق خلال العصور الإسلامية"، مجلة سوبارتو، نقابة الاثاريين الكوردستانيين، ٢٠١٣م، ع٦و٧، ص٢٣٥.

(١٦) الحسيني، عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، ط٢، صيدا، ١٩٥٦م، ص٢١٧.

(١٧) باقر وسفر، طه وفؤاد، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الرابعة(بغداد–كركوك–سليمانية)، دار الجمهورية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦٥م، ص١٠.

(١٨) جامع قيردار: يقع الى الشرق من قيسرية قيردار ومجاور لها، وحسب النص المدون على واجهة الجامع فانه تم بناءه عام(١٣٠٢هـ/١٨٨٢م) من قبل الحاج مصطفى قيردار.

(١٩) وهي من العوائل العشائرية التركمانية المتنفذة في العهد العثماني، كانت تقطن في الجنوب الغربي من تركمانستان(شمال شرق العراق) على الحدود العراقية الإيرانية حاليا، وفي بداية القرن السابع عشر انتقل فرع منها بزعامة قيردار عمر زادة خان إلى كركوك، وذلك للانتفاع من مناخ المدينة المعتدل وأرضها الخصبة ووفرة مياهها، وأصبحت المدينة منذ ذلك الحين موطنهم، وأخذت هذه العائلة اسم زعيمهم قيردار عمر زادة. أفادني بهذه المعلومات، الحاج محمد ناجي عمر عبد اللطيف حاج مصطفى قيردار، حفيد مشيد هذه القيسرية، من مواليد ١٩٤٤م، في مقابلة معه أثناء زيارتي الميدانية للقيسرية، بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.

(٢٠) هو الحاج مصطفى محمد قيردار، احد الأشخاص البارزين والمتنفذين من قبل السلطة العثمانية في مدينة كركوك، قام في عام(١٣٠٢هـ/١٨٨٢م) ببناء جامع قيردار، وبعد ذلك وفي عام(١٣٠٣هـ/١٨٨٣م) بنى قيسرية قيردار بجانب الجامع، وبنى خان قيردار في نفس السنة مقابل الجامع، وأوقفهما على الجامع. نفس المقابلة السابقة، الحاج محمد ناجي عمر، بتاريخ٢٠١٤/٣/١٠.

(٢١) تمت أعمال الصيانة بإشراف الهيئة العامة للآثار والتراث، مفتشية أثار كركوك، عام ٢٠٠٣م.

(٢٢) تم تجديد كل أبواب القيسرية خلال أعمال الصيانة التي جرت عليها في عام(٢٠٠٣م)، بإشراف مفتشية أثار كركوك. مقابلة مع أياد طارق، مدير مفتشية أثار كركوك، بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.

(٢٣) مقابلة مع أياد طارق، مدير مفتشية أثار كركوك، بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.

(٢٤) جميع نوافذ الأروقة السفقية متشابه من حيث الشكل والأبعاد.

(٢٥) جميع النوافذ الجدارية التي تطل على الأروقة متشابهة من حيث الشكل والأبعاد.

(٢٦) شغل حوانيت هذه القيسرية قديما البزازون والخياطون وبائعي البسط والمفروشات، أما في الوقت الحاضر فهي مخصصة لبيع الملابس الجاهزة والإكسسوارات ومواد التجميل، وتعد مركزا مهما للتسوق في المدينة.

(٢٧) بسبب تأجير هذه الوحدات العمارية والقاعات كمخازن للبضائع، لم نتمكن من الدخول إليها وذلك بسبب غلقها من قبل مستأجريها، ماعدا الوحدة عمارية رقم_٤ والقاعة رقم_٢ كانتا مفتوحتان واستطعنا تثبيت كافة التفاصيل عنهما، أما الوحدات العمارية الأخرى والقاعة رقم_١، لم نستطع التوصل إلى تفاصيلها كافة، وقد اعتمدنا على تثبيت قياساتها وتفاصيلها على المخطط والمقابلات التي أجريتها مع أصحاب الحوانيت داخل القيسرية في أثناء الزيارة الميدانية لها .

(٢٨) استغلت الوحدات والقاعات قديما لخزن البضائع التي تباع داخل القيسرية، وبعض منها استغل لإقامة ورش للخياطة ولبعض الصناعات الحرفية، والبعض الأخر خصص لسكن وإقامة بعض التجار وأصحاب الحوانيت ومن يعملون في الورش، أما في الوقت الحاضر اقتصر استعمالها للخزن فقط بعدما انتفت الحاجة إلى استغلالها كورش أو للسكن. المقابلة السابقة، الحاج محمد ناجي عمر، ٢٠١٤/٣/١٠.

(٢٩) جميع مداخل السلالم المؤدية إلى القاعات والوحدات العمارية في الطابق العلوي متوجة بعقود منبطحة ويسد مداخلها أبواب حديدية ذات مصراعين، وبسبب غلق هذه الأبواب من قبل مستأجرين الوحدات العمارية والقاعات، لم نتمكن من معرفة تفاصيل هذه السلالم ماعدا سلم الوحدة العمارية رقم_٤ وسلم القاعة رقم_٢.

(٣٠) أفادني بهذه المعلومة، جمال حازم، احد أصحاب الحوانيت في القيسرية، خلال مقابلة معه بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠، في أثناء زيارتي الميدانية للقيسرية.

(٣١) جمال حازم، المقابلة السابقة، بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.

(٣٢) أرجح أن سقوف جميع السلالم مشابهة لسقف هذا السلم، أي أقبية منخفضة.

(٣٣) جميع غرف الوحدات العمارية لا تحتوي مداخلها على أبواب، والباب الوحيد لكل وحدة عمارية هو باب السلم الذي يؤدي إليها. المقابلة السابقة، جمال حازم، بتأريخ٢٠١٤/٣/١٠.

(٣٤) أفادني بهذه المعلومة، مصطفى حسيب قيردار، متولي القيسرية، خلال مقابلة معه بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.

(٣٥) المقابلة السابقة نفسها، جمال حازم، بتاريخ٢٠١٤/٣/١٠.

(٣٦) لم أتمكن من الصعود إلى القاعة رقم_١ بسبب غلقها من قبل مستأجريها، وتمكنت فقط من الوصول إلى القاعة رقم_٢.

[٣٧] نفس المقابلة السابقة، جمال حازم، بتاريخ٢٠١٤/٣/١٠.

قائمة المصادر :

١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت/٦٣٩هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦م، ج٢.

٢. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله(ت/٢٥٧هـ)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦١م، ج١.

٣. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت/٧١١هـ)، لسان العرب نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ، ج٥.

٤. الأنصاري، رؤوف محمد علي، "الأسواق والقيساريات التراثية في العراق"، جريدة الحياة، ع١٢٤٣٠، لندن، ١٩٩٧م.

٥. باقر وسفر، طه وفؤاد، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الرابعة(بغداد–كركوك– سليمانية)، دار الجمهورية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦٥م.

٦. البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت/٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، تحقيق:مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ج٣.

٧. الجمعة، احمد قاسم، "استنطاق العلوم الصرفة والبيئية من عمائر كوردستان العراق خلال العصور الإسلامية"، مجلة سوبارتو، نقابة الاثاريين الكوردستانيين، ٢٠١٣م، ع٦و٧.

٨. الجمعة، احمد قاسم، "المميزات والتصاميم المعمارية في الموصل"، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٦م، ع١٦، مج ٢١.

٩. الجواليقي، أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد(ت/٥٤٠هـ)، المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: احمد محمد شاكر، طهران، ١٩٦٦م.
١٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت/٣٩٣هـ)، الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج١ و ج٢.
١١. الحسيني، عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، ط٢، صيدا، ١٩٥٦م.
١٢. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت/٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٤.
١٣. الريحاوي، عبد القادر، العمارة العربية الإسلامية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م.
١٤. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت/١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، مج٧.
١٥. شافعي، فريد محمود، العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ج١.
١٦. الشهابي، قتيبة، معجم المواقع الأثرية في سوريا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦م.
١٧. عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، المطبعة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٨م،ص٣٢٠.
١٨. غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، بيروت، ١٩٦٥م، مج١.
١٩. الفراهيدي، الخليل بن احمد(ت/١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة،١٤١٠هـ ، مج٥.
٢٠. محمد، رفعت موسى، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، ط١، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م.

٢١. مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م، ج٢.
٢٢. مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨م، ج٢.
٢٣. مقابلة مع الحاج محمد ناجي عمر عبد اللطيف حاج مصطفى قيردار، حفيد مشيد هذه القيسرية، من مواليد ١٩٤٤م، في مقابلة معه أثناء زيارتي الميدانية للقيسرية، بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.
٢٤. مقابلة مع أياد طارق، مدير مفتشية أثار كركوك، بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.
٢٥. مقابلة مع جمال حازم، احد أصحاب الحوانيت في القيسرية، خلال مقابلة معه بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠، في أثناء زيارتي الميدانية للقيسرية.
٢٦. مقابلة مع مصطفى حسيب قيردار، متولي القيسرية، خلال مقابلة معه بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٠.
٢٧. المقدسي، شمس الدين محمد(ت/٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦.
٢٨. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت/٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ج٣.
٢٩. ناجي، عبد الجبار، دراسات في المدن العربية الإسلامية، البصرة، ١٩٨٦م.
٣٠. الوزان، حسن بن محمد(١٤٨٣-١٥٥٠م)، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ج١.
31. E.VAN DONZEL,AND OTHERS,"KAYSARIYYA"THE ANCYCLOPAEDIA OF ISLAM ,VOL, IV,BRILL,1978,p.840.

السيرة الشخصية لعائلة آل بختيشوع

أ.د.عبد الكريم عز الدين الأعرجي
زينب عبد الرزاق

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

السيرة الشخصية لعائلة آل – بختيشوع

أ.د.عبد الكريم عز الدين الأعرجي

زينب عبد الرزاق

المقدمة :

ضم التراث العربي الإسلامي العلوم والفنون بإشكالها وأنواعها كافة وكان الطب أحد المنجزات العلمية العظيمة التي تحققت على أيدي العلماء سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم خاصة في زمن الخلافة العباسية حيث شهدت خلالها العلوم والمعارف تطورات متعددة حيث أُولى الخلفاء العباسيون الاهتمام بالجانب العلمي وخاصة العلوم الطبية والاطباء مع زيادة نشاط الحركة العلمية التي دفعت إلى ترجمة الكتب والمخطوطات الهندية والفارسية واليونانية.

ولقد برزت العديد من العوائل التي أهتمت بممارسة مهنة الطب ومن ابرزها عائلة آل بختيشوع موضوع الدراسة.

تُعد عائلة آل بختيشوع من العوائل العلمية والاجتماعية التي عرفت بتاريخها في العلوم الطبية وهذه العائلة كانت قد انجبت عبر الفترات الزمنية عدداً من الاطباء المعروفين في التاريخ الاسلامي وكانت لديهم علاقات وطيدة مع الخلفاء العباسيين وقد عرفت علومهم الطبية بالأصالة والتميز ونظراً لاهتمامنا بتراثنا التاريخي العلمي فلقد ارتأيت دراسة الاطباء من هذه العائلة وفق التسلسل الزمني لهم.

السيرة الشخصية لعائلة آل – بختيشوع أسماء عائلة آل بختيشوع

جبرائيل دوستاباذ (لم تذكر المصادر تاريخ وفاته)

طبيب كسرى انوشروان

↓

بختيشوع بن جبرائيل دوستاباذ (لا يعرف تاريخ وفاته)

طبيب الخليفة القائم بأمر الله

↓

جورجيوس بن بختيشوع (ت: ١٥٢هـ/ ٧٦٩م)

طبيب المنصور

↓

بختيشوع بن جورجيوس (ت: ١٨٢هـ/ ٧٩٨م)

طبيب الخليفة المهدي

↓

جبرائيل بن بختيشوع (ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)

طبيب الرشيد والمأمون

↓

بختيشوع بن جبرائيل (ت: ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)

طبيب الخليفة المتوكل والمستعين

↓

يوحنا بن بختيشوع

(ت: ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)

↓

بختيشوع بن يوحنا

(ت: ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)

↓

ابراهيم بن بختيشوع

(لا يعرف وفاته)

↓

عبيد الله بن بختيشوع

كتاب الخليفة المقتدر (لا يعرف وفاته)

↓

جبرائيل بن عبيد الله

طبيب عضد الدولة (ت: ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م)

↓

عبيد الله بن جبرائيل

(ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

علي بن إبراهيم بن بختيشوع (ت بعد ٤٦٠هـ ١٠٦٨م)[١].

معنى بختيشوع:

هذا الاسم يتكون من مقطعين الاول بخت والبُخْتَ والبُختَي اعجميان دخيلان، قيل الإبل الخراسانية تنتج من إبل عربية[٢]. وقيل "فأتي بسارق قد سرق بختية" والبختية هي الانثى من الجمال والبخث والذكر (بختي) وهي جمال طويلة الاعناق وتجمع على (بُخْت وبخاتي)[٣].

كما يأتي البْخَتُ بمعنى الجِّد وهو معرب[٤] وقيل ان البخت عربي وينشد لابن قيس الرقيات[٥] قوله:

ان يعش مصعب فأنا بخير قد اتانا من عيشنا ما نرجى
يهب الالف والخيول ويسقى لبن البخت في قصاع الخلج[٦]

وبختيشوع اسم لوالد جبرائيل المتطبب[٧].

ويقولون ابن بختيشوع والصواب بختَيشوع بفتح التاء[٨]. وبختيشوع في الحديث بالباء الموحدة والخاء المعجمة والتاء المثناة الفوقانية والياء التحتانية ثم الشين المعجمة ثم العين المهملة بعد الواو[٩]. معنى بختيشوع عبد المسيح لأن في اللغة السريانية البخت هو العَبْد ويشوع هو عيسى ابن مريم (عليهما السلام)[١٠].

أصل آل بختيشوع:

آل بختيشوع هم أول من دخل بغداد من أطباء جنديسابور حيث مارسوا فيها الصناعة على الطريقة العلمية وال بختيشوع هم من السريان المسيح الذين ظهروا في منطقة جنديسابور[١١] وبرزوا في مطلع الخلافة العباسية والمشهور عن البختيشوعيون انهم تفرغوا إلى الممارسة الطبية والبحث في علومها على غير ما هو مألوف للاطباء في ذلك العصر والذين كانوا يجمعون مع الطب علوم أُخرى كالفلسفة والرياضيات والفلك والأدب كما تميزت هذه الأسرة بالفضيلة وعمل الخير والرحمة بالفقراء والتعاطف مع المرضى[١٢].

أما عن أصل آل بختيشوع فمن المرجح انهم من سوريا ثم توجهوا إلى فارس أما عن طريق الأسرى بعد انتصار سابور على جنود قيصر فحاصرهم وتوغل في أرض الروم وافتتح مدن كثيرة من الشام وأخذ معه الكثير من الأسرى[١٣] أو أنهم دخلوا إلى فارس بسبب مطاردة كنيسة بيزنطة للنسطورية والعلماء النساطرة[١٤] ولقد نزل هؤلاء الرها[١٥] ثم نصيبين[١٦] وحين تم اغلاق مدرسة الرها سنة (٤٨٩ ق.م.) هاجر علماء هذه المدينة وانضموا إلى زملائهم في جنديسابور.

وهكذا تجمع عدد كبير من علماء وأطباء النساطرة المتحلين بالثقافة اليونانية[١٧]، كما أسر كسرى انوشروان من علماء انطاكيا سنة (٥٣٨م) وأسكنهم في مدينة سماها (رومية)[١٨] واختص بواحدة من اطبائها وهو (جبرائيل دوستاباذ) ليكون طبيب لشخصه[١٩]، ويبدو من تكرار اسماء افراد هذه العائلة تمسكهم بالتقاليد والتعصب لأنسالهم وهوياتهم المتميزة على الرغم من حدوث تغيرات طرأت على أواخر اسمائهم فقد يكون لتبدلات الظروف أو المصاهرة مع عوائل غير بختيشوعية أو بسبب دخولهم إلى الاسلام[٢٠].

موطن آل بختيشوع:

عاشت أسرة آل بختيشوع قبل قدومهم إلى بغداد ونشأوا في جنديسابور[٢١] وهي من احسن الاراضي قديماً وحديثاً ولها انهار حسنة[٢٢].

كما كانت قصبة عامرة جليلة وبلدة قديمة وكانت مصر لاقليم خوزستان أما الان فلقد غلب عليها الاكراد ولقد احتوت على ضياع جليلة ومزارع[٢٣].

ولقد ذكر البغدادي ان سبب تسمية جنديسابور بهذا الاسم هو ان اصحاب الملك سابور عندما فقدوه خرجوا يبحثون عنه وعندما بلغوا نيسابور ولم يجدوه قالوا: (انه سابور) اي ليس سابور فسميت نيسابور[٢٤]، وقبل بناء جنديسابور مر بها وأكار الحرث [يحرث] ارضاً بالقرب منها فقال له سابور: اني اريد ان ابني في هذا الموضع مدينة فقال له الاكار وكان شيخاً كبيراً اسمه (بيل) يعجب من قوله: ان جاء مني كاتباً جاء في هذا الموضع مدينة. فقال سابور: والله ما يتولى بناءها والنفقة عليها غيرك.

ثم اخذ سابور الشيخ معه وأمر بتعليمه حتى اصبح الشيخ ماهراً في الكتابة وعندما علم سابور بذلك قال له: يا بيل تعلمت الكتابة فقال نعم، فقال له: اذهب فقد قلدتك نفقات المدينة فتم بناء جنديسابور[٢٥].

فلما فرغ من بناءها نقض بعض اجزاءها سيل فبناه بالآجر والكلس وبنى باقي المدينة باللبن لذلك نجد ان اهل الاهواز يسمون جنديسابور (ببلاد باد) باسم الشيخ الذي تولى بناءها والنفقة عليها[٢٦].

كانت جنديسابور تعتبر مركزاً للعلماء الذين غادروا الامبراطورية البيزنطية عندما اتهمتهم الكنيسة المسيحية في بيزنطة بالكفر وذلك في مجمع أفسيس عام (٤٣١م) ومروا بعدة مناطق قبل استقرارهم في جنديسابور حيث اتصلوا بحرية كاملة بزملائهم من الفرس والهنود ووضعوا الاسس العلمية والفكرية للعديد من ميادين المعرفة الاسلامية[٢٧].

ولقد ظهر الكثير من الحكماء الذين تكلموا في علوم الفلك والهندسة والطب والحساب والموسيقى وغيرها[٢٨]. ولقد تأسست في جنديسابور مدرسة طبية شهيرة حيث درست فيها العلوم اليونانية باللغة السريانية وذلك في الوقت الذي ترك فيها العديد من العلماء الامبراطورية البيزنطية والتحقوا بجنديسابور واستقروا فيها بشكل نهائي[٢٩].

ولقد فتح المسلمون جنديسابور وظلت هذه المدرسة قائمة إلى العصر العباسي ولقد ذكر ان هذه المدينة بنيت على شكل القسطنطينية وان اول من علم بها هم اطباء من الروم ومازال أمرهم يقوى في العلم ويتزايدون فيه ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى امزجة بلدانهم حتى برزوا في الفضائل وكانت تجري بين علمائها مناظرات في الكثير من المسائل بحضرة الملوك[٣٠].

وسبب بلوغ أهل جنديسابور هذه المرتبة من العلوم هو ان سابور بن أردشير كان قد هادن (فيلبس) وهو قيصر ملك الروم بعد تغلبه على سوريا وافتتاحه انطاكيا فطلب منه ان يزوج ابنته على شيء تراضياً به ففعل قيصر ذلك وقبل ان تنقل اليه بنى لها مدينة على شكل القسطنطينية والتي كانت سابقاً قرية لرجل يدعى (جندا) وان

سابور عندما اختار موضعها للبناء كان المجتازون يسألون الصناع من يعمرها فيقولون (جند أو سابور) فأصبحت تسميتها هكذا وعندما نقلت اليه ابنة قيصر انتقل معها اطباء أفاضل[٣١].

يتضح لنا ان جنديسابور بغض النظر عن من أنشأها أو بناها الا انها قدر لهذه المدينة ان تمارس دوراً كبيراً في تعليم وتخريج الاطباء الماهرين.

الانتماء الديني لآل بختيشوع

كانت ديانة آل بختيشوع مسيحية ويتضح ذلك من خلال اسمهم بختيشوع والذي يعني عبد المسيح[٣٢]، وكما يدل على ذلك ما جاء على لسان جورجيس بن بختيشوع قوله (نحن معشر النصارى)[٣٣] وعائلة بختيشوع من المسيح السريان النساطرة اي على مذهب نسطور[٣٤].

الذي تصرف في الأناجيل بحكم رأيه حيث قال:– ان الله تعالى واحد ذو أقانيم[٣٥]. ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى (عليه السلام) لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية[٣٦]. ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية[٣٧].

لكن كأشراق الشمس على بلور[٣٨] ومذهب النساطرة يشبه مذهب المعتزلة[٣٩] كذلك خالف النساطرة قول الملكانية واليعقوبية قالوا: ان القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته[٤٠] لا من جهة لاهوته[٤١] لأن الاله لا تحله الآلام[٤٢].

ولقد اعترض النساطرة على تسمية مريم العذراء (عليها السلام) والدة الإله وأقروا ان للمسيح خصائص الانسان في الوجود والارادة والعقل وان اتحاده بالذات الالهية لم يبدأ إلا بعد ولادته وعلى هذا الأساس فان العذراء ولدت إلهاً ولم تلد انساناً لان المخلوق لا يلد الخالق ولقد تبنت كنيسة انطاكيا[٤٣] مذهب نسطوريوس ثم تخلت عنه وارتبطت به حتى الان كنيسة فارس واصبحت تدعى الكنيسة النسطورية وكثر اتباعها في العراق وايران والهند[٤٤].

السيرة التاريخية لعائلة آل بختيشوع

كان جد هذه العائلة هو جبرائيل دوستاباذ والذي كان طبيب لكسرى انوشروان وكان يعقد مناظرات امام الملك ويجري بينهم مسائل وكان واسطة المجلس جبرائيل دوستاباذ[٤٥]، وكان هذا في سنة عشرين وهذه المسائل والاجوبة تدل على فضلهم وغزارة علمهم[٤٦] لكن المصادر سكتت عن جبرائيل دوستاباذ وابنه بختيشوع ربما بسبب عدم اتصالهم بالخلافة العباسية فلم يبزغ نجم هذه العائلة الا في عهد جورجيوس بن بختيشوع.

جورجيوس بن بختيشوع (ت: ١٥٢هـ/ ٧٦٩م)

ويذكر اسمه بعدة طرق فيذكره ابن جلجل باسم جورجيس[٤٧] وكذلك القفطي[٤٨] اما ابن أبي أصيبعة فيذكره باسم جورجيوس[٤٩] بينما أشار اليه الرازي باسم جورجس[٥٠] وهو عميد أسرة آل بختيشوع كان نصرانياً في ايام ابي العباس السفاح (١٣٢– ١٣٦هـ) (٧٥٠– ٧٥٤م) وصحبه وعالجه[٥١] وعندما عزم الخليفة المنصور (١٣٦–١٥٨هـ/ ٧٥٤–٧٧٥م) على بناء مدينة بغداد سنة (١٤٨هـ/ ٧٦٥م) أدركه ضعف في معدته وسوء استمراء وقلة شهوة وكلما عالجه الاطباء ازداد مرضه فتقدم وطلب بجمع الاطباء في سائر المدن[٥٢].

وعندما اجتمع الاطباء قال لهم المنصور:– اريد من الاطباء في سائر المدن طبيباً ماهراً[٥٣] فقالوا له ما في عصرنا أفضل من جورجيس بن بختيشوع رئيس اطباء جنديسابور فأنه ماهر في الطب وله الكثير من المصنفات الجليلة في ميدان الطب[٥٤].

يتضح لنا ان جورجيس بن بختيشوع كان مشهوراً ومعروفاً بمهارته في الطب لاسيما عند الاطباء على الرغم من ان الخلفاء العباسيون لم يسمعوا به قبل الآن.

شيوخ جورجيس بن بختيشوع

لم يتم العثور على شيوخ واساتذة لجورجيس بن بختيشوع ومن المرجح انه أخذ العلم عن أبيه لان مهنة الطب كانت متوارثة فلقد ذكر القفطي ان الاطباء بدأوا يعلمون احداث من اهلها حتى قوي أمرهم في هذا العلم وأخذوا يرتبون العلاج حسب مقتضى

أمزجة بلدانهم[٥٥]. كما ذكر احمد امين ان اهل جنديسابور كانوا يعتقدون انهم أهل هذا العلم ولا يخرجونه عنهم وعن اولادهم[٥٦].

تلاميذ جورجيس بن بختيشوع

١- ابراهيم تلميذ جورجيس (لم تذكر المصادر تاريخ وفاته):

كان تلميذاً لجورجيس بن بختيشوع وهو من أهل جنديسابور ولقد صحب جورجيس عند قدومه إلى بغداد لمعالجة الخليفة المنصور[٥٧].

ويبدو انه عاد مع استاذه جورجيس إلى جنديسابور عندما مرض جورجيس وبعد قيام الخليفة المنصور بنفي عيسى بن شهلا ارسل من يتعلم عن جورجيس لاحضاره ان كان مايزال حياً لكن جورجيس كان قد سقط في تلك الايام من السطح وضعف ضعفاً شديداً فقام بارسال ابراهيم تلميذه إلى الخليفة ليعلمه بأمره فلما أتى المنصور استخلصه ولم يزل معه إلى ان توفي[٥٨].

٢- سرجيس تلميذ جورجيس (لم تذكر المصادر وفاته):

كان من تلاميذ جورجيس بن بختيشوع الذي اراد اصطحابه إلى بغداد معه لرؤية الخليفة لكنه تركه في جنديسابور وأخذ بدلاً عنه عيسى بن شهلا[٥٩] ولقد تولى ادارة البيمارستان في جنديسابور في غياب أستاذه[٦٠].

٣- عيسى بن طاهر بخت (لم تذكر المصادر وفاته):

كان من اطباء بيمارستان جنديسابور وهو تلميذ جورجيس بن بختيشوع[٦١].

٤- عيسى بن شهلا (لم تذكر المصادر تاريخ وفاته):

وهو تلميذ جورجيس بن بختيشوع والذي جاء معه عند حضور جورجيس إلى بغداد وعندما مرض جورجيس واستأذن الخليفة المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) في العودة إلى بلده جنديسابور خلف وترك تلميذه هذا في خدمة المنصور لكن عيسى بن شهلا بدأ يبسط يده في التشاور[٦٢] والاذية خاصة على الاساقفة والمطارنة ومطالبتهم بالرشاوي وأخذ أموالهم لأنه كان طماع وحين خرج الخليفة المنصور في

بعض سفراته ووصل قريباً من نصيبين فكتب عيسى إلى مطران نصيبين يتهدده ويتوعده اذا منع عنه ما طلب[٦٣].

وكان عيسى بن شهلا قد طلب ان يرسلوا له من الالات اشياء جليلة ثمينة لها قدر حيث كتب في كتاب[٦٤] أرسله إلى مطران نصيبين (ألست تعلم ان أمر الملك في يدي ان أردت امرضته وإن اردت شفيته) فلما وقف المطران على الكتاب احتال في التوصل إلى الربيع وشرح له صورة الحال وأقرأه الكتاب وأوصله الربيع إلى الخليفة ووقفه على حقيقة الامر فأمر الخليفة المنصور بأخذ جميع ما يملكه عيسى وتأديبه ونفيه ففعل ذلك به[٦٥].

يتضح لنا أمر خطير وهو ان الأطباء كانوا يستطيعون إمراض الخليفة أو شفاءه والتحكم بحياته وهذا احياناً يؤدي إلى تطاولهم وسيطرتهم وتدخلهم بأمور لا تتعلق بالطب مثل التدخل بالاساقفة وغيرهم.

٥- عيسى بن صهار بخت (**لم تذكر المصادر وفاته**):

كان طبيب من أهل جنديسابور وله مصنفات عديدة في الطب وهو تلميذ جورجيس بن بختيشوع كان جورجيس قد طلب منه الذهاب إلى الخليفة المنصور (١٣٦– ١٥٨هـ/ ٧٥٤– ٧٧٥م) لكنه امتنع وقرر البقاء في بيمارستان جنديسابور[٦٦].

هؤلاء هم أبرز تلامذة جورجيس بن بختيشوع ويبدو انهم لم يحققوا نجاحاً كبيراً في عملهم أو لم يقوموا بخدمة الخلفاء العباسيين لمدة طويلة لذلك جاءت المعلومات عنهم قليلة جداً أو لأنهم بقوا في بيمارستان جنديسابور ولم تصل شهرتهم إلى بغداد.

٦- بختيشوع بن جورجيس (**ت: ١٨٢هـ/ ٧٩٨م**):

كان طبيباً مشهوراً مقدماً عند الملوك خدم الخلفاء العباسيين الرشيد وأولاده وكانت الخلفاء تثق به على أمهات أولادهم كان بختيشوع مقيماً بجنديسابور ويشرف على المارستان الموجود هناك نيابة عن غياب أبيه جورجيس[٦٧].

ويذكر ان بختيشوع طلب من أبيه ان يذهب معه إلى بغداد لكن جورجيس قال له: (لا تعجل يا بني فانك ستخدم الملوك وتبلغ من الاحول أجلها)[٦٨]. وهذا يعني ان

جورجيس كان يتوقع ان يقوم ابنه بخدمة الخلفاء العباسيين ادراكاً منه بمهارته في الطب وهذا ما حصل فعلاً.

ولقد حضر بختيشوع إلى بغداد زمن الخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) وذلك عندما مرض ولده الهادي حيث تم استدعاء بختيشوع بن جورجيس لمعالجة الهادي من جنديسابور[٦٩] وداواه لكنه سرعان ما عاد إلى جنديسابور يشرف على ادارة البيمارستان واستمر ذلك حتى سنة (١٧١هـ/ ٧٨٧م) عندما مرض الخليفة الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) من صداع لحقه وعجز الاطباء عن علاجه فأرسل البريد في طلب بختيشوع فحضر ودخل على الرشيد وأكرمه وخلع عليه خلعة حسنة[٧٠].

٧- جبرائيل بن بختيشوع (ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨م):

وهو حفيد جورجيس بن بختيشوع كان طبيباً حاذقاً نبيلاً خدم الخلفاء العباسيين وحل محل أبيه[٧١].

كان جبرائيل طبيب الرشيد وجليسه وخليله وكان الرشيد يحبه كثيراً ومازالت منزلته تقوى عنده حتى قال الرشيد لاصحابه: (من كانت له حاجة فليخاطب بها جبرائيل فاني أفعل كل ما يسألني ويطلبه مني) لذلك كان القواد يقصدونه في كل امورهم وعندما توفي الرشيد سنة (١٩٣هـ/ ٨٠٨م).

خدم الامين (١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١٣م) فلما ولي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته الاولى عند أبيه الرشيد وبقى كذلك إلى ان دفن في ديرمار جرجيس بالمدائن[٧٢].

تلقى جبرائيل بن بختيشوع تعليمه على يدي والده حيث نبغ في حياة أبيه بختيشوع بن جورجيس وكان مشهوراً بالفضل وحسن التصرف بالمداواة ولقد عرف بطبه منذ سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م) ووصل محل أبيه عند الخلفاء ونشأ في دولتهم حيث كان في بداية أمره طبيباً لجعفر البرمكي[٧٣]، فلقد مرض جعفر بن يحيى وطلب الرشيد من بختيشوع ان يتولى خدمته ومعالجته ثم طلب جعفر بن يحيى من بختيشوع طبيب ماهر

يشرف عليه فرشح له بختيشوع ابنه جبرائيل (ابني جبرائيل أمهر مني وليس في الاطباء من يشاكله) فطلب جعفر إحضاره[٧٤]، ولقد حضر وعالجه في مدة ثلاثة أيام ولقد أحبه جعفر مثل نفسه وكان لا يأكل ولا يشرب الا معه[٧٥].

كان جبرائيل كثير الاجتهاد في الفلسفة فضلاً عن الطب ومتشعباً للأفكار اليونانية القديمة والمؤلفات التي تبحث فيها ولقد بحث جبرائيل عن كتاب البرهان[٧٦] لجالينوس في كل مكان وهذا الكتاب بخمسة عشر جزء[٧٧] في الفلسفة كما فيه شذرات لا غنى لمثل جبرائيل عن الاطلاع عليها لكنه لم يتمكن من العثور على بعض الاجزاء بينما حنين بن اسحاق وجد اقسام المقالات الاخرى من هذا الكتاب في دمشق وترجمها إلى السريانية[٧٨]، وبذلك نجد ان جبرائيل نجح في الحصول على بقية كتاب البرهان والاستفادة منه.

يمكن اعتبار جبرائيل اكثر الاطباء ثراء من عائلة آل بختيشوع فلقد ذكر القفطي ما كان لجبرائيل من الرزق والرسوم والصلات وان رزقه كان برسم العامة في كل شهر من الورق (١٠) آلاف درهم اما الرسم الخاص كان (٥٠) الف درهم في كل سنة من الورق والثياب بقيمة (١٠) آلاف درهم ولفصد الرشيد مرتين في السنة (١٠٠) ألف درهم وكان يحصل من اصحاب الرشيد كل سنة[٧٩] على ما فصل مع ما فيه من قيمة الكسوة ومن الطيب والدواب ومن الورق (٤٠٠) الف درهم ومن زبيدة ام جعفر[٨٠] يحصل على (٥٠) ألف درهم[٨١].

وكان يحصل من العباسة[٨٢] على خمسين الف درهم ومن الفضل بن الربيع (٥٠) ألف درهم كسوة وطيب ودواب (١٠٠) ألف درهم بالاضافة إلى غلة ضياعه بجنديسابور وغيرها في كل سنة (٨٠٠) الف درهم[٨٣] وكان يصير اليه من البرامكة في كل سنة من الورق (١٤٠٠) درهم وذلك من يحيى بن خالد (٦٠) الف درهم ومن جعفر بن يحيى (٦٠٠) الف درهم وذلك كله من خدمته للرشيد لمدة (٢٣) سنة وخدم البرامكة (١٣) سنة.

٨-بختيشوع بن جبرائيل (**ت**: **٢٥٧هـ/ ٨٧٠م**):

طبيب سرياني الأصل قربه الخلفاء العباسيون ولاسيما الخليفة المتوكل العباسي[٨٤] فعلت مكانته وأثرى ثراءً كبيراً وكان يُضاهي الخليفة المتوكل في الفرش واللباس كما خدم الواثق[٨٥] والمستعين[٨٦] المعتز [٨٧].

كان لبختيشوع بن جبرائيل الكثير من العادات نذكر منها انه كان يهدي البخور ومعها الفحم الذي يتخذ له من قضبان الكروم والاترج والصفصاف المرشوش عليه عند إحراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور والشراب العتيق[٨٨]، وكان من عادته ان ينتقل في عربة من الأبنوس[٨٩] ومن حوله رجاله السود. كما كان بختيشوع متديناً ويكثر من تلاوة الانجيل والتعبد إلى الله وكان يستمتع بالفكاهة وسماع النكتة. يعتبر بختيشوع بن جبرائيل اكثر معاصريه من الاطباء في ممارسة الطب بالقياس لا بالتجربة وكان يعتمد بصورة خاصة على الوقاية من الامراض وعلى معالجتها بإحدى طرق الاستفراغ وتعديل الاخلاط[٩٠].

لبختيشوع بن جبرائيل ولدين مارسا كل منهما الطب هما وأولادهما من بعدهما نذكر كل واحد مع افراد عائلته:

١- يوحنا بن بختيشوع (**ت**: **٢٩٠هـ/ ٩٠٣م**):

كان طبيباً متميزاً خبيراً باللغة اليونانية والسريانية ونقل من اليونانية إلى السريانية كتب كثيرة وخدم بصناعة الطب الموفق بالله[٩١] طلحة بن جعفر المتوكل الذي كان يعتمد عليه كثيراً ويسميه (مفرج كربي)[٩٢] وكان الخليفة الموفق (٢٢٧-٢٧٨هـ/ ٨٤٢-٨٩١م) اذا جلس للشراب يقدم بين يديه صينية ذهب ومغسل ذهب وكان يوحنا يجلس عن يمينه وكان يعتبر من ندماء الخليفة وطبيبه الخاص[٩٣].

٢- بختيشوع بن يوحنا (**ت**: **٣٢٩هـ/ ٩٤٠م**):

كان عالماً بصناعة الطب حظياً عند الخلفاء وغيرهم اختص بخدمة الخليفة المقتدر (٢٩٢هـ/ ٣١٧هـ) (٩٠٤- ٩٢٩م) وكان له من المقتدر الانعام الكثيرة والاقطاعات من الضياع وخدم بعد ذلك الخليفة الراضي بالله[٩٤] (٢٩٧- ٣٢٩هـ/

٩٠٩-٩٤٠م) فأكرمه وأجراه على ما كان باسمه في أيام أبيه الخليفة المقتدر ولقد درس الطب على يد أبيه يوحنا بن بختيشوع ووصف بالذكاء والحذق ولم يعثر له على أي مؤلفات[٩٥].

٣- إبراهيم بن بختيشوع (لم تذكر المصادر وفاته):

كان طبيباً للعيون ولا يعرف المؤرخون عنه شيء سوى ما ذكره عنه ابنه علي بن ابراهيم في كتابه (تشريح العين) حين ذكر انه أخذ بعض العلاجات من والده[٩٦].

وبذلك نجد ان بعض افراد عائلة آل بختيشوع لم يخدموا الخلفاء العباسيين خاصة اولئك المتأخرين منهم لذلك جاءت المعلومات عنهم قليلة جداً.

٣- علي بن ابراهيم الكفرطابي (ت بعد ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م):

هو علي بن ابراهيم بن بختيشوع الكفرطابي[٩٧]، عالم بطب العيون وهو من أهل كفرطاب[٩٨] وهو طبيب لم يتحدث عنه المؤرخون ولم يعرفوه الا من خلال كتابه ولم تتوافر لهم من المعلومات عنه غير ما استخلصوه من كتابه (تركيب العين) كان قد نشأ في كفرطاب بدمشق ثم رحل إلى مصر ومارس فيها مهنة طب العيون وجرب الكحل الذي ركبه عيسى الكحال[٩٩] ان اسمه يدل على تحول هذه الاسرة إلى الاسلام[١٠٠].

٤- عبيد الله بن بختيشوع (لم تذكر المصادر تاريخ وفاته):

وهو الابن الثاني لبختيشوع بن جبرائيل كان عبيد الله بن بختيشوع متصرفاً[١٠١] ولما ولي الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) استخصه لخدمته وأقام في خدمة الخليفة المقتدر مدة ثم مات وخلف ولد وهو جبرائيل بن عبيد الله وأخت له وكانا صغيرين وعندما مات عبيد الله أرسل الخليفة المقتدر ما يقرب من (٨٠) فراشاً حملوا الموجود في بيته من أثاث وآنية وغيرها، وبعد مواراته في القبر اختفت امرأته وكانت ابنة عامل بسيط من اجلاء العمال فقبض الخليفة على والدها بسببها وطلب منه ودائع ابنته[١٠٢].

وأخذ منه مالاً كثيراً أما زوجة عبيد الله فلقد هربت مع ولديها جبرائيل واخته وكان جبرائيل واخته صغيرين فذهبت بهما إلى عكبرا[١٠٣] متسترة من الخليفة، ولقد تزوجت برجل طبيب وأقامت معه مدة ثم ماتت وأخذ الرجل جميع ما كان معها[١٠٤].

ان معلوماتنا عن عبيد الله بن جبرائيل قليلة جداً حيث كان أقل حظاً من بقية أسرة بختيشوع في كسب ثقة الخلفاء وارضاءهم لدرجة ان الخليفة المقتدر طرده من بلاطه وصادر املاكه كما لاحظنا بعد وفاته[١٠٥].

٥- جبرائيل بن عبيد الله (ت: ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م):

وهو طبيب عالم من بيت الطب في العصر العباسي ولد وتعلم في بغداد[١٠٦] ورحل إلى شيراز[١٠٧] واتصل بعضد الدولة ثم بالصاحب بن عباد[١٠٨] وأغدق عليه احسانه ثم سافر إلى القدس ودمشق واتصل خبره بالعزيز[١٠٩]، ودعاه اليه فاعتذر وعاد إلى بغداد وتوفي فيها[١١٠].

كان جبرائيل بن عبيد الله فقيراً في بداية أمره فبعد وفاة أمه أخذ زوجها كل شيء كما ذكرنا فآوى إلى أخواله لكنهم كانوا يسكنون بدار الروم وكانوا يسيئون عشرتهم عليه ويلومونه على تعرضه وتفرغه للعلم وصناعة الطب حيث كانوا يقولون له: (انكَ تريد ان تكون مثل جديكَ بختيشوع وجبرائيل ولا ترضى ان تكون مثل اخوالكَ) لكنه لم يلتفت إلى اقوالهم[١١١]، لقد اشتهر جبرائيل بحسن مداواته للمرضى وممارسته الناجحة لذلك كان من اعظم الاطباء في العصر العباسي واعتمد عليه الامراء والملوك في الاقطار الشرقية[١١٢].

شيوخ جبرائيل بن عبيد الله

١- هرمزد الطبيب (لم تذكر المصادر تاريخ وفاته):

درس جبرائيل بن عبيد الله على يديه عندما جاء إلى بغداد ولم يكن جبرائيل يملك شيء لأن زوج أمه بعد وفاتها أخذ كل ما يملك وطرده كما ذكرنا فلازم جبرائيل هرمزد وتعلم منه[١١٣].

٢- ابن يوسف الواسطي (لم تذكر المصادر تاريخ وفاته):

درس على يديه جبرائيل بن عبيد الله وكان من اطباء الخليفة المقتدر[١١٤] حيث كان ملازماً لبيمارستان المقتدر[١١٥].

٣-عبيد الله بن جبرائيل (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):

هو عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع[١١٦]، طبيب باحث من أهل ميافارقين[١١٧] كان جيد المعرفة بعلم النصارى ومذاهبهم وله تصانيف كثيرة ويظهر انه لم يمكث طويلاً ببغداد وانما مارس الطب في ميافارقين فساعده انعزاله في محيطه البعيد عن بغداد ان يكتب الكثير من تجاربه في ممارسته المهنة وان يتكلم في شؤونها وارتباطاتها بالعلوم الاخرى بحرية وانطلاق[١١٨].

كان عبيد الله يكنى ابو سعيد وكان قد درس علم التواريخ وتسلسلها وأنه حلل على سبيل المثال إثبات تاريخ ميلاد جالينوس بواسطة التقويم الميلادي وفند الآراء السائدة في ذلك الحين بأن جالينوس قد عاش في عهد السيد المسيح (عليه السلام)[١١٩] كما قام بمهاجمة من يريد ان يحتفظ بالطب كواحد من صنوف الفلسفة وحاول ان يجعله من العلوم التطبيقية الصرفة ولا ارتباط له بالفلسفة إلا بما يدخل عليها بمنطق الاستقراء والاستنتاج والتي تتطلبها الفحوص السريرية والمتابعة والبحث العلمي ودعا إلى دراسة الطب بالتجربة[١٢٠] ولقد عالج عدد من رجال الدولة وعلية القوم ولقد اشتهر اشتهاراً لا مثيل له في التأليف والتصنيف[١٢١].

البيمارستانات التي عمل بها آل بختيشوع

١- بيمارستان جنديسابور:

عمل في هذا البيمارستان جورجيس بن بختيشوع وولده بختيشوع بن جورجيس[١٢٢] وكذلك جبرئيل بن بختيشوع وبختيشوع بن جبرئيل[١٢٣].

يُعد هذا البيمارستان من أكبر البيمارستانات في العصر السابق على الاسلام بثلاثة قرون وكان نعم المعين للعرب على انشاء البيمارستانات بعد ذلك وتخريج الاطباء اللازمين وظل محافظاً على كيانه وشهرته عهداً طويلاً إلى ما بعد قيام الدولة

العباسية حيث ابتدأ المسلمون ينشئون البيمارستانات في بلادهم وأمصارهم التي افتتحوها[١٢٤].

وكان العرب قبل الأسلام يستمد أطباءهم من خريجي جنديسابور امثال الحارث بن كلدة[١٢٥] وابنه النظر بن الحارث بن كلدة[١٢٦] وغيرهم.

٢- بيمارستان الرشيد :

وهو أول بيمارستان انشئ في بغداد في الجانب الغربي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة (القرن التاسع الميلادي) على يد الطبيب جبرائيل بن بختيشوع[١٢٧] الذي اشار على الرشيد ان يكون أحد اطباء جنديسابور رئيساً هذا البيمارستان[١٢٨] ولقد تم عمل هذا البيمارستان على نمط بيمارستان جنديسابور[١٢٩].

٣- بيمارستان العضدي :

لقد ذكرنا أن هذا البيمارستان بني من قبل عضد الدولة (سنة ٣٧٢هـ) الذي اوقف عليه الاوقاف الكثيرة ورتب فيه الاطباء والخزان وجلب له مختلف الادوية والعقاقير والادوات الصحية[١٣٠]، ورتب ما يقارب اربعة وعشرين طبيباً ولقد استمر هذا البيمارستان ما يقارب ثلاثة قرون[١٣١]. وقيل انه قصد في هذا البيمارستان ان يكون فيه افاضل وأمهر الاطباء وأعيانهم وأمر باحضار الاطباء المشهورين حيث اختار مئة وخمسين طبيب حسب خبرتهم ومهارتهم الطبية[١٣٢] ولقد عمل في هذا البيمارستان جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع[١٣٣] حيث كان يتسلم راتبين احدهما برسم الخاص والآخر برسم البيمارستان[١٣٤].

الخاتمة

الحضارة العربية الإسلامية حضارة منفتحة حية لم تنغلق على نفسها بل تفاعلت مع حضارات اليونان والفرس وأفادت من كتبها وعلمائها وعملت على الحصول على المؤلفات والمصنفات اليونانية والفارسية خاصة في مجال الطب والرياضيات والفلك ثم إيصالها إلى بيت الحكمة ببغداد والعمل على ترجمتها للعربية.

و تبين لنا أن مدينة بغداد كانت أكبر مركز طبي في العالم وذلك بفضل أطبائها ومؤلفاتهم الطبية.

وكذلك بروز العديد من الأطباء الماهرين الذين كان لهم فضل كبير ليس على الحضارة العربية الإسلامية لوحدها بل على العالم من خلال كتبهم العلمية القيمة.

عالجت أسرة آل بختيشوع مسائل طبية عديدة استعصى حلها على اطباء عديدين. كما كانت عائلة آل بختيشوع تتميز بفكر علمي ثاقب وذلك بسبب تجاربهم الطبية الطويلة والتي تناقلوها جيلاً وراء جيل من خلال الكناشات التي يحملها الآباء للأبناء من بعدهم للاستفادة منها.

هوامش البحث

(١)السامرائي ،كمال ، مختصر تاريخ الطب، دار النضال للطباعة ، (د. ت) ، ج١، ص٣٣٤.

(٢) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم (ت: ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، العين، تح. د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، مكتبة الهلال (بيروت، بلا.ت)، ج٤، ص٢٤١.

(٣) ابن الاثير، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (ت: ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م) النهاية في غريب الحديث والنثر، تح: طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت، ١٩٧٩)، ج١، ص١٠١.

(٤) الجوهري، الصحاح ، ج١، ص٢٤٣، ينظر: زين الدين الرازي، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي، (ت: ٦٦هـ/ ١٢٦٨م) مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٩٩)، ص٣٠.

(٥) ابن قيس الرقيات، عبيد الله بن قيس الرقيات العامري، احد الشعراء المجيدين قيل لأبيه قيس الرقيات لأن له عدة جدات كلهن يسمين رقية توفي عبيد الله في حدود (٨٠هـ/ ٦٩٩م) كان قد خرج مع مصعب بن الزبير حين بلغه خروج عبد الملك بن مروان اليه، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٢٦٣.

(٦) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية ، ج٤، ص٤٣٧.

(٧) م. ن، ج١١، ص٧.

([٨]) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م). ، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تح: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٩٨٧) ج١، ص١٥.

([٩]) الطريحي، فخر الدين بن محمد، (ت: ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) مجمع البحرين، تح: احمد الحسيني، ط٢، مكتبة النشر للثقافة الاسلامية (قم، ١٣٦٧هـ) ج١، ص١٥٨.

([١٠]) ابن أبي اصيبعة/ موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم (ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٩٦م) ، عيون الانباء، ص١٨٦، ينظر: وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر (بيروت، بلا.ت) مج٢، ص٥٠.

([١١]) ابن العمري، احمد بن يحيى بن فضل الله القريشي العدوي، شهاب الدين، (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي، (ابو ظبي، ١٤٢٣هـ) ج٩، ص٣٣٨.

([١٢]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج١، ص٣٣٥.

([١٣]) الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف (القاهرة، بلا.ت). ص٦٥٤.

([١٤]) نافعة حسن ، وكليفورد بوزوث، تراث الاسلام، ترجمة: حسين مؤنس واحسان صدقي، عالم المعرفة (الكويت، ١٩٩٠). ج٢، ص١٢٩.

([١٥]) الرها، مدينة اسمها بالرومية (أذاسا) بنيت في السنة السادسة من موت الاسكندر بناها الملك سلوقس، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م). ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٠٦.

([16]) نصيبين، مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وبينها وبين سنجار تسعى فراسخ وعليها سور وهي كثيرة المياه والماء جار في وسطها وهي من قرى حلب، ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي، صفي الدين (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، (بيروت، ١٤١٢هـ) ج٣، ص١٣٧٤.

([17]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج٢، ص٢٩٣.

([18]) رومية، وهي احدى بلدات المدائن التي كان ينزلها كسرى ملك الفرس بالعراق يقال لها (رومية المدائن) والمدائن على مسافة بعض يوم من بغداد ويشتمل مجموعها على مدائن متصلة على جانبي دجلة شرقاً وغرباً، الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٠٩٥م). ، الروض المعطار في خير الاقطار، ص٢٧٦.

([19]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج١، ص٢٩٣.

([20]) م. ن، ج١، ص٣٣٥.

([21]) جُنْدَيْسابُوْر، بضم أوله وتسكين ثانيه وفتح الدال وياء ساكنة وسين مهملة والف وباء موحدة مضمومة ووأو ساكنة مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت اليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده وجنديسابور هي تعريب (يه از انديسفاور) ومعناه (خير من انطاكية)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٧٠.

([22]) ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م).، المسالك والممالك، دار صادر (بيروت، ١٩٨٩م) ، ص١٧١.

([٢٣]) المقدسي، محمد بن أحمد بن ابي بكر البناء ويقال له البشاري، شمس الدين ابو عبد الله، (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩١)، ص٤٠٥.

([٢٤]) ابو جعفر البغدادي، محمد بن حبيب بن امية بن عمرو، (ت: ٢٤٥هـ/ ٨٦٠م)، المحبر، تح: ايلزة ليختن نشتير، دار الافاق الجديدة (بيروت، بلا.ت) ص٣٦١-٣٦٢.

([٢٥]) الهمذاني، ابو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق، ابن الفقيه (ت: ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) البلدان، تح: يوسف الهادي، عالم الكتاب، (بيروت، ١٩٩٦) ص٣٩٦.

([٢٦]) الهمذاني، البلدان، ص٣٩٦.

([٢٧]) نافعة حسن، كليفورد بوزوث، تراث الاسلام، ص١٢٩.

([٢٨]) المسعودي، ابن الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، اخبار الزمان، دار الاندلس (بيروت، ١٩٦٦) ص٩٤.

([٢٩]) غراوي، نجيب، الترجمة في العصر العباسي، وزارة الثقافة (دمشق، ١٩٨٨)، ص١١.

([٣٠]) احمد أمين، ضحى الاسلام، مكتبة الاسرة (مصر، ١٩٩٨) ، ج١، ص٢٥٦.

([٣١]) القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). اخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٥م). ، ص١٣٣.

([٣٢]) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص١٨٦.

([٣٣]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٢٣.

([٣٤]) نسطور، بطرك القسطنطينية والذي اجتمع عليه البطاركة في مجمع افسيس ولعنوه وطردوه لانه خالفهم الرأي وبها تم نفي نسطوريوس إلى صعيد مصر فنزل الحميم ومات بها لسبع سنين من نزولها ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر (بيروت، ١٩٨٨)، ص١٧٩.

([٣٥]) اقانيم، مفردها أقنوم ومعناها الاصول وهي رومية، زين الدين الرازي، زين الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية (بيروت، ١٩٩٩). ، ص٢٦١.

([٣٦]) الملكانية، اصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية قالوا: ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرع بناسوته ويعنون بالكملة أقنوم العلم ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد، (ت: ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي (سوريا، بلا. ت) ج٢، ص٢٧، ينظر: ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ، المختصر في اخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية (مصر، بلا.ت). ، ج١، ص٨٩.

([٣٧]) اليعقوبية، اصحاب يعقوب، قالوا بالاقانيم الثلاثة، الا انهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو وعنهم أخبرنا القرآن الكريم {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}، الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٣٠.

([٣٨]) ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس، ابو حفص ابن الحسين ابن الوردي، (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٦) ج١، ص٧٧.

([٣٩]) المعتزلة، ويسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية ولقد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله، الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٤٣.

([٤٠]) ناسوت، لغة عبرانية يقال بها للناس ناسوت، الزبيدي، تاج العروس، ج٣٦، ص٤٩٦.

([٤١]) لاهوت، يقال لله لاهوت اي إله، م. ن، ج٣، ص٤٩٦.

([٤٢]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٣٠.

([٤٣]) انطاكيا، بلدة حسنة الموقع كريمة البقعة ليس بعد دمشق انزه منها داخلاً وخارجاً كثيرة المياه تمتاز بأسواقها وطرقها وقصورها وسككها ولها سور دائر يحيط بها سور عجيب وحصين واسواق عامرة ومباني زاهرة وصناعات ومعاملات، الادريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني المعروف بالشريف الادريسي، (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب (بيروت، ١٤٠٩هـ) ج١، ص٦٤٥.

([٤٤]) شلبي، احمد، موسوعة النظم والحضارة الاسلامية، ط٨، مكتبة النهضة المصرية (مصر، ١٩٨٦) ج٢، ص٣٩-٤٠.

([٤٥]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٠٦.

([٤٦]) أحمد أمين، ضحى الاسلام، ج١، ص٢٥٦.

([٤٧]) طبقات الاطباء، ص٦٣.

([٤٨]) اخبار العلماء، ص٨١.

([٤٩]) عيون الانباء، ص١٨٣.

([٥٠]) الرازي، ابو بكر محمد بن زكريا، (ت: ٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، الحاوي في الطب، تح: هيثم خليفة طعيمي، ط١، دار احياء التراث (بيروت، ٢٠٠٢) ج١، ص٤٢.

([٥١]) ابن جلجل، ابي داود سليمان بن حيان (ت: ٣٧٧هـ/ ٩٧٨م).طبقات الاطباء والحكماء، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٨٥).، ص٦٣.

([٥٢]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٢٣.

([٥٣]) م. ن، ص١٢٣.

([٥٤]) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص١٨٣، ينظر: ابن فضل العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج٩، ص٣٣٨.

([٥٥]) اخبار العلماء، ص١٠٦.

([٥٦]) ضحى الاسلام، ج١، ص٢٥٦.

([٥٧]) ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص١٨٤، ينظر: احمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص٦٣.

([٥٨]) ابن العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله القريشي (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) ، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي (ابو ظبي، ١٤٢٣هـ). ، ج٩، ص٢٤٠.

([٥٩]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٢٣، ينظر: ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص١٨٤.

([٦٠])عيسى، أحمد ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، دار الرائد العربي (بيروت، بلا.ت) ، ص٦٣.

([٦١]) م. ن، ص٦٥.

([٦٢]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٨٩.

([٦٣]) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٧١.

([٦٤]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٨٩، ينظر: ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص١٨٤.

([٦٥]) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٧١، ينظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص٣٣٨.

([٦٦]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٨٩.

([٦٧]) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي (ت: ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م)، الفهرست، تح: ابراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٩٧) ص٣٥٨.

([٦٨]) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص١٨٤.

([٦٩]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٠٠-١٠١.

([٧٠]) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص١٨٧، ينظر: ابن فضل العمري، مسالك الابصار، ج٩، ص٣٤١.

([٧١]) ابن جلجل، طبقات الاطباء، ص٦٤.

([٧٢]) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦) ، الاعلام، ط١٥، دار العلم للملايين (بيروت، بلا.ت) ، ج٨، ص١١.

(٧٣) جعفر بن يحيى، كان فصيحاً ليناً ذكياً فطناً وكان الرشيد يأنس به اكثر من أخيه الفضل لسهولة اخلاقه وشراسة اخلاق الفضل، ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت: ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد ، ط١، دار القلم العربي (بيروت، ١٩٩٧).، ص٢٠٥.

(٧٤) ابن العبري، غريغوريوس بن اهرون بن توما الملطي (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطون صالحني اليسوعي، ط٣، دار الشرق (بيروت، ١٩٩٢). ، ص١٣٠.

(٧٥)ابن العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله القريشي (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) ، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي (ابو ظبي، ١٤٢٣هـ).، ج٩، ص٣٤٣.

(٧٦) كتاب البرهان، وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته يقينية، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، (العبر وديوان المبتدأ والخبر...) تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر (بيروت، ١٩٨٨) ، ج١، ص٦٤٥.

(٧٧) القفطي، اخبار العلماء، ص١٠٥.

(٧٨) م. ن، ص٣٤.

(٧٩) القفطي، اخبار العلماء، ص١٣٢.

(٨٠) زبيدة، ام الامين بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان لها معروف كثير وفعل خير لقبها ابي جعفر المنصور جدها زبيدة لبضاضتها ونضارتها تزوجها الرشيد في ذي الحجة سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م) في قصر الخلد، ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم

(ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨١م) ، وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٠٠). ، ج٢، ص٣١٤.

([٨١]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٣٢.

([٨٢]) العباسة، بنت امير المؤمنين المهدي اخت هارون الرشيد أمها ام ولد أسمها رخيم تزوجها محمد بن سلمان بن علي ثم ابراهيم بن صالح بن علي وماتا عنها فخطبها عيسى بن جعفر فلم يتزوجها عيسى ثم ان الرشيد زوجها جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وكانت واقعة البرامكة بسببها، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٣٨٢.

([٨٣]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٣٣.

([٨٤]) المتوكل، بويع له بالخلافة بسر من رأى بعد موت اخيه الواثق بعهد منه سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) وأمه أم ولد خوارزمية اسمها شجاع نقش خاتمه المتوكل على الله ولما ولي الخلافة أحيا السنة وكتب إلى الافاق يرفع المحنة وإظهار السنة وتكلم في مجلسه العلماء، القرماني، احمد بن يوسف (ت: ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) ، اخبار الدول وآثار الاول، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعد، ط١، عالم الكتاب (بيروت، ١٩٩٢). ، مج٢، ص١١٢.

([٨٥]) الواثق، ولد سنة (١٩٦هـ/ ٨١١م) ومات وهو ابن (٣٦سنة) مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة ايام وهو ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد كان مريضاً بالاستسقاء، ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية، دار الفكر (بيروت، ١٩٨٦) ، ج١٠، ص٣٣٩.

([٨٦]) المستعين، وهو أحمد بن المعتصم ، بويع بالخلافة لست خلون من ربيع الآخر سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) وأمه أم ولد صقلابية اسمها مخارق وكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر وعمره (٣١ سنة) القرماني، اخبار الدول، ج٢، ص١٢٠-١٢١.

([٨٧]) المعتز، ابو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم ولد سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) واستخلف وهو ابن (٢٠ سنة) بويع بالخلافة وقت خلع الخليفة المستعين وكانت دولته مستضعفة مع الاتراك فاتفق عليه القواد وقاموا بخلعه، الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). سير اعلام النبلاء، دار الحديث (القاهرة، ٢٠٠٦م) ، ج١٢، ص٥٣٢-٥٣٣.

([٨٨]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٠٢.

([٨٩]) الابنوس، شجر كقطعة حجر على رأسه نبت أخضر، ينبت في البلدان الحارة كالحبشة والهند ويصنع منه بعض الادوات والاواني والاثاث، اللبابيدي، احمد بن مصطفى اللبابيدي، (ت: ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) اللطائف في اللغة، دار الفضيلة (القاهرة، بلا.ت) ص٣٠٢، ينظر: احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية، ج١، ص٤٩.

([٩٠]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج١، ص٣٤١.

([٩١]) الموفق بالله، محمد بن جعفر المتوكل يكنى أبا أحمد ولقب بالموفق كان أخوه المعتمد قد عقد له ولاية العهد بعد ابنه جعفر فمات الموفق قبل موت المعتمد بسنة وأشهر مات سنة (٢٨٧هـ/ ٨٩١م) الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م).تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧هـ).، ج٢، ص٤٩٣.

([٩٢]) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٢٧٦، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص٣٠.

([٩٣]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج١، ص١٩٧، ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج١٣، ص٢٥٨.

([٩٤]) الخليفة الراضي، محمد بن جعفر المقتدر بالله بن ابي أحمد الموفق بن جعفر المتوكل يكنى أبا العباس استخلف بعد عمه ابي منصور الملقب بالقاهر وأمه ام ولد اسمها ظلوم ولد سنة (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) وتوفي سنة (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٢٠.

([٩٥]) السامرائي، تاريخ الطب، ج١، ص٣٤٨.

([٩٦]) الكفرطابي، علي بن ابراهيم بن بختيشوع (ت: ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) تشريح العين واشكالها ومداواتها، تح: محمود أحمد صقر ومحمد رواس قلعة وغيره، ط١، شركة العبيكان، (الرياض، ١٩٩١)، ص١٢.

([٩٧]) كفرطاب، بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من مياه الامطار في الصهاريج، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٠.

([٩٨]) الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٢٥٠، ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج٧، ص٤.

([٩٩]) عيسى الكحال، هو علي بن عيسى بن علي الكحال كان مشهوراً بالحذق في صناعة الكحل وبكلامه يقتدي في امراض العين وكتابه (تذكرة الكحالين) الذي لابد لكل من درس الكحل ان يحفظه توفي سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص٢٤٧.

([١٠٠]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج١، ص٣٣٥.

([١٠١]) متصرف، أي رجل صرف متصرف في الامور مجد فيها قال الشاعر:

قد كنت خراجاً ولوجاً صيرفاً لم تلتحصني حيص بيص

ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم (بيروت، ١٩٨٧) ج٢، ص٧٤١.

([١٠٢]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٣٩.

([١٠٣]) عكبرا، بلدة في وجه سامرا وهي كبيرة عامرة الفواكه جيدة الاعناب، المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي (القاهرة، ١٩٩١) ، ص١٢٢.

([١٠٤]) القفطي، أخبار العلماء، ص١٣٩.

([١٠٥]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج١، ص٣٤٥.

([١٠٦]) البغدادي، اسماعيل باشا (ت: ١٣٣٩هـ/ ٩٢١م) هدية العارفين، دار احياء التراث (بيروت، بلا.ت) ص٢٥٠.

([١٠٧]) شيراز، مدينة فارس العظمى وهي مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة ليس لها منزل الا وفيه لصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وشرب أهلها من عيون تجري في انهار من الجبال، اليعقوبي، البلدان، ص٢٠٣.

([١٠٨]) الصاحب بن عباد، ابو القاسم اسماعيل بن عباد (ت: ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) وعمره خمس وستون سنة وسمي بالصاحب لصحبه ابن العميد كان من وزراء البويهيين، النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الواحد، (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٢٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، السفر الثالث، دار الكتب (القاهرة، ١٩٣٤) ص١١٣، ينظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م) أمل الامل، تح: السيد أحمد الحبسي، مكتبة الاندلس (بغداد، ١٣٨٥هـ) ص١٨٨.

([١٠٩]) العزيز، ابي المنصور العزيز بالله بن المعز لدين الله كان كريماً شجاعاً حسن العفو قريباً من الناس كما كان أديباً فاضلاً ذكياً (ت: ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) القرماني، اخبار الدول، ج٢، ص٢٣٥.

([١١٠]) الزركلي، الاعلام، ج٢، ص١١، ينظر: العلوجي، عبد الحميد ، تاريخ الطب، ط١، مطبعة أسعد (١٩٦٧) ، ص٣٨١.

([١١١]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٠٢-١٠٣.

([١١٢]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج١، ص٣٩٤.

([١١٣]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٣٧.

([١١٤]) م. ن، ينظر العلوجي، تاريخ الطب، ص٣٨١.

([١١٥]) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص١٨٤.

([١١٦]) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٢٠٧.

([١١٧]) مَيّافارقين، بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم فاء وبعد الالف راء وقاف مكسورة وياء ونون قال بعض الشعراء:

فان يكُ في كيل اليمامة عسرة .. فما كيل ميافارقين بأعسرا

وميافارقين أشهر مدينة بديار بكر قالوا: سميت بميابنت لأنها اول من بناها وفارقين هو الخلاف، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٦.

([١١٨]) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج١، ص٣٩٥.

([١١٩]) بختيشوع، عبيد الله بن جبرائيل، ابو سعيد (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) رسالة في الطب والاحداث النفسانية، تح: فيلكس كلاين فرانكه، دار المشرق (بيروت، بلا.ت) ص١٢.

([١٢٠]) السامرائي، تاريخ الطب، ج١، ص٣٩٥.

([١٢١]) اسحق، رفائيل بابو ، احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق (بغداد، بلا.ت) ، بغداد، ص٢١٤.

([١٢٢]) القفطي ، اخبار العلماء، ص٨١.

([١٢٣]) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص١٣.

([١٢٤]) م.ن، ص٦١.

([١٢٥]) الحارث بن كلدة، كان قد تعلم الطب بناحية فارس واليمن وتمرن هناك وعرف الدواء وكان يضرب العود وبقي ايام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وايام ابي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب توفي سنة (١٣هـ)، ابن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء، ص٥٤.

([١٢٦]) النظر بن الحارث بن كلدة، هو ابن خالة النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان قد سافر إلى البلدان كأبيه واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة كما تعلم من أبيه ما كان يعلمه من الطب وغيره، ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء، ص٣٩٥.

([١٢٧]) القفطي، اخبار العلماء، ص٢٨٤.

([١٢٨]) معروف، مستشفيات بغداد، ص٤.

([١٢٩]) امين، ضحى الاسلام، ج١، ص٢٥٦.

([١٣٠]) ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ج١، ص١٠٠.

([١٣١]) القفطي، اخبار العلماء، ص١٤٤.

([١٣٢]) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٤١٥.

([١٣٣]) أحمد عيسى، تاريخ البيمارستان، ص١٨٧.

([١٣٤]) معروف، ناجي ، مستشفيات بغداد في العصر العباسي، مطبعة الحكومة (بغداد، ١٩٦٨) ، ص١٣.

عبد الرشيد إبراهيم ١٨٥٠-١٩٤٤
(التربوي، السياسي، المجدد، الرحالة، الإعلامي)

م.د. انتصار زيدان الجنابي
الكلية التربوية المفتوحة/وزارة التربية

عبد الرشيد إبراهيم ١٨٥٠-١٩٤٤
(التربوي، السياسي، المجدد، الرحالة، الإعلامي)

م.د. انتصار زيدان الجنابي

ملخص البحث باللغة العربية:

تعد شخصية عبد الرشيد إبراهيم واحدة من الشخصيات السبيرية- التركية المهمة في التاريخ الحديث، وذلك لكثرة ترحاله، ونشره للإسلام في المناطق التي زارها أمثال روسيا، الصين واليابان..

كان أحد المجددين الذين طالبوا بالاهتمام بالتربية والتعليم وفق أسس علمية حديثة.

فضلاً عن نشاطه الإعلامي والسياسي المتمثل بـ المطالبة والأعتراف بحقوق المسلمين الأتراك الذين كانوا يعيشون في روسيا القيصرية.

حازت هذه الشخصية على احترام بعض المؤرخين لكونه من الرجال القلائل الذين أرتحلوا إلى اليابان واستقروا فيها، بهدف نشر الإسلام وتعزيز العلاقات بين اليابان والمسلمين في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين...

Abstract:

Is siberian Turkish man who has the imporrant position in the modern history because he was travelling in the many countries and spread Islamic Religion in those countries like Russia, China Japan…

He was a Modernizer, he demanded to take care of education a put it upon scientific method basics.

Also he was Informative and Political who was demanded to confess and respect the Islamic Turkish people who lived in the Russian empire…

This man has respect from some historian because, he was the one from the earlier who was lived and settled in Japan & spread Islamic Religion and worked to consolidation of friendship between Islamic people and Japanese at the end of the nineteenth century and at the beginning of the twentieth century.

المقدمة:

يحتل عبد الرشيد إبراهيم مكانة مهمة في تاريخ أتراك روسيا القيصرية خاصة وفي التاريخ الحديث عامة، إذ عمل هذا الرجل من أجل تطوير التعليم ووضعه على أسس علمية حديثة، وذلك لأجل نهضة الأمة الإسلامية ووضعها على مصاف الدول المتقدمة من خلال الرقي بوسائل التعليم، لذا جاءت خطواته هذه متزامنة مع بعض المجددين أمثال: جمال الدين الأفغاني، نامق كمال...

اشتهر في مجال الرحلة والترحال في مناطق مختلفة من العالم القديم، وغفل التاريخ جانب من نشاطه التربوي وسعيه الدؤوب لمواجهة الاحتلال الغربي (البريطاني، الفرنسي والإيطالي) الذي عجت به الأراضي العربية والمسلمة آنذاك وكذلك مواجهة لاحتلال السلطة الروسية القيصرية والاتحاد السوفيتي فيما بعد لمسقط رأسه سيبريا ولأواسط آسيا...

رغم قلة المصادر لهذه الشخصية إلا أن سعة نشاطه الذي تواصل حتى سنين حياته الأخيرة وهو في اليابان جعلني أقف عندها وأسلط بعض الضوء عليها لكونه بإمكاناته الذاتية المادية القليلة والمحدودة وبعلو همته وإخلاصه في نيته وعمله عمل الشيء الكثير وترك لنا كتاب عالم إسلام والذي يعد روعة في أدب الرحلات، وتمت الإفادة منه كمصدر مهم في بحثنا المتواضع والذي نضعه بين يدي قارءنا الكريم علّنا نستفاد منه لوضع بعض الحلول التي تواجه حاضرنا العربي المسلم ولحماية مستقبلنا الذي يطالبنا بالعمل الكثير الخالص لوجه الله تعالى البعيد عن التشرذم والتفرقة والله من وراء القصد.

المبحث الأول- حياته:

ولد في قصبة تار[١]، التابعة لولاية توبولسك Topolsk [٢] في سيبريا في عام ١٨٥٠[٣] والده عمر أفندي من الرجال الذين قاموا بدور مهم في الأحداث السياسية التي تمت في عصره، أحد أبناء إبراهيم أخون الذي ينحدر من أحدى العائلات الأوزبكية[٤] التي سكنت تارا، وقد اعتمد عبد الرشيد اسم جده كلقب للعائلة[٥].

أما والدته هي السيدة عفيفة هانم من أتراك باش قورت، كانت من النساء المتنورات أخذت بتعليم نساء تارا القراءة الكتابة(٦).

دراسته:

بدأ حياته الدراسية في سن مبكرة حيث انفصل عن عائلته واستمر في الدراسة في مختلف المدارس في الأقضية المجاورة لتارا، بعدها ذهب للحج كخادم مع أحد الأتراك الروس، وبعد الحج بدأت المرحلة الثانية من الدراسة في المدينة المنورة على ساكنيها ألف الصلاة والسلام، وتتلمذ على يد عدد من المشايخ منهم: أحمد أفندي الذي درس علي يديه علوم القرآن، وحفظ القرآن ودرس الفقه على يد الشيخ علي ظاهر القطري، وحصل على الإجازة عام ١٨٨٣، وفي نهاية عام ١٨٨٤ جاء إلى أسطنبول عن طريق الإسكندرية وبعد أقام فيها عدة أشهر عاد مرة أخرى إلى تارا وأسس مدرسة الأصول الجديدة، وقام بإعطاء الدروس وإعداد الطلبة ويذكر أنه في العام نفسه أي ١٨٨٥ تزوج وقدر له أن يكون أب لـ أحمد منير وقدرية وفوزية التي يطلق عليها باللغة التركية فيضية[٧].

المبحث الثاني

الفكر التربوي لعبد الرشيد إبراهيم ونشاطه السياسي والإعلامي حتى عام ١٨٩٧

بسبب افتقاد المنطقة (أواسط وسيبريا)، لكيانها السياسي المستقل، وتحول تجاربها السياسية والاجتماعية والقومية إلى جزء من النضال ضد السيطرة الروسية القيصرية،

أو إلى تقليد إلى التجارب الروسية أو التوليف والتعشيق فيما بينهما[٨] جعل من منطقة أواسط آسيا خاوية من النضج السياسي بحكم تبعيتها الطويلة للسيطرة الروسية القيصرية أولاً ثم الاتحاد السوفيتي ثانياً.

هذا كله دفع وبحسب رأينا المتواضع دفع بالإسلام ليشكل نقطة اللقاء والتوحد والاجتماع لمواجهة تلك التبعية. وأوضحت الأنسكلوبيديا السوفيتية موقف الاتحاد السوفيتي من الإسلام جاء فيها: "**لقد كان الإسلام في روسيا القيصرية سنداً للحكومة، ساعدها في محاربة الحركة الثورية في الأقاليم المسلمة، جاعلاً من نفسه أداة استغلال للجماهير الكادحة المسلمة من قبل رأسماليها ومالكي أراضيها. وبعد ثورة أكتوبر أصبح الإسلام العلم الذي ترفعه العناصر المناهضة للثورة من الجمهوريات الشرقية من الاتحاد السوفيتي**"[٩].

إلا أن النخب السياسية والثقافية بقيت تدور في إطار استمرار تقاليد قوة السلطة وسلطة القوة التي تميزت بها تقاليد السياسة التركية والقيصرية الروسية والروسية السوفيتية على حد سواء، دون وجود رؤية استراتيجية لتقاليد ثقافية في المنطقة تساهم في بناء الدولة[١٠].

ولم يتحول الإسلام أو البدائل الإسلامية الثقافية إلى جزء أساسي في الوعي الاجتماعي والسياسي لدول آسيا الوسطى إلا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وبشكل تجارب ناقصة وبتمايز اجتماعي وفكري[١١]، الأمر الذي أفرز تنوع في الحركات الإسلامية السياسية فيما بعد.

المهم ان التوجه نحو بديل حيوي أساسي غني وناضج يستوعب آلام المنطقة وهمومها أشار اليه وجسده عبد الرشيد إبراهيم في طروحاته التربوية والفكرية والسياسية. عمل عبد الرشيد إبراهيم مع هيئة مختارة من الأعراق التركية المختلفة، من أجل تأسيس وحدة في اللغة والثقافة، وقام بإعداد برنامج عمل لزيارات المؤسسات التعليمية للوقوف على أنشطتها وبرامجها التعليمية كذلك التقى مع شخصيات كبيرة مؤثرة في مجال العلم والفكر والأدب والتعليم، واستفاد من التجارب التي قامت بها هذه الشخصيات ومن

أبرزها نامق كمال (١٨٤٠-١٨٨٨)، وهو من مؤسسي تيار ياني عثمانيللر(Yeni Osmanliar) [١٢] العثمانيون الجدد وبالفرنسية الأتراك الشبان، الذين كانوا من مؤيدي السير في طريق التحديث وذلك باستخدام التقنيات الغربية مع عدم التخلي عن الحضارة المحلية.

إذ اهتم نامق كمال بالتعليم والصحافة والمرأة، وكان من قطوف هذه المجموعة الشابة المتجددة الطموحة أنه جيء بنظام المعارف العمومية عام ١٨٦٩، كذلك كانت تسعى لجعل الدولة العثمانية دولة دستورية ببرلمان وصحافة ووطن وامرأة حرة، وكانت جريدة الحرية التي أصدرها نامق كمال في باريس تروج للوطنية العثمانية وحكومة دستورية مسؤولة أمام الشعب، وكان يؤكد على أن الإنسان يولد حراً وان هذه الحرية ضرورية ضرورة الماء والهواء وأكد أكثر من مرة أن من واجب الإنسان لا أن يحيا فحسب بل أن يحيا حراً[١٣].

أما مسرحية الوطن التي ألفها فلاقت إقبال واسع دعا فيها إلى حب الوطن وضرورة الدفاع عنه وان حب الوطن (هبة الهبة)، فالإنسان يجب وطنه بشعور هو عين الشعور: "**الذي يحب به الرضيع مهده، والطفل ملعبه، والشاب مكان يرزق فيه، والشيخ ركن فراغه وراحته، والولد والدته، والوالد عياله**"[١٤].

وتوجة نشاط العثمانيون الجدد بمجيء السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢-١٩١٨) [١٥] سلطان للعرش العثماني، وعين نامق كمال مستشار له، وكان العثمانيون الجدد متفاءلون لكونهم سيجعلون منه خليفة يملك ولا يحكم.

المهم ان شخصية مثل نامق كمال بهذا التأثير لتحديث الدولة العثمانية مثلما ذكرنا في بعض السطور أعلاه، كانت مؤثرة جداً في فكر عبد الرشيد إبراهيم الذي كان يؤمن بضرورة حصول الإنسان التركي المسلم (على امتداد قارة آسيا)، ان يحصل على حريته وضرورة ان تكون الأمة العثمانية أمة مسلمة متجددة متطورة حرة.

عزز هذا المفهوم لقاء عبد الرشيد إبراهيم مع شيخ المجددين جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧)، صاحب جريدة العروة الوثقى[١٦]، الذي زار أكثر من بلد

إسلامي وعربي، ودعا إلى حرية الشعوب وإلى ضرورة إصلاح الدولة العثمانية وان تكون دولة دستورية(١٧).

ومن الجدير بالذكر ان علاقة عبد الرشيد إبراهيم مع شيخ المجددين جمال الدين الأفغاني استمرت حتى آخر أيام حياة الأخير، إذ صادف ان زار عبد الرشيد إبراهيم جمال الدين الأفغاني قبل ساعتين من وفاته، وأشار إلى أن وفاته كانت بسبب مرضه لا كما أشيع أنه مات مسموماً بدافع من الحكومة الإيرانية(١٨).

المهم أن لقاءات عبد الرشيد إبراهيم بمثل هذه الشخصيات الإصلاحية عمقت من فكره ومفهومه خاصة في مجال تنظيم برامج التعليم والتعلم وترتيبها وإصلاحها، وبحث القرارات التي اتخذوها بصدد تطبيق الأبحاث التي أجروها عن تعليم العلوم الدينية إلى جانب العلوم التطبيقية حتى انه وسع القرارات التي اتخذوها والمعلومات التي توصلوا إليها في هذا الخصوص وشرح بشكل موسع أفكاره التعليمية في الدولة العثمانية في مقالات بعنوان: "**برامج التدريس والتعليم في المدارس الإسلامية**" في جريدة البصيرة التي كانت تصدر في اسطنبول(١٩).

بعد نشر هذه الأبحاث عاد إلى وطنه بهدف تطبيقها بين أتراك سيبيريا، الأتراك الخاضعين لحكم الروس. ومن أجل تنشئة جيل من الشباب وإرشادهم، وإيقاظ الشعوب التركية المسلمة وتوحيد جهودهم ضد العدو المشترك روسيا القيصرية، افتتح المدارس وتمكن من تطبيق برنامجه المتجدد في التعليم، كذلك اجتهد في إيقاظ المسلمين عن طريق الجوامع وتنظيم الاجتماعات المتعددة لنفس الغرض(٢٠).

وبسبب فقدان الأتراك المسلمين لأواسط آسيا لمكانتهم الحضارية بعد أن كان كل مركز من مراكز ومدن أواسط آسيا عبارة عن إشعاع حضاري مدّ المنطقة والعالم الإسلامي بنور المعرفة، فضلاً عن الصعوبات التي كان يعيشها الأتراك المسلمين والضيق وعدم وجود الإمكانيات المادية والمعنوية التي تعزز من وجودهم داخل القيصرية الروسية. هذه العوامل ولأجل استعادة دور هذه القوميات الحضاري دفعت بـ عبد الرشيد إبراهيم إلى التفكير بطريقتين:

الأولى: لم شمل المسلمين وكسب ثقة **(التشكيلات المركزية لمسلمي عموم روسيا)**، التي مركزها في أوفا، وعين نائب للوالي العام على الأقضية المركزية ب،(أوفا) [٢١] واتصل بالشخصيات البارزة آنذاك بالمنطقة أمثال: شهاب الدين المرجاني، وقيوم الناصري، ورضا الدين فخر شهاب الدين، ويشاركهم همومهم وكفاحهم في التقليل من القبضة أو الهيمنة الروسية والتخفيف من معاناة شعوبهم[٢٢].

أما الثانية: فتجسدت في جمع الأتراك المسلمين حول راية واحدة تحت اسم الدولة العثمانية من أجل تحقيق الاستقلال النسبي في النواحي الإدارية والسياسية على اعتبار ان أتراك أواسط آسيا وسيبيريا تربطهم بالدولة العثمانية روابط متعددة[٢٣]، واجتهد من أجل تحقيق هذه الفكرة أو الأيديولوجية عن طريق الطباعة والإعلام والنشر[٢٤].

اعتمد عبد الرشيد إبراهيم الإعلام كوسيلة لنشر أفكاره وآرائه لأجل زرع روح التجدد في التعلم وتحقيق النهضة الشاملة لأمة الأتراك المسلمين داخل روسيا القيصرية وترك لنا عمل إعلامي ثرّ في كل مكان وجد فيه، تنوع عمله الإعلامي بين وصف جغرافي للرحلات التي قام بها وبين الإرشاد وشحذ الهمم، ونشر للفكر الإسلامي في مناطق بعيدة عن دار الإسلامي مثل اليابان وغيرها... لذا كانت مؤلفاته وكتاباته عبارة عن سلاح يفرض التجديد ويطالب السلطة القيصرية الروسية بتحسين أوضاع المسلمين الأتراك وإحقاق حقوقهم الإدارية والسياسية والدينية، وبالتالي أكدت كتاباته شخصيته المناضلة، الإسلامية المتجددة التواقة نحو التطور والإبداع والتحرر.

وبالطبع لم يكن من السهل طباعة الكتب الإسلامية في روسيا خاصة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر[٢٥] وحتى فيما بعد إذ كانت تتم تحت رقابة شديدة وكان الروس لا يسمحون بتمليك المسلمين للمطابع مع وجود عدد كبير من المسلمين من الذين اهتموا بطبع الكتب الإسلامية وإخراجها على نفقتهم الخاصة[٢٦] ومع هذا التشدد ضد الكتب الإسلامية، اتجه عبد الرشيد إبراهيم إلى طبع منشوراته وكتبه خارج حدود روسيا منها على سبيل المثال: نشرة (لواء الحمد)، التي طبعها طباعة حجر في

أسطنبول، وحملها إلى روسيا بالزنابيل ووزعها في مناطق مختلفة من أجل شحن المسلمين الروس الأتراك بالحيوية وبث فيهم روح التجدد، كما شجع الأتراك الروس إلى الهجرة إلى الدولة العثمانية وتحت تأثيره هاجر ما يقارب على ٧٠,٠٠٠ ألف تركي مسلم إلى الدولة العثمانية[٢٧].

وبسبب دراسته الدينية التي قام بها عبد الرشيد إبراهيم في مكة والمدينة المنورة على ساكنيها ألف الصلاة والسلام، اختير في تسعينات القرن التاسع عشر عضو في المحكمة الشرعية في أورنبرغ[٢٨]، ثم عين رئيساً لها، إلا انه سرعان ما استقال منها بعدما وجد فيها وحسب تعبيره (فخ)، تملكه السلطة الروسية الأمر الذي دعاه إلى السفر إلى اسطنبول[٢٩] ١٨٩٥ وفيها ألف كتاب (كوكب الزهرة) [٣٠].

وأشار فيه إلى مستقبل المسلمين في روسيا القيصرية، وشرح الوضع الإداري للمحكمة الشرعية في أونبورغ، وصاغ فيه عدد من التوصيات أو الخطوات الواجب اعتمادها لإصلاح هذه المحكمة، وطبع هذا الكتاب سراً ثم أوصله إلى أوديسا ونجح في توزيعه بين المسلمين الأتراك. كثيراً ما نجد في مؤلفات عبد الرشيد إبراهيم الإشارة إلى ضرورة مواجهة الاستعمار الغربي البريطاني والفرنسي على حد سواء... وربما للمعاناة التي كان يعيشها هو وأبناء جلدته قادته إلى نظرية الشرق للشرقيين[٣١] والتي روجت لها اليابان لكونها كانت تتطلع لاستيعاب المنطقة بعيداً عن منافسيها وبالأساس الاستعمار الأوربي الغربي والروس، لذا جاءت كتاباته داعية للتقريب ما بين وجهة نظره مع اليابان ودعوة الشرق للشرقيين.

ويجب ان أشير إلى نشاطه الإعلامي لم يتوقف طيلة مراحل حياته حتى في رحلاته التي قام بها، إذ كانت رحلاته هي الأخرى خط من خطوط المواجهة مع روسيا القيصرية، وكان الإعلام أحد أسلحة هذه المواجهة.

المبحث الثالث

إبراز رحلات عبد الرشيد إبراهيم

شهدت سنوات ١٨٩٧-١٩٠٧ أولى رحلات عبد الرشيد إبراهيم المنتظمة أن صح التعبير، حيث خرج في سياحة طويلة استغرقت في بادئ الأمر ثلاث سنوات (١٨٩٧-١٩٠٠)، إذ تحرك من اسطنبول إلى مصر وفلسطين ثم تهامة والحجاز بعدها توجه إلى أوربا بدء بفرنسا ثم إيطاليا والنمسا وبلاد الصرب والبلغار وإلى غرب روسيا[٣٢].

وبعد أن قامت ثورة ١٩٠٥ في روسيا القيصرية[٣٣] عاد إلى سيبيريا، إذ أخذ يمارس نشاطه السياسي بعدة طرق، منها عقد مؤتمرات، ونشط فيها في الدفاع عن حقوق المسلمين الأتراك وبذل الكثير من الجهد والمساعي لجعل أو لدفع الإدارة الروسية على الاعتراف بوجودهم.

وفي سبيل مساواة الكتلة التركية المسلمة ان صح التعبير، والتي تشكل (٢٠%) من تعداد السكان بالأقليات الأخرى، ولأجل تحقيق استقرار واستمرار الوجود السياسي لهذه الكتل الصغيرة في الإدارة الفيدرالية اتصل بالحكومة الروسية لقبول ذلك[٣٤].

وشهدت سنوات ١٩٠٥-١٩٠٦ عقد ثلاث مؤتمرات بهدف ضمان وحدة المسلمين الذين يعيشون في روسيا القيصرية، ودعا المؤتمر الذي عقد في نيجن نوفجورود عام١٩٠٥ إلى تأسيس اتحاد مسلمي روسيا الذي عرف فيما بعد باسم (الاتفاق) إضافة إلى عدد من المطاليب التي أكدت على ضرورة المساواة في الحقوق بين الروس والمسلمين واحترام الحريات الفردية وتحديث المجتمع بإقامة حكومة دستورية وكذلك حرية التعليم(٣٥) في حين أكد مؤتمر ١٩٠٦ الذي عضو في نيجن-نوفجورود على ضرورة إنشاء وحدة باسم اتفاق مسلمي روسيا، وقرارات أخرى دعت إلى حل المشاكل الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمالية للمسلمين، منها الاتفاق على برنامج مؤلف من (٧٢) مادة، وكان عبد الرشيد إبراهيم يقف على رأس هيئة مكونة من (١٥) شخص دعت إلى هذه الإجراءات وقد بذلت هذه الهيئة جهودها

واستخدمت كل الوسائل المتاحة آنذاك من أجل توصيل هذه القرارات إلى الحكومة الروسية، لكن الأخيرة رمتها وراء ظهرها[٣٦].

هذه التطورات دفعت بـ عبد الرشيد إبراهيم إلى إصدار جريدة الألفة، ومجلة التلميذ في بطرسبورغ وذلك لتوضيح آلام المسلمين الأتراك هناك، إلا أن الإدارة الروسية أغلقت المطبعة، ووضعت حداً لهذا الجهد الإعلامي الرائع[٣٧]، لذا لم يكن أمام عبد الرشيد إبراهيم سوى طريق الهروب من هذا التضييق من خلال القيام برحلة جديدة.

الرحلة الثانية ١٩٠٧-١٩١٠:

قام عبد الرشيد إبراهيم برحلة أخرى في مناطق تركستان الغربية[٣٨] ومنها إلى بخارى وسمرقند وبدي بعدها تارا مسقط رأسه، ونقل أسرته إلى قازان[٣٩] ثم أخذ في أيلول عام ١٩٠٨ برحلة جديدة في سيبيريا ومنغوليا ومنشوريا واليابان والصين وسنغافورة والهند والحجاز والشام ثم اسطنبول[٤٠].

سجل عبد الرشيد إبراهيم ملاحظاته عن هذه الرحلة في كتابه عالم إسلام، موضحاً الهدف أو القصد من وراء رحلته هذه بقوله: **((بسبب فطرتي التي فطرت عليها، وطبيعتي التي نشأت عليها، سلكت مسلك خدمة هذه الحياة الإسلامية التي هي حياة أمتي))** [٤١]. ثم يقول في مكان آخر: **((فضلت ان أقوم بسياحة طويلة هذه المرة امتثالاً للأمر القرآني الشريف (سيروا في الأرض فانظروا...)، ولم يكن أمامي قائد أو ورائي سائق. إلا أنني حزمت أمري وأخذت بيدي عصا التوكل... تركت ورائي أهلي وعيالي وديعة الله، وخرجت إلى الطريق وأنا أقول يا الله...))** [٤٢].

زار عبد الرشيد إبراهيم البلاد التي يسكنها غير المسلمين والمسلمين الأتراك الذين يعيشون كأقلية مسحوقة والذين أغتصبت حقوقهم دول مثل روسيا والصين، ورأى أوضاعها المعيشية واستمع إلى المشاكل المادية والمعنوية التي يعاني منها السكان، وبحث العلاج لها، كذلك بحث عن الطريق الأمثل للمحافظة على الهوية القومية

والإسلامية بعدة طرق منها القاء المحاضرات والدروس منها على سبيل المثال حين تجوله في منشوريا بقوله: ((... **توجد لمسلمي منشوريا مدرسة ومسجد أيضاً... وكل شاغلي واهتمامي ينصب على وجود توجيه للنهوض بدين المسلمين ومعارفهم. فأينما أجد مدرسة وأنا أتجول أبادر بامتحان الطلاب واختبارهم، وامتحان المعلمين فيها، هذه هي وظيفتي ومهمتي في كل مكان**)) [٤٣].

هذا وأرسل كل ملاحظاته وكل ما سجله عن رحلته هذه إلى جريدة بيان الحق التي يديرها ابنه في قازان وإلى مجلة الصراط المستقيم، التي كان يصدرها أشرف أديب، ويكتب فيها الكثير من الأدباء آنذاك أمثال محمد عاكف[٤٤] وغيره، والتي قامت على نشر المجلد الأول من كتاب عالم إسلام والذي يقص رحلاته هذه في مطبعة أحمد ساقي بيك، أما المجلد الثاني فطبع بمطبعة القدر، وبهذه الصورة طبعت الرحلة كاملة.

ومن الصور الجميلة التي نقلها إلينا عبد الرشيد إبراهيم أثناء زياراته لعدد من المدن منها:

طشقند: التي وصفها بكونها مدينة واحدة إلا أنها من الداخل كانت تنقسم إلى حيين (في زمانه)، أحدهما يسمى بالحي الروسي والآخر يسمى بالحي الإسلامي. يبلغ تعداد سكان طقشند آنذاك (٢٠٠) ألف نسمة (١٨) ألف من المسيحيين والباقي من المسلمين، وفي إدارة بلدية طشقند ما يقارب (٧٢) موظف (٢٤) من المسلمين والباقي من المسيحيين، وكان الجميع يخضع لعملية الأختيار.

شعب طقشند شعب أوزبكي في الأصل، ولغته اللغة التركية (الأوزبكية)، وهو شعب ودود يحب الضيوف، عالي الهمة، وفي طقشند آثار إسلامية عديدة منها مدرسة براق خان التي شيدت في القرن السادس عشر[٤٥].

خارطة رقم (١)

توضح وسط آسيا



المصدر: د. محمد حسن العبلة، المصدر السابق، ص١٢

أما بخارى كان عبد الرشيد إبراهيم يرى فيها مدينة تستحق التقديس، وكان يطلق عليها اسم بخارى الشريفة، كان يحكمها دوق روسي يسمى (نوشر بيي) بموجب القوانين السماعية أي بموجب العادات المقننة. أراضي بخارة خصبة جداً تجود بجميع أنواع المزروعات وكذلك بجميع أنواع الثروة الحيوانية ومنها الأغنام، لذا اشتهرت في العمل بتجارة الجلود التي كانت تصدر إلى أوربا عرفت بخارى بضمها لكثير من المدارس والتي كانت تشكل وارد اقتصادي مهم إلى بخارى، وكانت هذه المدارس تضم ما بين (١٥-٢٠) غرفة وأحياناً تصل إلى (١٤٠-١٥٠) غرفة، وأرى في الأرقام الأخيرة نوع من المبالغة والله أعلم[٤٦].

ومن طريف ما ينقل لنا عبد الرشيد اهتمام أهل بخارى بالعلم والمدارس قوله: **((شاهدت أحد سدنة القبور لقد بنى مدرسة تتكون من عشرين غرفة بالنقود التي كان يكسبها من دفن الموتى في القبور. ورغم ان المدرسة صغيرة، إلا أنها كانت منظمة للغاية. وعند الالتقاء به قال لي: عملت باجتهاد حتى وقتنا هذا، ودفنت**

أشخاصاً كثيرين تحت التراب، ولكن بعد هذا حداني الأمل في أن أرفع من شأن من بقوا فوق سطح الأرض، فقمت ببناء هذه المدرسة بتلك النقود)) [٤٧].

يتكلم أهل بخارى اللغة الفارسية والتركية على حد سواء، والبول سياه، والبول Pul أي الفلس وسياه تعني أسود اللون، وكانت الفلسات آنذاك سواد اللون لكون مادتها من الرصاص[٤٨].

من علماءها الشيخ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٨١٠-٨٧٠) صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، وكذلك الشيخ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٩٨٠-١٠٣٦)، اشتهر أطباء المسلمين وصاحب كتاب (القانون في الطب) وكتب أخرى عديدة وتضم بخارى العديد من الآثار منها مسجد كلان مدرسته التي بنيت عام ١١٢٧، ومدرسة عبد العزيز خان التي بنيت عام١٦٥٢[٤٩].

ومن الأقاليم التي زارها عبد الرشيد إبراهيم سمرقند وهي عاصمة إقليم الصفد تقع على مرتفع تنصب إليها الجداول من نهر الصفد، وتشير المصادر إلى أن أول من بناها الإسكندر المقدوني، وقيل أحد الملوك الصين ذكرت عند الأغريق باسم (مركندا)، عاصمة الملك تيمورلنك الذي أمتد ملكه وشمل معظم أنحاء العالم، ويصفها ياقوت الحموي في معجم البلدان: **((فيها بساتين ولها أثنا عشر باباً... فأما داخل سوق المدينة الكبيرة ففيه أودية وانهار وعيون وجبال... وليس من سكة أو شارع أو دار إلا بها ماء جار، وقلما تخلو دار من بستان))**. أصبحت مدينة حزينة تجتر همومها بعد أن دخلها الاستعمار الروسي محطماً الكثير من مساجدها ومدارسها[٥٠].

يصفها عبد الرشيد إبراهيم بكونها مركزاً لآسيا الوسطى و**((رونق وجه الأرض))**، عرفت بالجوامع والمدارس الضخمة أمثال مدرسة ديالاكار التي بنيت ابتداء من عام١٦٤٦ حتى ١٦٦٠[٥١].

ويتساءل عبد الرشيد إبراهيم متحراً ومتألماً بقوله: **((ان المسلمين المستوحشين هم الذين أقاموا هذه المباني، وقام الأوربيون المتحضرون بهدمها ولا زالوا**

يهدمونها)) [٥٢] وذلك بعد أن قام الأوربيون الذين يأتون لزيارة سمرقند يسرق تلك الآثار الفنية واحدة واحدة، وهم من يصفون المسلمين بالمتوحشين.

أهم المزارات التي ضمتها سمرقند قبر قثم بين العباس (رض) ابن عم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) المعروف بمزار شاه زنده (الأمير أو السلطان الحي)، والذي جاء مع سعيد بن عثمان بن عفان (رضي الله عنهما) لفتحها عام ٦٧٥[٥٣].

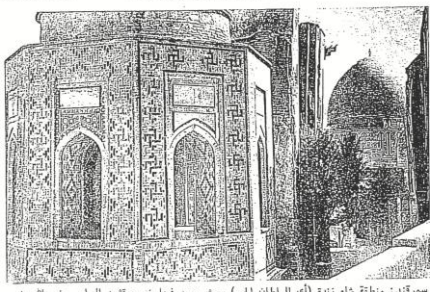
ومن مدن سيبيريا التي زارها ووصفها لنا عبد الرشيد إبراهيم مدين تومسكي التي هي مركز بخارى قديم يتجمع فيه تجار سيبيريا في موسم الشتاء للبيع والشراء، تضم تومسكي أكبر مسجد موجود في سيبيريا وإلى جواره مدرسة غاية في الجمال والتنظيم وكل هذا بني بفضل أهالي المنطقة وتبرعاتهم.

تضم تومسكي (٣٠٠٠) من المسلمين الذين يشكلون حياً واحداً، ويذكر عبد الرشيد إبراهيم أن أهالي تومسكي صافوا القلب والسريرة يخلون من التعصب، لا يوجد بينهم أغنياء جداً ولا فقراء جداً وذلك لكونهم أصحاب صنعة وتجارة وأشتهروا بمهنة الخياطة التي لاقت إقبال الروس عليها[٥٤].

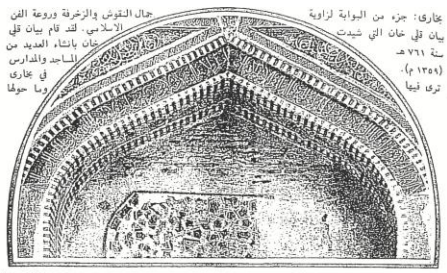
يحيط تومسكي (٢٥) قرية في كل منها كتاب (مدرسة)، وكان أهالي تومسكي من المسلمين التتار الذين تصاهروا مع الروس المسلمين ومن المجوس الذي يطلق عليهم اسم ((اينا روديس)[٥٥].



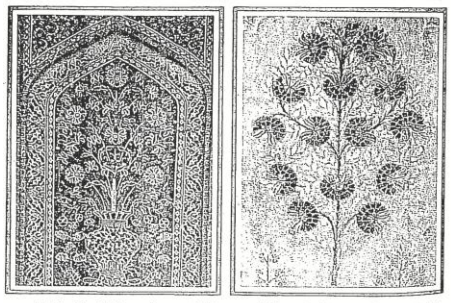
سمرقند: منطقة شاه زندة ضريح قثم بن العباس رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ الذي استشهد في فتح سمرقند سنة ٥٦ هـ (٦٧٥ م) وقد اشتهرت المنطقة التي قتل وقبر بها باسم مزار شاه زنـدة أي مزار السلطان الحي ذلك لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وكان قثم احد ثلاثة أو أربعة أشبهوا رسول الله ﷺ وهم الحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر الطيار بن أبي طالب وابنه عبد الله وقثم ابن العباس..



سمرقند: منطقة شاه زندة (أي السلطان الحي) حيث يوجد فيها ضريح قثم بن العباس رضي الله عنه الذي استشهد في فتحها سنة ٥٦ هـ (٦٧٥ م).. وأصبحت هذه المنطقة خارج سمرقند.



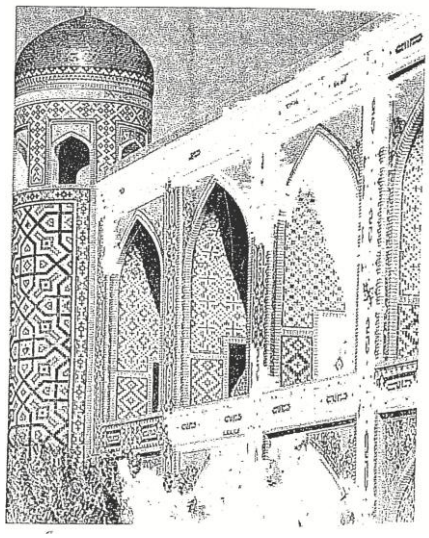
بخارى: جزء من البوابة لزاوية بيان قلي خان التي شيدت سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م). ترى فيها جمال النقوش والزخرفة وروعة الفن الاسلامي. لقد قام بيان قلي خان بانشاء العديد من المساجد والمدارس في بخارى وما حولها



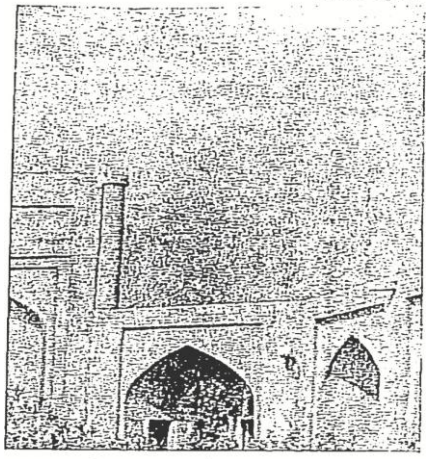
بخارى: زخرفة احدى الحجرات وقاعات الدرس في مدرسة عبد العزيز خان..

بخارى: مدرسة عبد العزيز خان ١٠٦٣ هـ (١٦٥٣ م) تكسيه الواجهة.

سمرقند: مدرسة طلاكاري التي أنشئت في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) توضح مدى الاهتمام بالمدارس الاسلامية حتى في عصور الانحطاط النسبي. استغرق تشييد هذه الجامعة الاسلامية ١٥ سنة من ١٠٥٦ الى ١٠٧١ هـ (من ١٦٤٦ الى ١٦٦٠ م). وللأسف أغلق الروس البلاشفة هذه المدرسة كما اغلقوا أكثر من سبعة الاف مدرسة مماثلة في جميع انحاء التركستان وحولوها الى متاحف أو الى مدارس لتعليم الشيوعية.



طشقند: هذه صورة لواجهة مدرسة براق خان في طشقند التي شيدت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) فيا يعتبر بداية عصور الانحطاط فكيف يا ترى كانت عصور النهضة والرقي. أن طشقند (الشاش) التي أخرجت مئات العلماء أصبحت الآن مدينة نصف سكانها من الروس والاوكرانيين المتعمرين وطشقند هي عاصمة جمهورية اوزبكستان..



عنه ينظر: د. محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج٢، ص٦٤١، ٦٤٨، ٦٥٨، ٦٦١.

استولى الروس على أراضي كثيرة تعود ملاكيتها للتتار المسلمين، الذين واجهوا هذا الاعتداء من خلال حروب عديدة وقد عكست أدبياتهم وأشعارهم بعض هذه الحروب ومن هذه الأشعار قولهم: **((يقول الروس قتلت طائر (القو)** [٥٦] **يقول أمسكت (فانزة)** [٥٧] **ان المدن التي بناها الروس لا أهمية لها، لأنها تشبه الثوب الخرق. استولى الروس على (فانزة بك) وأصبح يرقد بين ذراعي العدو. بلطة الروس من الصلب، شقت الشجرة المتنامية. ولسان الروس يقول: مزقت كتفه تماماً)).**

وأعط مثال آخر للمدن التي زارها عبد الرشيد إبراهيم في سيبيريا هي مدينة أيركوتسكي التي كانت كمركز تجاري يفد إليه الكثير من التجار من داخل روسيا ومن غرب سيبيريا ومن الصين ومن منغوليا للبيع والشراء رغم برودة فصل الشتاء لكن وجود السكك الحديدية فيما بعد أفقدتها أهميتها.

تحيط مدينة أيركوتسكي عدد من القرى التي هي بالأصل عبارة عن منفى لعدد من الرجال الذين أجبروا على إكمال مدة النفي وبالتالي يمكن تسميتها بقرى المجرمين أو المنفيين والذي يقال عنهم بـ(كاتوركة) وهؤلاء أصبحت لهم مدارس ومساجد خاصة بهم من قبل القرى التتارية المسلمة، وبفضلهم أصبح هؤلاء من المسلمين.

وتضم ايركوتسكي سجن الكسندر للأشغال الشاقة تضم (٢٥,٠٠٠) ألف سجين ويقدر عدد السجناء الذين يفدون إليه كل عالم ما يقارب بين (٥٠٠٠-٨٠٠٠) ألف سجين مقابل الذين يخرجون منه (٣٠٠٠-٤٠٠٠) ألف سجين وهؤلاء يستقرون في قرى في المناطق المجاورة للسجن لأن هؤلاء يمنعون من العودة إلى أوطانهم الأصلية[٥٨].

وتضم مدينة أيركوتسكي متحف يشمل كل الآثار الشرقية منها ما يخص دراسة علم الإنسان، وآثار تعود إلى المذهب البوذي[٥٩] والمذهب الشاماني كما توجد منه عدد من التماثيل التي يطلق عليها تسمية (بورخانات) المزينة بالجواهر الثمينة[٦٠].

رحلات ١٩١٠-١٩٣٣:

امتازت هذه الرحلات بكونها رحلات ارتبطت بأحداث جسام، استقبلها عبد الرشيد إبراهيم بكل تفاني وهو يقوم بواجبه الإنساني والديني والقومي... فبعد ان استقر في اسطنبول، حظيت كتاباته عن سفره وتجواله بالكثير من الشهرة حيث عرف بـ**(الرحالة الشهير)**، كما عقد الكثير من المؤتمرات التي كانت تهتم بالتعليم إضافة إلى قيامه بمهمة الوعظ والإرشاد الديني بالجوامع، حتى جاء الاحتلال الإيطالي إلى ليبيا ١٩١١-١٩١٢، فذهب إلى طرابلس ملتحفا بالأبطال الذين قاموا الاحتلال، فضلاً عن فتوى الجهاد التي شرعها ضد الإيطاليين[٦١].

وأثر قيام الثورة البشفية في روسيا ١٩١٧[٦٢] عبر حدود الصين إلى تركستان الشرقية[٦٣] وبذل جهوداً كبيرة هناك حتى يبقى حماس المسلمين الأتراك ضد التوجهات السوفيتية اللادينية والتي أطلت برأسها في هذه المنطقة فيما بعد[٦٤].

ثم انتقل عبد الرشيد إبراهيم من تركستان الشرقية إلى أسطنبول، وكما ذكرنا سابقاً ان اسطنبول تشكل ملاذاً ونقطة جوهرية وأساسية في حياته خاصة عندما يكون في مفترق طرق أو عندما يكون بحاجة إلى وقت لاتخاذ قرار ما هكذا هي اسطنبول كما رأينها عند عبد الرشيد إبراهيم.

انطلق مرة إلى مكة المكرمة ١٩٣٠-١٩٣١ وذلك لأخذ دفق روحي، وليلتقي بأحبائه من مسلمي العالم، وكان ذلك إذ التقى بممثلي الجمعية الهندية الإسلامية ومن المسلمين القادمين من اليابان.

المبحث الرابع

استقرار عبد الرشيد إبراهيم في اليابان

أولاً يجب الإشارة إلى أوضاع اليابان قبل وصول عبد الرشيد إبراهيم واستقراره فيها. تعد نهضة ميجي[٦٥] لعام ١٨٦٨، نقطة مهمة وبارزة في التاريخ الياباني، إذ شكلت بداية لتحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية نقلت اليابان من دولة إقطاعية تعيش حياة العزلة إلى دولة حديثة[٦٦].

تأخر اتصال اليابان بالإسلام إلى القرن التاسع عشر[٦٧] وكانت البداية مع عهد الميجي، إذ أرسلت اليابان بعثة أيواكورا (Iwakura) إلى قارة أوربا وأمريكا، واثناء وجودهم في باريس عام ١٨٧٣، أرسلت البعثة جنيشيرو فوكوتشي (Genichiro Fukuchi) إلى اسطنبول... وفي عام ١٨٧٥ أمر وزير الخارجية اليابانية، مساهارو تيراجيما (Masaharo Terajima)القنصل الياباني في لندن، كاجينوري أوينو (Kageenori Ueno) للتفاوض مع القنصل العثماني حول إمكانية تدشين العلاقات الدبلوماسية فيما بينهما. وفي عام ١٨٧٦ قابل موظفان يابانيان هيروشي ناكاي (Hiroshi Nakai) وهيروموتو واتانابي (Hiromoto Watanabe) وزير الخارجية العثماني رشيد باشا في اسطنبول، وفي عام١٨٨١. استطاعت البعثة الخارجية اليابانية بعضوية كلاً من ماساهارو يوشيد (Masahra Yoshid) ونوبويوش فوروكاوا (Nobuoshi Furukawa)مقابلة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وكان هذا اللقاء أول تدشين للعلاقات الدبلوماسية بين البلدين، بعدها أرسل الأخير بعثة الصداقة لليابان، والتي كانت تضم (٦٠٠) شخص على ظهر سفينة ارطغول عام ١٨٩٠[٦٨].

تعرضت هذه السفينة أثناء عودتها لإعصار شديد عند الشواطئ اليابانية في ١٦ أيلول، ولم ينج منهم سوى القليل، إذ أخذ اليابانيون بإنقاذهم، ونقلهم إلى بلادهم ودفن من توفى منهم في موقع قريب من مكان الباخرة الغرقى، وأقيم نصب تذكاري ومتحف في المكان لهم، وكان توراجيرو يامادا، رئيس لجنة تجارة الشرق الأدنى في اليابان،

وشوتارنودا الصحافي ممن حملوا هدايا الشعب الياباني إلى ذوي الضحايا حيث انهما اعتنقا الإسلام أثناء أقامتهم في أسطنبول(٦٩).

انطلقت رحلة عبد الرشيد إبراهيم إلى اليابان في ١٧ كانون الأول ١٩٠٩ على متن الباخرة اليابانية المسماة Itozan Maruo أي جبل الكنوز وفي رحلته هذه رصد عبد الرشيد إبراهيم عدة مظاهر وصور مشرقة موجودة في المجتمع الياباني ومنها حرص اليابانيين على القراءة إذ تحولت الباخرة (كنوز) والتي كان جل ركابها من اليابانيين إلى مكتبة، كان يسميها بـ الباخرة المكتبة إذ كان كل من عليها يقرأ حتى الطاقم المشرف على الرحلة بما فيهم الطهاة والسعاة(٧٠).

والشيء نفسه ينطلق على القطار الذي أقله إلى مدينة يوكوهما (Yokohama)، إذ كان يسميه بالقطار المكتبة.

ومن الصور الجميلة الأخرى التي نقلها لنا عبد الرشيد إبراهيم عن المجتمع الياباني هي مسألة الأمن والأمان وقصر قامة اليابانيين، وعدم قدرته على تخمين أعمارهم، وحرص اليابانيون على تدليك أجسامهم قبل النوم، وهي مهنة امتهنها العميان، والسلام عندهم، إذ كان عبارة عن انحناءه وابتسامه رقيقة، وصدق التعامل، وظاهرة (Riksha) أي العربات التي يجرها الإنسان والتي بلغ عددها في طوكيو آنذاك بـ(٤٠٠) عربة. كما وصف لنا الإنارة في الشوارع حتى في القرى الصغيرة وصناديق البريد التي لا يخلو منها أي باب من أبواب المنازل(٧١).

اعتمد عبد الرشيد إبراهيم على عدد من الشخصيات التي التقى بها في اليابان في هذه الرحلة، والتي كانت أشبه بوسيط بين ما يريد من تقريب وجهات النظر بين اليابانيين والمسلمين، والتوجه إلى الوحدة الآسيوية أمام تحديات الاستعمار الغربي، والمآسي التي خلفها في البلدان التي زارها عبد الرشيد إبراهيم، وكذلك أمام السيطرة الروسية لسيبيريا مسقط رأسه ولـ آسيا الوسطى والسعي لنهضة هذه البلدان من خلال الاستناد إلى قوة اليابان لذا تعاون عبد الرشيد إبراهيم مه تيكيوشي أوهارا (Takeyoshi Ohara)، وهو أحد الناشطين البارزين في حركة آسيا الكبرى في

اليابان، وأسسا منظمة سميت بـ أجيا جيكاي (Ajia Gikai) وأصدروا مجلتهم الرسمية باللغة اليابانية والتي سميت بـ دايتو (Daito)، أي الشرق الكبير في طوكيو، وكان لعبد الرشيد إبراهيم دور بارز في التحضير والتأسيس، وأعد رسالة هذه المجلة باللغة التركية التتارية. كان الهدف من هذه الحركة الإفادة من الناشطين الأجانب ونقصد بهم رواد الحركة الإسلامية والحركة القومية التركية في اليابان، لتعزيز نفوذ اليابان في المنطقة مستغلة الالامها وتشتتها[٧٢] التقى عبد الرشيد إبراهيم بـ الكونت أوكوما (١٨٣٨-١٩٢٢)، مؤسس حزب كاشنطو التقدمي، ووزير خارجية في حكومة الميجي. دار الحديث على عدة محاور منها الدين عند اليابانيين والعلاقات مع الولايات المتحدة الأمركيية[٧٣].

وفي لقاء له مع هاجيته (Hayachita 1863-1927)، وهو خريج جامعة طوكيو، العلوم السياسية، وعمل سكرتير بالبرلمان الياباني، أبدى عبد الرشيد إبراهيم إعجابه بدولة اليابان وان ما بلغته من قوة واستقرار بسبب تمسكه بهويته الوطنية وتقاليده العريقة، وتمسكه بالأبجدية اليابانية، ومواصلة الاعتماد عليها.

والتقى مع هاجيكاتا (Hismoto Hajikata 1883-1919) الذي كان كاتب في البلاط الإمبراطوري، وأحد المثقفين البارزين في اليابان، الذي أبدى استغرابه من عدم وحدة الأتراك آسيا الوسطى بالرغم من وحدة الأصول العرقية والانتماء الديني، الأمر الذي شجع عبد الرشيد لعرض فكرة وحدة بلاده مع اليابان لمواجهة التحدي الأوربي والروسي.

وكانت له وقفة مع الأدميرال طوغو (Togo 1847-1934) قائد المعركة البحرية ضد روسيا في مضيق توشيا ١٩٠٥ والحق الدمار بالأسطول الروسي، وكان عبد الرشيد إبراهيم معجباً به أيما إعجاب، إذ رفض هذا الرجل ما جمعه زملائه الضباط من أموال لأجل شراء دار أوسع له يستطيع أن يستقبل الضيوف لكون منزله صغير، إلا أنه اعتذر وطالب المسؤولين باستثمار هذه الأموال لأجل بناء مدرسة للبحرية، هذه

القصة ذكرها عبد الرشيد إبراهيم في كتابه عالم السلام، لإظهار سمو أخلاق اليابانيين ولتنبيه ذوي الأبصار من المسلمين إلى أخذها بعين الاعتبار(٧٤).

حرص عبد الرشيد إبراهيم أثناء وجوده في اليابان على إبراز عناصر التقارب بين المسلمين واليابانيين، وعندما كان في يوكوهاما، انفق من ماله وجهده الكثير لتعلم اللغة اليابانية، وكان هذا الاكتشاف دافع آخر له للتقريب بين الثقافة اليابانية والتركية. كما استغل انتصار اليابان على الروس ١٩٠٥(٧٥)، وكان فرح المسلمين في أواسط آسيا كبير لهذا الانتصار كما وصفه عبد الرشيد إبراهيم، لدرجة أنهم كانوا يدعوا إلى اليابانيين على جبل عرفة في موسم الحج، إضافة إلى تسمية أبنائهم ببعض الأسماء اليابانية(٧٦).

بقى عبد الرشيد إبراهيم طيلة إقامته في اليابان في تنقل بين مدنها وقراها يدعو إلى وضع أسس صلبة للإسلام في اليابان، وركز على مسألتين مهمتين يجذب بها اليابانيين إليه وهما:

أ- الانتهاكات الأوربية لحقوق الإنسان في آسيا.

ب-دور الصحافة الأوربية في تأجيج الرأي العام ضد الآسيويين بالحديث عن (الخطر الأصفر).

وكان يدعوهم إلى اعتناق الإسلام كقوة لهم أمام الهجمات الغربية وهذا ما نلمسه من كتاباته في مجلة الصراط المستقيم في الإمبراطورية العثمانية إذ أصدرت هذه المجلة (٦٤١) عدد (الثالث من تشرين الثاني ١٩٠٨- الخامس من آذار ١٩٢٥)، ويجد القارئ فيها أيضاً دعوة إلى تحويل اليابان إلى الإسلام والإفادة منها لمواجهة اضطهاد المسلمين في روسيا القيصرية(٧٧).

نرى مما سبق ان تجوال عبد الرشيد إبراهيم في اليابان قد نجح في كسب بعض الشخصيات اليابانية إلى جانبه واستطاع ان يضع الحجر الأساس لمسجد طوكيو الذي يعد دلاله على نجاحه في خدمة مساره للإسلام أولاً ولقضية بلاده سيبريا ومسلمي أواسط آسيا في مواجهة الغرب وروسيا القيصرية ثانياً.

أعجب عبد الرشيد إبراهيم بالتعليم والتقدم الاقتصادي الياباني وكان مع مدّ نفوذ اليابان إلى منشوريا بل وحتى سيبريا ويرى أن اعتناق اليابان للإسلام يساعدهم في تعزيز نفوذهم السياسي في هذه المناطق[٧٨] وبالتالي شكل عبد الرشيد إبراهيم حلقة وسطى بين طموح اليابان في آسيا وطموح مسلمي آسيا في التخلص من الأوربيين وهيمنة الروس على هذه المناطق وبالتالي كان عبد الرشيد إبراهيم موضع ترحيب من قبل الناشطين في حركة آسيا الكبرى والذي كان من أبرز أعضاءها[٧٩]، خاصة بعد ان انسحبت اليابان من عصبة الأمم عام١٩٣٣[٨٠].

أثناء إقامة عبد الرشيد إبراهيم في اليابان ١٩٣٣ عمل على تعزيز العلاقات بين المسلمين داخل اليابان وخارجه وبين اليابانيين وتصحيح سوء فهم اليابان للإسلام بسبب الوساطة الأوربية لمعرفة الإسلام وبالتالي عكف على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية إضافة إلى كتاباته في الصحف اليابانية أمثال مجلة (Daito) أي الشرق الكبير... [٨١].

بالمقابل كان كتابه عالم إسلام عبارة عن تعريف باليابان الذي نشر في اسطنبول ١٩١٠، إضافة إلى ما نشره من مقالات عن اليابان في روسيا[٨٢].

ومن أهم نشاطات عبد الرشيد إبراهيم في اليابان هو افتتاح جامع طوكيو ١٩٣٨ الذي عمل فيه إماماً إضافة إلى الحصول على موافقة الحكومة اليابانية على الاعتراف بالدين الإسلامي رسمياً ١٩٣٩، وجعل من جامع طوكيو مركز لاعداد مجموعة من الطلاب اليابانيين لنشر الدعوة الإسلامية في اليابان[٨٣].

ولما بلغ عبد الرشيد إبراهيم التسعينات من عمره انشغل في تعليم صغار المسلمين في جامع طوكيو قصار السور وبعض المأثور من حديث الرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومبادئ اللغة العربية[٨٤].

توفي عبد الرشيد إبراهيم عام ١٩٤٤ وبلغت مكانته في اليابان ان إذاعة خبر وفاته، وأقيمت له جنازة حضرها إعداد كبيرة من مختلف أنحاء اليابان والمناطق المجاورة لها، ودفن في مقبرة التتار المسلمين، مقبرة تاما في ضواحي طوكيو[٨٥].

الخاتمة:

- كانت رحلات عبد الرشيد إبراهيم محور مهم، لكونها أعطت صورة واضحة للقارئ عما كان يتم ويحدث آنذاك في المناطق التي زارها أمثال سيبريا أواسط آسيا، كوريا، الصين، واليابان...
- دفع اهتمامه بالتربية والتعليم بتعلم العلوم الشرعية في المدينة المنورة (على ساكنيها أفضل الصلاة والسلام)، والعلوم الأخرى واللغات أمثال اللغة اليابانية، لأن يكون أحد المجددين، الذين طالبوا بالاهتمام بالعلوم التطبيقية إضافة إلى العلوم الدينية والشرعية، كوسيلة مهمة لترقية الشعوب وتطورها.
- كانت زيارته لليابان واستقراره فيها حتى وفاته ١٩٤٤، مثار جدل لدى البعض، لكون اليابان كانت قد رفعت شعار الشرق للشرقيين، هذا الشعار كان يعيطها الحق للتوسع في مناطق الشرق على حساب جارتها الصين أو روسيا القيصرية... وكان عبد الرشيد إبراهيم مؤيد لهذه النظرية أن لم يكن هو قد طرحها أولاً وذلك لحصول المسلمين بشكل عام ولمسلمي سيبيريا وأواسط آسيا على إسناد اليابان أمام أطماع والسيطرة الاستعمارية البريطانية والفرنسية والروسية على مناطق واسعة من العالم العربي المسلم آنذاك، وكان هذا اللقاء والتعاون يعزز من الوجود القومي التركي المسلم أمام تحديات الاحتلال الروسي القيصري أولاً والاتحاد السوفيتي فيما بعد، والأكثر من ذلك كان عبد الرشيد إبراهيم يرى في اليابان أمة فيها من التقاليد ما يجعلها ان تقبل الإسلام وتكون مسلمة أو صديقة للمسلمين، لذلك لاقت دعوة اليابان له للاستقرار في اليابان قبولاً وترحيباً، ونجح إيما نجاح في دفع اليابان للاعتراف بوجود الدين الإسلامي في اليابان واحترام المسلمين هناك... وترك عدد من المقالات التي كانت تروج لهذا المبدأ سواء في مجلة الصراط المستقيم والبصيرة التي كانت تصدر في إسطنبول... ونظيراتها في اليابان.

هوامش البحث:

(١) **تارا:** هي بلدة قديمة جداً وهي أحدى مناطق سيبريا، كانت مركز للتجارة طوال العصور القديمة، إذ كانت القوافل التجارية تذهب من تارا إلى بخارى كل عام عن طريق قزليار وآقمولا وتركستان، كما كان تجار تارا يذهبون من سيبيريا إلى بلاد الهند عن طريق إيران، أما فيما بعد قل تأثير تارا التجاري بسبب وقوعها بعيداً عن السكك الحديدية. للمزيد من المعلومات ينظر: عبد الرشيد إبراهيم، العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين، ترجمة: أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، ص٨٩.

(٢) **توبولسك Topolsk**: سكن توبولسك المسلمون القادمون من غرب سيبيريا إضافة إلى المسيحيين الروس وكان كل من المسلمين والمسيحيين يحترم منهم الواحد الآخر ويتمتعون بنفس الحقوق والواجبات. ينظر:

M. Philips Price, Siberia, London, Methuen and Co. LTP. New York. George H. Doran Company, 1912, P.80-88.

(٣) يشير الدكتور مصطفى أوزون أستاذ في كلية الالهيات في جامعة أسطنبول إلى أن ولادة عبد الرشيد إبراهيم عام ١٨٥٧، وفي ترجمة أخرى لحياة هذا الشيخ الجليل لكل من فرانسوا جورجون وعشق طامدوغان باللغة الفرنسية يشير إلى أن ولادته ١٨٥٧ أو ١٨٥٢ كما هو مسجل على شاهد قبره في مقبرة طاما Tama Reic بين مقاطعتي فوتشو وكوكاني من طوكيو، إلا أني اخترت الرقم ١٨٥٠ نسبة إلى كتابه الذي ألفه، والذي صرف عليه من الجهد والزمن والأموال الشيء الكثير كي يخرج بحلته العربية والله أعلم.

(٤) أحد العوائل التي تعود إلى مجموعة عرقية واحدة كبيرة كانت تستقر قديماً في منغوليا وسيبيريا وخاصة حول جبل التاي، لذلك يطلق عليهم اسم الشعوب التائية التركية في شمال وشرق منغوليا وهم على مجاميع منها المجموعة الثابتة التي هي المجموعة التركية الجنوبية الشرقية ويطلق عليها اسم (الأوليغورية والأوزبكية). للمزيد من المعلومات ينظر: الشعوب الألتائية التركية وهي كراس صغير يحمل رسم خريطة لهذه المجاميع ضمن الإصدارات الخاصة بالمكتبة العثمانية، مركز الأنوار الثقافي، بغداد، PCROM.

(٥) د. مصطفى أوزون، رجال صنعوا التاريخ، الشيخ عبد الرشيد إبراهيم، أسطنبول، ٢٠١٢. ينظر: Htm.File://G: رجال صنعوا التاريخ عبد الرشيد إبراهيم ;Faceboo

عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق ، ص٧.

[٦] د. مصطفى اوزون، المصدر السابق، ص٢؛ عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٦.

[٧] عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٦.

[٨] ميثم الجنابي، الإسلام السياسي في جمهوريات آسيا الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ٢٠٠٢، ص١١.

[٩] د. محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج١، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣، ص١٣٥.

[١٠] ميثم الجنابي، المصدر السابق، ص٦٥.

[١١] مهدي نهاوندي، آسيا الوسطى... التاريخ ومسألة الهويات القومية، ترجمة: زنكابادي، الصباح الجديد (جريدة)، ع٩، ٢٣ آب ٢٠٠٧.

[١٢] نامق كمال (١٨٤٠–١٨٨٨): ابن أحد علماء القصر الفلكيين. عمل في مكتب الترجمة التابع للباب العالي هناك تعرف على الشيناسي أحد مؤسسي حركة العثمانيين الشباب عام١٨٦٥، هرب إلى أوربا ١٨٦٧، عمل كرئيس تحرير لصحيفة المعارضة الحرية. عاد إلى أسطنبول ١٨٧٠، ولكنه نفي إلى قبرص عام١٨٧٣ ثم استدعي ١٨٧٦ لوضع دستور، لكن السلطان عبد الحميد سرعان ما نفاه إلى سيوس، وعمل في سنواته الأخيرة حاكماً لسيوس وردوس وكابوس. للمزيد من المعلومات ينظر: إريك زوركر، تاريخ تركيا الحديث، ترجمة: د. عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ٢٠١٣، ص٥٢٣.

[١٣] محمد عصفور سلمان، العثمانيون الجدد أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في بلورتها، مجلة ديالى، العدد التاسع والأربعون، ٢٠١٢، ص٢، ٧–١٢.

[١٤] المصدر نفسه، ص١٢–١٦؛

كمالنامق/Https://ar.m.wikipedia.org/wiki/

[١٥] السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢–١٩١٨)، ولد عام ١٨٤٢، والده السلطان عبد المجيد، درس اللغة العربية، والفارسية وكان ينظم الشعر، إضافة إلى دراسته للعلوم الإسلامية، كان ذا شخصية قوية حريصاً على الصلاة، لا يشرب الخمر، منع تدخل النساء في السياسة أو شؤون الدولة، بدأ حكمه بافتتاح مجلس المبعوثان ثم عطله ١٨٧٨ لمدة ثلاثين عام ونصف العام، تولى السلطة وكانت أطماع القوى الغربية في أوجها فعمد إلى سياسة الإيقاع فيما بينها وإلى التأكيد على الجامعة الإسلامية، إذ كان يعمل على توحيد العناصر المتعددة من ترك وعرب وأكراد وغيرهم في جبهة واحدة، ضد الغرب، أما على الصعيد الداخلي للدولة العثمانية فعمل على مواجهة نفوذ الباب العالي ومواجهة الحركات التي كانت نشطة آنذاك أمثال جماعة تركيا الفتاة،

وجماعة الاتحاد والترقي الذين عزلوه عام١٩٠٩. للمزيد من المعلومات ينظر: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: د.محمد حرب، دار القلم، دمشق، ١٩٩١، ص١٣-٢٣، ٤٣-٤٤.

(١٦) أصدرها هو والشيخ المصلح محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) في باريس، واحتوت مقالات جمال الدين الأفغاني السياسية دعوات للإصلاح وإلى الدستور وكثيراً ما كانت مقالاته تجد معارضة من الإنكليز وأعوانهم خاصة في مصر. للمزيد من المعلومات ينظر: جمال الدين الأفغاني، عدد خاص على الYoutube.

(١٧) جمال الدين الأفغاني (١٨٩٧-١٨٣٨): ولد في إحدى قرى كنر من مدينة كابول، درس العربية، الفقه والفلسفة ثم انتقل إلى الهند حيث درس العلوم الرياضية وفي عام ١٨٥٧ بدأ رحلته ومنها ذهب إلى مصر، القاهرة ودفع تلاميذه أمثال محمد عبده إلى التوجه للعمل في الصحافة حيث كان يقول: ((لا جامعة لقوم لا لسان لهم...)) حرض المصريين ضد الاستعمار البريطاني. للمزيد من المعلومات ينظر: عبد الغني القاسمي، جمال الدين الأفغاني داعياً ومصلحاً، دعوة الحق، العدد٢٣، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٨٣.

(١٨) جمال الدين الأفغاني، عدد خاص على الYoutube .

(١٩) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٨.

(٢٠) رغم تعدد نماذج النخب السياسية الثقافية حسبما ذكرنا في البداية، إلا أن الإسلام قام بدور مهم في توحيد الأتراك... بشكل عام في مواجهة روسيا القيصرية أولاً والاتحاد السوفيتي ثانياً، ورغم تعدد القوميات في مختلف مناطق أواسط آسيا، إلا أن الإسلام حل محل القومية في المواجهة، وهذا يذكرنا بتجربة الشعب العربي المسلم في المعربي المسلم في المغرب العربي وكيف احتل الإسلام محل القومية في مواجهة الاحتلال الفرنسي.

(٢١) أوفا: عاصمة بشكيريا، يتلقي عندها عدد من الأنهار مثال نهر بيلافا وكاما أوفا، احتضنت العديد من المؤتمرات والثورات الإسلامية في القرن العشرين، واعبرت أوفا المركز الديني لمفتي المسلمين في روسيا. للمزيد من المعلومات ينظر: د. محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج٢١، ص١١٣-١١٤.

(٢٢) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٩.

(٢٣) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٩.

(٢٤)هذه الفكرة (حزمة العصي أو شدة العصي) لو قدّر لها ان تنجح لكانت شراً كبيراً يواجه روسيا القيصرية واجتماعها في المنطقة، وكانت روسيا القيصرية تدرك خطورة التحرك هذا فسعت منذ البداية لوئده من خلال إثارة الأحقاد القديمة بين إمارات أواسط آسيا المحلية وإضعافها لأجل

السيطرة عليها. للمزيد من المعلومات ينظر: د. محمد حسن العيلة، أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٦، ص٤٦.

(٢٥) تعود بداية الطباعة العربية في روسيا القيصرية إلى البيان الذي أصدره القيصر بطرس الأول ١٧١١، وذلك بهدف تبرير حملته العسكرية ضد الدولة العثمانية، وحمل مطبعته العربية في حملته على إيران. في عام ١٧٢٣ الغيت المطبعة العربية المتنقلة وأعطيت إلى الإدارة العليا للكنيسة الأرثدوكسية، وكذلك أعطيت قسم من حروفها العربية إلى أكاديمية العلوم في سانت بطرسبورغ، وكان أول كتاب طبع باللغة العربية في روسيا هو القرآن الكريم عام ١٧٨٧. للمزيد من المعلومات ينظر: محمد سعيد الملاح، الطباعة العربية في بلاد ما وراء النهر وروسيا، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، ٢٠١٥، ص١.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٢.

(٢٧) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٩.

(٢٨) **المحكمة الشرعية في أورنبرغ:** تأسست هذه المحكمة عام ١٧٨٧، في عهد كاترين الثانية، وهي محكمة شرعية إسلامية، كان الهدف من وراء تأسيسها هو تأمين الجبهة الداخلية، وكسب ود ورضا مسلمي روسيا القيصرية، كي تتفرغ من مد نفوذها في اسطنبول، ومع ان الحقوق التي منحت لهذه المحكمة قليلة، إلا أنها أصبحت تمثل قوة جامعة لمسلمي روسيا، الذين رأوا فيها حماية لهم ولدينهم، وكان المسلمون لا يقبلون أي أمر من الحكومة الروسية إلا بعد صدور فتوى من هذه المحكمة، ولم تكن توجد طرق ميسرة للوصول لهذه المحكمة، فكان على البعض أن يقطع المسافة بشهور مقابل سطر واحد من الفتوى. اتبع مسلمو القوزاق قوزاق الصحراء بشكل خاص هذه المحكمة والذي بلغ عددهم آنذاك(١٢) مليون نسمة. إلا أنها أصابها الإهمال من قبل الحكومة الروسية إضافة إلى انتشار الجهل بين الأتراك القوزاق، وكان الشيخ عبد الرشيد إبراهيم يرى ضرورة إحداث إصلاحات أساسية فيها، لأجل تأمين مستقبل مسلمي روسيا. للمزيد من المعلومات ينظر: عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٨.

(٢٩)عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٠.

(٣٠) في صفحات أخرى من كتاب العالم الإسلامي، أشار المترجم إلى أن كتاب كوكب الزهرة طبع في مدينة بطرسبورغ ١٩٠٧، وعلى الأكثر تكون هذه الطبعة الثانية للكتاب المذكور. للمزيد من المعلومات ينظر: عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٩، ١٧.

(٣١) د. عبد الرحيم بنحادة، الشرق للشرقيين أم تتاري في اليابان، شبكة الإسراء والمعراج (إسراج)، ٢٠٠٩،

www.Israj.net

(٣٢) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٠.

(٣٣) ثورة ١٩٠٥ في روسيا القيصرية: أمام اليابان عامل أساسي في قيام الثورة، وبذلك استطاعت صرخات المنفيين في سيبيريا وحقوق القوميات المهضومة ووهياج العمال المستمر وبؤس الفلاحين الروس استطاعت بأوجاعهم ان تجبر قيصر روسيا نيقولا الثاني والدفع بروسيا نحو التحكم الدستوري ووافق نيقولا على عقد برلمان منتخب (الدوما)، ١٩٠٥ وكانت هذه مدة قصيرة من الزمن تذوقوا خلالها الروس نسمات ربيعية تلاها الكثير من الألم والتدهور. للمزيد من المعلومات ينظر: هـ.أ.ل فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث، ترجمة: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٣٤) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١١.

(٣٥) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٢؛ د. محمد ناصر النفزاوي، التيارات الفكرية والسياسية في السلطنة العثمانية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠١، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٣٦) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٢؛ د. محمد ناصر النفزاوي، المصدر السابق، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٣٧) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٢.

(٣٨) تركستان العربية: خضعت لحكم روسيا القيصرية، وقد كان تعريف تركستان في التاريخ الإسلامي يقتصر على تركستان الشرقية، أما تركستان الغربية فكانت تسمى بلاد ما وراء النهر (جيحون)، ويقصد في الغالب الأراضي الواقعة بين نهر سيحون (سرداريا)، شرقاً ونهر جيحون (أمودريا) غرباً. للمزيد من المعلومات ينظر: د. محمد علي البار، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٣٩) **قازان:** تحتل فازان المنطقة الغنية في منطقة الفولغا الوسطى، كانت روسيا القيصرية حريصة للسيطرة عليها، إذ أن السيطرة عليها يعني السيطرة على ثروات سيبيريا، وكذلك السيطرة على الطرق التجارية الذاهبة إلى أواسط آسيا إلى الصين وكذلك إيران، وبعبارة أخرى وحسب وجهة النظر الروسية إلى قازان أنها: ((شباك موسكو نحو الشرق))... للمزيد من المعلومات ينظر:
Maureen Perrie (Editeder) The Cambridge History of Russia, Vol.1, From Early Rus to 1989, Cambridge University Press, 2006, P.319.

(٤٠) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٢.

(٤١) المصدر نفسه، ص١٣.

(٤٢) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ص١٣-١٤.

(٤٤) **محمد عاكف أرصوي (١٨٧٣-١٩٣٦)**: ولد عام ١٨٧٣ من آب تركي يسمى محمد طاهر وأم بخارية تدعى أمينة هانم، تعلم اللغة العربية على يد ابيه الذي كان مدرساً في مدرسة الفاتح، تخرج من مدرسة البيطرة ١٨٩٣، وعمل مفتشاً في وزارة الزراعة. حفظ القرآن وهو ابن التاسعة، ودرس اللغة الفارسية والفرنسية، والحديث. درس في أسطنبول ١٩٠٦-١٩٠٧، وشارك في إصدار مجلة الصراط المستقيم، وعين مدرساً للأدب في دار الفنون (جامعة أسطنبول)، انتخب عضو في مجلس النواب١٩٢٠-١٩٢٣، وكتب نشيد الاستقلال ليكون النشيد الرسمي لتركيا عام ١٩٢١. تأثر كثيراً بجمال الدين الأفغاني في دعوته للحرية ونبذ الاستبداد، كما تأثر بالشاعر محمد إقبال والأديب الدكتور محمد عزام... ألف سبع دواوين شعرية ومن أشهر أقواله ما كتبه في مجلة الصراط المستقيم منتقداً القومية الجديدة ((يا جماعة المسلمين: أنتم لستم بعرب ولا ترك ولا بلقانيين ولا أكراد ولا قوقازيين ولا شركس أنتم فقط عبارة عن أفراد في أمة واحدة هي الأمة الإسلامية وكلما حافظتم على الإسلامية لم تفقدوا قومياتكم)). للمزيد من المعلومات: د. محمد بن موسى شريف، عظماء منسيون في التاريخ الحديث، مكان الطبع بلا، التاريخ بلا، ص١٣٩-١٥٥، الموقع على الشبكة www.altareekh.com.

(٤٥) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٤١-٤٧؛ د. محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج٢، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣، ص٦٤٨.

(٤٦) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٥١- ٥٧.

(٤٧) المصدر نفسه، ص٥٥.

(٤٨) المصدر نفسه، ص٦٠.

(٤٩) د. محمد علي البار، المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٦-٤٤٩.

(٥٠) د. محمد علي البار، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٥٥-٤٥٨.

(٥١) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٦٣-٦٥.

(٥٢) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٥٣) د. محمد علي البار، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦.

(٥٤) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٥٧-١٦٠.

(٥٥) وهي تسمية أطلق الروس على العناصر البشرية من غير الروس.

(٥٦) طار القو: طائر من الطيور الجارحة يكثر وجوده في سيبيريا يستعمل في الصيد يشبه البازي الذي يستعمل في الصيد في دول الخليج العربي عنه ينظر: عبد الرشيد إبراهيم، ص١٧٠.

(٥٧) قانزة: اسم يعني الشجاع عنه ينظر: المصدر نفسه، ص١٦٩.

(٥٨) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٨٦، ص١٩٢-١٩٣.

(٥٩) **المذهب البوذي:** ديانة أسسها زعيم هندي يطلق عليه لقب بوذا في الشمال الشرقي للهند في القرن السادس قبل الميلاد. أسس هذه الفلسفة تدعو إلى النزاهة الأخلاقية، وإلى المساواة بين البشر وإلى حب الناس وسائر المخلوقات. للمزيد من المعلومات ينظر: عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(٦٠) **الشامنية:** ديانة شائعة في سيبيريا تشكل صفحة مهمة في تاريخ الحضارة التركية المغولية. والشامان هم رجال الدين الذين يقومون بدور الوساطة بين الإنسان والروح الشامانية وهو يعرف مدى القوة والإلهام الذي يحتاجه البشر من أرواح الأجداد والأقرباء، وهو قادر على ان يسخر أرواح الخير لقادة البشر وأن يمنع الأرواح الشريرة من أن تؤذي البشر من خلال عدد من الطقوس والمراسيم التي أعدت لذلك. للمزيد من المعلومات ينظر: بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د. أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص٢٨؛ عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٤٩.

(٦١) **الاحتلال الإيطالي إلى ليبيا:** أعطت الدول الأوربية الضوء الأخضر إلى إيطاليا لاحتلال ليبيا شرط ان تجعل هذه الحرب محصورة في هذه المنطقة، وعدم إثارة مسألة مستقبل الدولة العثمانية، والوضع القائم في البلقان. في حين ضغطت المانيا على الدولة العثمانية باتخاذ موقف الحياد من هذه الحرب، وبالتالي كان واضحاً عدم استعداد الدولة العثمانية في الدفاع عن أقاليمها في شمال القارة السمراء (أفريقيا). أخذت قوات الاحتلال الإيطالي بالتدفق على طرابلس الغرب، وبلغ العدد (٣٥) ألف شخص و(٧٢) مدفع، نزلت هذه القوات في بنغازي في (١٩) من تشرين الأول من عام (١٩١١)، وبعد القصف المتواصل احتلت إيطاليا عدد من المدن الساحلية أمثال: طرابلس، برقة... كما قامت إيطاليا بإصدار عدد من البيانات والتعليمات التي تدعو إلى احترام ممتلكات السنوسية واحترام السكان المحليين وتحسين الأحوال الاقتصادية، إلا أن الليبيين قاوموا الإيطاليين مقاومة شديدة خاصة في طرابلس الغرب وبنغازي وقادت هذه المقاومة إلى انفجار الحركة الوطنية الليبية ضد الإيطاليين، وكانت وحدات تسجيل المتطوعين تتم في مواكب تتحشد أمام الجوامع حيث تقرع الدفوف، وكانت كل قبيلة تقدم المحاربين وتجهزهم إلا أن فارق القوى بين الإيطاليين والليبيين، وعدم مد يد العون من قبل الدولة العثمانية قاد إلى احتلال إيطاليا إلى ليبيا (١٩١١-

١٩١٢). للمزيد من المعلومات ينظر: ز.ب. ياخيموفتش، الحرب التركية- الإيطالية، ترجمة: د. هاشم صالح التكريتي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، ١٩٧٠، ص٦٩-٨١، ٢٠٩-٢١٣.

[٦٢] **ثورة ١٩١٧:** في آذار أرغم قيصر روسيا على النزول عن العرش، وكانت أسباب هذه الثورة كثيرة قادت إلى قيام عدة اعتصامات شهدتها روسيا القيصرية منها اعتصام العمال وتمرد الحرس القيصري، وكان الجوع والشقاء ومشاعر الغضب والسخط والاستياء هم أدوات الثورة الفعالة زادت الأوضاع سوءاً هزائم الجيش الروسي المتكررة إذ منيت بخسارة قدرها أربعة ملايين من القتلى والجرحى، تشكلت في آذار حكومة كيرنسكي وحاولت هذه الحكومة ان تدير البلاد إلا أنها فشلت، وتمكن البلاشفة من السيطرة على البلاد، وكانت دعواتهم للإصلاح وتوزيع الأراضي على الفلاحين، وإقامة دكتاتورية العمال وغيرها من الدعوات قد أتت بؤكلها فقامت ثورة البلاشفة المعروفة بثورة أكتوبر ١٩١٧. للمزيد من المعلومات ينظر: هـ.أ.ل فشر، المصدر السابق، ص٥٢٥-٥٢٨.

[٦٣] **تركستان الشرقية:** من حواضرها كشغر المعروفة باسم سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة للصين الشيوعية. ومن رجالاتها دقاق الذي يعتبر والد سلجوق الذ انطلق مع مجموعة من قبيلته إلى تركستان الغربية، وأعلن إسلامه وإليه تسمية الدولة السلجوقية التي توسعت حتى خوارزم. للمزيد من المعلومات ينظر: د. محمد علي البار، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٠.

[٦٤] عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٥.

[٦٥] **ميجي (Meiji):** كلمة تعني الحكم المستنير وتطلق على النظام الجديد في اليابان الذي حل محل نظام توكوجاوا، والذي أصبح فيه الإمبراطور ميتسوهيتو بؤرة الولاء السياسي في اليابان (١٨٦٨-١٩١٢)، عنه ينظر: د.عبد الغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص١٥.

[٦٦] ناجاي متشيو وميجول أورشيا، ميجي أشن الثورة الإصلاحية في اليابان، ترجمة: عادل عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٣٤.

[٦٧] د. صالح مهدي السامرائي، الإسلام في اليابان، المركز الإسلامي في اليابان، التاريخ بلا، ص٤١؛ د. عادل بن أحمد بن سالم باناعمة، اليابان ومشرق العربية، اليابان، ٢٠١٢، ص٢.

[٦٨] نوبو ميساوا، تأثير الصحافة العثمانية في اليابان صلات المفكرين في عالم أوراسيا، ترجمة: د.محمود عبد الواحد محمود، بيت الحكمة، العدد٢٣، بغداد، ٢٠١٠، ص١٠٢.

[٦٩] يذكر ان أحمد أريجا وهو تاجر نصراني، قد اعتنق الإسلام، وعمل على ترجمة القرآن الكريم وأشرف على طباعته وبذلك يكون هو كل من توراجيرو يامادوا وشوتارا نودا الذين سبق ذكرهما،

أوائل المسلمين في اليابان. للمزيد من المعلومات ينظر: إيمان بديع عبد ربه، الإسلام في اليابان، موقع نسيم الشام

www.naseem,alsham.com, P.17.

(٧٠) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص٣٠.

(٧١) د. عبد الرحيم بحاوة، محاولات في فهم السر الياباني، رحلة عبد الرشيد إبراهيم إلى اليابان، المؤتمر الدولي الأول، الدوحة، ٢٠١٠.

(٧٢) نوبوميساوا، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٧٣) د. عبد الرحيم بنجادة، تتاري في اليابان، أرتياد الآفاق، المركز العربي للأدب الجغرافي، ندوة الرباط الثنتية، ٢٠٠٩.

(٧٤) المصدر نفسه.

(٧٥) كانت اليابان في مفاوضات مع الروس حول الاعتراف بحقوق اليابان في كوريا، أثناء ذلك قامت روسيا بإرسال قوات لها إلى منشوريا، الأمر الذي تنبهت إليه اليابان وقامت بتوجيه ضربة ضد الأسطول الروسي في ميناء بورت آرثر (Port Arthur) عام ١٩٠٥ دُمر الأسطول الياباني (٢٥) سفينة حربية، وخسرت روسيا الآلاف من جنودها بين قتيل وأسير، وكسبت اليابان على عدد من الامتيازات منها: سيطرة المشروعات اليابانية في منشوريا، وأهمها الخط الحديدي جنوب منشوريا. للمزيد من المعلومات ينظر: د. فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان ١٨٥٣-١٩٧٢، مكان الطبع بلا، ١٩٩٧، ص٩٨-١٠٠.

(٧٦) فرانسوا جورجون وعشق طامدوعان، تتاري في اليابان، ارتياد الآفاق، المركز العربي للأدب الجغرافي.

(٧٧) نوبوميساوا، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٧٨) عبد الفتاح محمد شبانه، اليابان العادات والتقاليد وادمان التفوق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٤٢-٤٤؛

Bai Gao, Economic ideology and Japanese industrial policy developmentalism from 1931 to 1965, Cambridge university press, 1997, P.225-229.

(٧٩) نوبو ميساوا، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٨٠) استغلت اليابان حادث انفجار قنبلة في خط حديد جنوب منشوريا ١٨ أيلول ١٩٣١، كسبب لاجتياح منشوريا، الأمر الذي أضر بالمصالح الأمريكية في المنطقة فدعت اليابان والصين لحل المشاكل بالطرق السلمية، إلا أن اليابان عملت على تأسيس دولة مستقلة في منشوريا ذات حكومة

موالية لها وبزعامة الإمبراطور بويي (Puyi)، وأمام التوسع الياباني في المنطقة، وفي محاولة من جمعية عصبة الأمم قررت تشكيل هيئة بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية ٢٤ شباط ١٩٣٣ حول عدم الإشراف بدولة، منشكو الأمر قابلته اليابان بحسب الوفد الياباني من الجمعية في ٢٧ مايس ١٩٣٣ أعلنت اليابان انسحابها من العصبة. للمزيد من المعلومات ينظر: منتهى طالب سلمان، العلاقات اليابانية- الأمريكية١٩١٩-١٩٣٩، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص٢٠٤-٢٢٨.

(٨١) نويو ميساوا، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٨٢) عبد الرشيد إبراهيم، المصدر السابق، ص١٤.

(٨٣) المصدر نفسه.

(٨٤) د. صالح مهدي السامرائي، المصدر السابق، ص٥.

(٨٥) عبد الرحيم بنحادة، تتاري في اليابان، ندوة الرحالة العرب والمسلمين... اكتشاف الذات والآخر، الرباط، التاريخ بلا، ص بلا.

قائمة المصادر

أولاً- المصادر العربية:

١- إريك زوركر، تاريخ تركيا الحديث، ترجمة: د. عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ٢٠١٣م.

٢- إيمان بديع عبد ربة، الإسلام في اليابان، موقع نسيم الشام، www.naseemalsham.com.

٣- بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د. أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

٤- جمال الدين الأفغاني، عدد خاص، Youtube.

٥- ز.ب. ياخيموفتش، الحرب التركية – الإيطالية، ترجمة: د. هاشم صالح التكريتي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، ١٩٧٠م.

٦- المؤلف بلا، الشعوب الالتائية التركية، المكتبة العثمانية، Pcrom، مركز الأنوار الثقافي، بغداد.

٧- د. صالح مهدي السامرائي، الإسلام في اليابان، المركز الإسلامي في اليابان، التاريخ بلا.

٨- د. عادل بن أحمد سالم باناعمة، اليابان ومشرق الجزيرة العربية، اليابان، ٢٠١٢م.

٩- د. عبد الرحيم بنحادة، تتاري في اليابان، ارتياد الآفاق، المركز العربي للأدب الجغرافي، ندوة الرباط الثانية، ٢٠٠٩م.

١٠- د. عبد الرحيم بنحادة، محاولات في فهم السرّ الياباني، رحلة عبد الرشيد إبراهيم إلى اليابان، المؤتمر الدولي الأول، الدوحة، ٢٠١٠م.

١١- عبد الرحيم بنحادة، الرحالة المسلم عبد الرشيد إبراهيم، الشرق للشرقيين أم تتاري في اليابان، الرباط، شبكة الإسراء والمعارج، www.israj.net.

١٢- د. عبد الغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

١٣- عبد الغني القاسمي، جمال الدين الأفغاني، داعياً ومصلحاً، دعوة الحق، العدد٢٣، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٨٣م.
١٤- عبد الفتاح محمد شبانة، اليابان العادات والتقاليد وإدمان التفوق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٥- فرانسوا جورجون وعشق طامدوعان، تتاري في اليابان، ارتياد الآفاق، المركز العربي للأدب الجغرافي، المكان بلا، التاريخ بلا.
١٦- د. فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان١٨٥٣-١٩٧٢، المكان، بلا، ١٩٩٧.
١٧- مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: د. محمد حرب، دار القلم، دمشق، ١٩٩١م.
١٨- د. محمد حسن العيلة، أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٦م.
١٩- محمد سعيد الملاح، الطباعة العربية في بلاد ما وراء النهر وروسيا، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، ٢٠١٥م.
٢٠- محمد عصفور سلمان، العثمانيون الجدد أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في بلورتها، مجلة ديالى، العدد التاسع والأربعون، ٢٠١٢م.
٢١- د. محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، الجزء الأول، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة،المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م.
٢٢- د. محمد علي البار، المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، الجزء الثاني، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة السعودية، ١٩٨٣م.
٢٣- د. محمد بن موسى شريف، عظماء منسيون في التاريخ الحديث، المكان بلا، التاريخ بلا، الموقع على الشبكة www.altareeh.com.
٢٤- د. محمد ناصر النفزاوي، التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس،٢٠٠١م.

٢٥- د. مصطفى أوزون، عبد الرشيد إبراهيم ومسلمي روسيا، أسطنبول، ٢٠١٢م، رجال صنعوا التاريخ الشيخ عبد الرشيد إبراهيم:File//G:facebook.htm.

٢٦- منتهى طالب سلمان، العلاقات اليابانية- الأمريكية١٩١٩-١٩٣٩، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.

٢٧- مهدي نهاوندي، آسيا الوسطى... التاريخ ومسألة الهويات القومية، ترجمة: زنكابادي، الصباح الجديد (جريدة)، العدد٩، ٢٣ آب ٢٠٠٧.

٢٨- ميثم الجنابي، الإسلام السياسي في جمهوريات آسيا الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ٢٠٠٢م.

٢٩- ناجاي متشيو وميجول أورشيا، ميجي أشن الثورة الإصلاحية في اليابان، ترجمة: عادل عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

٣٠- نوبو ميساوا، تأثير الصحافة العثمانية في اليابان صلات المفكرين في عالم أورسيا، ترجمة: د.محمود عبد الواحد محمود، بيت الحكمة، العدد٢٣، بغداد، ٢٠١٠م.

٣١- هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث، ترجمة: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨.

ثانياً- المصادر الأجنبية:

32- Bai Gao, Economic ideology and Japanese industrial policy Developmentalism from 1931 to 1965, Cambridge University Press, 1977.

33- Maureen Perrie (Editeder) The Cambridge History of Russia, Vol.1, From Early Rus to1989, Cambridge University Press, 2006.

34- M. Philips Price, Siberia, London: Methuen and Co. LTP, New York, George, H. Doran Company, 1912.

السمات الفنية في النحت الفخاري
للخزف العراقي المعاصر
(ماهر السامرائي وطارق إبراهيم)
- دراسة مقارنة -

عبير مجيد عبد النبي صالح

السمات الفنية في النحت الفخاري للخزف العراقي المعاصر (ماهر السامرائي وطارق إبراهيم) - دراسة مقارنة -

عبير مجيد عبد النبي صالح

الفصل الأول

*** مشكلة البحث:**

عندما ارتحل الخزف من بنيته الوظيفية الى بنيته الجمالية برزت فيه منظومة الترميز والتأويل التي تعتمد في الاغلب على نظام العلامة بشقيها المباشر الواضح والمؤول المتخفي . حتى بات خزف القرن العشرين وعلى نحو خاص نتاجات العقود الخمسة المتأخرة منه خزفا يقدم المرمز والمؤول بل يقدم الشكل ويعتمد الشكلانية كما هو حال فنون التشكيل الاخر التي تبدو ابعد زمنا في تخطيها موضوع الوظيفة والادائية الاستعمالية .

وهكذا كانت السمات مركزا مهم في نتاج الخزف كفن وفي قرائنه عند التلقي . ان السمات الفنية منظومة كلامية لا تعتمد العلامة الجمالية الفنية فقط بل تعتمد محركات الاسلوب بشقيه الجمعي والفردي .

وفي هذا البحث الذي يعتمد التقارن على وفق نقدا مقارنا لنتاجين من فنانين عراقيين يعدون في المقدمة على وفق التاريخ وعلى وفق نوعية وغزارة الانتاج وهم ماهر السامرائي وطارق ابراهيم . وتتضح لنا مشكلة هذا البحث مما يأتي:

١- كشف السمات الاسلوبية الفنية للفنانين المذكورين لان البحوث التي تطرقت الى اعمالها لم توف الغرض على نحو كامل في كشف هذه السمات العلامية الاسلوبية .

٢- نظام المقارنة بين الفنانين موضوع البحث يتحقق على مستوى البحث العلمي لفن الخزف العراقي ويمثل انظمة حركة الاسلوب الجمعي للفنانين في العقود الخمسة الاخيرة للقرن العشرين .

وعليه فان مشكلة البحث تتمثل لنا من فقدان بحث يتصف بالشمول وكشف ظاهرة تبدو متخفية في البحث .

*** اهمية البحث :**

تنطلق اهمية بحثنا الموسوم (السمات الفنية في اعمال النحت الفخاري في اعمال ماهر السامرائي وطارق ابراهيم) على وفق الدراسة المقارنة ذات البعد النقدي الذي يعتمد النقد المقارن ، محققة نتائج في كشف المتطور في استدعاء السمات او في انتاجها كنظم علامية تحقق ايحاءات فكرية جمالية المنحى ، ويعد هذا البحث اضافة وتطوير البحث الاكاديمي لفن الخزف الذي يعتمد النقد المقارن.

*** اهداف البحث :**

١- كشف السمات الفنية والجمالية في اعمال اثنين من فناني الخزف العراقي المعاصر ، بصفتهم مبدعين وغزيري الانتاج ولهم لمسات تؤشر مكانتهما الرقيعة في حركة الفن الخزفي العراقي المعاصر .

٢- تحقيق دراسة مقارنة تقدم نتائج لحركة فن الخزف في نهايات القرن العشرين موضحة اتجاهات الاسلوب الجمعي من خلال الفنانين موضعي البحث .

*** حدود البحث :**

١- الحد الزمني (١٩٧٠م-٢٠٠٥م) .

٢-الحد المكاني : النتاجات التي انتجها الفنانين موضوع البحث في بغداد للفترة اعلاه.

٣-الحد الفكري : منطلقات ومؤسسات النقد المقارن .

*** تحديد المصطلحات :**

١- السمة .

٢-السمات الفنية .

٣-النحت الخزفي .

*** تحديد المصطلحات :**

السمة :

جاء في الفصيح من لغة العرب لفظة (سمه) التي تطورت الى السيما ثم السيمياء وهي من الوسم بمعنى العلامة [١].

ووردت لفظة السيمياء او السمة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى (تعرفهم بسيماءهم) " البقرة (الأية- ٢٧٣)" .

كذلك وردت في آيات اخرى كلمة السمة والسيمياء كما في سورة (الاعراف (الأيات- ٤٦-٤٨) ، وسورة (محمد (الأية- ٣٠) ، وسورة (الفتح (الأية- ٢٩) ، وسورة (الرحمن (الأية-٤١) .

ان كلمة سيمياء عربية اصلية ، مشتقة من الفعل " سام" الذي هو مقلوب (وسم) واصلها " وسمى" ووزنها " عفلى" وهي في صورة "فعلى" [٢].

وعرفت السيمياء قديما بالعلامة او الاشارة في مجال الطب منذ عام ١٧٥٢ وذلك بدراسة اعراض المرض الجسدية واللفظية . فضلا عن ما عرفت على نحو واسع عند المتصوفة من المسلمين . وتعد الرياضيات الى تجريدا لرموز سيميائية ويمكن ان نصف تفسير الاحرام ضربا من ضروب السيمياء [٣].

ويعد المفكر السويسري (فرناندي سوسير) احد مطوري نظرية السيمياء عندما تشتغل في الحياة الاجتماعية بواسطة اللغة . وبوصف اللغة الاشارات صوتية معبرة ، إذ يعد هذا المفكر من مطوري ومثبتي علم السيمياء في الفكر المعاصر .

التعريف الاجرائي للسمة :

١- تعطي (كرستيفيا) وجماعة (تيل كيل) ، (المدرس السيميائي) ، امتداده الاقصى باعتباره منهجية المعلوم الانسانية ، وتطبيقات سوسيو – تاريخية وانظمة داله .

٢- و(السيمائية) هي اعادة – تنظيم لموضوعها و/او نماذجها ، وتعد هذه النماذج ، أي العلوم التي يقتبس عنها، وانفسها، كنظام حقائق ، وهي نمط تفكير قادر على تعديل ذاته ، دون انتصابه كنظام .

٣- دراسة لكل مظاهر الثقافة كما لو كانت انظمة العلامة ، اعتمادا على افتراض مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع [٤] .

السمة الفنية :

وهي العلامة المصنعة عقليا وادائيا التي تعد سمة من سمات العمل الفني ، وعليه فان هذه المرحلة في تعيين السمات الفنية لابد ان تكون في اعلى مراحل النضج المعرفي كما ان تلقيها يحتاج الى وعي مماثل [٥].

وعليه يمكن ان نصف السمة الفنية بالعلامة المستثمرة في جسد المنتج الفني الجمالي .

ويعرف (جون ديوي) في كتابه الفن خبرة السمة الفنية بانها الاختبار التي تحققه الخبرة الجمالية للعلامة او الاشارة لتكون جزءا من البناء الجمال الفني [٦].

النحت الفخاري لغويا:

هو العمل الخزفي الذي ينجز عن طريق النحت ويكون مجوفا في اعمه الاغلب وبهيئة على نحو واسع لان يكمل انجازه في فرن الفخار.

النحت الفخاري أصطلاحيا:

اصطلاح يجمع بين فني النحت والخزف ، ويتخذ مجالا محددا في تكوينه من الناحية التقنية وكذلك من ناحية النمط وطرق المعالجة وبرغم ان النحت الخزفي يشترك مع النحت في النحت في الكتلة والهيئة والتعبير وربما بالمواد ، ولكنه يختلف في اللون والتجويف وله قابلية المتانة في تحمله درجات حرارة خاصة.

النحت الفخاري فنيا:

في كثير من اعمال خزافينا نرى ان هذا العمل هو نحت فخاري ولكن لو بدلنا مادة الطين المنفذ بها العمل بالبرونز مثلا ترى ان العمل اصبح رصينا اكبر مما كان طينا محروقا ومزججا او مطليا بالاوكسيد .

التعريف الاجرائي للنحت الفخاري :

وهو الطين المفخور المزجج الذي تداخل النحت الفخاري بالنحت بحيث لا تستطيع ان تضع شروطا ولكن هناك من يضع شروطا ، واهم هذه الشروط ان النحت الفخاري يكون ملتصقا بمادة الطين الخزفي لا طين التريكوتا والاعمال المطروحة تكون بعيدة عن النحت المحض ، ولو حولت المادة الى مادة اخرى ترى ان العمل فقد كثيرا من سماته الخزفية النحتية التي تمتع بها [٧] .

الفصل الثاني

المبحث الاول

*** نظرية السمات والسمات الفنية الجمالية :**

" يمكن ان نصف نظرية السمات والسمات الجمالية بالنظرية القديمة التي واكبت الحضارة الانسانية مع بداية نضجها وتأسيس حركاتها الفكرية ، الا ان هذه النظرية انتقلت بمراحل مختلفة في تطورها ابتداءا من استعمالات السحرة والمنجمون بانظمة اشارية وعلامية مفترضة مرورا بما قدمه المتصوفة في الاديان السماوية المختلفة من انظمة علامية واشارية في ممارساتها التصوفية وصولا الى الاستخدامات العلامية في العلوم الطبية لظاهرة الكشف عن الامراض وتشخيصها والامر في تتابع وتنامي الى ان ظهرت نظريات تعد ذات مستوى يؤهل السمياء في دراستها ان تكون علما يعتمد عليه [٨].

في دراستها مظاهرة معرفية مختلفة ومنها الظاهرة الجمالية والفنية كما هو حالنا في هذه البحث التي تعتمد السمة والسيمياء في كشف المتحول والمتطور في نتاجات اثنين من فنانين الخزف العراقي الذين لهم لمساتهم وبصماتهم الواضحة على تطور الخزف في العراق . " لقد درج الاوروبيون على استعمال مصطلح (La Semiologic) منذ سويسر (١٩١٣) ، واختار الامريكان استعمال مصطلح (La Semitique) ، وتداخل المصطلحات ردحا من الزمن ، ثم كان التفريق بينهما بحيث صار الاول لكل انظمة العلامات ، واختص الثاني بالعلامات اللسانية ، وكلاهما مأخوذ من اللفظ اليوناني (Semioq) بمعنى العلامة " [٩].

ويمكننا اذن ان نقول ان علم السيميولوجيا ، او السمياء ، هو من العلوم الحديثة وثمرة من ثمار القرن العشرين . يدرس العلامات في كنف الحياة الاجتماعية ، وهو يزعم لنفسه القدرة على دراسة الانسان دراسة متكاملة ، من خلال دراسة العلامة المبتدعة من قبله (الانسان) لادراك واقعة في آن واحد.

ويعتمد علم الاشارة الدالة مهما كان نوعها واصلها ، وهذا يعني ان النظام الكوني بكل ما يحيوه من علامات ورموز هو نظام ذو دلالة ، ومن هنا يمكن القول ان السميولوجيا علم يدرس بنية الاشارة وعلائقها في هذا الكون ، وكذلك توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية ، واصل هذه الكلمة يوناني وهي مركبة من (Semeion) بمعنى علامة (Loges) بمعنى خطاب [١٠].

واول باحث قدم المصطلح السميولوجي هو الفيلسوف جيم لوك (Lacke : 1632-1704) غير ان الدراسة السيمولوجية في عصره لم تتجاوز اطار النظرية العامة للغة وفلسفتها النظرية واول من دعا الى علم السميولوجيا ، العلامة فيردنياف ديسوسير (١٨٥٧-١٩١٤) وقد نظر هذا العلم المتخيل غير الموجود بمنظار لساني (لغوي) وليس بمنظار فلسفي ، وقد كانت افكاره وتفسيراته حول هذا العلم محدودة ، لانه تطرق اليه فقط اثناء كلامه عن الاشارة المتنوعة تدخل كلها فيما سماه بالسيمولوجيا التي تدرس حياة الاشارة في مجتمع من المجتمعات والتي يمكن ان تكون جزءا من علم النفس

الاجتماعي فهذا العلم يدرس بنية الاشارات ويوضح الانظمة والقوانين التي تحكمها وهو غير قائم – حسب قول دي سوسير – لهذا فلا احد يستطيع ان يعرف ماهيته . غير انه في سعي دائب لتحقيق وجوده والحقيقة ان السيمياء لم تصبح علما قائما بذاته الا بعد العمل الذي قام به الفيلسوف الامريكي تشارلز سندرس بيرس (١٨٣٩-١٩١٤) والجهود التي بذلها في هذا الميدان حيث قام بوضع نظرية خاصة على الاشارة سماها (La Semiotique) ويعتقد انها شاملة لجميع العلوم الانسانية والطبيعية [١١].

يتضح لنا هناك تلاقيا بين (سوسير وبيرس) في تحليلهم لماهية السمة والسيميا اذ كان (سوسير) يركز على الوظيفة الاجتماعية للسمة ونجد (بيرس) يؤكد على الوظيفة المنطقية لها على الرغم من مرجعياته البرجمانية التي تعتمد في طياتها الوظائف الاجتماعية ، الا ان البحث في الفروق بينهما ما يعنينا من فكرة السمة التي يمكن استثمارها في البحث الفني التشكيلي الجمالي[١٢].

الا ان الملاحظ في تتبع حركة تطور نظرية السيمياء او السيميائية وانتشارها نجد ان هذا التطور والتنامي يعتمد على ما قدمه الفن والادائات الابداعية في الادب من ما يمكن ان يعد مؤسسة تنامي لفكرة السيمياء ، وعلى نحو خاص عندما تأكد في الفن والادب والنتاجات الابداعية ما يعد انتقالا وتحولا من المشخصات المباشرة الى المرمزات وتنامي الترميز والتأويل في النصوص الابداعية الجمالية ، اذ قدمت دفقة حياة لنظرية السيمياء وبحوثها المتنوعة ، فالاشارة الفنية في الموسيقى والرسم والشعر والقصة والرواية والنحت والخزف قد شاركت على نحو واسع الاشارة اللغوية في تقديم مؤلات متحركة من المعاني التي تتميز بتواصلية بين البشر او تجمعات البشرية [١٣].

المبحث الثاني

سمات الشكل الفني ماهيته وتطوره في فن الخزف

يعد الشكل المؤسسة الكبرى لفن التشكيل والتشكيل الخزفي بخاصة والامر ناتجا من التركيب الشكلي الذي يعتمده هذا الفن كما هو حال الشعر عندما يعتمد الكلمة واللغة على الرغم من ان للشعر نظام شكلي في تركيب الكلمات وبناء الجمل .

والشكل عنصر فاعل ومؤسسة متحركة تحقق التطور والنمو والتحول لفن التشكيل ومنه فن الخزف المعاصر فضلا عن ما يؤسسه الشكل من بنية اسلوبية فردية وجمعية او فئوية .

الشكل:

حاولت مدارس التشكيل العالمية اثراء الشكل واغناءه مع الثبات التقريبي للموضوعات من خلال الطروحات النظرية والتطبيقات العملية التي وقعت منها مسارات تلك الاتجاهات الفنية بدءا من المذاهب الاولى التي استمدت مشروعيتها وتسميتها من تصوير الواقع ومحاكاة الطبيعة في اتجاهات " الكلاسيكية ، الواقعية، الانطباعية " وصولا الى الحركات المذهبية المتأخرة المتمثلة " بالتكعيبية ، السريالية ، الرمزية " .

ثم بدأ التجريب على الشكل يأخذ بعدا اخر يحتل فيه الرمز والتجريد مسحة واسعة في التشكيل سواء كان ذلك على صعيد الرسم او النحت وهذا ما عكسته المدرسة التجريدية اخر المحطات المذهبية في التجريب على الشكل ، اذ بدأ الشكل الواقعي يتسامى او يضمحل تدريجيا عبر المدارس الفنية في مختلف تطورها الزمني ولم يبق من الشكل الا ترسيمات انشائية او تجريدات لونية ذات علائق بدائية وهذا يعكس او يوضح الزمن الممتد منذ البداية وصولا الى حالات التجريب لنحت الشكل وهيكلته اذا ما عرفنا ان الخصوصية الفنية لكل مدرسة تتأسس بأنماءاتها القصدية التي تصوغ بها صورة الشكل .

والتكوينات الخزفية متنوعة الاشكال منها ما يتخذ الشكل الجداري او الانية او النحت الخزفي الذي بدوره يتنوع الى ما لا نهاية من الاشكال " منتظم ، حر " ويتوقف

ذلك على رؤية الخزاف وكيفية استلهامه لافكاره وموضوعاته والتعبير عنها بشكل مألوف او غير مألوف فالموضوع الواحد يقدم تأشيرات مختلفة ، فقد يقدم الخزاف شكلا من الطبيعة (البيئة) يجعل المشاهد يقف وينظر وينفعل تجاه الموضوع الذي يطرحه[١٤] بشكل مباشر وصريح ، بينما يقوم اخر بتغير النسب الحقيقية للموضوع ناقلا للمشاهد انطباع الفنان واحساسه, ويعمل اخر على ان يبدأ وشكلا طبيعيا لكنه يغير معالمه بحيث ينقله كليا من الاصل الطبيعي محورا بشكل كلي المعالم الاصلية للشكل النموذج وهذا يمثل تحديا للفنان فعليه ان يوقف المشاهد امام العمل الخزفي مستوعبا انتباهه الى فنية الاشكال التي اجزها وادراك المعنى يصبح شيء غير ذي اهمية اذ ان بعض الخزافين قد يبحثون في اشكالهم عن جمال مطلق غير مرتبط بمعنى محدد [١٥].

ان لكل شيء او لكل جسم ما تكوينه اذا كانت هذه الجسم طبيعيا ام من صنع يد البشر ، ويتخذ هذه الشكل وتنقلب مادة الجسم فيه ، وكما يذكرها ريد بان: " الشكل هو الظاهرة الاساسية في التكوين والهيئة التي يتخذها العمل الفني" [١٦].

والاسلوب حسب تكوينه يعتمد على تركيب الخطوط والاتجاهات والهيئة الظاهر للعمل الفني ، بان الاسلوب الفني حيث مجموعة من الخطوط والاتجاهات المختلفة ، هي التي تعين وتحدد الشكل وهيئتها الاسلوبية ، وكثيرا ما يشتبه بين الهيئة والشكل الا ان المعنى الحقيقي للهيئة يمثل المظهر الخارجي للعمل او (اوت لاين) ، الخطوط الخارجية لهيئة الشكل دون اخذ التفاصيل التي يحدد معناها الكلي .

يرتبط الشكل ببقية العناصر ارتباطا وثيقا ، حيث يأتي الخط والضوء واللون والعناصر والعناصر الاخرى كمقومات اساسية للشكل تعمل على تكوينه وتؤثر في عملية انتاجه ولكن الشكل في وظيفتها فهي تتضمن : " عن الاعلان عن المضمون العمل الفني بطريقة تشرح وتساعد على ابراز الاحساس الجمالي للقطعة الفنية " [١٧].

كما اشرنا من قبل ان الشكل هو الذي يحدد الاسلوب الفني ، بتحديد قيمة الهيئة والاشكال التي تنصب عليها كتقنية المادة وتتحدد كيانها ، وهو الذي يجسد المضامين والافكار التي ينبغي للفنان التعبير عليها .

كما يقول استولينتز : " ان الشكل يربط بالمضمون والافكار ارتباطا وثيقا فتبدو العلاقة بينهما بشكل علاقة ثابتة " [١٨].

ويرى (جان برتليمي) : " ان الشكل هو مجموعة الروابط الداخلية والهيئة لذلك العمل الفني في تمام مكانة وهو الذي يستطيع ان يهضم الفكرة في وحدة الشكل وان يدخل اجزائها في موضوع الفن منتظما" .

والشكل اكثر العناصر التكوينية اهمية بل هو اساس البناء الفني التشكيلي ، فهو يقوم بضبط ادراك المشاهد ويرشده ، وايضا هذه الارشاد في مفهومية نظام الشكل يصدر قوانين المتابعة في تحقيق الاسلوب ، وتغيراتها ، لهذا ان العمل الفني هو في الاساس نظام العلاقة بين الهيئة والظاهرات المتعالقة لمفهوم الشكل وعناصرها والذي في النهاية يشترط في مفهوم الاسلوب ، وكما يذكر " استولينيز " عن موضوع الشكل بانه " هو تنظيم عناصر الوسيط المادي التي يتضمنها العمل الفني وتحقيق الارتباط بينهما فهو يدل على الطريقة التي تتخذ بها عناصر العمل الفني موضوعها في العمل الفني كل بالنسبة للاخر وهو يدل على نوع الوحدة التي تتحقق بتنظيم المادة الحسية او الموضوع المصور في حالة الفن([١٩]) .

المبحث الثالث

السمات الفنية في اعمال ماهر السامرائي وطارق ابراهيم

(التثبت من منظومة العلامة)

يعد الفنانين موضوع البحث من الجيل الثاني لفن الخزف والجيل الثالث لفن التشكيل على نحو عام ،اذ برزت اعمالهم في اواسط السبعينيات بعد تخرجهما من كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد وكانت لهم لمساتهم في حركة التشكيل العراقي المعاصر وعلى نحو متنامي في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي حتى باتا يعدان من اهم فناني الخزف خلال تسعينيات القرن العشرين والعقد الاول من القرن الحادي والعشرين الذين نحن في مخاضاته الان .

الا ان ما يميز اعمالهما هو منظومة العلامة التي يمكن تأشيرها كسمة فنية جمالية التي عملوا على التثبيت منها في مجمل اعمالهم الفنية ، على الرغم من ما تحقق لهذه السمات من متطور ومتحول سنتطرق له لاحقا .

ان دراسته السمة الفنية تعني على نحو واضح دراسة العلامة التي يستدعيها الفنان ويركبها ضمن بناء نتاجه الفني ومجموع هذه العلامات وطريقة تنظيمها وبنائها شكليا يحقق جزءا مهما مما نسميه باسلوبية الفنان الشخصية . وهذا ما حصل فعلا لفنانين موضوعا البحث .

وازاء ذلك ننجد ان نظرية السمات التي احيلت الى السيمياء والسيميائية بشقيها البرجماني كما هو عند (تشارلز سندرس بيرس) واللساني الاوروبي كما هو عند (فرناند دو سوسير) ، استطاعت ان تكون نظرية تحليلية نقدية لكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية ومنها الفنون والتشكيل على نحو خاص ، وعليه نستطيع ان نبين ان النظم السيميائية التي تستدعي السمة في العمل الفني الخزفي يمكن ان تكون باتجاهين الاول : الكشف عن السمة المرجعية كما هو حال الكشف عن السمات التراثية والفلكلورية والتاريخية والاجتماعية البيئية والثاني الكشف عن السمات الاسلوبية : كما هو حال الكشف عن السمات الشكلية والتكوينية واللونية ونظم التركيب والاداء الجمالي للفنان .

ويتضح للباحث في هذا المضمار ان أي فنان تشكيلي او فنان خزفي له تاريخه الفني المرموق من غزارة انتاج ولمسات اسلوب ومواكبة تحديث ومعاصره جمالية فنية لابد ان يكون له منظومتين سيميائيتين تؤشر كل منظومة قواسم مشتركة لسمة او سمات عدة يعتمدها الفنان كما اسلفنا بشقي هذه السمات المرجعية والاسلوبية .

ويعد الفنانين موضوعا البحث في السمنر (الفنان الخزاف ماهر السامرائي والفنان الخزاف طارق ابراهيم) ذوات خصوصية تؤشر على نحو واضح هاتين السمتين المذكورتين في نتاجهما الفني عبر سنوات نشاطهما الادائي الجمالي . ان الباحث في هذا البحث الذي يهدف الى كشف هذه السمات والتثبيت منها بمؤسساتهما الجمالية الفنية ، وتثبت مرجعيتهما ومنطلقاتهما الاسلوبية . يجد نفسه امام بحث غزير

في المقدمات والنتائج ، الا ان منطق البحث العلمي يحتم التثبيت على وفق الحصر الدقيق للنتائج وهذا ما سيقوم به الباحث.

ماهر السامرائي :

على الرغم من ما ترفضه بعض الدراسات النقدية وعلى نحو خاص البنيوية منها في عد شخصية الفنان ومرجعياته البيئوية والتاريخية والاجتماعية كمحركات فاعلة في نتاجات اعماله الفنية ، اذ في قراءة الباحث لمجمل اعمال الفنان ماهر السامرائي وفي البحث عن السمات الفنية ومتحولاتها في اعماله وجد العكس اذ ان تأثير هذه المراجع وبنية تكوين شخصيته الحياتية والاجتماعية لها اثر واضح وفاعل في اعماله الفنية فضلا عن تاريخه الفني الجمالي الذي اثر فيه تأثيرا واضحا[٢٠].

اذ كان وكما يقول في مقابلة للباحث معه مسجلة ومخطوطة بيده كان الرسم والنحت تسلية في بواكير سنيّ عمري وفي السبعين ١٩٧٠ كان لي اول عمل من طينة خزف اول عمل مجوغا وفوق رأسي حميد راجي الدكتوراه في الخزف ولكن لم يكن فنانا وكان الاستاذ سعد شاكر يراقب وفالنتينوس كان يصلح ويوجه اما اسماعيل فتاح فكان على خلاف معهم وكان يتفرج على اعمالي من بعيد . في سنة اولى اختصاص كان لاسماعيل فتاح تدخلا في كل عمل أبدأ به كانت بصمات اصابعه في كثير من الاعمال الدراسية وكان يتمتع بمشاركتي الانهاء للاعمال النحتية اخزفية . كنت اجد متعة في الاشكال المبهمة ، سمعت من الهيأة التدريسية مصطلح تجريد لاول مرة منهم . كنت اجرد الاعمال وهي تدعه من فالنتينوس وسعد واسماعيل بالتجريد . كانت اعمالي مبهمة . زارنا في الصف الثاني الرسام الكبير فائق حسن ووقف جنبي وسأل سعد شاكر ما الموضوع الذي يشتغل عليه هذا الطالب قال له لا اعلم فانه لا يلتزم بما نريد ولكن في النهاية يقدم المطلوب من عمل فطري او تجريد كما يقول اسماعيل فاخذ الاستاذ فائق العمل وهو طري ونقله الى بيئته كان العمل لا يتجاوز الـ ١٥ سم وعلى هيئة رجل لكن لم يكلم احد يعرف انه رجل سوى انا واسماعيل هكذا كنت موغلا بالتجريد لم اكلف نفسي في الدفع باسلوبي الى التجريد لكن كان يأتي غريزيا . ولا زلت

احتفظ في بيتي بثلاث اعمال هي قمة في التجريد وبعد خمسة وثلاثين سنة اكتشفت ان واقعيتي كانت تجريدا خالصا وفي الوعي – الفني المتأخر بدأت احلل مسيرتي حيث سلكت اتجاهات عدّة ولكن الخط الواضح لي كان التجريد في الكتلة الخزفية ولولا الرغبة في تحميل اعمال افكارا ومضامين لنقل ما يدور في ذهني لارهاصات التناقض في عراقنا واحداثه المريعة لما تركت التجريد في كل اعمالي . الواقعية التعبيرية والرموز الاشارية وحتى الواقعية المحضة كانت لعدم امكانية التجريد ايصال افكار تشغلني جعلتني افصح عنها بواقعية صريحة .

لا ننسى ان امكانيتي في الرسم والنحت ساعدت كثيرا في سحب اسلوبي بعض الفترات الى الواقعية متزامنة مع نضج التقنية الخزفية الصعبة [٢١].

يتضح من ما ذكره الفنان موضوع البحث (في مقابلة معه في ٢٠١٠/٨/٢٠) انه كان على مستوى متقدم في فن التخطيط والرسم وفي احالة الاشكال الواقعية الى اشكال مبهمة او الى مجردة ، فضلا عن ما له من متابعة دقيقة للفنانين العراقيين الرواد كما هو الحال مع اسماعيل فتاح وفائق حسن ونستنتج من قراءة دقيقة لما ذكره الفنان موضوع البحث الى رغبة غريزية في التوجه نحو الشكل المجرد او المأول . ان هذا التوجه الذي أثر فيه الفنان الراحل (اسماعيل فتاح الترك) والفنان (فائق حسن).

وما يلفت الباحث ان الفنان ماهر السامرائي قد تعامل مع العمل الفني بوعي هندسي دقيق يعد جزأ مهما من بناء النظام السيميائي لاعماله ، فكان يتعامل مع الفضاء في عمله الفني تعاملا قصديا يشكل به انشائية البناء على نحو كامل فضلا عن ما اتسمت به اعماله التي تنحو منحى التجريد من استلهام دقيقا ومتميز للحرف العربي وبصيغته الكلاسيكية المتداولة فقط بل بصيغة اعادة بناء واعادة تصميم وهذا ما نلاحظه في الكثير من اعماله الفخارية التي تتسم باضافات حروفية يشكل بها تناثرا في خربشات كتاباته يستهدف المتلقي عندما يعيش خبرة عدم امكانية القراءة ليستثير في داخله التأويل وقد اخذ هذا المنحى في اعمال الفنان ماهر السامرائي مأخذا واسعا

عبر سنين نتاجه الجمالي الفني كان يشغلني سطح العمل الفني بها جنس الفراغ ولكوني اجيد رسم الحرف واجير تصحيحه وتوزيعه .

العراق لوجدنا ان رأس الهرم له قاعدة اسمها فالنتينوس كارلمبوس وهو واجد الخزف الفني في العراق بعد الفترة المظلمة والتي امتدت لعدة قرون . لم يكن خزف فني في القرون الاخيرة حيث كان مقتصرا على القاشاني للمساجد والاضرحة وبعض حاويات الخل ومعجون الطماطة والزيون – البستوكة – والكبيرة الحجم تسمى "خم" مطلية بالاخضر واصل الزجاج كان اوكسيد الرصاص مضاف اليه اوكسيد النحاس وغير الكوازين لا يوجد خزاف فنان فكانت حرفه صناعية وصناعة التنكه وحب الماء ثم هيكل الطبله " دنبك" وفي حالات كان بعض الكوازين يصنعون " صافره" من فخار يستخدمها الاطفال في العيد وكان الكوازين ينتجون الاواني والكاسات المزججه بلون اخضر لا غيره وكانوا ينتجون بعض الحيوانات الفخارية كالفيل والاسد والطيور .

في هذا الوقت الذي تكلمت عنه كان الخزف في لندن عموما واوروبا وامريكا ثم جنوب شرق اسيا واليابان والصين قد وصلوا الى مديات واسعة في تطور الخزف لذا عندما كان الرواد من الفنانين العراقيين في انكلترا وفرنسا وايطاليا للدراسة تنبهوا لحركة الخزف الاوروبية فقدم الرواد واقدموا آيان اولد الخزاف البريطاني ثم بعد سنة ونصف ترك العراق ، فقدم المؤسس الحقيقي للخزف الفني العبقري المثابر الصابر " فالنتينوس" في الـ ١٩٥٦–١٩٥٧ ثم استمر الى الـ ١٩٨٥ [٢٢].

ان تجربة ارتكاز الفنان على الموروث الحضاري هي تجربة تكسب التكوين الهوية ، التي هي محاولة تكريس الذات المنتمية الى مكان وزمان ، هنا فان القصد هو تحفيز الذاكرة ومن ثم تهشيم عظام مقوماتها التكرارية ، بمعنى ان الفن لا يريد تقليد الماضي وانما فحص مقوماته والافادة منها ، ان هذه الموضوعات ما بدت تنوء بها فكرة الحداثة في فن الخزف .

وهذا ما عمل عليه طارق ابراهيم على نحو واضح . ان الفنان موضوع البحث قد تعامل مع البيئة في نظمها الثقافية الفكرية الروحية وقد نجح في ذلك نجاحا واضحا

فقد استدعى الحرف ليوظفه في جغرافية منحوتاته الخزفية على نحو يعطيها شيئا من الروحانية الشرقية ، هذا اذا ما آمنا " ان التعامل مع البيئة وتوظيفها في نظم الاشكال والافكار يمكن ان نصنفها الى ثلاث :

١- تحاكي او تقليد (أي ينطلق الذهن الى تقليد المفردة الطبيعية ووضعها ضمن نطاقها الطبيعي) .
٢- تحفزك البيئة بان تعبر في ذاتك فتجد لها معادل داخلي (يستحيل ما هو خارجي فيتلون بما هو داخلي) .
٣- تتفاعل مع المحفز البيئي الطبيعي وتحيلها الى تجربة (الذهنية والتحليلية والتركيبية) [٢٣].

وفاننا موضوع البحث قد تفاعل مع المحفز البيئي على نحو فكري روحاني واحالها الى تجربة ذهنية تحليلية تركيبية وبنى سمة من سماته الفنية الجمالية يمكن الاشارة اليها ، اذ استدعى الحرف بتحليل مرجعياته اولا .

وتأثيره السايكلوجي لتحالفه في انواع الخط العربي مع الاسلامي كدين مفهم بروحانية مؤثرة في الانسان الشرقي ثم ركبه بتقديمه دفعة حياة وحركة مع تكويناته المعمارية .

١- النسق الثلاثي الاول هو نسق الابعاد الثلاثية في الهندسة رغم اضافة بعد رابع هو الزمان في العلوم الحديثة .
٢- النسق الثاني هو نسق الوحدات الثلاث (الزمان والمكان والموضوع) .
٣- النسق الثالث هو نسق الاب والابن والروح .
٤- الرابع الثالوث النفسي في مذهب فرويد (الانا ، والانا الاعلى ، واللهو).
٥- الخامس هو النسق الثلاثي الشائع في تصور البنية التطبيقية للمجتمع (عليا / وسطى / دنيا) .

٦- السادس هو النسق المتضمن في التفسير الجدلي للتاريخ ، اذ انه يصور الحركة يفترض تصور ثنائية اساسية وبعدا ثالثا ينشأ من العلاقة بين طرفيها (التركيب في شكلية الهيغلي والماركسي) .

ويبدأ النسق بالتنوع ليقدم معطيات متغيرة في كل امتداد له مما يزيد بنيته الاساسية تعقيدا وتشابكا .

والثنائية الضدية تشكل نسيجا من الدلالات والانساق ، ويرتكز العمل الفني على علامات اساسية تتشكل منها البيئة ، من الحركات الدلالية التي تولدها كل من هذه العلامات ومن تفاعلها ثم من الانساق المتكررة ، المتشابه والمتضادة ، والتي تتكون ضمن كل حركة ثم ضمن السياق الكلي التابع منها تفاعل الحركات على مستويات متعددة دلالية تركيبية ، ايقاعية [٢٤].

يتضح ان الفنان موضوع هذا البحث قد نظم انساقه الدلالية على مستوى من الدراية حققت له سمات يمكن الاشارة بها اليه .

فضلا ان نسقيه طارق ابراهيم التي مازجت بين الموروث الحضاري الرافديني واسلوبه في التحديث مثل استقدامه الحرف على نحو يحقق عصرنه في اعماله الخزفية ويكسر تلك الرتابة والجمود التي اجتاحت اعمالا خزفية كثر لعدم وجود حركة في الرؤيا وفاعلية في النسق .

طارق ابراهيم :

يمكن ان نصنف الخزاف العراقي طارق ابراهيم المفهم بالتجريد والبحث عن الجديد فهو يتعامل تعاملا خاصا يمكن الاشارة اليه بين كيمياء اللون وبنية التكوين لمنحوتاته الخزفية وقد تكون هذه احدى مؤثرات الفنان الراحل سعد شاكر عليه . فضلا عن النظم المعمارية التي زاوجت بين التكوينات الهندسية واستلهامه للحرف العربي مزاوجة جمالية حققت له خصوصية اسلوبية يمكن الاشارة اليه حتى ان اعماله الاخيرة التي انتجها في الولايات المتحدة الامريكية كانت مفهمة باستلهام الحرف مما احال هذه الاعمال الى سمة الحروفية في التشكيل الخزفي المعاصر ، ويمكن ان تكون مذهباته (

استخدام اللون الذهبي والذهب في اعماله الفنية) ظاهرة او سمة اخرى من سماته التي يمكن الاشارة اليها .

ان ما يميز هذا الفنان هو الامكانات النحتية التي حققت له اشكال متقدمة حتى ان البناء النحتي في اعماله يمكن تأثيرها اسلوبيا على نحو واضح [٢٥].

هذا اذا ما أمنا " ان لكل مستوى من مستويات العمل الفني منظومة دلالية يعتمد سمات يتسم بها ذلك العمل ويضع كل مستوى ذو طابعا تحوليا الى مستوى دلالي اخر " [٢٦].

وازاء ذلك نجد ان الفنان موضوع البحث يتعامل مع نسقين فنيين في اظهار نتاجه الفني .

الاول نسق اللوني يتميز به الوانه التي احيلت الى سمة من سمات اسلوبه الفني . والثانية نسقا تكوينيا زاوج به الحرف العربي بالشكل الهندسي .

ان اكتمال النسق وانحلاله شرطا اساسيا لفاعليته ، وفي أي عمل فني فان أي نسق يتشكل لابد من ان ينحل لتنشأ عبر التغاير (الحضور والغياب) لبنية تقوم على ثنائية ضدية تتبع من التمايز بين عنصرين اساسيين . وهناك عدد من الانساق الثلاثية ذات الاهمية العظيمة في الفكر الانساني :

عند البحث في الخصوصيات الاسلوبية لفنانين الخزف العراقي المعاصر نجد ان الحقيقة التي لابد ان تكون امام كل باحث وهي ان الخزف العراقي فيه انقطاع واسع زمنا بين اخر المنجزات للفترات ما بعد الحضارة العباسية التي تمثل دويلات الممالك التي اجتاحت العراق والمنتج الخزفي الفني الذي نحن بصدده والمحصور في النصف الثاني من القرن العشرين اذ ان هذه الفترة الزمنية تعد فجوة تاريخية وحضارية شملت كل نتاجات العراقيين ولاسيما فن التشكيل والخزف منه على نحو خاص ، هذا اذا ما تخطينا النتاجات الفنية الشعبية ، وعليه عندما يكون البحث في فن الخزف العراقي المعاصر فاننا نتكون امام حقيقة اخرى تمثل بكم التأثير الاوروبي على هذا الخزف وبالتالي مدة مقدرة الفنان العراقي في الافادة من الاساليب الحداثوية الاوروبية لتوظيفها

في نتاج اسلوبي يمثل شخصية العراق وطابعه البيئوي الاجتماعي ، والفنانين موضوع البحث يمثلان صورة من صور هذه العلاقة التي تحتاج الى درايا للتمييز بين التأثير السلبي والايجابي ، لاننا نعيش عالم منفتح متداخل مندمج ، بل ان هذا الانفتاح والتداخل والاندماج ينمو وينتج جديدا متطورا .

ان الاستعارة التي يعتمدها فنان الخزف العراقي المعاصر : تتشكل بجانبين الاول استعارة مباشرة وفيها اشكال سلبي واستعارة تأويليه وفيها مظاهر اسلوبية ابداعية ، هذا اذا ما أمنا ان الاستعارة جزء من تفاعل الدال والمدلول" [٢٧].

ان الحداثة التي اجتاحت الفنون ولاسيما فن التشكيل وبالاخص فن التشكيل العراقي المعاصر تعد حداثة فاعلة منتجة عندما تندمج بخصوصيات الحضارة التي تنتج هذا الاندماج الحضاري ، فهي مكتشفه لعناصر التجديد لاستلهام التراث الحضاري وتحقيق قيم جمالية تعبيرية متجددة [٢٨].

تبدو نتائج التجربة الطويلة لـ(طارق ابراهيم) ، والتي يقف فيها الاخلاص والاستنارة على حد سواء ، تبدو في هذا العرض المتجانس واضحة وقطعية ، حيث انتزع الفنان بعض المظاهر التجريدية للخزف وقدمها على انها اشكال مستقلة تلعب فيها الكتلة دورا نحتيا ، مع انه لم يترك استجابته والتزامه بنظام ومراحل التقنية الفخارية ، بل ابعد – حتى الان – كل ما هو غريب عن التقنية والمواد . وقبل ان ينتزع هذه المظاهر ، كان قد فرض على خزفه ، كما هو في عروضه السابقة ، عددا من التجارب والتصرفات التي نقلته خطوة بعد اخرى نحو جدال وظائف فنه ،وقبل ان نصف شيئا من الكيفيات المفروضة ، لابد من التذكير بان هذا الخزاف يعرف حدود الفن الذي يعالجه لذلك لم يشتغل من خارج تقنيات الخزف ، يعرف – مثلا – هشاشة المواد وتصلبها الطارئ المحذور ، فالوزن مهما زاد لن يغير عيار التحمل ، كذلك : ان موحيات الصلابة هي ايماءة بصرية لا تستطيع زيادة مقاومة النسيج وشده ، وهذه المعرفة بالحدود جعلته يفكر تحليليا ، وبشكل متناوب ، بقوة الابداع التي تحمي المواد وليس العكس .

كان احترافه اول الامر صريحا في الاقرار بالقيمة الاستعمالية ، ثم بدأ يتلاعب بهذه القيمة من طريق زعزعة جوانب واعالي القوارير ، وباغلاق الافواه وافساد اجواف صنائعه المتبقية . اما تحرشه بالسطوح من خلال النقائش البارزة والتلوين – كما لو كان على سطح لوحة – فقد نقله الى نوع من سرد (ادبي) ادى به الى تنفيذ قطع ذات مراجع قصصية يغذيها الخيال المشترك للمشاهدين الذين يتلقون الايعاز من اشارة مخصصة للالهام البسيط ، واثناء ذلك مارس تشكيل نصوص معمارية لمجمعات كالقلعة والمسلة ، وقد مرر على التاريخ الاصيل للجداريات تنويعات زخرفية وموضوعاتيه مع شغاف لوني متموج .

لست اشكك في قيمة هذه المبادرات التجريبية ذات الطابع الجمالي الانتقالي، ولكن المبادرات نفسها جاءت مفروضة خاصة على الاشكال ذات الدلالة الاستعمالية ، ويمكن تلخيص مثل هذا التحصيل بكونه : اضافات شكلية لها وظيفة غير شكلية تؤدي الى حذف المضمون الاستعمالي، اما الان ، وقد انصرف عن فرض الاضافة ، فانه اتجه مباشرة الى النتيجة الطردية ، وذلك بالحذف الشكلي الذي سيكون تحصيل حاصله حذف فكرة استعمال الاشكال الخزفية بالمعنى النفعي الشائع لكلمة : استعمال اسلوب الحذف – في هذا المعرض – هو الذي سميته : انتزاع بعض المظاهر التجريدية للخزف وهو بديل اسلوب الاضافة المفروض بالتراكم سابقا .

والحقيقة انه علينا ان نتذكر التطلعات النحتية لـ(طارق ابراهيم) في معظم تجاربه ، والتي كانت تبرز اثناء معاناته لاضفاء نكهة ثورية على نظم العمل المحافظ ، وهو الى الان لا يريد ادخال تقنية غير خزفية على اعماله لما بعد مرحلة الفرن ، لكن سياقه الحالي مع الكتلة قد يكشف عن كنز لا خزفي تنطوي عليه قواريره وستقدمه هدية مفاجئة لزميلها الوفي ، ولعل موهبته الاخيرة هي من هذا القبيل .

لقد استغنى (طارق) عن الجزء العلوي من الصنيعة ، واخذ يشغل على ما تبقى من الكتلة ، التي ظل فيها تلميح الى الاصل ، وربما فكر بتعويض الجزء المحذوف اما بكسرة يضعها بالاعلى او بالقاعدة الاضافية ، ثم ضغط الشكل الكروي

الى شكل بيضوي ، وصمم الفوهة الدائرة على صورة اهليلج مطابق للمنظور ، وهذا الاجراء المفعم بالمرونة تعبير اولي عن التنازل مقارنة بالشكل الاصلي ، بعده اقدم على قطع الصنيعة طوليا او عرضيا ، بطريقة ليست نظامية دائما ، ثم عبر عن الفراغ باخاديد في قمة العمل تختلف عمقا وعرضا ، لان الكتلة النحتية لابد لها من فراغ بمثل علاقتها بالفضاء . لم يكن هذا الفراغ متماديا، انه درجة من درجات الاستطراد على الحذف . فما زالت الكتلة تفرض نفوذها على الحركة ، وليست نية هذه الملاحظة مصادرة الخزف لحساب النحت قدر كونها مقارنة لا تقترح أي برهان ينص على : ان خزف (طارق ابراهيم) في هذا العرض هو نحت فحسب [٢٩] .

تقدمت بعد الاعمال باتجاه تركيب اطار داخلي ذي زوايا ، داخل حرف (U) ولنقل داخل كأس ، ووضع كتلة مستطيلة فيه لتنويع الشكل البيضوي الخارجي ، وهذا التدخل التركيبي له معنى في تضمين الخزف مبدأ جديدا بالنسبة لهذا الفنان ، هو الكولاج وليس الفخر ، وعد الشكل فان تلوين هذه التراكيب بالوان متنوعة سيوحي باستقلال احدها عن الاخر مع تحفيز امكانية الحركة .

اخيرا ، كان (طارق ابراهيم) على خير التزام بشكلية هذه التجربة ، ولم يحبذ مزاحمة التجريد بالبناء الاضافي الا في حالات نادرة ، حيث قد يكون للحركة او عناصر التوازن القويمة إيقاظ رتابة خاملة ، والملاحظة جديدة في ان تنال التلوين ايضا ، اذ حاول تضبيط اللون في موضوعية عصية على التأويل ، فكل عمل يكتفي بلونه وكذلك قاعدته ، وهذا هو شأن الملمس في تجانسه الناعم ، الا حين يثمر خليط الطين والفخار المطحون عن سطح خشن ولون تلقائي ، فالاشكال الجديدة لا تريد الاستعانة بغير تجربة الكتلة ، وليست لها جاذبية ما هو تفصيلي ومتطفل .

ومهما يكن من امر ، فان العلاقة بين الجمالي والوظيفي – وهي مشكلة كلاسيكية مستعصية في الخزف – ليس من السهل تحليلها الى عناصرها الاولية، وكانت المعالجة النحتية والتصميمية هي من بين اجراءات تحريك هذه العلاقة التي يحاولها ويبحث فيها (طارق ابراهيم) على نحو طليعي .

ما اسفر عنه الاطار النظري :

بعد ان انجز الباحث المباحث الرئيسية الثلاث التي تكونت منهما الاطار الفكري او النظري ، والتي تصب في قدسية البحث وتؤسس منطق تحليلي او مجموعة معادلات تحليلية هدفها كشف نظم السمات الفنية للفنانين موضوع البحث (ماهر السامرائي وطارق ابراهيم) على مستوى البحث المقارن لتحقيق النتائج في كشف المتحول والمتغير في انظمة السمة الفنية الجمالية .

وازاء ذلك نجد ان الفقرات التي يمكن للباحث استخلاصها واعتمادها في كشف السمات الفنية الجمالية هي كما يأتي :

اولا : ان فكرة السمة تنطلق من فكرة العلامة او الاشارة وهي صورة العلامة او الاشارة مكثفة ومركزة وبارزة على نحو واضح .

ثانيا : عندما تتطور السمة اللحظوية البسيطة فانها تتركب بمعطيات بعضها شكلية وبعضها ذات مرجعيات سايكلوجية او سيسلوجية او انثربولوجية او اركلوجية الى اخره من ما يمكن ان يبث نظام سملوجي مرتبط ببناء افكاره.

ثالثا : تعد السمة جزئية مركزية من السيمياء وهي بالنتيجة تمثل اساس البحث السيميائي او العلاماتي وعليه فان البحث بالسمة يعني بالنتيجة بحثا في النظام السيملوجي .

رابعا : على الرغم من غزارة الانتاج وتوسع الزمن الانتاجي لفن الخزف لمنطقة الشرق الا ان الوطن العربي يعد حديثا في الممارسة على مستواها الحداثوي برغم غزارة الانتاج التراثي التاريخي ، فالفنانين موضوع البحث فنانين معاصرين يمثلان الجيل الثاني في العراق في تقديم فن الخزف .

خامسا : ان السمة الجمالية للفنانين موضوع البحث تتصف بسمة تأويلية تحرك ذهنية المتلقي عن التشخيص المباشر [٣٠] .

الفصل الثالث

إجراءات البحث

١- مجتمع البحث
٢- اداة البحث
٣- عينة البحث
٤- مبررات اختيار العينة
٥- منهج البحث

*** مجتمع البحث**

ينحصر مجتمع البحث في اعمال الفنانين العراقيين (ماهر السامرائي وطارق ابراهيم) التي تتمثل باعمال النحت الفخاري والمعروضة منها في معارض مختلفة .

*** عينة البحث**

اختار الباحث عينة غير قصدية انتقيت من المجتمع تعتمد على اظهار السمات الفنية للمنحوتات الفخارية للفنانين موضوع البحث .

*** اداة البحث :**

اللقاءات مع الفنان ماهر السامرائي والنقد والتحليل عبر الدوريات والصحافة والكتب للفنانين موضوع البحث وعلى نحو خاص الفنان طارق ابراهيم فضلا عن ما قدمه الفنان ماهر السامرائي من صور وارشيفا لاعماله .

*** مبررات اختيار العينة :**

تم اختيار العينات على وفق المبررات الاتية :

اولا : عينات نفذت باسلوب النحت الفخاري ذو الثلاث ابعاد .

ثانيا : عينات تبرز السمات الاسلوبية الفنية للفنانين موضوع البحث .

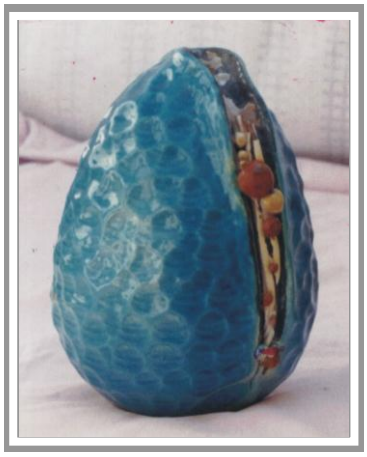
ثالثا : ان تكون العينات متوافقة مع حدود البحث .

*** منهج البحث :**

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق اهداف البحث والوصول الى السمات الفنية في اعمال النحت الخزفي للفنان موضوع البحث .

عينة رقم (١)

ماهر السامرائي



سنة المنجز : ١٩٧٥

قياس : ٥٠ سم

مركز الفنون

اسم العمل : الولادة

يمثل الفنان موضوع البحث المدرسة التي تنقل الواقعية من صفتها الحسية البسيطة الى صفتها التأويلية بحيث تحول من واقعية سمجة الى واقعية سحرية والعمل الفني الذي تبحث فيه السمات الجمالية مستوحى من البيئة الطبيعية الا ان تكوينه منافي نحو رمزية تأويلية بحته والباحث يرى انه يشكل صفة التوليد والولادة او التكاثر من الانثى .

حيث يبدو الشق الوسطي قد افرز لنا كما من الكرات شبيهه بالبيوض والتكوين الكلي مشابه لتكوين امراً شطر من النصف وقد اعطاها صفة محلية من خلال التلوين باللون الشذري للصبغة المحلية ويمكن حصر السمة الجمالية لذلك الايقاع التعبيري ذو الشكل عندما يعلن الخصوبة ، وعليه يمكن ان نحدد السمات الشكلية بما يأتي :

١- السمة التكوينية الدلالية الرمزية للشكل الذي يمكن ان يؤول الى فكرة التكاثر والخصوبة .

٢- فكرة الانشطار وتوزيع كتل ثانوية في داخل كتلة رئيسية كبرى تحوي في داخليها مجموعة من الكرات توحي بالبيوض .



عينة رقم (٢)

ماهر السامرائي

سنة المنجز : ١٩٩٧

قياس : ٧٠ سم

قاعة حوار

اسم العمل : تكوين

العمل الفخاري الذي نبحث فيه عن السمات الفنية متنوع البحث على نحو يقدم لنا مجموعة السمات الفنية الجمالية واضحة فهو عمل فيه انحناءات واضحة ويوحي الى تلاحم تكوينين احدهما يحوي الاخر وهذه الانحناءات فضلا عن الاحتواء فيه شيء من البناء الحياتي في تكوين وصيرورة الاحياء . واذا امعنا النظر باحثين في الاسلوب وما قدمه من السمات الفنية نجد ان الخط والحرف العربي السمة الرئيسية السائدة فضلا عن فكرة اللصق التي تبدو بصيغة تكنيكية واضحة كما هو حال لصق الاوراق على تكوينات تبدو غريبة عنها فيزيائيا ، كما ان التباين في الملمس خلق قيمة جمالية بحتة ، والخط المنحني الذي اعطى تداخلا فضائيا بين الكتلتين والترابط بين نظم العلاقات الشكلية قد اعطى دلالة رمزية وهناك شفرة خاصة بين الكتلتين والترابط بين نظم العلاقات الشكلية قد اعطى دلالة رمزية ، وهناك شفرة خاصة حاول المنجز بثها من خلال هذه العلاقات فالتعيينات والدلالات تساعد على فهم الوحدات المستعارة وهي تكوينات حروفية (كتابية) وبنية تشخيصية .

ارتبط التشكيل بين الكتلتين الكبيرة والصغيرة المرتبطة بها بوحدة العلاقة بينهما وحدة العلاقة التشكيلية التي حققها الملمس وطريقة التشكيل بين الجزئين فقد تغطت القطعة باكملها بتلك المربعات الخشنة ذات اللون التبني (الاوكر) وقد قسمت كمربعات مختلفة الاحجام احيانا او متساوية وذلك جزء من وحدة وتنوع التشكيل في الحجم والبناء ، ان وحدة الشكل يقتطعها عدد من الاضافات فالاضافة في الاعلى هي

تكوينات كتابية مختلفة الاحجام والتشكيل عملت على ايجاد توقف جزي في الاسترسال البصري وعندما تنتقل الى اسفل التكوين اقتطاع من نوع اخر فقد رسم الفنان خطا مستديرا فاتح اللون مختلفا عن اللون الاساسي للشكل ، وكان ذلك اقتطاع اشبه بتسليط اضاءة على جزء من الشكل وقد صمم الفنان داخله تشكيلات كتابية ذات حجم كبير ملون واضح بقيمة ضوئية عالية فالازرق الشذري الذي رسمت به الكتابة ، كان ذو لون وشكل مهيمن خرج عن مألوف التكوين وبذلك صار تنوع في وحدة التشكيل وصار هذا التنوع مركز الاستقطاب البصري وانعطافا في استمرارية الشكل ووحدته ، وهناك عدد من الاضافات الاخرى التي اوجدت توقفا في وحدة التشكيل كالخطوط والملامح الخشنة على الجوانب .

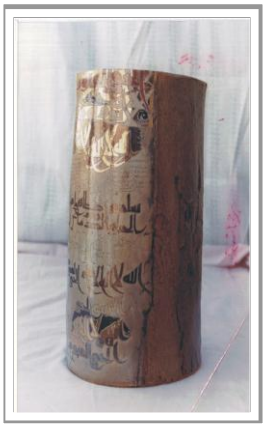
وعليه يمكن ان تؤشر السمات الفنية للعمل الفني موضوع البحث بالنقاط الاتية:

١- تأكيد الانحناءات والتدويرات التي تقدم سمه جمالية انثوية المعنى .
٢- فكرة التداخل بين الكتل واحتواء الكتل الكبرى للصغرى كما هو الاحتضان العاطفي وهي سمة ايحائية للصيرورة الحياتية والعاطفة البشرية .
٣- السمة الجمالية للخط العربي ومزاوجته مع العمل الفني على مستوى عال من الحرفية .
٤- السمات اللونية التي قدمت جماليات متطورة ومتفاعلة .

*** عينات البحث**

عينات ماهر السامرائي

عينة رقم (٣)



سنة المنجز : ٢٠٠٠

قياس : ٥٠ × ٢٠ سم

اسم العمل :جذع شجرة

العمل الفني الذي أنجزه الفنان ماهر السامرائي سنة ٢٠٠٠ اسطواني الشكل حاول به الفنان ان يحيله الى جذع شجرة يستثير سمتين من سمات الاثارة عند المتلقي الاولى جماليات التأويل التي تنطلق من افتراضات منطقية جمالية اتاحة الفنان للمتلقي للتأويلة . فجذع الشجرة له مرجعيات مختلفة ومتنوعة عند الانسان بعضها مرجعيات بيئية وبعضها الاخر مرجعيات (طوطمية) [*].

فضلا عن جماليات التعريب لان تكون جذع الشجرة نحتا خزفيا ملوننا على مستوى الاعمال الفنية الخزفية . وقد اضاف الفنان الى هذا الجذع كلمات واحرف بخط قديم قريب الى الخط الكوفي يستدعي بها بعض الجمل الاسلامية وتكرارا للفظ الجلالة ، فضلا عن الوانه التي اعطيت صفة تناظرية وتعالقت مع التكوين الطبيعي للشجرة والتأثير الاسلامي مع تذهيب لبعض الجمل لاماكن مدروسة ضمن جغرافية العمل الفني وبدراية تنطلق من خبرة متميزة في الاداء .

وعليه نجد ان نظام الاستعارة قد انطلق من تأثير زماني ومكاني بوحدتين دلاليتين اولها خطية والاخرى تجريدية تؤسس الوحدة التجريدية الكلية للبناء التكويني الذي احيل الى جذع شجرة .

ان النسبة الكلية للعمل تقع على اسلوب التبسيط من ناحية اللون والاستعارة، وكان العمل باجمعه مبني على مرجعيات ثقافية وموروثية من ناحية الشكل والخطاب والتعالق فيمكن ان يكون المرجع شيئا ذو معنى ، والخطاب العام التداولي ابتداءً من شكل العمل وتوازناته ، ثم حقله الكتابي العربي من ناحية اختيار نوع الخط (كوفي) او طريقة العرض ، يمكن ملاحظة القانون المتحكم في هذه الحقبة والتي تكون بنية كتابية ، وتساويها الاصالة الى الهوية وبنية تجريدية تساويها الاصالة الى البيئة وعليه نجد ان السمات الفنية لهذا العمل تنطلق من مما يأتي :

اولا : سمة التعزيب بفعل احالة الشجرة من نظامها الواقعي الطبيعي الى نظامها الفني الجمالي .

ثانيا : السمة الجمالية في استثمار الحرف العربي والخط القديم.

ثالثا : سمة جمالية لونية في تناظرية الالوان والاثارة الجمالية في التذهيب لما لقيمة الذهب من اثر نفسي على المتلقي .



عينة رقم (٤)

ماهر السامرائي

سنة المنجز : ٢٠٠١

قياس : ٦٠ × ٤٠ سم

اللون المستخدم : رصاصي (الفضي)

قاعة حوار

اسم العمل : الطائر

يوحي العمل الى طائر بلون السماء بين الزرقه والرمادي الذي يمثل لون سماء العراق في صيفها اللاهب ، وهو يمثل سمات جمالية تعتمد حركة التكوين الموسيقية الراقصة وكأن الطائر في حالة هيام ونشوة اذ ان الخطوط تنقسم بانسيابية عالية دون ان تتوقف او يقطع استرسالها وكأنها موجة بحر لا يعوقها شيء فقد كانت الانحناءات الخارجية والداخلية لخطوط الشكل تعمق الاحساس بانسيابية التشكيل ومرونة اجزاءه وقد قطع تلك الانسيابية في الاعلى وحقق خرقا في وحدة التكوين المتجانسة هو الفتحات في الاعلى والتي رسمت بشكل شقوق منتظمة في جدران الشكل الصلدة وقد اعطت تلك التجاويف حضورا وحيوية وسمحت للتكوين بالحركة المتناوبة في الرؤية بين الصلادة والتجويف والظل والضوء وذلك يخلق توقفا في الرؤية وانتقالا بين ذلك الوسطين وذلك تنوعا ظاهرا مميزا اضافة الى التكوين حركة وكسر الجمود الذي تتخلله الصلادة ويمكن ان نرصد التقابل الواضح بين التجويف في الاعلى والتجويف في الاسفل في مركز التكوين الفني اذ يكون الاثنان متبادلين وكأن الفضاء الذي يتخلل الشكل من الاعلى والوسط جزء من بنائية التكويني فهو متداخل مع الخطوط مؤكدا ها

وقد حققت تلك الفضاءات مع الفضاء الخارجي وحدة في تجانسها وتداخلها معا فهي مكون واحد مختلف الوظائف فوحدة تأثيره هنا تقارب وتنوع الوظائف هناك وبشكل عام هو جزء من تركيبة التكوين الخزفي ويمكن ان يحضر اللون هنا ضمن وحدة التكوين البنائي للشكل فلم يعتمد الفنان تغايرا لونيا لخلق تنوعا في التشكيل بل انطلق في وحدة لونية جاءت معبرة اكثر ومقاربة لحركة وشكل التكوين الخزفي الذي لم يكن مجزأ بل كان ممتدا ، وهنا ازداد التأكيد الشكلي وقوة في وحدة التصميم اللوني الذي غلف الشكل

ويتضح لنا ان السمات الفنية الجمالية لهذا العمل يمكن تأشيرها كما يأتي:

١- السمات الجمالية للتكوين والانسيابية الراقصة لكتلة واحدة متماسكة متحركة للتكوين ذاته .

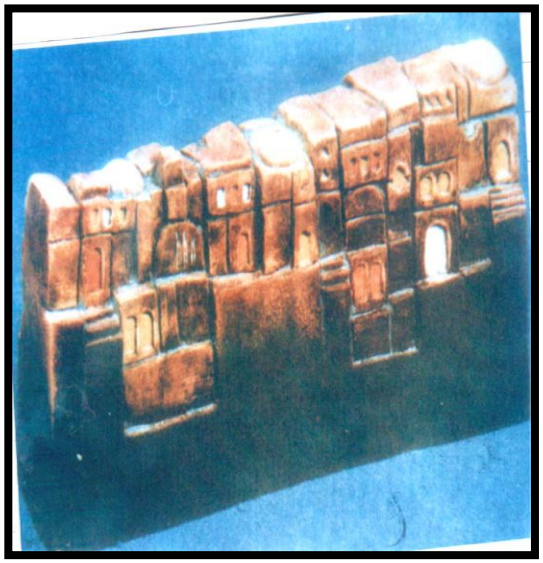
٢- السمة اللونية التي مازجت بين لون السماء وفكرة التحليق فيها ، فضلا عن ما قدمته من شفافية لهذا العمل .

٣- السمة الحركية التي اصطنعتها بنائية البروزات الخلقية لذيل الطائر.

ثانيا : عينات طارق ابراهيم

عينة رقم (١)

طارق ابراهيم



تاريخ المنجز : ١٩٩٥

القياس : ٥٠×٣٠ سم

معرض مركز الفنون

اسم العمل : الشناشيل

في هذه العينة نظام تركيبي جديد في اسلوبية الفنان موضوع البحث اذ عمل على بناء كتلة طينية مشكلة على نحو يركب صورة بشناشيل وبيوت بغدادية واعطائها مسحة لونية طينية مع بعض الالوان المتفرقة المرسومة بالفرشات على بعض من هذه الصخور البارزة والمتداخلة في جسد هذه الكتلة .

ان ما يثير في هذا العمل هو المفاجئ في استدعاء نظام معماري ثلاثي الابعاد وتصغيره بتصرف اسلوبي ليكون زء من واجهة زقاق بغدادي قد يكون مطلا على نهر دجلة انها اثارة ومفاجئة للمتلقي كانت جل قصد الفنان في نظامها الاسلوبي وقد حاول الفنان ابراز سمات جمالية لهذا العمل تعتمد الاثارة المرجعية التراثية الفلكلورية . والامر فيه دراية ووعي في استدعاء جماليات التراث والفلكلور بالعمل الخزفي فضلا عن ما حققه من موازنة جمالية في بناء هذه الكتلة الطينية . وعليه نجد ان الاشكال تنتمي الى مرجعياتها بافصاح دقيق فضلا عن ان النظام المعماري لهذه الكتلة قد استند على قاعدة اعطتها صفة الامتداد مع الارض.

ويمكن تأشير السمات الجمالية لهذا العمل بما يأتي :

اولا : السمة المعمارية التركيبية التي نجح الفنان في تحقيقها .

ثانيا : السمة الجمالية اللونية من خلال دراسته لعلاقة الالوان في تشكيل البيوت والازقة والبناء اللوني للقاعدة.



عينة رقم (٢)

طارق ابراهيم

تاريخ المنجز : ١٩٩٦

القياس : ٥٠×٥٠ سم

مركز الفنون

اسم العمل : الخصوبة

يمكن ان نصف هذا العمل بالاكثر امكانية في التأويل لدى المتلقي اذ فيه من الايحاءات التي يمكن تأويلها الكثير واجمعها مرتبط بفكرة الانوثة والخصوبة والتكاثر والولادة . فالخطوط الانسيابية والتكوين المتوحد الذي يشكل التقاء كتلتي صفة انثوية مفتوحة يمكن تأويلها بتأويلات متعددة فضلا عن الكرة الوسطية المعلقة التي توحي بالتكاثر وحيثيات البناء الانثوي وتشكل نظام للخصوبة بشقيها البايولوجي والفكري ، ان هذا التكوين والتشكيل الخزفي النحتي فيه من السمات الجمالية العديدة والتي يمكن تأشيرها من خلال البناء الشكلي اولا ومن خلال بثها لمعاني متحركة منفتحة ترفض الانغلاق ثانية ومن العلاقات اللونية البني المحمر والاخضر الذي يوحي على الخصوبة والثراء والطبيعية (Natural) فضلا عن العلاقات اللونية التي اعطت مركزا دقيقا الى الكرة التي تمثل مركز الخصوبة وعليه يمكن تأشير السمات الجمالية لهذا العمل :

اولا : السمة الجمالية التكوينية لما لها من ايحاءات فاعلة ومرجعيات انثوية واضحة .

ثانيا : السمة اللونية التي قدمها الفنان بدراسته لتأكيد الخصوبة بين الاخضر والاحمر البني .



عينة رقم (٣)

تاريخ المنجز : ٢٠٠٠

قياس : ٥٠ سم

مركز الفنون

اسم العمل : حرف العين

يمثل الفنان طارق ابراهيم اتجاها لفن التشكيل يمكن ان نسميه الاتجاه الحروفي انطلاقا من اعتماد جماليات الحرف العربي وتشكيلاته المتنوعة في تكوين الخطوط ،

اذ ان الحروفيون التشكيليون انتشروا في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي لنتاجاتهم في فن التشكيل ولاسيما فن الرسم ثم انتقل هذا الاتجاه الى فن الخزف وكان للفنان موضوع البحث مكانته الهامة في استدعاء الحرف العربي وتنظيمه تنظيما شكليا جماليا متميزا .

وكان لطارق ابراهيم انجازات واسعة في ذلك وله اعمال يشار اليها لسماتها الجمالية المثيرة والتي خلقت نظام تأثيريا لدى المتلقي .

ان العمل الذي نبحث فيه مجموعة السمات الجمالية واضحة يمكن ان تعلن عن نفسها مجرد مشاهدة العمل مباشرة وهذه السمات تنطلق من ما يأتي :

اولا : تشكيلة الحرف الرئيسي الكبير في العمل حرف العين اذ اعطيه استطاله واضحة تخطت شكله في الخط العربي وكان هذا التخطي اضافة جمالية قدمت استطالة للتكوين كليا .

ثانيا : جماليات التكوين الحروفي المضاف حرف الواو او تشكيلة الضمة التي الصقت بالتكوين الرئيسي على نحو مدروس وبخبرة واضحة تنطلق من تأسيس نوع من التوازن في الشكل فضلا عن ما قدمه من بنية جمالية للشكل ذاته .

ثالثا : السمة الجمالية للتكوين النقاط الثلاثة التي وضعها الفنان موضوع البحث على حرف العين الكبير مما ادى الى اضافة حركة وكسر رتابه التكوين الجمالي كليا .

رابعا : ولا ننسى ان طارق ابراهيم يتعمد ان يشكل القاعدة التي يسند عليه العمل جماليا ، حيث احال القاعدة لنظام شكلي ضمن دائرة التشكيل العام للموضوع، ويمكن عّد ذلك سمه جمالية مضافة .

خامسا : السمة اللونية المركبة بين الاحمر والذهبي ولون القاعدة الغامق نحو السواد تشكلت بهم نظم لونية جمالية كان في بعضها متعات جماليات التركيبة اللونية والمتناقض .

عينة رقم (٤)



طارق ابراهيم

تاريخ المنجز : ٢٠٠٥

قياس : ٥٠×٣٠ سم

مركز الفنون

اسم العمل : القلم وما يسطرون

العمل موضوع البحث نظام تركيبي تكويني يوحي في التكوين الاكبر الملون بالصبغة الخضراء الى التكوين النهائي ، قصبة الخط او القلم او ما نطلق عليه بالتداول الدارج (السلاية) .

وقد اعطاها لونا اخضراً لاحالتها الى قيم دينية اسلامية يقصد به ترابط التكوين مع منطوق الآية الكريمة او جزءا منها " والقلم وما يسطرون " .

وكان لحرف الواو المذهب الذي اعتلى مع نقطة الخط المربعة التي تكون رأس (السلاية) افصاحا عن كشف التعالق بين تسمية العمل وتكوينه واحالته الى الآية الكريمة في القرآن الكريم .

ان السمات الجمالية الفنية التي يمكن تأشيرها في هذا العمل :

اولا : التعالق الجمالي بين فكرة العمل وتكوينه الشكلي الهندسي مما حقق اندماجا وتفاعلا واضحا بين الشكل والمعنى .

ثانيا : البناء التكويني الحداثوي للقلم في نهايته التي تسطر بها الكتابة استطاعت ان تقدم سمة جمالية تتسم بالرشاقة والانسيابية وحرية الحركة .

ثالثا : حرف الواو والنقطة المركبة في اعلى التكوين كان لهما سمة جمالية في كسر رتابة الشكل واعطائه تنوعا وحركة .

رابعا : النظام اللوني المدروس بين الاخضر والذهبي يعد سمة جمالية قصدية محالة الى معنى العمل ومرجعياته الاسلامية .

الفصل الرابع

نتائج البحث

اولا : نتائج السمات الفنية والجمالية لفنانين موضوع البحث (على وفق الهدف الاول من هدفي البحث في كشف السمات الفنية والجمالية) .

١- تتصف اعمال الفنانين موضوع البحث بالسمة الجمالية التي تعتمد التراث والفلكلور وعلى نحو خاص التراث اللغوي المتجسد بتشكيلة الخط العربي وجمالية الحرف بتشكيلة خطوطه المتنوعة على الرغم من ان الفنان طارق ابراهيم كان اعتماده الاوسع على خط الثلث بينما نجد الفنان ماهر السامرائي كان اعتماده الاوسع على تشكيلة من الخطوط القديمة من تراث الخط العربي

٢- السمة الجمالية اللونية اذ تحرك الفنانين موضع البحث بحركة لونية منفتحة ابتعدت عن الانغلاق الاسلوبي على الرغم من الفنان طارق ابراهيم كانت الوانه اكثر بريقا وصراحة فهو مائل الى الاعمال ذات الالوان المتحركة والشفافة ذات البريق الصارخ بينما نجد الفنان ماهر السامرائي اعتمد السمة اللونية في اعمها الاغلب ذات المنحى يعتمد على فن الكرافيك او الطباعة اليدوية بابراز التناقض اللوني بين الكتل او باعطاء الارضية موقف لوني مضادا للسطوح .

٣- السمة التكوينية للفنانين موضوع البحث تتشكل على انظمة التكوين للخزف الفخاري فكلاهما اعتمد النحت الفخاري في اغلب اعماله وكلاهما نظما عملا تشكيليا خزفيا مركبا من جزئين او ثلاثة الى اخره .

٤- كانت السمة الجغرافية البيئوية موضوع استلهام الفنانين فالاسماك والشِباك وايحاءات الصيد العراقي سمة جغرافية مكانية للفنان ماهر السامرائي بينما نجد للفنان طارق ابراهيم جغرافية فكرية بحتة من حيث اعتماده على الخط العربي في تشكيلاته .

ثانيـا : السـمات الجماليـة علـى وفـق التقـارن بـين الفنـانين موضـوعا البحـث مـاهر السامرائي وطارق ابراهيم :

١- على الرغم من اعتماد الفنانين موضوع البحث ماهر السامرائي وطارق ابراهيم على الحرف العربي الا ان اوجه المقارنة في استدعاء السمة الجمالية للحرف العربي فيها اختلاف واضح وذلك من ما يأتي :

أ. طارق ابراهيم استدعى الحرف منفردا في اعمه الاغلب او مشكلا بحرفين . كما في الشكل (٢، ٣، ٧ ،٨) .



شكل رقم ٢



شكل رقم ٣

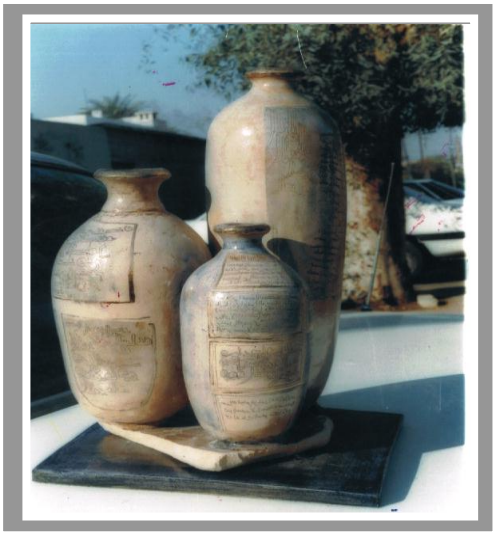


شكل رقم ٧



شكل رقم ٨

بينما نجد الفنان ماهر السامرائي قد استخدم الحرف جزءا من كلمة او من جملة او منثورا على نحو غير معين ضمن عدد كبير من الاحرف كما في الشكل:



ب. تمثل السمة الجمالية للفنان طارق ابراهيم في جعل الحرف نحتا كتلويا باسلوب النحت الفخاري في اعم اعماله او مركبا مع كتلة فخارية يشكل معها الكل في العمل الفني الذي يريد انتاجه كما في الشكل (٩ ، ٥) .



شكل رقم ٥



شكل رقم ٩

ج. اعتمد الفنان طارق ابراهيم على نظام التضاد اللوني (الكونتركاكس) اذ ان في اكثر اعماله نظام لوني متضاد بين لونين وقد استخدم الذهبي كسمة جمالية . انظر في ذلك العمل (٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧) .



شكل رقم ٢



شكل رقم ٣

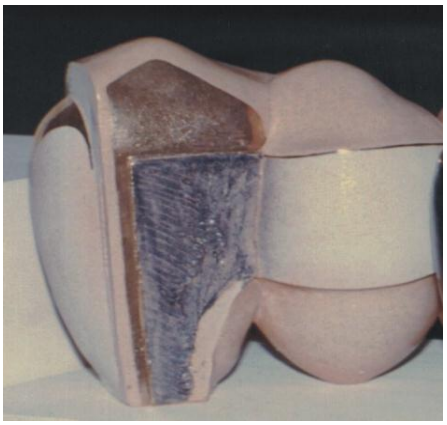


شكل رقم ٦



شكل رقم ٧

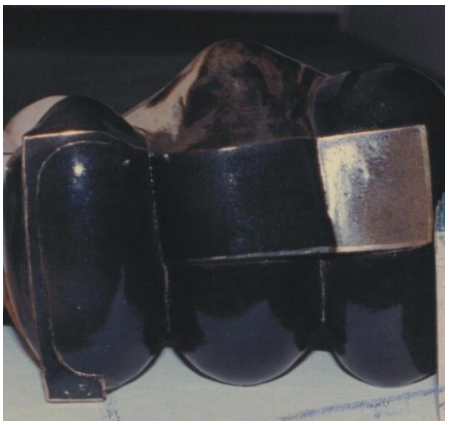
بينما نجد الفنان ماهر السامرائي تعتمد سماته الجمالية اللونية على النظام الكرافيكي الطباعي ومحاولة اعطاء لونا ذو صفات مثيلوجية . انظر الاعمال في الشكل (١ ، ٢ ، ٣) .



شكل رقم ١



شكل رقم ٢



شكل رقم ٣

د. اعتمد الفنان طارق ابراهيم في معظم اعماله على نظام التركيب بين قطعتين ليشكل البنية النهائية للعمل الفني بحيث جعل من القاعدة نظاما فخاريا منحوتا على نحو قصدي وجزءا لا يتجزأ من بناء الكلي للنحت الفخاري انظر في ذلك العمل رقم (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) .



شكل رقم ١١



شكل رقم ١٢



شكل رقم ١٣



شكل رقم ١٤

بينما نجد ان الفنان ماهر السامرائي قد مارس هو الاخر نظام التركيب الكتلوي لكن دون الاعتماد ان تكون القاعدة جزءا من العمل ، انظر الشكل الاتي.



قائمة المصادر

المصادر العربية :

ت	المصادر
١.	إ.م.بوشنسكي ، الفلسفة المعاصرة في اوروبا ، تر:د.عزت قرني ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت، ١٩٧٨.
٢.	ابو احمد المرزوقي : علم السيمياء ، الجزائر ، دار الوحدة للنشر ، ١٩٩٢.
٣.	استولينتز ، جيروم ، النقد الفني ، ترجمة فؤاد زكريا ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٤.
٤.	اوبزورمان ، ثيوادور ، تطور الفكر المعاصر ، تر: سمير كرم ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٩.
٥.	جعفر نوري – جون ديوي ، حياته وفلسفة ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٧.
٦.	د.سعيد علوش ، المصطلحات الادبية المعاصرة ، منشورات المكتبة

ت **المصـادر**

الجامعية ، الدار البيضاء –المغرب, ١٩٨٤.

٧. ديليك ، رينيه ، وواربن اوستن ، نظرية الادب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة : د.حسام الخطيب ، مطبعة خالد طرابيشي ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٧٢.

٨. ريد ، هربرت ، تعريف الفن ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢.

٩. عبد المنعم ، ومايـة: المعجم الجمالي ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعة، ١٩٨٧.

١٠. عبد كمال ، فلسفة الادب والفن ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٧٨.

١١. الفصائح والمناقح : ابو احمد المغربي ، الرباط ، دار العرب للنشر ، ١٩٦٢.

١٢. كمـال ابـو ديـب ، جدليـة الخفـاء والتجلـي ، دار العلـم للملايـين ، بيـروت ، ١٩٧٩.

١٣. نجم ، عبد حيدر : النقد الفني الجمالي الاتجاهات والحركات المعاصرة ، بغداد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠، محاضرات القيت على طلبة الماجستير مسجلة .

١٤. هوكز ، ترنس ، البنيوية وعلم الاشارة ، ترجمة : مجيد الماشطة ، مراجعة : د.ناصر حلاوة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦.

المصادر الاجنبية :

15. FDE . Saussre course in General lingtatics translated by Baskin , New York , 1959.
16. Rada , Ravostar , Ceramic techniques , Polygraffia , London .

الهوامش :

[١] – الفصائح والمناقح : ابو احمد المغربي ، الرباط ، دار العرب للنشر ، ١٩٦٢ ، ص٨٨.

[٢] – د.سعيد علوش ، المصطلحات الادبية المعاصرة ، منشورات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء –المغرب ، ١٩٨٤ ، ص٩٦.

[٣] – ابو احمد المرزوقي : علم السيمياء ، الجزائر ، دار الوحدة للنشر ، ١٩٩٢ ، ص١٥.

[٤] – د.عيد علوش ، المصطلحات الادبية ، المصدر السابق ، ص٩٦.

[5] - FDE . Saussre course in General lingtatics translated by Baskin , New York , 1959 , P.16.

نقلا عن جيربي ، علم الاشارة (السيميولولجيا) ، ص١٣.

[٦] – جعفر نوري – جون ديوي ، حياته وفلسفة ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٧ ، ص٧٧.

[٧] – ماهر السامرائي ، من خلال مقابلة اجراها الباحث مع الفنان في عام (٢٠١٠) .

[٨] – نجم عبد حيدر : النقد الفني الجمالي الاتجاهات المعاصرة ، محاضرة القيت على طلبة الجامعة ، بغداد ، جامعة بغداد ، مجلة ، حزيران ، ٢٠١٠ ,ص٣.

[٩] – إ.م.بوشنسكي ، الفلسفة المعاصرة في اوروبا ، تر:د.عزت قرني ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، ١٩٧٨ ، ص٢١٧ .

[١٠] – عبد المنعم ، ومايـة: المعجم الجمالي ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعة ، ١٩٨٧ ، ص١٥٩.

[١١] – اويزورمان ، ثيوادور ، تطور الفكر المعاصر ، تر: سمير كرم ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٩ ، ص٢٧٥.

[١٢] – نجم عبد حيدر : النقد الفني الجمالي الاتجاهات المعاصرة ،مصدر سابق ,ص٤.

-٤

[١٣] – نجم ، عبد حيدر : النقد الفني الجمالي الاتجاهات والحركات المعاصرة ، بغداد ، جامعة بغداد ، ٢٠١٠، محاضرات القيت على طلبة الماجستير مسجلة .

[14] – Rada , Ravostar , Ceramic techniques , Polygraffia , London , P.293 .

[15] – Rada , Ravostar , Ceramic techniques , Polygraffia , London , P.293 .

[١٦] – ريد ، هربرت ، تعريف الفن ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص١١.

[١٧] – عبد كمال ، فلسفة الادب والفن ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٧٨ ، ص٥٣.

[١٨] – استولينتز ، جيروم ، النقد الفني ، ترجمة فؤاد زكريا ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٣٥٣.

[١٩]– المصدر نفسة , ص٣٥٤.

[20] – Rada , Ravostar , Ceramic techniques , Polygraffia , London , P.293 .

[٢١] – مقابلة اجراها الباحث مع الفنان ماهر السامرائي ، بتاريخ ٢٠١٠/٨/٢٠ ، مسجلة ومخطوطة بيده .

[٢٢] – مقابلة اجراها الباحث مع الفنان ماهر السامرائي ، بتاريخ ٢٠١٠/٨/٢٠ ، مسجلة ومحطوطة بيده .

٢٣ – من محاضرة للدكتور نجم عبد حيدر، القيت على طلبة الدراسات العليا – الدكتوراه، كلية الفنون الجميلة ، ١٩٩٩ . نقلا عن :

علية يونس ثجيل : المتحول الاسلوبي في اعمال الفنان ماهر السامرائي ، رسالة ماجستير مطبوعة ، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، ٢٠٠٣ ، ص٨١.

[٢٤] – كمال ابو ديب ، جدلية الخفاء والتجلي ، المصدر السابق ، ص١٦٥.

[٢٥] – المصدر نفسه ، ص١٦٥.

[٢٦] – كمال ابو ديب ، جدلية الخفاء والتجلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٢٩٦.

[٢٧] – هوكز ، ترنس ، البنيوية وعلم الاشارة ، ترجمة : مجيد الماشطة ، مراجعة : د.ناصر حلاوة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٤٨.

[٢٨] – ديليك ، رينيه ، وارين اوستن ، نظرية الادب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة : د.حسام الخطيب ، مطبعة خالد طرابيشي ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٧٢، ص٧٥.

٢٩ – مقابلة أجريت مع الدكتور نجم عبد حيدر أستاذ فلسفة الفن في كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، قسم الفنون التشكيلية، ٢٠٠٩.

[٣٠] – خلاصة ما توصل اليه الباحث في مجمل الاطار النظري بمؤشرات تفيده في تحليل العينات.

[*] الطوطمه تقديس الحيوان والنبات والاشياء الجامدة واحالتها الى قوى خفية تؤثر في الانسان يؤمن بها البعض ويتعامل مع هذه الطوطميات على المستوى المقدس . انظر في ذلك :

عبد العزيز مقصود ، الطوطم والتقديس ، دراسة لمعتقدات الشعوب ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٥ ، ص١٩٢.

مهنة الحراسة في ضوء المصادر المسمارية

أ.م. د كاظم عبد الله عطية
جامعة بغداد
كلية التربية للبنات/قسم التاريخ

مهنة الحراسة في ضوء المصادر المسمارية

أ.م. د كاظم عبد الله عطية

المقدمة :

ان المتتبع للحضارات التي نشأت على هذه المعمورة يشخص نوعين من انواع الحضارة ممكن ان نسمي احداهما بالحضارة الاصلية وهي التي برزت فيها معظم المقومات والالوان الحضارية اي نشوء هذه المقومات وتطورها في هذه الحضارة ومن ثم تأثيرها بباقي الحضارات(الحضارة المصدرة)،اما النوع الاخر من الحضارات فهي التي تسمى بالحضارة الثانوية او المستقبلة والتي عادة ما تكون متأثرة ومستقبلة لمعظم الالوان الحضارية الرئيسية. ومن خلال ما تقدم نجد ان حضارة بلاد الرافدين بجميع مقوماتها الحضارية تعد من الحضارات الرئيسة والاصيلة ،اذ وضع فيها الانسان العراقي القديم اللبنات الاولى لمجمل القضايا والامور الحضارية فبدا هذا الانسان حياته يلوذ في الكهوف معتمدا على التقاط قوته من البرية وفي احيان اخرى على الصيد وبمرور الزمن وبتطور الحياة وتشعبها وزيادة اعداد السكان اثر ايجابيا على توسع الاستيطان فبدات اولى القرى وصاحب هذا التوسع معرفة وهداية الانسان الى الزراعة وهكذا اصبح هناك عاملا اساسيا للاستقرار و بدأ الحياة تنمو وتتشعب يصاحبها في ذلك نمو القرى والمستوطنات والمدن وزيادة في الموارد البشرية وظهور المهن والحرف تبعا للتطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلد.

ولاشك في ان التطور الحضاري الحاصل يحتاج الى موارد بشرية وادوات تمثل القاعدة الرئيسة لهذا التطور وان هذه الموارد البشرية المتفاعلة مع البيئة والظروف المحيطة بكافة اشكالها قد انتج العديد من المهن والحرف التي احتاجها الانسان ابان مسيرة حياته اليومية لذلك كانت هذه المهن والحرف متنوعة بتنوع الحياة اليومية

وتشعباتها كما يمكن القول ان معظمها يكون متوارثا من الجد الى الاب ثم الابن وهذه الخاصية لازالت معتمدة الى يومنا هذا ولو بشكل جزئي .

ان المهن والحرف التي مارسها سكان بلاد الرافدين القدماء تتأثر في احيان كثيرة بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية فعلى سبيل المثال اذا ما كانت الدولة قوية وتسعى الى مد نفوذها الى مدن واماكن اخرى فإنها بالتأكيد سوف تحتاج الى جيوش قوية قادرة على عمليات التوغل العسكري وبالتالي فان هذه الجيوش تحتاج الى مواد وعدد ومستلزمات عسكرية ومدنية بغية مواصلة عملها في القتال ومن هذه المواد الاسلحة التي يقف على راسها السيوف والرماح والملابس العسكرية فضلا على العربات العسكرية والدروع وغيرها ومن هنا فان مهنة صناعة السيوف والرماح والملابس العسكرية بالتأكيد ستكون منتشرة وتحظى برواجا اقتصاديا نتيجة للحروب والمعارك العسكرية.

ومن خلال استقراء العديد من النصوص المسمارية بشقيها السومري والاكدي يظهر جليا الاعداد الكبيرة من المهن والحرف التي مورست في بلاد الرافدين وكذلك من خلال البقايا الاثرية الدالة على هذه المهن والحرف ،واعتمادا على ذلك اتجهت انظار الباحثان في اختيار مهنة الحراسة كواحدة من المهن المهمة في بلاد الرافدين التي ترتبط ارتباطا مباشرا بأمن المواطن واستقرار حياته وان يكون عنوان البحث(مهنة الحراسة في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية).

ولنا ان نوجز اهم المحاور التي يحتويها البحث بالاتي:-

المحور الاول:- الحراسة لفظا واصطلاحا

المحور الثاني:-التسميات المسمارية الخاصة بالحارس والحراسة

المحور الثالث:- اهم الاشارات المسمارية حول الحارسة.

الاستنتاجات

المحور الاول :-الحراسة لغتا واصطلاحا:-

يمكن لنا ان نعرف الحراسة من الناحية اللغوية من مصدر حرس وحرس يحرس حرسا وحراسة فهو حارس والمسؤول عن الحراسة هو المسؤول عن المراقبة ايضا والمفعول هو محروس، وحرس المكان حفظه وسهر على حمايته وحرس من البلاء حفظه، وضعته تحت الحراسة منعته من التصرف في ماله او من مغادرة منزله او بلده وحرس الشيء حفظه وحماه ،ومن اولى وظائف الجيش هي حراسة الحدود ضد اي خطر خارجي.اما الحراسة اصطلاحا فممكن ن تعرف بانها مراقبة يمارسها افراد من الحكومة او الجند على شخص ليحولوا دون تصرفه في ماله او مغادرة منزله او بلده او هروبه فيقال احضر السجين الى المحكمة تحت حراسة مشددة.

اما الحارس فهو الشخص المكلف بحماية مؤسسة معينة سواء اكانت دينية ام مدنية او اموال معينة او غيرها من الاشياء والحراسة هي عمل ومجهود جماعي يؤديه افراد ذو كفاءة عالية وحس امني عالي في مكان ما وكل فرد يبذل جهدا وعملا متقنا إذ ان اهمال اي فرد في اعمال الحراسة يؤدي الى ضياع المجهود ويفشل العمل برمته.

المحور الثاني:- التسميات المسمارية الخاصة بالحارس والحراسة:-

لقد اطلق على الحراسة والحارس العديد من الالفاظ السومرية والاكدية والتي ممكن لنا إحصائها بالجول الاتي:-

المصدر	معناها	مايقابلها باللغة السومرية	الكلمة باللغة الأكدية
CDA,P.206	الحرس الرئيسي		annungallu
CDA,P.291	يكون مستيقظا اثناء الحراسة(فعل)		harādu
CDA,P.330	حراسة(حف)		ḫuppu
CDA,P.338	حارس قانوني		ḫuntu
	حراسة/مراقبة		Kādu
CDA,P.387	بيت الحراس		Bīt kādim

Kâdu		يحرس يراقب	CDA,P.387
laḫmu		حراس البحر	CDA,P.478
maṣṣartu		حراسة	CDA,P.478
Bīt maṣṣartim		بيت الحراسة	CDA,P.478
maṣṣaru	LU_2.EN.NUN	حارس/مراقب	CDA,p.542
maṣṣar šarrim	LU_2.EN.NUN LUGAL	حارس الملك	CDA,P.542
maṣṣar abullim	LU_2.EN.NUN KA2.GAL	حارس البوابة	CDA,P.542
maṣṣar qišātim		حارس الغابة	CDA,P.542
maṣṣar eqlim	LU_2.EN.NUN A.$ŠA_3$	حارس الحقل	CDA,P.542
maṣṣar šulmim U_3 balāṭim		حارس الصحة والحياة(تطلق على الالهة	CDA,P.542
maṣṣar ṭīdi		حارس الطين(يطلق على الدود بكافة انواعه)	CDA,P.542
mušallimu		الصائن/الحامي(تطلق على الالهة	CDA,P.600
naṣāru	GAL_2	يحفظ/يحرس	CAD,N/2,P.33:b
maṣṣartam naṣārim		موقف الحرس	CDA,P.657
nāṣiru		حارس	CAD.N/2,P.44:a
nāṣirtu		الحارسة	CAD,N/2,P.44:a
palālu		يحرس	CDA,P.703
pālilu		حارس،مراقب	CDA,P.704
ša šigarim		حارس الاقفال	CDA,P.978
arkatu	EGIR	مؤخرة الحرس	CAD,A/2,P.274:b

CDA,P.1156	جندي المؤخرة	EGIR	arkû

المحور الثالث:- اهم الاشارات المسمارية حول الحارسة:-

١-الالهة والحراسة:-

من المعلوم ان للآلهة وظائف متعددة[١] وان هذه الوظائف تختلف من اله الى اخر على ان هناك العديد من الالهة يحملون صفات متعددة وكذلك وظائف متعددة ومن بين الوظائف التي ارتبطت بالآلهة هي وظيفة الحراسة اذ اشارت النصوص المسمارية المتعددة التي تمت دراستها بهذا الجانب وامدتنا بمعلومات مهمه عن وظيفة الحراسة للآلهة ومن هذه الالهة عشتار التي سميت ايضا بسيدة الوركاء اذ اشارت النصوص المسمارية بانها حامية الملك وقائدته وهي التي حرسته وهزمت الاعداء(سيدة الوركاء هي التي قادتك وهي التي حرستك وهي التي هزمت الاعداء)[٢]،كما ارتبطت الروح الحامية lamasu بالحراسة ايضا وهي تهب الصحة الجيدة والحماية للبشر(الرجاء امنحني الروح الحامية/الحارسة لكي تمنحني الصحة الجيدة والحياة الطويلة)[٣]،ويستحب من هذه الاله ان تبقى قريبة من جسد الانسان ورحه لكي يطمئن بقربها وبوجودها (حراس الصحة الجيدة والحياة الطويلة يجب ان لا يغادروا من جنبك)[٤]،في حين منحت الينابيع والتي يرجح انها الابار وخاصة في المعابد الى الحراسة من قبل الاله ولعله الاله انو(كل الينابيع تحت حراسة الاله في معبدك اي –ان –انا E_2.AN.NA .

وقد اختصت بعض الاله بحماية بوابات المدينة وكذلك حماية جسد الانسان اذ يشير احد النصوص الى ان الاله موخرا ^{d}muḫra يسير في جسد الانسان مع الدم ليكون حاميا لهذا الانسان(الاله موخرا ^{d}muḫra حارس بوابته وقد وضع مكانه وسط دم كل رجل وامرأة)[٥]،في حين يشير نص اخر بان الاله ممكن ان ياسر ويكون بذلك هو رهينة معاملة الاله الذي ياسر عنده(لقد وضع الاله مردوخ حراس اقوياء للمحافظة على الالهة الاسرى)[٦]،ويدعى للإلهة بان يحفظ الحياة ويطيلها(الهي ابعد عني الشر الذي حل بي واحفظ حياتي)[٧].

اما الالهة شمش فقد اختص بحماية الفتيات المشردات والارامل اذ كان حارسا لهن من كل شر واثم(بدونك ايها الاله شمش الفتاة المشردة والارملة لا يجدون حارسا)[٨]،في حين خلق الاله انليل خمبابا او خواوا لكي يقوم بحراسة غابة السيدر(انليل خلق خواوا لكي يحرس غابة السيدر)[٩].

لقد وضع العراقيون القدماء رموزا واشكالا وتماثيل كانت وظيفتها ايضا حراسة وحامية اذ اشارت لنا النصوص المسمارية اقامة تماثيل ونصب كثيرة كانت وظيفتها الحماية(الحرس التؤامين من الجن من البرونز والذي كل زوج منهما ينظر الى الامام والخلف)[١٠]،وفي نص اخر(لإيقاف(مجسم)الحرس بواسطة(القاعدة من)طير الانزو الذهبي)[١١]،وفي احيان معينة توضع هذه الرموز والمجسمات وشعارات اخرى عند بوابات المدينة للحفاظ عليها ولسلامتها(هناك حراس في بوابتي المدينة لقد وضعت رمز الكيدينو kidinnu للحماية والحفاظ)[١٢]،وللحكماء السبعة الابكالو دور مهم في حراسة الاله(انا احطت منصة------ بتمثال من الحجر للرجال السمكة حراس الالهة)[١٣].

٢-الملك والحراسة:-

يعد الملك الراعي الاول للبلاد وحاميها وحارسها من المطامع الاجنبية(الملك،سيدي--- هو حارسنا)[١٤] وقد اورد لنا الكتابات المسمارية على مدى التاريخ الطويل بلاد الرافدين العديد من الكتابات الملكية التي فصلت لنا اعمال هؤلاء الملوك والدور الذي قاموا به من اجل بلدانهم ودفع الخطر عنها وتوسيع مملكتهم بيد ان هؤلاء الملوك على النحو العام يعتبرون حراسا لبلدانهم وتشير النصوص المسمارية الى ارتباط مهنة الحراسة بالملوك(الملك عليه ان يحمي شعب المدينة الفلانية والمدينة الفلانية ٢)[١٥]،في حين وصف الملك الأكدي نرام-سين(٢٣٧١-٢١٦١ ق.م)[١٦] بانه حراس دجلة والفرات ونهر ارنينا(نرام-سين حارس منابع نهر ارنينا،دجلة والفرات)[١٧].بينما بين نص اخر نوع من الحراس الذين يصاحبون الملوك والذين يطلق عليهم مصطلح الحراس الملكيين(بحدود ثلاثون من عرباتي والتي هي مصاحبة مع حراسي الملكيين)[١٨]

٣-انواع الحراسة:-

تنوعت الحراسة في بلاد الرافدين بتنوع الحياة اليومية لهذا البلد ولنا ان نقسم انواع الحراسة الى الاتي:-

اولا:-حراسة المدن والقبائل:-

اهتمت هذه الحراسة بالمدن والقبائل والافراد وتشير لنا النصوص المسمارية الى معلومات قيمة حول هذا النوع من الحراسة(كرجال تابعين للقبيلة فقد عيننا الملك كحراس لذا فإننا نعمل سوية بواجب الحراسة)[١٩]ويستشف من خلال النص ان رجال القبيلة عادة ما يكونون جاهزين بغية حراسة مدنهم ومناطقهم ويكونون متأهبين الى ذلك ويقوم الملك او من هو المسؤول عنهم بتعيينهم كحراس للمدينة،في حين يشير نص اخر الى أولئك الرجال الذين ينذرون انفسهم الى المعبد في احيان معينة يكونون بدلاء عن حراس المدينة الداخليين والذين عادة ما يكونون منشغلين بحروب خارجية او اعمال اخرى تناط بهم من قبل مسؤوليهم او من قبل الملك(يجب ان يجمعوا الاشخاص المنذورين الى المعبد ليقوموا بواجب الحراسة داخل المدينة)[٢٠].في حين تناط اعمال الحراسة الى اشخاص ليقوموا بحراسة المدينة بكاملها(الان انا ارسلت بحدود ٦٠٠ شخص الى حارس مدينة شمشارة)[٢١]وفي نص اخر(انا ارسلت الرجال لكي يخدموا في المدينة الفلانية ويخدموا كحرس في المعبد(البيت))[٢٢] وفي نص اخر(انا سوف احرس المدينة الفلانية لسيدي الملك لأنها مدينة اجدادي)[٢٣].

وتوضع المشاعل لإنارة المدينة وممراتها وطرقها الخاصة والمسؤول عن وضع هذه الانارة هم حراس المدينة انفسهم(مشاعل الاضاءة لحراس المدينة موجودة في الشوارع وفي الممرات)[٢٤]وبما ان الاسوار والابراج والقلاع تبنى في المدن لزيادة تحصينها وامنها من المخاطر الخارجية كان من الطبيعي ان يكون هناك اشخاص في هذه المظاهر لإدارتها والعمل بها وقد بينت لنا النصوص المسمارية العديد من الحراس الممتهنين لها(انه الحارس الذين عين مسؤولا فهو حارس على قلعة اشور)[٢٥] وفي نص اخر(على الحرس ان لا ينزلوا من القلعة)[٢٦]،وفي نص اخر(فيما يتعلق بواجب الحراسة الخاص

بقبائل الاورارتيين،حالما يدخلوا مدينة قربان kurban ممكن للرسل او المبعوثين المغادرة)[٢٧].في حين يرسل الملك حراسا يعهد اليهم ايصال او جلب اشياء معينة والتي يحرس على وصولها بأمان(سيدي عليه ان يعهد له الحراسة والذي هو ممكن ان يحضر الاخيزو هنا بامان āḫizu)[٢٨].

ثانيا:-حراسة البوابات:-

اما بوابات المدينة فيعين لها حراس ايضا الذين يقومون بحراستها وتنظيم دخول وخروج الوافدين والخارجين منها(بالإضافة الى جنود البوابة عشرة جنود ايضا لحراسة بوابة المدينة ليسوا بكافين)[٢٩]وفي نص اخر(حراس بوابة المدينة وضعوا الشعار على الجهة اليمنى واليسرى من البوابة وهم اشعلوا كومة من الحطب للإضاءة حتى بزوغ الفجر)[٣٠] ،ومما يلاحظ على واجبات الحراسة ان البعض منها يتم بصيغة المناوبة بين الحراس(الرجال والخيول نظموا بشكل متناوب لكي يقوموا بواجب الحراسة في ولاية ملكي ،سيدي)[٣١].اما الدخول والخروج للمدينة فقد كان في بعضها يتم من خلال دفع ضريبة معينة تسمى ضريبة الدخول(اشبه بالفيزا في الوقت الحاضر)وكذلك ضريبة الخروج(انا دفعت سدس الشيقل من الفضة كضريبة دخول(الى المدينة) دفعتها الى الحراس)[٣٢]،اما فيما يتعلق بالعالم السفلي فلقد كان له حراسه الخاصين به(حراس العلم السفلي سيكونون جادين في معاملة الحراس----)[٣٣].

ثالثا:-حراسة القصر:-

يعتبر القصر البناية الدنيوية الاكثر اهمية في المدينة فهي مقر الدولة وبيت الملك وفيه من العاملين والخدم ما يناسب والقيام بمتطلباته وكانت الحراسة من ضمن الاعمال التي اخذت حيزا لها في القصر وقد اشارت النصوص المسمارية الى ذلك (فيما يتعلق بالقصر خذ الاشياء على محمل الجد وطبقا لذلك فان الحراس سيعطوا تعليمات طبقا لذلك)[٣٤] وهناك مشرف على القصر الذين يترتب عليه العمل بالإشراف على معظم عاملي القصر ومن ضمنهم الحراس(لقد تفحص كل من مشرف القصر والحراس ملابسها (ولكن يجب عليها ان لاتقف هنا اذا كانت ترتدي بشكل

صحيح)[٣٥]،وفي نص اخر اشارة الى ان عبيد القصر ممكن لهم ان يمارسوا ايضا مهنة حراسة القصر(هؤلاء هم عبيد القصر(ويعملون كـ)حراس في القصر)[٣٦].

رابعا:-حراسة الانهار:-

تعتبر المياه واحدة من اهم مقومات قيام الحضارة وهي العصب الرئيس لنشوء اي حضارة ولما كانت بلاد الرافدين تضم في جنباتها نهرين عظيمين هما دجلة والفرات فقد كان لهما دورا بارزا في هذه الحضارة.

ولم تكن مهنة الحراسة بعيدة عن الانهار والقنوات اذ اشارت النصوص المسمارية الى حراسة الانهار من قبل اشخاص مكلفين بذلك(سوف نبقى مرابضين على النهر كحراس حتى يصلنا امر من الملك ،سيدي)[٣٧]،ام المثال الاخر فينطبق على حراسة القنوات الاروائية(كل واحد عليه ان يحرس حصته من القناة)[٣٨] ويستشف من خلال ذلك ان كل انسان او مزارع يحصل على المياه للسقي من القنوات هو مسؤول على حصته وانسياب الماء الى ارضه علما ان النصوص المسمارية تثبت ان هناك مفتشي لهذه القنوات الاروائية.

وتتطلب في احيان معينة حراسة النهر الى النزول اليه في سفينة وتتم الحراسة على متن هذه السفينة(في اليوم الاول بعد ان غادرنا القصر بقينا ليلا في المدينة الفلانية وفي المساء سوف نبقى على متن السفينة اذ علينا ان نقضي الليل على النهر ونحرسه)[٣٩]،في حين يتطلب نقل الالهة من منطقة الى اخر الى التأكد من سلامة وصولها بتعيين حراس عليها على طول الطريق سواء اكان هذا الطريق بريا ام نهريا(عين الرجال في السفينتين والحراس من قوات النخبة وبهذا يمكن لهم ان يجلبوا الالهة بأمان الى مدينة بابل)[٤٠].

خامسا:-حراسة السجناء:-

كان للسجناء في بلاد الرافدين معاملة خاصة واساليب قاسية وخصوصا أولئك الذين يؤسرون في الحروب ويتم ايداعهم في سجون خاصة،وكانت هذه الاماكن تدار من قبل حراس يقومون بحراستهم وتدبير امورهم وقد امدتنا النصوص المسمارية بالعديد من

النصوص التي اوضحت مهنة الحراسة في السجون(اين في العلم كله هناك ثلاثون رجلا يحرسون الفين من السجناء؟)[٤١] ،وفي نص اخر (فلان سوف يجلب مع النساء(السجينات) احفظهم تحت الحراسة في زريبة الماشية)[٤٢]،وفي نص اخر(سوف يجلبوا الرجل الى هنا وفلان سوف يسلمه لهم تحت الحراسة)[٤٣].

سادسا:-حراسة الحقول والغابات:-

تعتبر الحقول واحدة من اهم روافد الاقتصاد في بلاد الرافدين لما تمنحه من غلة تمثل الحاجة الاساسية لديمومة الحياة وهو الطعام وتختلف هذه الحقول من حيث الحجم والزرع والنوع وقد اوردت لنا النصوص المسمارية اشارت حول حراسة الحقول من قبل اشخاص(فلان مسؤول عن سقي النخيل وحراسته،وتسليم التمور ومسؤول عن حراسة اعثاك التمر وعلى اعلى السعف(سعف النخيل))[٤٤].اما الغابات فقد كان لها حراسها ايضا(هل قام حراس الغابة بقطع الاشجار---- ام ان غريبا قام باقتطاعها)[٤٥].

سابعا:-حراسة الماشية:-

ايضا للماشية كان لها الحظوة في عملية الحراسة فقد اوردت لنا الكتابات امثلة على ذلك(ابذر الحقل واحرس الماشية-----).وبالتالي ممكن لنا ان نستشف من خلال هذا النص ان الفلاح ممكن ان يمارس بالإضافة الى عملية الزراعة عملية رعي الماشية.

ثامنا:-حراسة الاموال:-

كان للمال في بلاد الرافدين دورا مهما في العمليات الاقتصادية وشراء وبيع الحاجيات وغيرها واهم الاشياء العينية التي كانت تمثل المال هو الفضة ولقد اوردت لنا النصوص المسمارية امثلة حول حراسة الاموال والممتلكات(هو زيد حراسه على ماله)وهذا دليل على ان كثرة الحراس تعكس كثرة المال وقلتهم تعكس قلته.

تاسعا:-حراسة الطرق:-

اما الطرق التي كانت تستخدم في العمليات التجارية فقد داب الملوك في ان تكون امنة لسير القوافل التجارية وقد اقاموا في مناطق مختلفة منها محطات تجارية ووضع حراسا على هذه المحطات(سرعان ما سوف يتولوا واجب الحراسة في هذين المحطتين من الطرق)[٤٦].

٤-اجرة الحراسة:-

من المعلوم ان لكل عمل اجره الخاص به وهذا الامر ينطبق على مهنة الحراسة،وبطبيعة الحال تختلف اجرة الحراسة والحارس تبعا لاختلاف ماهية المكان الذي يتم حراسته او عمل الحراسة وكذلك زمن او وقت الحراسة وقد اشارت النصوص المسمارية الى معلومات تتعلق بأجرة الحراسة(شيقلا واحدا للحرس في بوابة الترس)[٤٧] ومما يلاحظ من هذا النص ان اجرة الحارس الواحد في احدى البوابات اعطيت بالفضة ومقدارها شيقلا واحدا في حين يشير نص اخر الى اعطاء معدن القصدير الى احد الحراس(منان من القصدير اما ان تعطى الى الحارس----)[٤٨].

٥-الجيش والحراسة:-

يعد الجيش واحد من المظاهر الحضارية المهمة في بلاد الرافدين فبه تتمكن البلاد من حفظ الامن والعيش بسلام وبالتالي حدوث نوع من الاستقرار الاجتماعي والسياسي ومن جهة اخرى فهو مفتاح الفتوحات التي طالت مدن عديدة خارج بلاد الرافدين وسلاح فتاك ضد كل المتمردين والخارجين عن القانون وبذلك نرى حكام وملوك بلاد الرافدين قد اولوا الاهتمام الكبير بالجيش من حيث العدة والعدد وقد صورت لنا الكتابات الملكية وخاصة الاشورية منها وما يتعلق بالحملات العسكرية اصنافا ومعدات وملامح عكست لنا ماهية الجيش ووضحت الصورة العامة للجيش ووحدات العسكرية[٤٩]،لقد ارتبط الحراسة بنحو او باخر بالجيش اذ اشارت الكتابات المسمارية الدور الذي لعبته الحراسة والحراس بالجيش والتنظيمات العسكرية اذ شكلت الحراسة صنفا من اصناف الجيش كما يشير الى ذلك احد الكتابات المسمارية التي تعود الى الملك اسرحدون(لم

اكن لانتظر جيشي،ولم اكن لأمر جمع الحراس ولم اتفحص بعد تعيين الخيول)[٥٠] وتتبع الاساليب التكتيكية في الحروب والمعارك ويشارك الحرس في رصد تحركات العدو وحراسة الجيش من تحركات العدو غير المرئية بالنسبة له وعادة ما يكون هؤلاء الحراس عند اطراف الجيش او وراءه(عد الى الوراء بجيشي(وبذلك)فان العدد سوف يرى فقط الحراس الخلفيين لجيشي).وتسمى الوحدة المناطة بالحراسة بوحدة /كتيبة الحراسة وهي مسؤولة كما اشرنا الى حراسة الجيش اما الحراس الخلفيين للجيش فيدعون باللغة الاكدية بـ arkatu وفي اللغة السومرية (EGIR(.MEŠ [٥١] ان مثل هؤلاء الحراس يشكلون سورا منيعا محصنا للجيش(قواته الحربية تمركزت في القلعة وقد اثبت ولائه له وحراسهم الشخصيين قد احاطوا القوات القتالية بسور منيع)[٥٢] كما ان هناك نوع من هؤلاء الجند يعرفون بالحراس الملكيين(لقد وافق كل من موظف المدينة ورئيس بلديتها والحرس الملكي على النحو الاتي----)[٥٣] لقد وضعت اصناف الجيش ليقوم كل منهم بعمله الخاص به دون ان تناط له مهمة اخرى الا عند الضروريات القصوى فممكن للجندي المحارب ان يقوم بمهام اي نوع من انواع الحراسة كحراسة الاسوار(الجنود الذين اعتلوا سور المدينة كحرس لها)[٥٤] في حين يشير نص اخر الا وجوب ان لا يكون الجنود كحراس للمخازن (الجنود ينبغي ان لايقفوا كحراس في مدخل المخزن)[٥٥].وهناك نوع من الحراسات تهتم بالبوابات الرئيسية للمدينة اذ اشارت النصوص المسمارية الى اجور هؤلاء الحرس التي تقدر بنحو شيقلا واحدا(شيقلا واحدا في بوابة الترس(اسم البوابة))[٥٦] ،وقد يضع بعض من هؤلاء الحراس رموزا معينة في بوابات المدينة ذات اغراض دينية اهمها الحفظ والحماية(هناك حراس في بوابتي قد وضعت رمز الكيدنو kidinnu للحماية والحفاظ)[٥٧]،وترتبط مع حراس البوابات بعض الشؤون الفائلية اذ يشير نصا مسماريا الى معطيات فائليه تشير الى طالع هجرة كتيبة الحراس وهروب حرس البوابات(--- وحدة كتيبة الحراس سوف تهجر والحرس في البوابة سوف يفروا هاربين)[٥٨]،ومن جهة اخرى فهناك حراسة القلاع التي تناط للحراس ايضا(على الحرس ان لا ينزلوا من القلعة خلال الليل وخلال اي وقت اخر)[٥٩].والبعض

الاخر من الحراس يرتبط بحراسة المدينة برمتها(فلان احد حراس المدينة والذي هو تحت امرتي قد فر)[٦٠]

٦-مضامين اخرى:-

ارتبطت مهنة الحراسة ارتباطا وثيقا بالمجتمع واثرت وتأثرت به فكرا وعملا وهناك اشارات متعددة ارتبطت بالحالة الاجتماعية وعلاقتها بمهنة الحراسة فيشير احد النصوص ان الاختام التي يقتنيها افراد المجتمع البعض منها (بحسب اعتقادهم)يكون محروسا(اذا ما وثقت بختمه المحروس بقوة)[٦١].او ان يرسل حراس مدنيين الى احد الاشخاص من قبل شخص ما(فلان لم يكن ليحشد مجموعة الحراس لفلان في اليوم الثالث).ان واجب الحراسة المدنية ممكن ان يناط الى اشخاص معينين يقومون بواجب الحراسة ويرتبط عملهم بحراسة الامور المدنية المتعلقة بغيرهم من الاشخاص كحراسة المال والمخازن والبيوت وغيرها ومن ضمنها تلك النصوص المسمارية التي اشارت الى حماية المال او الفضة (ضع حارسا جيدا يحرس الفضة ولاتهمل حراسة الفضة)[٦٢]،وهناك الحراس الخاصين بالحقول (انا كتبت الى فلان لعدة مرات حول فصل الحراس الذين كان قد نصبهم على حقل فلان ----)[٦٣]او ان تطلب قضايا عينية مقابل الحراسة وخاصة المؤن التي ترتبط ارتباطا وثيقا بديمومة حياة الانسان(رجاءا امنحنا ٦ من المؤن والهدايا وسوف نقوم لك بواجب الحراسة)[٦٤] في حين يذكر نصا اخر اعطاء قصدير كأجرة للحراس بدلا من الفضة او المؤن(منان من القصدير اما ان تعطى الى الحرس او ان تعطى الى الغرف المشيدة او الى اطعام الحمار)[٦٥]،وعند افتقار تواجد الحرس في مكانهم الصحيح يستطيع اي شخص هارب ان يتحرك بحرية ويفعل ما يشاء(هو هرب ولكنه سرعان ما ظهر في منصبه في معبد الاكيتو akītu لذلك لم يكن هناك اي حراس)[٦٦]، اما اذا بدر اي تقصير من قبل الحارس في اداء مهمته بالصورة المراد منها ان يقوم بها فانه سيكون عرضة لفقدان مهنته(فيما يتعلق بحراسهم عندما رايتهم بانهم اصبحوا ضعفاء ومرهقين ارسلت امرا بإقالتهم)[٦٧]في حين يشتكي احدهم الى مغادرة ابيه وامه له لذلك لم يبقى من يحميه ويحرسه(ابي وامي قد

غادرو(دون ان يكون هناك حرس لي او يحميني)[٦٨] وهي اشارة الى اعطاء الابوين مكانة مهمة لدى الاسرة في المجتمع العراقي القديم فالأب هو المعيل والحامي من كل ما يمكن ان يواجه الاسرة من نكبات في ظل الظروف المتباينة في المجتمع. ولم تقتصر مهنة الحراسة على الرجال دون النساء فقد انيط مهمة الحراسة الى النساء ايضا في امكان معينة وظروف معينة كما يشير الى ذلك احد النصوص(على النساء الاربعة اللواتي على الحراسة ان لا يتامرن لكي يخلع الذهب من التماثيل)[٦٩]

وقد ذكرت مهنة الحراسة في القوانين العراقية القديمة فالقانون المعروف بقانون اشنونا ذكر في مادته السادسة والثلاثون اشارة صريحة حول حارس البيت ومسؤوليته تجاه مالك البيت وممتلكاته(اذا ما انهار بيت رجل سوية مع ممتلكات المودع مالا فيه والذي كان قد سلمه الى حارس------)[٧٠].

الاستنتاجات:-

١- ان مهنة الحراسة من المهن المهمة في حضارة بلاد الرافدين وانها بزغت مع بداية الاستيطان في بلاد الرافدين.

٢- عكست لنا الاسماء المختلفة للحراس والحراسة وما يتعلق بهذه المهنة انواعا متعدد من الحراسات البعض منها كان دينيا والبعض الاخر دنيويا.

٣- تعددت انواع الحراسة بتعدد الحياة اليومية وتنوعها ويمكن ايجازها بالاتي:-

أ-حراسة المدن والشعوب والقبائل.

ب-حراسة البوابات.

ج-حراسة القصر

د-حراسة الانهار

هـ-حراسة السجناء.

و-حراسة الحقول والغابات.

ز-حراسة الماشية.

ح-حراسة الاموال.

ط-حراسة الطرق.

ي-حراسة المعبد.

٤- تراوحت اجرة الحراسة ما بين شيقل واحد من الفضة الى منين من القصدير.

٥- لم تقتصر هذه المهنة على البشر بل تعددت الى العديد من الالهة ومنهم الاله شمش وعشتار وغيرهم.

٦- لم تقتصر مهنة الحراسة على العالم العلوي(عالم الاحياء) بل تعداه الى العالم السفلي.

٧- لم تقتصر هذه المهنة على الرجال دون النساء ولا على طبقة دون اخرى بل ممكن ممارستها من قبل الجميع.

٨- البعض من الاشخاص كانوا يمارسون مهنة الحراسة الى جانب مهن اخرى كالزراعة وخدمة القصر وغيرها.

٩- امدت مهنة الحراسة لتشمل البر والبحر والطرق والممرات والمحطات التجارية.

المصادر العربية:-

اسماعيل،بهيجة خليل،((الجيش والسلاح في العصر الاشور))،موسوعة الموصل الحضارية،المجلد الاول،ط١،الموص(١٩٩١).

السعدي،حسين عليوي عبد الحسين،وظائف الالهة في بلاد الرافدين ،اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الادب/جامعة بغداد(٢٠١٥).

الراوي،فاروق ناصر،((التعبئة واساليب القتال في الجيش الاشوري))،الجيش والسلاح،الجزء ٢،بغداد(١٩٨٧).

عبد الله ،يوسف خلف،الجيش والسلاح في العصر الاشوري الحديث،ط١،بغداد(١٩٧٧).

المصادر الأجنبية:-

-Black,J and others,A Concise Dictionary of Akkadian ,London (1999) (=CDA).

-Borger,R, Die Inschriften Asarhaddons Köng von Assyrien Published in(Afo,9),Germany (1967),(=Borger Esarh).

-budge,E.A.W., Cuneiform texts from Babylonian tablets,&c. in the british museum.,London(1910).(=CT,Vol.29).

-Clay,A.T, Documents from the Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers. Philadelphia (1912), (PBS,2/2).

-Dossin,G, Correspondance DE ¯AM¯IADDU, Paris (1950) ,(=ARM,1).

----------, Lettres de la Première Dynastie Babylonienne, Paris(1934), (=TCL,18).

----------.,Archive royales de mari,paris(1946).(ARM,Vol.1).

-Dougherty,R.P, Records from Erech,Time of nabonidus(555-538 B.C), Yale university press(1920),(=YOS,Vol.6).

-Ebeling,E., keilschrifttexte aus Assur religioseen inhalt,Leipzig(1920) .(=KAR,band 1/2).

-Frayne,D., Sargonic and Gutian Periods(2334-2113 BC), London(1994) (=RIME,2).

-Gelb,I.J.and others, the Assyrian dictionary, London(1946ff).(=CAD).
-Goetze,A, Old Babylonian Omen Texts, Oxford (1947),(=YOS,10).
----------, The Laws of Ashnunna,New haven (1956),(=Goetze LE).
-Keiser,C.E,Letters and contracts from erech written in the neo-babylonian period, London(1918).(=BIN,1)
-Harper,r.f.,Assyrian and Babylonian letters,Chicago(1902).(=ABL).
-Jean,C.F, Letters Diverses,Paris(1950),(=ARM,2).
-King,L.,W., The Letters and Inscription of -AMMURABI,London(1900)(=LIH).
-Lacheman,E.R, Miscellaneous Texts from Nuzi,the Palace and Temple Archives, (=HSS,14), Landon(1950).
-Lambert,W.G., Babylonian Wisdom Literature, Oxford (1960). (=Lambert BWL).
-Lutz,H.F, Early Babylonian Letters from Larsa, ,Oxford,(1917),(YOS,2).
-King,L.W, Babylonian magic and sorcery, London(1896).(=BMS).
-------, The Letters and Inscription of-AMMURABI,London(1900),(=LIH).
-Pinches,T.G.,Cuneiform texts from Babylonian tablets,&c.in the british museum, London(1896).(=CT,2).
-Thompson,R.C.,The epic of Gilgamesh,camberige(1928)(=Gilg).
-Tremayne,A.,Records from erech time of cyrus and Cambyses(538- 521B.C),London(1925).(=YOS,Vol.7).

Abstract

Provided us with cuneiform texts in both the Sumerian and Akkadian large numbers of trades and crafts practiced in Mesopotamia as well as through archaeological remains the function of these professions and trades, and depending on it went the eyes of the researcher in choosing a career guard as one of the important professions in Mesopotamia, which is directly to the security linked citizens and the stability of his life, as we approached the guard rude and idiomatically and labels cuneiform own keeper and the guard and the most important signals about the cuneiform guard.

الهوامش :

[١] حول وظائف الالهة.يراجع:-
السعدي،حسين عليوي عبد الحسين،وظائف الالهة في بلاد الرافدين ،اطروحة دكتوراة غير منشورة،كلية الادب/جامعة بغداد(٢٠١٥).

[2] BIN,1,93:3ff;CAD,A/1,P.320:b
[3] KAR,58:46ff;CAD,B,P.49:a
[4] PBS,7,105:11ff;CAD,B,P.49:b
[5] CAD,D,P.78.
[6] CAD,D,P.85:b
[7] CAD,D,P.188:a
[8] KAR,26:26ff;CAD,E,P.73:a
[9] Gilg.,pl.10,Rm.289:1ff;CAD,E,P.275:a
[10] Borger Esarh,63,v.53ff;CAD,A/1,P.184:b
[11] CAD,A/2,P.155:a
[12] CAD,B,P.15
[13] CAD,B,P.244:a
[14] ABL,633:15ff;CAD,D,P.89:b
[١٥] لم نكتب اسماء المدن لعدم ورودها في المصدر وفضلنا ترجمتها على نحو الفلانية للدلالة على اسم ما،حول هذا النص.يراجع:-
CAD,A/1,P.381
[16] RIME,Early period,Vol.2.PP.84-182.
[17] RA,16,161:8ff
[18] AKA,44,ii,65
[19] ABL,378,r.2ff;CAD,A/1,P.166:b

[20] BIN,1,169:21ff;CAD,A/1,P.383:a
[21] CAD,A/2,P.147:b
[22] EA,294:20ff;CAD,A/2,P.220:a
[23] EA,179:29ff;CAD,A/1,P.75:a
[24] CAD,A/1,P.383:a
[25] CAD,B,P.262:a
[26] Kraus AbB,1,2:17ff
[27] ABL,123:7ff;CAD,B,P.273:b
[28] ARM,2,16;CAD,A/1,P.192:b
[29] TCL,18,77:7ff;CAD,A/1,P.84:b
[30] CAD,A/1,P.85:b
[31] ABL,503:13;CAD,A/1,P.167:a
[32] CCT,5,32b:7ff;CAD,E,P.293:a
[33] CAD,D,P.85:b
[34] CAD,A/1,P.181:a
[35] AfO,17,274:45ff;CAD,A/1,P.15:b
[36] CAD,A/2,P.211:a;HSS,14,615:21ff
[37] ABL,433,r.15FF;CAD,A/1,P.118
[38] TCL,9,109:19;CAD,B,P.163:a
[39] ABL,433:5ff;CAD,B,P.171:b
[40] LIH,34,21ff;CAD,B,P.211:b
[41] ARM,1,43:6ff;CAD,A/1,P.211:a
[42] UET,4,188:15ff;CAD,A/2,P.48
[43] PBS,2/2,55:7ff;CAD,A/2,P.52:a
[44] VAS,5,11:10ff;CAD,A/1,P.54:a
[45] TCL,7,20:23ff;CAD,A/1,P.192:b
[46] ABL,414,r.5ff;CAD,B,P.133:b
[47] AfO,19,79 Amherst 258:13ff;CAD,A/2,P.270:a
[48] TCL,20,165:1ff;CAD,A/2,P.128:a

[٤٩] حول الجيش والسلاح في بلاد الرافدين،ينظر:-
اسماعيل،بهيجة خليل،((الجيش والسلاح في العصر الاشور))،موسوعة الموصل الحضارية،المجلد الاول،ط١،الموص(١٩٩١);
عبد الله ،يوسف خلف،الجيش والسلاح في العصر الاشوري الحديث،ط١،بغداد(١٩٧٧);
الراوي،فاروق ناصر،((التعبئة واساليب القتال في الجيش الاشوري))،الجيش والسلاح،الجزء ٢،بغداد(١٩٨٧).

[50] Borger Esarh,44,I 64f;CAD,A//2,P.17:b
[51] CAD,A/2,P.274:b
[52] CAD,,E,P.128
[53] ABL,1034:10ff
[54] CAD,D,P.193:b.

[55] CT,2,17:26f;CAD,B,P.15b.
[56] CAD,A/2,P.270:a
[57] CAD,B,P.15.
[58] YOS,10,33 v.32ff
[59] CAD,D,P.196:a
[60] CAD,A/1,P.383:a
[61] Lambert BWL,102:82ff;CAD,A/1,P.330:b
[62] YOS,2,11:12ff;CAD,D,P.49:a
[63] TCL,7,36:15ff
[64] YOS,7,156:6ff;CAD,A/2,P.123:b
[65] CAD,A/2,P.128:a
[66] YOS,7,89:4ff
[67] ABL,543:r.3ff;CAD,E,P.166:b
[68] Lambert BWL,70:11ff
[69] CAD,E,P.147:a
[70] Goetze LE,&36:14ff

موقف العراق من الخلاف
الاردني - الفلسطيني ١٩٦٤- ١٩٧٢

أ.د خليل ابراهيم المشهداني
كلية الآداب- جامعة بغداد

م.م زهراء عبد العزيز سعيد
كلية التربية للبنات
الجامعة العراقية

موقف العراق من الخلاف الاردني – الفلسطيني ١٩٦٤– ١٩٧٢

أ.د خليل ابراهيم المشهداني

م.م زهراء عبد العزيز سعيد

المقدمة :

لقد ترتبت نتائج مهمة على حرب ١٩٤٨ افقدت الشعب الفلسطيني مقوماته الكيانية كالأرض والسيادة والشعب، وفرضت الوصاية العربية على القضية الفلسطينية، واسهمت في اسقاط حكومة عموم فلسطين، وفي ضعف الاحساس بالهوية والكيان الفلسطيني في فترة الخمسينيات نتيجة توزع الشعب الفلسطيني على الاقطار العربية المجاورة وتشتت ولاء ابناء فلسطين بين الحكومات العربية وعندما بدأت ارهاصات الكيان الفلسطيني على المسرح السياسي اخذت النزعة الفلسطينية تقوى ورفع ابناء فلسطين شعار تحرير فلسطين الطريق الى الوحدة العربية بدلاً من شعار الوحدة العربية الطريق الى تحرير فلسطين وتحت اجواء مؤتمر القمة العربي الاول انشأت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ وبموافقة الاردن على قيام المنظمة بدأت مرحلة جديدة كالخلافات الاردنية– الفلسطينية تمثلت في المنافسة على الارض والشعب.

طرحت فكرة تشكيل حكومة فلسطينية عدة مرات في أثناء اجتماعات اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية منذ أن عقد مؤتمر عالية في تشرين الأول١٩٤٧، إلا أن الفكرة رفضت من قبل العراق والأردن[١]. ثم جاءت فرصة تشكيل الحكومة في أثناء الاجتماع الذي عقدته الإدارة المدنية الفلسطينية في غزة بتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٤٨ برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي[٢]، إلا أن الحكومة الأردنية استمرت في مساعيها لمنع تشكيلها وفي محاولةً لضم الضفة الغربية أعلن مجلس الأمة الأردني قراراً بتوحيد الضفتين في ٢٤ نيسان١٩٥٠[٣]، وجرت محاولات من قبل الحكومة العراقية بالتدخل لإقناع الملك عبد الله بالتخلي عن ضم الضفة[٤]، إلا أنه أوضح ان

القرار أصبح نهائياً وتم مصادقته من قبل مجلس الأمة الأردني[٥]. وبذلك لم تثمر جهودها في إقناع الملك عبد الله بالتخلي عن قرار الضم. وحسم الأمر بين حكومة عموم فلسطين والحكومة الأردنية في ١٢ حزيران ١٩٥٠، بوضع الضفة الغربية تحت الإدارة الأردنية وعدَ حكومة عموم فلسطين ممثلة لجميع الفلسطينيين إلى حين تسوية القضية الفلسطينية[٦]. وبذلك انحسر نفوذ حكومة عموم فلسطين عن الضفة الغربية وعن الفلسطينيين المقيمين في الأردن مع العلم أَنهم يشكلون الغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني ومع مرور الزمن أصبح عمل حكومة عموم فلسطين يقتصر على متابعة الفلسطينيين المتواجدين فقط في الأراضي العربية المحتلة[٧]. واستمر الحال حتى الإعلان عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية في أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي الأول١٩٦٤.

وافقت الحكومة الأردنية على تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية بعد جهود حثيثة لمنع دمج الفلسطينيين بالدولة الأردنية والدفاع عن القضية الفلسطينية وتمثيل الفلسطينيين. ودخلت في نزاع بشأن هذه الأمور التي عدتها الحكومة الأردنية خطوطاً حمراء لا ينبغي للمنظمة التجاوز عليها مما كان سبباً في الصراع بين الجانبين قبل حرب حزيران١٩٦٧[٨].

في ٢٣ كانون الأول ١٩٦٣ دعا الرئيس المصري جمال عبد الناصر في الخطاب الذي أَلقاه في بورسعيد، الملوك والرؤساء العرب لحضور مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة يوم ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤[٩].

وكان الملك حسين معارضاً للحضور إذا ما طرح موضوع تمثيل وتنظيم الفلسطينيين وكانت هذه أول محاولة من الأردن بمعارضة دعوة أحمد الشقيري لحضور مؤتمر القمة العربي الأول إلى جانب الملوك والرؤساء العرب لكونه ليس ملكاً أو رئيساً[١٠]. هذا فيما كان موضوع تأسيس الكيان الفلسطيني غير مطروح على جدول أعمال المؤتمر أساساً، لكن الفلسطينيين وجدوا فيه فرصة لإبداء استعدادهم للقيام بواجبهم في تحرير وطنهم، إذ حرص أحمد الشقيري على أن لا يكون المؤتمر مقتصراً على مناقشة مسألة تحويل روافد نهر الأردن وإنما لمعالجة القضية الفلسطينية برمتها

وأكد على ضرورة تأسيس كيان فلسطيني ينظم صفوف الفلسطينيين ليقوموا بدورهم في تحرير وطنهم(١١).

وضعت الحكومة الأردنية شروطاً قبلها أحمد الشقيري من أجل تأسيس الكيان الفلسطيني ومن أهمها:

١- أَن يتعاون الكيان الفلسطيني المزمع إنشائه مع الحكومة الأردنية وينسق معها.

٢- وضع الجناح المسلح لهذا التنظيم تحت إشراف القيادة العربية الموحدة(١٢).

يتضح من تلك الشروط أَن الحكومة الأردنية أرادت تحديد الغاية من تأسيس التنظيم الفلسطيني وحصره في المطالبة باستعادة الحقوق العربية في الأراضي الفلسطينية(١٣).

عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمتهم الثاني في ٥ أيلول ١٩٦٤ في الإسكندرية وفي سادس أيام المؤتمر تركزت المناقشات عن الكيان الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطيني وجيش التحرير الفلسطيني(١٤).

شكلت ولادة منظمة التحرير الفلسطينية انعطافاً هاماً في مسيرة القضية الفلسطينية وفي الحياة السياسية للشعب الفلسطيني، صحيح أَن الأردن قبل بتأسيس المنظمة إلا أن الخلاف سرعان ما حدث بين الجانبين على أمور كثيرة ومنها محاولة الشقيري تنظيم وتسليح الفلسطينيين في الأردن(١٥).

بدأت الخلافات بين الأردن والمنظمة في أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني الذي انعقد في ٥ أيلول ١٩٦٤ في الإسكندرية، وكان موضوع الخلافات حول تأسيس جيش التحرير الفلسطيني **(يتكون أفراد هذا الجيش من فلسطيني الأردن)** اعترض الملك حسين والحكومة الأردنية برئاسة بهجت التلهوني على ذلك رافضاً تجنيدهم وتوزيع الأسلحة عليهم، اعتقد الملك حسين أن ذلك يعني تقاسم السيادة في بلاده مع المنظمة وشعر أنها تنوي كسب ولاء الفلسطينيين من رعاياه(١٦).

لم يكن الملك حسين يريد أن يتم تدريب وحدات من جيش التحرير الفلسطيني على الأراضي الأردنية خشية من قيام أفرادها بشن غارات على **(إسرائيل)** مما قد يؤدي

إلى إعادة حالة التوتر على خطوط الهدنة وتعريض الضفة الغربية إلى خطر الاحتلال الإسرائيلي في وقت لم يكمل فيه الأردن بعد استعداداته للمواجهة[١٧].

وجد الملك حسين في مطالب المنظمة تهديداً لسيادته وعليه لم يقبل سوى بوجود رمزي لجيش التحرير على أرضه إلا أن ذلك لا يعني تراجعاً في سياسته المعارضة لمطالب المنظمة وتوجهاتها بل استمرت حكومته في ذلك متخذة إجراءات داخلية وخارجية لاحتوائها حتى تم التوقيع على اتفاقية آذار ١٩٦٦ بين الجانبين[١٨].

إلى جانب ذلك تأثرت السياسة الأردنية في تلك المدة بظهور حركة فتح، وذلك لسببين الأول بتبنيها النشاط الفدائي، والثاني رد إسرائيل على العمليات الفدائية بعمليات انتقامية استهدفت القرى الأمامية القريبة من خطوط الهدنة مما كشف ضعف القوات الأردنية وحمّل أحمد الشقيري الأردن مسؤولية ما يتعرض له سكان القرى الأمامية من أذى[١٩].

أضف إلى ذلك منع الفدائيين من عبور خطوط الهدنة لتنفيذ عملياتهم في فلسطين المحتلة فضلاً عن ذلك دمجت قوات الحرس الوطني بالجيش الأردني النظامي[٢٠]. تمسكت المنظمة بمطالبها وبالمقابل رفضت الحكومة الأردنية في تحقيق هذه المطالب ولو جزئياً فأمست هناك أزمة وخلافات بالرأي بينهما[٢١].

باختصار لم تكن الحكومة الأردنية تسمح للمنظمة بممارسة نشاطاتها التنظيمية والعسكرية باستقلالية لأن ذلك كان بمثابة خلق دولة داخل الدولة عند الأردنيين أو خلق سلطة تنفيذية إضافية مسؤولة عن الفلسطينيين، ما دام هؤلاء يشكلون ثلث سكان المملكة الأردنية فمن الخطورة السماح بذلك لأنه يجعل من الدولة الأردنية دولة فلسطينية يكون فيها الأردنيون أقلية لهذا حمّل عدنان أبو عودة أحمد الشقيري مسؤولية تدهور علاقات المنظمة بالأردن لأنه لم يول المخاوف الأردنية الرعاية ولم يعمل على تبديدها[٢٢]. يبدو أن كليهما وجد في انعقاد مؤتمر القمة في الدار البيضاء فرصة لإدانة الآخر والضغط عليه[٢٣].

عقد مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء **(المغرب)**، ١٣-١٧ أيلول ١٩٦٥ وفي أثناء عقد المؤتمر عرض الشقيري مطالب المنظمة وهي ذات المطالب إلا أن الملك حسين أبدى اعتراضه على تطبيق باقي هذه المطالب على أرضه[٢٤].

وبذلك خدم المؤتمر توجهات السياسة الأردنية لأنه لم يلزم الحكومة الأردنية سوى بمواصلة الحوار والمحادثات مع منظمة التحرير وبذلك جاء هذا المؤتمر مخيباً لآمال الشقيري[٢٥].

ونصت مقررات مؤتمر القمة **(الدار البيضاء)** على توقف الاتهامات والدعاية المضادة بين الدول العربية[٢٦].

دخل الجانبان **(الأردن والمنظمة)** في محادثات كثيرة وكانت أجواؤها تسودها الخلافات والتوتر وعليه فشل الجانبان في التوصل إلى اتفاق نهائي حول تسليح القرى الأمامية إضافة إلى ذلك فيما يتعلق بالتجنيد الإلزامي للفلسطينيين ودخول جيش التحرير والقوات العربية الأخرى إلى الأردن لأن هذا يعني من وجهة نظر الحكومة الأردنية توفير الحجج لقيام **(إسرائيل)** بمهاجمة الدول العربية قبل إكمال استعداداتها العسكرية[٢٧]. وتوصل الجانبان بوساطة جامعة الدول العربية الى عقد اتفاقية الاول من آذار عام ١٩٦٦ ونصت على ما يأتي[٢٨]:

١- إنشاء معسكرات لتدريب الشباب والطلاب.
٢- تسليح القرى والمدن الأمامية.
٣- إنشاء مكاتب للمنظمة في مراكز المحافظات.
٤- إعفاء المنظمة من رسوم الكمارك وأجور الهاتف والخدمات البريدية.

وكان لبقاء بعض القضايا دون التوصل إلى اتفاق بشأنها أثرها في فشل اتفاقية آذار عام١٩٦٦ وعودة التوتر بين الطرفين مما أدى إلى سحب الحكومة الأردنية اعترافها بالمنظمة[٢٩].

غير أن عوامل سياسية قادت إلى فشل هذه الاتفاقية بعد شهر من التوصل إليها ومنها تدهور العلاقات بين بعض الدول العربية الأمر الذي جعل سياسة الأردن تجاه المنظمة أكثر تشدداً[٣٠].

ازدادت حدة المشاكل بين الجانبين، ومما زادها تعقيداً الهجوم الإسرائيلي على قرية السموع، في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٦[٣١].

ومما زاد الطين بلة تبني منظمة التحرير العمل الفدائي المنظم داخل الأردن الأمر الذي عدته الحكومة الأردنية منافياً للتعاون الأردني كونه سيعرض الأردن إلى خطر ازدياد الاعتداءات الصهيونية[٣٢].

وبلغ الخلاف أوجه بين الأردن ومنظمة التحرير في شهر تشرين الثاني ١٩٦٧ بسبب صدور القرار **(٢٤٢)** عن مجلس الأمن في الثاني والعشرين منه وموافقة الحكومة الاردنية على القرار اعلاه وازدياد الهجمات الإسرائيلية على الأراضي الأردنية نظراً للعمليات الفدائية[٣٣].

وبالمقابل عمّقت الخلافات والتناقض بين الطرفين أدى إلى تفجير الخلاف داخل منظمة التحرير، إذ اتهمت المنظمات الفدائية أحمد الشقيري بالفشل في حربه السياسية ضد الحكومة الأردنية ورفضت المنظمات الفدائية عقلية أحمد الشقيري في العمل السياسي[٣٤].

بعدها تنحى أحمد الشقيري عن رئاسة المنظمة وقدم استقالته إلى الشعب الفلسطيني في ٢٤ كانون الأول ١٩٦٧ ليتسلم رئاسة المنظمة (يحيى حمودة) [٣٥].

تسلم يحيى حمودة، رئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد استقالة أحمد الشقيري، ومثل الشعب الفلسطيني في جامعة الدول العربية[٣٦].

تعرضت منطقة الأغوار في وادي الأردن إلى هجوم واسع من القوات الإسرائيلية في ١٥ شباط ١٩٦٨ وعلى أثر ذلك أصدر مجلس الوزراء الأردني قراراً في ١٧ شباط ١٩٦٨ منع فيه الفدائيين من اجتياز الأراضي الأردنية إلى إسرائيل[٣٧]. وكان لهذا القرار دوراً في التقارب بين حركة فتح[٣٨] ، ومنظمة التحرير الفلسطينية والجبهة

الشعبية، وأصدرت حركة فتح بياناً أعلنت فيه عدم التخلي عن سلاحها تحت أي تهديد[٣٩].

ولكن الملك حسين دعا في ٨ آذار ١٩٦٨ إلى ضرورة تنسيق العمل الفدائي مع الحكومة الأردنية[٤٠]، وفي ٢١ آذار ١٩٦٨ وقعت معركة الكرامة[٤١]، التي عدت نصراً كبيراً لصالح المنظمات الفدائية، وللحد من استمرار تسلسل الفدائيين قررت القوات الإسرائيلية تدمير قرية الكرامة التي كانت أحدى قواعد انطلاقهم لتنفيذ العمليات الفدائية داخل الأراضي المحتلة[٤٢] ، إزاء ذلك أعلن اللواء شاكر محمود شكري وزير الدفاع العراقي "إن أعمال الفدائيين الفلسطينيين تنبع من شعور كل المواطنين العرب بالدفاع عن حقوقهم المغتصبة" وأكد وزير الخارجية العراقي إسماعيل خير الله استنكار العراق الشديد للاعتداءات الإسرائيلية المستمرة[٤٣].

دخلت المنظمات الفدائية مرحلة جديدة بعد معركة الكرامة. وأصبح العمل الفدائي أساس عمل منظمة التحرير الفلسطينية فكان ذلك أحد عوامل الخلاف الطويل مع الحكومة الأردنية لأن منظمات المقاومة الفلسطينية اتخذت من الأراضي الأردنية أحد المنطلقات الأساسية للعمل الفدائي ضد قوات الاحتلال الصهيوني في الأراضي المحتلة[٤٤]. وفي ٣ شباط ١٩٦٩ وتولى ياسر عرفات[٤٥] رئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ المنظمة وإيذاناً بسيطرة الفدائيين على تشكيلاتها عندها أدرك الملك حسين أن هذا التطور يعني استمرار الخلاف بين الجانبين[٤٦].

تزامنت تلك التطورات مع اجتماع الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، الاتحاد السوفيتي، فرنسا) في ٤ نيسان ١٩٦٩ من أجل إحلال السلام في الشرق الأوسط وإيجاد تسوية سلمية للقضية الفلسطينية. وقد بارك الملك حسين هذه المحادثات وأوضح أَن الأردن مستعد لتقديم تسهيلات كبيرة من أجل تحقيق السلام[٤٧]، ورداً على تصريحات الملك حسين قام الفدائيون بقصف ميناء ايلات الإسرائيلي في ٥ نيسان ١٩٦٩[٤٨]، وجاء رد الجيش الإسرائيلي على ذلك بقصف ميناء العقبة[٤٩].

على أثر ذلك قامت السلطات الأردنية من جانبها باعتقال الفدائيين الذين نفذوا الهجوم على ميناء ايلات في ١٠ نيسان ١٩٦٩، وأعلن الملك حسين في اليوم نفسه عن مشروع لحل القضية الفلسطينية مكون من ست نقاط طالب فيه (إسرائيل) بالانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها في ٥ حزيران ١٩٦٧ وقال: "على إسرائيل أَن تملك أما الأرض أو السلام وليس كلاهما"(٥٠).

جاء موقف الحكومة العراقية مسانداً للعمل الفدائي على لسان الرئيس العراقي في ١٤ نيسان ١٩٦٩ موضحاً أَن العمل الفدائي سيشهد تطوراً مهماً وستدخله عناصر جديدة شابة وثورية ومؤمنة بالمسألة القومية، وبخصوص مشروع الملك حسين انتقدت الحكومة العراقية في ١٧ نيسان من العام نفسه المشروع موضحةً "ان شعبنا يرفض المساومات والحلول التصفوية" "والقضية الفلسطينية لم تعد ملكاً لأفراد معنيين من الحكام العرب أو المسؤولين لأنها أصبحت قضية شعب بأكمله صمم على خوض معركة التحرير"، وفي ٢٢ نيسان أصدرت الحكومة العراقية بياناً حملت فيه على مشروع الملك حسين جاء فيه: "إن حملة التضييق على العمل الفدائي بدأت في الأردن، عندما عرض الملك الأردني مقترحات كمقدمة لإجراءات متوقعة ومحتملة من أجل فرض تسوية على حساب الشعب العربي"(٥١).

وبسبب استمرار الخلافات تصاعدت حدة الاشتباكات العسكرية عام ١٩٦٩م بين القوات الأردنية وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية فكانت حصيلتها نشوب معارك أيلول عام١٩٧٠(٥٢).

شهد عام ١٩٧٠ صداماً سياسياً وعسكرياً مهد لاندلاع أزمة جديدة بين الأردن ومنظمة التحرير أدت إلى اندلاع معارك أيلول ١٩٧٠(٥٣)، وصادف أَن تعرض الملك حسين إلى محاولة اغتيال يوم ٩ حزيران ١٩٧٠(٥٤)، فكان ذلك عامل آخر أسهم في تصعيد الأوضاع والمطالبة بإخراج المنظمات الفدائية الفلسطينية من الأردن.

ومن جانبها سارعت الحكومة العراقية وأرسلت برقية إلى ياسر عرفات أبلغته بوقف القصف بأسرع ما يمكن وأَن القوات العراقية وضعت تحت الإنذار وستوجه إلى المنطقة في حالة عدم توقف القصف(٥٥)، ثم وجهت نداءاً في ٩ حزيران ١٩٧٠ طالبت

فيه بالكف عن القتال ووقف إطلاق النار بين الجانبين وفي العاشر من حزيران ١٩٧٠ عقد اجتماعاً في القصر الملكي بحضور الملك حسين وياسر عرفات وأعضاء من الحكومة الأردنية واللجنة المركزية لمنظمة التحرير وعدد من المسؤولين العراقيين وتم التوصل إلى اتفاق بوقف إطلاق النار إلا أن القتال استمر بين الجانبين[٥٦].

وعلى وجه السرعة زار وفد عراقي برئاسة نائب رئيس الجمهورية (صالح مهدي عماش) الأردن في ١١ حزيران للوساطة بين الجانبين[٥٧] وبفضل الوساطة العراقية توصل الجانبان الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى اتفاقية جديدة نصت على تشكيل لجنة مشتركة للتحقيق في أسباب الحوادث وبناء على ذلك توقفت الاشتباكات يوم ١٣ حزيران ١٩٧٠ وبدأت الحياة الطبيعية تعود إلى عمّان والمدن الأخرى تدريجياً[٥٨].

تزامن ذلك مع تطورات إقليمية ودولية، منها اجتماع القادة العرب في طرابلس في ليبيا من ٢٠-٢١ حزيران ١٩٧٠ وتوصلوا إلى قرار يقضي بتشكيل لجنة رباعية مهمتها التنسيق بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية لإنهاء المشكلات بينهم[٥٩]، وفي الوقت نفسه أعلن وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي رسمياً عن مبادرته لحل النزاع بين الأردن ومصر و(إسرائيل) في ٢٥ حزيران من العام نفسه. ذكر هنري كيسنجر[٦٠] بعض النقائض في هذه المبادرة منها: عدم مراعاة رغبة إسرائيل في الحصول على السلاح الأمريكي من جهة وكونها لم تتضمن شيئاً فيما يتعلق بوجود القوات السوفيتية في مصر[٦١] وهكذا كانت مواجهات حزيران بين الأردن ومنظمة التحرير كسابقتها في شباط لم تحسم الخلافات بين الجانبين وفي الوقت الذي مضت فيه اللجنة الرباعية العربية في مهمتها للتوصل إلى اتفاق بين الجانبين جاءت موافقة الأردن على مبادرة وليام روجرز فاحبطت مهمة اللجنة الرباعية وتأزمت الأوضاع مما أدى إلى اندلاع معارك أيلول١٩٧٠ بين الفصائل الفلسطينية والجيش الأردني[٦٢]. وفي ضوء ذلك أكد الرئيس العراقي في ٢٥ حزيران ١٩٧٠ "أن المقاومة ظاهرة إيجابية

وسيتمكن الشعب الفلسطيني من فرض قضيته العادلة على الرأي العام الدولي وكسب عطف الأحرار في العالم"[٦٣].

باركت الحكومة العراقية النتائج التي توصلت إليها اللجنة الرباعية التي أوكلت إليها مهمة السعي لتوحيد العمل الفدائي وتحديد العلاقة بينه وبين الحكومة الأردنية والتأكيد على ان طريق تصعيد الثورة الفلسطينية هو الطريق الوحيد وضرورة تجاوز الأخطاء والسلبيات[٦٤] وحيّت الحكومة العراقية المقاومة الفلسطينية موضحة "أننا نقف بحزم ضد أي محاولة تستهدف النيل من المقاومة المسلحة، ولقد أثبت العراق في الأزمات السابقة أنه السند الأكبر لقوى المقاومة وكما سنثبت في المستقبل أَن شعب حكومتنا وجيشنا مع المقاومة وضد أي خطر يحدق بها ومن أي طرف"[٦٥].

جاء في مذكرات هنري كيسنجر أَن أسباب قبول ريتشارد نيكسون بمبادرة روجرز هو رَغبته في عدم مواجهة وزارة الخارجية الأمريكية فقد كان مقتنع بفشل مبادرتها منذ البداية، وهناك احتمال آخر هو من أجل إحباط الاتفاقية التي توصل إليها الجانبان الاردني والفلسطيني بمساعدة اللجنة الرباعية وتعاظم نشاط منظمة التحرير والخوف من التدخل السوفيتي في المنطقة[٦٦].

ساءت أوضاع الأردن الداخلية في أثناء شهر آب ١٩٧٠ ووجه الملك حسين في ٢٩ آب ١٩٧٠ تحذيراً للفدائيين وشنت القوات الأردنية هجوماً على موقع الفدائيين فأدى هذا التصرف إلى المزيد من التوتر[٦٧]، وعلى أثر ذلك بدأت عملياً هجمات الحكومة الأردنية على مواقع منظمة التحرير[٦٨]. وحاول الملك حسين شرح موقفهِ فقد بعث ببرقية إلى الرئيس العراقي يوم ٣٠ آب ١٩٧٠ ذكر فيها ان سياسة بلاده تندرج ضمن إطار مقررات مؤتمر الخرطوم التي أقرت البحث عن حل سياسي مع (إسرائيل) والأردن ومصر اللتين قبلتا قرار مجلس الأمن الدولي (٢٤٢) ١٩٦٧ من دون أَن تعترض حكومة عربية على مساعيهما بالدرجة نفسها التي جوبهت بها مبادرة روجرز[٦٩]. وفي الوقت نفسه أدركت السلطات الأردنية بأن القوات العراقية في الأردن لا تلتزم بوقف إطلاق النار بسبب معارضة الحكومة العراقية لمبادرة روجرز[٧٠].

وعندما ازداد تأزم الوضع في الأردن بين الجيش الأردني وفصائل المقاومة الفلسطينية أبرق الرئيس العراقي إلى ملوك ورؤساء الدول العربية مشيراً إلى الوضع الذي تواجهه حركة المقاومة الفلسطينية وأعلن أن بقاء حركة المقاومة واستمرارها هو الطريق الوحيد لضمان حق شعب فلسطين في أرضه ووطنه ودعا إلى تضافر الجهود لمواجهة كل محاولة تستهدف تصفية حركة المقاومة وحث الملوك والرؤساء على بذل جميع الجهود الكفيلة بحقن الدماء وحماية أرواح المواطنين(٧١).

أدى انسحاب القوات المصرية من الجبهة الشرقية(٧٢) وتعرض الملك حسين لمحاولة اغتيال للمرة الثانية في الأول من أيلول ١٩٧٠(٧٣) إلى تجدد المواجهة العسكرية بين القوات الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية في العاصمة عمان(٧٤) ونظراً لاشتداد المعارك وجهت الحكومة العراقية تحذيراً للأردن في الأول من أيلول بالتدخل في حالة استمرار القتال(٧٥).

ومما زاد الأوضاع سوءاً قامت عناصر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف طائرتين إحداهما (بوينج ٧٠٧) تابعة للخطوط الجوية الأمريكية (T.W.A) والثانية (Dc8) تابعة لشركة الخطوط الجوية السويسرية وهبطوا بهما في مدرج صحراوي متروك في منطقة قيعان على بعد كيلومترات من شمال شرق الزرقاء وكانتا تقلان حوالي (٣١٠) راكباً منهم (١٢٥) طفلاً وامرأة كما فشلت عملية اختطاف طائرة إسرائيلية في مطار لندن وخطفت طائرة جامبو جيت (٧٤٧) أميركية توجه بها خاطفوها إلى القاهرة وفجرت هناك بعد الأفراج عن ركابها(٧٦).

دفعت هذه الأحداث الولايات المتحدة الأمريكية لتحريك قواتها إلى المنطقة والتهديد بالتدخل العسكري(٧٧). إزاء ذلك بادرت الحكومة العراقية للقيام بوساطة من أجل إطلاق سراح ركاب الطائرتين المحتجزتين لدى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وذلك استجابة لدوافع إنسانية(٧٨) فوجهت الحكومة العراقية نداءاً إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لإطلاق سراح الركاب تقديراً للأزمة الخطيرة التي تمر بها القضية الفلسطينية وتفويتاً للفرصة على الأجنبي من استغلال الحادث وعدم تشويه الدوافع

النبيلة للعمل الفدائي[٧٩]. وعلى أثر ذلك شعر الفدائيون بخطئهم مما اضطروا في ١٢ أيلول ١٩٧٠ إلى إطلاق سراح معظم المحتجزين وتفجير الطائرات مع الاحتفاظ بـ(٤٥) رهينة من ذوي الجنسيات الأمريكية والإسرائيلية لمبادلتهم ببعض الفدائيين في سجون إسرائيل[٨٠].

أدى حادث تفجير الطائرات إلى ازدياد التوتر بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وانعكس ذلك على سير المفاوضات التي أجرتها الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير بوساطة عبد الخالق حسونة أمين الجامعة العربية وأنهار على أثرها اتفاقان لوقف إطلاق النار وقعا يومي ٨-٩ أيلول نتيجة لتطويق الجيش الأردني مدينة أربد وهجومهِ على قواعد الفدائيين في أغوار الأردن[٨١].

ولخطورة الموقف صرح (حردان عبد الغفار) نائب رئيس الجمهورية العراقية "بأننا ندعم العمل الفدائي للشعب الفلسطيني مادياً ومعنوياً وعسكرياً وبشتى الطرق والجيش العراقي لن يقف مكتوف الأيدي إزاء محاولات ضرب العمل الفدائي وجيشنا باقٍ لمساندة الفدائيين"[٨٢].

وإلى جانب اهتمام الحكومة العراقية بالقضية الفلسطينية واستعدادها لخوض المعركة أصدرت بياناً في السادس عشر من أيلول ١٩٧٠ "إن الحكومة العراقية تضع كل إمكانياتها في حالة الاستنفار والاستعداد لخوض المعركة جنباً مع المناضلين الفدائيين في الأردن ضد المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ونهيب بجميع القوى العربية الثورية لأن تكون في مستوى مسؤولياتها التاريخية، وندعو جميع الفلسطينيين بالوقوف إلى جانب العمل الفدائي والثورة الفلسطينية على مواجهة الأخطار التي تهدد القضية العربية"[٨٣].

حاولت الحكومة الأردنية فتح باب الحوار مع منظمة التحرير لكنها رفضت ذلك ودعت إلى الإضراب العام في ١٧ أيلول ١٩٧٠[٨٤]. وفي ضوء ذلك قررت الحكومة الأردنية مهاجمة مواقع الفدائيين يوم ١٧ أيلول واستمرت المعارك (١٠) أيام ترتب عليها خسائر بشرية ومادية كبيرة[٨٥].

من جانبها طلبت منظمة التحرير الفلسطينية مساعدة جامعة الدول العربية وعلى الفور اجتمع مجلس الجامعة يوم ١٧ أيلول ١٩٧٠ ودعا إلى إيقاف القتال حتى تستطيع اللجنة الخماسية تحقيق مهمتها[٨٦].

تجاه هذه الأحداث الأخيرة أصدرت الحكومة العراقية بياناً أوضحت فيه الأخطار التي تحيط بالمقاومة الفلسطينية ولابد من مجابهة السلطة الأردنية الرجعية وإلى ضرورة التنسيق السريع والشامل مع المقاومة لمواجهة الموقف[٨٧].

نشرت صحيفة الثورة البغدادية تصريحاً نُسب إلى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون[٨٨] جاء فيه: "إذا تدخل العراق وسورية فأن إسرائيل وحدها أو الولايات المتحدة الأمريكية تقدر على ردها"[٨٩]. مما أدى إلى تراجع القوات العراقية وتجاهل حكومتها لنداءات منظمة التحرير لمساندتها في أزمتها مع الأردن[٩٠]. خشية من اندلاع حرب شاملة لم تكن فيها القوات العربية على استعداد لمواجهتها.

استجاب الملك حسين لدعوة جمال عبد الناصر بخصوص التوصل إلى اتفاقية لوقف إطلاق النار، وأعلن في ١٩ أيلول ١٩٧٠ وقف إطلاق النار من جانبه على أمل أن توافق منظمة التحرير على ذلك وفعلاً جاءت موافقة المنظمة بشكل مبدئي على ذلك[٩١].

ولخطورة الموقف وخشية من تصعيد المواجهات العسكرية بعث مؤتمر القمة العربي المصغر المنعقد في القاهرة في ٢١ أيلول ١٩٧٠[٩٢]، وفداً برئاسة الرئيس السوداني جعفر النميري واجتمع مع الملك حسين في ٢٣ أيلول وتم وقف إطلاق النار يوم ٢٦ أيلول ١٩٧٠[٩٣]، وأعلن في القاهرة بعد اللقاء الذي تم بين الملك حسين وياسر عرفات التوصل إلى اتفاقية القاهرة برعاية مؤتمر قمة القاهرة المصغر وأعلن عنها يوم ٢٧ أيلول ١٩٧٠ وتضمنت أربع عشرة نقطة صادق عليها الملوك والرؤوساء العرب لوضع حد للنزاع بين الأردن ومنظمة التحرير[٩٤] ومع ذلك لم تضع اتفاقية القاهرة لعام ١٩٧٠ نهاية حاسمة للنزاع الذي استمر حتى تموز ١٩٧١[٩٥].

ويبدو من دراسة الاتفاقية وجود جوانب متناقضة، إذ أكدت وحدة الأردن أرضاً وشعباً وأن الشعب الفلسطيني ممثلاً بالثورة الفلسطينية صاحب الحق في تقرير مصيره. وهذا التناقض ظهر واضحاً حول تمثيل الشعب الفلسطيني.

ومع بداية عام١٩٧١ وصلت الأمور بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى نقطة اللاعودة على أثر القرار الذي اتخذته الحكومة الأردنية بضرب قواعد الفدائيين[٩٦]، إذ قام الجيش الأردني بقصف قواعد الفدائيين في ٨ كانون الثاني ١٩٧١م وعدّ ياسر عرفات ذلك خروجاً عن اتفاقية القاهرة، وفي اليوم نفسه وجه ياسر عرفات رسالة إلى الملوك والرؤساء العرب حول تجدد القتال في الأردن ناشدهم فيها التدخل لوقف ما يرتكب بحق الفلسطينين في الأردن[٩٧].

بادر العراق إلى مناشدة الحكومة الأردنية في ١٢ كانون الثاني ١٩٧١ بوقف القتال والالتزام باتفاقية القاهرة[٩٨]، وأسفر الضغط العراقي على الحكومة الأردنية عن عقد اجتماع بينها وبين منظمة التحرير في ١٣ كانون الثاني ١٩٧١ واتفق الطرفان على وقف القتال[٩٩]، لكن الاتفاق لم يمنع من انفجار الوضع العسكري مرة أخرى في ٢٨ آذار ١٩٧١ في مدينة أربد[١٠٠] فقام ياسر عرفات بتوجيه نداء آخر إلى الملوك والرؤساء العرب ناشدهم فيه وقف القتال وحماية المقاومة في الأردن[١٠١] وإزاء تلك الأحداث شكلت لجنة في ٨ نيسان ١٩٧١ (أردنية– فلسطينية– سورية) لتنفيذ اتفاقية القاهرة،[١٠٢] وأصدرت الحكومة الأردنية بياناً حول إخضاع مناطق عمّان للتفتيش عن السلاح[١٠٣]، ورحبت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالبيان الأردني ووافقت على ذلك[١٠٤].

انتقدت الحكومة العراقية اتصالات المقاومة الفلسطينية مع الأنظمة السائرة على طريق الحل السلمي وقالت "إن هذا سيؤدي إلى ابتعاد المقاومة عن الجماهير وإلى عزلتها وإلى تمكين أعدائها من الإجهاز عليها وفق مخطط الحل السلمي الذي كان واضحاً منذ البداية أنه لن يمر ويتحقق إلا على جثث المقاومة[١٠٥].

عقد في ١٤–١٥ نيسان مؤتمراً في القاهرة على مستوى ممثلي الملوك والرؤساء العرب لبحث الأزمة الأردنية– الفلسطينية، إلا أَن ذلك لم يمنع من استمرار القتال بين الجيش الأردني وفصائل المقاومة الفلسطينية في شهري حزيران وتموز إلى حين خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان[١٠٦].

وعلى أثر ذلك أغلق العراق حدوده مع الأردن في ١٩ تموز ١٩٧١ وقطع علاقاته الدبلوماسية وطلب العراق من الحكومة الأردنية سحب سفيرها وطالب طردَ الأردن من جامعة الدول العربية[١٠٧] بعد إعلان الحكومة الأردنية الغاء اتفاقية القاهرة من طرف واحد[١٠٨].

وفي هذا الوقت عقد مؤتمر طرابلس **(في ليبيا)** في ٣٠ تموز ١٩٧١ لبحث الأزمة بين الأردن والمنظمة حضره أنور السادات، وحافظ الأسد، والقاضي عبد الرحمن الارياني، وياسر عرفات، وسالم ربيع علي[١٠٩]، ولم يدعُ الأردن إلى حضوره[١١٠]. وفي ختام المؤتمر صُدر البيان الختامي في ٣١ تموز ١٩٧١ استنكر المؤتمر ممارسات الأردن ضد الثورة الفلسطينية، وأيد الإجراءات العربية التي اتخذت بحق الأردن لخرقهِ اتفاقية القاهرة، وأعطى الحرية للدول العربية لتتخذه ما تراه مناسباً إزاء الأردن لخرقهِ الاتفاقية[١١١].

وبعد ذلك بدأت الوساطة المصرية– السعودية بالعمل على رأب الصدع بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية في الحادي عشر من آب ١٩٧١، لاستكمال الجهود المشتركة لحسم الأزمة بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية[١١٢]، وسلما ورقة عمل مصرية سعودية إلى كلٍ منهما تضمنت التزام الأردن باتفاقية القاهرة وتعهد الطرفان بإطلاق سراح المعتقلين، على أن تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بإلغاء التنظيمات السرية كافة وأن يتعهد الطرفان بوقف الحملات الإعلامية وإعلان المصالحة الوطنية وعودة العمل الفدائي إلى الأردن[١١٣].

ولكن الحكومة الأردنية من جانبها تقدمت بورقة عمل أخرى أكدت فيها سيادة الأردن وحرية العمل الفدائي، والاعتراف بالحكومة الأردنية ممثلة للشعب الفلسطيني أما منظمة التحرير الفلسطينية فينبغي أن يكون دورها داخل الأراضي المحتلة[١١٤].

وفي الوقت نفسه تقدمت منظمة التحرير الفلسطينية بورقة عمل هي الأخرى أكدت فيها القبول المبدئي بورقة العمل المصرية– السعودية، وطالبت أن تكون المنظمة الممثل الشرعي والوحيد في تقرير مصير الشعب الفلسطيني وطالبت حرية العمل الفدائي والإفراج عن كافة المعتقلين(١١٥).

وكل ما استطاعت أَن تحققه الوساطة المصرية السعودية بالتقاء الوفدين الأردني والفلسطيني في جدة في ١٥ أيلول ١٩٧١ إلا أن الجولة الأولى من المفاوضات فشلت(١١٦)، وبدأت جولة أخرى في جدة في الثامن من تشرين الثاني١٩٧١، وقد أصرت منظمة التحرير الفلسطينية أَن يكون لها وجود سياسي داخل الأردن، في حين توصلت الحكومة الأردنية إلى قناعة بأن سيادة الدولة لا يمكن تجزئتها وأصرت على وحدة الشعب وأن لا تكون هناك سيادة إلا للدولة الأردنية على مواطني البلاد ووافقت على أن يكون هناك وجود عسكري للفدائيين بالتنسيق مع القوات المسلحة الأردنية وهكذا فشلت جولة المحادثات الثانية وساد الجمود على العلاقات الأردنية– الفلسطينية(١١٧).

حسمت الحكومة الأردنية النزاع لصالحها بإخراج المنظمات الفدائية من الأردن وإنهاء حالة الازدواجية القائمة على الساحة الأردنية وفرض سيادة الدولة وقوانينها وأنظمتها.

وعلى أثر تلك الأحداث سحبت الحكومة العراقية قواتها من الجبهة الشرقية، وصرح الرئيس العراقي في ١٨ تشرين الثاني ١٩٧١ حول ذلك: "إننا لم ننسحب من المعركة وإنما انسحبنا من جو اللامعركة ومن الأوضاع الملغومة التي كانت تحيط بجيشنا لإبعاده عن مهمته الأساسية في القتال ضد العدو الصهيوني.. وأن العراق على استعداد كامل لتأدية التزاماته القومية.. ولن نسمح باستخدام جيشنا من أجل تمرير الحلول السليمة"(١١٨).

بدأ الخلاف على مسألة التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني بين الأردن والمنظمة بعد خروجها من الأردن في عام ١٩٧١. فطرح الملك حسين في الخامس

عشر من آذار ١٩٧٢ "مشروع المملكة المتحدة" كمحاولة منه لما وصفه بإعادة تنظيم "البيت الأردني– الفلسطيني" وقد تضمن هذا المشروع اقتراحاً بإقامة اتحاد فدرالي يحمل اسم المملكة العربية المتحدة بدلاً من المملكة الأردنية الهاشمية على أن يكون من قطرين:

أ- قطر فلسطيني يتكون من الضفة العربية وأية أراضي فلسطينية أخرى يتم تحريرها من الاحتلال الصهيوني وتكون عاصمته القدس.

ب- قطر الأردن، ويتكون من الضفة الشرقية وعاصمته عمان وتكون في الوقت نفسه العاصمة المركزية للمملكة، لكل قطر سلطة تنفيذية وأخرى تشريعية وقضائية. ويتولى الملك مع مجلس الوزراء مركزي السلطة التنفيذية وكذلك يتولى الملك ومجلس الأمة السلطة التشريعية المركزية[١١٩].

على أثر إعلان الأردن مشروع المملكة العربية المتحدة عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعاً في ١٦ آذار ١٩٧٢ رفضت فيه مشروع المملكة العربية المتحدة "... وأن هذا الرفض حاسم ونهائي لمشروع الملك حسين، وأن هذا القرار مبني على الدراسة الشاملة والعميقة، وفي ضمن مصلحة الدولة الفلسطينية"[١٢٠]. كما عقدت اللجنة المركزية لحركة فتح اجتماعاً في ١٧ آذار ١٩٧٢ تمخض عنه رفض مشروع المملكة العربية المتحدة[١٢١].

بعد أن أبدت العناصر الوطنية الفلسطينية مخاوفها من "مشروع المملكة العربية المتحدة" لكونه يستهدف جر الشعب الفلسطيني للاشتراك في التسوية المنفردة بين الأردن والعدو الصهيوني، طرح العراق مشروعاً للوحدة مع سورية ومصر وذلك استجابة للمهام العظيمة والخطيرة التي تواجه أمتنا ولمنعها من الانهيار وتطويقها للتداعي وإجهاضاً للتآمر جاء ذلك في البيان الذي أصدرته الحكومة العراقية في السادس عشر من آذار ١٩٧٢ شجب فيه الخطوة المتخاذلة للحكم الأردني وقال أنها أحدى النتائج الغربية للمشاريع الاستسلامية[١٢٢]، وخرجت التظاهرات الجماهيرية في بغداد استنكاراً وللإعراب عن سخطها لمشروع الملك حسين وتأييدها للحكومة العراقية

في الوحدة مع مصر وسورية حتى أَن الحكومة العراقية رفضت استقبال مبعوث الملك حسين (عبد المنعم الرفاعي) رئيس الوزراء الأردني لشرح مشروع الأردن[١٢٣].

جرت اتصالات عراقية دبلوماسية مع سورية في ٢١ آذار[١٢٤]، ومصر في ٢٦ آذار لعرض مشروع الوحدة الثلاثية لمواجهة التآمر الصهيوني، إلا أَن المشروع لم يلق استجابة من مصر وسورية[١٢٥].

وفي مطلع عام١٩٧٣ بذلت محاولات لتقريب وجهات النظر بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وذلك أثناء انعقاد مؤتمر وزراء الدفاع والخارجية العرب في القاهرة بتاريخ ٢٧ كانون الثاني١٩٧٣، إلا أن منظمة التحرير الفلسطينية رفضت أي خطة عربية عسكرية ما لم يوافق الأردن على عودة المقاومة إلى الأردن وفق اتفاقية القاهرة[١٢٦]، ومن أجل تقريب وجهات النظر الأردنية– الفلسطينية انبثق عن مؤتمر وزراء الدفاع والخارجية العرب لجنة خماسية لمعالجة الأزمة[١٢٧]، إلا أن اللجنة هي الأخرى لم تتوصل إلى أي نتيجة وذلك لتعنت الحكومة الأردنية ورفضها عودة المقاومة الفلسطينية إلى أراضيها لما تتسبب لها عام ١٩٧٠ من معارك دموية[١٢٨].

ادت الخلافات الاردنية– الفلسطينية خلال الفترة ١٩٦٤– ١٩٦٩ فالاردن كيان معترف به دولياً وله مواقفه السياسية ودولة لها سيادتها وانظمتها وقوانينها التي يجب على المنظمات الفدائية احترامها لذا لم يكن التوفيق بين الموقفين الاردني– الفلسطيني سهلاً.

تراكمت الخلافات، ثم تحولت الى نزاع عسكري في ١٩٧٠– ١٩٧١، عندما وصلت مرحلة حرجة عندها ناشدت الحكومة العراقية الاردن لحسم الخلاف وعبرت من خلال بياناتها مساندة اعمال الفدائيين الفلسطينين من خلال استنكار الاعتداءات الاسرائيلية المستمرة ورفضه للمساومات والحلول التصفوية المتمثلة بالقرار (٢٤٢) ومبادرة روجرز للسلام والقرار (٣٣٨) الا ان الوساطة العراقية التي بذلت لرأب الصدع بين الطرفين فشلت وحسم الاردن النزاع لصالحه عندما نجح في طرد المنظمة بالقوة.

ان بقاء حركة المقاومة هو الطريق الوحيد لضمان حق شعب فلسطين في ارضه ووطنه.

الهوامش:

(١) جاء الرفض العراقي لهذه الفكرة كرد فعل للحكومة العراقية لصاحب الفكرة (أمين الحسيني) لأنها حملته مسؤولية حركة مايس ١٩٤١. أما الرفض الأردني فقد جاء لتطبيق مشروعها بضم الضفة الغربية إلى الأردن. يونس حسن حمد السامرائي، العراق والقضية الفلسطينية ١٩٦٨– ١٩٧٣، بغداد ١٩٩٩، ص٢٣؛ علي حسين علي العلواني، القضية الفلسطينية في جامعة الدول العربية ١٩٦٥– ١٩٧٣، اطروحة دكتوراه(غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد– جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص٢٦.

(٢) أحمد حلمي عبد الباقي: ولد في صيدا بلبنان وتلقى علومه في المدارس التركية وشارك مع العشائر العراقية في مواجهة الزحف البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى وفي عام ١٩٣٧ نفي إلى جزيرة سيشل، وفي أيلول ١٩٤٨ استدعته جامعة الدول العربية ليرأس حكومة عموم فلسطين، توفي عام١٩٦٣. علي محفوظ عزيز الخفاف، موقف مصر من القضية الفلسطينية١٩٦٧– ١٩٧٠، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية– جامعة الموصل، ٢٠٠٩، ص١٧.

(٣) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، إدارة السكرتارية، مضابط الاجتماع العادي الخامس عشر، القاهرة، ١٩٥١، ص١١٧.

(٤) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، إدارة السكرتارية، مضابط الاجتماع الرابع عشر، القاهرة، ١٩٥٠، ص١١٨.

(٥) عبد الله كاظم عبد، دور العراق السياسي في جامعة الدول العربية ١٩٤٥– ١٩٥٨، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب– جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص١٠٠.

(٦) جامعة بغداد، الحوار الفلسطيني– الأردني ما بعد مرحلة بيروت، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، ١٩٨٤، ص٣.

(٧) جامعة بغداد، المصدر نفسه، ص٤٤؛ علي حسين علي العلواني، المصدر السابق، ص٢٩.

(٨) يزيد يوسف صايغ، الأردن والفلسطينيون دراسة في وحدة المصير أو الصراع الحتمي، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٨٧، ص١٩–٢٠.

(٩) صلاح الدين شكري، فلسطين ومؤتمر القمة العربي الأول، مكتب الصحافة للشرق العربي، دمشق، ١٩٦٤، ص١٣٣.

(١٠) يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٢٣.

(١١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٤، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت، د– ت، ص٥–٦.

(١٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٤، ص٥؛ يزيد يوسف صايغ، المصدر نفسه، ص٢٧.

(١٣) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، ادارة السكرتارية، مضابط الاجتماع الثاني والأربعون، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٣.

(١٤) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٤، ص٢٢.

(١٥) سامي يوسف عبد الحميد، القوميون العرب والقضية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٦٧، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٦٨؛ يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٢٧.

(١٦) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، ادارة السكرتارية، مضابط الاجتماع الثالث والأربعون، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢٦.

(١٧) يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٢٨.

(١٨) عبد القادر ياسين وآخرون، المصدر السابق، ص٣٥.

(١٩) عيسى الشعيبي، عشر سنوات من الحكم الاردني، شؤون فلسطينية، (مجلة)، العدد (٤١-٤٢) كانون الثاني- شباط، ١٩٧٥، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢٠) محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٦٩.

(٢١) عصام الدين فرج، منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤- ١٩٩٣، ط١، مركز المحروسة للبحوث والدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص٧٦.

(٢٢) يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٤٢.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٢٤) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٥، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧، ص١٥-١٦؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٦٥، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت، ١٩٦٧، رقم الوثيقة (١٦٩)، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٢٥) جامعة الدول العربية، مضابط الاجتماع الثالث والأربعون، ص٥٠-٥١.

(٢٦) طلب الملك حسين من الرئيس المصري جمال عبد الناصر إيقاف إذاعة صوت فلسطين (من مصر) بعد أن كان الشقيري يشن حملات إعلامية ضد الحكومة والملك حسين لذلك تدخل جمال عبد الناصر عندما طلب من الملك حسين وبذلك تم إيقاف بث إذاعة صوت فلسطين في ٢٦ تشرين الأول١٩٦٥. الجمهورية، (جريدة)، العدد (١٣٢)، ٢٧ تشرين الأول ١٩٦٥.

(٢٧) يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٥٧.

(٢٨) جامعة الدول العربية، مضابط الاجتماع الثالث والأربعون، ص٩١.

(٢٩) جامعة الدول العربية، المصدر نفسه، ص٩٢؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٦٥، رقم الوثيقة (٢٩)، ص٨٩.

(٣٠) يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٨٧.

(٣١) قرية السموع: تقع في الضفة الغربية من الأردن على بعد ١٤ كم من مدينة الخليل وهي قرية زراعية. أحالت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ١٩٦٦/٩/١١ مقترح قدمه الشقيري بدخول قوات عراقية وسورية إلا أن الحكومة الأردنية رفضت ذلك. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٦، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨، ص٩-١٠؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٦٦، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧، رقم الوثيقة (٢٤٧)، ص٥٥١-٥٥٤. جامعة الدول العربية، الامانة العامة، ادارة السكرتارية، مضابط الاجتماع الرابع والأربعون، ايلول، الدار البيضاء، ١٩٦٥، ص٥٤.

(٣٢) علي حسين علي العلواني، المصدر السابق، ص٢٨٧.

(٣٣) يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٨٦.

(٣٤) اليوميات الفلسطينية، المجلد السادس١٩٦٧/٧/١- ١٩٦٧/١٢/٣١، مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨، ص٢٨٧.

(٣٥) يحيى حمودة (١٩٠٨-٢٠٠٦): محامٍ وطني يميل إلى اليسار اسندت إليه مهمة القائم بأعمال رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعلن حمودة إن المنظمة ستبذل قصارى جهدها لتوحيد مختلف الفصائل الفلسطينية. ولقد كان وراء استقالة الشقيري جملة أسباب من أهمها فشلهِ في توحيد القوى الفدائية والسياسية الفلسطينية. عبد القادر ياسين وآخرون، المصدر السابق، ص٢٦.

(٣٦) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، ادارة السكرتارية، مضابط الاجتماع الثامن والاربعون، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣٧.

(٣٧) الجمهورية، العدد (٢٥٤)، ٢٠ شباط ١٩٦٨.

(٣٨) حركة فتح: ظهر تيار حركة فتح في النصف الثاني من الخمسينات فلقد ترك العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ آثاره على الفلسطينيين من أهمية الاعتماد على أنفسهم في العمل ضد إسرائيل وبظهور ونشرة معبرة عن الحركة منذ أواخر عام ١٩٥٩ باسم (فلسطينا) عبرت عن الدعوة لإقامة كيان فلسطيني مستقل، ودافعت (فلسطيننا) عن الكيان الذي طالبت به وكان مجلة فلسطينا ١٩٥٩-١٩٦٤ تصدر شهرياً وتمثل الجانب الفكري للحركة فتح. عصام الدين فرج، المصدر السابق، ص٢٣.

(٣٩) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٨، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٨٦)، ص٩٨؛

Zuhair Diab (Edited), International Documentes on Palestine 1968, Beirut, The Institute for Palestine Studies, 1971, P.16.

(٤٠) عصام الدين فرج، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٤١) الكرامة: قرية كبيرة تقع في سهل الشونة على بعد كيلو ونصف شرق نهر الأردن بين جسري الملك حسين ودانية وترتفع خلفها جبال السلط العالية التي تتخللها أودية وممرات. محسن محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص١٤؛ عيسى الشعيبي، المصدر السابق، ص١١٨.

(٤٢) محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها– تطوراتها، مركز الاعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٥.

(٤٣) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٨، ص١٤٨.

(٤٤) عصام الدين فرج، المصدر السابق، ص١٦٣؛ محسن محمد صالح، منظمة التحرير الفلسطينية تقييم التجربة واعادة البناء، بيروت، ٢٠٠٧، ص٨٦.

(٤٥) ياسر عرفات: هو محمد عبد الرزاق عرفات ولد ٢٤ آب ١٩٢٩ في القاهرة التحق بكلية الهندسة في جامعة القاهرة تخرج منها ١٩٥١، انضم إلى اتحاد الطلبة الفلسطينيين وأصبح رئيس الاتحاديين بين عامي (١٩٥٢–١٩٥٦) انتقل إلى الكويت بعد العدوان الثلاثي على مصر وعمل مهندساً معمارياً، أسهم في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية وأصبح رئيساً لها في ١٩٦٩، وفي عام ١٩٨٤، اجبر الاجتياح الإسرائيلي للبنان ياسر عرفات على نقل مقره إلى القاهرة ثم إلى بغداد عام١٩٨٣، ووقع اتفاقية سلام مع إسرائيل عام١٩٩٣ تم بموجبها منح الفلسطينيين حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة على مدى خمسة سنوات وأصبح رئيس السلطة الفلسطينية عام ١٩٩٦، توفي في ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٤ في فرنسا. ساندرا مكي، الملفات السرية للحكام العرب، عرض وتحليل عادل عبد الصبور، الدار العلمية للكتب والنشر، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٩٢–٢٠٩؛ أشرف محمد إسماعيل، تجربة اليسار الفلسطيني، المسلح العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص٥٣.

(٤٦) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، ادارة السكرتارية، مضابط الاجتماع التاسع والأربعون، القاهرة، ١٩٦٩، ص٣٦؛ جامعة بغداد، الحوار الفلسطيني– الأردني، ص١٥.

(٤٧) عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص٣١؛ محمد جمال الدين العلوي، الصراع العربي– الاسرائيلي في السياسة الخارجية الامريكية ١٩٧٣– ١٩٧٩، دراسة تاريخية– سياسية، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، د.ت، ص٥٨.

(٤٨) الجمهورية، العدد (٥٣٠)، ٧ نيسان ١٩٦٩.

(٤٩) المصدر نفسه، العدد (٥٣٢)، ٩ نيسان ١٩٦٩.

(٥٠) أعلن الملك حسين في ١٠ نيسان ١٩٦٩ مشروعه تضمن ست نقاط هي: إنهاء الحرب، احترام سيادة دول المنطقة، ووحدة أراضيها واستقلالها السياسي الاعتراف بحق جميع الدول العيش بسلام، ضمانات لجميع الدول بحرية الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس، القبول بالتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٢، ص١٣٩-١٤٠؛ منير الهور طارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٧٤- ١٩٨٥، عمان، ١٩٨٥، ص١١٨-١١٩.

Walid Khadduri (Edited), International Documente on Palestine 1969, Beirut, The Institute For Palestine Studues, 1972, P.55.

(٥١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٦٩، ص١٥٢.

(٥٢) عصام الدين فرج، المصدر السابق، ص١٩٤؛ عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص٨٦.

(٥٣) كلوفيس مقصود، معالم المشاركة العربية في الثورة الفلسطينية، شؤون فلسطينية، (مجلة)، العدد(١٠)، حزيران ١٩٧٢، ص ١٤- ١٥.

(٥٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٢، رقم الوثيقة(٣٢٥)، ص ٣٤٠.

(٥٥) المصدر نفسه، رقم الوثيقة (٥٥٥)، ص٧١٠.

(٥٦) الجمهورية، العدد (٧٨٥)، ١٢ حزيران ١٩٧٠؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧٠، رقم الوثيقة (٣٢٧)، ص٤٣٠.

(٥٧) الجمهورية، العددان (٧٨٥-٧٨٦)، ١٢-١٣ حزيران ١٩٧٠.

(٥٨) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧٠، رقم الوثيقة (٣٢٧)، ص٤٣٠.

(٥٩) اجتمع القادة العرب في طرابلس على هامش الاحتفال بجلاء القوات الأمريكية من قاعدة عقبة بن نافع (هوبلس سابقاً) وتباحثوا في أوضاع الأردن وقرروا تشكيل لجنة رباعية ضمت (فايد أحمد عضو مجلس قيادة الثورة الجزائري، الرائد مأمون عوض أبا زيد عضو مجلس الثورة السوداني. حسن صبري الخول الممثل الشخصي للرئيس المصري، الرائد محمد نجم ممثلاً عن ليبيا). الجمهورية، العددان (٧٩٢-٧٩٣)، ٢٢-٢٣ حزيران ١٩٧٠؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٣٧٩)، ص٤٨٥؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧٠، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٢، ص١١٧.

(٦٠) هنري كيسنجر: اسمه الحقيقي هاينز الفريد كيسنجر، ولد في نورث في المانيا عام١٩٢٣ لعائلة يهودية، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام١٩٣٨، وحصل على شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة هارفرد عام١٩٥٤، شغل منصب مستشار الأمن القومي الأمريكي بين عامي (١٩٦٩–١٩٧٥) وكان له أثرٌ كبير في السياسة الخارجية الأمريكية وفي المدة بين (١٩٧٣–١٩٧٧) شغل منصب وزير خارجية الولايات المتحدة وتمكن من أجراء اتفاقيات فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل وسورية وإسرائيل بعد حرب ١٩٧٣.
Genovese, Encyclopedia Of The American Presidency, USA, PP.300-301. Michael A.

(٦١) هنري كيسنجر، مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، ترجمة: خليل فريحات، ج٢، ط٥، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٩٩، ص٣٩٣.

(٦٢) موشيه زاك، المحادثات السرية بين الملك حسين وإسرائيل من عام١٩٦٣–١٩٩٣، ترجمة: غسان محمد، دار طلاس للنشر، دمشق، ٢٠٠٩، ص١٠٨–١٠٩.

(٦٣) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧٠، ص١٥٧.

(٦٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٤٢٥)، ص٥٣٧–٥٣٨.

(٦٥) المصدر نفسه، رقم الوثيقة (٤٢٨)، ص٥٤٠.

(٦٦) هنري كيسنجر، المصدر السابق، ص٣٩٦–٣٩٧.

(٦٧) النهار، (جريدة)، بيروت، العدد (١٠٧٩٨) ٣١ آب ١٩٧٠.

(٦٨) الثورة، العدد (٤٠٢)، ٢ أيلول ١٩٧٠.

(٦٩) جامعة الدول العربية، الامانة العامة، ادارة السكرتارية، مضابط الاجتماع الرابع والخمسون، القاهرة، ١٩٧١، ص١١٣.

(٧٠) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٠، ص١٣٩؛ موشيه زاك، المصدر السابق، ص١١٤–١١٥.

(٧١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٠، ص١٥٩؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٦٥٢)، ص٧٦٦.

(٧٢) يزيد يوسف صايغ، المصدر السابق، ص٨٣.

(٧٣) تعرض الملك حسين إلى حادثة اغتيال هي الثانية في غضون ثلاثة أشهر وهو في طريقه إلى مطار عمان الدولي لاستقبال ابنته الأميرة عالية. الثورة، العدد (٤٠٢)، ٢ أيلول ١٩٧٠.

(٧٤) الثورة، العدد (٤٠٣)، ٣ أيلول ١٩٧٠.

(٧٥) الثورة، العدد (٤٠١)، ١ أيلول ١٩٧٠؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٥٦٥)، ص٧١٣-٧١٤.

(٧٦) الثورة، العددان (٤٠٨-٤١٠)، ٨-١٠ أيلول ١٩٧٠؛

David Wains, A sentence of Exile The Palestine- Isreal Confilct 1897-1977 Illinois, The Medina Press, 1977, P.79.

(٧٧) منير شفق، الصحف الغربية وأحداث أيلول ١٩٧٠، شؤون فلسطينية، العدد ١٦، كانون الأول ١٩٧٢، ص٢٠٦.

(٧٨) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٦٠٧)، ص٧٣٩.

(٧٩) المصدر نفسه، رقم الوثيقة (٦١٦)، ص٧٤٤؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧٠، ص١٥٥.

(٨٠) تم تفجير الطائرات في منطقة الزرقاء- الأردن. الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧٠، رقم الوثيقة (٦٣٧)، ص٧٥٩؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٠، ص١٥٦.

(٨١) الثورة، العدد (٤٠٩)، ٩ أيلول ١٩٧٠؛ جامعة الدول العربية، مضابط الاجتماع الرابع والخمسون، ص٧٤.

(٨٢) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٥٦٣)، ص٧١٢.

(٨٣) المصدر نفسه، رقم الوثيقة (٦٥٦)، ص٧٦٨-٧٦٩.

(٨٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧٠، رقم الوثيقتان (٦٥٣-٦٥٤)، ص٧٦٦-٧٦٧.

(٨٥) الثورة، العدد (٤٢٧)، ٢٧ أيلول ١٩٧٠.

(٨٦) جامعة الدول العربية، مضابط الاجتماع الرابع والخمسون، ص٩٣.

(٨٧) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٠، ص١٥٥-١٥٦.

(٨٨) ريتشارد نيكسون (١٩١٣-١٩٩٤): الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية تخرج من كلية الحقوق عام١٩٣٧، وفي عام١٩٤٦، أصبح عضواً في مجلس النواب الأمريكي ثم عضواً في مجلس الشيوخ عام١٩٥٠، شغل منصب نائب الرئيس الأمريكي بين عامي ١٩٥٣-١٩٦١، للرئيس ايزنهاور ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية١٩٦٩-١٩٧٤ فاز في الانتخابات الرئاسية لعام١٩٧٣ لكنه اضطر إلى الاستقالة من منصبه في آب ١٩٧٤ بسبب فضيحة ووترجيت. ريتشارد نيكسون، ما وراء السلام، ترجمة: مالك عباس، عمان، ١٩٩٥، ص٥؛

The Encyclopedia Of American Law Enforcement, USA, 2007, pp. 293-294.

(89) الثورة، العدد(٤٣٠)، ٣٠ أيلول ١٩٣٠.

(٩٠) هنري كيسنجر، المصدر السابق، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٩١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، رقم الوثيقة (٦٩٧-٦٩٨)، ص٧٨٦-٧٨٨.

(٩٢) اقترحت تونس يوم ١٩ أيلول ١٩٧٠عقد مؤتمر قمة عربي مصغر بحضور الملك حسين وياسر عرفات لإنهاء القتال وبدأت جلساته في ٢١ أيلول وتقرر إرسال وفد إلى الأردن ترأسه جعفر النميري والباهي الأدهم رئيس حكومة تونس، وسعد العبد الله السالم وزير الدفاع الكويتي، محمد صادق رئيس الأركان المصري. الثورة، العدد (٤٢٣)، ٢٣ أيلول ١٩٧٠؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧٠، رقم الوثيقة (٧٢٧)، ص٨٠١؛ جامعة الدول العربية، مضابط الاجتماع الرابع والخمسون، ص١٢١.

(٩٣) جامعة الدول العربية، مضابط الاجتماع الرابع والخمسون، ص١٢٢؛ جميل مصطفى حسن الخلف، الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤-١٩٧٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب- جامعة اليرموك، ١٩٩١، ص١٣٥.

(٩٤) للمزيد من التفاصيل حول اتفاقية القاهرة ينظر: الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧٠، ص١٤٦-١٥٠؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧٠، رقم الوثيقة (٣٦٥)، ص٦٤٧-٦٤٨.

(٩٥) أسعد عبد الرحمن، المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني١٩٦٧-١٩٧٣، عمان، ١٩٧٨، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٩٦) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣، رقم الوثيقة (٣٣-٣٤)، ص٥٤-٥٦.

(٩٧) المصدر نفسه، رقم الوثيقة (١٨)، ص٣٠.

(٩٨) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، رقم الوثيقة (٣١-٣٨)، ص٥٢-٥٨؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧١، مؤسسة مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٤، ص١٨٦.

(٩٩) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٤٩)، ص٦٣-٦٤.

(١٠٠) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧١، ص٨.

(١٠١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٢٠٣)، ص٢٣٢؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧١، ص٨.

(١٠٢) جميل مصطفى حسن الخلف، المصدر السابق، ص١٤٥.

(١٠٣) الدستور، الأردنية (جريدة)، العدد (١٣٤٢)، ١٠ نيسان ١٩٧١.

(١٠٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، رقم الوثيقة، (٧٨)، ص٩٤.

(١٠٥) ناشد ياسر عرفات الرئيس المصري أنور السادات بالتدخل فوراً لوقف نزيف الدم مما دفع بمصر استنكارها لذلك وقامت بسحب العميد أحمد عبد الحميد حلمي رئيس اللجنة العسكرية العربية لمنع

الأردن اللجنة من مزاولة مهامها بالوجه الصحيح. الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٢٠٨)، ص٢٣٦؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧١، ص١٨٣.

(١٠٦) الجمهورية، العدد (١٩٨)، ٢٠ تموز ١٩٧١؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٥٣٦-٥٣٧)، ص٦٠٧-٦٠٩؛ هيثم كيلاني، الشعب الفلسطيني والكفاح المسلح، شؤون العربية، (مجلة)، العدد (٤٤)، كانون الأول ١٩٨٥، ص١٨.

(١٠٧) الجمهورية، العدد (١٩٨)، ٢٠ تموز ١٩٧١؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧١، ص١٨٣.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص١٣٥-١٣٦؛ عيسى الشعيبي، المصدر السابق، ص٢١٨.

(١٠٩) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧١، ص١٥١.

(١١٠) جميل مصطفى حسن الخلف، المصدر السابق، ص١٥٣.

(١١١) تدخلت مصر والسعودية وسورية محاولة إيجاد حل للأزمة ولكن دون فائدة. الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، رقم الوثيقة (٥٣٨)، ص٦٠٩، رقم الوثيقة (٦٠٥)، ص٦٦٥-٦٦٦.

(١١٢) مثل الجانب السعودي (عمر السقاف)، والجانب المصري (حسن الخولي). الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧١، ص١٧٨.

(١١٣) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٦٢٥)، ص٦٨٥.

(١١٤) جميل مصطفى حسن الخلف، المصدر السابق، ص١٥٥.

(١١٥) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٦٣٢)، ص٦٩١.

(١١٦) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧١، ص١٦٨-١٦٩؛ الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٧٢٤)، ص٨١٠.

(١١٧) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧١، رقم الوثيقة (٧٥٣)، ص٨٣٥-٨٣٦.

(١١٨) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، رقم الوثيقة (٧٦٠)، ص٨٤٣.

(١١٩) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٥، رقم الوثيقة (١٠٠)، ص١١٥.

(١٢٠) الوثائق الفلسطينية العربية لعام١٩٧٢، رقم الوثيقة (١٢١)، ص١٣٣-١٣٥؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧٢، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٦، ص٨.

(١٢١) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، رقم الوثيقة (١٢٤)، ص١٣٦-١٣٧.

(١٢٢) الثورة، العدد (١٠٨٨)، ١٧ آذار ١٩٧٢؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢، ص١٦٥؛ حسن محمد حسن، التسوية.. المأزق، منشورات دار الثورة، بغداد، ١٩٧٧، ص١٦٣.

[١٢٣] الثورة، العدد (١٠٨٨)، ١٧ آذار ١٩٧٢.

[١٢٤] الثورة، العدد (١٠٩٣)، ٢٢ آذار ١٩٧٢.

[١٢٥] المصدر نفسه، العدد (١٠٩٨)، ٢٧ آذار ١٩٧٢؛ حسن محمد حسن، المصدر السابق، ص١٦٣؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢، ص١٦٥.

[١٢٦] الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧٣، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٦، ص٢١.

[١٢٧] تكونت اللجنة من مصر، السعودية، سورية، الكويت، الجزائر فضلاً عن الأمين العام لجامعة الدول العربية. الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٣، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٦، رقم الوثيقة (٢٨)، ص٤١-٤٣؛ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام١٩٧٣، ص٢٣-٤٠.

[١٢٨] جميل مصطفى حسن الخلف، المصدر السابق، ص١٦٩-١٧١.

إثر الأوضاع الدولية في التوجه البريطاني نحو ايطاليا ١٨٩١- ١٨٩٥

أ. م. د: حسن زغير حزيم
م. م. صادق صكبان دوشان

إثر الأوضاع الدولية في التوجه البريطاني نحو ايطاليا ١٨٩١-١٨٩٥

أ. م. د: حسن زغير حزيم

م. م. صادق صكبان دوشان

خلاف ما كان يتوقعه الألمان بأن حزب الأحرار سيلغي الارتباط مع الحلف الثلاثي فور وصوله للسلطة، بعد سقوط حكومة سالزبوري في آب عام ١٨٩٢، إذ حث سالزبوري غلادستون (آب ١٨٩٢-آذار ١٨٩٤) على الاستمرار في العلاقات بين بريطانيا والحلف الثلاثي مثلما كانت في عهد سالزبوري[١] وتأتي المخاوف الألمانية والإيطالية بسبب وجهة نظر غلادستون التي أخبر عنها في آب من العام نفسه في رسالة مفتوحة إلى صحيفة كورونا نابولي التي أكد فيها رفضه تجديد التحالف مع ايطاليا، فضلاً عن ذلك تأييده لفكرة الجلاء للقوات البريطانية عن مصر. وكانت هذه الآراء مثار خوف في روما وبرلين لأن الجلاء من شأنه إزالة العائق الرئيس في طريق التفاهم البريطاني – الفرنسي، إذ عقد البلدان في ١٧ آب عام ١٨٩٢ معاهدة تعاون عسكري بينهما بشأن المستعمرات[٢].

ولهذا شعرت روما وبرلين بالارتياح عندما علمتا بتولي اللورد روزبيري[٣] Lord Rosebery منصب وزير الخارجية البريطاني، الذي وافق على نصح سالزبوري في السياسة الخارجية واستبعاد لابوتشير عن الترشيح لمنصب وكيل وزارة الخارجية[٤].

وشعرت فينا بالارتياح النسبي أيضاً عندما أكد كابريفي للنمساويين " مادامت وزارة الخارجية البريطانية تظل في أيدي رجل سياسة مثل روزبيري فإن السياسة التي تتخذها الوزارة بشأن الحلف الثلاثي ستكون استمراراً للسياسة السابقة " [٥].

وأكد روزبيري شخصياً هذا الشعور في ١٦ ايلول عام ١٨٩٢ لهاترفيلدت عندما وضح بعدم تأثر سياسته الخارجية بآراء غلادستون الذي أصبح نفوذه على

الحكومة ضعيفاً بسبب تقدمه في السن، وكان هذا صحيحاً تماماً ، لأن غلادستون حصل على اغلبية بسيطة في البرلمان، وأكثر زملائه كانوا كباراً في السن، ولذلك أصبح أمر استمراره على رأس الحكومة ضعيفاً[٦]، وجعل روزبيري الموقف أسوأ عندما هدد بالانسحاب من العمل السياسي، وكانت نتيجة هذا ان تم الرجاء منه العدول عن ذلك مقابل القبول بشرطه، الذي تمثل بإدارة وزارة الخارجية بحرية تامة، وهذا يعني أنه يدير شؤون الوزارة تقريباً دون الرجوع إلى مجلس الوزراء وإلا فإنه يهدد بتفعيل الاستقالة. وفي ظل مثل هذه الظروف فإن غلادستون وهارتنكتون مهما بذلا من جهود والضغط للقيام بشيء ما بشأن مصر، فإن روزبيري يمتلك الحق الكامل في الرفض والاعتراض، وأصبحت العلاقات البريطانية- الفرنسية في غضون أشهر قليلة من تشكيل حكومة حزب الاحرار، أسوأ مما كانت عليها سابقاً في عهد سالزبوري، واعترف غلادستون بأنه ارتكب خطأ كبيراً بمنح روزبيري منصب وزارة الخارجية[٧].

وأكد روزبيري لهاتزفيلدت ومن خلال ألمانيا ليؤكد لإيطاليا " أن حكومة غلادستون ملزمة بمساعدة إيطاليا في حالة تعرضها لأي هجوم" [٨].

أعادت الملكة فيكتوريا تقييم الأوضاع الداخلية والخارجية، لأنها تخشى على امبراطوريتها من مزاج غلادستون السيّئ بسبب تقدمه بالعمر ، وبدت التأكيدات التي أعطاها روزبيري بشأن دعمه السياسة الخارجية التي اتخذها سالزبوري في الماضي تجاه روما وبرلين وفينا مقنعة جداً، ويذكر ان تورنيللي وبرن كذلك اقتنعا بتلك التأكيدات[٩].

ومما شجع روزبيري على اتخاذ هذا الموقف هو توتر العلاقات البريطانية- الفرنسية في كانون الأول عام ١٨٩٢ بسبب دعم فرنسا مطالب الروسية السيطرة على منطقة بامير[١٠] Pamir مما يهدد بوصولهم إلى مناطق جترال Chitrall الإستراتيجية التي تؤثر على المصالح البريطانية في المنطقة خاصة وان بريطانيا تخشى من قيام حلف روسي – فرنسي ضدها[١١].

ونتيجة تدهور علاقات بريطانيا مع فرنسا وروسيا لدرجة كبيرة في عام ١٨٩٣ بسبب الخلافات الاستعمارية في مصر وأوغندا وسيام والهند الصينية[١٢]، ازدادت ثقة بريطانيا بنحو كبير بألمانيا وايطاليا[١٣]، وأكد السفير البريطاني في فينا اثناء القائه بياناً رسمياً في أيار عام ١٨٩٣ عن تضامن بريطانيا مع النمسا- المجر فيما أكد روزبيري للايطاليين بأن فرنسا كانت تدفع بريطانيا نحو الحلف الثلاثي[١٤].

وافترضت روما وبرلين في تموز عام ١٨٩٣ عندما نشبت أزمة سيام (تايلند)[١٥] أن اللحظة مؤاتية لالتحاق بريطانيا بالحلف الثلاثي، وطلبها المساعدة من الإمبراطورية الألمانية، لكن سرعان ما خاب أملهما ولم يتحقق ما افترضا[١٦].

وكان تأثير هذه الأزمة سلبياً في مستقبل ارتباط بريطانيا بالحلف الثلاثي وجاءت هذه الأزمة بعد فشل عدة محاولات ألمانية لدفع بريطانيا لقتال فرنسا رغم حصول روزبيري على تعهد ألماني بتقديم دعم لبلاده ضد فرنسا ؛ الأمر الذي أقنع كابريفي بعدم جدوى الاعتماد على بريطانيا. وكانت ألمانيا في الحقيقة خاطئة في ذلك ؛ لأن روزبيري اعتقد ان المشكلة لا تستحق الدخول في الحرب من اجلها[١٧].

أكد الأخير ذلك في رسالة بعثها إلى الملكة فكتوريا قال فيها: " إن اللجوء إلى الحلف الثلاثي يمكن أن يصبح في أحد الأيام ضرورياً، ومما لاشك فيه أن الفرنسيين يحاولون الآن بذل كل جهودهم لدفعنا نحو الحلف الثلاثي ولكن التحاقنا بالحلف يجب أن يكون في موقف أكثر من سوء الموقف الحالي وأن من الحكمة تسوية هذه المشكلة دون الحصول على المساعدة الألمانية " [١٨].

لكن ألمانيا في هذا الوقت لم تعد مقتنعة بموقف بريطانيا المتردد من الانضمام إلى الحلف الثلاثي، وهددت ألمانيا فأما أن تلتحق بريطانيا بالحلف أو أن تتخلى ألمانيا عن السياسة القديمة وإتباع سياسة عالمية ، وتتوصل مع روسيا إلى اتفاقية تحالف. وأصرت بريطانيا نتيجة لوصول الأسطول الروسي في تشرين الأول عام ١٨٩٣إلى ميناء طولون الفرنسي على إجراء مفاوضات مع النمسا- المجر بشأن المضايق

العثمانية ولكنها فشلت بسبب انتهاج ألمانيا سياسة عالمية[١٩] Kolonia Politik للحصول على المستعمرات وأدى إلى إبعاد الحكومة والرأي العام البريطاني عن ألمانيا.

وأوضحت المفاوضات جلياً بغض النظر عن موقف ألمانيا بأن لاتزال لدى لندن وفينا مصالح مشتركة كبيرة، لكن غلادستون قدم استقالته في ٣ آذار عام ١٨٩٤ وشكل روزبيري حكومة جديدة وكان مستعداً لبذل كل الجهود للمحافظة على مصالح بلاده مع النمسا- المجر. وكان سبب هذا القلق المتبادل كالمعتاد هو البحر المتوسط، فقد كان كل من كالنوكي وروزبيري قلقاً من احتمالية اشتراكهما في حرب ضد روسيا وفرنسا، وكان كالنوكي أصلاً قلقاً من التوجه الواضح جداً في السياسة الخارجية الألمانية نحو روسيا، وكذلك سيطرت عليه مخاوف من أن تؤدي الأزمة الاقتصادية في إيطاليا إلى انهيار النظام الملكي في إيطاليا وأعلان الجمهورية على أيدي أنصار حركة الردنتستس [٢٠] .

وخروج إيطاليا من الحلف الثلاثي مما يجعل النمسا- المجر مضطرة لعقد اتفاقية مع روسيا، رغم أن الأمر غير مرحب به وبشدة من لدن كالنوكي بحيث أنه قرر القيام بآخر محاولة لدفع بريطانيا لاتخاذ سياسة معادية تجاه فرنسا ؛ لأن ذلك من شأنه تعزيز موقف إيطاليا والحيلولة دون انسياب ألمانيا باتجاه روسيا.إذ كتب كالنوكي إلى روزبيري: " إن اللحظة التاريخية جاءت إلى بريطانيا ليس فقط لزيادة قوتها البحرية بل لتأكيد سلطتها السياسية والعسكرية في البحر المتوسط " [٢١].

وتقبل روزبيري تلك النصيحة بسبب تحول شكوكه السابقة بشأن قوة الأسطول البريطاني بعد زيارة الأسطول الروسي إلى ميناء طولون الفرنسي إلى مخاوف حقيقية. وقال الادميرال سبنز اللورد الأول في البحرية البريطانية : " إن أمل بريطانيا الوحيد في التأثير في روسيا لمنعها من الاشتراك في حرب إلى جانب فرنسا هو الالتحاق بالحلف الثلاثي [٢٢].

واعتقد أن الحل الواضح للأزمة هو التحاق بريطانيا بالحلف الثلاثي أو عقد معاهدة منفصلة مع إيطاليا، لمنعها من الانسحاب من الحلف. ولكن روزبيري رفض

هذا الرأي وقال : " كلا هذين الحلين غير موجودين في نظر السياسة الخارجية لرئيس الوزراء البريطاني في هذا الوقت" [٢٣].

وكان قرار الحكومة البريطانية الذي اتخذته سابقاً لتطوير الأسطول لم يكن كافياً، وأن جزءاً من خطة الردع البريطانية اعتمدت على التعاون مع النمسا- المجر بيد أن كالنوكي هدد بالسعي وراء التفاهم مع روسيا إذا لم يحصل على تعهد خطي من مجلس الوزراء البريطاني يشير إلى وقوفه إلى جانب اتفاقيات البحر المتوسط[٢٤]. وكان طلب كالنوكي هذا صعباً جداً، لإقناع غلادستون بذاك يعد مستحيلاً مثلما أشار روزبيري " أنه يجعلني أتعصبُ وأشعرُ بالصداع بسبب رفضه عرض هذا الموضوع على مجلس الوزراء البريطاني " [٢٥].

أصر روزبيري على عدم قراءة نصوص اتفاقيات البحر المتوسط، لكي يستطيع الادعاء بعدم عقدها في حالة سأل أحد الوزراء عنها، مثلما أمر ديم بذلك وهذا الفرق الكبير بينه وبين سالزبوري الذي ناقش تلك الاتفاقيات في مجلس الوزراء، في حين روزبيري لم يعرضهن مطلقاً على مجلس الوزراء البريطاني ولكن الشيء الوحيد الذي استطاع القيام به هو الوعد بالدعم الخارجي البريطاني لإيطاليا من أجل المحافظة على المصالح البريطانية في البحر المتوسط ، وضمان الدفاع عن الإمبراطورية العثمانية من الاعتداء الروسي بشرط حصول بريطانيا على دعم الحلف الثلاثي لمراقبة فرنسا ومنعها من مهاجمة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط[٢٦].

وعدت فينا هذا التعهد استجابة معقولة جداً للدعوات النمساوية السابقة. وأدرك كالنوكي صعوبة عقد حلف مع بريطانيا يكون ملزماً في كل القارة الأوروبية ؛ لذا كان كالنوكي يرغب في التفاوض مع بريطانيا على هذا الأساس، ولكن برلين لم تتأثر بذلك. وأجرى كابريفي مفاوضات مع روسيا تكللت بعقد اتفاقية تجارية بين البلدين، وأن هولشتاين والإمبراطور الألماني قد سيطرت عليهما فكرة عقد اتفاقية استعمارية مع فرنسا هدفها إخافة بريطانيا وجعلها تضطر لتقديم تنازلات استعمارية مما يزيد من تقربها إلى ألمانيا[٢٧]. وان الغاء تلك الفكرة مقابل النتائج المحتملة من إشارة روزبيري

هو أمر يمكن التفكير به، بل على العكس أن الضغط القليل في افريقيا لإظهار استقلال السياسة الخارجية الألمانية يمكن أن يكون مفيداً لتحفيز بريطانيا[٢٨]، الأمر الذي دفع بريطانيا لعقد معاهدة مع إيطاليا في ٥ أيار عام ١٨٩٤ وافقت بموجبها بريطانيا على احتلال إيطاليا لمنطقة كسلا[٢٩]. لكن فرنسا احتجت على هذه المعاهدة التي عدتها تضرّ بمصالحها في إفريقيا[٣٠].

وهذا أصل الخلاف بشأن الكونغو بين بريطانيا وألمانيا في ٨ حزيران عام ١٨٩٤ التي تشكل سياسة النهج الجديد لألمانيا التي أساسها هو تأجيل المطامع الاستعمارية الألمانية مقابل الحصول على الدعم البريطاني في أوروبا للحلف الثلاثي[٣١].

وكذلك توترت العلاقات الفرنسية- الإيطالية في ٢٤ حزيران بسبب مقتل الرئيس الفرنسي كارنو[٣٢] Carnot في مدينة ليون على يد ثائر إيطالي مما أثار غضب الشعب الفرنسي ضد إيطاليا وردت صحافة الأخيرة بحملة تصعيد[٣٣].

دفعت روزبيري إلى الاشارة في ١٤ تموز عام ١٨٩٤ إلى إن تغير السياسة الألمانية الخارجية تجاه بريطانيا وتوتر العلاقات الفرنسية – الإيطالية سيقود إلى تغير مماثل من بريطانيا لتحسين علاقتها مع فرنسا وأجرى روزبيري مفاوضات مع فرنسا انتهت بعقد في ١٤ آب معاهدة الكونغو. ولكن العلاقات البريطانية الألمانية استمرت جيدة ولكنها لم يتم الإشارة إليها علناً قطُّ في الرأي العام البريطاني [٣٤].

ومثلما أشار هاتزفيلدت في كانون الأول عام ١٨٩٤ بنحو واضح عندما اعتقد أن استمرار المفاوضات بين بريطانيا والنمسا- المجر حتى إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق فإنها تخدم هدفاً مفيداً جداً وهو المحافظة على ارتباط بريطانيا بالحلف الثلاثي. حتى عودة سالزبوري لرئاسة الوزراء مرة أخرى: " وإن الخطر هنا لا يكمن في اهانة وزير بريطاني معين أو آخر، لكن يكمن في التحول بالرأي العام بريطاني الذي أصبح بارزاً نتيجة للجفاء الذي حصل بيننا ولا يمكن لأي شخص في الحكومة البريطانية تغير قناعة الرأي العام الذي أصبح وبنحو حاسم ضد الحلف الثلاثي" [٣٥].

لكن القضاء على هذه العلاقات بهذه السياسة لم تؤدّ إلى إبعاد روزبيري فقط الذي بدأ الآن بمحاولة لتسوية خلافاته مع فرنسا وروسيا ولكن الأكثر أهمية هو الرأي العام البريطاني المتأثر من تلك السياسة، وبهذا يتم الإضرار بالحكومة البريطانية التي تعتمد عليها ألمانيا، وأن مشاعر العداء الشعبية المتزايدة هذه بشأن المسائل الاستعمارية انتقلت ايضاً إلى الشعب الألماني مما زاد من توتر العلاقات البريطانية الألمانية وبالطبع أثار هذا مخاوف إيطاليا والنمسا- المجر[٣٦].

إذ حاول كرسبي[٣٧] إنشاء حلف مع بريطانيا في إفريقيا لمواجهة الصعوبات المتزايدة التي تعاني منها إيطاليا في الحبشة[٣٨]، ولكن هذه المحاولة لم تكن لها أية استجابة في لندن، ويذكر أن بريطانيا ترغب في عقد اتفاقية محدودة مع إيطاليا بشأن الحدود في مدينة هرار Harar ، التي تقع جنوب شرق الحبشة. ولكن طلب كمبرلي من بريطانيا أن تتضمن هذه الاتفاقية تنازل بريطانيا عن زولا Zeila في السودان أو تعاون البلدين عموماً في السودان، بيد أن بريطانيا رفضت ذلك، وأشار كرسبي: " لدينا المزيد من المشاكل ولا نريد إضافة الزيت على النار " [٣٩].

شعر كرسبي في ٢٠ كانون الأول عام ١٨٩٤ باليأس المتزايد من الاتجاه الواضح للسياسة الخارجية البريطانية لعقد اتفاقية مع فرنسا وروسيا لتسوية الخلافات فيما بينهم، وكان يخشى أن تمتد هذه الاتفاقية لتضم المستعمرات في البحر الأحمر، الأمر الذي دفع كرسبي لإعادة الاتصال مجدداً بلندن ولكن لم يحقق النجاح[٤٠].

ونقل هاتزفيلدت الاستنتاج الذي توصل إليه كرسبي إلى بريطانيا بأنها لا ترغب في إزعاج علاقتها الجيدة مع روسيا والتي كان لها أهمية كبيرة بالنسبة للمصالح البريطانية في البحر المتوسط والإمبراطورية العثمانية والشرق الأقصى. فيما كانت إيطاليا تستطيع الاعتماد على الدعم البريطاني في البحر المتوسط، لكنها لا تستطيع التوقع ان تشترك بريطانيا في دعم نشاطها الاستعماري في البحر الأحمر مما يدخلها في صراع مع الدول الأوروبية الأخرى[٤١].

وأصبح واضحاً تغير السياسة الخارجية البريطانية تجاه إيطاليا والحلف الثلاثي لكن تورنيللي ظل المدة طويلة ينتظر من بريطانيا التعاون مع إيطاليا حتى وصل إلى اليأس من ذلك[٤٢]، وأعلن عن قناعته بميل روزبيري وكمبرلي[٤٣] (وزير خارجية بريطانيا) لإجراء تسوية للخلافات البريطانية مع فرنسا، وطالب بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، لكن هاتزفيلدت نظر إلى ذلك على أنه سابق لأوانه وقال : " الآن من الواضح أن بريطانيا تعمل مع روسيا وفرنسا وهي سياسة تجعلنا نبتعد عن بريطانيا ولكن هذا الأمر يفسح المجال لفرنسا وروسيا للتقارب أكثر معها " [٤٤].

وبوضوح شديد لم يبقِ في نهاية عام ١٨٩٤ إلا القليل من علاقات بريطانيا مع كلّ من ألمانيا وإيطاليا والنمسا- المجر، وأصبحت العلاقات الألمانية – البريطانية سيئة جداً[٤٥]، مع نمو الخلاف بشأن موزمبيق بينهما هدد كمبرلي بشن حرب ضد ألمانيا، والذي أجهض ذلك هو فشل المفاوضات البريطانية- الفرنسية بشأن المستعمرات بسبب إصرار فرنسا المشاركة مع بريطانيا في إدارة مصر[٤٦].

ودافع روزبيري عن سياسته الخارجية الجديدة، على الرغم من تطور المشكلة الأرمينية، وأشار أنها ستستمر بلا تردد، واتهم كالنوكي الساسة الألمان بالوقوف وراء تغيير بريطانيا سياستها الخارجية[٤٧]، ولم يشعر رزوبيري بالندم على تغيير سياسته، وعبر عن شعوره بالفخر والابتهاج بسياسته الجديدة في رسالة بعث بها في كانون الثاني عام ١٨٩٥ إلى مالت وصف فيها مركز بريطانيا بالرئيس في العلاقات الدولية، وقال: " إذا أرادت بريطانيا قيادة سياستها الخارجية قيادة صحيحة، فيجب أن تسيطر على مفتاح البحر المتوسط [إيطاليا] " [٤٨].

وأظهرت ألمانيا تجاهلها لمكانة بريطانيا الدولية، عندما بدأت بالتكلم على قدرتها على دعم السياسة الاستعمارية الفرنسية في افريقيا [٤٩] لذلك تحتم على بريطانيا إرسال رسالة واضحة جداً إلى ألمانيا عن طريق فينا، بأننا لا نستطيع دعم الحلف الثلاثي في أوروبا بسبب تجاهل ألمانيا لدور بريطانيا الرئيس في دعم إيطاليا لضمان

بقائها في الحلف الثلاثي مما زاد مشاعر الخوف والانزعاج في فينا وروما من اللهجة المختلفة جداً عن موقفهما في برلين(٥٠).

ولكن إذا كانت بريطانيا في هذا الوقت قادرة على التفاوض مع كل المتحالفين وتعزيز موقفها بسبب نجاح مشروع سبنسر (٥١) Spencer لزيادة قوتها البحرية مما جعلها تتخلى عن روابطها السابقة، مثلما أشار روزبيري عام ١٨٩٥ : " يجب علينا أن نتعاون مع التحالف الفرنسي- الروسي إلا أننا يجب أن لا نشترك بالتزامات تفرض علينا الدخول في حرب ليست لنا مصلحة فيها " (٥٢).

واستمرت بريطانيا بالعمل على هذا النهج والتعاون العملي مع التحالف الفرنسي – الروسي كلما تسمح الظروف ولكن دون الدخول في التزامات واضحة مع الحلف. وكانت هذه الفكرة الرئيسة في سياسة روزبيري الخارجية الجديدة التي جعلت التعاون مع الحلف الفرنسي- الروسي ممكن. كان هذا التطور ناتجاً جزئياً عن تغير الرأي العام البريطاني بسبب الصراع الاستعماري بين بريطانيا وألمانيا. وجزء آخر ناتجاً عن مذابح الأرمن التي ولدت مجموعة جديدة من القيود على السياسة الخارجية البريطانية. وكانت ألمانيا تعتقد ان هذه القيود ستدفع روزبيري فوراً للعودة إلى الحلف الثلاثي ولكن الفكرة كانت وهماً ألمانيا وغير صحيحة(٥٣).

وتنبأ هاتزفيلدت بأن المسألة الحرجة والحاسمة في هذا الوقت أصبحت المضايق العثمانية، ومادامت المسألة الشرقية مقتصرة على مشكلة الأرمن فإن من السهل نسبياً لبريطانيا وروسيا أن يعملا معاً. ولكن ما أن تدخل قضية المضايق في الأزمة، فإن تصادم مصالحها يجعل التعاون بينهما صعباً جداً وفشلت سياسة حكومة حزب الأحرار للتوصل إلى حل مشكلة الأرمن بالتعاون مع روسيا(٥٤).

وإن المسألة الرئيسة التي واجهت سالزبوري الذي عاد إلى رئاسة مجلس الوزراء في حزيران عام ١٨٩٥ كانت البحث عن حل لمشكلة الأرمن(٥٥)، وبدأ بالبحث مجدداً لإعادة ارتباط بريطانيا بالحلف الثلاثي، لأنه اكتشف بسرعة ليس هناك أمل في نجاح

أي تعاون مع روسيا مهما وافقت بريطانيا على القيام بالضغط على الإمبراطورية العثمانية لحل المشكلة وان ما ينطبق على روسيا ينطبق على فرنسا(٥٦).

وكان سالزبوري يميل إلى انتقاد الإرث الذي ورثه من روزبيري خاصة الفكرة القائلة بإمكان الإمبراطورية العثمانية إجراء إصلاحات بين رعاياها ومنح الضمانات للأرمن بحسن نية السلطان، وتساءل سالزبوري كيف نستخدم القوة لفرض شروطنا على السلطان التي يرفضها دون وجود حلفاء أوروبيين إلى جانبنا،وإن مجرد التساءل ما الذي ينوي سالزبوري القيام به في هذه المرحلة هو تساؤل مثير لكثير من الجدل. وأنه أبلغ إلى هاتزفيلدت في تموز عام ١٨٩٥ عن ندمه بشأن دعم الإمبراطورية العثمانية سابقاً ورفضه تقسيمها فإنه أي سالزبوري يفكر بالأمر حالياً(٥٧).

ويبدو أن محادثات سالزبوري مع هاتزفيلدت كانت استطلاعية بنحو صرف ليكتشف وجهة النظر الألمانية لحل مشكلة الأرمن عن طريق تقسيم الإمبراطورية العثمانية. لكن سالزبوري أنكر بشدة بعد ذلك أنه اقترح إعطاء أسطنبول إلى روسيا وقال: " لم ألمح إلى أي شيء عن هذا الأمر وقلت بأنني متأكد أن الألمان سيقومون بذلك إذا كانوا في حرب ضد فرنسا " (٥٨).

ولكن بغض النظر عن ما هي نيات سالزبوري، فإن ألمانيا بعد هذه المحادثات كانت أكثر حرصاً من روسيا في الاهتمام بحل مشكلة الأرمن ، وقال : " يتضح من خلال المحادثات بين سفير النمسا– المجر والإمبراطور الألماني مما لا يقبل الشك بأن جميع دول أوروبا مؤيدة لسياستنا بشأن الأرمن وان الدولتين [ألمانيا والنمسا– المجر] تكره بالتأكيد تلك السياسة إذ تعتقدان أنها سياسة غريبة وخطيرة " (٥٩).

وظل كرسبي يضغط في هذه الظروف لعقد الحلف الثلاثي والتعاون وبريطانيا لعقد مؤتمر دولي بشأن مشكلة الأرمن، وكانت الفكرة الإيطالية واضحة للقيام بأي شيء يقضي على تقارب بريطانيا مع التحالف الروسي– الفرنسي، وإذا قاد المؤتمر إلى تقسيم الإمبراطورية العثمانية فإن كرسبي لا يعترض على ذلك، ولكن سالزبوري لم يؤيد عقد المؤتمر, ولمح إلى الطليان بضرورة التفكير في احتلال طرابلس أو ألبانيا بدلاً من

البحث عن حل لمشكلة الأرمن ،ذ ولم تكن تلميحاته جادة بل كان هدفها الرئيس هناك إبعاد إيطاليا عن زيلا Zeila، إذ أصبح الضغط شديداً على بريطانيا، وعد سالزبوري عقد مؤتمر مع روسيا وألمانيا والنمسا– المجر وفرنسا وإيطاليا والإمبراطورية العثمانية لا يستطيع ضمان اتخاذ قرار لصالح بريطانيا وقال : " إن النتيجة الوحيدة لعقد المؤتمر هو أننا يجب أن نقدم تنازلات إلى ست دول بدلاً من اثنتين كما هو الحال في الوقت الحاضر" (٦٠).

وكان سالزبوري يعتقد رغم ذلك بضرورة القيام بعمل ما وكان الحل الواضح في نظره هو التخلي عن الأرمن مثلما اخبر هاتزفيلدت لاحقاً: " فكرتي الوحيدة هو إخراج نفسي من هذا الموقف المثير للاشمئزاز" . ولكن ضغط الرأي العام البريطاني جعل هذه الفكرة بعيدة جداً ؛ لأن المشكلة الأرمينية تم الاهتمام بها من لدن صحافة حزب الأحرار وغلادستون ورجال الدين البريطانيين(٦١).

ويكمن هذا تفسير الخلاف بين بريطانيا والدول الأوروبية، مثلما تأمل سالزبوري ذلك في رسالة بعث بها إلى كورني Cornie سفير بريطانيا في اسطنبول: " إن من المسائل المثيرة للاهتمام ان الطبيعة السايكولوجية للمجتمع البريطاني مختلفة جداً عن شعوب القارة الأوروبيين، ولا أعتقدُ بأن هناك شخصاً واحداً في ميناء ارتشنجل Archangel الروسي إلى ميناء قادس Cadil الأسباني يهتم بمذبحة الأرمن، لكننا هنا نتعاطف معهم ويصل هذا التعاطف في غضبه إلى الجنون" (٦٢).

وكان حل سالزبوري في هذه الظروف في أيلول عام ١٨٩٥ هو استبعاد القيام بعمل ما في المضايق العثمانية وإنزال قوات بريطانية في ميناء جدة (الحجاز) وتهديد الأماكن المقدسة الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت هذه الفكرة تحمل ميزة مزدوجة ؛ لأنها لا تثير خوف الروس في حين من المحتمل أن تؤثر في السلطان العثماني. وكان سالزبوري ينتظر حلول فصل الشتاء ؛ لان فصل الخريف حار في المنطقة لتنفيذ فكرته لكن لدن مجيء ذلك الفصل ، فإن الظروف قد تغيرت، فقد تجددت مذابح الأرمن(٦٣) في نهاية أيلول مما اثار الهلع في أوروبا بصورة عامة بإذ

نتج عن ذلك اتحاد غير متجانس بين الدول الأوروبية الكبرى، وأجبرت تلك الدول السلطان العثماني لإصدار فرمان في ١٧ تشرين الأول من عام ١٨٩٥ تم بموجبه منح الإصلاحات التي كان الحلف الثلاثي وبريطانيا وروسيا وفرنسا تضغط للحصول عليها منذ أشهر(٦٤).

كان لهذا القرار نتيجتان الأولى: سمح لروسيا بموجب هذا القرار الدخول في المضايق العثمانية، والقيام بعمل عسكري بحري هناك، وغير سالزبوري نتيجة اهتمامهم نحو مسألة دخول روسيا في المضايق، وابتعد عن الاهتمام بمشكلة الأرمن. والثانية: أصبح الاهتمام الآن بانفتاح الإمبراطورية العثمانية وإصلاحها مما جعل الدفاع عنها امراً مقبولاً للرأي العام البريطاني، وبذلك استطاع سالزبوري أن يبدأ بسياسة واضحة لإعادة علاقة بريطانيا الجديدة مع الحلف الثلاثي(٦٥).

وكان سالزبوري إثناء مباحثاته مع هاتزفيلدت في تشرين الأول عام ١٨٩٥ متفائلاً جداً ؛ فقد توصل إلى استنتاج أخبر به ديم، بأن المحافظة على الإمبراطورية العثمانية هي السياسة الوحيدة الممكنة التي يجب إتباعها ، لان انهيار تلك الإمبراطورية ليس في مصلحة بريطانيا(٦٦).

وكان يرغب بشدة في مناقشة تجديد التفاهم السابق مع الحلف الثلاثي، واعتقد أن إيطاليا ستكون طرفاً ثالثاً مفيداً واستقبلت فينا هذه الأخبار بامتنان، وأن كولو جوفسكي(٦٧) Ceolachwski وزير خارجية النمسا – المجر ، شعر بالارتياح في هذا الوقت، ولم تكن هناك صعوبة في الحصول على مساعدة ايطاليا، وان كرسبي وبلانك Blanc كانا يحثان فينا على الرأي العام البريطاني بشأن الأرمن، وبذلك يتم إبعاد بريطانيا عن فرنسا وروسيا، وأن كرسبي سيدعم إي عمل تراه بريطانيا ضرورياً، وأنه لا يكترث بسقوط الإمبراطورية العثمانية ، لأن المسألة الضرورية بالنسبة له في هذه المرحلة الحرجة عدم تحالف بريطانيا مع فرنسا وروسيا ما عدا ذلك فإن إيطاليا لا تهتم في حالة احتلال روسيا لاسطنبول أو عدم حصول إيطاليا على طرابلس(٦٨).

وجاء التغير في السياسة النمساوية الخارجية من هنا. فاقترح كولوجوفسكي ، بعد ان علم بعودة العلاقات البريطانية- الإيطالية إلى سابق عهدها في ١١ تشرين الثاني قيام أساطيل الحلف الثلاثي وبريطانيا بالدخول إلى المضايق العثمانية لإجبار السلطان العثماني على تنفيذ الإصلاحات التي وعد بها سابقاً في إمبراطوريته، واعتقد كولوجوفسكي وكذلك كرسبي بأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي من خلالها جعل العلاقات القديمة مع بريطانيا عملية، وبهذا يتم إبعاد بريطانيا عن التعاون الذي يخشاه مع روسيا[٦٩]، ولكن لسوء الحظ فكان اهتمام كولوجوفسكي الرئيسي ليس مصير الأرمن بل بخطر تقسيم الممتلكات العثمانية الشرقية بين بريطانيا وروسيا، وانتهز كولوجوفسكي فرصة إعادة التعاون بين بريطانيا والحلف الثلاثي من جديد ليتجنب حدوث ذلك[٧٠].

ولكن عند تهديد لوبانوف[٧١] Lobanov (وزير خارجية روسيا) بمعارضة روسيا لإغلاق المضايق العثمانية بوجه السفن الروسية مهما كانت الظروف، الأمر الذي اضطر كولوجوفسكي التراجع بسرعة عن موقفه لان استمراره يعني إعلان الحرب ضد روسيا ، وهي حرب لا داعي لها في وجهة نظر النمسا- المجر[٧٢]، لأن لوبانوف عدّ انتفاء أمل لعقد أية صفقة بين بريطانيا وروسيا، اذا رفضت الأولى افتتاح المضايق العثمانية بوجه السفن الحربية الروسية[٧٣].

وحاول سالزبوري تبرير موقفه من مشكلة الأرمن للرأي العام البريطاني بنشر كتاب أزرق رمى اللوم فيه على النمسا- المجر التي لم تكن ترضى إتباع بريطانيا في جهودها هناك، وكان هدفها الوحيد هو المحافظة على العمل المشترك وكان إعلان روسيا الصريح بانتهاك معاهدة باريس[٧٤] السابقة بشأن المرور في المضايق يهدد المصالح البريطانية في المنطقة مما كاد يقود إلى الحرب، ومثل هذه الحرب ليس لها أهمية بالنسبة للنمسا- المجر[٧٥].

اعتقد سالزبوري بإمكانية قيام بريطانيا والحلف الثلاثي بحملة مشتركة لفرض الإصلاحات على السلطان العثماني. وبهذا يمنحون ضماناً لوحدة إمبراطوريته، لكنه

رفض لوبانوف حدوث بهذا وانسحاب كولوجوفسكي جعل من الواضح بأن سالزبوري إذا إصر على ذلك فستكون بريطانيا وحدها في الحملة. ويتضح ذلك من خلال مراسلته مع جوشن Goschen بأن ما كان يفكر به سالزبوري أصبح الآن يشعر بالتعب من عناد السلطان العثماني وتغيير كولوجوفسكي وتردده [٧٦].

بدأ سالزبوري في هذا الوقت بالاعتقاد بأن الطريقة الوحيدة لزيادة التعاون مع حلفائه (ألمانيا والنمسا- المجر وإيطاليا) هي قيام بريطانيا باحتلال المضايق العثمانية بالقوة. واعتقد بأن قيام بريطانيا بالحملة وحدها دون مساعدة النمسا- المجر وألمانيا وإيطاليا ستجعل روسيا لا تعارضها. لذلك رفض العروض الإيطالية لتقديم المساعدة لبريطانيا في هذا الوقت استناداً إلى هذا الاعتقاد ولم يكن يعرف ما هو هدفه بالضبط من هذه الفكرة[٧٧].

وكان هدفه للمرة الثانية غير واضح، وقام بإخبار وزارة البحرية البريطانية بأنه يهدف إلى إحباط مخطط روسي للسيطرة على أسطنبول ولكن لا يستطيع تحديد مدى جدية تلك المخططات. وربما أنه كان عذراً للتغلب على معارضة مجلس الوزراء البريطاني. وكان هدفه الحقيقي هو احتلال بريطاني مباشرة لاسطنبول وإجبار السلطان العثماني للقيام بالإصلاحات وإنقاذ تدهور الإمبراطورية العثمانية[٧٨].

وأصبح بعد كل هذا الدفاع عن اسطنبول، مثلما أشار هاملتون Hamilton وبلفور. أحد المفصلين الرئيسين للسياسة الخارجية البريطانية التي يتخذها سالزبوري حالياً. وكان يعتقد بأنه إذا لم يستطع القيام باحتلال اسطنبول سيضطر إلى التخلي عن تلك السياسة وكان هاتزفيلدت مقتنعاً بأن هدف سالزبوري في هذه المرحلة هو التخلص من السلطان العثماني[٧٩].

وان سالزبوري باتخاذه هذه الفكرة فإنه وقف بوجه قناعة وزارة البحرية البريطانية التي أشارت إلى عدم استطاعتها منع طموحات الروس في المضايق العثمانية، إذا بقيت فرنسا معادية لبريطانيا، فيما كان سالزبوري يشك بآراء الوزارة ؛ واعتقد بأن احتلال اسطنبول هو عمل سهل جداً، وأن إصر على معارضة الوزارة ،

على اعتبار مسؤولية مجلس الوزراء البريطاني لإصدار القرار بشأن ذلك وليس الخبراء البحريين العسكريين(٨٠).

ولكن الصعوبة التي واجهها سالزبوري هي عدم استطاعته إقناع زملائه في مجلس الوزراء بآرائه، إذ كان جوشن اللورد الأول للأدميرالية البحرية البريطانية بالطبع يدعم كادر وزارة البحرية في معارضتهم لسالزبوري واشترط جوشن للموافقة على آراء سالزبوري حصوله على ضمان بالدعم النمساوي والايطالي في حالة قيام روسيا بمهاجمة اسطنبول لاحتلالها، ورفض جوشن دون ذلك الاقتراح الذي قدمه سالزبوري بمنح كورني سلطة عودة الأسطول البريطاني الموجود في سالونيك Salonika في البحر المتوسط في حالة حدوث حالة طارئة على حسب رأيه دون الرجوع إلى مجلس الوزراء البريطاني(٨١).

وأشار جوشن في رفض هذا الاقتراح: " إنني أخشى موافقتكم عليه ليعطي كورني سلطة لاستدعاء الأسطول دون معرفتي بالخطوة التالية للأسطول، وما هو هدف السياسة التي يتبعها وإني لا أستطيع قبول هذه الخطوة بسبب حدوث حالة طارئة مثلاً" (٨٢).

وحصل جوشن في معارضته لهذا الاقتراح على دعم تشيمبرلين وهاملتون وبلفور ، ولم يكن أمام سالزبوري، الذي لا يستطيع الحصول على دعم النمسا– المجر وإيطاليا ، أي خيار إلا الاستقالة، مثلما أخبر جوشن " أجبرني مجلس الوزراء بشأن مشكلة الأرمن أن أجلس صامتاً " ولهذا في بداية كانون الأول عام ١٨٩٥ على الرغم من أنه لم يتخذ أي قرار واضح إلى الآن فإن جميع أعضاء مجلس الوزراء تخلى عن الفكرة وذلك لوجود اعتبارين آخرين ساعدت في تغيير هذا الموقف ؛ وهما تطور التوتر الشديد مع الولايات المتحدة بشأن فنزويلا ومع ألمانيا بشأن الترانسفال(٨٣).

الهوامش والمصادر

(1)Bourne, Kenneth, the foreign policy of Victorian England (1830-1902), London, 1970, P.151.

(٢) لمزيد من التفاصيل، ينظر:

C.F. Heming , op. cit, P.73.

(٣) لورد روزبيري Lord Rosebery (١٧٤٧-١٩٢٩) : سياسي بريطاني ولد في لندن ولقب الأيدل الخامس عام ١٨٦٨ . وتسلم العديد من المناصب إذ أصبح وزيراً للخارجية عام ١٨٨٦ . وشغل المنصب نفسه مرة أخرى (١٨٩٢-١٨٩٤) ، وتولى بعد ذلك رئاسة الوزراء من آذار ١٨٩٤- حزيران ١٨٩٥ .

انظر : Encyclopedia The New Britannica, London, 1985, vol , 10 , p183.

(4) Lowe C. J, The Relaxctant Imperialism British Foreign policy (1878-1902), London, 1967, P.90.

(5) Bourne, Op. Cit, P.151.

(6) Ibid, P.91

(7) Ibid ,P.92.

(8) Bourne, Op, Cit, P.151.

(9) G.P. E.K.,8 Band, No. 1738.

(١٠) باميز : تقع على الحدود الأفغانية .

انظر : The New Encyclopaedia Britannica, Vol , 9, p99 .

(11) Bourne, Op, Cit, P.151.

(١٢) كذلك خالفت بريطانيا موقف فرنسا وروسيا بشأن مشكلة الكونغو عام ١٨٩٤، وأزمة الأرمن في عام ١٨٩٥، ولكن على الرغم من ذلك إلا أنه لم يكن حاسماً.

انظر:

Langer, William, European Alliances and alignments (1871-1890), New York, 1939, P.178.

([13]) Dedidour, D., Histories piplomatiq-ue De L, Europe Depuis Le congres Berlin, paris, Libric felix Al can, 1929, P.187.

([14]) G.P. VIII, Nos, 1742.

([١٥]) أزمة سيام: سيام المقصود بها تايلند، كانت بريطانيا تشجع ملوك سيام على محاربة الفرنسيين الذين كانوا يحاولون التوغل غرباً والوصول إلى نهر ميكننج الذي يفصل أراضي لاوس الفرنسية عن أراضي سيام. وأدى ذلك إلى قيام حرب فرنسية مع سيام عام ١٨٩٣. وخسرت الأخيرة الحرب وتقلص حجم دولة سيام، بعد ان وقعت بريطانيا وفرنسا ما يسمى (الاتفاق الانجلو-الفرنسي) عام ١٨٩٦ وفيه اعترفت الدولتان ببقاء ما تبقى من سيام مستقلاً ، وذلك ليس بالطبع حباً بملوك سيام بل لتفادي نشوب حرب استعمارية بينهما، انظر: فايز جابر ابو صالح ، المصدر السابق ، ص٧١.

([16]) G.p.E.K.,7 Band, No, 1751.

([17]) Wesleym, Gergehr, The Rise of Nationalism, Lafore, Loaurence, The Long fuse in interpretation at the Origins of world, Indiana, 1959, P.424.

([18]) G.P. E.K.,7 Band, No. 1745.

([١٩]) السياسية العالمية : انتهجت ألمانيا سياسية عالمية في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والتي تهدف الى التوسع في الحصول على المستعمرات خارج أوروبا بما يتناسب مع مكان ألمانيا وقوتها في أوروبا . أنظر : يقظان سعدون العامر ، العلاقات الألمانية – الروسية في عهد السياسة العالمية ، (١٨٩٤-١٩٠٢) ، مجلة الأستاذ ، العدد (٤٩) ، لسنة ٢٠٠٤ ، ص ص ٥٠٩-٥١٢ .

([20]) .Ibid , No , 1746 .

([21]) Lowe, The Reluctant, P.92.

([٢٢]) سبب الحلف الفرنسي – الروسي مخاوف كبيرة لبريطانيا دفع الحكومة البريطانية لبناء اسطول بحري كبير، إذ اقترح وزير الخارجية روزبيري في تشرين الأول عام ١٨٩٣ توسع الأسطول البريطاني بنحو موازي للأسطولين الروسي والفرنسي ولاسيما بعد زيارة الأسطول الروسي لميناء طولون الفرنسي، لكن غلادستون رفض هذا المقترح، وقد شنت الصحافة البريطانية حملة كبيرة ضده واتهمته بأنه غير مهتم بمسؤوليات الامبراطورية. أنظر: حسين حماد رجب الدليمي، المصدر السابق، ص١٠١.

([23]) Langer, op. P.368.

([24]) Lowe, Salisbury, P.104.

([25]) Langer, William, European Alliances and Alignments (1871-1890), New York, 1939, P.368.

([26]) Debldour, op. cit, P.180.

([27]) Medlicott, The Mediterranean Agreements of 1887, Slaunic Reaiew, London, 1921, P.219.

([28]) Ibid, P.220.

([٢٩]) وقعت إيطاليا في الخامس من ايار ١٨٩٤، اتفاقية جديدة مع بريطانيا وهو العام الذي تمكن فيه الطليان من السيطرة على كسلا وطرد أنصار حركة المهدي، وقد نصت هذه الاتفاقية على اعتراف بريطانيا بدائرة نفوذ ايطالية تمتد من ساحل ارتيريا وتشمل جميع اثيوبيا وتنتهي على ساحل المحيط الهندي. أنظر: آمال ابراهيم محمد، الصراع الدولي بشأن البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٧، ص٢٠١-٢٠٢؛ د. جلال يحيى محمد نصر مهنا ، مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص ص٤١٣-٤١٥.

([30]) Debldour, op. cit, P.197.

([31]) Debldour, op. cit, P.263.

([٣٢]) كارنو ، سادي Carnt Sadi(١٨٣٧-١٨٩٤) : رجل دولة فرنسي ورابع للجمهورية الثالثة ولد في مدينة ليموج ، عين مديراً بعد سقوط الإمبراطورية وأصبح وزيراً لمرتين ١٨٧٩-١٨٨٥-١٨٨٦- ثم أنتخب رئيساً للجمهورية في عام ١٨٨٧ ، وتميزت ولايته بالاضطراب السياسي العام . أقتيل على يد أحد الفوضويين الايطاليين ويدعى كازيريو في مدينة ليون عام ١٨٩٤ .
انظر : The New Encyclopaedia Britannica, Vol , 2 pp.884-885.

([33]) G.P. E.K.,8 Band, No.1850.

([34]) Ibid, P.63.

([35]) Temperly and person, Foundation of British Foreign policy, 1792-1902), London, 1938, P.482.

([36]) Medlicott, Op. cit, P.220.

(٣٧) عاد كرسبي إلى رئاسة الحكومة الإيطالية في كانون الأول عام ١٨٩٣.

(38) Bayer, op. cit, P.81.

(39) G.P. E.K.,8 Band, No.2004.

(40) Lowe, Salisbury, P.105.

(41) Bayer, op. cit, P.95.

(42) Ibid, P103.

(43) G.P. No. 1852.

(٤٤) جوزيف جامبرلين Joseph Chamberlain (١٨٣٦-١٩١٤): رجل دولة بريطاني ولد في لندن، دخل المعترك السياسي في البرلمان عام ١٨٧٦ ممثلاً عن مدينة برمنغهام وأصبح رئيس هيئة التجارة في حكومة غلادستون (١٨٨٠-١٨٨٥) ثم انتمى إلى حزب المحافظين بعد انشقاقه عن حزب الاحرار، وفي عام ١٨٩٥ أصبح وزيراً للمستعمرات في حكومة سالزبوري ١٨٩٥. وقاد عام ١٩٠٣ حملة لإصلاح نظام التعريفة الكمركية، اعتزل السياسة عام ١٩٠٦ بعد أن أصيب بالشلل. انظر: الآن بالمر، المصدر السابق ، ص ص١٧٣-١٧٤.

(٤٥) معمر مصطفى علي عثمان، التنافس البحري الألماني- البريطاني (١٨٩٧- ١٩١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص ص٢٨-٣٠.

(46) Temperley and Penson, Op. Cit, P.491.

(47) Lowe, Sailasbury, P.106.

(48) B.D.vol , VIII, P.111.

(49) Ibid, P.112.

(50) Lowe, Salisbury, P.106.

(٥١) جون بوينتز سبنر (الايرال الخامس) John poyntz spencer (١٨٣٥-١٩١٠) : سياسي بريطاني وأحد أعضاء حزب الأحرار المتميزين . تولى العديد من المناصب أهمها نائب الملكة في ايرلندة في المدة (١٨٦٨-١٨٧٤) ؛ ثم شغل منصب نفسه في المدة (١٨٨٢-١٨٨٥) دعم بشدة إصلاحات الأحرار في ايرلندة. كما ساند مشروع الحكم الذاتي لايرلندة في المدة (١٨٨٥-١٨٨٦) ، تولى وزارة البحرية في المدة (١٨٩٢-١٨٩٥) ، دعم التوسيع البحري البريطاني مخالفاً بذلك سياسة غلادستون ، أدى تدهور صحته منذ عام (١٩٠٥) إلى استبعاده من تولي رئاسة الحكومة . انظر : حيدر صبري شاكر الخيقاني ، الملكة فكتوريا وأثرها على

السياسة البريطانية(١٨٣٧-١٩٠١) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص١٩٤ .

([52]) Hammann, op, cit, P.132.

([53]) Ibid, P.134.

([54]) Lowe, Salisbury, P.107.

([55]) Hermann, P. cit, p.132,

([٥٦]) سقطت حكومة روزبيري في حزيران عام ١٨٩٥ بسبب المسألة الشرقية. انظر: حسن زغير حزيم، سياسة التحالفات الأوربية وأثرها في العلاقات السياسية الأوربية (١٨٧٩ – ١٩٠٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص٢٠٦.

([57]) Ibid, P.134,

([58]) Lowe, The Reluctant, P.99.

([59]) G.P., E.K.,10 Band, No, 281.

([60]) Lard Rondolph Churchill, Churchill, London, 1918, p.341.

([61]) I bid, P, X, Nos. 371.

([62]) G.P. X, Nos. 371.

([٦٣]) ارتبط تطور القضية الأرمينية بظهور الجمعيات والأحزاب الأرمينية في الداخل والخارج التي أنتقلت بدورها إلى العمل المسلح للمطالبة بالحقوق ، ومن أقدم هذه الأحزاب حزب الأدمنكان في مقاطعة فإن ، وحزب الهنشاق الذي أسُس في جنيف سنة ١٨٨٩ . وحزب الطشتاق الذي أسُس في تفليس سنة ١٨٩٠ . وبدأت هذه الأحزاب والجمعيات بالمظاهرات السلمية مطالبة بتنفيذ الإصلاحات من السلطان العثماني التي تتعلق بالأرمن وتدخل الجيش التركي في هذه الحالة عند ذاك بدأت المجزرة التي تعدّ من أفضع المجازر البشرية حيث أطلقت يد العصابات المتعطشة للقتل والنهب والسلب ، وقد تم حرق أكثر من ثلاثة ألاف أرمني في أسبوع عيد الميلاد وذبح ٧٠٠٠ أرمني في اسطنبول ، وذلك تحت سمع وبصر السلطات الفرنسية . انظر : بول اميل ، تاريخ ارمينيا ، ترجمة : شكري علاوي ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ص ٤١-٤٨ ؛ ك . ل . أستار جياك ، تاريخ الأمة الأرمنية ، مطبعة الاتحاد الجديد ، الموصل ، ١٩٥١ ، ص ص ٢٧٢-٢٨٦ .

([64]) Ibid, Nos. 286.

([65]) G.p; E.K.,10 Band 2386.

([66]) Ibid. No, 2562.

([٦٧]) كولو جوفسكي : سياسي نمساوي من أصل بولندي ، عمل في منصب وزير خارجية النمسا – المجر (١٨٩٥-١٩٠٦) وهو الذي تباحث مع الروس بشأن الاتفاقية النمساوية – الروسية ١٨٩٧ . واستطاع بهذه الاتفاقية أن يهدى التوتر الأوروبي . ثم عزز الاتفاقية باتفاقية ميورزنيج النمساوية الروسية لعام ١٩٠٣ ، وحافظ على ولاء بلاده لحليفتها ألمانيا في مؤتمر الجزيرة الخضراء ، لكن أصله البولندي كان سبباً كبيراً في سقوطه عندما شك فيه المجريون في كونه يعمل على عرقلة استخدام اللغة المجرية لغة سائدة في الجيش النمساوي المجري ، فأخذ يعمل على إرضائهم ، مما حدا بولي العهد موانس فيردينا إلى تنحيته عن منصبه في عام ١٩٠٦ متهماً إياه بمطاوعته لمطالب المجريين . انظر : أنس إبراهيم خلف العبيدي ، المشكلة المقدونية ١٨٧٨-١٩٠٨ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص١٢٧ .

([68]) Lowe, The Reluctant, P.101.

([69]) Ibid, P.102.

([70]) Ibid, P.102.

([٧١]) أليكس لوبانوف روستوفسكي (١٨٢٤-١٨٩٦) : رجل دولة روسي دخل السلك الدبلوماسي وهو في سن العشرين . وأصبح سفيراً في اسطنبول عام ١٨٥٩ و ١٨٦٣ . وعمل لمدة عشرة سنوات مساعداً لوزير الخارجية وفي آذار عام ١٨٩٥ أصبح وزيراً للخارجية ، وأبان هذه المدة عمل على إحياء النفوذ الروسي في شبه جزيرة البلقان .

انظر :

Encyclopedia The New Britannica, London, 1985, vol , 7 , p.429

.

([72]) G.P.E.K.,10 Band. 250.

([73]) Ibid, Nos. 250.

([٧٤]) عقدت معاهدة باريس في ٣٠ آذار سنة ١٨٥٦ التي أنهت حرب القرم ونصت على إدخال الإمبراطورية العثمانية عضواً في المحفل الأوربي، وقبول مبدأ التحكيم في حالة وقوع خلاف بين الامبراطورية العثمانية وبين إحدى الدول الأوروبية وتشترك الدول الأوروبية في ضمان استقلال الامبراطورية العثمانية ووحدتها. وتعهد السلطان بإدخال الإصلاحات بدون تفرقة بين رعاياه على

اساس الدين أو القومية، إعلان حياد البحر الأسود وفتح موانئه للتجارة الدولية عامة على أن تغلق في وجه السفن الحربية. انظر: هـ. أ. ل فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة احمد نجيب هاشم وديع الضبع، مصر، ١٩٦٤، ص٢٢٥.

(75) Lowe, The Reluctant, P.102.

(76) Lowe, Salisbury, P.108.

(77) Langer, op. Cit, P.206.

(78) Ibid, P.208.

(79) Lowe, Salisbury, P.150.

(80) Lowe, The Reluctant, P.103.

(81) Marder, Op, cit, P.244.

(82) Ibid, P.245.

(٨٣) للمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر : عبد الله حميد مرزوك حسين ، العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٩٥-١٩٠٢ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ص ١٠٥-١٦٣ ؛ شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ ، ص ص ٢٥٦-٢٧٧ .

(النشاط الاقتصادي في مصر القديمة حتى الأسرة العشرين)

أ.م.د فاضل كاظم حنون

سارة جبار أرشيد

(النشاط الاقتصادي في مصر القديمة حتى الأسرة العشرين)

أ.م.د فاضل كاظم حنون

سارة جبار أرشيد

يشكل الاقتصاد أهمية كبيرة في حياة الإنسان المصري القديم؛ إذ يعد الأساس المادي لبناء الحضارة، لاسيما وأنه كان يمثل الركيزة الأساسية الذي قامت عليه حضارة بلاد وادي النيل القديمة؛ حيث يعد دعامة التقدم وعن طريقهُ تستطيع المدن أن تنهض بحضارتها، وهذا النهوض أعتمد على الزراعة والصناعة والتجارة، وكان الاقتصادي في مصر القديمة اقتصاد الدولة التي كانت تمثل سلطة مركزية تشمل مجالات الحياة كافة على الطبقة المحكومة، أي أن الملك والطبقة الحاكمة هم من كانوا يمتعون بالسلطة الكاملة في البلاد.

(النشاط الأقتصادي في مصر القديمة)

الزراعة: تعد الزراعة العامل الأساسي الذي ساعد على أستقرار وأرتباط المصري القديم بالارض كما أن توصل المصري القديم الى أكتشاف الزراعة يدل على مدى نجاحه في أستثمار الموارد الطبيعية في البيئة المصرية من حوله وأكتشف العراقيون القدماء الزراعة ومارسوها منذ العصر الحجري الحديث حيث كانت كمية الأمطار تكفي للزراعه بدائية[١].

ومن أهم عوامل البيئة التي ساعدت على الزراعة أنه نهر النيل كان يفيض في أواخر الصيف وأوائل الخريف فيغذي التربة بالماء ثم ينحسر عن جانيبيه في وقت ملائم جدا لزراعة المحاصيل الشتوية وأهمها الشعير والقمح[٢].

وعندما أنتشرت زراعة الحبوب حدثت أهم خطوة في ثورة التحول من مرحلة جمع الطعام والحياة البدوية البدائية الى مرحلة انتاج الطعام وهكذا أستطاع المصريون

القدماء أن يطوروا حرفة الزراعة ويجعلوها أكثر أزدهارا وأن ينشئوا نظاما سياسيا يدير شئونهم ويتيح لهم حياة أمنة ومطمئنه وأكثر رفاهية وأستقرار [٣]

أولا: (إدارة الزراعة): تعد الزراعة أساس الاقتصاد في مصرالقديمة وقد أطلق المصريين على بلادهم أسم كيمي (الارض السوداء) دلالةعلى خصوبة تربتها وكانت منتجاتها تشكل المصدر الاساسي لتغذية السكان واطعام الجيوش وتموين الخزانة الملكية[٤].

وتنقسم هذه الإدارة الى قسمين:

١- مصلحة المواشي:- وتسمى (برحرى وجب) ومعناها على وجه التقريب بيت ما يختص بالأراضي المزروعة, وهي تنقسم نظرياً الى شطرين (أيس) يرأسهما رئيس نصفي (برحرى وجب) [٥]

٢- مصلحة الزراعة (مصلحة الحقول) وكانت تسمى مصلحة (الضياع) وقد عثر على اسمها على اختام من الاسرة الثانية ووجد لقب مدير الحقول على اثارمن الاسرة الثالثة(٢٧٨٠ – ٢٦٨٠ ق. م) ويديرها موظفي يسمى مدير كتاب الحقول الذي كان عضوا في مجلس العشيرة العظيم يعاونه عدد من كبار الموظفين [٦]

ويتبعها نوعين من الأراضي أولها الأراضي الخصبة الممتدة على ضفاف النيل وكانت تقسم الى ضياع كثيرة [٧] وتشرف على كل ضيعة إدارة تسمى (بيت الزراعة) وثانيهما الأراضي الهاشمية وهي الأراضي الواقعة على حافة الصحراء التي لا تغمرها مياه الفيضان الا قليلاً وكانت تستخدم كمراعي أو لزراعة المحاصيل القصيرة الاجل.[٨]

ومن الادوات الزراعية التي كان يستخدمها المصريون القدماء في الزراعة هي:

١- **الفأس :** يعد من أقدم الالات الزراعية وقد أستعان بها في حرث الارض وقد شاع أستعمالها منذ عهد الاسرة الاولى في اعمال البناء والحقول ,ومنذ عهد الاسرة الخامسة صنعت الفأس من النحاس ثم من الحديد واخذت تتطور حتى أخذت أشكالا مختلفة [٩].

٢- **المحراث:** يسمى (سكا) وقد أدى دور كبير في في التخفيف من من عبء الفلاح وزيادة رقعة الاراضي الزراعية [١٠]

٣- **المنجل** :يكون على غرار فك الثور وهو يأكل الحشائش فأسنانه هي أسنان الحيوان وقد أستعاضوا عن العظم بالخشب [١١]

ومن الادوات الزراعية الاخرى الشادوف لرفع الماء للأراضي الزراعية وغيرها من الادوات [١٢] والفلاح المصري كان يزرع المحاصيل الشتوية والصيفية مثل القمح والشعير والفول والعدس والبرسيم والكتان [١٣]

وفي الحصاد يحتفل المصريون القدماء بعيد الاله (مين) [١٤] الذي يصادف في أول فصل(شمو) الصيف [١٥] وهو عيد أحتفال الملك الجديد بأبيه (مين) رمز الخصاب والزراعة لتشير للناس خيرا زراعيا عند تتويج الملك,

وكان موكب الملك المتجه نحو موكب الاله يتكون من ولدي الملك ,ويتقدم الموكب كاهنان يحملان المباخر يليهما الكاهن المرتل , وفي النهاية يذهب الى قصره ليمارس سلطاته ليتقبل التهاني من رجال بلاطه [١٦]

ولأهمية الزراعة ودورها الكبير في أقتصاد الدولة كانت تحضى باهتمام الملوك وتخضع لأشراف الدول وتوجيهها, فكان الملوك يصورون ويدهم على المحراث تشجيعا للزراعة وكان من بين موظفيها المشرفون على مخازن الغلال [١٧] ومحاصيل الأقاليم والمشرفون على الثروة الحيوانية والمشرفون على الأسماك وعلى قطعات الماشية والحمير والغزلان [١٨].

وتنقسم الإدارة الى عدة بيوت منها:

أ- بيت المحراث (برشتو) ويختص بأدارة الأراضي الزراعية.

ب- بيت الراعي ويختص بالمراعي [١٩].

ج- بيت الحيوانات الإنتاج الزراعي.

د- بيت الإنتاج الزراعي [٢٠]

وكانت كل ضيعة مهما كانت مساحتها تكون تحت ادارة مدير خاص [٢١] ويقوم الوزير بحل النزاع اذا نجم بين المالكين العقارين على حدود حقولهم يرسل رسولا للتحقيق في مكان الحادث ويتولى هو اصدار الحكم وكان يتلقى نتائج كل احصاء للماشية ويسجلها ومعنيا بكري الترع وزراعتها [٢٢]

وفي المعابد كانت هناك وظيفة, المشرف على اعمال الزراعة ويتبعه عدد من الموظفين بينهم مزارعو آمون, ورؤساء المزارعون في حقول آمون ومنهم (باري) [٢٣].

الكاهن الاول للاله بتاح [٢٤]وكان هناك اتصال ما بين أعمال الزراعة ومخازن الغلال في المعبد فنجد انه في بعض الاحيان شخص واحد يحمل لقب المشرف على الحقول وعلى مخازن الغلال ومن هؤلاء (سن تفر) من عهد امنحتب الثاني ويحتوي قبره على منظر كبير يظهر فيه مخزن غلال الاله امون [٢٥],

ومن الملوك الذين اهتموا بالزراعة الملكة (حتشبسوت) التي قادت حملة تجارية الى بلاد (النبت) تحمل هدايا للامير هذه البلاد منها مجموعة تماثيل الملكة والمعبود أمون واقف بجانبها ثم عادت الى مصر بعد أن أمتلأت سفنها أشجار عطرية وعاج وأبنوس وقد أهدتها الى الاله أمون شكرا له على نجاح هذه البعثة وعودتها بسلام وشكره على أقامة علاقة تجارية مع هذا الاقليم وقد عاد هذا الاسطول محملا بالمنتجات الزراعية النادرة وغيرها مثل الاشجار والعطور والعاج والبلسم [٢٦].

وهناك مصلحة الري التابعة لأدارة الزراعة فكانت مدمجة في ادارة الحقول [٢٧] ويتم أدارتها من قبل كبار رجال الدولة وحكام الاقاليم وأمراء الجند فكان [٢٨]المشرف على حفر الترع يطلق عليه (عزمر)حاكم المدينة المتصرف في شئون الري [٢٩] ولم تعثر على ألقاب تدل على وجودأدارة الري الا لقب (رئيس بيت الماء) الذي كان يحمله القزم (سنب) في عهد الملك [٣٠]

(جدف– رع) [٣١] فعندما تكون الحكومة قابضة على زمام الري معتنية بالجسور والترع تكون حاصلات القطر وانتاجه بلغت وقتئذ أقصى درجاتها [٣٢].

ثانيا- أدارة الضرائب:

تختص بجمع الضرائب وتحصيلها[٣٣] ويطلق عليها (ادارة الهبات) وعادة يطلق عليها (بيت رئيس الضرائب والتوزيع) (برحري وجب) ومن هذه التسمية نجد أن هذه الأدارة تقوم على شقين الاول لجمع الضرائب, والشق الثاني لتوزيع الهبات الملكية والحكومية على مستحقيها ان كانوا احياء او اموات[٣٤] وان لهذه الأدارة فروعا في مختلف الاقاليم الا أن مركزه كان في الديوان العام بالعاصمة[٣٥] وكذلك هذا مختص بالنظر في المنازعات التي يمكن ان تنشأ بين الممولين والادارة[٣٦]

وتنقسم أدارة الضرائب الى ادارتين احدهما تختص بجباية الضرائب من سكان المدن (رخيت) والاخرى بجباية الضرائب من سكان الريف (مروت) [٣٧].

وهناك نوعين من الضرائب أحدهما تفرض على ممتلكات الدوائر الأدارية المحلية والبلدية والثانية تسمى ضريبة الكمارك تفرض على التجار الذين يدفعون ضريبة الكمرك على البضائع الأكثر أهمية لدائرة الكمرك في دلتا النيل [٣٨] وأنه اهمية الضرائب وفرضها من قبل الحكومة تمكنها من تنظيم الشئون العامة جهد استطاعتها[٣٩]

وتبذل عنايتها في ترقية الاحوال باقتضاء العصور وتطورات الادارة العمرانية[٤٠] وكانت المنازعات حول الضرائب تخضع لقضاء اداري خاص[٤١]

ولما كانت الزراعة تعتمد عليها على الفيضان كان تقدير الضرائب يختلف من سنة الى اخرى[٤٢]فكان المالك يعفي المزارعين من جزء من الضريبة يتناسب مع ما أصاب الارض من نقص في المساحة بسبب النهر وذلك حتى تتكافأ الضريبة المحصلة مع ما تتبقى من الارض الموزعة على الاسرة[٤٣] .

فاذا جاء الفيضان ناقصا يجب ان تنخفض نسبة الضريبة مقدار ما يعادل نقص الفيضان ويؤيد ذلك ما وجد في بعض نقوش(لاموني) أمير الاقليم (مح) في عهد الملك سنوسرت بما معناة: "**لما كان النيل مرتفعا والمحاصيل جيدة على الدوام في فرح وشكر**" [٤٤] ومن أهم الضرائب هي ضريبة المحاصيل الزراعية وضريبة الحرف والمهن

وضريبة المواشي فهناك مرسوم الملك سيشنق الاول يمدنا بتفاصيل عن ضريبة المواشي نوع من الضريبة التصاعدية " **القرابين السنوية للإله أرسافيس تقدم على النحو التالي ستون ثور يقدمها الأمير الحاكم لعشرة ثيران يقدمها رجال السلك العسكري** [٤٥]

والديني وثور واحد يقدمه كل من الطوائف الصناعية والعمال والمزارعين"[٤٦]

والضرائب التي تفترض على الاراضي الزراعية تحصل بكميات من الحيوية وتقدر على الاراضي الزراعية طبقا لجودتها وخصوبتها وإنتاجها[٤٧] وكان حساب الضرائب يتم محليا فكانت تتم جباية الضرائب مرة كل سنتين وكان هذا يتم محليا كذلك[٤٨].

وكانت طريقة جباية الضرائب في القرى تتم بواسطة موظفين الذين يكلفون بجباية الضرائب والقرى التي لا تستطيع توفير النفقات للموظفين كانوا يكلفون أفرادا منها بما يناسب احوالهم من هذه الاعمال[٤٩] وعمال جباية الضرائب يدعون باللغة المصرية القديمة (ونو) وفي عهد الدولة الحديثة (سنو) أي جباية ضرائب المزارعين[٥٠] .

وهناك لكل رئيس مجموعة من الصناع والعمال و أصحاب الحرف عليهم أن يسلموا أنتاجهم المطلوب منهم حسب كشف أعد لذلك بكل دقة إلى الجهات المسئولة وكانت الدولة تصرف له ما يلزم هذه الجماعات من غذاء وشراب ومواد[٥١]

ومدير هذه الادارة من اعضاء المجلس التشريعي الملكي ومن أعضاء مجلس العشرة العظيم والمراسيم التي تصدر بتقرير الضرائب ومقدارها والقواعد التي يعمل بها يصدرها موظف كبير إلى رئيس الضرائب ليقوم بتنفيذها[٥٢] .

وهذا الموظف ينتخب من مجلس العشرة العظيم[٥٣] والضرائب تفرض على الممولين بمعرفة المجلس المحلي (ويسمى مجلس الاشراف) [٥٤] ,

ويصدق على هذا التقرير بالنسبة لسكان الوجه القبلي حاكم الوجه القبلي حامل ملك الوجه القبلي) بوضع خاتمه عليه وكان كهنة الحكومة يراقبون املاك الدولة ويحددونها ثم يباشرون تنظيمهم اما اصحاب الاملاك الكبيرة وبخاصة المؤسسات الدينية العظيمة

و الصغيرة معا , فكانت تؤخذ منهم الضرائب بنسبة تتفاوت قيمتها بتفاوت قيمة الارض من حيث الخصوبة والانتاج(٥٥) .

و انه كل أملاك المعابد كانت معفاة من الضرائب الحكومية عليها والاساس الذي بني على هاذا الرأي يرجع الى ما جاء في ((مراسيم الاعفاء)) التي منحها ملوك الدولة القديمة ومن بعدهم لجماعة رجال المعابد (٥٦) ,

وأهم هذه المراسيم في الدولة القديمة مرسوم الملك بيبي الأول للاهرام الخاصة بالملك سنفرو في دهشور (٥٧) " **حور حري تاوي ,العام ٢١ الشهر الأول من فصل الشتاء ,اليوم ٢٣ .المرسوم الملكي لرئيس كتبة الوثائق الملكية ....,ملك الوجهين سنفرو ... أمر جلالته بأن يعفيه مدينة الهرمين هذه من عمل أي اعمال خاصة ...** " (٥٨)

أما في الدولة الوسطى مرسوم قفط الذي أصدر في عهد الملك (نوب خبر رع) أنتف (٥٩).

على العقوبات القاسية على الكهنة الذين يرتكبون جرائم الخيانة " **فليطرد من معبد أبي مين وحولو بينه وبين وظيفته ,وكذلك أبناؤه أبنا بعد أبن... وأمنعوا ذكر أسمه في هذا المعبد...** " (٦٠).

وفي الدولة الحديثة مرسوم الملك سيتي الأول ألذي يؤكد على حماية وقف ديني في أبيدوس من الحجر غير المشروع أو أستعمال أمواله بواسطة موظفي الحكومة (٦١)

"**فكل من يعتدي على حرمة الأملاك التابعة للمعبد يعاقب بقطع أذنه ,ويعمل كفلاح في تلك الأملاك , وفي حالة من يسلب راعيا ,ممن يعملون لحساب المعبد وينتج عن ذلك هلاك في الماشية فأنه يضرب بمائتي عصا ,وتغريمه مائة ضعف الماشية المفقودة ...** " (٦٢)

وكانت جباية الضرائب من حكام الاقاليم تتم عن طريق تزويد كل اقليم الضرائب المستحقة للبيت (المالك)

وهناك نص يعود للامير أميني (٦٣)حاكم بني حسن (٦٤) بصدد المستحقات الملكية بإقليمية " **لقد قضيت في حكم الاقليم سنين عديدة وكان كل دخل البيت المالك يمر**

تحت يدي, ولقد اعطاني رؤساء عمال التاج من الرعاة في اقليم الوعل (بني حسن) ثلاثة الاف ثور بمحاريثها.. ولم اتأخر قط في القيام بأي مصلحة كما كنت اميناَ في عملي اذ انني اقوم بتسليم الايراد كله دون ان احتجز نه لنفسي شيئاً [٦٥]

وعلى الوزير وحكام الاقاليم ان يضعوا رجال الجيش والبوليس تحت سلطة ادارة الضرائب للأستعانه بهاا عند اللزوم [٦٦]

وكان الوزير يشرف على ان تحضر البطاقات الخاصة بأحصاء كل مكان في الاقاليم من سنين معينة بمكتبه وكان على كل رب أسرة ان يقييد أفراد أسرته فهذه البطاقات المهمة في جميع الضرائب من الاقاليم [٦٧]

ولم تقتصر جباية الضرائب على حاكم الاقليم بل تعين موظف من قبل الملك يطلق عليه (رئيس المراقبين لأراضي الخزانة الملكية) فكان يقوم بجباية الضرائب وفق حوزة الاراضي الزراعية لكل حاكم أقليم [٦٨] وكان الملك يعين النبلاء الذين يتولون ادارة نوعية الاراضي من زراعة ومنافع فمن الاولى يحصلون على الغلال والثانية النباتات المائية, وكميات كبيرة من الاسماك والملك يتقاضى عن جميع هذه الثروات الناتجة عن الضرائب الملكية وهي تكون من انواع الحاصلات [٦٩]

ثالثا :الأدارة المالية:

الأدارة المالية في مصر القديمة كانت تتكون من خزانه الدولة التي قسمت الى ادارتين وذلك نسبه الى قسمي مصر القبلي والبحري أي انه كان يوحد خزانة لمصر العليا وخزانة اخرى لمصر السفلى [٧٠] وبعد اتحاد مصر العليا والسفلى اصبح يطلق عليها (البيت الابيض) (بر–حج) ويدل هذا الاسم على أن أغلب نسبته تعود للوجه القبلي (التاج الابيض) [٧١]

وكان عمل الأدارة المالية يقوم على مراقبة الايرادات والمصروفات الحكومية) والعمل على رفع دخل الحكومة والاشراف على ما يدفع لمصر من جزية هي ادارة العمل في المناجم والمحاجر, وتجهيز البعثات التجارية[٧٢] وكذلك وضيفتها أدارة الحاصلات التي كانت تعود للبيت المالك أي المقر الملكي[٧٣] وتقوم بحفظ المعادن الثمينة وكل المواد

الغير قابلة للعطب التي كانت تجنى بصفة ضرائب[٧٤] والبيت الابيض المزدوج كان مكلفا برفع المرتبات التي كانت تدفعها الحكومة[٧٥] للموظفين والمقربين من الملك الذين كانوا يتمتعون باقطاعات منظمة او بايراد هذه الاقطاعات[٧٦]وكانت هذه الادارة تحت اشراف الوزير مباشرة ولها فروع عديدة في الاقاليم يطلق على كل فرع منها اسم (البيت الابيض) ويشرف على هذه الادارة (مدير البيت الابيض المزدوج) ويلقب (مفتش البيت الابيض) [٧٧]

ولما كانت الادارة المالية أمتن الروابط بين القصر الملكي واقسامه اصبح المشرف عليها يلقب (رئيس أمناء المالية) ويقطن القصر الملكي ويساعده موظفين للأشراف على أفرع المالية المتعددة وعلى الأخص(المدن والعمارة) وقد عرف هؤلاء المساعدون باسم (صراف المعبود) أي الملك ويعهد اليهم الاشراف على قطع الاحجار في المحاجر وتشيد المعابد والاهرامات .[٧٨]

وقد ظهر منصب (مدير الخزانة المزدوجة) لأول مرة عند نهاية الاسرة الرابعة ويبدو أنه اختفى حتى منتصف الاسرة الخامسة حيث بدأت تعهد الى الوزراء[٧٩]المشرف على بيتي الذهب والفضة الخاصين بالاله آمون وهو تعبير يشير الى خزانة آمون[٨٠]فكان رئيس الخزانة يشرف على أدارة الخزانه[٨١] ,

وكان الجهاز الاداري للملك يشرف على شئون الخزانة الخاصة بالمعابد ومن أول الشخصيات التي تولت هذا الامر, المهندس (أتني) من عصر الملك امنحتب الاول وكان يمثل لقب كاهن المعبد ويساعده عدد من الموظفين بينهم خادم خزينةآمون, حامل اختام خزنة آمون, ولاهمية هذه الوظيفة شغلها كبار كهنه الاله آمون منهم (منخبررع) (سنب) في عهد تحتمس الثالث[٨٢] وكذلك يشرف رئيس الخزانة في المعبد على المحاصيل وكل شيء تقع تحت أملاك الاله آمون[٨٣].

والادارة المالية في مصر القديمة تشمل على قسمين يسمى كل منها (بيت) وهما (بيت الذهب(بر– نوب) وكانت مصادر مواردها مما تجمعه الحكومة من أستثمارات المناجم في مصر ومن الجزية التي تدفعها البلاد الخاضعة لمصر [٨٤].

وانه في عهد الاسرة الرابعة كان هناك موظفون عظماء في القصر الملكي يشغلون وظيفة مديري بيت الذهب وفي الاسرة الخامسة كان مدير البيت الابيض المزدوج في الوقت نفسه مديرا لبيت الذهب وهذا الأمر يبرهن على الرخاء البلاد الأقتصادي ويمكننا أن نستنتج أن بيت الذهب المزدوج ,كان ضمن مصالح المالية الرئيسية [٨٥].

اما القسم الثاني فهو بيت الشونة المزدوجة (بر–شنوت) وشونة هو تخزين الغلال وغيرهما من الحبوب والمحاصيل التي كانت الحكومة تجيدها على هيئة ضرائب والتي كانت تقدم من المحاصيل الزراعية والنباتات الصيفية [٨٦]

وهذه الادارة كانت تعمل على رفع مستوى البلاد هي ومديرها وعمالها, ووظيفة الشونة هي تخزين الحبوب التي كانت تلعب دوراً مهما في حياة مصر الاقتصادية وخاصة الخبز لانه اساس الغذاءفي مصر ويضاف الى ذلك أنه كان يؤلف جزء من مرتبات الموظفين وأجور العمال التي كانت تدفع أموال أو خبز [٨٧].

وأضافةالى ذلك نجد بين مديري الشونة اعضاء من مجلس العشرة وحكام الجنوب [٨٨]وكان لبيت الشونة عدة فروع في مختلف المحافظات كل منها تحت اشراف مدير يساعده عدد من الكتبة والعمال [٨٩].

واشتملت ادارة الشون على ادارة خاصة تقوم بخزن المحاصيل والمحافظة عليها تسمى ادارة التموين تضمن المحافظة على المحاصيل التابعة للمالية العامة وكان لها فروع من الاقاليم تدير المخازن المحلية يطلق على رئيس كل منها (مدير محل التموين[٩٠].

ويقوم الوزير بتحصيل الضرائب المستحقة لبيت المال على الموظفين فكانت تفرض على هؤلاء رسوم تبعا لمرتبتهم في تلك الوظائف وكانوا يطالبون بصفة خاصة بالذهب والفضة والماسة وكان هذا المورد من موارد الدخل في غاية الاهمية في قطر كمصر تسيطر الحكومة على كل كوادره وفي النهاية كانت مكاتب الوزير هي التي تعد

ميزانية ايرادات الدولة, وفي كل شهر يقدم للوزير تقرير مفصل عن الموقف المالي بذلك يستطيع ان يطلع الملك على موارد البلاد بكل دقة مستطاعه[٩١]

وهناك اراضي يطلق عليها[٩٢](خنتيوش) [٩٣] وهي اراضي توجد بالقرب من الصحراء لا تصل لها مياه الفيضان الا بشكل قليل وتعد من أملاك القصر ويشرف عليها موظف مهم[٩٤] وهذه الاراضي معفاة من الضرائب وتشغل المراعي وحدائق للخضر, لان مياه الري لم تكن تصل اليها دوما[٩٥]الا قليلاً وترجع أهميتها الى مجاور لها لمناطق الجبانات والمقابر الملكية وكانت تستخدم كمراعي او الزراعة المحاصيل القصيرة الاجل[٩٦].

رابعا:أدارة الأشغال العامة

يرأسها مدير الاشغال العامة والذي يكون عضو من اعضاء مجلس العشرة الكبار [٩٧]وهو الذي يتولى عبء انشاء المعاير المختلفة والاهرامات ومقابر الملوك والملكات وبعض مقابر كبار الموظفين ' وكذلك المشروعات العامة مثل بناء السدود والحصون [٩٨]

وادارات الحكومة المختلفة والقصور بكل ملحقاتها وكذلك تشمل من يقومون بتخطيط المدن والقرى العامة والقرى الخاصة بسكن العمال, وتخطيط الميادين العامة والحدائق العامة [٩٩]

وكذلك تختص بتقديم العمال والمواد الاولية الازمة لاتمام أشغاله العامة [١٠٠] و تقوم بارسال البعثات الى مناطق المناجم والمحاجر في الصحراء الشرقية [١٠١](وشبه جزيرة سيناء) [١٠٢].

وتقوم باقامة المباني وتشيد الجباية الملكية, واقامة الحصون وحفر الترع, وما يترتب على ذلك من عمل في المحاجر الواقعة قرب النيل والصحاري مما كان يستدعي نقل الاحجار على الارض والماء وما يستلزمه من العمل [١٠٣],

ويضم هذا الديوان عدد من الادارات منها ادارة العمل وتختص بتقديم العمال مواد للقيام بالاشغال المطلوبة وادارة المحاجر والمناجم وتختص بتقديم مواد البناء الضرورية

لاتمام الانشاءات المتعلقة وادارة بناء السفن وصيانتها [١٠٤] وأن ما تشاهده من المباني الضخمة التي كانت تنفذ في عهد الدولة القديمة يشعر بوجود مصلحة خاصة للقيام بهذه الاعمال [١٠٥].

وفي عهد الاسرة الخامسة تطورت هذه الادارة بسبب ان الملوك بدأوا ينشأون معابد عظيمة للاله شمس (رع) [١٠٦]

وتسمى ادارة الاشغال العمومية بالهيروغليفية (كات) ويصحب أدارة الاشغال قضاة, وفرق عسكرية تستخدم للحراسة[٦], ويقوم الوزير بالاشراف على هذه الادارة الذي كان يحمل بين القابه لقب (مدير على الاشغال الملكية) (أمراكات نبت ن نيسوت) [١٠٧]وانه مديري الاشغال كانوا يستعملون بعض العمال المصريين وخاصة الذين كانوا يدفعون بدلا عن الضرائب أعمال [١٠٨]

وهناك فروع للمصلحة الرئيسية كمصلحة المباني المتصلة بالمبنى الجنائزية الملكية واهم الالقاب هو (مدح تيسون) (رئيس المعماريين الملكي) [١٠٩].

خامسا:التجارة

كانت التجارة من العوامل الاقتصادية الهامة في ازدهار مصر [١١٠] فعرفت مصر التجارة الداخلية والخارجية, منذ الأسرات الأولى بحيث كانت لها علاقات مع سوريا حيث كانوا يجلبون الأخشاب التي يستخدموها في بناء السفن وبناء المعابد[١١١]

وكان الملك هو الوحيد الذي يتعاطى تجارة الجملة في مصر وكانت التجارة الخارجية أحتكارا ملكيا [١١٢] .

وهناك العديد من الكيانات التي تهتم بالأعمال التجارية مثل المعابد والتجمعات التجارية وكذلك الشخصيات ذات النشاط التجاري الخاص [١١٣]

وكان يشمل التبادل التجاري بالمحاصيل الزراعة والثمار والماشية والمنسوجات وكان يستعمل وحدة في التبادل التجاري[١١٤] تسمى (الشعث) [١١٥]التي كانت تيسير عملية تبادل السلع وقد وردت ضمن مستندات تعود الى الاسرة الرابعة بأنه منزلا

قدر ثمنه بالشعث لكن التعامل بها كان مثالي فلم يقم احد من اعضاء الهيئات الحكومية بسك قطعة معدنية ذات وزن معين مماثل لكن التجار يعلمون وزن الذهب والفضة التي توازي قيمة الشعث [١١٦]

وكان اساس التبادل التجاري في مصر في الدولة القديمة قبل استعمال النقود يقوم على اساس المقايضة العينية كما تدل على ذلك المدونات التي خلفها عمال دير المدينة [١١٧] وأدى تطور وسائل النقل الى ازدهار التجارة الداخلية والخارجية فكانت تخضع لنظام دقيق اذ عرف التجار (مسك الدفاتر) وبعض نظم المحاسبة[١١٨]

وكتابة العقود والصكوك وغيرها من الحاجات الضرورية التجارية التي تظهر الرقي في التعامل التجاري [١١٩].

وفي بعض الاحيان كانت دائرتان تبادلان منتجاتهما مباشرة تباع منتجات احدى الدوائر الى التجار وهولاء يوزعونها بدورهم على مسؤليتهم, [١٢٠]

وهناك كذلك عدد من افراد الشعب او كبار الملاك او صغار الملاك الذين كانوا يحتاجون الملابس والاثاث فكانوا يستطيعون الحصول عليه عن طريق بيع جزء من محصولهم

فازدادت العلاقات التجارية بين مصر والدول المجاورة ويتم تسجيل المراسلات التجارية عن طريق استخدام اوراق البردي التي اصبحت معتمدة في المراسلات التجارية بين مصر [١٢١].

والفينيقين [١٢٢]وغيرها من الدول فكانت لها علاقات تجارية مع العراق وهناك نصوص في رسائل العمارنة تؤكد ذلك " **ان ملكا كيشيا اهدالى الى فرعون مصر هدية من حجر الازورد وخمسة ازواج من الخيل وخمسة عربات خشب**" [١٢٣]

أما فترة ضعف التجارة فكان خلال الثورة الاجتماعية الاولى **فيقول الحكيم ايبور** "**ما عاد احد يبحر اليوم نحو جبيل, فما الذي سوف نقلعه بخصوص اخشاب,**

الارز, الذي اعتدنا ان نصنع منها لتوابيتنا [١٢٤]....حتى اصبح مجئ اهل الواحات بمنتجاتهم البسيطة شيئا ذا بال" [١٢٥].

أما في الدولة الوسطى فقد ارسل فراعنة الدولة الوسطى بعثات تجارية الى جيل واوغارين من شمال البلاد, وارسوا ايضا حركة العبور مع البلدان الايجية وكانت التجارة نشيطة [١٢٦]

وازداد التبادل التجاري في الدولة الحديثة واتوا بالفضة من اسيا واتوا بالذهب من بلاد النوبة [١٢٧]فازدادت العلاقات مع بلاد النوبة فعمل المصريين على استغلال محاجرها الممتازة, وكانت لديهم رغبة في فتح اسواق للتبادل التجاري في مناطقهم المسكونة فكانوا يصدرون لها الدهون والمنتوجات ويستوردون جلود الضباع والفهود [١٢٨].

وازدهرت كذلك العلاقات التجارية مع السودان والصومال في الجنوب ومع بلاد العرب التي كان يحمل اليها المنتجات المصرية وتستورد ما يلزم السكان. [١٢٩]

وكانت هناك بعثات تجارية بحرية تنظمها الحكومة مثل قافلة السفن التي ذهبت الى بلاد (النوبة), فكان (بيبي نخت) مدير القوافل في عهد الملك (بيبي الثاني) يلقب رئيس حسابات سفن (ببلوص,جبيل) التي تذهب الى بلاد (النوبة) [١٣٠]وقد وجد مدير للقوافل البحارية الاتية من الواحات الى وادي النيل وتخضع التجارة الخارجية لنظام ضرائب في منتهى الدقة [١٣١] فزاد اهتمام الملوك في التجارة فيؤكد الملك خيتي الذي هو احد فراعنة الاسرة التاسعة [١٣٢] فيقول (اتريب) مدينة (بنها حاليا) يرجع ثراؤها الى تجارة الغلال مع البلدان الاجنبية [١٣٣].

ونتيجة لتطور التجارة في الدولة الحديثة عمل الملوك على فتح الاسواق وكفالة استمرارها عن طريق تسهيل التصرفات التي ترد على العقارات والممتلكات الاخرى وتعين ختم لكافة الوثائق الخاصة بالتصرفات الخاصة بالتصرفات الخاصة بالعقارات [١٣٤]وأصبحت أدارة الكمارك يرأسها موظف يسمى مستشار القوافل التجارية ويختص بالرقابة على الصادرات والواردات [١٣٥].

أما أهم المواد التجارية في مصر القديمة فقد كان النحاس يستورد من النوبة والابنوس والروائح العطرية من بلاد العرب والاحجار من محاجر [١٣٦]وادي الحمامات [١٣٧].

سادسا:- الصناعة

أن الصناعات في مصر القديمة ظهرت منذ عصر ماقبل التاريخ بحيث كان المصري القديم يصنع السلال والحصيرثم تطورت الصناعة واصبح يصنع أدوات الزينة وعرفوا صناعة الأسلحة وادوات المطبخ وفي عصر الأسرات عرفوا صناعة النحاس بحيث عثر على العديد من الأدوات والأسلحة النحاسية [١٣٨].

أما في الدولة القديمة أنتشرت الصناعات المعدنية وأهمها النحاس والذهب والفضة وأنتشرت الصناعات التحويلية مثل صناعة الغزل والنسيج وصناعة الورق والجلود وصناعة السفن

وفي الدولة الوسطى اكتشفوا صناعة البرونز وفي الدولة الحديثة استعمل الحديد في الصناعات وانتشرت صناعات أخرى [١٣٩]مثل الصناعات الخشبية بحيث صنعوا منها المراكب وأجزاء الأثاث والمنازل وصناعة الجلود لصناعة الملابس وأستخدموا البردي في البناء وتسقيف المنازل [١٤٠],

ويرأس العمال رئيس ومعه كانت تحفظ السجلات ويشرف على الحسابات [١٤١] وان اجورهم لم تكن سوى حبوبا من شونة الدولة واسماك بأمر صرفها الفرعون بواسطة الوزير [١٤٢].

وقد شهدت الدولة الوسطى تطورات اقتصادية مهمة فأصبحه طائفة لكل مجموعة من العمال [١٤٣]فكانت مؤلفة من اعضاء الحرفة او الطائفة للدفاع مصالح الحرف التي تمثلها وكانت الطائفة عبارة عن هيئة تجمع بين افراد المهنة الواحدة ومنها طائفة الصناع فكان لها رئيس ومراقب بقوم بالتفتيش عليها [١٤٤].

وكان لكل فرقة من العمال رئيس يفخر دائما بمنصبه (كبير الفرقة) ويحرص على أن يخلفه أبنه في وظيفته وكان يشرف على العمال ويقيد لهم ايام الحضور والغياب

واسباب الغياب[١٤٥] وقد اظهر الملوك اهتماما بالعمال فقد اظهر لنا رخميرع جليا انه عندما زار مصانع معبد امون كانت مسئوليته كمدير العمال أن يحدد لكل رجل طريقة في العمل وكان المشرف على العمل يخطاب الصناع الفنانين كما كان يتحدث عن عمال عاديين قائلاَ, [١٤٦]

"ايها الرفاق حركوا سواعدكم, لنعمل ما يستوجب اثناء على هذا الحاكم "[١٤٧] ونجد ان الملك رمسيس الثاني يشرف على العمال يومياً ويثني عليهم وهذا ما حثهم على مضاعفة الجهد والعمل بنشاط عظيم[١٤٨] فيبدو ان باكن نونسو احد كبار كهنة آمون يستحق الثناء اذ قال "كنت أبا بارا بمرؤسي, كنت اعلم اولادهم الصغار..... واقوم بأعمال نافعة في معبده بصفتي كبير مديري الاعمال وذلك من اجل رمسيس الثاني" [١٤٩].

وكان يقوم مدير العمال بالتحقيق من دقة الصناعة واتقانها وانها هل هي صالحة لان توضع ضمن منتجات الاله او الملك وكانت هناك معارض عامة تضم كافة المنتجات الصناعية المصرية[١٥٠].

وقد اشار ديودر الى قانون يحرم على الصناع الاشتغال بالسياسة قال "أن مصر هو البلد الوحيد الذي لا يجوز فيه العمل ان يقوم بعمل عمومي او ان يمارس حالى اخرى غير التي حددت له في القوانين ولا ينصرف الى الاشغال في السياسة" [١٥١].

الخاتمة:

١- تعد الزراعة العامل الرئيسي في استقرار الإنسان وتطوره والفلاح المصري القديم هو العمود الفقري للاقتصاد المصري .

٢- أطلق المصريون القدماء على بلادهم أسم كيمي أي (البلاد السوداء) دلالة على خصوبة تربتها .

٣- أدارة الضرائب تشرف على جمع الضرائب وتوزيع الهبات الملكية على مستحقيها.

٤- طريقة جباية الضرائب تتم بواسطة موظفين الذين يكلفون بجباية الضرائب ويطلق عليهم (ونو) باللغة المصرية القديمة .

٥- الإدارة المالية تقوم على مراقبة الإيرادات والمصروفات الحكومية ,والعمل على رفع دخل الحكومة والأشراف على مايدفع لمصر من جزية .

٦- الإدارة المالية تشمل قسمين يسمى كل منهما (بيت) وهما بيت الذهب , وبيت الشونة .

٧- أزدهرت التجارة في مصر فكان التبادل التجاري بين مصر والدول الأخرى مثل بلاد النوبة والصومال وغيرها من الدول .

٨- شهدت مصر صناعة متطورة منذ عصور ماقبل التاريخ من صناعة السلال ثم تطورت في الدولة الوسطى والحديثة وأزدهرت الصناعات مثل صناعة الحديد والجلود والملابس .

الهوامش :

(١) أحمد فخري ,مصر الفرعونية ,ص٤٦.

(٢) عبد المنعم أبو بكر ,محاضرات ...,ص١٢.

(٣) فرنسيس عبد الملك غطاس ,الزراعة عند قدماء المصرين, دار المعارف العلمية ,(القاهرة,١٩٧٥),ص٧٣.

(4) Margaret R.Bunson ,Encyclopedia ....P.11.

(٥) أتين دريتون ,جاك فانديية ,مصر ,ص٢٠٠.

(٦) وليم نظير,الثروة ....,ص٣٠٩.

(2) Meix Boira, Life in Ancient Egypt,P.19.

(٨) محمود سعيد عمران ,النظم السياسية عبر العصور,ص٤٧.

(٩) سليم حسن ,مصر القديمة ,ج٢,ص٩٤.

(١٠) وليم نظير ,الثروة النباتية ...,ص٦٣.

(١١) سليم حسن ,مصر القديمة ,ج٢,ص٩٦.

(١٢) عبد الفتاح محمد وهيبة ,مصر والعالم القديم..,ص٢٩٨.

(١٣) احمد رشاد موسى ,دراسات ...,ص ١١١.

(١٤) الاله (مين): وهو من ألالهة الكبرى في مصر القديمة وتعتبر ألها للخصب وصور بهيئة رجل يلبس فوق رأسه تاجا له ريشتان للمزيد ينظر ,محمد بيومي ,الحضارة المصرية ..,ج٢,ص٣٨٤.

(١٥) أيمان شمخي جابر ,الأحوال الاجتماعية ...,ص٣٠٩.

(١٦) خزعل الماجدي ,الدين المصري ,ص٢٥٢.

(١٧) احمد امين سليم, مصر والعراق, ص١١٣.

(١٨) محمود سعيد عمران, النظم السياسية عبر العصور, ص٤٧.

(١٩) أحمد رشاد موسى, دراسات في تاريخ مصرالأقتصادي, ص٢١٧.

[٢٠] غوستاف لوبون, الحضارة المصرية القديمة, ت صادق رستم ,بلا ,ص٦٨.

[٢١] احمد رشاد موسى, دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي, ص٢١٧.

[٢٢] مهاب درويش, الادارة في مصر القديمة, القاهرة ,بلا,ص٦.

[٢٣] المصدر نفسه والصفحة .

[٢٤] الاله بتاح: وهو أهم الهة منف الذي كان يمثل على شكل أنسان برأس عارية لاتحمل أي أشارة خاصة ,واضعا يديه فوق صدره وماسكا صولجان ولهذا يعتبره المصريون القدماء أنه خالق الفنانين وصانع الفخارين ,للمزيد : نهى محمود نايل ,الدلالات الرمزية ...,ص١٠٢.

[٢٥] بهاء الدين ابراهيم محمود, المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠١, ص٢٣.

[٢٦] احمد رشاد موسى, دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي, ص٢١٨.

[٢٧] احمد امين سليم, مصر والعراق, ص١١٤.

[٢٨] عبد الفتاح محمد وهيبة ,مصر والعالم القديم ...,ص.٢٨٨

[٢٩] المصدر نفسه والصفحة .

[٣٠] مهاب درويش ,الأدارة في مصر القديمة ,ص١٤.

[٣١] (جدف – رع) وهو أحد ملوك الاسرة الرابع ودام حكمه ثمان سنوات شيد هرمه ومعبده الى الشمال الغربي من الجيزة نحو ٨كم من منطقة أبي رواش للمزيد ينظر :انتصارالزنكي ,التطورات السياسية ...,ص٥٧.

[٣٢] مهاب درويش, الادارة في مصر القديمة, ص١٤.

[٣٣] صوفي حسن ابو طالب, مبادئ تاريخ القانون , ص٤٨٤.

[٣٤] مهاب درويش , الادارة في مصر القديمة, ص٨.

[٣٥] صوفي حسن ابو طالب, مبادئ تاريخ القانون, ص٤٨٤.

(٣٦) محمد علي الصافوري , تاريخ القانون المصري, ص١٤٠.

(٣٧) محمد سعيد عمران واخرون, النظم السياسية عبر العصور, ص٤٧.

(38) Russ,Versteeg, Law In Ancient, P.182.

(٣٩) انطوان زكري, النيل في عهد الفراعنة والعرب, ط, مكتبة مدبولي, ١٩٩٥, ص٦٠.

(٤٠) انطون زكري, النيل في عهد الفراعنة والعرب , ص٩٠.

(٤١) صوفي حسن ابو طالب , مبدئ تاريخ القانون , ص٤٨٤.

(٤٢) مرجريت مري , مصر ومجدها الفابر , ت حرم كمال ,١٩٩٨ ,ص ٨٥.

(٤٣) احمد رشاد موسى , دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي , ص ١٦٦.

(٤٤) انطون زكري , النيل في عهد الفراعنة والعرب , ص٩٠.

(٤٥) جان يويوت , مصر الفرعونية, ص ١٦٥.

(٤٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٤٧) رمضان عبده علي , حضارة مصر القديمة , ص٣٥٢.

(٤٨) مرجرين مري , مصر ومجدها الفابر , ت محرم كمال , ص٨٥.

(٤٩) أنطوان زكري , النيل في عهد الفراعنة والعرب , ص ٩١.

(٥٠) المصدر نفسة, والصفحة.

(٥١) رمضان عبده علي , حضارة مصر القديمة , ص٣٥٢.

(٥٢) مهاب درويش , الادارة في مصر القديمة , ص٨.

(٥٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٥٤) محمود سعيد عمران واخرون, النظم السياسية عبر العصور, ص٤٧.

(٥٥) سليم حسن, مصر القديمة, ج٨, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٤, ص٢١٤.

(٥٦) صوفي حسن ابو طالب, تاريخ النظم القانونية والاجتماعية, , ص

(٥٧) محمد علي سعد اللة ,في تاريخ مصر القديمة , القاهرة ,٢٠٠١ ,ص١٣٠.

(٥٨) مهاب درويش ,المراسيم الملكية في مصر القديمة , القاهرة ,بلا, ص١١.

(٥٩) المصدر نفسه ,ص١٣.

(٦٠) نبيلة محمد عبد الحليم ,معالم...,ص٢٦٧.

(٦١) سعيدي سليم ,القانون والأحوال الشخصية ...,ص٦٩.

(٦٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٦٣) حسن محمد محي الدين السعدي, حكام الاقاليم في مصر الفرعونية, ص٢٨٩.

(٦٤) (أقليم بني حسن): يسمى أقليم الوعل وهو الأقليم السادس عشر في مصر كان يسمى (ماحج) وكانت عاصمته (حبنو) ومعبوده الرئيسي (حورس) الذي نراه في العصور المتأخرة جاثما فوق الوعل للمزيد ينظر : سمير أديب , موسوعة ...,ص١٦٨.

(٦٥) حسن محمد محي الدين السعدي, حكام الاقاليم في مصر الفرعونية, ص٢٨٩.

(٦٦) صوفي حسن ابو طالب, مبادئ تاريخ القانون, ص٤٨٤

(٦٧) سليم حسن, مصر القديمة, ج٣, ص٣٨.

(٦٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٦٩) حسن محمد محي الدين السعدي, حكام الاقاليم في مصر الفرعونية, ص٤٨٤.

(٧٠) غوستاف لويون, الحضارة المصرية القديمة, ص٦٤.

(٧١) انتصار الزنكي, الاوضاع السياسية والادارية.....,ص١١٨.

(٧٢) ناصر الانصاري, المجمل في تاريخ مصر, ص٣١.

(4)Anette Oliver,Social Status Of Elite Women Of the New Kingdom Of Ancient Egypt Acomparison Of Artistic Feature,2008,P.60.

(٧٤) سليم حسن, مصر القديمة, ج٢, ص٢٣.

(٧٥) مهاب درويش, االدارة في مصر القديمة, ص١٦.

(٧٦) سليم حسن, مصر القديمة, ج٢, ص٢٤.

(٧٧) أتين دريتون, جاك فانديبة, مصر, ص٢٠٠.

(٧٨) جيمس هنري برستد, تاريخ مصر, ص٥٣.

(٧٩) مهاب درويش, الادارة في مصر القديمة, ص١٦.

(٨٠) بهاء الدين ابراهيم حمود, المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠١, ص٢٢٨.

(٨١) مهاب درويش, الادارة في مصر القديمة, ص١٦.

(٨٢) بهاء الدين ابراهيم محمود, المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية, ص٢٣١.

(٨٣) سير.ح. سونيرون, كهان مصر القديمة, ص٦٥.

(٨٤) بهاء الدين ابراهيم محمود, المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية, ص٢٣١.

(٨٥) سير.ح. سونيرون, كهان مصر القديمة, ص٦٥.

(٨٦) محمود سعيد عمران, واخرون, النظم السياسية عبر العصور, ص٤٧.

(٨٧) مهاب درويش, الادارة في مصر القديمة, ص١٧.

(٨٨) مهاب درويش ,الخبز في مصر القديمة, القاهرة ,بلا,ص١٨.

(٨٩) مهاب درويش, الادارة في مصر القديمة, ص١٧.

(٩٠) سليم حسن ,مصر القديمة , ج٢ ,ص٢٦.

(٩١) اتين دريتون, جاك فانديبة, مصر, ص٤٨.

(٩٢) انتصار الزنكي, الاوضاع السياسية والادارية, ص٧٨.

(٩٣) خنتيوش: فهي تأخذ بحرفتيها (خنتي ش) أي صدر البحيرة, وتدل على المدرجات الزراعية التي كانت تطل على البحيرات العذبة والمجاري المائية للمزيد ينظر: عبد العزيز صالح, حضارة مصر القديمةواثارها, ص٤٦٤.

(٩٤) سليم حسن, مصر القديمة, ج٢, ص٢٢.

(٩٥) اتين دريتون, جاك فانديبة, مصر, ص٢٠٠.

(٩٦) محمود سعيد عمران, النظم السياسية عبر العصور, ص٤٧.

(٩٧) محمد علي الصافوري, تاريخ القانون المصري, ص١٤٤.

(٩٨) رمضان عبده, حضارة مصر القديمة, ص٣٤٩.

(٩٩) محمد علي الصافوري, تاريخ القانون المصري, ص١٤٤.

(١٠٠) محمد علي الفوري, تاريخ القانون المصري, ص١٤٤.

(١٠١) احمد امين سليم, مصر والعراق, ص١١٥.

(١٠٢) شبه جزيرة سيناء: وهي هضبة مثلثة الشكل يحدها من الشرق خليج العقبة ومن الغرب خليج السويس ومن الشمال البحر المتوسط ,تشكل شبه الجزيرة واسطة الأتصال البرية بين مصر وجيرانها في سوريا وشبه الجزيرة العربية ,وقد زودت سيناء مصر بما تحتاج اليه من أحجار ومعادن كالنحاس والفيروز وغيرها , للمزيد ينظر :جباغ قابلو ,عماد سمير ,تاريخ الوطن العربي القديم ,مطبعة جامعة دمشق ,٢٠٠٨,ص٤٢٥.

(١٠٣) ناصر الانصاري, المجمل في تاريخ مصر القديمة, ص٣٣

(١٠٤) محمد علي الصافوري, تاريخ القانون المصري, ص١٤٤.

(١٠٥) سليم حسن, مصر القديمة, ج٢, ص٣٠.

(١٠٦) المصدر نفسه, ص٣١.

(١٠٧) مهاب درويش, الادارة في مصر القديمة, ص (٢١-٢٤).

(١٠٨) سليم حسن, مصر القديمة, ج٢, ص٣١.

(١٠٩) المصدر نفسه ,ص٣٣.

(١١٠) قيس حازم الرفيق, التشابه والاختلاف في العناصر الحضارية لوادي بلاد الرافدين والنيل في العصور القديمة, اطروحة دكتوراه غير منشورة, كلية الاداب, جامعة بغداد, ٢٠١٢, ص٢٩٤.

(111) عبد المنعم أبو بكر ,محاضرات ...,ص٣١.

(١١٢) هنري فرانكفورت , فجر الحضارة في الشرق الأدنى , ت ميخائيل خوري , ص١٢٤.

(113) Russ Versteeg,Law,p.155 .

(١١٤) بيبر مونتية, الحياة في مصر القديمة, ص٢٢٥.

(١١٥)الشعث: هو عبارة عن حلقة او ختم يستخدم كعملة في الدولة القديمة والوسطى وقد اختفى في عصر الرعاسمة ينظر السيد العربي حسن, الوجيز في تاريخ مصر, ص٥٤.

(١١٦)بيبير مونتية, الحياة....., ص٢٢٥.

(١١٧)ت ج, جيمز, الحياة ايام الفراعنة, ص١٩٠.

(١١٨)أحمد رشاد موسى ,دراسات في تاريخ مصر الأقصادي,ص١١٤.

(١١٩)نجوى الكمال, الدور السياسي والحضاري لمصر الفرعونية في منطقة الشرق الادنى القديم, دار النهضة العربية, ط١, ٢٠١. ص٣٢٠

(١٢٠) بيبير مونتيه, الحياة اليومية.....,ص٢٢٤.

(١٢١)نجوى كمال ,الدور السياسي ....,ص٣٢٠.

(١٢٢)الفينيقيون : تدل تسميتهم في أول الأمر على الساحل السوري وغرب فلسطين ثم أصبحت تدل على فلسطين وجزء من سورية وصل هؤلاء في هجرة واحدة مع الأمورين ,ونظرا لطبيعة الأقليم الذي عاشوا فيه ولتعرضه بين حين وأخر لتوسع الدول الكبرى لم ينجحوا في تأسيس دولة للمزيد : محمد أبو المحاسن عصفور,معالم حضارات...,ص١٥٨.

(١٢٣)قيس حازم توفيق, التشابه والاختلاف.....,ص٢٩٦.

(٣)احمد رشاد موسى, دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي, ص١٢٩.

(٤)عبد لعزيز صالح, حضارة مصر القديمة واثارها, ص٤٩١.

(١٢٦) ف.دياكوف/س.كوفاليف,الحضارات القديمة ,ج١, ١٣٤.

(١٢٧) نعيم فرح, موجز تاريخ الشرق الادنى القديم, دار الفكر, بلا, ص٧٩.

(١٢٨) عبد العزيز صالح, حضارة مصر القديمة واثارها, ص٤٨٢.

(١٢٩) السيد العزي حسن, الوجيز في تاريخ القانون المصري, ص(٥٣-٥٤).

(١٣٠) سليم حسن, مصر القديمة, ج٢, ص (٢٧-٢٨).

(١٣١) احمد رشاد موسى, دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي, ص١٢٩.

(١٣٢) سليم حسن, مصر القديمة, ج٢, ص(٢٧-٢٨).

(١٣٣) المصدر نفسه ,ص٢٧.

(6) Donald Mackenzie ,Egyptian Myth and Legend ,2002,P.146.

(١٣٥) محمد علي الصافوري, تاريخ القانون المصري, ص١٤٢

(١٣٦) محمد أبو المحاسن عصفور,معالم .. . ,ص١٢٣ .

(١٣٧) وادي الحمامات : هو جزء من درب وادي الحمامات يبدأ من مدينة (قفط) الى مدينة (القصير) وترجع شهرته الى أنه كان طريقا للتجارة منذ العصور ,وكان الطريق الموصل الى الى بعض= =المناجم القديمة وخاصة الذهب وكان المصريون القدماء يقديسونه ويسمونه (طريق الالهة أشارة الى مجئ بعض أسلافهم ومعهم الهتهم منه للمزيد ينظر : محمد بيومي مهران ,المدن الكبرى في مصر والشرق الادنى , ص١٩٦.

(١٣٨) سيريل ألدريد ,الحضارة المصرية ...,ص(٥٣-٥٥).

(١٣٩) برهان محمد دلو ,حضارة مصر والعراق,ص٩٣.

(١٤٠) محمد أبو المحاسن عصفور ,معالم ...,ص١٠٩.

(١٤١) الن شورتر, الحياة اليومية في مصر القديمة, ت نجيب ميخائيل ابراهيم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٧, ص(١٢٣- ١٢٤).

(١٤٢) بيبر مونتيه, الحياة اليومية في مصر القديمة, (١٨٢- ١٨٣).

(١٤٣) محمدبيومي مهران, دراسات في تاريخ الادنى القديم, ص٦٣.

(١٤٤) احمد رشاد موسى, دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي, ص٩٦

(١٤٥) المصدر نفسه والصفحة .

(١٤٦) بيبرمونتيه,الحياة اليومية...,ص٢٣١.

(١٤٧) المصدر نفسه والصفحة.

(١٤٨) المصدر نفسه, ص ١٨٢.

(١٤٩) المصدر نفسه, ص(٢١٢- ٢٣١).

(١٥٠) المصدر نفسه, ص٢١٠.

(١٥١) غوستاف لويون, الحضارة المصرية القديمة, ص٧٠.

أنواع العقوبات الواردة في القوانين الرومانية والعراقية القديمة

أ.د. حسين احمد سلمان

حسن كاظم دخيل

أنواع العقوبات الواردة في القوانين الرومانية والعراقية القديمة

أ.د. حسين احمد سلمان

حسن كاظم دخيل

العقوبة : هي الجزاء الذي يفرضه القانون لمصلحة الهيئة الاجتماعية على كل من يثبت ارتكابه جريمة من الجرائم المبينة فيه(١).

وهي كذلك : انتقاص من حقوق قانونية للانسان تنزله سلطة القضاء بمن سلك سلوكاً يحضره قانون العقوبات، ولا يهدف الى التنفيذ الجبري لهذا الحضر، لان مخالفته اصبحت امراً واقعاً، وانما يعتبر وسيلة لمنع اتيان ذلك السلوك مرة اخرى سواء من جانب صاحبه أو من جانب أي مواطن من المواطنين(٢).

وانها كذلك : الجزاء الذي يقرره القانون الجنائي لمصلحة المجتمع تنفيذاً لحكم قضائي على من تثبت مسؤوليته عن الجريمة لمنع ارتكابها مرة اخرى من قبل المجرم نفسه أو من بقية افراد المجتمع(٣).

وعلى ذلك يمكننا استخلاص تعريف للعقوبة على انها الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على من عصى أمر المشرع.

أما تاريخ العقوبة فأن اكثر الشرائع والقوانين القديمة تتشابه فيما بينها سواء من ناحية مبادئها ونظمها ام من ناحية الادوار التي مرت بها والعوامل التي أدت الى تطورها، ولا يمكن وضع اسس ثابتة وواضحة حول الحقبة التي نشأ فيها القانون عند الشعوب القديمة(٤).

وفيما يتعلق بالجانب العقابي فأن كل الطرق التي سلكتها المجتمعات القديمة والمراحل التي مرت بها العقوبة خلال فترة تطورها قد مرت بمراحل ثلاث(٥) :

أ- مرحلة الانتقام والثأر:

كان حق الانتقام الفردي اساساً للعقاب في العصر القديم، وكان للمجنى عليه ان يلجأ الى استعمال هذا الحق بالكيفية التي ترضيه اذ لم يكن هناك قانون ينظم استعمال هذا الحق[٦].

وكانت الحالة القانونية لتلك المجتمعات تستند الى فكرتين هما سيادة رب الاسرة على افرادها (السلطة الابوية) والثانية هي السلطة الجماعية (حكم القوة).

فالافراد المنتسبون الى اسرة واحدة سواء كان ذلك الانتساب حقيقياً او انهم ملحقون بإحدى طرق الالحاق، فانهم يخضعون خضوعاً تاماً في حقوقهم الخاصة لسلطات رب الاسرة، وكانت كلمته هي القانون الداخلي في دائرة اسرته، فكل شخصيات الاسرة تذوب في شخصيته ويخضعون له ويطيعونه طاعة عمياء، وكانت له سلطة مطلقة تمتد الى حرياتهم وأرواحهم وأموالهم سواء حكم بينهم بالعدل أم لا دون ان يكون لهم حق في التظلم والالتماس[٧] كما ان رئيس الاسرة يمثل رئيس الديانة العائلية التي كانت تقوم في اكثر الاحيان على عبادة الاسلاف وتقديسهم، كما ان الاسرة والعشيرة كانت كتلة واحدة في المطالبة بالحقوق والالتزام بالمسؤوليات، ومن امثلة تضامنهم الايجابي هو المطالبة بالقصاص من القاتل أو ايقاع العقوبات الاخرى عليه.

والتضامن السلبي يتمثل بمسؤولية جميع افراد العشيرة عن اداء دية القاتل اذا كان من بين اعضائها، ويمثل التضامن العائلي مظهر سيادة رب الاسرة[٨].

بعد ان بدأ الافراد يجتمعون في أسر ومن ثم في جماعات (قبائل) بدافع غريزة الاجتماع، ولضمان أوفى لاحتياجاتهم، ظهرت سلطة رئيس القبيلة ، وكان أمراً طبيعياً ان تتجه تلك السلطة الى تنظيم الانتقام الخاص في اطار ما يحقق التماثل بين الاذى الذي اوقعه الجاني بالمجنى عليه، والايذاء الذي يجب ايقاعه، فتقرر القصاص، والى جانب القصاص ظل الانتقام المطلق هو الوسيلة لمقابلة الاعتداء الموجه من أحد افراد اسرة أو قبيلة اخرى، وكثيراً ما كان هذا الانتقام الفردي يتطور الى انتقام جماعي[٩].

ان فكرة المسؤولية كانت معدومة تماماً فالفرد في العصر القديم ينتقم لما وقع عليه من اعتداء ولو صدر هذا الاعتداء من حيوان او طفل غير مميز[١٠] فحياة

الجماعات البدائية كانت سلسلة من الحروب وان القوة هي الوسيلة الوحيدة التي كانت تفض بها المنازعات بين الجماعات المتصارعة(١١).

تمثل العقوبات البدنية في العصور القديمة الجزاء الوحيد الذي يوقع بحق مرتكب الجريمة، وكان هذا النوع من العقوبات صارم جداً، حيث ترمي الى التخلص من المجرم بالقضاء عليه او بتر أحد اعضاء جسمه او تشويهه أو بتجريده من حق الانتماء الى الجماعة او القبيلة، وكان يتم ذلك بتشريده وجعله طريداً تحت رحمة الحيوانات المفترسة أو رجال القبائل الاخرى الذين بامكانهم وضع اليد عليه والتصرف به كيفما ارادوا(١٢).

ب- مرحلة الصلح ودفع الدية :

ظهرت هذه المرحلة بعد تزايد تكتل الجماعات وتعدد حاجات الافراد، حيث اتجه الادراك الانساني نحو الضرورة الاقتصادية، والتقليل من الاضرار الناجمة عن الجريمة والعقوبة وذلك باحلال التعويض المالي المفيد والمقدم للمجنى عليه او لذويه، وللجماعة محل الانتقام العيني المطلق أو المحدد بالقصاص المضاعف للضرر الحاصل بضرر اكثر وهكذا تولدت فكرة اقرار الدية(١٣).

والدية مبلغ من المال يدفع الجاني أو عشيرته الى المجني عليه مقابل تنازلهم عن الأخذ بالثأر وذلك تفادياً لمخاطر الحرب، اذ قد يتفق الجاني أو ذووه مع المجني عليه أو عشيرته على ان ينزل المجني عليه عن الثأر في مقابل دية يدفعها اليه الجاني كتحديد عدداً من رؤوس الماشية ثم صارت الدية تدفع على شكل سبائك من النحاس، وأخيراً صارت تقدر نقداً، ولا يقتصر الجاني بهذا المال المدفوع لتعويض الضرر الذي اصابه للمجنى عليه بل هو ملحوظ فيه معنى العقوبة ولذلك قد يزيد على حد الضرر اذ هو ثمن يقدمه الجاني ليشتري به حياته(١٤) وان الدية كانت اختيارية في العصور الاولى، حيث يمكن لعشيرة الجاني او المجنى عليه بعدم قبولها اعتماداً على نفوذها وقوتها(١٥).

وللجاني ان يرفض الدية التي يطلبها من ذوو المجني عليه اذا كان معتزاً بقوته، وكذلك للمجني عليه ان يرفض الصلح اذا اراد الاخذ بالثأر، وبمرور الزمن

ازدادت سلطة الحكام بحيث اصبحوا قادرين على الزام الجاني بدفع الغرامة الى المجنى عليه، وألزمت المجني عليه بقبولها والاكتفاء بها، كذلك صارت الفدية أو الغرامة محددة ومعينة اذ تكفل القانون بتحديد هذه الغرامات بعد ان كان امر تحديدها متروكاً لاتفاق الطرفين[١٦] ورغم ذلك فانه في بعض الاحوال بقيت الدية اختيارية، وترك للمجني عليه أو ذويه حق الاختيار بينها وبين القصاص، على ان مبدأ التعويض او الدية كان من اساسيات قانون اورنمو وقانو لبت عشتار والذي كان السومريون يعملون به[١٧].

ج- مرحلة القانون المدون :

بعد ان نشأت الدول تم الاعتراف بالقصاص وعنيت بتنظيم قواعده وأقرت الدية، واهتمت بتحديد مبالغها، فتبلورت بذلك العقوبات للجرائم المرتكبة ضد الاشخاص[١٨].

وفي هذه المرحلة استقرت عبادة الاسلاف وظهر رئيس الجماعة بمظهر الوسيط بين افراد جماعته والآلهة، بوصف ان رئيس الجماعة يمثل ايضاً رئيس الديانة بالنسبة لجماعته، وبذلك حلت الديانة محل القوة في تنظيم العلاقات بين افراد الجماعة الواحدة او بين افراد الجماعات المختلفة[١٩].

وبمرور الزمن اتخذت الاحكام الالهية صفة العمومية وذلك بعد ان اخذت المنازعات والوقائع المتشابهة تتكرر فاصدر القضاة احكاماً متشابهة بصدد حل هذه المنازعات والوقائع، لاسباب اهمها سلطة التشريع والتنفيذ والقضاء، لاعتقادهم ان الآلهة هي مصدر ما ينطقون به من احكام فعليهم مراعاة ما سبق وإن حكموا به خشية غضب الآلهة عليهم، أي نشأت عادة دينية ذات طبيعة قضائية مقتضاها ان الاحكام القضائية المتشابهة اصبحت سوابق قضائية تمتد لتحكم في المستقبل المنازعات المماثلة[٢٠].

وترتب على التطور سواء من حيث وجود تنظيم الدولة، أم من حيث التطور الاقتصادي ان تناقصت حالات اللجوء الى الانتقام الفردي وكثرة حالات اللجوء الى رئيس الجماعة والاحتكام اليه فيما يقع من منازعات بين الافراد وكان رئيس الجماعة

بدوره يتشاور مع رجال الدين الذين كانوا يمثلون ارادة الالهة من أجل ايجاد الحكم المناسب من خلال العبادات والتقاليد السائدة[٢١].

وفي ظل التقاليد العرفية لم يعد الحاكم يحكم باسم الآلهة وانما اصبحت السيادة للشعب وذلك بعد أن اصبح الشعب مصدر السلطات[٢٢].

كان التدوين ينصب على مجرد تحرير القواعد والعادات القانونية العرفية أو الاحكام الآلهية، وبمرور الزمن تغير الامر فأصبح التدوين وسيلة حاسمة ترمي الى تعديل القواعد القانونية المطبقة، وذلك بحذف بعضها أو اضافة قواعد جديدة عليها وتغييرها تبعاً لما يستجد في المجتمعات من تطورات سياسية أو اقتصادية[٢٣].

كانت العقوبات تتسم بالقسوة والشدة وعدم المساواة في العقاب ومثال ذلك ما ورد في قانون حمورابي بشأن عقوبة الاعدام، إذ ذكر عقوبة الاعدام في ٣٤ حالة ، فضلاً عن حالات العقوبة التبعية كما ورد بشأن البنّاء الذي يبني البناء وينهار ويتسبب في قتل ابن صاحب البيت فكان يُعاقب البنّاء بقتل ابنه[٢٤].

كذلك مما يدل على قسوة العقوبات هو ما كان يجب على المتهم القيام به لاثبات براءته من التهمة فقد كانت تتم احياناً عن طريق القاء المتهم بالنهر[٢٥].

ان معظم العقوبات كانت عقوبات بدنية، ففي العراق القديم كانت العقوبة تشمل عقوبة الموت والجلد وعقوبة القطع وتشويه الاعضاء، وفضلاً عن ذلك شملت عقوبات سالبة للحرية كالسجن حيث كان يحتجز المجرمون في السجون عقوبة لهم[٢٦].

الى جانب التطور المتقدم للعقاب على الجرائم المرتكبة ضد الاشخاص امتد تطور آخر موازٍ له للعقاب على الجرائم المقترفة ضد الدين والسلطة العامة التي صاحب قيامها نشوء الجماعة، ممثلة في رئيس القبيلة وبعده أمير المقاطعة وملك المملكة، وكل واحد من هؤلاء كان يجمع في ذاته غالباً سلطة الحكم الدنيوي وسلطة الرئاسة الدينية، ومن اجل حماية السلطتين من الاعتداءات المحتمل ان توجه ضدها وجب فرض عقوبة رادعة على مرتكبي تلك الاعتداءات مماثلة في طبيعتها للعقوبات المقررة للجرائم الموجهة ضد الاشخاص وهو ما تم فعلاً بتحديد عقوبات بدنية متسمة

بالقسوة، وأخرى سالبة للحرية واحياناً مالية وذلك للجرائم المرتكبة ضد السلطة العامة غرضها تثبيت الحكم وتوطيد السلطة[٢٧].

نطاق تطبيق العقوبة في القوانين الرومانية والعراقية القديمة:

ان من المهم تحديد العقوبة ونطاقها، لأن نظام العقوبات تشريع بالغ الخطورة والاهمية لانه يتضمن تقييداً لنشاط الافراد وتحديداً لتصرفاتهم ضمن الحدود المعينة فيه، ومن اجل معرفة ذلك علينا ان نعرف بأن كل نظام او كل قاعدة لها نطاق تحدث فيه مفعولها، فالنطاق يتعلق بالزمان الذي تسري تلك القاعدة خلاله من حيث مكان وقوع الفعل او الاشخاص ، فنطاق العقوبة ليس له سلطان مطلق انما يتحدد سلطانه بحدود زمنية ومكانية وشخصية، ومن ثم كان خضوع الفعل له يقتضي دخوله في حدود ذلك السلطان، فلا يكفي ان يكون هناك نص يحدد الجريمة وعقوبتها، بل يجب ان يكون هذا النص نافذ المفعول وقت اتيان السلوك الجرمي وسارياً على مكان وقوعه وعلى شخص مرتكبه[٢٨].

ان القانون الجنائي كغيره من القوانين الاخرى يتطلب تطبيقه ان يكون نافذاً، ويعد القانون نافذاً من تاريخ نشره الا اذا ورد ما يخالف ذلك في متن القانون (القانون لا يلزم ما لم ينشر) [٢٩].

كما ان القانون الجنائي عندما يصدر فانه يبسط سلطانه على الوقائع اللاحقة لنفاذه، غير ان موضوع معالجة هذا القانون للوقائع التي تصدر بعد نفاذه أم يشمل تلك التي وقعت قبل نفاذه، وقد قطع النص الآتي الشك باليقين ازاء هذه الحالة (ليس للقوانين والاوامر أثر رجعي)[٣٠]، وهذه القاعدة جاءت عامة شاملة للعقابية وغير العقابية، وان قاعدة عدم رجعية أثر النصوص العقابية تعني عدم شمول النص العقابي للافعال المرتكبة قبل نفاذه، وان النص العقابي الواجب التطبيق هو النص النافذ وقت وقوع الفعل، لا النص النافذ وقت محاكمة المتهم بارتكاب ذلك الفعل[٣١].

وان ما يؤكد هذا المبدأ في القانون الروماني النص الآتي (لا عقاب بلا نص)[٣٢]، ان مبدأ عدم رجعية النصوص الجنائية على الماضي بانه نتيجة منطقية

لقاعدة لا جريمة ولا عقوبة بغير نص، حيث ان (السلوك لا تثبت له صفة الجريمة الا اذا كان يوجد نص يثبت له هذه الصفة في وقت اتيانه فان لم يوجد هذا النص اعتبر السلوك مباحاً حتى اذا طرأ في وقت لاحق نص يصفه بالجريمة ويقرر له العقوبة هذا معنى لا جريمة بلا نص ومن جهة اخرى فان السلوك المعتبر في القانون جريمة لا تستحق عنه الا العقوبة التي كان النص يقررها له وقت الاقدام عليه فهذه العقوبة هي التي يتحدد بها مصير صاحب السلوك ولا عبرة بعقوبة طارئة لم يكن هناك انذار بتوقيعها عليه حين سلك سلوكه وانما قررها نص لاحق وهذا هو المقصود بالشق الثاني في قاعدة قانونية الجرائم والعقوبات وهي الشق القائل(لا عقوبة بغير نص)[٣٣].

أما سريان القانون الجنائي من حيث المكان في النظام العقابي الروماني، فانه من حق أي دولة او أمة في اصدار القوانين الجزائية من اجل مظاهر سيادتها لما لخطورة وأهمية القوانين الجزائية والعقابية لانها تمس حقوق الافراد من حيث تحديد وتقييد حريتهم وتصرفاتهم، ومبدأ الرومان في هذا الجانب (أن القوانين اقليمية)[٣٤]، ويعني ذلك ان سلطة الدولة وقانونها الجزائي يحكم جميع ما يقع على اقليمها من الجرائم أياً كانت جنسية مرتكبيها سواء كان وطنياً أم أجنبياً وانه على العكس لا سلطان للدولة على ما يقع خارج اقليم تلك الدولة مهما كانت صفة مرتكبها أو جنسيته، ويقصد بتعبير اقليم الدولة كل مكان تمارس فيه الدولة سيادتها وسلطانها[٣٥].

ان الرومان لم يمدوا سلطان قانونهم الى البلاد التي غزوها بل أبقوا لها عاداتها وذلك لاعتبار القانون الروماني امتيازاً يتمتع به الوطنيون الرومانيون من دون سواهم، أما في علاقاتهم الرومان مع الاجانب من جنسيات مختلفة فانهم كانوا يخضعون لاحكام قانون الشعوب[٣٦]، من هنا يتبين مدى سلطان اقليمية القوانين الرومانية، وهذا الامر فرضه الرومان انفسهم وكان هذا مؤشراً على عدم المساواة في تطبيق القانون.

لم تكن الشخصية في روما لكل انسان بل كانت امتيازاً للرومان دون سواهم حيث كان يشترط لكمال الشخصية القانونية في الانسان توافر الآتي :

١. ان يكون الشخص حراً.

٢. ان يكون وطنياً لا أجنبياً.

٣. ان يكون رب اسرة مستقلاً بحقوقه غير خاضع لغيره، أي أن الرومان كانوا يستعملون حقين، حقاً خاصاً بهم وحدهم، وحقاً مشتركاً بينهم وبين الشعوب، فالحق الاول هو الحق المدني الخاص بالمواطنين الرومانيين، والحق الثاني هو الحق الآدمي الذي ينطبق على الرومان أنفسهم وعلى سكان بلاد الرومان وحلفائهم من اللاتين والشعوب المغلوبة (الاجانب) [٣٧].

فالنظام العقابي الروماني يميز بين الافراد ولا يعترف بالمساواة بين المحكومين، وكان يميز بينهم في المحاكمة وفي توقيع العقوبة وتنفيذها حيث ان العقوبة الواحدة كان يعاقب عليها بعقوبات مختلفة، وكان لشخصية الجاني دورها في القانون فالعمل الذي يأتيه الشريف ويعاقب عليه بإحدى العقوبات، يعاقب عليه الشخص العادي اذا أتاه بأقسى العقوبات، فمثلاً كان يشترط ان يكون من وقعت عليه الجريمة حسب القانون الروماني أن يكون مالكاً غير أجنبي أي لم تكن تسري الا على الرومان[٣٨].

وهذه التفرقة تعود الى التنظيم القانوني للمجتمع الروماني والذي كان يقوم على التفريق بين الاشخاص بحسب مراكزهم القانونية في الدولة الرومانية حيث كان يتكون من ثلاثة اصناف من الاشخاص (الرومان، الاجانب، الرقيق) ووضعت قواعد خاصة تنظم العلاقات بين الأفراد المنتمين الى كل نوع من الفئات الثلاث[٣٩].

١. الرومان الاحرار : وهؤلاء هم فئة شعب الدولة من الاصل الروماني، ويأتون في المرتبة الاولى، وكانوا وحدهم يتمتعون في الاصل بالجنسية الرومانية، وبالتالي فهم وحدهم الذين يتمتعون بحقوق خاصة من خلال القواعد المنظمة لمركزهم وعلاقاتهم[٤٠].

٢. الاجانب : كان قدماء الرومان يطلقون على الاجنبي عن البلد الذي كان فيه محروماً في القديم من كل الحقوق ولكن مع الزمن اعترف لهم ببعض الحقوق مثل بقية الطوائف التي منحت تدريجياً وبصورة متفاوتة بعض الحقوق وهم :

أ- الوطنيون الذين منحوا حقوقاً مقيدة مثل حالة طبقة العوام قبل ان يحصلوا على المساواة في الحقوق المدنية والسياسية، وكذلك سكان المستعمرات الرومانية والعتقاء الوطنيون في عهد القانون القديم.

ب- اللاتينيون الذين كانوا ينتمون الى مدن لاتينية تتمتع بوحدة سياسية مستقلة لكل منها قانونها الاهلي وكانوا على الرغم من جنسيتهم اللاتينية يتمتعون ببعض الحقوق في روما.

ج- الاجانب : هم سكان البلاد المجاورة لروما، وكانوا تابعين لمدن ارتبطت مع روما بمعاهدة ضمنت لرعاياهم حقوقهم وحريتهم في اثناء وجودهم بالاراضي الرومانية[٤١] ولم يكن للاجانب الذين يتمتعون بالحماية حق التقاضي على وفق دعاوي قانون الالواح وانما مجرد اختيار محكمين للفض في منازعاتهم ولذلك فقد ظل السائد ان القانون الروماني قانون خاص بالرومان وحدهم ولا ينطبق على سواهم ولكن مع الغزو الروماني ضمت الدولة كثيراً من الاجانب الذين لا ترتبط دولهم مع روما بمعاهدات تخول لهم حق التعامل وقد ترتب على ذلك ازدياد العلاقات التجارية بين هؤلاء الآخرين وبعضهم او بينهم وبين الرومان بما ظهرت الحاجة معه الى اضفاء الحماية القانونية عليهم[٤٢].

٣. الرقيق : في روما لم يعترف بالشخصية الا للرجال الاحرار، وكان العبيد محرومين من كل شخصية او اهلية[٤٣]، اذ كانوا يعدون الرقيق كمبدأ عام من الاشياء وليس بشخص فهو يدخل في تكوين ثروة السيد، بل هو عنصر مهم من عناصرها، وهو يعد من الاشياء النفيسة للسيد عليه حق الملكية، فليس له ان يقاضي غيره مدعياً أو مدافعاً وليس له أن يتظلم من قسوة سيده أو سوء معاملته له، واذا اعتدى عليه شخص آخر غير سيده فليس له أن يتظلم من الضرر الذي لحقه من هذا الاعتداء، وانما لسيده وحده طلب التعويض لنفسه، واذا اعتدى العبد على آخر فلا ترفع عليه الدعوى مباشرة بل للمعتدى عليه أن

يقاضي سيده ولهذا الاخير الخيار بين ان يدفع الغرامة المقررة للجريمة التي ارتكبها العبد او ان يتخلى عنه للمعتدى عليه لينتقم لنفسه من شخص العبد(٤٤).

وأخيراً ووفقاً للتصرفات الرومانية تم اسقاط صفة الاشخاص القانونية عن ثلاث مجموعات رئيسة من الافراد هم (الرقيق، الاجانب، افراد العائلات الرومانية من غير ارباب الأسر) (٤٥).

كذلك استثني من تطبيق القانون الروماني، ومنحوا الحصانة ولم يخضعوا للسلطة القضائية هم الرسل (الوفود) "للرسول حصانة لا في بيئة الحلفاء فحسب بل وفي حومة الوغى وقذائف الاعداء تحلب"(٤٦)، أي لا يخضع الرسل لقانون العقوبات الروماني بشكل مطلق سواء اتصل الفعل لعمله الرسمي ام لم يكن متصلاً به، مما يدل على وجود حصانة دبلوماسية بشكل يتلائم مع ظروفها، والتي روعيت في العصور اللاحقة .

أما في قوانين بلاد الرافدين القديمة فقد وردت عقوبات متنوعة ومتعددة وفقاً لنوع الجرم ففي اصلاحات اورانمكينا نجد ذكر للسجون فوردت عبارة "عفى عن مواطنيه الذين كانوا في السجون بسبب الديون التي وقعت عليهم، أو بسبب كميات القمح التي يأخذها القصر كحق له، او بسبب الشعير الذي يدعي القصر بانه يعود لمخازنه او بسبب سرقة أو قتل، وأطلق سراحهم"(٤٧). وكذلك ورود عقوبة الرجم في بعض الاحكام ذات الطابع القانوني كحالة تحديد عقوبة السرقة، ومعالجة حالة المرأة التي تتزوج بأكثر من رجل واحد، حتى وصلت العقوبة الى الرجم حتى الموت"(٤٨).

ان الغاء بعض أنواع الضرائب وتخفيض أجور الكهنة والغاء المحاكم الحقوقية التي كان يجبيها موظفوا المحاكم وتحديد عقوبة جريمة السرقة والزنا(٤٩) يدل على محاولات الاصلاح من جهة وفي نفس الوقت فهي تعبر عن أنواع العقوبات والاجراءات القانونية المتبعة آنذاك.

أما في قانون اورنمو فقد وجدت عقوبات منها "الحجر" كما ورد ذلك في المادة الرابعة :

"اذا تزوج عبد من أمة يحبها، واذا حصل العبد على حريته لاحقاً فانه لا يغادر المنزل"(٥٠).

كذلك وردت عقوبة القتل في حالات منها الجرائم الجنسية وكما ورد في نص المادة السادسة :

"اذا اعتدى رجل على حقوق رجل آخر، فانتهك عذرية خطيبته، فان هذا المعتدي سيقتل"(٥١).

ونلاحظ عدم المساواة في ايقاع العقوبة بين الاحرار والعبيد، فعند الاعتداء على حرة تكون العقوبة الاعدام، اما اذا كان الموضوع يخص الاماء فتكون العقوبة اقل كما ورد في عقوبة الغرامة المادية في المادة الثامنة :

"اذا أزال رجل بكارة أمة رجل آخر بالاكراه ، فعليه أن يدفع غرامة خمسة شيقلات من الفضة"(٥٢).

كذلك وردت الغرامة المالية في الاعتداءات التي تؤدي الى تلف اعضاء الجسم كما ورد في المادة السادسة عشر :

"اذا حطم رجل متعمداً طرف (ساق) أو (يد) رجل آخر بهراوة، عليه ان يدفع غرامة منا واحداً من الفضة"(٥٣).

ووردت اجراءات تأديبية كما هو الحال في المادة الثانية والعشرون:

"اذا تكبرت أمة رجل ما، وأقسمت لسيدتها على مساواة نفسها بها، فللسيدة أن تدعك فم الأمة بالملح"(٥٤).

وتتضح في قانون لبت عشتار انواع اخرى من العقوبة، عالجت موضوع الملاحة النهرية كما ورد في المادة الخامسة من القانون :

"اذا أجر رجل قارباً لاستخدامه في رحلة وغير....(الاتفاق) و استخدم القارب لغرض السطو، فالرجل الذي اجر القارب عليه ان....قارب"(٥٥).

وعلى الرغم من النقص الوارد في نص المادة الا انه يوحي انه اذا استخدم هذا القارب المستأجر في عملية سطو، فتقع عقوبة على المؤجر ان يدفع عدداً من القوارب جزاءاً له على تصرفه هذا.

كذلك وردت في نصوص هذا القانون الغرامة جراء سرقة بستان وكما ورد في المادة التاسعة من القانون :

"اذا دخل رجل بستاناً يعود لرجل آخر وقبض عليه متلبساً بالسرقة فعليه أن يدفع (كغرامة) عشرة شيقلات من الفضة"(٥٦).

وتظهر في المادة الثانية عشر من القانون حالة تعويض العبد أي أخذ عبد عوضاً عن العبد الهارب :

"اذا هربت أمة أو عبد الى داخل المدينة وقد ثبت أن الأمة أو العبد قد أقام في بيت رجل ما، لمدة شهر واحد فعليه ان يعوض عبداً بعبد"(٥٧).

ووردت حالة تحرير العبد ومنحه حريته وذلك كعقاب لسيده جراء سوء معاملته "اذا اشتكى عبد سيد على سيده بسبب عبوديته وثبت على سيده (اساءة) عبوديته مرتين فسوف يحرر العبد من سيده"(٥٨).

وحددت المادة الثالثة والثلاثون عقوبة الغرامة في حالة القذف والادعاء الكاذب :

"اذا ادعى رجل بان ابنه رجل حر غير متزوجة قد مارست العملية الجنسية (مع رجل ما)، وثبت انها لم تقم بذلك، عليه ان يدفع (كغرامة) عشرة شيقلات من الفضة"(٥٩).

ووردت المواد الخاصة بالتعويض مثلاً ما ورد في المادة الخامسة والثلاثون:

"اذا أجر رجل ثوراً وكسر قرنه، عليه ان يدفع غرامة ربع سعره"(٦٠).

وفي وجوب الاشهاد على عمليات البيع والشراء أوقع قانون لبت عشتار عقوبة السارق على من لم يحضر شهود اثناء قيامه باحدى الاعمال التجارية

(اذا اشترى رجل او استلم على سبيل الامانة أما فضة أو ذهباً أو عبداً أو أمة أو شاةً أو حماراً أو أي شيء آخر من يد ابن رجل أو عبد رجل بدون شهود او عقود فان هذا الرجل سارق ويجب قتله)(٦١).

كما حددت عقوبات لمن يسيء معاملة الحيوانات اثناء استخدامها في الاعمال الزراعية : "اذا أجر رجل ثوراً لربطه في مؤخرة حيوانات المحراث فعليه أن يدفع أجرة (عن بقاء الثور عنده، لمدة سنتين قدرها ثماني كور من الحبوب، واذا ربطه في مقدمة حيوانات المحراث فانه سيدفع أجرة قدرها ٦ كور من الحبوب) [٦٢].

أما في قانون اشنونا فنجد لأول مرة تحديد للاسعار والموازين والمكاييل وحددت الغرامة لمن يخالفها، وشدد هذا القانون على عقوبة السطو، ووضع لها عقوبة ان حصلت نهاراً وتشدد في حالة السطو ليلاً، كما جاء في المادة الثانية عشر:

(اذا قبض على رجل في حقل شخص نهاراً، وداخل السياج ، فعليه أن يدفع عشرة شيقلات من الفضة ((كغرامة))، ومن يقبض عليه ليلاً داخل السياج فانه يموت ولن يترك حياً) [٦٣].

واشارت المادة الخامسة عشرة من قانون اشنونا بعدم الاعتداد بالتصرفات المالية للعبيد باعتبارهم وما يملكون ملكاً لاسيادهم :

(لا يجوز للتاجر أو لبائعة الخمر ان يستلما من عبد أو من أمة فضة أو شعيراً أو صوفاً او زيتاً بغية المتاجرة بهم) [٦٤].

وورد في المادة الخامسة والعشرون من قانون اشنونا عقوبة حبس الرهينة باعتبارها أحدى صور التعويض :

"اذا لم يكن له حق عليه ولكنه (مع ذلك) وضع يده على زوجة رجل من الموالي أو على ابنة كرهينة وحبس الرهينة في بيته وسبب موتها، فهذه قضية (قتل) النفس. يجب ان يموت الذي حبس الرهينة"[٦٥].

كما اعتبرت المادة السابعة والعشرون ان قضية الخطف هي قضية جنائية يعاقب فاعلها بالموت :

"اذا أعطى رجل لابنة رجل مهراً، ولكن رجل آخر خطفها ودخل بها بدون موافقة أبيها وأمها. فهذه قضية (قتل) نفس، ويجب أن يموت"[٦٦].

عاقبت مواد قانون اشنونا من يترك بلاده ومَلِكَهُ في أن يسقط حقه في زوجته

"اذا كره رجل مدينته وسيده (الملك) وهرب، ثم أخذ زوجته رجل آخر، فعندما يعود لا يحق له استرجاع زوجته"(٦٧).

ويظهر في قانون اشنونا تمييز واضح بين مكانة المرأة الأمة والسيدة الحرة، فيرد في المادة الثانية والثلاثون:

"اذا افتض رجل بكارة أمة رجل، فعليه ان يدفع ثلث المنا من الفضة تعويضاً، أما الأمة فتعود لسيدها"(٦٨).

كذلك عالجت نصوص قانون اشنونا موضوع خيانة الامانة وحددت عقوبتها، كما ورد في المادة السابعة والثلاثون:

"اذا أعطى رجل مالاً له كـ.... أو كأمانة، فاذا لم يسرق البيت (المودع فيه) ولم تكسر بابه او تحطم نوافذه (ومع هذا) فقد المال المودع (المؤتمن) فسوف يعوضه ماله (المفقود))(٦٩).

كما حدد هذا القانون في مادته الثالثة والاربعون مقدار التعويضات الواجب دفعها من قبل مرتكبي الاعتداءات لصالح المجنى عليهم :

"اذا عض رجل انف رجل آخر وقطعه، فعليه أن يدفع مناً واحداً من الفضة، ودية العين مناً واحداً من الفضة، وللأذن نصف مناً من الفضة، وللضرب على الوجه عشرة شيقلات من الفضة"(٧٠).

كما عالجت مواد هذا القانون عقوبة من تسبب حيواناته في ضرر للآخرين، كما ورد في المادة الخامسة والخمسون :

"اذا كان لرجل ثور نطاح وحذرت السلطة الحاكمة صاحبه من خطر ثوره، ولكنه لم يقطع قرنيه، ثم نطح رجلاً وسبب موته، فعلى صاحب الثور أن يدفع ثلثي المنا من الفضة"(٧١).

وكذلك ما ورد في المادة الثامنة والخمسون :

"اذا عض (كلب) عبداً وسبب موته، فعلى صاحبه أن يدفع غرامة لصاحب العبد خمسة عشر شيقلاً من الفضة"(٧٢).

وقد ترك هذا القانون للملك شخصياً ان يبت في بعض القضايا التي تتسبب بضرر للآخرين، كما ورد في المادة التاسعة والخمسون :

"اذا كان لرجل جدار متداع وأخبرت السلطة الحاكمة صاحبه بحالة الجدار، ولكنه لم يقوه، فسقط الجدار وسبب موت رجل من الأويلم (الاحرار) فهذه قضية قتل نفس ويكون القضاء فيها متروكاً للملك"(٧٣).

وجاءت عقوبة اهمال الواجب قاسية، كما ورد في المادة الحادية والستون :

"اذا حارس، مهمته حراسة دار، والدار هي سبب معيشة رجل ما، وأهمل الحراسة (فكسر باب الدار)، فالحارس سوف يقتل....، ويجب أن يقبر (أمام كسرة الدار)(٧٤).

نجد في قانون حمورابي تجريم لحالات اخرى كالسحر مثلاً، ويوقع على من يقوم بها عقوبات تصل الى الموت بعد ان يجري اختبار النهر، حيث ورد في المادة الثانية:

"إذا ألقى رجل على رجل تهمة ولكنه لم يثبتها، فعلى الذي اتهم بالسحر يذهب إلى النهر، وعليه أن يرمي نفسه في النهر فإذا غلبه النهر فعلى من اتهمه ان يستولي على بيته.. وإذا أثبت النهر أن هذا الرجل بريء وخرج منه سالما، فإن الذي اتهمه بالسحر يعدم، أما الذي خرج سالما من النهر فعليه أن يستولي على بيت متهمة"(٧٥).

وظهرت عقوبة جديدة في قانون حمورابي تخص القضاة اذا قاموا بتغيير حكم سبق وان اصدروه، كما جاء في المادة الخامسة :

"إذا نظر قاضي في دعوى وأصدر بها حكما، وثبت (الحكم) على رقيم مختوم، وبعد ذلك غير قراره، فعليه أن يتحمل عقوبة تلك الدعوى، ويدفع اثني عشر مثلها ويطردوه من مجلس القضاة ومن على كرسيه، ولا يحق له أن يجلس مع القضاة للنظر في الدعوى"(٧٦).

كما جاءت عقوبة سرقة المال العام في قانون حمورابي عقوبة رادعة وقاسية وهي الموت، كما ورد في المادة السادسة :

"إذا سرق رجل حاجة للإله أو للقصر، فإن ذلك الرجل يعدم ويعدم كذلك من تُمسك بيده الحاجة المسروقة"(٧٧).

وتشير المواد التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة الى عقوبة اقتناء المال المسروق وهي الاعدام(٧٨).

كما جاءت عقوبة التستر على المجرم شديدة تصل الى الاعدام فالمادة السادسة عشر من قانون حمورابي تنص:

"إذا خبأ رجل في بيته إما عبدا هاربا أو أمة هاربة تعود إلى القصر أو إلى مولى ولم يستجب لصوت المنادي، فصاحب هذا البيت يعدم"(٧٩).

شدد قانون حمورابي عقوبة من يقوم بسرقة دار، فورد في المادة الحادية والعشرون:

"اذا احدث رجل ثغرة في دار ما (من أجل السرقة)، فعليهم ان يعدموه أمام تلك الثغرة ويقيموا الجدار (يدفن داخل الجدار) "(٨٠).

كما شدد عقوبة تعاطي الرشوة لأي سبب كان، كما جاء في المادة الرابعة والثلاثون:

"اذا تقبل رئيس أو عريف حاجات من جندي أو اغتصب اموال جندي او اعطى جندياً كأجير أو قدم جندياً للمحاكمة بتأثير شخص قوي فان هذا الرئيس أو العريف يعدم"(٨١).

واشارت قوانين حمورابي الى عقوبة الاهمال التي تؤدي الى الاضرار بالغير "اذا تقاعس رجل في تقوية سد حقله ولم يقو سده، وحدثت كسرة في سده، فترك الماء يخرب الارض المزروعة المجاورة، فعلى الرجل الذي حدثت الكسرة في سده ان يعوض الحبوب التي تسبب في تلفها في حقل جاره"(٨٢).

كما عالجت قوانين حمورابي عقوبة حالة الاحتيال في التعاملات التجارية وحددت عقوبتها بالقذف في النهر كما اشارت لذلك المادة مائة وثمانية:

"اذا استلمت بائعة الخمر نقوداً بالوزن الثقيل ثمناً للبيرة بدلاً من استلامها حبوباً، أو انها جعلت قيمة البيرة المباعة اقل من قيمة الحبوب المستلمة، فعليهم ان يثبتوا هذا التحايل على بائعة الخمر ويقذفونها في النهر"(٨٣).

وشددت هذه القوانين من عقوبة عدم الابلاغ عن المجرمين، كما جاء في المادة مائة وتسعة:

"اذا تجمع مجرمون في بيت بائعة الخمر، ولم تلق القبض عليهم ولم تقدمهم الى القصر، فان بائعة الخمر هذه تعدم"(٨٤).

وحددت عقوبة انكار الامانة رغم توفر شهادة الشهود كما ورد ذلك في نص المادة مائة وأربعة وعشرون :

"اذا اعطى رجل فضة او ذهباً او أي شيء آخر الى رجل آخر للمحافظة عليها أمام شهود فعليهم ان يثبتوا على هذا الرجل انكاره، وعليه ان يدفع ضعف ما أنكره"(٨٥).

كما حددت عقوبة الزنا، كما ورد في نص المادة مائة وتسعة وعشرون:

"اذا ضبطت زوجة رجل مضطجعة مع رجل آخر، فعليهم أن يربطوهما معاً ويرموهما في النهر، فاذا رغب الزوج في الابقاء على حياة زوجته، فللملك أن يبقي على حياة الرجل الآخر"(٨٦) .

وحددت قوانين حمورابي عقوبة جريمة القتل العمدية التي ترتكبها الزوجة من أجل عشيقها كما جاء في نص المادة مائة وثلاثة وخمسون:

"اذا تسببت زوجة رجل في موت زوجها من اجل رجل ثانٍ، فعليهم ان يوتدوا هذه المرأة" أي تكون عقوبتها الاعدام بطريقة الخازوق(٨٧).

وذكرت عقوبة النفي كعقاب على من يرتكب جريمة الزنا بالمحارم كما ورد في نص المادة مائة وأربعة وخمسون:

"اذا جامع رجل ابنته، فعليهم أن يطردوا ذلك الرجل من المدينة"(٨٨).

بينما عالجت المادة مائة وسبعة خمسون عقوبة الزنا بالمحارم:

"اذا نام رجل بعد وفاة والده في حضن أمه، فعليهم أن يحرقوا كليهما"(٨٩).

كما وردت عقوبة تطاول المتبنى على مقام متبينه، كما ورد في المادة مائة واثنان وتسعون : "اذا قال ابن تابع القصر أو ابن حريم القصر (المتبنى) لأبيه الذي

رباه أو امه التي ربته : " انت لست والدي، او انت لست والدتي، عليهم أن يقطعوا لسانه"(٩٠).

اما عقوبة تجاوز الفروع على الاصول فهي قاسية وفقاً لنص المادة مائة وخمسة وتسعون : "اذا ضرب ابن اباه، فعليهم ان يقطعوا يده"(٩١).

وفي بعض الجرائم تكون العقوبة من جنس فعل الاعتداء، كما ورد وصف ذلك في نص المادة مائة وستة وتسعون : "اذا فقأ رجل عين رجل آخر، فعليهم ان يفقئوا عينه"(٩٢).

ونلاحظ ان العقوبة تكون اقل اذا كان الضرر قد وقع على مولى، وكما ورد في نص المادة مائة وثمانية وتسعون : " اذا فقأ رجل عين مولى، أو كسر عظم مولى، فعليه ان يدفع مناً واحداً من الفضة"(٩٣). وتتفاوت العقوبة تبعاً لمنزلة المعتدي والمعتدى عليه فتكون قاسية اذا ارتكبها عبد ضد شخص ارفع منه منزلة،

كما ورد بنص المادة مائتان وخمسة "اذا صفع عبد رجل، خد احد الاشخاص، فعليهم قطع أذنه"(٩٤).

ومن العقوبات كذلك عقوبة الاعتداء على امرأة واسقاط حملها فهنا يدفع غرامة عشرة شيقلات من الفضة حسب المادة مائتان وتسعة، اما اذا ادى الضرب الى الموت، فجاءت العقوبة بنص المادة مائتان وعشرة : "اذا توفيت تلك المرأة فيجب ان تقتل ابنته"(٩٥).

كذلك ورد في قانون حمورابي عقوبات للطبيب ان اخطأ في معالجة المريض وذلك تبعاً للحالة الاجتماعية للمريض، فورد في المادة مائتان وثمانية عشر : "اذا اجرى طبيب عملية لرجل بسكين للعمليات وسبب وفاة الرجل، او فتح محجر عين الرجل واتلف عينه، فعليهم ان يقطعوا يده"(٩٦).

اما في حالة كون المريض عبد فتخفض العقوبة الى غرامة، كما جاء في نص المادة مائتان وتسعة عشر : "اذا اجرى طبيب لعبد مولى بسكين للعمليات وسبب وفاته، فعليه ان يعوض عبداً بعبد"(٩٧).

وعالجت قوانين حمورابي عقوبة اهمال بنّاء البيت الذي سقط البيت بسبب اهماله، وفقاً لنص المادة مائتان وثلاثون : "اذا سبب قتل ابن صاحب البيت، فعليهم ان يقتلوا ابن البنّاء[٩٨].

الهوامش :

[١] عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي مقارنة بالقانون الوضعي، ط٢، (القاهرة، ١٩٥٩)، ج١، ص٦٠٩.

[٢] فراج، خالد عبد الحميد، شرعية الجرائم والعقوبات، ط١، (الاسكندرية، ١٩٦٧)، ص٣٣.

[٣] خلف، علي حسين، المبادئ العامة في قانون العقوبات، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ٤٠٥.

[٤] جعفر، علي محمد، مدخل تاريخ القانون، (بيروت، ١٩٧٨)، ص١٣.

[٥] بدر ، والبدراوي، مبادئ القانون الروماني، ص٤٣٦.

[٦] ان سياسة العقاب في مراحلها المختلفة قد خضعت لتأثير العقائد الدينية التي حددت للعقوبة غرض التكفير بانزال العقوبة بالجاني، وذلك من اجل تطهيره من الاثم الذي اقترفه ، وكل ذلك من اجل تهدئة غضب الآلهة، ينظر : حسين، محمود نجيب، عقوبات قسم عام، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص١٥.

[٧] ابو الوفا، أحمد، تاريخ الانظمة القانونية والاجتماعية، (بيروت، ١٩٧٩)، ص١٤.

[٨] جعفر، مدخل تاريخ القانون، ص١٤.

[٩] نشأت، اكرم، القواعد العامة في قانون العقوبات، ط١، (العراق، ١٩٩٨)، ص١٧.

[١٠] بدر ، والبدراوي، مبادئ القانون الروماني، ص٤٣٨.

[١١] عبد الستار، فوزية، مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب، ط٥، (بيروت، ١٩٨٥)، ص٢١٣.

[١٢] نشأت ، القواعد العامة في قانون العقوبات، ص١٨.

[١٣] ابو الوفا ، تاريخ الانظمة القانونية والاجتماعية، ص١٧.

[١٤] حسين، عقوبات قسم عام، ص١٨.

[١٥] ابو الوفا ، تاريخ الانظمة القانونية والاجتماعية، ص١٩.

[١٦] اكرم، القواعد العامة في قانون العقوبات، ص١٩.

[١٧] سليمان، عامر، العقوبة في تاريخ العراق القديم، (الموصل، ١٩٧٧)، ص١٧٨.

(١٨) عوض، محمد محي الدين، القانون الجنائي، مبادئه الاساسية ونظرياته العامة، (القاهرة، ١٩٦٣)، ص١٢.

(١٩) ابو طالب، صوفي، مبادئ تاريخ القانون، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٣)، ص٨٢.

(٢٠) مسكوني، صبيح، تاريخ القانون في العراق القديم، ط١، (بغداد، ١٩٧١)، ص٤٠.

(٢١) جعفر، مدخل تاريخ القانون، ص ١٧-١٨.

(٢٢) ابو طالب، مبادئ تاريخ القانون، ص٩٢.

(٢٣) مسكوني، تاريخ القانون العراقي القديم، ص٤٥.

(٢٤) زناتي، محمود سلام، قانون حمورابي، جامعة عين شمس، (مصر، ١٩٧١)، ص٦٧.

(٢٥) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٣١٢.

(٢٦) حامد، عبد الوهاب، دراسات معمقة في القانون الجنائي المقارن، (تكريت، ١٩٨٠)، ص١٨٥.

(٢٧) الفاضل، محمد، المبادئ العامة في قانون العقوبات، (دمشق، ١٩٦٥)، ص٤٥.

(٢٨) خلف، المبادئ العامة في قانون العقوبات، ص٥٣.

(٢٩) فهمي، مدونة جوستنيان، الملحق الثاني، الفقرة ٢٢، ص٣٧٨.

(٣٠) فهمي، مدونة جوستنيان ، الملحق الثاني، الفقرة ٢٠، ص٣٧٨.

(٣١) نشأت، القواعد العامة في قانون العقوبات، ص١٠٢.

(٣٢) فهمي، مدونة جوستنيان، الملحق الثاني، تقريرات خاصة بالجرائم، الفقرة ٦، ص٣٩٤.

(٣٣) بهنام، رمسيس، النظرية العامة للقانون الجنائي، ص٢١٤.

(٣٤) فهمي، مدونة جوستنيان، الملحق الثاني، الفقرة ١٩، ص٣٧٨.

(٣٥) خلف، المبادئ العامة في قانون العقوبات، ص ٨٥-٨٨.

(36)Carleton, Munro & Raymond James, The century historical series, (London,1971), P.17.

(٣٧) العجلاني، منير، الوجيز في الحقوق الرومانية، (دمشق، د.ت)، ص١١.

(٣٨) الحافظ، القانون الروماني، ص٢٨٣.

(٣٩) الغازي، تاريخ القانون في وادي الرافدين والدولة الرومانية، ص٢٠١.

(٤٠) المصدر نفسه ، ص٢٠١.

(٤١) فرج، دروس في القانون الروماني، ص٥٩.

(٤٢) عكاشة، عبد العال محمد، القانون الروماني، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص٤٥.

(٤٣) العجلاني، الوجيز في الحقوق الرومانية، ص٣٩.

(٤٤) بدر ، والبدراوي، مبادئ القانون الروماني، ص ١٧٨-١٧٩.

(٤٥) بدر ، والبدراوي، مبادئ القانون الروماني ، ص١٨٠.

(٤٦) فهمي، مدونة جوستنيان، الملحق الثاني، الفقرة ٥١، ص٣٦٨.

(٤٧) يقصد هنا (ابناء الجيش) وليس المواطنون الاعتياديون، ينظر: كريمر، السومريون، ص١١١.

(٤٨) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ص٣١.

(٤٩) فرانكفورت، فجر الحضارات في الشرق الادنى، ص٨٨.

(٥٠) الشيخلي، اضواء على قانون اورنمو، ص٣٣٩.

(٥١) سليمان، القانون في العراق القديم، ص١٧٣.

(٥٢) الشيخلي، اضواء على قانون اورنمو، ص٣٣٩.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٥٤) رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص٢٩.

(٥٥)رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص٤١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٥٧) المصدر نفسه ، ص٦٠.

(٥٨) المصدر نفسه ، ص٦١.

(٥٩) باقر، قانون لبت عشتار، ص٢١.

(٦٠) باقر، قانون لبت عشتار، ص٢١.

(٦١) المصدر نفسه، ص٢١.

(62) Civil, Assyriological studies, P.12.

(٦٣) رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص٨٨.

(٦٤) باقر، قانون مملكة أشنونا، ص٥١.

(٦٥) رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص٨٩.

(٦٦) المصدر نفسه، ص٩٠.

(٦٧) المصدر نفسه، ص٩١.

(٦٨) موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ص٩٧.

(٦٩) سليمان، القانون في العراق القديم، ص٢١٥.

(٧٠) باقر، قانون مملكة أشنونا، ص٥٨.

(٧١) رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص٩٤.

(٧٢) باقر، قانون مملكة أشنونا، ص٦٣.

(٧٣) المصدر نفسه ، ص٦٣.

(٧٤) رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص٩٥.

(٧٥) الأمين، قوانين حمورابي ، ص٢٧.

(76)Harper, R. The code of Hammurabi, P.196.

(77) Driver, The Babylonian, P.71.

(٧٨) العبودي، شريعة حمورابي، ص٢٣٣.

(٧٩) الأمين، قوانين حمورابي، ص٣٢.

(80) Borgmann,Hammurabi, P.185.

(٨١) رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٢٤.

(٨٢) المصدر نفسه ، ص١٢٨.

(٨٣) زناتي، قانون حمورابي، ص٩٩.

(٨٤) الكيالي، شريعة حمورابي اقدم الشرائع العالمية، ص١٠٤.

(٨٥) رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٤٠.

(٨٦) المصدر نفسه ، ص١٤١.

(٨٧) صالح، الشرق الادنى القديم، ص٤٦٤.

(٨٨) العبودي، شريعة حمورابي ، ص٢٥٧.

(89)Kohler, Hammurabi's Gestz, P.51.

(٩٠) رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٤٥.

(٩١) سعيد، المسؤولية المدنية في شريعة حمورابي، ص٧٤.

(٩٢) زناتي، قانون حمورابي، ص١٩٧.

(٩٣) رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٥٥.

(٩٤) الكيالي، شريعة حمورابي اقدم الشرائع العالمية، ص١٥٤.

(٩٥) زناتي، قانون حمورابي، ص٢٠٢.

(٩٦) رشيد، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٥٧.

(٩٧) سعيد، المسؤولية المدنية في شريعة حمورابي، ص٧٧.

(٩٨) المصدر نفسه، ص٧٨ .

الطب في حضارة بلاد الرافدين

أ.م.د.محمدعلي عبد الأمير حسن
جامعة بغداد/كلية اللغات

الطب في حضارة بلاد الرافدين

أ.م.د. محمد علي عبد الأمير حسن

مقدمة

أن سبب أختيار موضوع الطب في حضارة بلاد الرافدين لأنه يعد من المواضيع الحيوية والمهمة في تاريخ الامم السابقة واللاحقة، كذلك لما له من اهمية كبرى في استمرار الحياة البشرية ، فلولا هذا العلم لقضى على جموع كثيرة من البشر بسبب الأمراض ،بغض النظر عن الحوادث الأخرى، وبالشفاء يمكن للانسان أن يعمر دهرا من الزمن .

كان للسومريين الأوائل الفضل الكبير في معرفة الكثير من أمور الطب التي تناقلتها الأجيال جيل بعد جيل عن طريق ما اكتشف من رقم طينية كثيرة تحدثت عن الطب وغيرها من العلوم الأخرى ، ولقد سبق السومريون العالم بهذه المهنة فأكتشفوا انواع العلاجات من النباتات والمواد الكيميائية والحيوانية، ولم يكتفوا بالطب البشري فقط وانما وظفوا هذا العلم من اجل الحيوان ايضا فظهر الطب البيطري في ذلك الوقت واجريت كثير من العمليات الكبيرة على الحيوان

تناولت في بحثي هذا موضوع الطب وقسمته على قسمين

الطب الديني والطب العلمي فتحدثت في البدء عن الطب الديني لأنه سبق الطب العلمي ،وقد بنى على السحر والتعاويذ ، ثم بعدها تناولت الأمراض واسبابها ثم وضحت النصوص الطبيةالتي تناولت مرحلة التشخيص والانذار، وأنتهاءا بالنصوص التي تناولت المعالجة والدواء .كما عرضت لأهم مصادر الأدوية في النصوص المكتشفة ،وبينت بعض الرسائل التي تبادلت بين الملوك ذات الفحوى الطبي ، كما كان لشريعة حمورابي نصيب كبير في بحثي لما أحتوته منإشارات مهمة تخص الطب والأطباء .أن موضوع الطب في بلاد الرافدين موضوعا كتبت

فيه كثير من الرسائل والأطاريح ولكن كان لكل باحث وجهة نظر تختلف عن الباحث الآخر ،الأ ان المعلومات تكاد تصب في أطار واحد ألا وهو تعريف العالم بحضارة بلاد الرافدين وخاصة موضوع الطب العراقي القديم .أما عن أهم المصادر التي اعتمد بحثي عليها فكانت حضارة العراق الجزء الثاني للمؤلف فاروق الراوي ، كذلك مؤلف الدكتور عامر سليمان العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)واستخدمت عدة مؤلفات للاستاذ طه باقر كان منها تاريخ العراق القديم الجزء الثاني وكذلك مقدمة في تاريخ الحضارات بجزئيه الاول والثاني ، كذلك استخدمت كثير من المؤلفات المترجمة الى العربية منها علوم البابليين لملرغريث روثن ، والواح سومر لصموئيل نوح كريمر وغيرها من المصادر. **تمهيد** ظهر الطب في بلاد الرافدين منذ أقدم العصور، إذ كانت الحاجة لتداوي الانسان من الأمراض والشفاء منها دفعته غريزته لدرىء الاذى عن نفسه وعن الأقربين منه ، فهذه الغريزة الأنسانية دفعته الى تجربة ما تجود به الطبيعة من نبات وحيوان واحجار أو معادن ،فضلا عن ممارسة الطقوس الدينية والسحر، كذلك رصده لحركات وأفعال الحيوانات في معالجة نفسها ، وبتكرار التجارب، وبأكتشافه علاقة نبات ما أو مادة معدنية أو حيوانية بشفاء مرض ،أستطاع أن يتوصل الى نتائج افضل في المعالجة والشفاء(١) الا إن المعلومات عن تلك النتائج والممارسات قليلة جدا طالما لم تكن الكتابة معروفة أنذاك لتدون لنا التفاصيل ، وكان جل اهتمام الباحثين بالنسبة لعصور ما قبل التاريخ على ما خلفه الانسان من آلات وأدوات يظن أنها استخدمت في الطب للعلاج ،ولاسيما السكاكين والمشارط التي استخدمت في العمليات الجراحية والدوارق الفخارية والهواوين والمطاحن التي استخدم بعضها لأعداد العقاقير الطبية ،فضلا عن ما يمكن التعرف عليه من ممارسات طبية اجريت على الانسان ، وتركت أثارها على هياكله العظمية ، كالعمليات الجراحية ، وتجبير العظام وغيرها ، ومنذ العصور التاريخية وشيوع استخدم الكتابة أزدادت معلوماتنا عن الطب وممارساته في العصور القديمة (٢) إلا إن تأخر اهتمام الباحثين بالنصوص

المسمارية الخاصة بالطب ، وفهمها وتفسيرها التفسير الصحيح الى ما بعد حل رموز الخط المسماري بعدة عقود من السنين ، حيث نشطت دراسات النصوص الطبية بوجه خاص الى فترتما بين الحربيين العالميتين الاولى والثانية من القرن الماضي ، ويعود ذلك الفضل الى ما نشره الباحثون من نصوص طبية كثيرة ومهمة كانت محفوظة في المتحف البريطاني ،كانت قد اكتشفت في مكتبة الملك آشور بانيبال (٣) في نينوى ومعظمها نسخ من نصوص طبية تعود الى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد (٤) كما وجدت مجموعات أخرى من نصوص طبية في العاصمة الاشورية القديمة (آشور) (٥) وترجع في زمنها الى مطلع الألف الأول قبل الميلاد ،وعثر ايضا على مجموعات أخرى مهمة في العاصمة الحثية القديمة حاتوشاش التي تعرف بقاياها بأسم بوخازكوي في تركيا، وتاريخها يعود الى حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد(٦) وتجدر الأشارة الى إن ما وصل عن فترة العهد البابلي القديم (٢٠٠٦-١٥٩٥ق.م) من نصوص ينم عن رقي العلوم الطبية في هذه المرحلة ، شأنها شأن العلوم الأخرى ، وبعد ذلك مرحلة العهد الكشي(١٥٠٠ق.م) ومن ثم تأتي مرحلة مهمة في تاريخ الطب في بلاد الرافدين تتمثل بالعهود الآشورية وتستمر حتى نهاية العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) إذ بلغ الطب أرقى مراحل تطوره ، وقد وردت المئات من الرقم الطينية في مكتبة آشور بانيبال(٦٦٩-٦٢٨ق.م) وكان معظم تلك النصوص عبارة عن استنساخات سومرية وأكدية وبابلية وآشورية ، وساهم العهد البابلي الحديث ايضا بمجموعة من النصوص المسمارية الخاصة بالفأل والتعاويذ التي هي عبارة عن استنساخات من رقم تعود لأزمان أقدم (٧) ولا يعرف بوجه التأكيد هل إن أصل الطب من السحر وما يتعلق بطرق السحر والراجح إن الطب بدأ بالتجربة المقرونة بالأعمال السحرية ، فقد عزوا الأمراض الى الأرواح والشياطين ،ومما يؤيد علاقة الطب بالأعمال السحرية والطرق الروحية ،إن الطب في بلاد الرافدين لم يستطيع التخلص تخلصا تاما من الرقى والتعزيم في ازمان نضجه على مر العصور(٨)ويقسم الطب في بلاد الرافدين على

قسمين: **الطب الديني و الطب العلمي الطب الديني** : لقد وجد العراقيون القدماء في المعبد مأوى لشفائهم ، فكان السومريون والبابليون يسعون اليها ،إذ عد الكاهن ،أو رجل الدين هو الطبيب الأول في شفاء الناس ، وكان يستقبل المرضى في المعبد ، لهذا السبب كان الكهنة أول الأشخاص الذين بدءوا بالتمائم والسحر وتلاوة العزائم (٩) ،وان هذه القراءات من التعاويذ التي كان يقوم بها الكهنة هي بأسم الاله أيا او ابنه الاله مردوخ لطبابة المرضى بطرد الخبائث من الجسم ،ولهذا فقد كان في كل معبد جناح خاص لإله أياتيمنا به وبمعبده المقدس في اريدو الذي تنبعث منه التعاويذ للقضاء على الامراض وعتق المرضى من اغلال الجان (١٠) أما المصطلح الذي اطلق على المعوذ فهو (آشيبو)(**Ashiputu**) اي التعويذ والسحر ، وكانت وظيفته الرئيسية طرد الشياطين والارواح الخبيثة بالتعزيم والرقى (١١)واحيانا يلجأ الى عمل بديل عن الأرواح الشريرة التي هي من اشباح الموتى ، فيصنع الدمى والتماثيل الشبيهه بها ويجري عليها طقوس معينة بهدف إبعادها وإيقاع الهزيمة بها، وتخليص المريض منها ، وهذا مثال يوضح هذا الاسلوب من المعالجة "**إذا ظهر شبح ميت على شخص عرفه أو لم يعرفه فلأجل إبعاد ظهور هذا الشبح تصنع دمية تشبه وتمثل هذا الميت، ويجب كنس الأرض من امام الإله شمش ورشها بالماء النقي ويوضع مذبح صغير وفوق المذبح توضع كمية من التمر وتنثر كمية من الطحين ، ثم تشعل مبخرة فيها عصير من شجرة السرو وتسكب الجعة وبعد ذلك تلقن الدمية بالتعابير الآتية :شمش انت دليل الميت في العالم السفلي والعلوي فأمنحنيحلا لحالتي منه مرعب، قبيح المنظر، جاسوس بغيض ومخيف ليلا انحني واتضرع واطلب جعله مكاني شمش ليبعد عني** "وتكرر هذه الصيغة ثلاث مرات ثم تكفن الدمية وتدفن (١٢) كذلك هناك اعمال اخرى يقوم بها الكاهن مثل طقوس غسل الفم لتماثيل الإلهه ، وكذلك يقوم بتقديم القرابين لهم ، والمساهمة في الطقوس الخاصة بتطهير المعبد (١٣) ومن الواضح إن الماء كان يلعب دورا خطيرا في معتقدات سكان العراق الاقدمين من ناحية الطبابة الدينية ، ولا سيما في مراسيم

التعاويذ والعزائم وقراءة الأدعية وعمليات الرقى ،والذي كان يطلق عليه ماء الحياة (مي بلاطي)الذي يحيى الموتى ويطهر المرضى من الخبائث وينجيهم من الأمراض (١٤) فضلا عن ما تقدم ، فقد إزدادت التنبؤات وقراءة الغيب في المجتمع العراقي القديم وكان ذلك يتم عادة بواسطة طبقة اخرى من رجال الدين يطلق عليهم (البارو) (**paru**) وكان إدراك الغيب يتم عن طريق دراسة كبد الحيوان الذي يقدم كضحية للإله الذي يلاحظ خطوطه وتشققه التي تساعد العراف على التنبؤ بالغيب ، أما معرفة الغيب عن طريق الأواني فكانت تتم بواسطة وضع الماء مع الزيت في أناء ومشاهدة حلقات الزيت وتحركاتها فوق الماء ، وعن طريقها يستطيع العراف أن يقدم نصائحه عما سيحدث للمريض أوعما سوف يحدث لمشروع معين من فشل أو نجاح (١٥)**الطب العلمي** تؤكد جميع النصوص المسمارية المكتشفة عن وجود اطباء في بلاد الرافدين قديما ، منذ فجر السلالات (٢٨٠٠ق.م) خلافا لما إدعاه هيرودوتس (١٦) عندما قال بأنه لم يكن هناك إطباء في بلاد بابل عندما زارها في القرن الخامس قبل الميلاد ،إذ كتب عن البابليين" **أنهم كانوا يخرجون جميع مرضاهم الى الشارع حيث لم يكن لديهم أطباء نظاميين، وكان الناس الذين يمرون يقدمون النصيحة الى الرجل المريض ،أما ما وجدوه شخصيا بأنه يشفي مثل هذه الشكوى أو مما عرفوه من الغير بأنه قد شفاهم ولم يكن يسمح لأحد أن يمر من جانب المريض دون أن يسأله عما يؤلمه** " (١٧) وهذا اعتقاد خاطىء، طبقا لما اكتشف من نصوص كثيرة جدا تلقي الضوء على علوم الطب وتطورها في مختلف المراحل التاريخية لبلاد الرافدين. ففي حدود (٢٧٠٠ق.م) عرف طبيبا أسمه لولو كان يمارس الطب في مدينة أور، وأن معظم النصوص الطبية التي وجدت في بلاد الرافدين ترجع الى الالف الاول ق.م والغالب فيها أن تكون مليئة بالتعاويذ ورقى السحر اكثر من العلاجات الحقيقية ، أما اللوح الذي ذكر فيه اسم هذا الطبيب فهو يرقى الى الربع الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد ، ولا يتضمن الوصفات الطبية الواردة أيأثر من السحر(١٨) والممارسات

الدينية التي كان الأشيبو والبارو يقومان بها، وكانت هذه الوصفات تعتمد على ملاحظة للمريض ،ومراقبة اعراض المرض عليه وتشخيص ووصف الدواء له ،وكان يقوم بمثل هذه الممارسات الموضوعية أو العملية شخص اطلق عليه مصطلح(آسو)(١٩) اي الطب والطبابة ، ويرجع هذا المصطلح إنه مشتق من الكلمة السومرية المركبة (**a-su**) والتي ظهرت في الأستعمال منذ العصر الأكدي في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وقد فسر معناها إنها تعني العارف بالماء أو العارف بالزيت ،أشارة الى أن الماء والزيت لهما دور مهم في الممارسات الطبية (٢٠) فالطبيب بذلك يكون الرجل الذي يسترشد بالماء، وقد التجىء الطبيب الرافديني في العلاج الى المصادر النباتية والحيوانية والكيمياوية في تهيئة عقاقيره الطبية بعدما ابتعد عن ممارسات السحر(٢١) ويعد الالف الثاني قبل الميلاد نقطة تحول في تاريخ الطب العراقي القديم ، إذ بدأ التخصص الطبي ،فظهر الأطباء الجراحون ومجبرو العظام والبياطرة وأطباء العيون ،حتى إن الأطباء بوجه عام كانوا على مراتب مختلفة مثل كبير الأطباء الذي أطلق عليه المصطلح البابلي(راب آسي) – (**Rab Asi**)وهو مأخوذ من المصطلح السومري (آزوكلو)(**azu gallu**)حتى إن الأطباء بدءوا يتزينون بأزياء خاصة ويحملون حقائب يضعون فيها آلأتهم وأدواتهم الجراحية وأدويتهم وقد صور بعض هذه الأدوات في الأختام الأسطوانية الخاصة (٢٢) حتى ان الطبيب (أور لوكال أدينا) المحفوظ ختمه في اللوفر كان احد الأطباء المشهورين في لكش في عصر أور ننجرسو وكان يتمتع بتقدير كبير بين زملائه وفي القصر الملكي (٢٣) وقد تخطت شهرة الاطباء العراقيين القدماء الحدود، بحيث أن الملوك كانوا يرسلون مرارا الى السلالات الصديقة أو المتحالفة معهم طبيبهم الخاص، يرافقه أحيانا تمثال إلهة العافية (٢٤) حتى إن في الألف الثاني قبل الميلاد كان الملوك الحثيون يطالبون ملك بابل أن يرسل لهم أطباء اذا مرضوا أو مرض أحد أقاربهم مرضا خطيرا(٢٥) حتى إن الطبيب البابلي كان يستخدم طريقة المشاهدة والتجربة الشخصية ،كما بعلم ابقراط تماما ، وبذلك تخلى عن الأفكار

الفلسفية القائلة بنسب بعض الأمراض الى الألهه كالصرع بينما هي تعود الى علل طبيعية (٢٦) حتى إن الأطباء البابليون كانوا يكرسون لهذا الغرض دروسا خاصة يعلقون عليها أمر تصنيف وفهرسة جميع الملاحظات المتعلقة بأسباب ونتائج الأعراض المفردة أو الأمراض المشخصة ، ويبدو جليا بأن الطبيب البابلي كان يستطيع في عدة احوال أن يقوم بالتمييز فيجيب مثلا "**لقد كتب لي الملك: إن ذراعي وساقي بلا حيل ،ولست أقوى على فتح عيني ،أني ملطخ بالمعجون وقد سحقتني الحمى ، بل انها تحرقني حتى العظم" اجيب ليست الخطيئة في أصل هذا كله** " (٢٧)و خص العراقيون القدماء الإله ننكيزيدا الذي يرمز له بالأفعى الملتفة حول العصا، حتى انه اصبح شعارا يستخدم الى الأن لجمعيات الطب والدواء في العالم (٢٨) ومنشأ هذا الشعار هو اعتقاد العراقيون القدماء أن الأفعى هي رمز الحياة الدائمة لأنها لا تموت وأنما تخلع جلدها كل عام فيعود اليها الشباب (٢٩) أما في ملحمة كلكامش (٣٠) فأن الأفعى كانت رمز الشفاء عند العراقيين القدماء ومما لا شك فيه أن هذه الأسطورة أصل أتخاذ صورة الأفعى رمزا للحياة والشفاء والتطيب عند اليونان في العصر الحديث (٣١)**الأمراض وأسبابها:** عرف الأطباء العراقيون القدماء معظم الأمراض الشائعة في العراق الأن وغيرها ، إذ إن هناك أسماء امراض لم يستطيع الباحثون أن يعينوها ، ومنشأ ذلك غموض الرموز المسمارية التي كتبت بها ومما يؤسف عليه في موضوع تشخيص الأمراض القديمة في العراق أن المنقبين الأوائل عن حضارة بلاد الرافدين لم يهتموا في فحص العظام التي كانوا يعثرون عليها في اثناء التنقيبات فلم يدرسوها دراسة تشريحية طبية ،بل اقتصر اهتمامهم على القياسات الأنثروبولوجية وبالمقابل مع ذلك كانت المومياء في حضارة وادي النيل على قدر كبير من الأهمية في تشخيص الامراض القديمة (٣٢) فعرفوا أمراض العيون والمعدة والفم والأذن والأسنان والأمراض الصدرية (٣٣) كذلك ذكروا بعض الأمراض التي منشؤها العوامل النفسية كفقدان الهمة والجزع كذلك ذكروا بعض الأمراض التي استعصت عليهم مثل مرض السرطان وامراض

الرئه مثل مرض السل ، كذلك عرفوا بالأمراض الجلدية وشخصوها كالجرب والجذام ، وعرفوا بعض الأمراض التناسلية مما يصيب عضوي الذكر والأنثى (٣٤) والأمراض الخاصة بالشرج ولا سيما البواسير، كذلك ذكروا الامراض التي تحدث نتيجة اللدغات السامة من الزواحف اي أمراض السم(٣٥) حتى إن الأطباء العراقيون القدماء قاموا بأجراء بعض العمليات الجراحية الخاصة مثل إزالة الماء الأزرق، وقد اكتشف نص مهم يدل على إن الأطباء الجراحين مارسوا ما يسمى الأنب العمليات القيصرية ، ولكنها أجريت في حالات تخليص الجنين من بطن الأم المتوفاة ، وهناك اشارات تدل أيضا على ممارستهم القبالة (٣٦) وعرفوا ايضا أمراض الرأس وخصوصا الصداع والذي يعرف ايضا بداء الشقيقة الذي يسبب الما حادا في الرأس (٣٧) وشخصوا ايضا أمراض حالات الضعف الجنسي والذي يطلق عليه مرض اللعنة ، وقد جمعت في معالجته الطرق السحرية التعويذية وطرق العلاج الطبي بالأدوية (٣٨) ومع إن الأطباء مارسوا في تشخيصهم للامراض طريقة جس النبض الأ انه لا يعلم على وجه التأكيد هل عرفوا بعض الحقائق عن الدورة الدموية الواردة في المصادر المسمارية ومن ذلك كلمة (شريانو) المرادفة للعربية شريان (٣٩)أما التشريح فأنهم لم يمارسوه بوجه عام على الجسم الانساني، ولكنهم عرفوا بعض الأشياء عن حقائق التشريح من خلال فحص أحشاء الحيوانات التي تضحى لأغراض الفأل والعرافة (٤٠) أما أسباب الأمراض حسب معتقدات العراقيين القدماء فتبينها الفلسفة الدينية للطب العراقي القديم التي تقوم على مسألة في غاية الأهمية والتي أصبحت أساسا في بلاد الرافدين والطب القديم بأكمله، هي إن سبب نشوء الأمراض أنما هو غضب إلألهي يحل بالأنسان بسبب الأخلال بأحدى القواعد الإلهيه بداية بالخطيئة وهي اختراق وأنتهاك للقانون ألإلهي المقدس والأهم من ذلك إرادة الخاطىء وقصده بأرتكاب الخطيئة (٤١) فأعتقد العراقيون القدماء إن الإلهه تسلط عليهم العفاريت والشياطين والأرواح الخبيثة بصورة أمراض إنتقاما منهم لأجل إرتكابهم الفواحش والآثام ، وعدم إداء واجبات

الإلهه وعدم طاعتها (٤٢) فكل هذا يدفع الإلهه الى التخلي عن ذلك الشخص الذي وقع في عالم الرذيلة ، وعلى ذلك ففي الأمكان القول بأن الوازع الديني في تلك المرحلة اقتصر على احترام الشرائع الإلهيه والعمل بمقتضاها ، بمعنى إن أقصى ما يطلب من الفرد هو الطاعة والأحترام للقانون الإلهى ،وإن من يخرج عليه يعد مذنبا يحل عليه العقاب فكان لا بد للانسان من الخضوع لمثل هذا القانون لا أيمانا به بل خوفا منه ، ولقد كان ذلك الأعتقاد من الأسباب التي أدت الى اللجوء الى السحر (٤٣) ويعد السحر هو الآخر من الأنتهاكات التي يقوم بها الفرد ضد القوانين الإلهيه (٤٤) وكان للسحر شأنا كبيرا في حضارة بلاد الرافدين ، وقد به طبقة خاصة واستخدموه في معالجة العلل والأمراض التي كانوا يتصورون إن الشياطين والأرواح الخبيثة هي التي تسببها، ويؤخذ في المصادر المسمارية وفي مقدمتها شريعة حمورابي(٤٥) وقد مارس العراقيون القدماء السحر بنوعيه (٤٦) المفيد والمضر وكان المفيد هو السحر الأبيض الذي كان يسمح به لبعض رجال الدين بممارسته وخصوصا كهنة الأشيبو أو المعزمون طاردوا الأرواح ، أما النوع الثاني فقد حرمته الأعراف والقوانين العراقية القديمة ، ووقف الدينضده حيث كان يمارسه رجال الدين سرا ويسمى بالأكدية (الكشفو) أو (الكشو) حتى إن الملك السومري كوديا قد حرمه ، ثم حرمته الشرائع اللاحقة كشريعة حمورابي (٤٧) وجعلت عقوبته الموت للساحر الذي تثبت عليه التهمة (٤٨) ويستند السحر على مبدأيين اساسيين فالمبدأ الأول هو مبدأ التشابه الذي هو الأعتقاد بأمكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه أو بالأمكان صنع أشياء مشابهه للشيء الأصلي ، فعلى سبيل المثال صنع دمية لعدو أو حيوان يراد إيقاع الأذى بهو أحداث الأذى على هذه الدمية يؤدي الى احداث الأذى بذلك الحيوان أو العدو (٤٩) أما المبدأ الثاني فأن الأشياء التي كانت في وقت ما مصاحبة ويؤثر بعضها في بعض تستمر كذلك بعد أن ينفصل بعضها عن بعض ، ويصح أن نطلق على هذه القاعدة قانون المصاحبة أو العدوى(٥٠)ومثال ذلك إن بمقدور الساحر إذا أمتلك خصلة شعر

رجل أو قلامة أظافره أو سنه المقلوع أو حتى خرقة ملابسه ،فأنه يستطيع أنزال الأذى بها لكي يسبب الأذى للشخص نفسه وهو بعيد عنها(٥١) وهناك ستة انواع من الشياطين الخبيثة الذي يعتمد الساحر عليهم في انجاز عمله الضاروهم الكالا وهؤلاء جيوش العالم السفلي ، وقد وصفتهم إسطورة نزول أنانا الى العالم السفلي بأنهملا يأكلون ولا يشربون وهم الذين يسلبون المرأه من حضن الرجل والطفل من حضن أمه ، ثم شياطين الأوتوكو وهم الأشرار المعزمون ، أما الناموتو فهم شياطين الأمراض وأصواتهم أشد منعضتهم وهم يدخلون البيوت والأسطبلات بقصد الأذى والقتل وغيرهم من الشياطين والأشباح الذين لا ملامح لهم ونعني بهم أرواح الموتى المقتولين غدرا ،أو غير المدفونين أو غير المقامة لهم طقوس جنائزية ، كذلك السبعة الأشرار الذين يقتلون الأطفال الرضع ، ثم العين الحاسدة وهي شيطانية العين التي تسبب الأذى والشر والتي خصص تل براك لعبادتها (٥٢) في حين يفهم من بعض النصوص ان بعض الناس عرفوا تأثير البيئة على الانسان ،وأحتمال أصابته بالمرض نتيجة التعرض الى المياه والاطعمة الوسخة ، كما عرفوا أيضا العدوى واحتمال انتقال المرض من شخص الى آخر (٥٣) لذلك سعى الأنسان العراقي القديم الى ايجاد حل لهذه المشكلة ، فعمد الى تنقية مياه الشرب ، وذلك عن طريق صنع أوعية من الطين تعمل على تنقية وترشيح المياه بواسطة مسامات ناعمة في هذه الأوعية (٥٤) كما كشف عن حمامات خاصة في القصور ومن المحتمل إنها لم تكن موجودة في البيوت الأعتيادية إذ يفترض إن شاغليها كانوا يستحمون في الانهر ،كما كشف عن مراحيض منذ الألف الثالث قبل الميلاد ،وقد وجد في بناية كبيرة تعود الى (٢٣٠٠ق.م) ويعتقد إنها قصر في أشنونا (تل أسمر) على نهر ديالى ستة مراحيض لها مقاعد مرتفعة من الآجر المفخور وخمسة حمامات ، وكان كل مرحاض مزود بأناء كبير للماء كانت تستخدم لتنظيفها ،وكانت مثل هذه الخزانات تصب محتوياتها في الأنهار(٥٥) لذلك كان من السهولة على الناس البسطاء الأصابة بالأمراض من خلال الأستحمام والشرب من هذه الانهار.**النصوص**

الطبية: خلف العراقيون القدماء العشرات من الرقم الطينية التي تناولت الطب ، ومما يلاحظ في النصوص الطبية في بلاد الرافدين بصفة عامة أنها دونت باللغة السومرية لكي لا يفهمها المرضى فتزداد شهرتهم ، كما أن تلك النصوص كانت تكتب بأختصار بل إن الكثير منها كان مجرد خلاصة مما يشير الى أن التعليم الطبي كان بالدرجة الأولى شفويا من الأستاذ الى التلميذ أو من الأب الى الأبنويستثنى من ذلك لوح مدون بنص طبي مطول محفوظ في تركيا (٥٦)وفيما يلي نورد أنواع هذه النصوص:١.**نصوص التشخيص والأنذار** : وتقتصر هذه النصوص على مجرد فحص المريض وبيان رأي الطبيب الفاحص ، إذا كان المريض سيشفى أو لا يشفى ، وأن هذه النصوص تختلط بالأساليب السحرية التي يقوم بها الساحر أو العراف أو المعوذ (٥٧) ويستدل على ذلك من خلال ورود التذليل القائل "**بأن المريض لم يشف من قبل الطبيب أو المعزم** "**أو أما الساحر يعمل ما يشاء**"وهذا يبين بأن للمعزم دورا كدور الطبيب النفساني في شفاء المرض(٥٨) ويعد التخمين والتشخيص الطبي هو بحد ذاته مؤلف من معلومات وبراهين ليس فقط بالغريب لأن ظواهر المرض كما اسلفناتهم ليس فقط الأطباء ، وأنما رجال الدين والسحرة ايضا الأ إن علم التخمين هو قسم من علم معرفة المستقبل (٥٩) ومن أبرز النصوص في هذا المجال سلسلة عثر عليها في مكتبة آشور بانيبال ،كما عثر على كسر منها في بوغاز كوي الحثية وغيره من المدن وتتضمن أربعين فصلا(٦٠) مقسمة على خمسة أقسام يحمل كل منها أسما خاصا ، والكل مرتب ترتيبا منطقيا متسلسلا(٦١) وكان الفصل الأول والثاني هو عبارة عن نصوص فأل خاصة بالمعزم القادم لزيارة المريض وهما ليس من المجموعة الطبية ، على الرغم من انه اعتبر من قبل الكتبه القدماء بأنه جزء منها (٦٢) ونورد منها "**إذا رأى المعزم كلبا أسود أو خنزير أسود ، فيموت المريض**" **وأما**"**إذا رأى المعزم خنزيرا أبيض فسيعيش المريض**"**أما إذا** "**رأى المعزم أفعى تسقط على الفراش للمريض ، فأن المريض سيشفى**" **أو**" **أما إذا سقط عقرب على مريض فأنه سيموت في اليوم العاشر** "

(٦٣) أما الجزء الثاني فقد خصص لدراسة الأعراض التي تظهر على أعضاء الجسم وهذه تندرج في اثني عشرة وثيقة ، وقد قسمت حسب ظهور الأعراض على أعضاء الجسم ومن خلالها يمكن تحديد نوع المرض (٦٤) وفيما يلي نورد بعض الأمثلة" **إذا صرخ رجل مريض بغيربغير أنقطاع، جمجمتي جمجمتي فأنها يد الآله** " **وإذا ما" أشتد الالم في الجهة اليمنى فأنها يد الآله أدد" وإذا ما(واذا ما غطت جسمه البثور الحمراء من رأسه حتى قدميه وكان جسمه ابيض فلقد اصيب عن جماعه بأمرأه يد الإله سين وإذا كان حاجباه ابيضين فمرضه سيطول وسيشفى**"(٦٥) والجزء الثالث يضم أصلا عشرة وثائق أو رقم حتى انه كان تالف جدا ولم يبقى منه الأ القليل ومن بين الأشياء الأخرى فأن الكسر المتبقية تشير الى العلاج في حالات معينة ، كما تعطي أوصافا لأغراض مختلفة (٦٦) وقد صنفت فيها الأمراض حسب تطورها من اليوم الأول وحتى اليوم الخامس عشر أحيانا وعلى النحو التالي "**إذا استمر المرض أربعة أيام وبقي المريض يضع يده على بطنه من شدة الألم وكان وجهه مصفرا فأنه سيموت**" "**اذا بعد اربعة أو خمسة ايام ظل يعرق فسيخف المرض ..إذا كان مريضا لخمسة أيام وكان جلده مصفرا وعيناه محمرتين فأنه سيموت...وإذا كان مريضا لخمسة أو عشرة أيام ....**" (٦٧) ويبحث الجزء الرابع الذي يضم عشرة وثائق ايضا في الخدر وعدم القدرة على الجماع والهذيان والحالات النفسية كأختلال العقل والصرع (٦٨) "**إذا كان عنق المريض ملتويا على الدوام نحو اليسار وإذا كانت اطرافه العليا والسفلى ممتده ،وإذا كانت عيونه شاخصة نحو السماء وواسعة الأنفتاح ، وإذا سال اللعاب منه من فمه ،وإذا كان يشخر وفقد وعيه ،واذا كان في النهاية فهي نوبة مرض شديد،يد الأثم " وإذا أخذه شيء من النوم وكانت أطرافه غير ثابتة وأذناه تطن وفمه ممسوك ولا يتمكن من الكلام فأنها يد عفريت الألو الحاقد ،وإذا حده الأضطراب ووقع بعد الأغتسال بالماء وعندما يأتي من النهر فقد ضربه عفريت النهر الجاثم**"(٦٩) أما الجزء الخامس والأخير فكتب على ستة الواح ويتعلق بالتشخيصات الخاصة بالحمل والولادة وما

يخص الوليد الجديد (٧٠) ونورد منه "**إذا كان رحم المرأة الحامل على معدتها فستحمل طفلا أطرش...وإذا وقع رحم المرأة الحامل على الجانب الأيمن من معدتها فقد حملت بأبن رجل ..وإذا ظلت المرأة الحامل تتقيأ فلن تكمل حملها** "(٧١)**أما " اذا كانت المرأة وجهها احمر فأن الجنين الذي تحمله بنت ... وإذا كانت حلمتا ثدي أمرأة حامل مصغرة فأنها ستسقط ما في رحمها** " (٧٢) وبما إن تشخيص الأمراض يستند الى أمور السحر والعرافة فأن علاج الكثير منها لم يخرج من هذا الأطار ،فقد اعتمد رجال الدين على قراءة الرقى والتعاويذ التي تمارس بمعونة الإلهه والكلام المرتب والجميل ، وقد صاحب ذلك طقوس سرية كأستعمال الوان رمزية معينة ، وطرد الشر بالقوة بواسطة عقد من الحبال أو الخيوط ذات الألوان ،كذلك استخدام الدوائر والأرقام وإظهار القوى الجاذبية أو الدافعة لعناصر معينة، كالتطهير بالماء وإضرام النار والأيهام بمواضع الجلوس وغيرها، وهذه الطقوس والصلوات السحرية يصطلح أن يطلق عليها بالطب السحري ،لأنها مختلطة مع معالجات مرضية بصورة أكثر علمية(٧٣) ويتضح من نصوص التشخيص والأنذار هذه إنه يمكن إعتبار بعض الأجزاء معقولة في حين يعد البعض الآخر خرافيا ، وأتجاه هذه النصوص العام هو تشابك بين الخرافات الفجة والملاحظات العملية الذكية (٧٤)٢: **النصوص الطبية التي تجمع بين التشخيص والوصفات الطبية** تعد هذه النصوص على قدر كبير من الأهمية في تاريخ تطور الطب وتقدمه ، وتتعلق بوصف الأعراض المرضية ووصف الأدوية لشفائها ، فكانت بمثابة مراجع أو أدلة للاطباء الممارسين (٧٥) وقد وجد منها مئات من الألواح الطينية ومعظمها نسخ من العصور المتأخرة مثل العصر الأشوري الحديث (القرن السابع ق.م)،ولكنها ترجع في أصولها الى أزمان أقدم (٧٦) لقد حاول بعض الكتبة تدوين الوصفات الطبية التي أستخدمها الأطباء والى جانبها تشخيص المرض الذي تعطي الوصفة له ، واحيانا ذكر تشخيص المرض أولا ومن ثم ذكرت الوصفة الطبية اللازمة لعلاجه، وبعض من هذه النصوص تضمنت ثلاثة حقول ، فكان الحقل الاول منها

لأسماء الأعشاب المجربة ،أي الوصفات أما الحقل الثاني فقد ذكرت فيه أسماء الأمراض التي يعطي الدواء لها فيحين كتب في الحقل الثالث الطريقة الموجزة لتحضير وأعطاء الوصفة للمريض (٧٧) وقد اعتمد ذلك الطبيب السومري في تهيئة عقاقيره الطبية على المصادر النباتية والحيوانية والكيمياوية (٧٨)وفيما يلي طريقة الأستعمال هذه الحقول .المر .... دواء اليرقان .... يطحن ويشرب في الجعة ، وإذا أقتضى الحال قد يذكر في العمود الأول جزء العشب الذي يستعمل: حبوب أو أصماغ أو براعم وزهور ،ولم تحدد بالضبط جميع الأمراض المذكورة في العمود الثاني ، فقد ورد فيها بعد السطور الأولى المكرسة للاسنان المسوسة أو المزعزعة ، قسم قصير يصف حبوب السماق في شراب أو حبوب الخروع في حقن مهبلية كي تحمل المرأة (٧٩) كذلك الصبر دواء لمعالجة المرارة يفتت ويدق ويسخن ويوضع فوق اللسان ويشرب قبل الفطور مع الزيت المصفى ، كذلك هناك علاج للتخلص من حرقة المعدة ، أسحق مجموعة الأدوية هذه القصب والبيان والحلتيت والتمر وزيت التربنتين وبعد أن تصفى تنقع بالجعة وتسخن ، ثم تصفى بعد تبريدها ... وتضيف عليها قشور الشعير وتصب عليها ماء الورد وتضع ذلك في شرجه فيشفى (٨٠) وهناك فقرتين مخصصتين لعلاج القروح والجروح المتغنغرة والألتهاب الداخلي ولين العضلات ، ينتهي النص بوصفتين من شكل آخر ،فهي بخلاف الوصفات السابقة تحذر استعمال بعض الأعشاب ، للذين يشعرون بوجع في أعينهم يجب ان يمتنعوا عن أكل الكراث والكزبرا ، والذين يتألمون من آذانهم يجب ألا يأكلوا الفول (٨١).٣. **ما يخص الطب في شريعة حمورابي** تعد شريعة حمورابي من اعظم الوثائق التي أمدتنا بمعلومات طبية خاصة عن قوانين الجراحة عند العراقيين القدماء ، فمن بين مئات الرقم الطينية التي تعنى بالعلوم الطبية لا توجد سوى كسرتين تخص الجراحة (٨٢) وليس من غير الشائع الأشارة الى أمراض العين ولعلها أظلام العين (**cataracts**) في الجمل التي تتحدث عن عين الرجل المغطاة بالظل ، فبالحربة .....فهل كان بقية النص تشير الى عملية جراحية ،ولا يمكن بيان

ذلك في الوقت الحاضر ، ونص آخر يذكر أستخدام آله قاطعة ويقول " **إذا كان المرض قد وصل الى داخل العظم فعليك أن تكشطه وتزيله** "وقد اعتبر إن ذلك يشير الى جرح عميق ولكن يمكن تفسيره بطريقة أخرى،وهناك فقرات أخرى تذكر استخدام الأطباء للآلآت القاطعة ولكن لعل ذلك يشير فقط الى فتح التقرحات ،وهي أساليب قد لا يمكن رفعها الى درجة الجراحة. (٨٣) وتبين شريعة حمورابي مدى المكانة المرموقة التي يحتلها الطبيب في المجتمع العراقي القديم وفي الوقت نفسه تظهر لنا مدى صرامة العقوبات سواء كانت تلك عقوبات مادية أو جسدية التي يمكن أن ينالها الطبيب المهمل (٨٤) ويمكن تقسيم القوانين الخاصة بالطب من المادة (٢١٥-حتى المادة ٢٢٣)وهي خاصة بالعمليات الجراحية ونسبة الأجور التي يتقاضاها الطبيب والقصاص الذي يتلقاه في حالة أخفاقه ، فالمادة ٢١٥ من قانون حمورابي تنص على" **إذا أجرى طبيب عملية من الدرجة الأولى على سيد بمشرط من البرونز وأنقذ حياته أو فتح قناة الدمع في عين رجل وأنقذ عينه يأخذ عشرة شيقلات من الفضة** "**أما المادة ٢١٦**"**فتنص إذا كان المريض من العامة فيأخذ خمسة شيقلات من الفضة** " (٨٥) والمادة ٢١٧ تنص " **إذا كان عبد رجل ، فعلى صاحب العبد أن يعطي الطبيب شيقلان من الفضة** " **أما المادة ٢١٨**" **تنص إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين من البرونز لرجل وسبب ذلك له موت الرجل وفتح خراجا بسكين برونزية لرجل وخرب عينه فعقوبته بتر يده** "(٨٦) والمادة٢١٩ تنص "**أما إذا تسبب بوفاة رقيق نتيجة قيامه بأجراء عملية له فعليه أن يعوض صاحب الرقيق رقيقا** " **والمادة ٢٢٠تنص** " **فأن أتلف عينه فعليه أن يدفع نصف ثمنه** "ولا بد إن المقصود من هاتين المادتين هو أهمال الطبيب وتسببه فيوفاة المريض أو أتلاف عينه وألا ما أستطاع طبيب أن يقدم على أجراء عملية لأي فرد من الأفراد مهما كانت الأجور التي سيتقاضاها ،سيما وأن الأجور المحددة في القانون لم تكن مرتفعة إذا ما قيست بمستوى المعيشة أنذاك (٨٧) أما المادة **٢٢١** وتحدد هذه المادة أجرة الطبيب الذي جبر عظما مكسورا أو أشفى ورما مؤلما

فأن كان المريض (أويلم) كان عليه أن يدفع للطبيب خمس شيقلات من الفضة وأن كان من (المشكنيم) (٨٨) كان عليه أن يدفع ثلاث شيقلات من الفضة ،وأن كان من الرقيق فعلى صاحب الرقيق أن يدفع شيقلين من الفضة فقط (٨٩) أما المادة ٢٢٢ فتنص "**إذا كان هذا أبن المشكيم فعليه أن يعطي الطبيب ثلاثة شيقلات فضة** "**والمادة ٢٢٣تنص(إذا كان عبد رجل فعلى صاحبه أن يعطي الطبيب ثلاثة شيقلات فضة**" (٩٠) أما المادتين ٢٢٤-٢٢٥ من قوانين حمورابي فهي تتعلق بالطب البيطري وتنص الأولى على " **إذا أجرى جراح بيطري عملية كبيرة على ثور أو حمار ،وأنقذ حياته فيدفع مالك الثور أو الحمار الى الجراح البيطري ٦/١ شيقل من الفضة أجرة له** " أما المادة الثانية فدون فيها الآتي (**وإذا أجرى عملية كبيرة على ثور أو حمار وتسبب عن ذلك موت الثور أو الحمار فأنه يعوض مالكيه بمقدار ربع ثمنه** " (٩١) أما بالنسبة لباقي القوانين العراقية القديمة فهي ايضا نصت على فرض العقوبات ضد كل أنسان يخالف الشريعة ، كما في قانون لبت عشتار واشنونا وحتى القوانين الأشورية التي نصت البعض منها بمعاقبة المرأة الحامل التي تتسبب في التخلص من الجنين عن طريق الأجهاض المتعمد (٩١) **٤. الرسائل والنصوص** تعد مدينة نفر ومدينة آيسن وآشور ونينوى وبورسبا من المراكز الحضارية العراقية التي تميزت في مجال العلوم الطبية (٩٢) فقد تم الكشف على عدد كبير من الرسائل الملكية أو الرسائل المرسلة الى الملك من قبل الاطباء انفسهم تفصح عن حالات مرضية معينة ، كان الأطباء يعالجونها أو يبعثون التقارير عنها الى الملك (٩٣) ونظرا لمكانة الاطباء العراقيين في مجال تخصصهم، فقد أرسل العديد من الملوك الرسائل طلبا لهذه الخبرة للاستفادة منها في بلادهم بشكل عام ولمعالجة حاشيتهم الملكية بشكل خاص ، وقد أمدت النصوص المسمارية الحثية المنقبين بمعلومات عن وجود أطباء ومعزمين عراقيين في البلاط الحثي في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد (٩٤) إذن نستدل من ذلك إن الطبيب العراقي كانت له مكانة عالية خارج المجتمع العراقي وداخله ،حتى ان الأجور التي كان

يتقاضاها مقارنة مع اجور الحرف الأخرى عالية جدا وهذا ينم عن مركز الطبيب الأجتماعي والأقتصادي ومكانته المتميزة بين أفراد المجتمع ،لا سيما إذا كانوا من العاملين في القصر الملكي أو المعبد ، وقد أشارت بعض النصوص المسمارية الى رئيس الأطباء ، مما يشير الى إن الأطباء كانوا يؤلفون ما يشبه بالنقابة أو الصنف شأنهم في ذلك شأن اصحاب الحرف والمهن الأخرى كالصاغة والتجار وغيرهم(٩٥) ومن خلال بعض الرسائل من عهد الحكم الكشي يستشف وجود مراكز أو ما يمكن تسميتها بالمستشفيات لعلاج مغنين ومغنيات احد المعابد في نفر , وينقل البعض عن سترابون وجود كليات للطب في بورسبا والوركاء (٩٦) **مصادر الأدوية** اعتمد العراقيون القدماء في مصادرهم للحصول على الأدوية على الأعشاب والنباتات بالدرجة الأولى ،كذلك استخدموا بعض من المنتجات الحيوانية ثم استخدموا بعض المعادن والأملاح والأحجار ، وقد اتبعوا وسائل مختلفة لأعداد الأدوية وتحضيرها واستخدموا احيانا طرق كيميائية تنم عن معرفة تامة بخواص النباتات والمعادن ، فعرفوا كيفية استخدام المواد وسحنها وتسخينها وتركيبها وتقطيرها وترشيحها ، وكان الأطباء انفسهم هم الذين يعدون ويحضرون الأدوية اللازمة لعلاج مرضاهم ولا سيما بالنسبة الى المرضى من الطبقة المتنفذة(٩٧) ويمكن تقسيم المصادر الى :**المصدر النباتي:** وتأتي الادوية المستخرجة من الأعشاب والنباتات بوجه عام في مقدمة المفردات الطبية بحيث ان الكلمة التي تطلق على الاعشاب في البابلية هي (شمو) (**shammu**) والتياطلقت على الدواء بوجه عام ، ومما تجدر ملاحظته عن هذه الادوية العشبية ان استعمالاتها في طب العراق القديم تضاهي الى حد كبير استعمالاتها عند الأمم القديمة اللاحقة ولاسيما الطب اليوناني الذي كان له تراث كبير في الحضارات الأخرى ومنها الطب العربي (٩٨) وقد صرح الدكتور كونتنو في كتابه عن الطب في آشور وبابل أن تحديد (٢٥٠) نوعا من الحشائش المستعملة من قبل الأطباء البابلين ليس أمرا هينا ، وقد قام الباحث الأنكليزي كامبل تومبسون بدراسة (٦٥٠)لوحا طبيا وقارنها بمجموعة من نباتات بلاد

الرافدين ،ألا قسما منها مازال غير واضح المعالم(٩٩)أما عن المفردات الطبية التي كانت من المصادر النباتية فهي نباتات مثل (القاسيا) ونبات الحلتيت الذي يعرف عند العطارين في العراق بأسم (الجزيفة) وهو صمغ ذو رائحة كريهه ونبات الآس والزعتر ، ومن جملة الأشجار الصفصاف والكمثرة والشربين والتين والتمر ، وكانت هذه العقاقير تهيأ أما من البذور أو الجذور أو الفروع أو اللحاء أو الصمغ ، وكان يحتفظ بها أما على هيئة مادة صلدة أو على هيئة مسحوق (١٠٠) ومن النادر أن تقتصر الوصفة الطبية أزاء عرض ما على علاج واحد ،وفي اكثر الأحيان يستطيع الطبيب أن يختار بين عدة وصفات ،فهناك مثلا نص يسرد واحد وثلاثون طريقة لعلاج اليرقان ، وكقاعدة عامة كل وصفة من الوصفات منفصلة عن التي تليها بعلامة واضحة بحيث تكون الفقرات مستقلة تماما (١٠١) وهذه وصفة طبية استخدمها الاطباء العراقيون القدماء لعلاج تقرح الأذن فأذا ما تألم شخص ما في أذنيه فخذ من ماء الرمان و من ماء الجاوشير وبلل به قمعا في أذنيه وأفعل ذلك مدة ثلاثة أيام ، ثم ترفع الجراحة من داخل الأذنين وتنظفهما بعناية في اليوم الرابع ، أما إذا لم تسل الجراحة ألا قطرة قطرة فأسحق من حجر الشب وانفخ المسحوق بواسطة قصبة داخل الأذنين(١٠٢) وقد أثبت البحث الحديث أن طائفة مهمة من أسماء النباتات والمواد الأخرى قد دخلت الى اللغة اليونانية التي أقتبستها من اللغة السومرية والبابلية (١٠٣) كذلك استخدموا نبات الأفيون والبنج أو نبات القلب وبها كان يتم بعث الهدوء والأسترخاء لدى المريض (١٠٤) وبذلك أستطاع الأنسان العراقي القديم أن يميز بين الدواء بشكل عام والدواء الشافي .**المصدر الحيواني** : وتأتي في مقدمتها بعض الحيوانات اللبونة كالبقر والغنم والماعز والخنزير والكلب والحمار والأسد وغيرها ،ومن الطيور النعامة والصقر والنسر والغراب والبوم والحمام ومن الزواحف والحشرات والأفاعي والسرطان والنحل (١٠٥) كذلك استخدموا في صناعة الأدوية الأصداف وأكثرها شيوعا صدفة السلحفاة (١٠٦) وهذا مثال لوصفة من الأدوية الحيوانية اخلط شحما حيوانيا صلبا

مع بذور الحنظل مع طحين حبوب غير ناضجة لف الخليط ، ثم جزء الخليط على أربعة عشرة حبة وليبلع المريض هذه الحبات على أوقات ، وبذلك انهم جعلوا للادوية أوقاتا معينة من الليل أو النهار وحسب أرشادات الطبيب (١٠٧).**المصدر الكيميائي :** وهي الأدوية المستخرجة من المواد الكيميائية ، إذ أستخدم الأطباء العراقيون القدماء معارفهم العملية في الكيمياء في تحضير مجموعة من تلك الأدوية بطرق كيميائية مختلفة كالخلط والسحق والتركيب مع مواد أخرى ، والتقطير والترشيح وأستحضروا مراهم ودهونات وأشربة مختلفة (١٠٨) وقد ذكروا ما لا يقل عن مائة وعشرون نوع من انواع هذه المواد المعدنية المستعملة في الطب (١٠٩) وكان من بين المعدنيات المفضلة عند الأطباء العراقيون القدماء هيكلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ونترات البوتاسيوم (ملح البارود) (١١٠) وقد عثر المنقبون في مدن العراق القديمة على نماذج من الأجهزة والآلآت والأدوات التي استخدموها في مثل هذه العمليات (١١١) .أما الوصفات الطبية فأنها كانت تؤخذ على ضربين، أما أنها تستعمل بهيئة مراهم أو بهيئة مقطرات اي أما أستعمالا خارجيا أو داخليا بهيئة سوائل ، وكانت الطرق المألوفة والمعتاد عليها في تركيب المراهم هو أن يدق ويسحق عقار أو أكثر من عقار واحد ثم ينقع المسحوق في نوع من النبيذ المسمى (كوشما) ثم يضاف زيت الشجر الأعتيادي وشجر الأرز الى المخلوط (١١٢) وكانت الوصفات المهيأ بطريقة التقطير اكثر تعقيدا ،وقد ذكرت معها أرشادات في كيفية أستعمالها للتداوي ولكي يحصل على الدواء المطلوب كانت الأجزاء المخلوطة تغلى في الماء وتضاف اليها الأملاح والقلى ، ولعل ذلك كان لأستخلاص اكبر مقدار من الدواء (١١٣) ولا يخلو الأمر من الطرافة فقد يستعمل الطبيب للتخلص من الحاح مريض الوهم مواد في غاية الكراهية كالحلتيت أو كما يستعملا لأن بعض الحقن التي يكون الآمها شديدة فلا يلبث المريض أن يشعر بتحسن(١١٤) كذلك استخدم العراقيون القدماء الحقن الشرجي وعمل التحاميل ، واستخدموا الأدوية التي تستعمل للامراض الجلدية والحريق وكان من هذه الأدوية الدهون والمراهم (١١٥) كما جاء في احدى

الرسائل الى الملك الآشوري " ... **ولستحم الملك فورا فأن الحمى ستغادر سيدي الملك . وليدلك سيدي الملك جسمه بالزيت مرتين أو ثلاث مرات كما يعلم الملك ذلك وإذا إرت أى الملك ذلك فليجر غدا التدليك فأن هذا المرض مرض القيح فليأمر الملك أن يجلو له عرق السوس ، ويجب أن يكون التدليك قويا ونشيطا كما ذكرت لتوي مرتين وينبئني المجيء لكي اعطي التعليمات ،فأذا لم يتعرق الملك فأني سأرسل مجموعة من العقاقير وليضع منها على رقبته وليدهن نفسه في اليوم المحدد بقماش سأرسله اليه** " (١١٦) وقد ورد ذكر بعض الأدوات والآلآت التي استعملوها في طبهم في المصادر المسمارية ،ولكن لا يعرف الكثير منها وكيفية استعمالها ومن بين ذلك أنبوب من النحاس أو البرونز يسمونه(المفتاح) لوضع الدواء في العين وفي الأعضاء التناسلية ، وآلة أخرى يسمونها(الزرافة)يدخلون الدواء بها الى الأذن وآلة اخرى مثل مباضع التشريح والأحقاق والأبر واستخدموا بعض الأحجار الزجاجية لصنع العدسات التي استعملوها للتكبير ويرجح إنهم استعملوها كنظارات إذ وجد في مدينة كالح (نمرود) عدسة من البلور نوع المستوى المحدب (١١٧) الأ إن الطبيب العراقي القديم اغفل لوصفات الأدوية في تعيين المقادير المراد استعمالها في تركيب المواد البسيطة وتهيئتها مما يدخل في ادوية تلك الوصفات ، إذ يرجح انه اخفى هذا هو قصدا وذلك للحفاظ على

أسراره الطبية من أن يتطفل عليها أحد من غير أهل المهن الطبية ولعله أخفاها حتى عن زملائه الأطباء ، والمحتمل كثيرا ايضا إن تفاصيل الكمية لم تبدو ذات أهمية كبيرة لدى المدون العراقي القديم ، إذ كان بالمستطاع معرفة مقاديرها إثناء التجربة عند تهيئة الأدوية واستعمالها (١١٨).

الأستنتاجات

١ . تعد حضارة بلاد الرافدين من اولى الحضارات التي اهتمت بالطب ، وهذا ما دلت عليه الآثار التي تعود الى عصور سحيقة في القدم .

٢ . أرتبط الطب في بلاد الرافدين أرتباطا وثيقا بالسحر ، وظلت الأعمال السحرية متمثلة بالرقي والتعاويذ ملازمة له حتى في العهود التي شهدت تطور نضجه .

٣ . أعتقد العراقيون القدماء إن سبب المرض هو الخروج عن طاعة الآلهه ،ولهذا وجب عليهم احترام هذه الآلهه والتقرب اليها عن طريق تقديم القرابين والنذور للتخلص من الأمراض والوقاية منها .

٤. لم يلعب التشريح دورا كبيرا لدى العراقيين القدماء مثلما كان له دورا كبيرا في حضارة وادي النيل ، وانما اقتصر دورهم في التشريح من خلال فحص احشاء الحيوانات لأغراض الفأل والعرافة.

٥ . لعب القانون العراقي القديم دورا رياديا في ايضاح كثير من المواد التي خصصت لأجل الطب ،كأجور الأطباء ، وتزكيتهم أثناء نجاحهم في انجاز العمليات بأتقان ، كذلك في حالة فشل الطبيب ايضا كان يفرض عليه عقوبات قاسية.

الهوامش

١. فاروق ناصر الراوي ، حضارة العراق(العلوم الطبية) ، (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)،ج٢، ص ٣٢٦

٢. عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري) ،(الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر ،١٩٩٣)،ج٢،ص٣١٤

٣. آشور بانيبال: في عام ٦٧٢ق.م اعلن الملك اسرحدون في اجتماعاته التي عقدت مع حكام المقاطعات وكبار رجال الدولة في العاصمة نينوى عاصمة الدولة الآشورية بأن الآلهه قد وافقت على اختيار اشور بانيبال وليا للعهد في بلاد آشور، وكان يتمتع بقدرات أدارية وكفاءة عسكرية مكنته من ادارة هذه الأمبراطورية عبر سنواته التي مارسها في الحكم، كذلك من اعماله المهمة هو قيادة الحملة التي اعدها ابوه الى مصر ،للمزيد انظر:احمد مالك الفتيان،دراسات في التاريخ القديم ،(بغداد: منشورات عادل ،٢٠١١)،ص٢١١-٢١٢

٤. طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل) ،ط٢، (بغداد: شركة التجارة للطباعة المحدودة، ١٩٥٦)، ج٢، ص١٥٧

٥. آشور: جاء أسم آشور في المصادر الآرامية والعربية على هيئة آقور أو آثور وأخذته بعض الأقوام القاطنة في بعض اجزاء القسم الشمالي من العراق ،غير إن مصطلح آثور بمفهومه الحديث لا يرتبط بالآشوريين المعروفين في التاريخ الا من حيث الأسم ،للمزيد أنظر طه باقر ،فاضل عبد الواحد وعامر سليمان، تاريخ العراق القديم ،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠)، ج١،ص٢٠١

٦. طه باقر ،فاضل عبد الواحد وعامر سليمان، تاريخ العراق القديم ، ج٢، ص ٢١٤

٧. فاروق الراوي، حضارة العراق، ص ٣٢٧-٣٢٨

٨. طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج٢، ص ١٥٧

٩. محمد علي كمال الدين ، الشرق الاوسط في موكب الحضارة ،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠)، ج١، ص١٩٨

١٠. محمود أمين وبشير فرنسيس ، شعار سومر رمز الحياة الخالدة والحكمة والعرفان ، ط١(بغداد: شركة دار الوراق المحدودة ، ٢٠٠٧)،ص٥٥

١١. طه باقر وآخرون، تاريخ العراق ...، ج٢،ص ٢١٥

١٢. عامر سليمان ، العراق في...،ج٢، ص٣١٦

١٣. سامي سعيد الأحمد ، الطب العراقي القديم ، مجلة سومر، المجلد٣٠، ج١،٢، (بغداد:مديرية الاثار ،١٩٧٤)، ص٨٨

١٤. محمود أمين وبشير فرنسيس ، شعار سومر، ص٤١

١٥.نبيلة محمد عبد الحليم ، معالم العصر التاريخي في العراق القديم ،(القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٣)، ص ١٣٩

١٦. هيرودوتس: أسم مركب ويعني (هدية هيرا) ولد في مدينة هاليكار ناموس في القسم الجنوبي من آسيا الصغرى ،وقد اختلف الباحثون في تاريخ ولادته وتاريخ وفاته وتتفق المراجع ان هيرودوت حين انتهى من اسفاره توجه الى مدينة ثوري جنوب ايطاليا وأطلق عليه المؤرخون (هيرودوت الثوري) للمزيد أنظر: عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ،(القاهرة: ١٩٨٠)،ج١،ص٢٤٢

١٧. عامر سليمان، العراق في...، ص٣١٤

١٨. صموئيل نوح كريمر، من الواح سومر ، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: احمد فخري، (بغداد: مكتبة المثنى، د–ت)،ص ١٢٧

١٩. عامر سليمان ،العراق في ...،،ص٣١٧

٢٠.طه باقر وآخرون، تاريخ العراق،ج٢،ص ٢١٥

٢١. صموئيل نوح كريمر، من الواح سومر،ص١٣١

٢٢.طه باقر وآخرون، تاريخ العراق..،ج٢،ص٢١٦

٢٣. ل.ديلا بورت، بلاد مابين النهرين الحضارتان البابلية والأشورية ،ترجمة : محرم كمال، مراجعة:عبد المنعم ابو بكر ،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧)، ص ٢٣٨

٢٤.مرغريث روثن، علوم البابلين ، تعريب وايضاحات :يوسف حبي، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر،١٩٨٠)، ٧٨

٢٥. ل.ديلا بورت، بلاد مابين النهرين، ص٢٣٨

٢٦. مرغريث روثن ،علوم البابليين، ص٧٠

٢٧. المصدر نفسه، ص٧٥

٢٨. فاروق الراوي ،حضارة العراق، ص٢٢٧

٢٩. طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات،ص٣٦٦

٣٠. ملحمة كلكامش: هي واحدة من اشهر الملاحم الشعرية في تاريخ آداب الشعوب القديمة وقد ذاع صيتها وانتشرت نسخ عديدة منها في انحاء واسعة من الشرق الأدنى القديم ،وترجمت من

البابلية الى لغات قديمة كالحثية والخورية ..،للمزيد أنظر فاضل عبد الواحد علي ، حضارة العراق، (بغداد: دار الحرية للطباعة ،١٩٨٥)،ج١،ص٣٣٨

٣١. طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم،(بغداد: دار الحرية للطباعة ،١٩٧٦)، ص١٢٥

٣٢.طه باقر، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الأسلامية،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠)،ص٩٥

٣٣. فاروق الراوي، حضارة العراق، ص٣٣٧

٣٤. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج١،ص٣٧٠

٣٥. طه باقر، موجز في تاريخ..،ص٩٦

٣٦. طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج٢، ص٢١٧

٣٧. سامي سعيد الاحمد ، الطب العراقي، ص٩٥

٣٨. طه باقر، موجز في تاريخ، ص٩٦

٣٩. المصدر نفسه، ص٩٦

٤٠. فاروق الراوي ،حضارة العراق ، ج٢، ٣٣٧

٤١. خزعل الماجدي ،بخور الإلهه ، ص ٣٤٤

٤٢. علياء رشيد ، النفس وأدويتها عند العرب (فضل العرب في الطب على الغرب)،(بغداد: مطبعة العمال المركزية ،١٩٨٩)، ص٦٩

٤٣. نبيلة محمد عبد الحليم ،معالم العصر...، ص١٣٩

٤٤.خزعل الماجدي ، بخور الإلهه،ص٣٤٩

٤٥.شريعة حمورابي : وهو القانون الذي شرع الملك حمورابي (١٧٩٢ ق.م) بكتابته في أوائل أيام حكمه ،وعملت منه نسخ كثيرة أحدها التي نقلها أهل عيلام الى سوريا في آواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد كغنيمة حرب ،وعثرت عليه البعثة الفرنسية في عام ١٩٠٢م فنقلتها الى متحف اللوفر ،وهي لوحة أسطوانية الشكل يبلغ أرتفاعها ٢،٢٥م ومصنوعة من حجر الديورينت ،وفيه القانون مسطر في مواد يتناول اكثر مشاكل الناس وفي اعلى اللوحة نرى حمورابي واقفا يرفع يده الى مستوى فمه علامة التعبد للاله (شمش) للمزيد أنظر: أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر والعراق .سوريا .اليمن .ايران ،ط٢، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٦٣)،ص٣٥

٤٦. طه باقر وآخرون، تاريخ العراق ..،ج٢،ص٢١٣

٤٧. خزعل الماجدي، متون سومر، الكتاب الأول .التاريخ.الميثولوجيا .اللاهوت.الطقوس، (لبنان: شركة الطبع والنشر اللبنانية ،١٩٩٨)،ص٣٤١-٣٤٢

٤٨. طه باقر وآخرون، تاريخ العراق ..،ج٢،ص٢١٣

٤٩. خزعل الماجدي، متون سومر ،ص٣٤١

٥٠. طه باقر ،مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٢٧٢

٥١. خزعل الماجدي، متون سومر ،ص٣٤١

٥٢. المصدر نفسه، ص٣٤٥

٥٣. عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم، ص٣١٥

٥٤. . مارتن ليفي ،الكيمياء والتكنولوجيا في وادي الرافدين ،ترجمة:محمودفياض المياحي،سلسلة٨٦ (بغداد: ١٩٨٠)،س٥٤

٥٥. هاري ساكز،عظمة بابل (موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة)،ترجمة: عامر سليمان ،ط١،(لندن:١٩٦٢)،ص٢٠٤

٥٦. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات،ج١،ص٣٧٤

٥٧.طه باقر، تاريخ العراق القديم،ج٢، ص٢١٦

٥٨. فاروق الراوي، حضارة العراق،ج٢، ص ٣٣٠

٥٩. وليد رينيه لايات، الطب البابلي الأشوري ، ترجمة: وليد الجادر ، مجلة سومر ،المجلد ٢٤ ،ج١،ج٢، (بغداد: مديرية الآثار ،١٩٦٨)،ص٢٠١

٦٠. فاروق الراوي، حضارة العراق،ج٢،ص ٣٣٠-٣٣١

٦١. شحاته قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ،ط٢، (بيروت: مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٦) ،ص٢٨

٦٢. هاري ساكز، عظمة بابل ، ص٥٣٠

٦٣.مرغريت روثن ، علوم البابلين ،ص٧٠

64.Sigerist,h,a, history of medicine pirmitiv and archaic medicine m,(new York ,1976),p.41

٦٥. عامر سليمان، العراق في التاريخ ، ص٣٢١

٦٦.هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٣٤

٦٧. عامر سليمان، العراق في التاريخ ، ص٣٢١

٦٨. فاروق الراوي، حضارة العراق،ج٢، ص٣٣٣

٦٩. هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٣٤-٥٣٥

٧٠. وليد رينيه لايات، الطب البابلي الأشوري ،ص٢٠٢
٧١. هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٣٥
٧٢. فاروق الراوي ، حضارة العراق، ص٣٣٣
٧٣. وليد رينيه لايات، الطب البابلي الأشوري ،ص١٩٦
٧٤. هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٣٦
٧٥. طه باقر وآخرون، تاريخ العراق..،ج٢،ص٣١٦-٣١٧
٧٦. طه باقر، موجز تاريخ العلوم ..،ص٩٥
٧٧. عامر سليمان، العراق في التاريخ ، ص٣٢٢
٧٨. صموئيل نوح كريمر ، من الواح بابل ، ص١٣١
٧٩.شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلية والعقاقير ، ص ٢٢-٢٣
٨٠. فاروق الراوي، حضارة العراق،ج٢، ص٣٣٤
٨١. شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلية والعقاقير ، ص ٢٤
٨٢. فاروق الراوي، حضارة العراق،ج٢، ص٣٣٥
٨٣. هاري ساكز ،عظمة بابل ،ص٥٤٠-٥٤١
84.c.hw.gohns,babylonian and assyrian laws ,contracts and letters (new yourk ,1904).p.48
٨٥. مجموعة من المؤلفين ،شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم ، ترجمة: أسامة سراس ،ط٢، (دمشق:دار علاء الدين ،١٩٩٣)،ص١٢٤
٨٦. توفيق سليمان ،دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور الى عام ١١٩٠ق.م _ الشرق الأدنى القديم (بلاد ما بين النهرين ،بلاد الشام)، (دمشق: دار دمشق ،١٩٨٥)، ص٢١٩
٨٧. عامر سليمان، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة،ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧)، ص٢٦٧-٢٦٨
٨٨. المشكنيم: وهي طبقة وسطى بين الأحرار والعبيد لها حق تملك العبيد ،للمزيد أنظر: نجيب ميخائيل ابراهيم ،مصر والشرق الأدنى القديم (حضارة العراق القديمة) ،ط١،(الأسكندرية: مطبعة محمد دون بوسكو،١٩٦١) ،ص٢٩
٨٩. عامر سليمان، القانون في العراق القديم,ص٢٦٨
٩٠. توفيق سليمان ،دراسات في حضارات غرب آسيا .،ص ٢٢٠
٩١. فاروق الراوي، حضارة العراق، ص ٣٣٦

٩٢. المصدر نفسه ،ص٣٣٦
٩٣.عامر سليمان، العراق في التاريخ...،ص٣٢٣
٩٤. فاروق الراوي، حضارة العراق، ص ٣٣٦
٩٥. عامر سليمان، العراق في التاريخ...،ص٣١٩
٩٦. فاروق الراوي، حضارة العراق، ص ٣٣٧
٩٧. عامر سليمان، العراق في التاريخ...،ص٣٢٣
٩٨. طه باقر وآخرون،تاريخ العراق القديم ،ج٢، ص٢١٨
٩٩. مرغريت روثن،علوم البابليين ،ص٧٧
١٠٠. صموئيل نوح كريمر ، من الواح سومر، ص١٣١
١٠١. شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلية والعقاقير ، ص ٢٥
١٠٢. مرغريت روثن،علوم البابليين ،ص٧٧
١٠٣. طه باقر، موجز في تاريخ، ص٩٧
١٠٤. مرغريت روثن،علوم البابليين ،ص٧٧
١٠٥. طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم ،ج٢، ص٢١٩
١٠٦. فاروق الراوي، حضارة العراق، ص٣٢٩
١٠٧. عامر سليمان، العراق في التاريخ...،ص٣٢٤
١٠٨. طه باقر ، موجز في تاريخ ،ص٩٧
١٠٩. طه باقر ، مقدمة في تاريخ ،ج١،ص٣٦٥
١١٠. عبد الحميد العلوجي ، تاريخ الطب ، ص٥٦
١١١. طه باقر ، تاريخ العراق القديم ،ص٢١٩
١١٢. صموئيل نوح كريمر ، من الواح سومر، ص١٣١
١١٣. المصدر نفسه، ص١٣٢
١١٤. . شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلية والعقاقير ، ص ٢٨
١١٥.هاري ساكز ، عظمة بابل ،ص٥٣٨
١١٦. عامر سليمان، العراق في التاريخ...،ص٣٢٤
١١٧.طه باقر ، مقدمة في تاريخ ، ص ٣٧٣-٣٧٤
١١٨. صموئيل نوح كريمر ، من الواح سومر، ص١٣٥

المصادر

١. ابراهيم، نجيب ميخائيل ،مصر والشرق الأدنى القديم (حضارة العراق القديمة) ،ط١،(الأسكندرية:مطبعة محمد دون بوسكو،١٩٦١)

٢. الأحمد، سامي سعيد ، الطب العراقي القديم ، مجلة سومر، المجلد٣٠، ج،٢، (بغداد:مديرية الاثارللطباعة ،١٩٧٤)

٣. أمين، محمود وبشير فرنسيس ، شعار سومر رمز الحياة الخالدة والحكمة والعرفان ، ط١(بغداد: شركة دار الوراق المحدودة ، ٢٠٠٧)

٤. . طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات(وادي الرافدين)، ط١،(بغداد:١٩٥١)ج١

٥. باقر،طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل) ،ط٢، (بغداد: شركة التجارة للطباعة المحدودة، ١٩٥٦)، ج٢

٦. باقر،طه ، مقدمة في أدب العراق القديم،(بغداد: دار الحرية للطباعة ،١٩٧٦)،

٧. باقر،طه ،فاضل عبد الواحد وعامر سليمان، تاريخ العراق القديم ،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠)، ج١

٨. باقر،طه ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الأسلامية،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠)

٩. باقر،طه ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الأسلامية،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠)

١٠. بورت،ل.ديلا ، بلاد مابين النهرين الحضارتان البابلية والأشورية ،ترجمة : محرم كمال، مراجعة:عبد المنعم ابو بكر ،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧)

١١. الراوي، فاروق ناصر ، حضارة العراق(العلوم الطبية) ، (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)،ج٢

١٢. رشيد ،علياء ،النفس وأدويتها عند العرب(فضل العرب في الطب على الغرب)،(بغداد: مطبعة العمال المركزية ،١٩٨٩)

١٣. .روثن ،مرغريث ، علوم البابلين ، تعريب وايضاحات :يوسف حبي، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر،١٩٨٠)

١٤. ساكز ،هاري ،عظمة بابل (موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة)،ترجمة: عامر سليمان ،ط١،(لندن:١٩٦٢)

١٥.سليمان ،عامر ، القانون في العراق القديم دراسة تاريخية قانونية مقارنة،ط٢،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٧)
١٦.سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري) ،(الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر ،١٩٩٣)،ج٢
١٧.سليمان ، توفيق ،دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور الى عام ١١٩٠ق.م _ الشرق الأدنى القديم (بلاد ما بين النهرين ،بلاد الشام)، (دمشق: دار دمشق ،١٩٨٥)
١٨.صالح ،عبد العزيز ، حضارة مصر القديمة وآثارها ،(القاهرة: ١٩٨٠)،ج١
١٩.علي ، فاضل عبد الواحد ، حضارة العراق، (بغداد: دار الحرية للطباعة ،١٩٨٥)،ج١
٢٠.عبد الحليم ، نبيلة محمد، معالم العصر التاريخي في العراق القديم ،(القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٣)
٢١.العلوجي، عبد الحميد،تاريخ الطب العراقي،(بغداد: مطبعة أسعد،١٩٦٧)
٢٢.الفتيان ،احمد مالك ،دراسات في التاريخ القديم ،(بغداد: منشورات عادل ،٢٠١١)
٢٣.فخري ،أحمد ، دراسات في تاريخ الشرق القديم مصر والعراق.سوريا .اليمن.ايران ،ط٢، (القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٦٣)
٢٤.قنواتي ، شحاته ، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ،ط٢، (بيروت: مكتبة الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٦)
٢٥.كمال الدين ،محمد علي ، الشرق الاوسط في موكب الحضارة ،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠)، ج١
٢٦.كريمر، صموئيل نوح، من الواح سومر ، ترجمة:طه باقر، مراجعة وتقديم: احمد فخري، (بغداد:مكتبة المثنى،د–ت)
٢٧.لايات ، وليد رينيه ، الطب البابلي الأشوري ، ترجمة: وليد الجادر ، مجلة سومر ،المجلد ٢٤ ،ج١،ج٢، (بغداد: مديرية الآثار ،١٩٦٨)،
٢٨.ليفي ، مارتن ،الكيمياء والتكنولوجيا في وادي الرافدين ،ترجمة:محمودفياض المياحي،سلسلة٨٦ (بغداد: ١٩٨٠)،
٢٩.الماجدي ، خزعل ، متون سومر، الكتاب الأول .التاريخ.الميثولوجيا .اللاهوت.الطقوس، (لبنان: شركة الطبع والنشر اللبنانية ،١٩٩٨)

٣٠.الماجدي،خزعل، بخور الآلهه دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين،(لبنان:دار الأهلية،١٩٩٨)

٣١.مجموعة من المؤلفين ،شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم ، ترجمة: أسامة سراس ،ط٢، (دمشق:دار علاء الدين ،١٩٩٣)

المصادر الأجنبية

1.Sigerist,h,a, history of medicine pirmitiv and archaic medicine m,(new . York ,1976),p.419

2.c.hw.gohns,babylonian and assyrian laws ,contracts and letters (new yourk ,1904).p.48

ABSTRACT

Medicine in the civilization of MesoPotamia

The them of medicine of topics vital and its importance in the history of Previous nations and succeeding because of its great importance in the Continuation of human life .

Without this seience most humans spend on them due to illness and other accidents and with healing humans can live long –lived .

The Sumerians have great favour in knowing alot of medical thing that are passed down the generations through using their discovery in large number mud which talked about medicine and other seiences.

The sumerians preceded the world in this profession by founding types of plants , chemicals ,animal and human and using that in animals also

The medicine had been divided in to two parts –religion and scientific ,also l indicated to the diseases and their causes in this period of old lraq then concluded my research by several conclusions.

الأنماط الاستيطانية في فلسطين وأثره في الشعر العبري الحديث.

م.أزهر كريم حميد

م. محمد علي حميد

الأنماط الاستيطانية في فلسطين وأثره في الشعر العبري الحديث.

م.أزهر كريم حميد

م. محمد علي حميد

الكلمات الافتتاحية : الاستيطان، الصهيوني، فلسطين.

المقدمة:

حري بنا_ في مستهل الحديث عن الأنماط الاستيطانية الصهيونية _ أن نعرض ولو بشكل مختصر عن الاستيطان في فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية، حيث توافدت إلى فلسطين منذ أقدم الأزمنة العديد من الشعوب والتي يعود بعض منها إلى أصول سامية والبعض الأخر إلى أصول غير سامية، وحول هذا جاء فيه: "كانت فلسطين أكثر من غيرها تعرضًا لهجرات الشعوب السامية وغير السامية"(١).

ومن أبرز الشعوب السامية التي قدمت إلى فلسطين هي الأقوام الأمورية والكنعانية والأرامية، هذا إلى جانب كوكبة أخرى من القبائل كالأدوميين والمؤابيين والمديانيين واليبوسيين والقنزيين والعمالقة، أما الشعوب غير السامية التي غزت المنطقة فأبرزها الحوريون والحيثيون وغيرهم(٢).

وقد نظر اليهود إلى فلسطين باعتبارها " أرض الميعاد" اعتمادًا على ما ورد في سفر التكوين : "**فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ.** "(٣).

وقد وظف حاخامات اليهود، فقرات في كتبهم (المقدسة) لتكوين فكرة "أرض الميعاد" منهم الحاخام موشيه نحمان(٤) الملقب بـ "رمبان" (١١٩٤-١٢٧٠)م الذي افتى في معرض تفسيره للتوراة: إن فلسطين "مركز العالم" وإن أورشليم هي مركز "أرض إسرائيل" وهي المكان الوحيد لتأدية الوصايا الدينية المنصوص عليها في التوراة؛ وإن الاستيطان في فلسطين واجب ديني وهو يوازي كل فرائض التوراة. وبناء على هذا

التفسير فإن الهجرة إلى فلسطين فريضة على اليهود جماعات وأفرادًا. واذا رفض أحد الزوجين الذهاب اليها فرق بينهما، وذلك من أجل البقاء في فلسطين تمهيدًا لمجيئ المسيح المخلص.(٥)

ويرى الحاخام "كوك"(٦) بأن اليهودي لا يمكن أن يكون يهوديًا كاملًا إن لم يَعُد إلى "أرض إسرائيل"؛ لأنه يرى اليهودي في المنفى فاقد للقدسية ويؤكد على ضرورة العودة إلى فلسطين ليس كرغبة مستحسنة لأيام الخلاص وإنما كأمر عاجل لكل يهودي، وأن من يعيش في المنفى (حسب رأيه) يحيا في نجاسة لا يستطيع التحرر منها طالما أنه يقيم خارج فلسطين ويقول:" ليس في إمكان أي فرد في إسرائيل أن يكون مخلصًا وأمينًا لأفكاره ودراساته وآرائه وتصوراته خارج البلاد، كالاستعداد لهذا الخلاص في "أرض فلسطين" أما خارجها فأنه يرتبط بقيود عديدة"(٧).

قبل ظهور الحركة الصهيونية كحركة منظمة فأن هنالك جماعات يهودية كانت تعيش في فلسطين كأقلية دينية تعتمد على الصدقات التي كانت ترسلها الأقليات اليهودية في أوربا، والتي كانت تعرف باسم "**חלוקה**" الصدقات؛ وذلك لتشجيع الجماعات اليهودية على التعبد ودراسة التوراة والمحافظة على الطقوس والشعائر الدينية (المقدسة) لدى اليهود. ولم تكن لهذه الجماعات أي مطامع صهيونية في أرض فلسطين، لأن الغرض من تواجد هؤلاء الجماعات هو إقامة تلك الشعائر والطقوس الدينية والعيش بالقرب من الأماكن اليهودية (المقدسة) لديهم، وهي القدس وطبرية وصفد والخليل(٨).

٢ـ <u>الاستيطان الصهيوني ودوره في فلسطين:</u>

يُعد الاستيطان الدعامة الاساسية لإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، وذلك لأنها تمهد الطريق للسيطرة على الأرض واستيعاب المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين، حيث احتلت المستوطنات الزراعية الجماعية التعاونية كنوع استيطاني، مكانة بارزة من بين الأنواع الاستيطانية الأخرى للاستيطان الصهيوني في فلسطين إلى حد أن هذه المستوطنات هي التي نحتت ملامح هذا الكيان على أرض الواقع. وقد رأت الصهيونية،

استكمالًا للمشروع الصهيوني، ضرورة تهجير أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين، وكان مفهوم الهجرة يشكل بالنسبة لها ركنًا أساسيًا(٩).

وقد ذكر بن جوريون " نحن ما زلنا في أول الطريق، ففي (إسرائيل) الآن ٩٠٠ الف يهودي.. وهدفنا الأول ينحصر في حث يهود العالم على العودة إلى (إسرائيل) لزيادة رقعة الاستيطان اليهودي وتثبيت أقدامه".(١٠)

٣- <u>الأشكال الإستيطانية الجديدة بعد الحرب العالمية الأولى:</u>

أن من أهم الهجرات الصهيونية إلى فلسطين هي الهجرات التي تمت في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، إذ فتح باب الهجرة أمام اليهود ووضع إمكانيات كبيرة أمامهم لترسيخ استيطانهم، بالإضافة إلى سماح بريطانيا بنقل ملكية الأراضي العربية لليهود لإقامة المستوطنات عليها، فكان ذلك وفاءً من الحكومة البريطانية بتنفيذ وعد بلفور الذي قطعته على نفسها بشكل رسمي عام ١٩١٧.(١١)

فقد عمل الانتداب البريطاني على تكثيف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، بهدف الترتيب للدولة اليهودية، كما نصت وثيقة الانتداب، التي صدرت عن عصبة الأمم عام ١٩٢٢م، واقتطع أخصب الأراضي في مرج بن عامر ووادي الحوارث وغيره، فبلغ تعداد اليهود في أواخر فترت الانتداب (٤٦٩,٦٠٠) يهودي، وفي الفترة من ١٩١٨-١٩٤٨م أقيمت (٣٦٣) مستوطنة صهيونية على أنقاض (٦١) قرية فلسطينية دمرت في كل من صفد وطبريا وبيسان وعكا والناصرة وحيفا ويافا.(١٢)

إن البحث عن الأطر الخاصة بحياة تعاونية، دفع أفراد موجتي الهجرة اليهودية الصهيونية الثانية والثالثة لإقامة أشكال استيطانية جديدة من الاستيطان الزراعي. كانت إحدى هذه الصور "**הקבוצה הגדולה - الكفوتسا الكبيرة**" وهي أول سابقة للكيبوتسا ولكن مؤقتة، نشأت في الأعوام (١٩١٩ – ١٩٢٠م) بواسطة "**קבוצת כנרת - كفوتسات كينيرت**" التي كانت أحد المقترحات الخاصة بإنشاء "**الكيبوتس**". تمثل الفرق بين "**الكفوتسا**" و"**الكفوتسا الكبيرة**" هو استعداد الأخيرة لقبول أعضاء جدد (مهاجرين) طوال

الوقت. وهو الأمر الذي يتيح نموها وتطورها الاقتصادي، في أي وقت تتطلب المساعدة في هذا الشأن(١٣). وليس هذا فحسب فقد تأسس كذلك خلال هذه الفترة شكل جديد للاستيطان الزراعي الصهيوني في فلسطين يسمى"**מושב עובדים موشاف عوفديم**"(١٤) .

أن طبيعة العمل الاستيطاني بعد الحرب العالمية الأولى تختلف عن طبيعته في موجات الهجرات السابقة، فبينما كانت المستوطنات تنشأ على أساس الملكية الفردية أصبحت الأن تنشأ على أساس المزارع الجماعية التي تقوم على مزيج من المبادئ الاشتراكية والصهيونية وهو ما أكد أهمية قضية العمل في أعمال معظم شعراء هذا الجيل(١٥).

٤_ السمات العامة للاستيطان الصهيوني بعد الحرب العالمية الأولى:

تميز الاستيطان الصهيوني بعد الحرب العالمية الأولى إلى فلسطين بعدد من الخصائص نذكر منها مايلي:_

اولًا: كان الاستيطان الصهيوني خلال تلك الحقبة ذات صبغة سياسية صهيونية استعمارية بحته، ترمي إلى السيطرة على أرض فلسطين وطرد شعبها واقامة ما يسمى (دولة لليهود) عليها.

ثانيًا: تميز الاستيطان خلال تلك الحقبة، بتشابك علاقته مع القوى الاستعمارية وفي مقدمتها بريطانيا التي كانت فلسطين تحت احتلالها آنذاك؛ وذلك من أجل دعم الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وفتح ابواب الهجرة على مصراعيها امام اليهود المشتتين في بلدان العالم.

ثالثًا: الاهتمام بالعمل الزراعي بوصفه أهم وسيلة لربط المهاجر الجديد بالأرض، فقد دعا المستوطنون خلال الهجرة الثالثة إلى ضرورة تعليم المهاجر أسس زراعة الأرض ومقوماتها واحترافها حتى لا يحتاجوا إلى العرب مطلقًا في هذا المجال، وتلك كانت دعوه صريحة من جهتهم بضرورة عبرنة العمل. وفي هذا المجال فقد أهتموا

بالمستوطنات الزراعية الجماعية حتى يستطيعوا التصدي بقوة للمقاومة العربية أكثر مما لو اتجهوا للاستيطان الفردي(١٦).

٥- دور المهاجرين الصهاينة في إقامة المستعمرات الاستيطانية:

أن تدفق المهاجرون الصهاينة إلى فلسطين والجهود المتواصلة لإقامة المستوطنات والاستيلاء على الأرض أدى كل ذلك إلى ظهور أنواع مختلفة من المستوطنات الصهيونية ومن أهم الأنماط الاستيطانية التي برزت بشكل واضح تتمثل فيما يلي:

أ_ "كيبوتس **קבוץ**": الكلمة عبرية وتعني جماعة أو تجميع أو لم الشمل، ولعل الاصطلاح الديني اليهودي **קבוץ גליות كيبوتس جاليوت**" أو "**تجمع المنفين**" ولم شمل اليهود وجمعهم في فلسطين هو الذي استقى منه الصهاينة هذه التسمية(١٧). وهي في مفهوم الصهيونية تعني مستوطنة ذات طابع عسكري، أو مستعمرة زراعية تعاونية، تضم جماعة من المهاجرين يعيشون ويعملون سويًا، من خلال فكرة الملكية الجماعية للأرض وأدوات الإنتاج مع إشباع حاجاتهم بطريقة جماعية ايضًا(١٨).

ففي فترة موجة الهجرة الثانية كان يطلق على هذا النوع من المستوطنات اسم "**كفوتسا**"، ومنذ مطلع العشرينيات من القرن العشرين في فترة الهجرة الثالثة بدأوا في تسميته "**كيبوتس**". وقد كان أعضاء الكيبوتس يمثلون رافدا أساسيا لتحقيق الحلم الاستيطاني الصهيوني واعتبروا صفوة التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين قبل إقامة الدولة وبعدها في فترة صدر الدولة(١٩).

شغل أعضاء الكيبوتس مناصب مهمة في التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين وفي زعامة الدولة وأسهموا إسهاما أساسيا في منظمة "الهاجاناه" و"البالماح" التي تشكلت قيادتها من أعضائه بشكل خاص. وبعد إقامة الدولة أسهم أعضاء الكيبوتس في الجيش الإسرائيلي، وخاصة في العقود الأولى من تأسيسه. وقد تجسد هذه الإسهام في المجندين الكثيرين في الوحدات المقاتلة، والطيارين وفي نسبة مرتفعة نسبيا من القادة. ومع مرور السنوات تم تعريف الكيبوتس بتعريفات فكرية وقانونية مختلفة،

كان أحد هذه التعريفات هو: "جماعة استيطانية تمثل تجمعا استيطانيا منفصلا يمثل مجتمعا تعاونيا من أعضائه، هذا المجتمع الذي ينتظم في ظل أسس الملكية العامة للممتلكات وأهدافه العمل الذاتي، المساواة والتعاون في كل مجالات الإنتاج، الاستهلاك والتعليم"(٢٠).

وقد أشار الباحث "**B. Bettelheim برونو بتلهايم**" عن الأسباب التي ادت إلى نشأة مستوطنات الكيبوتس، إلى أن هنالك حركة للشباب عرفت "**Wandervogel الطير المهاجر**" والتي ظهرت في المانيا، هذه الحركة كانت تسعى دائماً إلى الفرار من عالم الآباء، وهي الفكرة التي كانت تحظى بأكبر قدر من اقتناع شباب الجيتو آنذاك بها. لقد كانت هذه الحركة تمردًا على الأسر شديدة التسلط التي نشأ فيها هؤلاء الشباب، من هنا كان تحطيم الأسرة والتمرد عليها في الكيبوتس مظهرًا من مظاهر الاحتجاج والتمرد على حياة الجيتو وسلبياتها في مدن وسط أوربا بالتحديد. (٢١)

ب_ "موشاف מושב" جمعها "**موشافيم מושבים**" شكلت الموشاف القرية التعاونية لبيع وشراء الآلات والمنتجات عام ١٩٢١م، وتسمى ايضًا "**נהלל نهلال**"، والتي أسست غداة الحرب العالمية الأولى، ففي الموشاف تلحق كيفية استثمار المزرعة العائلية بدساتير القرية التعاونية وتشمل وسائل الانتاج، شراء وبيع المنتجات، تعليم الأطفال ونشاطات ثقافية وخدمات اجتماعية.وهناك نوعين من الموشاف:

أولًا:"موشاف عوفديم מושב עובדים" مستوطنة عمالية: تجمع للعمال الصهاينة بهدف القيام بالأعمال الزراعية وفقًا للأسس التعاونية في الإنتاج والاستهلاك والتسويق. تتكون كل مستوطنة موشاف من مجموعة مزارع تديرها مجموعة من الأُسر وفقًا لأسلوب العمل الذاتي حيث لا مجال لاستئجار عمال من خارج المستوطنة. وينطوي على هذه المستوطنة طابع العلاقة التعاونية لحل المشاكل التي تواجه المزارعين في مجال الانتاج والتسويق والإدارة(٢٢).

وقد نشأت فكرة "**موشاف عوفديم**" كقاعدة رئيسية للاستيطان العمالي المستقل. ولقد حظيت هذه الفكرة بزخم شديد فقط مع نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث وجد

آنذاك عمال فلاحون في فلسطين، الذين توقعوا الانتقال إلى استيطان على أساس زراعي في "الموشاف" الذي نادى بفكرته وخطط لتأسيسه "**إليعازر يافيه ــ אליעזר יפה** [*]" في الكتيب الذي نشره في عام ١٩١٩م تحت عنوان "**יסוד מושבי עובדים** [٢٣]**ــ تأسيس موشاف عوفديم**"، وقد ظهرت فكرة المناداة بإقامة "**موشاف عوفديم**" للمرة الأولى عن طريق "**يتسحاق فولكاني إلعزاري ـ יצחק וולקני אלעזרי**"[**] في مقالاته التي نشرها في صحيفة "**هبوعيل هاتساعير**"، وتم من خلالها وصف التجمع الاستيطاني الصهيوني الجديد. أما صورة العمل فيه فتكون في مزارع خاصة، وعلى هذا النحو فقط يُخرج المزارع الطاقة الكامنة في نفسه. ولكن "**الموشاف**" نفسه تعاوني ويمتلك مؤسسات عامة، يتم فيها عملية شراء منتجات المزارع وبيعها، كما أن المؤسسات ضرورية من أجل المساعدة المتبادلة حيث كان العرب بجوار السكان في حالات الأزمات الشخصية[٢٤].

ويعرف "**موشاف عوفديم**" بأنه إطار تعاوني للاستيطان، تشكل الأسرة فيه وحدة اقتصادية مستقلة، سواء في مجال الإنتاج أو في مجال الاستهلاك". وكانت بداية هذا النوع من الاستيطان التعاوني في "**מושבי פועלים ــ مستوطنات العمال**" التي كانت مستوطنات يسكن فيها عمال مزارعون حصلوا على قطع أراض من "**الصندوق القومي اليهودي**" من أجل إكمال مصادر دخلهم. وقد تمركزت النواة الأولى من المستوطنين في إطار "**موشاف عوفديم**" في منطقة "**عيميق يزراعئيل ــ مرج بني عامر**" بعد فترة قصيرة من تجهيزها للزراعة. وقد أقامت هذه النواة في شهر سبتمبر ١٩٢١م مستوطنة "**نهلال ــ נהלל**". وبعدها ببضعة أشهر أقيم موشاف "**كفار يحزقائيل ــ כפר יחזקאל**" وفي أعقابهما أقيمت العديد من هذا النمط الاستيطاني في باقي أجزاء فلسطين[٢٥].

ثانيًا: "موشاف شيتوفي מושב שיתופי" مستوطنة تعاونية: نشاطها الاساسي هو الزراعة التي تستند إلى الجماعة في الإنتاج والملكية والمساواة في الداخل. حاولت الجمع بين خصائص مستوطنة الكيبوتس والمستوطنة العمالية، إلا انها لم تنجح في

جذب أعداد كبيرة من المهاجرين؛ لأنها تفتقد إلى هوية محددة تميزها عن مستوطنات الكيبوتس [٢٦].

وقد عمل مهاجرو الهجرة الثالثة على بناء المرافق العامة من طرق وسكك حديدية وغيرها، ومن أهم المستوطنات التي أقاموها ، كفار بلعاري، وعين حارود ونهلال وجزائيل وكفار حوطيم،[٢٧] وقد أشرفت على هذه المستوطنات المؤسسات الاستيطانية الآتية:

أولًا_ الوكالة اليهودية: وهي مؤسسة صهيونية أسست عام ١٩٢٠م، لتشكل الذراع التنفيذي للمنظمة في مجالات الهجرة والاستيعاب والاستيطان، بالاتفاق مع الحكومة البريطانية، لتكون المساعد التنفيذي للمنظمة الصهيونية العالمية، فقد جاء في صك الانتداب على فلسطين الصادر عام ١٩٢٢م عن عصبة الامم في المادة الرابعة: " يُعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين. ويُعترف بالمنظمة الصهيونية وكالة دائمة..".[٢٨]

لعبت الوكالة اليهودية إلى درجة كبيرة من الأهمية في تطوير القطاع الزراعي؛ من خلال جمع الأموال من المجموعات اليهودية في الخارج وكان إلى جانبها منظمات عديدة تتعاون معها منها "الصندوق الوطني اليهودي" المكلف بالتطوير العقاري و "صندوق البناء" ومنظمة جمع التبرعات. [٢٩]

ثانيًا_ صندوق تأسيس فلسطين: اسمه بالعبرية"**קרן היסוד كيرين هايسود**" وهو الادارة المالية الرئيسية للمنظمة الصهيونية العالمية. انشئ عام ١٩٢٠م واختص بالهجرة والاستيطان والمسؤول عن توفير الظروف الملائمة للعمل الزراعي والصناعي وبناء المستوطنات والمدن الصهيونية، وقد بدأ العمل برسمال قدره (٢٥) مليون جنية استرليني[٣٠]. فعندما واجهت الحركة الصهيونية مشكلة تمويل مشروعها الاستيطاني في فلسطين بعد صدور وعد بلفور، وقد تضمن قرار إنشاء التزام كل يهودي أيًا كان موقفه

من الصهيونية بدفع ضريبة سنوية بحد أدنى معين للمساهمة في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين على أن يقوم الصندوق بتوظيف التبرعات والمساهمات المالية المختلفة في استثمارها في مشروعات انتاجية لا تستهدف الربح في المقام الأول. ومن بين أبرز مؤسسيه حاييم وايزمان وفلادمير جابوتنسكي، وقد سجل الصندوق عام ١٩٢١م كشركة بريطانية، وعلى الرغم من انتقاله إلى القدس إلا أن مقره بقي في لندن حتى عام ١٩٢٩م. وقد اصبح الصندوق التأسيسي فيما بعد الذراع الأساسي للوكالة اليهودية من الناحية المالية(٣١).

ثالثًا_ الهستدروت: وقد تأسست خلال الهجرة الصهيونية الثالثة نقابة "**ההסתדרות הכללית של העובדים העבריים בארץ ישראל الاتحاد العام للعمال العبريين في فلسطين** " ، وذلك عام ١٩٢٠م، وهي نقابة عمالية تهدف إلى تنظيم شؤون العمال والدفاع عن مصالحهم وتوفير فرص العمل لهم، ونشر المبادئ الصهيونية بين صفوفهم، وتقوم بدور مهم في انشاء المستوطنات الصهيونية والتصنيع والتعليم. بيد انها كانت _في واقع الامر_ الأداة العملية لوضع الفكرة الصهيونية موضع التنفيذ؛ وذلك من ثنايا تنظيم الهجرة والاستيعاب والاستيطان، وإيجاد فرص العمل للمهاجرين. ويؤكد ذلك بن جويون في تعريفه "**للهستدروت**" حيث قال:" ليس "**الهستدروت**" نقابة عمالية، ولا هي حزب سياسي، ولا هي تعاونية أو جمعية لتبادل المنفعة، مع أنها تقوم بنشاط في جميع هذه الحقول، أنها اكثر من ذلك، "**الهستدروت**" هي اتحاد شعب يقوم ببناء وطن جديد ودولة جديدة وشعب جديد ومشاريع ومستوطنات جديدة وحضارة جديدة(٣٢).

وتنفرد "**الهستدروت**" بسمة غير متوفرة في نقابة عمالية في العالم، فهي ليست نقابة تدافع عن مصالح أعضائها فحسب، وإنما هي فوق ذلك أكبر رب عمل داخل الدولة. إن نشاطات "**الهستدروت**" تمتد إلى العديد من المجالات المختلفة، منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما تضم "**الهستدروت**" قرابة ٨٥% من القوة العاملة في إسرائيل. ومن هنا فأن "**الهستدروت**" تجمع بين دورين، الأول اتحاد عام للعمال،

والثاني أكبر صاحب عمل في فلسطين. وفضلًا عما سبق فأن "**للهستدروت**" أدوار أخرى لا تقل أهمية عن أدوارها السابقة، وتتمثل هذه الأدوار في عملها الدؤوب _طوال عقود خلت_ على كسر الحصار الاقتصادي العربي، والتغلغل في الأسواق الأفريقية والآسيوية عن طريق توثيق علاقاتها مع اتحاد العمال في تلك الدول(٣٣).

رابعًا_ الهجانا ההגנה والبالماح פלמ"ח: من أبرز إنجازات هذه الموجة هو إنشاء منظمة الهجانا، التي أسست عام ١٩٢٠م وهي من نتاج الحركات أو المنظمات السرية في فترة الانتداب البريطاني. ولقد اعتبرت نفسها منظمة وظيفتها الدفاع عن القرى اليهودية ضد هجمات العرب، ويعيين أفرادها، بصورة خاصة، من القرى التعاونية (الكيبوتس) ومن بين أعضاء الحركة العمالية(٣٤).

علاوة على ذلك تأسست المنظمة المتطرفة **"ברית יוסף טרומבלדר حلف يوسف ترومبلدور"** التي تقوم بتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين وتعدهم عسكريًا وقتاليًا قبل الهجرة، وتدربهم كذلك على العمل الزراعي وعلى تلقينهم أيديولوجية واضحة التأثير بالأيديولوجيات الفاشية التي كانت سائدة في أوربا آنذاك(٣٥).

وقد ذكر الباحث الإسرائيلي **(شلومو جازيت שלמה גזית)** " أن الاستيطان يتم في المناطق التي تُعد ضرورة من ناحية تحديد الحدود المستقبلية، على إنها حدود آمنة وقابلة للدفاع عنها(٣٦).

٦_ الاستيطان وشعراء الهجرة الثانية والثالثة:

بدأ موضوع الاستيطان الصهيوني يغزو الأدب العبري الحديث مع بدايات موجات الهجرة الصهيونية الثانية والثالثة؛ إذ هاجر العديد من الأدباء الصهاينة خلال هاتين الموجتين وما بعدها، وكان لزامًا عليهم تثبيت دعائم الدولة الوليدة عن طريق تشجيع الهجرة والتوسع في الاستيطان .

حيث كان الاستيطان في الفكر الصهيوني هو بؤرة اهتمامهم وتركيزهم من أجل حثهم على الهجرة إلى أرض الآباء والاجداد (كما يزعمون)، جاء فيه:" نحن نوجه الدعوة إلى كل اليهود في سائر دول العالم لكي يجتمعوا حول يهود إسرائيل لمساندتهم

في مهمات الهجرة والبناء والتنمية، والوقوف بجانبهم في الكفاح العظيم لتحقيق الحلم القديم خلاص إسرائيل".[٣٧]

أن معظم الادباء القادمين من روسيا بأفكارهم الاشتراكية كانت تنادي بجماعية الاستيطان والاداء، وأن الملكية تؤول للمجموع وأنه لا سبيل للملكية الفردية مما يتعارض مع الفكر الرأسمالي الذي تنتهجه الدولة الغربية، ولذا شجع هؤلاء الادباء كل جهود الاستيطان الجماعي "الكيبوتس والموشاف" وتحفيز العمل اليدوي والحراسة اليهودية للممتلكات اليهودية، بالإضافة إلى العمل العبري (أي بالاعتماد على العمالة اليهود وليس العمالة العرب)، فضلًا عن الاهتمام باللغة العبرية وجعلها لغة الحديث بين الجموع اليهودية. وقد انعكس هذا كله في نتاجهم الادبي، وحرصوا جميعًا على إبراز إيجابيات الأنشطة الجماعية اليهودية السابقة وابتعدوا عن ذكر السلبيات.[٣٨]

٧ـ <u>الأشكال الاستيطانية الجديدة وصورتها عند شعراء الصهيونية:</u>

(أ)– أوري تسفي جرينبرج ونقد مشروع الكيبوتس في قصيدة "פנים אל פנים ـ بصورة شخصية":

يتناول الشاعر أوري تسفي جرينبرج في الجزء الثاني عشر قصيدته المطولة "بصورة شخصية" إقامة الكيبوتسات (المزارع التعاونية) بالنقد في ظل ما يحظى به التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين بمقاومة ضارية من جانب الفلسطينيين العرب، فنجده يصب جام غضبه على أعضاء أحد الكيبوتسات التي تعرضت للهجوم من جانب العرب وهو كيبوتس "**משמר העמק ـ مشمار هاعيميق**" [*]، فيتحدث عن البريطانيين واعتماد اليهود في الدفاع عنهم، بل ورفضه التام لمسألة الاستيطان الاشتراكي التعاوني، فنجده يقول:

תַּחַת כַּנְפֵי אַלְבִיון הַמַּגֵּן,
בְּדַעַת רוֹבָיו הַטּוֹבִים לְמוֹ קֶרֶב,
אָפְשָׁר לְהַבְלִיג מִלְּצֵאת וּלְהַגֵּן
עַל אַחִים הַנּוֹפְלִים בְּמִכְמֹרֶת עֲרָב. [٣٩]

تحت أجنحة بريطانيا الحامية،

بمعرفة بنادقها الجيدة بالمعركة،

يمكن أن نمسك أنفسنا عن الخروج والدفاع،

عن إخوة يسقطون في شِباك العرب.

يطالعنا الشاعر في الأبيات السابقة بحديثه عن بريطانيا التي تخضع أرض فلسطين بفرض الانتداب عليها منذ عشرينيات القرن العشرين، ففي ظل ما تمتع به بريطانيا من مقدرة عسكرية وما تمتلكه من سلاح وعتاد، على اليهود الصهاينة أن يمسكوا أنفسهم عن الخروج والدفاع عن إخوتهم الذين يتساقطون مثل السمك في شِباك العرب الذين ثاروا ضد أفراد الكيبوتس.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

תַחַת כַּנְפֵי אַלְבִיון הַמַּגֵן,
נוחַ לְסִלחַ תוֹעֲבות עֲרָב,
אֶפְשָר לִקְרֹא סֵפֶר, אֶפְשָר לְנַגֵן.
אֶפְשָר גַם לִהְיות קומוניסְט שֶבִכְתָב. (٤٠)

تحت أجنحة بريطانيا الحامية،

من المريح أن نصفح عن أفعال العرب المشينة،

يمكن أن نطالع كتابا، يمكن أن نعزف لحنا.

يمكن أن نكون أيضا شيوعيا له مؤلفاته.

يحدثنا الشاعر في الأبيات السابقة مواصلا الخط الفكري الساخر ذاته، مؤكدا على ما تتمتع به بريطانيا بوصفها الحاكمة للبلاد في فلسطين من مقدرة عسكرية كبيرة، لذا ففي ظل هذه المقدرة والقدرة على اليهود أن يصفحوا عن كل عمل مشين ارتكبه العرب ضدهم، لذا فيستطيع كل يهودي أن يطالع كتابًا أو يعزف لحنا ما على آلة من الآلات الموسيقية، بل ويمكن أن يكون أي يهودي شيوعيا يمتلك من المؤلفات ما يسهم به في إحاقة المزيد من الآلام على اليهود الموجودين في الكيبوتسات التعاونية.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

תַּחַת כַּנְפֵי אַלְבִיון מִבַּרְזֶל,
מוצֵא מוּג-הַדַּעַת פְּסוּקו הַמַּתְאִים:
לַקֶּרֶב עִם הָאִמְפֶּרְיָלִיזְם וְעִם
הַמִּילִיטָרִיזְם – וְעוֹד עִם וְעִם... (٤١)

تحت أجنحة بريطانيا الحديدية،

يجد ضعيف الفكر فقرته المناسبة:

للمعركة مع الإمبريالية ومع

العسكرة ـ ومع غيرها وغيرها ...

يواصل الكاتب الحديث بالنغمة الساخرة ذاتها من الاشتراكيين المؤمنين بالفكر الشيوعي الاشتراكي، ففي ظل المقدرة الحديدية التي تمتلكها بريطانيا العظمى، يجد ضعيف الفكر من بين هؤلاء الفقرة المناسبة له، التي تتحدث عن المعركة مع الإمبريالية والمعركة مع العسكرة وغيرها من معارك، فقد نسي أن يشارك في الذود عن الكيبوتس الذي يقيم فيه في ظل ما يؤمن به من مبادئ فقط، حيث يفتقر إلى الخبرة العسكرية التي تمكنه من الدفاع عن نفسه وعن إخوانه من اليهود سكان الكيبوتس.

ينتقل بنا الشاعر قائلا:

לָכֵן כְּדִין גְּדוד שֶׁנֶּעְכָּר מָגִנּוֹ,
לְמִשְׁמַר הָעֶמֶק דְּבַר הַקָּלוֹן:
נָפַלְתְּ בִּכְבוֹדֵךְ בְּתַרְפָּ"ט לַעֲרָב
וְנִגְעַל בָּךְ מָגֵן יִשְׂרָאֵל בְּתַרְצָ"ו. (٤٢)

لذا مثل كتيبة أصيب حاميها بالضيق،

كانت لكيبوتس مشمار هاعيميق كلمة الخزي:

لقد سقطت أيها الكيبوتس في عام ١٩٢٩ أمام العرب

وأبغضك المدافع عن اليهود في عام ١٩٣٦.

يواصل الشاعر في الأبيات السابقة الحديث عن موقف سكان الكيبوتس من الدفاع عنه وعن أنفسهم، فيقول إن الكيبوتس يشبه كتيبة أصيب من يدافع عنها

بالضيق، لذا كان من نصيبها كلمة الخزي: فقد سقط أيها الكيبوتس أمام العرب في أحداث عام ١٩٢٩م، بل وأبغضك المدافع عنك في أحداث عام ١٩٣٦م.

يختتم الشاعر القصيدة قائلا:

וְיַעַן בָּנַיִךְ עָמְדוּ בַּחֲלוֹן
בּוּזִים לַצָּבָא וּ-בְטוּחִים בִּרוֹבָיו,
הֲיִי יְשִׁימוֹן בְּמַפַּת הַמְּדִינָה,
אַל טַל בְּהָרַיִךְ, אַל עֵץ וְאַל טָף!
וְאִישׁ כִּי יִשְׁאַל: לְאָן הַדֶּרֶךְ מוֹלִיךְ?
וְעָנָה הָעוֹנֶה: לְהֶפְקֵר הָעֶמֶק –[٤٣]

ولأن أبناءك وقفوا في الشرفات،

يحتقرون الجيش البريطاني، وواثقين في بنادقه

لا يوجد ندى في جبالك، ولا توجد شجرة ولا أطفال!

والشخص الذي تساءل: إلى أين يؤدي الطريق؟

وورد عليه مجيب: إلى كيبوتس هيفكير هاعيميق (خرابة الوادي).

يطالعنا الشاعر في الأبيات السابقة من القصيدة بالحديث عن أفراد الكيبوتس الذين وقفوا في شرفات منازلهم مثلهم مثل المتفرجين، ينظرون إلى الجيش البريطاني الرأسمالي باحتقار، لكنهم في الوقت نفسه يشعرون بالثقة في بنادقه وأسلحته التي تذود عنهم، وبسبب هذا الفعل الذي يستنكره الشاعر، اختفى الندى من الجبال المحيطة به، بل والأشجار والأطفال صارت أثرا بعد عين بفعل تخاذلهم نتيجة تمسكهم بأفكارهم الاشتراكية الشيوعية البالية، وعندما تجد شخص يسأل إلى أين يؤدي هذه الطريق، يرد عليه من يجيبه قائلا: هذه الطريق تؤدي إلى كيبوتس الوادي المهجور.

يواصل الشاعر في الجزء الثالث عشر من القصيدة ذاتها نقد الفكر الاشتراكي الشيوعي الذي تقوم عليها المستوطنات الزراعية الاشتراكية، فنجده يقول:

הַמְפַקֵּד לְכֹל הַמַּחֲנוֹת בְּצִיּוֹן הָיָה מַרְקְס,
רַבָּן הַיְשִׁישׁ שֶׁל כָּל הַחֲלוּצִים הָעוֹלִים.
אֲבָל בְּיוֹם שֹׁד זָעֲקוּ לַצָּבָא הַנָּכְרִי,
הַפַּטְפְּטָנִים הַגְּדוֹלִים! (٤٤)

كان ماركس(*) قائد كل المعسكرات في صهيون،
السيد الهرم لكل الطليعيين المهاجرين،
لكنهم في يوم السلب استدعوا الجيش الأجنبي
أولئك المثرثرين العظام!

يستعرض الشاعر في الأبيات السابقة موقفه من الاشتراكيين اليهود في فلسطين، فيقول إن قائد كل معسكرات الطليعيين في (أرض فلسطين) كان الفيلسوف الألماني وعالم الاجتماع الألماني "**كارل ماركس**" الذي يصفه بأنه السيد الهرم الطاعن في السن لكل الطليعيين المهاجرين ووصفه بالهرم دلالة على سخرية الشاعر من أفكاره الاشتراكية البالية ـ في نظره ـ ولكن في وقت الشدة عندما تعرضوا للهجوم من العرب استعان الاشتراكيون الثوريون بالجيش البريطاني الرأسمالي الأجنبي، وهم الثوريون الاشتراكيون الذين يصفهم بأنهم حفنة من المثرثرين العظام الذين لا يملكون شيئا في الحياة إلا التلفظ بالكلام العظيم الرنان، لكن ليس لديهم المقدرة على الفعل وصد هجوم الأعداء، حيث تقف قدراتهم عند هذا الحد فقط.

ويواصل كلامه قائلا:

הֵן יָכְלוּ סוֹצְיָלִיסְטִים לִהְיוֹת וְגַם ... גִּבּוֹרִים!
לָצֵאת בְּצִיּוֹן אֲלֵי קְרָב כְּמוֹ קוֹמוּנָרִים!
אֲבָל כְּיוֹשְׁבֵי הַקְּרָנוֹת בְּעֵירוֹת הַגּוֹלָה
הָיוּ בַּחוּרֵי הַקּוֹמוּנָה בְּסִפֵּי שְׁעָרִים. (٤٥)

لقد استطاعوا أن يكونوا اشتراكيين وأيضا ... أبطال!
أن يخرجوا في صهيون إلى معركة مثل أفراد الكوميونة(*)!
لكن كما المتسكعين في بلدات الشتات
كان شبان الكوميونة يقفون على عتبات الأبواب.

يواصل الشاعر حديثه بنبرته الساخرة من الفكر الاشتراكي ومن يعتنقونه، فيقول إنهم استطاعوا أن يعتنقوا الفكر الاشتراكي، وأن يصوروا أنفسهم لمن حولهم في صورة الأبطال، وأن يخرجوا للمشاركة في المعركة ضد العرب بوصفهم أفراد في الكوميونة الاشتراكية، ولكنهم لم يتمكنوا من فعل هذا، فقد كانوا يقفون على أعتاب بوابات مستوطناتهم الاشتراكية شأنهم في ذلك شأن المتسكعين الذين كانوا يتجولون في حواري وأزقة البلدات اليهودية في الشتات.

ويستكمل حديثه قائلا:

עֲרָב הֵן אֵינֶנָּה בֵּיתָ"ר הָרְאוּיָה לִתְבוּסָה
עֲרָב הִיא טוֹבָה מִטִּבְעָהּ, אֲלָא: קְצַת מְשֻׁסָּה.
עִם עַמּוֹ שֶׁל קַנְט לֹא יָכְלְנוּ לָגוּר בְּמַעֲרָב,
אֲבָל נוֹכָל וְנוֹכַל עִם פּוֹעֲלֵי עֲרָב... (٤٦)

العرب ليسوا منظمة بيتار الجديرة بالهزيمة

العرب طيبون بطبيعتهم، ولكن: متحمسون قليلا.

لم نستطع أن نسكن في الغرب مع شعب كانط(*)،

لكننا نستطيع أن نقوم بهذا مع العمال العرب...

يقول الاشتراكيون إن العرب ليسوا منظمة "بيتار" الإجرامية التي تستحق وعن جدارة أن تلقى الهزيمة، فهؤلاء العرب يتسمون بطبيعتهم بالطيبة، لكن الحماسة تأخذهم قليلا، ورغم أننا حاولنا أن نعيش في الغرب مع الشعوب الأوروبية الظالمة التي أذاقت اليهود كل صنوف الاضطهاد والتعذيب والمتمثلة هنا في شعب الفيلسوف الألماني "كانط" إلا إننا لم نتمكن من ذلك، وهنا تكمن قدرتنا في العيش جنبا إلى جنب مع العمال العرب هنا في (أرض فلسطين)...!!!!

يسترسل في كلامه قائلا:

הַגּוֹרָל יְעָדָנוּ לִהְיוֹת שֻׁתָּפִים לְגוֹרָל:
שְׁנֵי הָעַמִּים יִהְיוּ פַּעַם בִּבְרִית הָעָמָל.
וַאֲשֶׁר בֵּינְתַיִם נִשְׁחַט וְנִדְרַס וְנִשְׂרָף,
זֶהוּ הַזֶּבֶל בִּשְׂדֵה הָאַרְגּוּן הַמְּשֻׁתָּף- -(٤٧)

لقد جعلنا القدر شركاء في المصير:

سيكون الشعبان يوما ما في تحالف العمل الكادح.

وفي تلك الأثناء نتعرض للذبح و السحق والحرق،

إن هذه هي القمامة في حقل التنظيم المشترك – –

يستكمل الشاعر حديثه عن موقف الاشتراكيين من العرب، فيقول إن القدر فرض علينا أن نكون نحن والعرب شركاء في المصير نفسه، إذ سيكون الشعبان ذات يوم في تحالف العمل الكادح، أي أن الشعبين سيعيشان يعملان جنبا إلى جنب حسب رؤية الاشتراكيين، وفي تلك الأثناء سنتعرض نحن اليهود لكل ألوان التعذيب من ذبح وسحق وحرق، وكل هذا بسبب القمامة الفكرية المتمثلة فيما ينادي به الاشتراكيون من عيش في شكل تنظيم مشترك.

يختتم الشاعر قصيدته قائلا:

אֵין זֹאת כִּי אֶפְשָׁר לְשַׁנּוֹת מַהֲלַךְ הַיַּרְדֵּן,
אַךְ אֵין לְיַשֵּׁר אֶת הַמֹּחַ אֲשֶׁר הִתְעַקֵּם.
אֶפְשָׁר לַעֲשׂוֹת הַר לְמִישׁוֹר וּבִצָּה לְשִׂדָּה לָחֶם,
אַךְ אֵין לְרַפֵּא סוֹצְיָלִיסְט יְהוּדִי מִתְחַכֵּם. (٤٨)

ومن شبه المؤكد أنه يمكن تغيير مسار نهر الأردن،

لكن لا يمكن تقويم العقل الذي أصابه الإعوجاج

يمكن أن نجعل من الجبل أرضا مستوية ومن المستنقع حقل قمح،

لكن لا يمكن أن نعالج يهودياً اشتراكياً متحذلقاً.

ينهي الشاعر كلامه نافياً كل فكر الاشتراكيين عن الحياة والعيش مع العرب جنبا إلى جنب، حيث سيتمكن اليهود من تغيير مسار نهر الأردن، ولكن قبل أن نقوم بهذا العمل علينا أولا أن نقوم بتقويم العقول اليهودية الاشتراكية التي أصابها نوع من الاعوجاج وعدم الاستقامة في التفكير، ورغم كل شيء سيتمكن اليهود من تحويل الجبل إلى أرض مستوية صالحة للزراعة ومن المستنقع حقلا مثمرا يمنحنا القمح لصنع

الخبز، إلا إننا لن نتمكن أن من علاج شخصاً يهودياً اشتراكياً متحذلقاً مما يؤمن به من أفكار بالية تجلب على اليهود العديد والعديد من الويلات والخراب.

(ب)- يتسحاق لمدان والتمسك بالمشروع الاستيطاني الطليعي في قصيدة "ماسادا":

تأتي قصيدة "مسادا" الدرامية المطولة من بين المؤلفات المهمة للغاية التي وقفت بجوار مهد الاستيطان الصهيوني الوليد في (أرض فلسطين) في مطلع القرن العشرين، إذ كان لهذه القصيدة الملحمية عظيم الأثر في حركات الشباب الصهيونية في فلسطين وخارجها، وقد سميت العديد من الجماعات الطليعية التي تأسست في أوروبا باسم هذه القصيدة، ومن بينهم نواة المؤسسين لكيبوتس "ماسادا" في غور الأردن، يحدثنا الشاعر في مطلع قصيدته التي بعنوان "**التفلة الصلاة** عن المشروع الاستيطاني الصهيوني الطليعي، ويوجه كلامه داعيا إله اليهود أن يقف مع مجموعة من النماذج الموجودة التي تعمل من أجل تحقيق الحلم الصهيوني في هذه المستوطنات الاشتراكية، فنجده يقول ":

לַאֲשֶׁר נִשְׁמְטוּ מִתְּלִיּוֹת-נֵכָר וַיַּעֲלוּ אֶל הַחוֹמָה
כּוֹנֵן צַעֲדָם, נָא, אֱלֹהִים, לְבַל יִמְעֲדוּ, לְבַלִּי יִפֹּלוּ,
כִּי עוֹד כּוֹשְׁלִים הֵם וְעֲיֵפִים!
לַאֲשֶׁר חָשְׁכוּ כָּל הַשְּׁמָשׁוֹת בְּשִׁבְעַת רְקִיעֵי-עוֹלָם-
צְוֵה, אֵל, חֶסֶד שֶׁמֶשׁ מַסָּדָה הָאַחֲרוֹנָה,
כִּי אִם גַּם זֹאת לָמוֹ תֶּחְשַׁךְ – אָנָּה יֵלְכוּ עוֹד וְיָבֹאוּ?
לַאֲשֶׁר חָרְגוּ מֵחִתּוּלֵי דְּגָלִים שֶׁל שִׁבְעִים אֻמּוֹת וְיָבֹאוּ עֵירֵמִים-
תְּנָה נָא, אֵל, כְּתֹנֶת אַחַת אֲשֶׁר תָּחֵם, אֲשֶׁר תְּכַסֶּה
מַעֲרֵמֵיהֶם מִכִּי צְמַרְמֹרֶת...
לַאֲשֶׁר חָלַב-אִמָּם עַל שִׂפְתוֹתֵיהֶם טָרֶם יָבֵשׁ
וְעַל לֶחְיָם עוֹד תַּרְפֵּרְף לְטִיפַת יַד-אָב חַמָּה-
הַקֵּל נָא, אֱלֹהִים, יַתְמוּתָם, הֱיֵה נָא אָב לָהֶם וְשׁוֹמֵר,
תָּכִיל כֹּחַ זְרוֹעָם רַכָּה הַחֲזֵק בְּמָגֵן כָּבֵד, מֵעִיק,
רַכֵּךְ סַלְעֵי- מַסָּדָה קָשִׁים לִמְרַאֲשׁוֹתֵיהֶם כִּי יִיעָפוּ!
לַאֲשֶׁר בְּדִמְעָה זָרְעוּ פֹּה זֶרַע נָפֶשׁ וַחֲלוֹמוֹת-
אַל יַכֶּהוּ בְּרַד הַיָּגוֹן, אַל יְיַבְּשׁוּהוּ חַמְסִינֵי-פִּתְאֹם,
צְוֵה, אֵל, גִּשְׁמֵי נְחָמָה רַבִּים וְיַפְרֵהוּ טַל בַּלֵּילוֹת
עֲדֵי יָנוּב לְקָצִיר שְׁלוּמִים!

לַאֲשֶׁר מֵהִתְפַּלְּשׁוּתָם לַחוֹמָה עָלוּ, אֵפֶר-חֻרְבָּן עֲלֵי רֹאשָׁם
וְשַׁקֵּי-אֵבֶל בְּמָתְנֵיהֶם, לִכְבֹּשׁ תַּנְחוּמִים בִּקְרֶב מַסָּדָה-
הַאֲרֵךְ רוּחָם נָא, אֱלֹהִים, הַאֲרֵךְ רוּחָם בְּאַחֵר תַּנְחוּמִים! (٤٩)

لمن نجا من مقاصل الغربة وصعد إلى الحصن

سدد اللهم خطاهم حتى لا تزل أقدامهم فلا يسقطون،

لأنهم لايزالون ضعافًا متعبين!

ولمن اظلمت كل الشموس في سبع سموات العالم في وجههم-

أصدر اللهم الأمر إلى نعمة شمس ماسادا الأخيرة،

لأنه إذا أظلمت هي الأخرى في وجوههم، إلى أين يذهبون ويأتون؟

ولمن تخلصوا من كساء رايات سبعين أمة وجاءوا عرايا-

امنحهم يا إلهي قميصا واحدا يدفئهم ويكسو

عوراتهم التي أصابتها القشعريرة....

ولمن لم يجف حليب أمهاتهم من فوق شفاههم بعد

ولاتزال ملاطفة يد أب دافئة تتراقص على وجناتهم-

خفف اللهم عنهم يُتْمهم، وكن لهم أبا وحارسا،

اجعل قوة ذراعهم الضعيفة قادرة على الإمساك بدرع ثقيل، منهِك،

أَلِن صخور ماسادا الصلبة تحت رؤوسهم حتى لا يتعبوا!

ولمن زرع بالدمع هنا حياة وأحلاما-

لا ينزل به بَرَد الحزن، وتصيبه رياح خماسين مفاجئة بالجفاف،

أصدر اللهم الأمر لفيض أمطار المواساة فيينع ثمره بندى الليالي

حتى يثمر ويحصد الجزاء!

ولمن صعدوا إلى الحصن، يعلو رؤوسهم رماد الخراب

ومسوح الحداد(٥٠) حول حَقَوَيْهِم لحفظ التعازي في معركة الماسادا

أطل اللهم عمرهم، أطل عمرهم بتأخير التعازي.

يستعرض الشاعر في الأبيات السابقة أنماط المزارعين الاشتراكيين الذين جاءوا من كل حدب وصوب إلى (أرض فلسطين) ليحققوا فيها الحلم الصهيوني بإقامة دولة تضم يهود العالم كافة، فيبدأ في مناجاة ربه داعيا إياه أن يرعى هذه النماذج من اليهود، فكان النموذج الأول هم اليهود الذين غابت واظلمت شموس الدنيا كلها في وجههم، ولا سبيل إليهم سوى ماسادا حيث (أرض فلسطين) فهي الملجأ والملاذ، ولا يوجد لديهم مكان آخر يذهبون إليه لو صدت في وجههم بابها.

أما النموذج الثاني فهم اليهود الذين تخلصوا من التعرض للقتل في بلاد الشتات والغربة وهاجروا إلى (أرض فلسطين) فيدعو ربه أن يسدد خطاهم؛ لأنهم لايزالون مرهقين ومتعبين من عناء الرحلة وشقائها، حتى لا يسقطون ويصيبهم اليأس فيرحلون مرة أخرى عن (أرض فلسطين) وبذلك يخسر المشروع الصهيوني الإحلالي أهم عناصره وهو القوة البشرية.

أما النموذج الثالث فهم اليهود الفقراء الذين جاءوا عرايا إلى (أرض فلسطين) لا يكسوهم شيء، حيث تخلصوا مما كانوا يملكونه في البلدان الغريبة التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها، فيدعو ربه أن يكسوهم قميصًا يشبه قميص يوسف عليه السلام بما يتميز به من فخامة، يعوضهم عما عانوه في الشتات والغربة، وهنا القميص يرمز للمكاسب المادية التي يمكن أن تمنحها المستوطنة الاشتراكية لأعضائها، إذ يتساوى الجميع في الحصول على المميزات ذاتها.

أما النموذج الرابع فهم الأطفال اليتامى الرضع الذين فقدوا آباءهم ولايزال أثر حليب أمهاتهم على شفاههم، ولاتزال مداعبة وملاطفة حانية دافئة من يد والدهم تتراقص على وجناتهم، خفف يا إلهي من حدة شعورهم باليتم، وكن أنت لهم الوالد والحارس، وادفع بالقوة في ذراعهم الضعيفة لتصبح قادرة على الإمساك بدرع ثقيل يصيبهم بالإنهاك، واجعل هؤلاء الشبان والشابات من الطليعيين الذين يعيشون في المستوطنات الطليعية قادرين على تحطيم الصخور، واجعل يا إلهي الصخور لينة

تحت رؤوسهم حتى لا يشعروا بالتعب والإرهاق ويستطيعون حمل راية الاستيطان وتحقيق الحلم الصهيوني المنشود.

بينما النموذج الخامس فيأتي متمثلا في هؤلاء الذين زرعوا بدموعهم حياة وأحلاما في (أرض فلسطين)، اللهم لا تنزل بهم بَرَد الحزن والألم وامنع عنهم رياح الخماسين المفاجئة التي تصيب حقولهم التي زرعوها ورووها بدموعهم من أن يصيبها الجفاف، واصدر يا إلهي أمرك إلى فيض أمطار لتسقط عليهم تواسيهم من ناحية وتسقي زرعهم من ناحية أخرى، ليينع ثمار هذه الحقول بندى الليالي، وتثمر فيستطيع كل شاب وشابة من الطليعيين أن يجني ثمرة عمله التعاوني الكادح.

أما آخر النماذج التي يتحدث عنها فهم الشباب الطليعي المحارب الذين جاءوا من كل بقاع أوروبا إلى (أرض فلسطين) ولايزال رماد خراب الهيكل عالقا برؤوسهم، بل ولايزالون يتمنطقون بمسوح الحداد لكي يحفظوا التعازي في معركتهم التي جاءوا من أجلها والمتجسدة في تحقيق الحلم الاستيطاني الصهيوني الإحلالي في فلسطين، ويختم مناجاته لربه أن يطيل عمرهم لكي يستطيعون تحقيق هذا الحلم، وإطالة عمرهم لن تأتي إلا بتأخير التعازي؛ أي تأخر قبض أرواح هؤلاء الشبان والشابات من الطليعيين الاشتراكيين حتى يتمكنوا من رؤية حلمهم واقع أمامهم على الأرض.

(ج)– أشعار ناتان ألترمان ونظرتها إلى الكيبوتس:

عدّ ناتان ألترمان بأنه شاعر المدينة اليهودية الأولى (تل أبيب) وعاشقها، فنراه يمتدح أعجوبة الفكرة الكيبوتسية وتحققها في جميع أشعاره، فنجد أن نظرة ألترمان المحبة للكيبوتس نظرة متفردة في الشعر العبري الحديث، رغم أنها نظرة من خارج الكيبوتس الذي لم يعش فيه يوما. تجسد الاتصال الحقيقي لألترمان بحياة الكيبوتس في منظومة علاقاته بأخته "**ليئه لاهاف ــ لאה להב**" التي كانت أحد مؤسسي كيبوتس "**תל עמל ــ تل عامال**" التي صارت فيما بعد " **ניר דוד(*) ــ نير دافيد**"، وهي أول مستوطنة جماعية من المستوطنات المعروفة باسم "السور والبرج"، وصارت رمزًا لهذا

النوع من المستوطنات. وقدد خصص ألترمان لهذا الحدث، وبشكل غير مباشر لأخته، قصيدة بعنوان "**המגדל הראשון– البرج الأول**" التي يقول فيها:

בְּהָרֵי הַגִּלְבּוֹעַ חָרוֹן יֵעָשֵׂן
וּבְעַרְבַת הַקְּלָלָה עָלַי בְּאֵר לִי.
תֵּל-עָמָל, דַּבְּרִי שִׁיר
בְּלֵילוֹת בֵּית-שְׁאָן,
בְּלֵילוֹת עֲרָבָה שִׁיר דַּבֵּרִי.
הַמִּגְדָּל הָרִאשׁוֹן אֶת הַנֶּדֶר נָדַר,
עֵת חֲרַגְתְּ חֲמוּשָׁה וּמוּנָפֶת,
לַעֲמֹד מוּל הָרִים שֶׁאָמְרוּ "אַל מָטָר"
וְצָרִים שֶׁהִגִּידוּ – "אַל נָפֶשׁ". (٥١)

في جبال جلبواع يتعالى دخان الحنق
وفي صحراء اللعنة اصعد يا بئر لي.
يا تل عامال انشدي غناء
في ليالي بيت شان
في ليالي الصحراء انشدي غناء
لقد نذر نذرا بالبرج الأول،
وقتما خرجت مسلحة متمايلة
للوقوف أمام الجبال التي قالت "لا مطر"
وأعداء قالوا: "لا روح هنا".

يمزج ألترمان في الأبيات السابقة إشارات مقرائية من ثلاثة أجيال ومن ثلاث فترات رئيسية في تاريخ استيطان بني إسرائيل في أرض كنعان: في مرحلة ما قبل احتلال كنعان (مرحلة البرية)، مرحلة الاستيطان والحرب من أجل الوجود أمام الأعداء في كنعان من الشعوب الأخرى (مرحلة القضاة)، وفي فترة بداية الملكية (مرحلة شاؤول)، ونجد هنا أن ألترمان يحيد في قصيدته عن الترتيب الزمني لهذه الفترات، فيستهل كلامه بعصر نبي الله داوود في بداية ملكه وينتهي بالنهاية المأساوية الخاصة

بشاؤول وابنه في بيت شان وبدعاء اللعنة الذي دعاه سيدنا داوود عليه السلام عليهما، "**يَا جِبَالَ جِلْبُوعَ لاَ يَكُنْ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْكُنَّ، وَلاَ حُقُولُ تَقْدِمَاتٍ، لأَنَّهُ هُنَاكَ طُرِحَ مِجَنُّ الْجَبَابِرَةِ، مِجَنُّ شَاوُلَ بِلاَ مَسْحٍ بِالدُّهْنِ**"(٥٢)، وكل هذه الأمور مجسدة في البيت الافتتاحي: " **في جبال جلبواع يتعالى دخان الحنق / وفي صحراء اللعنة اصعد يا بئر لي./ يا تل عامال انشدي غناء / في ليالي بيت شان / في ليالي الصحراء انشدي غناء**". وهنا نجد أن إزالة لعنة داوود على المنطقة تستند إلى أنشودة البئر التي أنشدها بنو إسرائيل في البرية: "**حِينَئِذٍ تَرَنَّمَ إِسْرَائِيلُ بِهذَا النَّشِيدِ: «اِصْعَدِي أَيَّتُهَا الْبِئْرُ! أَجِيبُوا لَهَا .بِئْرٌ حَفَرَهَا رُؤَسَاءُ، حَفَرَهَا شُرَفَاءُ الشَّعْبِ، بِصَوْلَجَانٍ، بِعِصِيِّهِمْ». وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى مَتَّانَةَ**"(٥٣). هكذا يساوي ألترمان بين مؤسسي كيبوتس "**تل عامال**" وشرفاء بني إسرائيل، الذين أحدثوا باستيطانهم معجزات مثل عصا الرب التي كانت في حوزة موسى وهارون عليهما السلام في قصة الخروج من مصر وفي رحلة التيه في البرية. أما البرج الموجود في الكيبوتس فقد نظر إليه الشاعر على أنه إيذانا بحرب دفاعية ضد تلك الجبال الملعونة. أما المطر والبشر التي تم منعها من هذه المناطق فقد عادوا، وصارت اللعنة بركة.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

תֵּל-עָמָל, תֵּל-עָמָל, תֵּל-עָמָל,
רִאשׁוֹנָה לְחוֹמָה וּמִגְדָּל,
תְּבָרְכִי, תֵּל-עָמָל,
בְּמָטָר וּבְטַל,
בְּדָגָה עֲלֵי גַל, תֵּל-עָמָל,
בְּדָגָן לַמַּגָּל, תֵּל-עָמָל,
בִּנְעוּרִים לַמִּגְדָּל,
תֵּל-עָמָל! (٥٤)

تل عامال، تل عامال، تل عامال،
أول كيبوتس للبرج والسور،
فلتكوني مباركة يا تل عامال

بالمطر وبالطل

وبالأسماك فوق موج البحر يا تل عامال

وسنابل القمح للمنجل يا تل عامال

وبالشبيبة للسور،

يا تل عامال.

يتحدث الشاعر في الأبيات السابقة مستكملا حديثه عن البركة التي ستحل على هذا الكيبوتس، فالأسماك وسنابل القمح والشبيبة كلها فضلا عن الطل والمطر كلها بركة على هذا الكيبوتس، وعلى الرغم من حداثة هذا الكيبوتس وصغر حجمه، إلا أن قوته شديدة يمكنها أن تغير وجه القدر والواقع، سواء ضد قوى الطبيعة المتمثلة في الجبال، أو ضد البشر المتمثلين في الأعداء.

يختم الشاعر كلامه في القصيدة قائلا:

בִּנְעוּרִים לְמִגְדָּל,
תֵּל-עָמָל!
מִמָּצוֹר אֶל מֶרְחָב, מֵחָדָשׁ אֶל נוֹשָׁן,
אַתְּ עוֹלָה בְּרִסּוּק אֲזִיקִים,
בְּהִבָּהוּב מַחֲרֵשׁוֹת, בְּתַלְמֵי חֲרִישָׁן
עִם פְּלָגַיִךְ בָּאוֹר וּבַמַּיִם.
כִּי בָּאֹמֶן קוֹלֵךְ וּבַכֹּחַ קוֹלֵךְ
וְאֶחָד בְּיִעוּד וּבְפֶרֶךְ.
תֵּל-עָמָל, תֵּל-עָמָל, מְאֻשָּׁר הַהוֹלֵךְ
הָרוֹאָה גַּגוֹתַיִךְ מִדָּרֶךְ. (٥٥)

بالشبيبة للسور،

يا تل عامال!

من الضيق إلى الرحابة، من الجديد إلى القديم،

لتصعد في أغلال محطمة،

على ضوء وميض المحاريث، في أخاديدها

مع أغاديرك في الضوء وفي الماء.

لأنه بثقة صوتك وبقوة صوتك

وصوتك واحد في الهدف وفي المشقة.

يا تل عامال، يا تل عامال، سعيد من يسير

ويشاهد أسقفك من الطريق.

يختتم ألترمان قصيدته موجها كلامه إلى الكيبوتس موصيا إياه أن يحتفظ بالشبيبة للوقوف على السور للحراسة، فبمقدورك أيها الكيبوتس أن تنطلق في المساحة من الضيق إلى الرحابة، وتضفي على كل شيء جديد هنا صفة القِدم لأنه من ممتلكاتنا قيل كل شيء، فلتقم بذلك أيها الكيبوتس محطما أي أغلال تقيدك، في ظل وميض المحاريث وفيما تخلقه من أخاديد في الأرض بفضل الحراثة عن طريق ما تمتلكه من أغادير الماء بالضوء والمياه، لأن بفضل صوتك الواثق والقوي والواحد في الهدف وفي الخنوع، ويختم كلامه قائلا: يبكون سعيدا كل من يسير ويشاهد أسقفك من الطريق يا كيبوتس تل عامال!!!.

يطالعنا ألترمان في قصيدة أخرى بعنوان "**צריף בנגב– כוך في النقب**"، التي نظمها في أعقاب زيارته لمستوطنة "**כפר דרום – كفار داروم**"(*) بعد عملية إقامة النقاط الإحدى عشرة الاستيطانية في النقب، والذي يتحدث فيها عن الاستيطان الكيبوتسي في النقب، إذ يقول:

יוֹם חֹשֶׁךְ וַיְהִי עֶרֶב. יָרֵחַ נִדְלַק,
מִתְנַכֵּר וְרַע-עַיִן, מוּל אֶרֶץ סִינַי.
וַאֲנַחְנוּ נִכְנַסְנוּ לַצְּרִיף הַדַּק,
שֶׁבָּרוּחַ רַעַד כְּמוֹ חַי. (٥٦)

حدث ذات مساء يوم مظلم، أضاء قمر

غريب وحسود، أمام أرض سيناء.

ودخلنا إلى الكوخ الهزيل

الذي ارتعد بفعل الرياح كما الإنسان.

يصف الشاعر في الأبيات السابقة أحد الأكواخ التي أقامها المستوطنون في إحدى النقاط المزمع تحويلها إلى كيبوتس في النقب، فيقول في مساء يوم مظلم يضيئه قمر غريب الشكل ينظر إلى اليهود بنظرة حسد في مقابل أرض سيناء التي تتبع المصريين، فدخلنا إلى أحد الأكواخ الهزيلة المتواضعة التي كانت أركانه تهتز ارتعادا مثل إنسان حي ترتعد فرائصه.

يستكمل حديثه قائلا:

בְּבוֹאֵנוּ רָאִינוּ בַּצְּרִיף נַעֲרָה,
הִיא בְּסֵפֶר קָרְאָה. לָהּ צַמָּה וְסִנָּר.
וְרַק עֹבִי שֶׁל קֶרֶשׁ בֵּין צְחוֹר סִנָּרָהּ
וּבֵין לֵיל הַגּוֹפְרִית וְחוּקַת הַמִּדְבָּר. (٥٧)

عند قدومنا رأينا في الكوخ فتاة
كانت تطالع كتابا. لديها جديلة شعر وترتدي مريولاً.
وتفصل فقط عصا خشبية غليظة بين بياض قبعتها
وبين ليل الكبريت وطبيعة الصحراء.

يستكمل الشاعر حديثه عما رآه في الكوخ، فيقول عند قدومنا رأينا فتاة كانت تطالع أحد الكتب وهي "**حنا كرايتنر**"(*) التي صارت فيما بعد زوجة للجغرافي وباحث المستوطنات "**تفتالي تيلمان**"(**)، ويبدأ في وصف مظهرها الخارجي، فيقول إن تضفر شعرها في جديلة وتعتمر قبعة نسائية فوقه، والفاصل في المكان بين بياض القبعة التي ترتديها وبين الليل المصفر والصحراء في ذلك الموقف عصا خشبية غليظة تغلق بها باب الكوخ.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

רַק אַחַר שֶׁיָּצָאנוּ לָשׁוּב לַמְּכוֹנִית
הִזְכִּירָנוּ הַשַּׁחַק עָצוּם הַכַּפָּה
כִּי עָבַרְנוּ עַל פְּנֵי הָעֲמָדָה הַקִּדְמִית
אֲשֶׁר נָפַשׁ הָעַם בְּכַפָּה... (٥٨)

وفقط بعد أن خرجنا لنعود إلى السيارة

ذكرتنا السماء ذات الأفق الضخم

أننا مررنا على الموقع الأمامي

الذي روح الشعب في يده...

يستكمل الشاعر أحداث زيارته للكوخ فيقول إنه هو ورفاقه بعد أن عادوا إلى السيارة التي تقلهم ذكرتهم السماء الواسعة التي مروا بها أنهم مروا بالموقع الأمامي ويقصد به هنا الموقع الموجود به الكوخ على تخوم الحدود مع صحراء سيناء، هذا الكوخ الذي يمثل في نظره قيمة يهودية بطولية، وهو الموقع الذي لا يزال يحتل مكانة مهمة في نفوس اليهود منذ خروج موسى من مصر وحتى اليوم.

يواصل الشاعر كلامه قائلا:

... אַךְ נוֹדָה: לֹא קוֹנְגְרֶס צִיּוֹנִי, אֲדוֹנִים,
וְאַף לֹא הַסוֹכְנוּת, כַּמּוּבָן,
לֹא הָיוּ נִחְשָׁבִים לְגוֹרֵם מְדִינִי,
בִּלְעֲדֶיהָ וּבְלִי סְנָרָה הַלְּבָן. (٥٩)

...لكننا نعترف: لا المؤتمر الصهيوني، يا سادتي،

ولا حتى الوكالة اليهودية، بالطبع

كانا سيعدان عنصراً سياسياً،

بدونها وبدون مريولها.

بعد مرور عدة أيام على عملية النقاط الاستيطانية في النقب، انعقد في بازل المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين، وتحدث أعضاء المؤتمر عن الإنجازات العديدة التي حققها اليهود إبَّان فترة الحرب، وفي مقدمتها التسلل إلى النقب واستيطانه في عملية خاطفة، ولكن أشير إلى أن "**الصندوق القومي**" يعمل بطريقة مقيدة ويحتاج إلى المزيد من الوسائل لتنفيذ هذه المهمة الضخمة. وقد رأى المشاركون في المؤتمر بشكل واضح أن المهمة لم تكتمل؛ لأن كل كيلومتر مربع يتم تسجيله في "**الصندوق القومي**" يدعم الاستيطان في فلسطين، ويجب أن يتم إحاطته بالمزيد من السهول والهضاب، ولذا يرد ألترمان على ذلك في الأبيات السابقة بأن المؤتمر الصهيوني ولا حتى الوكالة

اليهودية لم يكونا سيحظيان بدورهما السياسي بدون الفتاة الموجودة في هذا الكوخ وبدون مريولها أو قبعتها البيضاء التي تعتمرها والتي ترمز إلى الطهارة والنقاء.

يختتم الشاعر كلامه قائلا:

גַּם לְלוֹנְדוֹן הָיָה בַּמִּזְרָח הַתֵּיכוֹן
קַל יוֹתֵר, לְלֹא הִיא וְסִפְרָה שֶׁצָּנַח.
עֵת רָאשֵׁי מֶמְשָׁלוֹת עוֹצְמִים עַיִן לִישׁן,
אוֹר חַדְרָהּ מְשַׁנֶּה אֶת מַפַּת הַמִּזְרָח. (٦٠)

كان للندن في الشرق الأوسط،

الأمر سهل أيضا بدونها وبدون كتابها الذي ظهر فجأة.

وقتما كان رؤساء حكومات يغلقون أعينهم لينامو،

نور غرفتها يغير خارطة الشرق.

يختتم الشاعر أبيات قصيدته بأن لندن كانت تتصرف بشكل يسير وسهل للغاية في الشرق الأوسط، بدون هذه الفتاة التي تقطن الكوخ وبدون كتابها الذي ظهر فجأة في يدها، كل هذا في الوقت الذي كان فيه رؤساء الحكومات يغطون في نوم عميق، كان نور غرفة هذه الفتاة يضفي تغييرا جديدا على خارطة الشرق كاملة.

الخاتمة والاستنتاجات:

١- أن الانطلاقة الاولى للمستوطنات التعاونية الاشتراكية كانت في فترة موجة الهجرة الصهيونية الثانية، بينما كانت البداية الحقيقية لها إبَّان موجة الهجرة الصهيونية الثالثة، والسبب في ذلك هو أعضاء كلتا الموجتين هم ممن يحملون لواء الفكر الاشتراكي، والمشبعين بالأفكار الاشتراكية ويؤمنون بها إيمانا تاما.

٢- تفاوتت رؤى شعراء الهجرة الثالثة للأنماط الاستيطانية الجديدة، فنجد جرينبرج وقد شنَّ نقدا حادا على أعضاء الكيبوتس الذين أظهروا تقهقرا وعد صد للهجمات العربية عليهم، بينما جاء لمدان ليؤكد من خلال قصيدته الدرامية المطولة على قيمة الانتظام داخل إطار تعاوني اشتراكي يضم شتات المهاجرين الطليعيين الجدد،

وفي النهاية نجد ألترمان أكثر هؤلاء الشعراء نتاجا شعريا يتناول الأنماط الاستيطانية الجديدة, والكيبوتس على وجه الخصوص، فرؤيته تناولت بالتمجيد والتعظيم، بل ونادى بتشجيع هذا النمط الاستيطاني .

الهوامش:

(١) جمال عبد السميع الشاذلي و نجلاء رأفت سالم. القصة العبرية مراحلها وقضاياها، ط٢، الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٠م ص١٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٧.

(٣) تكوين(١٥:١٨).

(٤) موشيه نجمان: هو من أشهر حاخامات الأرثوذكس الصهيونية الدينية الذي أضفى على "أرض فلسطين" طابعًا من القداسة واعتبرها "مركز العالم. للمزيد انظر أحمد سعيد دحلان. الصراع الديموغرافي الإسرائيلي _ الفلسطيني في مدينة القدس – دراسة جيوبوليتية – مجلة جامعة الأزهر في غزة ، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد ١٥، العدد ١، ٢٠١٣، ص١٦٧.

(٥) رشاد عبدالله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٩٤، ص ص ٥٨–٨٧.

(٦) كوك: هو الحاخام "افراهام يتسحاق هكاهان كوك(١٨٦٥-١٩٣٥) وهو بالإضافة إلى ذلك زعيم صهيوني ديني وأول حاخام لليهود الأشكنازيين في فلسطين ولد في (لاتفيا) وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٤م تمسك بالصهيونية واضفى عليها مغزى ديني ولهذا السبب انتقده الاصوليون اليهود المتطرفون بشدة، حاول تقريب العلمانيين من الدين ومن القيم اليهودية، أسس في القدس المعهد الديني المسمى " ميركاز هاراف" أي (مركز الحاخام) عرف ايضا بتبحره في علوم التصوف. كتب تفسيرا فلسفيًا لكتاب الصلوات، وقد سميت احدى المستعمرات الزراعية (كفار أفرهام هكاهان) على اسمه، كما سميت جائزة في الأدب الديني على اسمه من قبل بلدية تل ابيب. يائير شيلج. المتدينون الجدد في إسرائيل، ترجمة وتعليق د. يحيى محمد عبدالله إسماعيل، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٤١)، مركز الدراسات الشرقية ، القاهرة، ٢٠١٠م ، ص ٦٥.

(٧) אבי נורי, שלמה. הרעיון הציוני לגוניו, שלמה אבינרי, הרעיון הציוני לגוניו, פרקים בתולדות המחשבה הלאומית היהודית, פרק 17: הרב קוק -הדיאלקטיקה של הגאולה, ספר אפקים, עם עובד, תל אביב, 1981, עמי 219-218.

(٨) محمد أحمد صالح. الكيبوتس في المسرحية العبرية ، رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م، ص٤.

(٩) זלי גורביץ, גדעון ארן. על המוקם, אנתרופולוגיה ישראלית, אלפיים, קובץ4, עם עובד, תל אביב,1991, עמ'21.

(10) Lilienthal Alfred M. The Other Side Of The Coin, London, 1965, p.33.

(١١) زين العابدين محمود أبو خضرة. تاريخ الادب العبري الحديث، (د.ن)، القاهرة، ٢٠٠٢م. ص١٨١.

(١٢) أسامة عبد الحق. دولة الدم والإرهاب، وثائق الاستيطان الصهيوني وجرائم المستوطنين في إسرائيل، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٦٧.

(١٣) אופז, גד. בין 'הלכה' ל'אגדה' ובין 'דרך' ל'חיים' בהתיישבות הקיבוצית, קתדרה, (58), דצמבר 1990. עמ' 113.

(١٤) زين العابدين محمود حسن. الكيبوتس بين المثالية والواقع في القصة القصيرة عند أهارون ميجيد، (د.ن)، القاهرة ، ١٩٩٤م، ص ٥٣.

(١٥) إبراهيم البحراوي. جدل الخيارات اليهودية في ملحمة ماساداه ليتسحاق لمدان، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٣.

(١٦) نجلاء رأفت أحمد. الاستيطان ومشاكله في القصة القصيرة عند إسحاق سنهار. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ص ٤-٥.

(١٧) عبد الوهاب المسيري. الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الاقصى، القاهرة، دار الشروق ، ١٩٩٩م . ص ١٩١.

(١٨) شكري عبد الوهاب . المسرح اليهودي ، سنوات في خدمة الصهيونية العالمية، (د،ن)، (د.م) ،١٩٩٩م، ص ٣٤.

(١٩) מלמד, אריאנה. אני לבד בעיר הגדולה, ידיעות אחרונות, 19. 07. 2008.

(٢٠) סעיף א1 בתקנות האגודות השיתופיות (חברות), 1973.
http://www.moital.gov.il/NR/exeres/B1D5D7E7-93EE-4C82-9E53-AF35C11AE372.htm

(21) Bettelheim, Bruno. The children of the dream, Macmillian company, London,1969, P23.

(٢٢) عبدالرحمن أبو عرفة. الاستيطان الصهيوني التطبيقي العملي للصهيونية، دراسة في الاستيطان اليهودي في فلسطين خلال القرن الاخير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨١م، ص١٧٢.

(*) أليعازر يافيه: خبير زراعي، وأحد طلائعي الهجرة الثانية، وهو الذي فكر بإضافة الاستيطان العمالي، وأحد مؤسسي (نهلال) أقدم المستوطنات العمالية، ولد في صربيا عام ١٨٨٢م، ودرس في الولايات المتحدة أساليب الزراعة الحديثة، حضر إلى فلسطين عام ١٩٠٢م وتوفي عام ١٩٤٢م. للمزيد انظر: שפירא, יוסף. עשרים שנים למות אליעזר יפה, דבר, 27. 09. 1962.

(٢٣) גבע, ישי. ראשיתו של מושב עובדים, עיונים בתקומת ישראל, (1), 1991, עמ' 463 – 464.

(**) ولد في ليتوانيا في عام ١٨٨٠م. هاجر إلى فلسطين العام ١٩٠٨م. من أوائل مهاجري الهجرة الثانية. عمل في مجال التخطيط الزراعي وكان من مصممي حركة الاستيطان الزراعي في فلسطين في مطلع القرن العشرين. أنشأ مزرعة ومحطة زراعية تجريبية في بن شيمين ثم نقلها عام ١٩٢٧م إلى رحوفوت وتحمل اسمه حتى اليوم (معهد فولكاني للابحاث الزراعية). وأُقيم على اسمه موشاف بيت العزاري. توفي عام ١٩٥٥م. للمزيد انظر: קולת, ישראל. "יצחק וילקנסקי (וולקני), ממניחי היסוד של חקלאות יהודית מודרנית בא"י, סקירה חודשית: ירחון לקציני צה"ל, 27, 10 (1980), 27–39.

(٢٤) גבע, ישי. ראשיתו של מושב עובדים, שם, עמ' 468 – 469.

(٢٥) אידן, רינה. מנהלל לכפר-יהושע : התפתחות רעיון מושב העובדים ויישומו בשנות ה-20 בעמק יזרעאל בתוך: מרדכי נאור (עורך). עמק יזרעאל, 1900-1967: מקורות, סיכומים, פרשיות נבחרות וחומר עזר, ת"א" יד יצחק בן צבי, 1993. עמ' 65.

(٢٦) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية، درا الكتب، القاهرة، ١٩٧٥م.، ص ص ٣٨٦–٣٨٧.

(٢٧) إسماعيل أحمد ياغي. الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، ط١، مكتبة العبيكان, الرياض، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨.

(28) Evron.B. Jewish State or Israeli Nation, Indiana University Press, Blooming, Indianapolis, 1995,p.p53-60.

(٢٩) دوريس بن سيمون وأجلال إريرا. اسرائيل وشعوبها، ترجمة نعيمة شومان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م،، ص ٦٣.

(٣٠) منير محمود. إسرائيل بين الحقائق والاكاذيب، رؤية موضوعية وتحليلية، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٠٠.

(٣١) مرخاي نائور. الصهيونية في مائة عام (١٨٩٧-١٩٩٦)، ترجمة عمرو زكريا خليل، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠١٣م.، ص ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٣٢) عبد الفتاح محمد ماضي. الدين والسياسة في إسرائيل : دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٦٦.

(٣٣) فوزي محمد طايل، النظام السياسي في إسرائيل، ط٢، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٩٢، ص ص ١٤٤-١٤٥.

(٣٤) دوريس بن سيمون وإجلال إريرا، . اسرائيل وشعوبها ، ص ٦٦.

(٣٥) نجلاء رأفت سالم. الاستيطان ومشاكله في الأدب العبري الحديث، ص ص ٨-٩.

(٣٦) שלמה גזית, פתאים במלכודת 30 שנה מדיניות ישראל ביטחים, תל אביב, זמורה – ביתן , 1999, עמ"63.

(٣٧) حسن ظاظا وآخرون : الصهيونية العالمية وإسرائيل ، الهيئة العامة للكتب والاجهزة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧١، ص١٢٧.

(٣٨) منة الله زين العابدين محمود. الانتحار الجماعي وانعكاساته في الشعر العبري الحديث، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ٢٠١١، ص ١١٣.

(*)كيبوتس يقع على أطراف مرج بني عامر، ويقع على طريق حيفا ـ مجدو. تأسس الكيبوتس عام ١٩٢٦م بواسطة حركة "هاشومير هاتساعير" وكانت أول مستوطنة تعاونية زراعية تقام في هذه المنطقة، وضمت أول مؤسسة تعليمية تابعة لحركة "هاشومير هاتساعير"، وتم غرس الكثير من الأشجار في المنطقة المحيطة بالمستوطنة حتى صارت شبه غابة صغيرة تحولت مع مرور الأيام إلى موقع لتدريب أفراد عصابات البالماح. للمزيد حول الكيبوتس وتاريخه انظر: בארי, ישעיהו. הקיבוץ שלי: משמר העמק, משמר העמק, 1992.

(٣٩) גרינברג, אורי צבי. ספר הקטרוג והאמונה, ג, הוצאת סדן , ירושלים, 1990. עמ' 153.

(٤٠) שם. עמ' 153.

(٤١) שם. עמ' 153.

(٤٢) שם. עמ' 153.

(٤٣) שם. עמ' 153.

(٤٤) שם. עמ' 153.

(*)كارل هانريك ماركس: فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري. لعبت أفكاره دورًا مهما في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. ويعتبر

ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ. للمزيد أنظر: היילברונר, רוברט. הפילוסופים הארציים :חייהם, ימיהם ורעיונותיהם של הוגי הכלכלה הגדולים, ת"א: שלם, 2011.

(٤٥) גרינברג, אורי צבי. ספר הקטרוג והאמונה, שם. עמ' 153.

(*)الكوميونة: مجتمع به مجموعة من الأفراد يعيشون مع بعضهم البعض لهم اهتمامات مشتركة، يتشاركون الملكية والممتلكات والموارد وفي بعض الكوميونات العمل والدخل. بالإضافة للاقتصاد الجماعي تحقق الكوميونة النظام الذاتى زراعيا وصناعيا وتصدر فائض انتاجها للدولة، هناك إجماع في اتخاذ القرار، والبِنيات لَيست هَرَمِية والحَياة بِشَكل بِيئي أصبح واحدا من أهم المبادئ الأساسية. للمزيد أنظر: الكوميونه עובד, יעקב. מאתיים שנות קומונה בארצות הברית, ת"א: יד טבנקין/הקיבוץ המאוחד, 1986.

(٤٦) גרינברג, אורי צבי. ספר הקטרוג והאמונה, שם. עמ' 154.

(*)إيمانويل كانط: فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر. عاش كل حياته في مدينة كونجسبرج في مملكة بروسيا. كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية. للمزيد أنظر: שאר-ישוב, אהרון. קאנט והפילוסופיה היהודית, על השפעתו של קאנט על פילוסופים יהודים, ת"א: הגות. 1995.

(٤٧) גרינברג, אורי צבי. ספר הקטרוג והאמונה, שם. עמ' 154.

(٤٨) שם. עמ' 154.

(١)

(١) التكوين: ٣٧/ ٣٤ "فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقَوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً".

(*)مستوطنة أقيمت في عام ١٩٣٦ تحت اسم "تل عامال" كانت من أول المستوطنات في سلسلة مستوطنات "السور والبرج" وأول كيبوتس في وادي بيت شان. وقد تغير اسمها إلى نير دافيد عام ١٩٣٧م تخليدا لذكرى دافيد ولفسون ثاني رؤساء المنظمة الصهيونية العالمية. للمزيد انظر الموقع الألكتروني للمستوطنة على شبكة المعلومات الدولية:

http://www.galil-net.org.il/HTMLs/article.aspx?C2004=13375&BSP=13015

(٥١) אלתרמן, נתן. רגעים, (א) ת"א: הקיבוץ המאוחד, 1974. עמ' 167.

(٥٢) صموئيل الثاني: ١ / ٢١.

(٥٣) العدد: ٢١ / ١٧ – ١٨.

(٥٤) אלתרמן, נתן. רגעים, (א) ، שם. עמ' 167.

(٥٥) אלתרמן, נתן. רגעים,שם. עמ' 167.

(*)مستوطنة أنشئت على أراضي مدينة دير البلح، ضمن مستوطنات جوش قطيف على الطريق الرئيسي الواصل بين رفح وخان يونس وغزة. بدأت المستوطنة بمساحة تقدر حوالي عشرين دونماً من الأراضي التي تم احتلالها بعد عام ١٩٦٧م، المحيطة بالمنطقة حيث أقامت جسراً بطول ٧٠ متر ليربط بين الجانبين الغربي للمستوطنة والذي يعرف بالمزرعة بالجزء الشرقي منها وهو المستوطنة بأكملها. للمزيد انظر: גליקמן, אורי. כאן ביתי: כפר דרום, מעריב, 10. 05. 2005.

(٥٦) אלתרמן, נתן. מחברות אלתרמן, (ד), ת"א, 1986. עמ' 55.

(٥٧) שם. עמ' 55 .

(*)حنا كرايتنر هي الفتاة التي قابلها ألترمان ووصفها في قصيدته، كانت من ضمن أعضاء كيبوتس كفار داروم، تزوجت بعد ذلك من الجغرافي نفتالي تيلمان.

(**)جغرافي إسرائيلي وباحث في شئون مستوطنات المسيحيين الألمان في فلسطين والقدس، بعد أدائه الخدمة العسكرية تزوج من حنا كرايتنر وانتقلا سويا إلى مستوطنة يكانعام. للمزيد انظر: נפתלי, טלמן. "מוסדות ומבנים גרמניים בירושלים", קרדום, יולי 1982.

(٥٨) אלתרמן, נתן. מחברות אלתרמן, (ד), ת"א, 1986. עמ' 55 - 56.

(٥٩) שם. עמ' 55 - 56.

(٦٠) שם. עמ' 56.

المراجع العربية:

1-إبراهيم البحراوي. جدل الخيارات اليهودية في ملحمة ماساداه ليتسحاق لمدان، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٥م.

2-أحمد سعيد دحلان. الصراع الديموغرافي الإسرائيلي _ الفلسطيني في مدينة القدس – دراسة جيوبوليتية – مجلة جامعة الأزهر في غزة ، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد ١٥، العدد ١، ٢٠١٣م.

3-أسامة عبد الحق. دولة الدم والإرهاب، وثائق الاستيطان الصهيوني وجرائم المستوطنين في إسرائيل، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

4-إسماعيل أحمد ياغي. الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، ط١، مكتبة العبيكان, الرياض، ٢٠٠٣م.

5-جمال عبد السميع الشاذلي و نجلاء رأفت سالم. القصة العبرية مراحلها وقضاياها، ط٢، الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٠م.

6-حسن ظاظا وآخرون : الصهيونية العالمية وإسرائيل ، الهيئة العامة للكتب والاجهزة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧١.

7- دوريس بن سيمون و إجلال إريرا. اسرائيل وشعوبها، ترجمة نعيمة شومان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م .

8-رشاد عبدالله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٩٤.

9- زين العابدين محمود أبو خضرة. تاريخ الادب العبري الحديث، (د.ن)، القاهرة، ٢٠٠٢م.

10- زين العابدين محمود حسن الكيبوتس بين المثالية والواقع في القصة القصيرة عند أهارون ميجيد، (د.ن)، القاهرة ، ١٩٩٤م..

11- شكري عبد الوهاب . المسرح اليهودي ، سنوات في خدمة الصهيونية العالمية، (د،ن)، (د.م) ،١٩٩٩م.

12- عبد الفتاح محمد ماضي. الدين والسياسة في إسرائيل: دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

13- عبد الوهاب المسيري. الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الاقصى، القاهرة، دار الشروق ، ١٩٩٩م .

14- عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية، درا الكتب، القاهرة، ١٩٧٥م.

15- عبدالرحمن أبو عرفة. الاستيطان الصهيوني التطبيقي العملي للصهيونية، دراسة في الاستيطان اليهودي في فلسطين خلال القرن الاخير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨١م.

16- فوزي محمد طايل، النظام السياسي في إسرائيل، ط٢، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٩٢.

17- محمد أحمد صالح. الكيبوتس في المسرحية العبرية ، رسالة دكتوراة ، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.
18- مرخاي نائور. الصهيونية في مائة عام (١٨٩٧-١٩٩٦)، ترجمة عمرو زكريا خليل، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠١٣م.
19- منة الله زين العابدين محمود. الانتحار الجماعي وانعكاساته في الشعر العبري الحديث، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ٢٠١١.
20- منير محمود. إسرائيل بين الحقائق والاكاذيب، رؤية موضوعية وتحليلية، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.
21- نجلاء رأفت أحمد. الاستيطان ومشاكله في القصة القصيرة عند إسحاق سنهار. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م.
22- يائير شيلج. المتدينون الجدد في إسرائيل، ترجمة وتعليق د. يحيى محمد عبدالله إسماعيل، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٤١)، مركز الدراسات الشرقية ، القاهرة، ٢٠١٠م.

المصادر العبرية:

١- التوراة
2- אלתרמן, נתן. מחברות אלתרמן, (ד), ת"א, 1986.
3- אלתרמן, נתן. רגעים, (א) ת"א: הקיבוץ המאוחד, 1974.
4- גרינברג, אורי צבי. ספר הקטרוג והאמונה, ג, הוצאת סדן , ירושלים , 1990.
٥- למדן, יצחק. כל שירי יצחק למדן, מבוא שמעון הלקין, מוסד ביאליק, ירושלים,1973.

المراجع العبرية:

1- בתולדות המחשבה הלאומית היהודית, פרק 17: הרב קוק -הדיאלקטיקה של הגאולה, ספר אפקים, עם עובד, תל אביב, 1981.
2- אופז, גד. בין 'הלכה' ל'אגדה' ובין 'דרך' ל'חיים' בהתיישבות הקיבוצית, קתדרה, (58), דצמבר 1990.
3- אידן, רינה. מנהלל לכפר-יהושע : התפתחות רעיון מושב העובדים ויישומו בשנות ה-20 בעמק יזרעאל בתוך: מרדכי נאור (עורך). עמק יזרעאל, 1900-1967: מקורות, סיכומים, פרשיות נבחרות וחומר עזר, ת"א" יד יצחק בן צבי, 1993.
4- בארי, ישעיהו. הקיבוץ שלי: משמר העמק, משמר העמק, 1992.
5- גבע, ישי. ראשיתו של מושב עובדים, עיונים בתקומת ישראל, (1), 1991.
6- גליקמן, אורי. כאן ביתי: כפר דרום, מעריב, 10. 05. 2005.
7- היילברונר, רוברט. הפילוסופים הארציים :חייהם, ימיהם ורעיונותיהם של הוגי הכלכלה הגדולים, ת"א: שלם, 2011.

8- זלי גורביץ, גדעון ארן. על המוקם, אנתרופולוגיה ישראלית, אלפיים, קובץ4, עם עובד, תל אביב,1991.
9- מלמד, אריאנה. אני לבד בעיר הגדולה, ידיעות אחרונות, 19. 07. 2008.
10- שלמה אבינרי, הרעיון הציוני לגוניו, פרקים בתולדות המחשבה הלאומית היהודית, פרק 17: הרב קוק -הדיאלקטיקה של הגאולה, ספר אפקים, עם עובד, תל אביב, 1981.
11- נפתלי, טלמן. "מוסדות ומבנים גרמניים בירושלים", קרדום, יולי 1982.
12- עובד, יעקב. מאתיים שנות קומונה בארצות הברית, ת"א: יד טבנקין/הקיבוץ המאוחד, 1986.
13- קולת, ישראל. "יצחק וילקנסקי (וולקני), ממניחי היסוד של חקלאות יהודית מודרנית בא"י, סקירה חודשית: ירחון לקציני צה"ל, 27, 10 (1980).
14- שאר-ישוב, אהרון. קאנט והפילוסופיה היהודית, על השפעתו של קאנט על פילוסופים יהודים, ת"א: הגות. 1995.
15- שלמה גזית, פתאים במלכודת 30 שנה מדיניות ישראל ביטחים, תל אביב, זמורה – ביתן , 1999.
16- שפירא, יוסף. עשרים שנים למות אליעזר יפה, דבר, 27. 09. 1962.

التلمود ومراحل تكوينه
ـ دراسة تاريخية ـ

د. حازم عدنان احمد

كلية العلوم الاسلامية

قسم الاديان المقارن

التلمـــود ومراحـــل تكوينـــه
ـ دراسة تاريخية ـ

د. حازم عدنان احمد

ملخص البحث

ويعد كتاب التلمود الاصل الاصيل للفكر الديني اليهودي الذي حظى بقداسة دينية فاقت التوراة ، بل نجد عند التحقيق التاريخي والتأصيل المعرفي بكل تسلسلاته اضفاء صبغة القدسية التلمودية على التوراة الموسوية، الامر الذي قاد الى بلورت وتكوين فرق دينية يهودية ؛ فمنهم من اعتمد التقديس التلمودي ومقد يكونوا هؤلاء السواد الاعظم لامة اليهود، ومنهم من انكر وجدانية التلمود وقداسته. وسواءٌ عليهم انكروه ام لم ينكروه، فقد تغلب السواد الاعظم على بث روح التلمود كشريعة شفوية معتبرة من عند موسى (عليه السلام)، لتقويض واخضاع الجمع العظيم منهم الى تعاليمهم والعمل به كعقيدة ومنهاج حياة.

وسيعمد الباحث الى الوقوف على مراحل تكوين التلمود وبلورته ضمن تسلسله التاريخي، مع ابراز طبقات علماء الدين اليهودي الذين لهم الاثر البالغ في تكوين كتاب التلمود بكل مراحله..

Research Summary

1. The Jews believe that the divine authority of the rabbis to them, and they are in life and after life based on what is stated in the Talmud (deceased rabbis are charged with the education of the faithful in the sky). Rabbis took advantage of this status to control the Jewish mentality and the Jewish community.
2. Business Granulated successive and all classes of men of religion and others, the study proved that the religious thought

of the Jewish crystallized over long periods of time, was not First of all proceeding according inherent originally brought that their prophets, nor law, which broadcast their prophets that came out from God Almighty .. and this has decimated the laws of the prophets, and decimated the law of Moses (peace be upon him). It topped the law of the rabbis, and this clearly when assaulted words rabbis, and they gave him full sanctity and renounced what behind it and behind their backs.

3. Although their history is alleged that the texts of the Talmud is an explanations and interpretations within the rules of authentic, but we find when we find the investigation adoption of the explanation in the Jewish legislation and the negligence of the inherent meaning and significance of the text that came by Moses (peace be upon him) and the prophets others. In this we are in front of two issues, either the mimicry and the blameworthy when men of understanding, because the human warden with reflection and contemplation, and that the mind does not accept the restriction things do not Taklh, and surrounded by force must be aware of the issues, and Shara addresses the minds and lead them toward reflection and contemplation and meditation , and if it is difficult it led them to the gradient to conclude acceptance including when the Apostle. The second issue we reach out to the explicit violation of the law of the prophets (peace be upon them), and the beholder achieved in Jewish history through books of the Bible to find that they violated their prophets and their articles Aldnip them, prolongs the shrine mentioned. There is no room her here

4. issued Talmud Torah exceeded the high status, the clergy has deliberately to divert the minds of Jews in general about it, pay attention to her and do not have to neglect the words of the Jewish rabbis, but must sanctification and working out. We have seen in the last requirement of the research that separated them rabbis who spea more than the word of God (Allah far above what they say).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه اجمعين.

اما بعد:

فان العقيدة اليهودية تستمد أصولها الفكرية من مصدرين رئيسيين هما: (التوراة ، والتلمود)، ومنهما يستمدان عقيدتهم وشرائعهم، وتعاليمهم، وجملتها كونت الفكر اليهودي واعطته سيلا وافرا من مناهج العمل ومخططات السيطرة والتفوق والامتياز الخاص متجسدة بالعقيدة الاسطورية (شعب الله المختار، وارض الميعاد)، وغيرهما من العقائد التي دأب على تحقيقها رجالاتهم تحت عنوانات القداسة الدينية.

ويعد كتاب التلمود الاصل الاصيل للفكر الديني اليهودي الذي حظى بقداسة دينية فاقت التوراة ، بل نجد عند التحقيق التاريخي والتأصيل المعرفي بكل تسلسلاته اضفاء صبغة القدسية التلمودية على التوراة الموسوية، الامر الذي قاد الى بلورت وتكوين فرق دينية يهودية ؛ فمنهم من اعتمد التقديس التلمودي ومقد يكونوا هؤلاء السواد الاعظم لامة اليهود، ومنهم من انكر وجدانية التلمود وقداسته. وسواءٌ عليهم انكروه ام لم ينكروه، فقد تغلب السواد الاعظم على بث روح التلمود كشريعة شفوية معتبرة من عند موسى (عليه السلام)، لتقويض واخضاع الجمع العظيم منهم الى تعاليمهم والعمل به كعقيدة ومنهاج حياة.

فانطلق علماء الفكر اليهودي على العمل بتسلسل زمني طويل قارب الف عام، لتكوين كتاب التلمود عبر المراحل الزمنية الضارب في اعماق التاريخ.

من اجل هذا عمد الباحث الى فرز دراسة خاصة يجمع فيها مراحل تكوين التلمود، والطبقات الدينية التي قامت بهذا العمل التعبؤي، مستعملاً المصادر التي حققت المنهج التاريخي في البحث والتحقيق والتحري عن المعلومة الاصيلة.

وقد قمت بعون الله ومشيته تقسيم موضوعات الدراسات حسب المطالب الدرسية ضمن الخطة التي احتضنت الموضوعات الرئيسة، وهي على النحو الآتي:

المطلب الاول: مدخل الى التلمود.
المطلب الثاني: تعريف التلمود.
المطلب الثالث: نشأة التلمود.
المطلب الرابع: مراحل تكوين التلمود الاولى.
المطلب الخامس: مراحل تكوين التلمود الثانية.
المطلب السادس: المكانة والاهمية.

والله اسال ان يجعلنا من طلبة العلم، وان ينفعنا بما علمنا وان يعلمنا ما ينفعنا ويرزقنا علماً نافعاً.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

الباحث

المطلب الأول

مدخل الى التلمود

ليس هذا الكتاب وثيقة دينية كما شاء دعاة الصهيونية أن يزعموا ، وهو ليس من الكتب والشرائع الدينية كما أحب الصهيونيون أن يتقولوا ، ولكنه وثيقة سياسية خطيرة صنعها بعض الحاخامات أتباعاً للخطة السرية الرهيبة التي دأبوا على آتباعها منذ آلاف السنين[١] .

وأن القصة التي تروي أحداث هذا الكتاب التي تروي تلك العملية الطويلة التي استغرقت ألف عام ، لأكثر القصص تعقيداً وأعظمها إثارة للدهشة في تاريخ العقل البشري [٢].

فالدارس للديانة اليهودية يقف حيال هذا التسلسل الزمني للعملية الطويلة موقف الدهشة والعجب ، والذي ينتهي بالشريعة الشفوية (التلمود) ، التي تنسب إلى موسى (عليه السلام) .

وقد تمكنوا من خلال التلمود الذي يبنى على المبادئ والقواعد التي تغذي الغرائز اليهودية الوحشية العاملة في المذابح[٣] سواء كانت مذابح جماعية أم فردية

فلذلك لم يكتفِ اليهود بما جاء في توراتهم المحرفة من تعاليم خبيثة تبيح الغدر والمكر وسفك الدماء ، بل أخذ الربيون والحاخامات يفسرون التوراة حسب أهوائهم وبما

يرضي غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى عمل المنكرات واستعلائهم على بقية أجناس البشر [٤].

من أجل هذا جعلوا من كتاب التلمود دستور العمل للسيطرة على البشرية واحتواء الأديان والأمم عن طريق إقامة تشريع يعطي اليهود ذلك الامتياز الذي يجعل من حقهم استلاب الثروات والأمم والبلاد جميعاً وحرق وقتلهم واستعباد الأمم والأقوام[٥].

فأصبح التلمود مستودعاً لشرور اليهود[٦]، ومستودعاً للأحقاد اليهودية على العالم والحركات اليهودية العالمية نبتت من التلمود الرهيب ، وأصبحت التلمودية في عالم اليوم تمثل النازية التي انتشرت دعوتها قبل الحرب العالمية الثانية [٧].

يقول د. أحمد شلبي : ويزعم اليهود بأن هذه التقاليد والتعاليم ألقاها النبي موسى (عليه السلام) شفاهاً على شعبه ، وقد أعطيت له حين كان على الجبل ، ثم تداولها هارون ، واليعازرا ، ويشوع وسلموها للأنبياء ، ثم انتقلت من الأنبياء إلى المجمع العلمي (السنهدرين)[*] وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح (عليه السلام)[٨].

ولعل السؤال هنا ؟ أن كان التلمود كتاباً سماوياً كما يدّعون . فالكتب السماوية والأديان السماوية تدعو لمكارم الأخلاق وتحث على الفضيلة وتنشر المحبة والسلام وتحارب الحقد والضغينة والعنصرية ومن المؤسف حقاً أن تلصق هذه المبادئ الهدامة بالسماء وتنسب إلى الأنبياء الكرام ، وبكل ما تحتويه هذه الشريعة تحت غطاء الديانة اليهودية التي تأمر بالظلم والأذى والاعتداء والفحشاء والمنكر والبغي .

فلذلك كل ما جاء به اليهود وما هم عليه اليوم ليس الدين المنزل من عند الله تعالى ، لأن الله تعالى لم ينزل ديناً يدعى الدين اليهودي ، كما أنه لم ينزل ديناً يدعى الدين النصراني وإنما أنزل ديناً واحداً هو الدين الإسلامي [٩]، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[١٠]. وقال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [١١].

وهكذا رفضوا شريعة موسى (عليه السلام) الداعية إلى الإسلام وتمردوا عليها وحرفوها وبدلوها وزادوا عليها ولم يكتفوا بهذا ، بل ابتدعوا الدين الجديد (التلمود) ونسبوه إلى موسى (عليه السلام) شفاهاً على شعبه وقد أعطيت له حين كان على الجبل[١٢] .

وكانت هذه المشافهة هي التوراة الشفوية ، وهي مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهياً من حين إلى آخر [١٣].

المطلب الثانـــي

تعريف التلمود

التلمود : كلمة تعني (التعليم)[١٤] أو (المعرفة)[١٥] . (وهي كلمة مشتقة من الكلمة العبرية "لوميد" التي تعني الدراسة ، وهي شبيهة بكلمة تلميذ العربية) ، لأنه كل من كلمة تلمود العبرية وكلمة تلميذ العربية تعود إلى أصل سامي واحد [١٦]. ولفظ تلمود في اللغة هي صيغة الاسم المشتق من فعل (لمذ) بمعنى (علم) ، ولا يزال هذا المعنى شائعاً في لغتنا العربية من خلال كلمة (تلميذ)[١٧] . ويمكن إيراد المعاني والدلالات الثلاث لكلمة (تلمود) على النحو الآتي. وكما يرى الدكتور أسعد رزوق [١٨]:

أولاً – التلمود بمعنى التعليم والتعلم والدرس .

ثانياً – التدريس بواسطة نصوص الكتاب المقدس والاستنتاجات التفسيرية المستخلصة من دراسة تلك النصوص ، أي أنها تشير إلى طريقة خاصة في التعلم والمحاجة ، حيث يتم شرح الأصول الشرعية والأحكام الفقهية بالاستناد إلى نصوص التوراة وتفسيرها الأثباتي .

ثالثاً– يعد كمصنف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية لليهودية.

فالتلمود هو التعاليم أو الشروح أو التفسير ، وهي مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحاً وتفسيراً للتوراة ، وأستنباطاً من أصولها[١٩].

وعلى هذا فيعتقد اليهود بأن الشريعة الشفوية قد جرى تلقيها عن طريق التقليد المأثور وبالتواتر منذ أقدم الأزمنة ، وأن هذه الشريعة قد تلقاها موسى في سيناء فانتقلت من السلف إلى الخلف ، وقبلت كسنة سماعية إلى جانب الشرائع المدونة في أسفار موسى

الخمسة ، ومعنى ذلك أن موسى (عليه السلام) قد تلقى شريعتين أو توارتين في عرفهم ، المكتوبة والشفوية[٢٠].

ومن أجل هذا أصبح التلمود عند اليهود (موسوعة ضخمة لا غنى عنها في دراسة اليهودية ، موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتاريخ والآداب والفكر الخرافي)[٢١] .

ويقضي التلمود مختلف جوانب النشاط في حياة اليهود ، (إذ يتضمن فصولاً في الزراعة ، والفلاحة ، والصناعة ، والمهن ، والتجارة ، والربا ، والضرائب ، وقوانين الملكية ، والرق والميراث ، ...)[٢٢].

ويقسم التلمود على قسمين الأول المشنا[٢٣] .

والثاني الجمارا[٢٤] .

وتتألف أسفار التلمود من بحوث أحبار اليهود وربانيهم وفقهائهم المنتمين إلى فرقة الفريسيين ، وما إلى ذلك ثلاثة وستون سفراً ألفت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد ، وأطلق عليها اسم (المشنا) بمعنى المكرر أي أنها تكرار تسجيل الشريعة[٢٥].

المطلب الثالث

نشأة التلمود

لما كثرت قرارات الأحبار وتضاعفت أصبحت مهمة استظهارها شاقة وغير معقولة[٢٦] ، إذ استمرت الروايات الشفوية التي يتناقلها أحبار اليهود جيلاً عن جيل[٢٧]. وأخذت بالتراكم والتضاعف في العدد بحيث أصبح من المستحيل استظهارها [٢٨].

وهكذا ظلت شرائع المشنا تروى بلا رقيب ولا حسيب وتسودها الفوضى الكاملة إلى القرن الأول قبل المسيح (عليه السلام)[٢٩].

وكانت نتيجة هذا أن أصبح الاضطراب في نقل الشريعة كلها عن ظهر القلب مروعاً ، وكان مما زاد الطين بلة أن تشتت اليهود قد عمل على تفرق هذه القلة من حفظة الشريعة في أقطار نائية [٣٠] .

وظلت مهمة استظهار هذه الروايات الشفوية صعبة ، وقد حاول (هليل، وعقيبا ، ومائير) مراراً أن يصنفوها ويستعينوا على استظهارها ببعض الأساليب والرموز، ولكن هذه التصانيف والرموز لم يحظ شيء منها بالقبول من جمهرة اليهود[٣١].

وفي ذلك يقول ميلتسيز أن أول جهد بذل لإقرار شيء من النظام والمنهج في تلك الكتلة المختلطة من المرويات هو الذي قام به الحاخام اليهودي (هليل) رئيس المجمع الديني الأعلى (السنهدرين) ، في أيام هيردوس أمير اليهود الذي ولد المسيح في زمانه ، فهذا الأمام هو الذي خطط تقسيم هذه المرويات إلى أقسامها الستة المعروفة ما تسمى بـ (مباحث المشنا) ، ثم جاء بعده أمام آخر هو (عقيبا) فنظم بعض التفاصيل الجزئية في داخل هذه الأقسام الستة ، وجاء من بعده الأمام (مائير) فأكمل نصوص المشنا وأضاف إلى نظامها مزيداً من الأحكام أما الذي قيدها كتابةً في وضعها الذي نعرفه فهو الأمام (يهوذا هاناسي) وكان ذلك حوالي نهاية القرن الثاني بعد الميلاد"[٣٢] .

ففي حوالي عام ١٨٩ م تابع الحبر يهوذا هاناسي في قرية صبور بفلسطين عمل (عقيبا ومائير) وعدله وأعاد ترتيب الشريعة الشفوية بإكمالها ثم دونها وزاد عليها زيادات من عنده فكانت هي (مشنا الحبر يهوذا)[٣٣] . وبعدما قرر أن يقضي على التشويش الناتج عن تعدد المشناة[٣٤] . فقد دون نسخة معتمدة وقد استفاد يهوذا من جميع النسخ الموجودة ولاسيما نسخة (مائير) أما العلماء الذين اشتركوا في تأليف المشنا منذ وفاة (هليل) سنة عشر ميلادية حتى إتمامه سنة (٢٠٠م) فيسمون (تنائيم)[٣٥] .

وعندما انتهى الربي يهوذا هاناسي من تقييد نص المشنا في صورته النهائية تركزت جهود العلماء اليهود على شرحها في مراكز تجمعهم في العراق وفلسطين وكان شرحهم يسمى (جمارا) بمعنى التكملة والإتمام[٣٦] .

علماً أن هذا التقليد الطويل يمتد من عزرا الكاتب في منتصف القرن الخامس ق.م. ويستمر حتى القرن السادس ب.م في بابل .

المطلب الرابــع

مراحل تكوين التلمود الأولى

مر التلمود في مراحل تكوينه عبر العصور ، وتبدأ هذه المراحل في منتصف القرن الخامس ق.م ، وتستمر حتى القرن السادس ب.م في بابل ، ولتيسير البحث سنجعلها على مرحلتين : الأولى (مراحل التكوين الأولى) والثانية (مراحل التكوين الثانية)[*] .

مراحل تكوين التلمود الأولى وتقسم إلى :

أولاً - دور الكتبة[**] :

يبدأ هذا الدور بمجيء عزرا الكاتب من بابل ويمتد حتى عصر المكابين من (٤٥٠-١٠٠ ق.م) . إذ استطاع عزرا أن يدخل قراءة التوراة أمام العامة وأرفق القراءة بشروح وتفسيرات أخرجتها عن معناها الحرفي ، وأتصفت طريقة عزرا في التفسير والشرح بمرونة كافية لتغطية النواحي الحياتية الجديدة، طالما النص التوراتي لم يف بهذه الحاجات ، فاستطاع جهوده من وضع التوراة في متناول الجميع بعدما كانت وقفاً محتكراً لطبقة واحدة من اليهود [٣٧].

أما نشاطهم الرئيس فقد أنحصر في نشر التعليم الديني ، وإليهم تنسب الأقوال والتي ذكرت في (سفر الآباء) ومنها (أحشدوا العديد من التلاميذ) و (أقيموا سياجاً حول التوراة) [٣٨].

ومن أهم المنجزات التي حققوها كما تشير المصادر هي[٣٩]:

١ – قراءة نصوص الشريعة في أيام معينة من الأسبوع .

٢ – تحديد الصلوات اليومية في تلاوة البركات الست ، وإدخال التفوه بالشكر بعد تناول الطعام.

٣ – إدخال بعض الشعائر والطقوس الدينية مثل : عادة سكب الماء على الأرض في عيد المظال ، والدوران حول المذبح حاملين أغصان الصفصاف

٤ – تعديل بعض الشرائع التوراتية وتكييفها وفقاً لمتطلبات الحياة والتخفيف من قساوة الشرع الموسوي : مثل : التساهل في تطبيق قوانين السبت ، استبدال شريعة الانتقام التوراتية في حال الاعتداء بالتعويض .

ثانياً - دور الأزواج :

تطلق هذه التسمية على المعلمين(*) الكبار الذين برزوا بين العصرين المكابي والهيرودي(**) (حوالي ١٥٠ إلى ٣٠ ق.م) وهناك خمسة أزواج من هؤلاء في سجلات الأدب الرباني ، يمتدون على خمسة أجيال ويمثل كل زوج منهم المنصبين الآتيين: رئيس السنهدرين أو الأمير ولقبه (الناسي) ، ونائب الرئيس أو (رئيس بيت الدين)(٤٠). وهذه أسماؤهم حسب تسلسلهم بحيث يكون الاسم الأول ناسي والأسم الثاني رئيس بيت الدين(٤١).

١ – جوزيه بن يوعزر
جوزيه بن يوحنان

٢ – يشوع بن فراحيا .
نطاي الاربيلي

٣ – يهوذا بن طباي
سمعان بن شطاح

٤ – شماعيا
ابتاليون

٥ – هليل
شماي

هكذا يذكرهم التقليد اليهودي ، وأن الزوج الأهم من بين هؤلاء الخمسة يتألف من (هليل وشماي) لأن كثير من الأحكام الشرعية تحمل أسميهما ، وزيادة على عد كل منهما صاحب مدرسة خاصة أو مذهب في التفسير ودور الأزواج من الأدوار المهمة والذي كان لهم الدور في تطوير الشريعة الشفوية ، وهناك العديد من الأقوال والروايات الهجادية(*) والأحكام الشرعية التي تنسب إليهم وفي (سفر الآباء) من التلمود (٤٢).

وكلاهما ينتميان إلى الفرقة الفريسية ، فالأول جاء من بابل وجعله التقليد الرباني فيما بعد منحدراً من نسل داود عن طريق أمه هاجر إلى فلسطين وبقي (٤٠ سنة) وهو الحبر الذي لا ينازع ويمثل هليل وجهة نظر الفريسيين[٤٣].

ألا إنهما أشد عداوة لبعضهم، إذ كان الحاخام شماي عدواً لدوداً للحاخام هليل ، ورغم ذلك يزعم أن أقوال الحاخامين ذات سلطة مماثلة [٤٤]. وسجل التلمود ما لا يقل عن (٣٠٠) نقطة خلاف بينهما وفي النهاية انتصر مذهب هليل ، وكان هليل واسع الحفظ عن ظهر قلب على طريقة علماء المشرق وهو يعد الجامع الأول (للمشنا) ، وحفظت أقواله الشفوية من هذا كله أصبحت النسخة الأولى (المشنا)[٤٥] .

ويطلق على أولئك المعلمون الثقات بـ (التنائيم) ، ويبدأ عصر التنائيم بمدرستي هليل وشماي ويقسم عصر التنائيم إلى أربعة أجيال متتالية ، (وسوف ندرس العصر ونتابع تقسيمه لسهولة المأخذ).

المطلب الخامس

مراحل تكوين التلمود الثانية

أولاً - دور التنائيم من (١٠-٢٢٠ م)

تطلق كلمة "تنائيم" – معلمو الشريعة – على علماء الدين اليهود الذين خلفوا هليل وشماي قطبي مدرستي التفسير في فلسطين ويمتد عصرهم من العاشرة بعد ميلاد المسيح ولغاية وفاة الحاخام الرابي (يهوذا هاناسي) سنة ٢٢٠م[٤٦] .

وتنائيم (جمع تنا) ، ومعناه بالأرامية (المعلم) [٤٧]، وعدد العلماء التنائيم يتجاوز المائتي عالم يهودي ، وأكثرهم يلقب بالحاخام أي المعلم أو الحكيم[٤٨] ، فأخذ هؤلاء يشرحون أحكام التوراة ويدنون قوانينها وتبويب شرائعها في مجموعة أصبحت تعرف بـ (المشنا) [٤٩]ويقسم عصر التنائيم إلى أربعة أجيال متتالية وهي:

- **الجيـل الأول : (من ١٠–٨٠ ب.م)[٥٠]**

يبدو أن رجالات هذا الجيل ورثوا الخلافات عن مدرستي هليل وشماي ، فمدرسة هليل المتسامحة ومدرسة شماي المتزمتة، والخلاف بين أرباب المحافظة الشديدة على التقليد

وتضييق مجال التفسير والشدة في الأحكام وبين المتساهلين في تعاليمهم والميّالين إلى التسويات وعدم التشدد في صياغة الأحكام الشرعية . وفي سفر (سنهدرين) من التلمود نقرأ من هذه الخلافات :

(ولكن عندما تزايد عدد تلامذة شماي وهليل الذين لم يدرسوا على نحو كاف، تكاثرت النزاعات في إسرائيل وأصبحت التوراة "توراتين" أثنتين ...) .

ويتضح لنا من هذا مدى الخلافات التي وقعت بين الطرفين في قضايا التفسير والشريعة بحيث احتاجوا إلى حكم بين هذه الآراء ، فتم أعداد وثائق وإرسالها إلى جميع بني إسرائيل لتعيين أصحاب الحكمة والتواضع [٥١].

وأشهر التنائيم في هذا الجيل : (الرابان جملئيل الأكبر والرابان يوحنان بن زكاي) يقال أن الأول أحد أبناء هليل وبعضهم يعده حفيداً له وتنسب إليه كثير من الإصلاحات ، وأما يوحنا بن زكاي فقد أشتهر بزعامته للفئة المنادية بالسلام في أثناء التمرد اليهودي ضد الرومان (٦٦-٧٠ م) ، وقد تمكن من مغادرة القدس المحاصرة لكي يؤسس مدرسة التعليم الديني في يبنا[*] إذ أصبحت مركزاً للحياة والفكر بعد خراب الهيكل[٥٢].

✍ الجيل الثاني : (من ٩٠-١٣٠ ب.م) :

ففي القرن الثاني ب.م ظهرت مجموعة من التنائيم لاستئناف العمل الذي وضع أساسه السابقون الأولون[٥٣] وأشهر التنائيم هم [٥٤]:

١ - الرابان جمائيل الثاني رئيس المدرسة في (يبنا) أو (يمنيه) بعد وفاة زكاي .

٢ - الرابان إسماعيل بن اليشا : قام بتوسيع قواعد التفسير[*] حتى أصبحت (١٣) قاعدة وأنتقل من يمنيه إلى عوشا لتأسيس مدرسة حملت أسمه .

٣ - الرابي عقيبا بن يوسف : وهو أشهر علماء هذا الجيل ومعلم السواد الأعظم من رباني الجيل التالي تنسب إليه المهارة في تنسيق محتويات التقليد بالإضافة إلى طرقه البارعة في التفسير حتى استطاع العثور على أساس أو سند في التوراة لكل أحكام الشريعة الشفوية، ويقال فيه أنه مهندس أوضاع المشنا ، وهذه الأوضاع التي برزت إلى الوجود بعد قرن، وقالوا لولا عمل عقيبا هذا لما كان هناك تلمود .

✍ الجيل الثالث : (١٣٠-١٦٠ ب.م)

ويشمل هذا الجيل تلامذة الرابي إسماعيل بن اليشا ، إلى جانب الذين درسوا على الرابي عقيبا وأشهرهم (مائير) وكان عمله أنه أعد نسخة من (المشنا) ، والذي تابع العمل التنظيمي للتقاليد الشفوية بعد معلمه وتنسب إليه المصادر اليهودية وأنه وضع الأساس لجمع المشنا أو التعاليم المكررة ، وكانت هذه (المشنا) هي النسخة التي أرتضاها (يهوذا ناسي) أساساً لما تم بعد عند تدوينه للمشناه[٥٥] .

✍ الجيل الرابع : (١٦٠ – ٢٣٠ ب.م)

ومن أشهر التنائيم في هذا الجيل هو الرابي (يهوذا الناسي) ويعرف أيضاً بـ (سيدنا القديس) ، أو (الرابي) أو (السيد) دون إضافة أسمه[٥٦] . وهو الحاخام المقدس أو الأمير وهو أكبر علماء اليهود .. جمع (المشناه) ما بين (١٩٠ و ٢٠٠ م)[٥٧] .

كان والده معلماً مشهوراً ومن عائلة غنية ذات جاه طويل ، درس (يهوذا) اليونانية وكانت له علاقة طيبة مع الرومان [٥٨].

وفي حوالي عام ١٨٩ م تابع يهوذا الناسي في قرية صبورة بفلسطين عمل التنائيم وأعاد ترتيب الشريعة الشفوية بأكملها ثم دونها وزاد عليها إضافات من عنده[٥٩].

فأتم بعمله هذا تدوين التوراة الشفهية (المشناه) وصارت المشناه مقابل التوراة المكتوبة ، فكانت مشناه الحبر يهوذا أساس ما سمي بعدئذٍ بـ (التلمود)[٦٠].

ويرى بعض العلماء أن (يهوذا الناسي) لم يدون (المشناه) مع اقترانها باسمه وأن الأجيال ظلت تتناقلها حتى القرن الثاني الميلادي [٦١].

ويستند هؤلاء في دعم صحة رأيهم إلى ما ورد في التلمود من نصوص تنهى عن تدوين المرويات الشفوية [٦٢].

وأدى هذا الاختلاف إلى الانقسام بين اليهود على فريقين معارض وموافق (وكما مر معنا في الفرق اليهودية) والرأي المعتمد اليوم والأكثر رجحاناً هو القائل أن (يهوذا الناسي) هو الذي قيد (المشناه) كتابة [٦٣].

وتؤكد المصادر اليهودية الدور الرئيسي الذي قام به (يهوذا الناسي) في جمع مواد المشناه وتصنيفها وتبويبها ، وتنسب إليه تقسيم المادة (المشناه) المجموعة إلى ستة أجزاء صارت تعرف فيما بعد (السدريمات الستة)[٦٤] .

أما نظام التفسير لدى التنائيم كان يقوم على أساس المدراش[*] ، والهدف العملي للمدراش كان يقوم على استنتاج أحكام جديدة من التوراة أو العثور على سند للأحكام القديمة [٦٥].

ثانياً - دور الأمورائيم :

ثم نشأت في فلسطين طبقة ثانية من الربانيين يعرفون بـ (الأمورائيم) وهم الأساتذة المحدثين[٦٦] ، وتتراوح التسميات التي تطلق على هؤلاء بين (المتكلمين) و (المفسرين) و (الشراح) و (المجادلين) ، ولكنها تدل على العلماء الذين عاشوا في فلسطين والعراق بين (٢٢٠ و ٥٠٠ ب.م) وأنحصر نشاطهم الرئيس في شرح المشناه وتفسيره[٦٧] .

ومن المهم في هذا الدور هو انتقال مراكز الثقل من فلسطين إلى العراق[٦٨]، وذلك عندما أشتد ضغط الرومان على اليهود في فلسطين لم يعد باستطاعة الرابيين الاستمرار في الدرس والبحث بحرية وأمان فأضطر عدد كبير منهم الهجرة إلى العراق حيث أنشأوا مدارس كبرى للأمورائيم [٦٩].

حيث طغت هذه الأكاديميات الشهيرة هناك على مدارس فلسطين وانتزعت منها زمام المبادرة بصورة نهائية [٧٠].

وفي هذا المحيط الذي كان يسوده الأمان والحرية الدينية المطلقة استطاع الأمورائيم أن يشرحوا (المشناه) شرحاً أكثر تفصيلاً وأتم موضوعاً مما أضطلع به علماء فلسطين فصارت مجموعة الشروح العراقية تعرف بالتلمود البابلي[٧١].

وفيما يلي تقسيم طبقات الأمورائيم إلى خمسة أجيال :

✍ **الجيل الأول : (٢٢٠–٢٨٠) ب.م [٧٣]:**

فلسطين : رابي يوحنا بن نباحا ، وهو أبرزهم خلال القرن الثالث ، وقد تتلمذ على الرابي يهوذا الناسي .

بابل : أبا عريقا ويكنى بـ (أبي الطويل) ، ويذكر عادة بلقبه الشائع (راب) وقد جاء من العراق إلى فلسطين لكي يدرس على يهوذا الناسي ، ولدى عودته قام بتأسيس أكاديمية سورا .

✍ **الجيل الثاني (٢٨٠-٣٠٠) ب.م[٧٣]**

أ – فلسطين : هناك عدد من الأمورائيم الذين قدموا من العراق منهم الرابي أباحو ، كان من مواليد فلسطين ومارس تعليمه في قيصرية ، حيث تجادل كثيراً مع المعلمين المسيحيين. ومن متكلمي هذا الجيل : الهجادي رابي صموئيل بن نحماني .

ب– بابل : راب حونا (سورا) والراب يهوذا بن حزقيال – مؤسس أكاديمية فومبديثا، والراب حسدا ، والراب ششت مؤسس مدرسة في شيلمي ، جميع هؤلاء كانوا من تلامذة عريقا وصموئيل .

✍ **الجيل الثالث (٣٢٠-٣٧٠) ب.م[٧٤]**

أ – فلسطين : أخذت المدارس الدينية بالتقهقر والانحطاط نتيجة لانتشار المسيحية والمضايقات التي تعرض إليها اليهود على عهد الإمبراطور قسطنطين ، ومن الأمورائيم الذين ظهروا في هذه الفترة أرميا ، والرابي يوناه ، والرابي جوزه.

ب– بابل : ومنهم رباح بن نحماي من أكاديمية (فومبديثا) ، وقد اشتهر ببراعته الجدلية ودعي بـ (محرك الجيل) ، والراب يوسف من أكبر الثقات في الترجوم[*] ، وصاحب إطلاع واسع في جميع فروع الشريعة مما أعطاه لقب (سيناء) ، ومن تلامذتهما : أبابي ورابا اللذان اشتهرا بأساليبهما البارعة في المجادلة ، حيث تردد الكثير من مجادلاتهما في أمكان متعددة من التلمود البابلي .

✍ **الجيل الرابع : (٣٧٥-٤٢٧) ب.م :**

أ – فلسطين : الرابي صموئيل بن جوزه بن رابي بون[٧٥] .

ب– بابل : رب آشي (سورا) ، رئيس جامعة سورا وشرع في تقنين الجمارة البابلية وظل يواصل العمل في ذلك التقنين جيلاً من الزمان [٧٦]، حتى أن المصادر اليهودية

تعده خاتم أسفار التلمود البابلي ، والراب كهانا الثاني من أكاديمية فومبديثا ، والراب أميمار[٧٧] .

✍ **الجيل الخامس : (٤٢٧–٥٠٠) ب.م :**

بابل : وأشهرهم ماربار راب عشي [٧٨]، ورابينا (راب أبينا : سورا) وهو من جامعة سورا واستأنف عمل ما بدأه رب آشي وانتهى من عمله سنة ٤٩٩[٧٩]ورباح طوسفاح (فومبديثا) ، وهذان الأخيران قاما بإتمام العمل الذي بدأه الراب عشي ، مثلما تنسب إليهما عملية تدوين التلمود أو على الأقل أعداده النهائي للتدوين[٨٠].

وإذا ذكرنا أن الجمارا البابلية أطول من المشناه إحدى عشرة مرة بدأنا نعرف وندرك لم يستغرق جمعها مائة عام كاملة[٨١] .

ثالثاً - دور السابورائيم :

نشأت في العراق بعد انتهاء دور الأمورائيم طبقة من علماء اليهود عرفت بـ (السابورائيم) ، ومعنى كلمة (السابورائيم) في العبرية الأساتذة الشارحون ، وكانت تطلق على طبقة من العلماء اليهود استمر نشاطهم العلمي في بابل من سنة ٥٠٠ إلى سنة ٥٨٨ ب.م ، وكان أهم أعمالهم التعليق على التلمود وتنظيم أبوابه وفصوله بالشكل الذي هو عليه حتى يومنا هذا[٨٢].

وأشهرهم [٨٣]:

١ – الرابي جوزية . (فومبديثا)

٢ – الرابي أحاي ، في مطلع القرن السادس ومن المرجح أنهما شاركا في أعمال الجمع التي قام بها المتأخرون من الأمورائيم .

٣ – الراب جيزا (سورا) .

٤ – الراب سمعونا (فومبديثا) في منتصف القرن السادس .

ويبدو أن مدرسة السبورائيم هي مؤسسة بابلية خالصة لا تقابلها فئة هائلة من العلماء في فلسطين ، وإذ كنا نعرف القليل عن حياة هؤلاء الشراح فأن نشاطهم كان محصوراً بالتعليق على التلمود بواسطة إضافات وهوامش تفسيرية.

رابعاً - دور الغاؤونيم :

وهم العلماء الذين خلفوا (السابورائيم) ، وتولى الغاؤونيم مسؤولية تعليم التلمود وإصدار الفتاوى الدينية ليهود الشرق والغرب ، وقد استمر عمل الغاؤونيم حوالي ٤٥٠ سنة بين سنة ٥٨٩ وسنة ١٠٣٠م والغاؤونيم كلمة عبرية جمع (غاؤون) ، وكانت تطلق على الرابيين من رؤساء المدرستين الدينيتين اليهوديتين في (فوميديثا وسورا) في بابل[٨٤].

وبنهاية هذا الدور ، انتهت عصور وأدوار علماء التلمود ومدونيه ، وهذا عرض التسلسل الزمني لأدوار الربانيين الذين تعاونوا على وضع التلمود وتعليمه[٨٥].

١ – عصر الكتبة ٤٥٠–١٠٠٠ ق.م

٢ – عصر الأزواج ١٥٠–٣٠ ق.م

٣ – عصر التنائيم ١٠ – ٢٢٠ م

٤ – عصر الأمورائيم ٢٢٠–٥٠٠ م

٥ – عصر السابورائيم ٥٠٠–٥٨٨ م

٦ – عصر الغاؤونيم ٥٨٩–١٠٣٠ م

وبعد انتهاء عملية الجمع والتنقيح والتدوين أصبح التلمود البابلي منذ نهاية القرن السابع تقريباً مصدر النفوذ الهائل في حياة اليهود ، فهو المرجع المعترف به لكل من شاء الإطلاع على التقليد الديني كما أنه يؤلف المجموعة الموثوقة للعقائد الدينية التقليدية في تجاوزها لمضمون التوراة [٨٦].

المطلب السادس

المكانة والأهمية

لكي نتوصل إلى فهم صحيح للسيطرة التي مارسها التلمود على عقول اليهود وحياتهم والمكانة التي تبوأها لدى اليهود والتأثير الذي مارسه في حياتهم وتفكيرهم ونظرتهم إلى العالم ، فلابد من إبراز هذه المكانة والأهمية .

فيقول أحد المؤرخين :

"لقد كان (التلمود) تاريخ العائلة بالنسبة للأجيال اللاحقة ، ففي عالمه شعورا يقيمون في بيتهم ، يسكنونه ويتحركون بداخله المفكر في عالم الفكر والحالم في صور مثالية

رائعة. وطيلة ما ينيف على الألف سنة كان العالم الخارجي والطبيعة، كانت البشرية وأصحاب السلطان ، وكانت الأحداث بالنسبة للأمة اليهودية أشبه بالأمور التافهة وبالقشور، لا بل مجرد وهمٌ زائف ، أما الواقع الأوحد فكان التلمود ... حتى إن المعرفة بالتوراة وهي التاريخ الأقدم لعنصرهم ، وبأقوال النار والبلسم التي تفوّه بها أنبياؤهم والمزامير التي فاضت بها نفوس منشديهم هذه كلها لم تعرف لديهم ألا عن طريق التلمود وفي ضوئه"(٨٧).

لذلك يعتبره اليهود من قديم الزمان كتاباً منزلاً مثل التوراة ، ما عدا بعض المعاندين ، وإذا أمعن الإنسان نظرة في اعتقادهم هذا يتحقق أنهم يعدونه أعظم من التوراة(٨٨).

حتى إن قسماً كبيراً من فلاسفتهم وحكمائهم يعدُّ الشريعة الشفوية أكثر أهمية من التوراة نفسها ، إذ لا أهمية لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود.

إذ جاء في التلمود أن التوراة أشبه بالماء والمشنا أشبه بالنبيذ، والجمارا بالنبيذ العطري ، والإنسان لا يستغني عن هؤلاء الثلاثة(٨٩).

وجاء في أحد كتبهم المسمى (الهمار) وهو شرح على التوراة : أن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط ، والخبز هو التوراة ، بل يلزمه شيء آخر وهو أقوال الله كقواعد وحكايات التلمود(٩٠).

ويقدس اليهود التلمود ويعدونه أهم من التوراة ، ويرون أن من يحتقر أقوال الحاخامات يستحق الموت وأنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى ، بل إن أقوال الحاخامات لها قدسية الأنبياء وأفضل من أقوال الأنبياء ، لذلك قال أحد علمائهم "أعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء"(٩١).

ولن يقتصر الأمر على تقديس أقوال الحاخامات فحسب ، بل يجب مخافة الحاخامات كما قال أحد علمائهم "أن مخافة الحاخامات هي مخافة الله" وأن تعاليمهم لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله(٩٢).

وفي معرض التقديس للتلمود والإيمان المطلق بأقوال الحاخامات جاء في التلمود : (وقد وقع خلاف بين الله وبين علماء اليهود في أمر من الأمور ، بعد أن طال الجدال ، تقرر إحالة الأمر موضع الخلاف إلى أحد الحاخامات الذي حكم بخطأ الإله مما أضطر سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بخطئه) [٩٣]. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وفي معرض تقديس الحاخامات جاء في التلمود "أن الحاخامات المتوفون مكلفون بتعليم المؤمنين في السماء"[٩٤].

وأما المشاحنات التي تكون بينهم ، فهي تكون على وجه كلام صادر من الله والأثنان على حق. فقد حصلت مشاحنة يوماً ما بين حاخامين أحدهما يدعى الرابي (شايا) والثاني (باركبارة) وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال كيت وكيت مما أدعوه ، ولم يفصل في الخلاف الواقع بينهما ، فجاء الحاخام روسكي وقال "إن الحاخامين المذكورين قالا الحق ، لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ ، وراحت العصمة لأبعد من هذا ، فأنها لا تختص بالحاخام فقط بل لكل ما يتعلق بهم من ملكية فقيل إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئاً محرماً[٩٥].

يؤكد الإمام ابن حزم الأندلسي – رحمه الله – على أهمية التلمود عند اليهود قائلاً : إن التلمود هو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم وأنه من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم[٩٦].

ويؤكد سفر الآباء : الفصل الخامس من التلمود :

(في سن الخامسة : دراسة التوراة وفي العاشرة دراسة المشناه وفي الثالثة عشرة الوصايا والتكليف وفي الخامسة عشرة : دراسة التلمود)[٩٧].

ومن هنا فأن اليهود يعتقدون بأن العهد القديم (أي الناموس المكتوب) ناقص ومبهم، في كثير من المواضع ، ولا يكون اليهودي عندهم مؤمناً إيماناً كاملاً ألا إذا صدق بالتلمود[٩٨].

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التاريخية في ثنايا الكتب التي درست تاريخ التلمود واطوار تكوينه، نخلص الى اهم النتائج:

إن اليهود يعتقدون أن الحاخامات لهم سلطة إلهية ، وأنهم موجودون في الحياة وبعد الحياة بدليل ما جاء في التلمود (الحاخامات المتوفون مكلفون بتعليم المؤمنين في السماء) . وقد استغل الحاخامات هذه المنزلة ليسيطروا على العقلية اليهودية والمجتمع اليهودي .

الاعمال التعبؤي المتعاقبة وبكل طبقاتها من رجالات الدين وغيرهم، اثبتت الدراسة ان الفكر الديني اليهودي تبلور عبر حقب زمنية طويلة، ولم يكن بادي ذي بدء يسير وفق الاصل الاصيل الذي اتى به انبياؤهم، ولا الشريعة التي بثها انبياؤهم التي جاؤوا بها من عند الله تعالى.. وعلى هذا فقد اهلكت شرائع الانبياء، واهلكت شريعة موسى(عليه السلام). وتصدرت شريعة الحاخامات، وهذا جليٌ عندما اعتدوا بكلام حاخاماتهم، واعطوه القدسية التامة ونبذوا ما وراء ذلك وراء ظهورهم.

بالرغم من ان تاريخهم يزعم ان نصوص التلمود هي عبارة عن شروحات وتفسيرات ضمن قواعد اصيلة، الا اننا نجد عند التحقيق نجد اعتماد الشرح في التشريع اليهودي واهمال النص الاصيل ودلالة معانيه الذي اتى به موسى (عليه السلام) والانبياء الاخرون. وفي هذا نكون امام مسالتين، اما ان يكون التقليد الاعمى وهذا مذموم عند اولي الالباب، لان الانسان مأمور بالتدبر والتفكر، وان العقل لا يقبل التقييد بأمور لا تعقله، ولا تحيط به عنوة فلابد من ادراك القضايا ، والشرع يخاطب العقول ويقود بها نحو التدبر والتفكر والتأمل، واذا ما صعب الامر قاد بها الى التدرج للخلوص الى القبول بما عند الرسول. والمسألة الثانية نصل بها الى المخالفة الصريحة لشريعة الانبياء(عليهم السلام)، والناظر المتحقق في التاريخ اليهودي العام عبر اسفار الكتاب المقدس يجد ان مخالفتهم لانبيائهم ومقالاتهم الدنية عليهم، يطيل مقام ذكرها. ولا مجال لها هنا.

تصدر التلمود المكانة العالية فاقت التوراة، وقد عمد رجال الدين الى صرف عقول عامة اليهود حيالها، والاهتمام بها ولا يتوجب على اليهود اهمال اقوال الحاخامات، بل يجب التقديس والعمل بها. وقد راينا في المطلب الاخير من البحث ان الحاخامات لهم فصل الكلام الذي يفوق كلام الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل أحمد، دار العهد الجديد (مصر)، ١٩٦٧
٢. بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، دار الجيل للنشر، عمان ط(١) ، ١٩٨٤
٣. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي، طباعة جامعة الموصل ، ط (١) ، ١٩٦٨ م.
٤. التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس – بيروت ، ط (٦)، ١٩٨٥.
٥. التلمود كتاب إسرائيل المقدس، عبد المنعم شميس، دار النصر للطباعة
٦. التلمود والصهيونية، أسعد رزوق ، سلسلة كتب فلسطينية – ٣١
٧. خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، دار القلم ١٩٦٤
٨. صفة التلمود والزوهار في الديانة الصهيونية، د. احمد سوسة، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد، العدد (١) سنة ١٩٧٤
٩. الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابن حزم الاندلسي،المكتبة التوفيقية، القاهرة
١٠. الفكر الديني الإسرائيلي – أطواره ومذاهبه ، د. حسن ظاظا. معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١.
١١. قاموس الكتاب المقدس، د. جورج بوست، المجلد الأول ، المطبعة الأميركانية، بيروت ١٨٩٤
١٢. الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج، ترجمة د. يوسف نصر الله ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، سنة ١٩٩٩، .

١٣. لهذه أكره إسرائيل، أمين سامي الغمراوي، ط(١) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٤
١٤. المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، دار الاعتصام ١٩٧٧ ط(٢)
١٥. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط(١)، ١٩٧٥
١٦. نحن واليهود، كاظم النقيب، مطبعة الإرشاد، بغداد ، ط (١) ١٩٦٧.
١٧. اليهودية واليهود، علي عبد الواحد وافي، دار الهنا للطباعة ، دون ذكر مكان وتاريخ الطبع.
١٨. ليهودية، د. احمد شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.

الهوامش

(١) ينظر: التلمود كتاب إسرائيل المقدس، عبد المنعم شميس، دار النصر للطباعة ، ص٥.

(٢) ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل أحمد، دار العهد الجديد (مصر)، ١٩٦٧، ص٢٠

(٣) ينظر: بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض،، دار الجيل للنشر، عمان ط(١) ، ١٩٨٤ ، الجزء الأول، ص(٧).

(٤) ينظر: خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، دار القلم ١٩٦٤ ، ص٧.

(٥) ينظر: المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، أنور الجندي، دار الاعتصام ١٩٧٧ ط(٢) ، ص١١ .

(٦) ينظر: بروتوكولات حكماء صهيون،ر، الجزء (١) ، ص ١٨ .

(٧) ينظر: التلمود كتاب إسرائيل المقدس، عبد المنعم شميس، دار النصر للطباعة دون ذكر مكان وتاريخ الطبع.ص٣.

(*) السنهدرين : هو الهيئة العليا المسيطرة على الشعب ولا من ينازع هذه الهيئة . ينظر عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، م(٢) ج(٣) ص ٣٢.

(٨) ينظر: اليهودية، د. احمد شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ .ص٢٤٤.

[٩] ينظر: نحن واليهود، كاظم النقيب، مطبعة الأرشاد، بغداد ، ط (١) ١٩٦٧، ص٨٠.

[١٠] ينظر: سورة آل عمران : الآية ١٩ .

[١١] ينظر: سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

[١٢] ينظر: مفصل العرب واليهود في التاريخ، احمد سوسة ، ص٣٦٢ .

[١٣] ينظر: التلمود كتاب إسرائيل المقدس، عبد المنعم شميس،ص٦.

[١٤] ينظر: قاموس الكتاب المقدس، د. جورج بوست، المجلد الأول ، المطبعة الأميركانية، بيروت ١٨٩٤، ص٢٩٠.

[١٥] ينظر: لهذه أكره إسرائيل، أمين سامي الغمراوي، ط(١) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص٣٩.

[١٦] ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط(١)، ١٩٧٥ ، ص٢١.

[١٧] ينظر: التلمود والصهيونية، أسعد رزوق ، سلسلة كتب فلسطينية – ٣١ ، ص١١٢ .

[١٨] ينظر: المصدر نفسه، ص١١٣.

[١٩] ينظر: مفصل العرب واليهود، اجمد سوسة، ص٢٦٣.

[٢٠] ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١١٥.

[٢١] ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، عبد الوهاب المسيري،ص١٤١.

[٢٢] ينظر: صفة التلمود والزوهار في الديانة الصهيونية، د. احمد سوسة، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد، العدد (١) سنة ١٩٧٤ .ص٨٦.

[٢٣] لفظ مشناه مشتقة من جذر (شنا أوتنا) بمعنى (علم وكرر) ، أي أنها الشريعة الثانية بالمعنى الحرفي لكلمة تثنية والمشناه تعني (الأصل ، المتن)' ينظر: ظفر الإسلام ، التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص١١ .

[٢٤] الجمارا كلمة آرامية تعني : الأكمال أو الـ (دراسة) (التكملة)، ، والجمارا بكسر الجيم معناها الإكمال وهي مجموعة الشروح والتعليقات والتفسيرات، ينظر: د. عبد الوهاب المسيري – اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص٢٣ . عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، مجلد ٢، ج٤ ، ص١٥٤ . ظفر الإسلام خان ، التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص٢٠ .

[٢٥] ينظر: اليهودية واليهود، علي عبد الواحد وافي، دار الهنا للطباعة ، دون ذكر مكان وتاريخ الطبع.ص٢٢.

[٢٦] ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل، ص٢٢.

[٢٧] ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي، طباعة جامعة الموصل ، ط (١) ، ١٩٦٨ ، ٩٤/٢.

[٢٨] ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ص٣٦٥.

[٢٩] ينظر: الفكر الديني الإسرائيلي – أطواره ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١، د. حسن ظاظا،ص٧٨.

[٣٠] ينظر: إسرائيل والتلمود، ابراهيم خليل، ص٢٢.

[٣١] ينظر: المصدر نفسه.

[٣٢] ينظر: الفكر الديني الإسرائيلي – أطواره ، ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص٦٦.

[٣٣] ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل، ص٢٢.

[٣٤] ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس – بيروت ، ط (٦)، ١٩٨٥، ص١٨.

[٣٥] ينظر: المصدر نفسه

[٣٦] ينظر: الفكر الديني الإسرائيلي – أطواره ومذاهبه د. حسن ظاظا ويقارن عجاج نويهض ١٦٤/٢.

[*] سنذكر ألمع أسماء الحاخامات في الأدوار والطبقات ، وذلك لأهميتهم ومدى أثرهم في مراحل تكوين التلمود .

[**] الكتبة : وبالعبرية (سوفير) أي كاتب الأسفار : وهم طائفة من الفقهاء اليهود كانت تقوم بكتابة الناموس (الأسفار الخمسة الأولى) وتدوين الأجزاء الأخرى من التوراة وأشهرهم عزرا الكاتب ، وخص الكتبة أنفسهم بدراسة الناموس وقد نتج عن قرارات كبار الكتبة ما يعرف اليوم عند اليهود بـ (الشريعة الشفاهية) ، ينظر د. أحمد سوسه، المفصل ، ص٨٦٧.

[٣٧] ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٢٦.

[٣٨] ينظر: المصدر نفسه ،ص١٢٦.

[٣٩] ينظر: المصدر نفسه.

(*) المعلمون ويسمون بـ (التنائيم) وسوف نتناول دراستهم .

(**) العصر الهيرودي : نسبة إلى عصر هيردوس الروماني الذي عينه الرومان ملكاً على فلسطين بعد القضاء على المكابين وقد أتسم حكمه الذي دام ٣٣ عاماً بين سنة ٣٧-٤ ق.م بالاستبداد والقسوة والوحشية / أنظر المفصل ص٨٨٤.

(٤٠)ينظر: التلمود والصهيونية،ص١٢٧ ومابعدها، بروتوكولات حكماء صهيون ، ج٢ ، ص١٥١.

(٤١) التلمود والصهيونية،ص١٢٧ ومابعدها، بروتوكولات حكماء صهيون ، ج٢ ، ص١٥١.

(*) الهجادا : هي لفظة أرامية مشتقة من جذر يفيد معنى (روى وسرد وحكى وقصى) .

(٤٢) ينظر: التلمود والصهيونية،ص١٢٨.

(٤٣) ينظر: بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، ص١٥٩.

(٤٤) ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الاسلام،ص٣٦.

(٤٥) ينظر: برتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، ص١٦٠.

(٤٦) ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه ،ظفر الاسلام خان، موسوعة المصطلحات ، المسيري، ١٤٣.

(٤٧) ينظر: مفصل العرب واليهود، سوسة، ص٣٦٣.

(٤٨) ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الاسلام، ص١٨.

(٤٩) ينظر: مفصل العرب واليهود، سوسة، ٣٦٣.

(٥٠) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٣٣.

(٥١) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٣٣.

(*) يبنا : قرية يبنا قرب يافا ، وأصبحت عاصمة لليهود فترة من الزمن إذ نشأ فيها سنهدرين صغير ، وأصبحت مركز التعليم اليهودي الفريسي / أنظر عجاج نويهض بروتوكولات حكماء صهيون ج٢ / ١٦١.

(٥٢) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوه، ص١٣٤.

(٥٣) ينظر: بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، ١٦٢/٢.

(٥٤) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٣٤، وبروتوكولات حكماء صهيون، نويهض، ٢/ ١٦٢.

(*) قواعد التفسير : تعرف هذه القواعد بـ (المقاييس) ، وتتألف من طرق رئيسة للاستدلال المنطقي ، وأن هيلل هو واضعها وأصاغها إلى (٧) قواعد ... أنظر د. أسعد رزوق – التلمود والصهيونية ص١٣١ .

(٥٥) ينظر: التلمود تعاليمه وتاريخه، ظفر الإسلام، ص١٨. وبروتوكولات حكماء صهيون، نويهض/ ١٦٢/٢، والتلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٣٥.

(٥٦) ينظر: التلمود والصيونية، أسعد رزوق، ص١٣٥.

(٥٧) ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام، ص٩٨.

(٥٨) ينظر: بروتوكولات حكماء صهيون، نويهض،١٥٣/٢.

(٥٩) ينظر: إسرائيل والتلمود، ابراهيم خليل، ص٢٢، والتلمود ، ظفر الاسلام خان، ١٨.

(٦٠) ينظر: الفكر الديني اليهودي ، أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص٧٩.

(٦١) ينظر: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المسيري، ص٢٢.

(٦٢) ينظر: الفكر الديني اليهودي ، أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ص٧٩.

(٦٣) ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الاسلام، ص١٩.

(٦٤) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٣٦.

(*) لفظة المدراش : هي الشرح والدرس والتقصي وهي كلمة مأخوذة عن أصل عبري ومعناها التعمق في الدراسة.

(٦٥) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٤٠.

(٦٦) ينظر: العرب واليهود احمد سوسة، ص٣٦٣.

(٦٧) ينظر: التلمود والصهيونية، أسعد رزوق، ص١٣٦، و إسرائيل والتلمود، ابراهيم خليل، ص٢٤، بروتوكولات حكماء صهيون، نويهض، ص١٦٤/٢.

(٦٨) ينظر: التلمود والصهيونية، أسعد رزوق، ص١٤٢.

(٦٩) ينظر: العرب واليهود في التاريخ، سوسة، ص٣٦٤.

(٧٠) ينظر: التلمود والصهيونية، اسيعد رزوق، ص ١٤٢.

(٧١) ينظر: العرب واليهود في التاريخ، احمد سوسة، ص ٣٦٤.

(٧٢) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص ١٤٢.

(٧٣) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٤٣

(٧٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١٤٣

(*) الترجوم : هو ترجمة العهد القديم من العبري إلى الآرامي ، لما شاعت الآرامية وصارت هي اللسان الحي الجاري، وكان هذا التفسير يقرأ شفوياً في الكنيس والناس يسمعون ، وبعدئذ جمع

هذا كله وأفرغ في صيغة كتابية فقيل له الترجوم/ ينظر عجاج نويهض بروتوكولات المجلد (٢) ، الجزء (٣) ، ص٣١.

(٧٥) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٤٤

(٧٦) ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل، ص٢٤، التلمود، ظفر الاسلام، ص ٢١.

(٧٧) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٤٤.

(٧٨) ينظر: المصدر نفسه.

(٧٩) ينظر: التلمود والصهيونية، رزوق، ص١٤٤، إسرائيل والتلمود، ابراهيم خليل، ص٢٤، والتلمود ، ظفر الاسلام، ص٢١.

(٨٠) ينظر: التلمود والصهيونية، رزوق/ ص١٤٤.

(٨١) ينظر: إسرائيل والتلمود، ابراهيم خليل، ص ٢٤.

(٨٢) ينظر: مفصل العرب واليهود، احمد سوسة، ص ٣٦٦، بروتوكولات حكماء صهيون، نويهض، ٢/ ١٦٥، التلمود ظفر الاسلام، ص ٢٦.

(٨٣) ينظر: التلمود والصهيونية، رزوق، ص١٤٥.

(٨٤) ينظر: مفصل العرب واليهود، احمد سوسة، ص٣٦٦.

(٨٥) ينظر: مفصل العرب واليهود، احمد سوسة، ص٣٦٦.، والتلمود والصهيونية ، رزوق، ص١٢٥.

(٨٦) ينظر: التلمود والصهيونية، رزوق، ص١٧٩.

(٨٧) ينظر: التلمود والصهيونية، أسعد رزوق، ص١٧٦ ، اقتطفها من كتاب (تاريخ اليهود بالإنكليزية).

(٨٨) ينظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج، ترجمة د. يوسف نصر الله ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، سنة ١٩٩٩، ص٥٠ .

(٨٩) ينظر: التلمود كتاب إسرائيل المقدس، عبد المنعم شميس، ص٢٠ وما بعدها.

(٩٠) ينظر: الكنز المرصود، روهلنج، ص٥١.

(٩١) ينظر: اسرائيل والتلمود، ابراهيم خليل، ص٥٧.

(٩٢) ينظر: اسرائيل والتلمود/ ابراهيم خليل، ص ٥٧، وخطر اليهودية العالمية ، عبد الله التل، ص٧٠.

(٩٣) ينظر: الكنز المرصود، روهلنج، ص٥٣.

(٩٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٢.

[٩٥] ينظر: الكنز المرصود، روهلنج، ص٥٣.

[٩٦] ينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابن حزم الاندلسي،المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢/ ١٦.

[٩٧] ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٧٧.

[٩٨] ينظر: المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، انور الجندي، ص٢٥.